سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٠٩٩)

النســق

مفهومه وأثره

من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"وإنا لفي شك منه، فنزلت الآية. ووجه اتصالها بما قبلها أن الله سبحانه لما ذكر في الآية الأولى الدلالة على وحدانيته وقدرته ذكر بعدها الدلالة على نبوة نبيه، وأن ما جاء به ليس مفترى من عنده. قوله: (على عبدنا) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم. والعبد مأخوذ من التعبد وهو التذلل، فسمي المملوك من جنس ما يفعله عبدا لتذلله لمولاه، قال طرفة:

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت إفراد البعير المعبد

أي المذلل. قال بعضهم: لما كانت العبادة أشرف الخصال والتسمي بها أشرف الخطط، سمى نبيه عبدا، وأنشدوا:

يا قوم قلبي عند زهراء ... يعرفه السامع والرائي

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

(فأتوا بسورة) الفاء جواب الشرط، ائتوا مقصور لأنه من باب المجيء، قاله ابن كيسان. وهو أمر معناه التعجيز، لأنه تعالى علم عجزهم عنه. والسورة واحدة السور. وقد تقدم الكلام فيها «١» وفي إعجاز «2» القرآن، فلا معنى للإعادة." ومن" في قوله" من مثله" زائدة، كما قال" فأتوا بسورة مثله" والضمير في" مثله" عائد على القرآن عند الجمهور من العلماء، كقتادة ومجاهد وغيرهما. وقيل: يعود على التوراة والإنجيل. فالمعنى فأتوا بسورة من كتاب مثله فإنها تصدق ما فيه. وقيل: يعود على النبي صلى الله عليه وسلم. المعنى: من بشر أمي مثله لا يكتب ولا يقرأ. فمن على هذين التأويلين للتبعيض والوقف على" مثله" ليس بتام، لأن" وادعوا" **نسق عليه**. قوله تعالى: (وادعوا شهداءكم) معناه أعوانكم ونصراءكم. الفراء: آلهتكم. وقال ابن كيسان: فإن قيل كيف ذكر الشهداء هاهنا، وإنما يكون الشهداء ليشهدوا أمرا، أو ليخبروا بأمر شهدوه، وإنما قيل لهم:" فأتوا بسورة من مثله"؟ فالجواب: أن

---

(١). راجع ص ٦٥ من هذا الجزء.

(٢). راجع ص ٧٨ ٦٩ من هذا الجزء.." [1]

"قوله تعالى: (وأنا اخترتك) ٢٠: ١٣ أي اصطفيتك للرسالة. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو وعاصم والكسائي" وأنا اخترتك ٢٠: ١٣". وقرأ حمزة" وأنا اخترناك". والمعنى واحد إلا أن" وأنا اخترتك ٢٠: ١٣" ها هنا أولى من جهتين: إحداهما أنها أشبه بالخط، والثانية أنها أولى بنسق الكلام، لقوله عز وجل:"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٢/١

يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك ٢٠: ١٢ - ١١" وعلى **هذا النسق جرت** المخاطبة، قاله النحاس. قوله تعالى: (فاستمع لما يوحى) ٢٠: ١٣ فيه مسألة واحدة- قال ابن عطية: وحدثني أبي- رحمه الله- قال سمعت أبا الفضل الجوهري رحمه الله تعالى يقول: لما قيل لموسى صلوات الله وسلامه عليه:" فاستمع لما يوحى ٢٠: ١٣" وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره، ووقف يستمع، وكان كل لباسه صوفا. قلت: حسن الاستماع كما يجب قد مدح الله عليه فقال:" الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم «١» الله" [الزمر: ١٨] وذم على خلاف هذا الوصف فقال:" نحن أعلم بما يستمعون به" «٢» الآية. فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور العقل، وأمر عباده بذلك أدبا لهم، فقال:" وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ٢٠" «٣» [الأعراف: ٢٠٤] وقال ها هنا:" فاستمع لما يوحى ٢٠: ١٣" لأن بذلك ينال الفهم عن الله تعالى. روي عن وهب بن منبه أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها. فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم. وقال سفيان بن عيينة: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل ثم النشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورا.

---

(١). راجع ج ١٥ ص ٢٤٣ فما بعد.
(٢). راجع ج ١٠ ص ٢٧٢.
(٣). راجع ج ٧ ص ٣٥٣.." (١)

"ولم يقل أمراء. وقال المبرد: وهو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل، فيقع على الواحد والجمع، قال الله تعالى:" أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء" «١» [النور: ٣١]. وقال الطبري: وهو نصب على التمييز، كقوله تعالى:" فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا"»
[النساء: ٤]. وقيل: المعنى ثم نخرج كل واحد منكم طفلا. والطفل يطلق من وقت انفصال الولد إلى البلوغ. وولد كل وحشية أيضا طفل. ويقال: جارية طفل، وجاريتان طفل وجوار طفل، وغلام طفل، وغلمان

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١١/١٧٦

طفل. ويقال أيضا: طفل وطفلة وطفلان وطفلتان وأطفال. ولا يقال: طفلات. وأطفلت المرأة صارت ذات طفل. والمطفلة: الظبية معها طفلها، وهي قريبة عهد بالنتاج. وكذلك الناقة، [والجمع [مطافل ومطافيل. والطفل (بالفتح في الطاء) الناعم، يقال: جارية طفلة أي ناعمة، وبنان طفل. وقد طفل الليل إذا أقبل ظلامه. والطفل (بالتحريك): بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب. و الـطفل (أيضا): مطر، قال:

لوهد «٣» جاده طفل الثريا

(ثم لتبلغوا أشدكم) قيل: إن" ثم" زائدة كالواو في قوله" حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها" «٤» [الزمر: ٧٣]، لأن ثم من **حروف النسق كالواو**." أشدكم" كمال عقولكم ونهاية قواكم. وقد مضى في" الأنعام" «٥» بيانه. ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) ٧٠ أي أخسه وأدونه، وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل، ولهذا قال: (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) كما قال في سورة يس:" ومن نعمره ننكسه في الخلق" «٦» [يس: ٦٨]. وكان النبي صلى الله عليه وسلم. يدعو فيقول: اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر". أخرجه النسائي عن سعد، وقال: وكان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب «٧» الغلمان. وقد مضى في النحل هذا المعنى «٨».

---

(١). راجع ص ٢٢٦ من هذا الجزء فما بعد.

(٢). راجع ج ٥ ص ٢٣ فما بعد.

(٣). الوهد والوهدة: المطمئن من الأرض كأنه حفرة.

(٤). راجع ج ١٥ ص ١٨٤ فما بعد. [.....]

(٥). راجع ج ٧ ص ١٢٤.

(٦). راجع ج ١٥ ص ٣٨ فما بعد.

(٧). المكتب المعلم.

(٨). راجع ج ١٠ ص ١٤٠.." [1]

"هشام بن عروة عن عروة عن عائشة. قال أبو عمر: ذكر عبد الملك بن حبيب عن حبيب كاتب مالك قال قلت لمالك: إن سفيان زاد في حديث ابنة غيلان: (أن مخنثا يقال له هيت) وليس في كتابك

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/١٢

هيت؟ فقال مالك: صدق، هو كذلك وغربه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحمى وهو موضع من ذي الحليفة ذات الشمال من مسجدها. قال حبيب وقلت لمالك: وقال سفيان في الحديث: إذا قعدت تبنت «١»، وإذا تكلمت تغنت. قال مالك: صدق، هو كذلك. قال أبو عمر: ما ذكره حبيب كاتب مالك عن سفيان أنه قال في الحديث يعني حديث هشام بن عروة (أن مخنثا يدعى هيتا) فغير معروف عند أحد من رواته عن هشام، لا ابن عيينة ولا غيره، ولم يقل **في نسق الحديث** (إن مخنثا يدعى هيتا) وإنما ذكره عن ابن جريج بعد تمام الحديث، وكذلك قوله عن سفيان أنه يقول في الحديث: إذا قعدت تبنت وإذا تكلمت تغنت. هذا ما لم يقله سفيان ولا غيره في حديث هشام بن عروة، وهذا اللفظ لا يوجد إلا من رواية الواقدي، والعجب أنه يحكيه عن سفيان ويحكي عن مالك أنه كذلك، فصارت رواية عن مالك، ولم يروه عن مالك غير حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره أيضا، والله أعلم. وحبيب كاتب مالك متروك الحديث ضعيف عند جميعهم، لا يكتب حديثه ولا يلتفت إلى ما يجئ به. ذكر الواقدي والكلبي أن هيتا المخنث قال لعبد الله بن أمية المخزومي وهو أخو أم سلمة لأبيها، وأمه عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له وهو في بيت أخته أم سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: إن فتح الله عليكم الطائف فعليك ببادية بنت غيلان بن سلمة الثقفي، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان «٢»، مع ثغر كالأقحوان، إن جلست تبنت وإن تكلمت تغنت، بين رجليها كالإناء المكفوء «٣»، وهي كما قال قيس بن الخطيم،

تغترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شف وجهها نزف «٤»

---

(١). أي صارت كالمبناة من سمنها وعظمها. قال ابن الأثير: أي فرجت رجليها لضخم ركبها (فرجها)، كأنه شبهها بالقبة من الأدم.

(٢). يعنى تقبل بأربع عكن وتدبر بثمان عكن. والعكن والأعكان: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا.

(٣). يعنى ضخم ركبها (فرجها) ونهوده كأنه إناء مكبوب.

(٤). يقول: من نظر إليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته عن النظر إلى غيرها، وهى لاهية غير محتفلة. والترف (بضم فسكون، وحرك هنا لضرورة الشعر): خروج الدم. وفى شرح ديوان قيس:" أراد أن في لونها مع البياض صفرة، وذلك أحسن".." (١)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٣٥

"قرأ أهل المدينة وأهل الشام وحفص عن عاصم بالتاء على الخطاب، لقوله:" سيريكم آياته فتعرفونها" فيكون الكلام **على نسق واحد**. الباقون بالياء على أن يرد إلى ما قبله" فمن اهتدى" فأخبر عن تلك الآية.
كملت السورة والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة إلا آية نزلت بين مكة والمدينة. وقال ابن سلام: بالجحفة في وقت، هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. وهي قوله عز وجل:" إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد". وقال مقاتل: فيها من المدني" الذين آتيناهم الكتاب" إلى قوله:" لا نبتغي الجاهلين". وهي ثمان وثمانون آية.

[سورة القصص (٢٨): الآيات ١ الى ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (٤)

ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (٥) ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٦)

قوله تعالى: (طسم) تقدم الكلام فيه. (تلك آيات الكتاب المبين) " تلك" في موضع رفع بمعنى هذه تلك و" آيات" بدل منها. ويجوز أن يكون في موضع نصب ب" نتلوا" و" آيات" بدل منها أيضا، وتنصبها كما تقول: زيدا ضربت. و" المبين"." (١)

"الزجاج: العجب من حمقه لم يدر أن الكاهن إن صدق فالقتل لا ينفع، وإن كذب فلا معنى للقتل. وقيل: جعلهم شيعا فاستسخر كل قوم من بني إسرائيل في شغل مقرد." إنه كان من المفسدين" أي في الأرض بالعمل والمعاصي والتجبر. قوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض) أي نتفضل عليهم وننعم. وهذه حكاية مضت. (ونجعلهم أئمة) قال ابن عباس: قادة في الخير. مجاهد: دعاة إلى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٢٤٧

الخير. قتادة: ولاة وملوكا، دليله قوله تعالى:" وجعلكم ملوكا" قلت: وهذا أعم فإن الملك إمام يؤتم به ومقتدى به. (ونجعلهم الوارثين) لملك فرعون، يرثون ملكه، ويسكنون مساكن القبط وهذا معنى قوله تعالى:" وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا" قوله تعالى: (ونمكن لهم في الأرض) أي نجعلهم مقتدرين على الأرض وأهلها حتى يستولى عليها، يعني أرض الشام ومصر. (ونري فرعون وهامان وجنودهما) أي ونريد أن نري فرعون وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف" ويرى" بالياء على أنه فعل ثلاثي من رأى" فرعون وهامان وجنودهما" رفعا لأنه الفاعل الباقون" نري" بضم النون وكسر الراء على أنه فعل رباعي من أرى يري، وهي **على نسق الكلام**، لأن قبله" ونريد" وبعده" ونمكن"." فرعون وهامان وجنودهما" نصبا بوقوع الفعل وأجاز الفراء" ويري فرعون" بضم الياء وكسر الراء وفتح الياء بمعنى ويري الله فرعون (منهم ما كانوا يحذرون) وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل" منهم فأراهم الله" ما كانوا يحذرون" قال قتاد: كان حازيا لفرعون- والحازي المنجم- قال إنه سيولد في هذه السنة مولود يذهب بملكك، فأمر فرعون بقتل الولدان في تلك السنة. وقد تقدم.." [1]

"فظلت «١» تباعا خيلنا في بيوتكم ... كما تابعت سرد العنان الخوارز

والسراد: السير الذي يخرز به، قال لبيد:

يشك صفائحها بالروق شزرا ... كما خرج السراد من النقال «٢»

ويقال: قد سرد الحديث والصوم، فالسرد فيهما أن يجئ بهما «٣» ولاء **في نسق واحد**، ومنه سرد الكلام. وفي حديث عائشة: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم، وكان يحدث الحديث لو أراد العاد أن يعده لأحصاه. قال سيبويه: ومنه رجل سرندى أي جريء، قال: لأنه يمضي قوما «٤». وأصل ذلك في سرد الدرع، وهو أن يحكمها ويجعل نظام حلقها ولاء غير مختلف. قال لبيد:

صنع الحديد مضاعفا أسراده ... لينال طول العيش غير مروم

وقال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبع «٥»

(واعملوا صالحا) أي عملا صالحا. وهذا خطاب لداود وأهله، كما قال:" اعملوا آل داود شكرا" [سبأ: ١٣]. (إني بما تعملون بصير).

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/٢٤٩

[سورة سبإ (34): آية ١٢]

ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (١٢)

قوله تعالى: (ولسليمان الريح) قال الزجاج، التقدير وسخرنا لسليمان الريح. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه:" الريح" بالرفع على الابتداء، والمعنى له تسخير الريح، أو بالاستقرار،

---

(١). رواية البيت كما في ديوانه:

شككن بأحشاء الذنابى على هدى ... كما تابعت .... إلخ

(٢). الروق: القرن. والنقال: جمع النقل (بالتحريك) والنقل وهو الخف الخلق.

(٣). في الأصول: (به). [.....]

(٤). أي لم يعرج ولم ينثن يوصف به الذكر والأنثى.

(٥). قضاهما أحكمهما أو فرغ منهما. والصنع (بالتحريك): الحذق في العمل. والصنع هاهنا تبع وهو ملك من ملوك حمير. ويروى: (أو صنع السوابغ).." [١]

"فلا أدري فيمن نزلت. قال أبو قبيل: لا أحسب المكذبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا. وقال عقبة بن عامر: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" نزلت هذه الآية في القدرية" ذكره المهدوي. قوله تعالى:" إذ الأغلال في أعناقهم" أي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه إذا دخلوا النار وغلت أيديهم إلى أعناقهم. قال التيمي: لو أن غلا من أغلال جهنم وضع على جبل لوهصه حتى يبلغ الماء الأسود." والسلاسل" بالرفع قراءة العامة عطفا على الأغلال. قال أبو حاتم:" يسحبون" مستأنف على هذه القراءة. وقال غيره: هو في موضع نصب على الحال، والتقدير:" إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل" مسحوبين. وقرأ ابن عباس وأبو الجوزاء وعكرمة وابن مسعود" والسلاسل" بالنصب" يسحبون" بفتح الياء والتقدير في هذه القراءة ويسحبون السلاسل. قال ابن عباس: إذا كانوا يجرونها فهو أشد عليهم. وحكي عن بعضهم" السلاسل" بالجر ووجهه أنه محمول على المعنى، لأن المعنى أعناقهم في الأغلال والسلاسل، قال الفراء. وقال الزجاج: ومن قرأ" والسلاسل يسحبون" بالخفض فالمعنى عنده وفي" السلاسل يسحبون". قال ابن

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/ ٢٦٨

الأنباري: والخفض على هذا المعنى غير جائز، لأنك إذا قلت زيد في الدار لم يحسن أن تضمر" في" فتقول زيد الدار، ولكن الخفض جائز. على معنى إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل، فتخفض السلاسل على النسق على تأويل الأغلال، لأن الأغلال في تأويل الخفض، كما تقول: خاصم عبد الله زيدا العاقلين فتنصب العاقلين. ويجوز رفعهما، لأن أحدهما إذا خاصم صاحبه فقد خاصمه صاحبه، أنشد الفراء:

قد سالم الحيات منه القدماء ... الأفعون والشجاع الشجعما «١»

فنصب الأفعوان على الإتباع للحيات إذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم. فمن نصب السلاسل أو خفضها لم يقف عليها." الحميم" لا لمتناهي في الحر. وقيل: الصديد المغلي."

(١). الشجعم: الضخم من الحيات.." (١)

"[سورة الأحقاف (٤٦): آية ٣٥]

فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون (٣٥)

قوله تعالى:" فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" وقال ابن عباس: ذوو الحزم والصبر، قال مجاهد: هم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وهم أصحاب الشرائع. وقال أبو العالية: إن أولي العزم: نوح، وهود، وإبراهيم. فأمر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام أن يكون رابعهم. وقال السدي: هم ستة «١»: إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين. وقيل: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى، وهم المذكورون على النسق في" سورة الأعراف والشعراء". وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه مدة. وإبراهيم صبر على النار. وإسحاق صبر على الذبح. ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر. ويوسف صبر على البئر والسجن. وأيوب صبر على الضر. وقال ابن جريج: إن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم. وقال الشعبي والكلبي ومجاهد أيضا: هم الذين أمروا بالقتال فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة. وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة" الأنعام" «٢» وهم ثمانية عشر: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكرياء، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط. واختاره الحسن بن الفضل لقوله في عقبه:" أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٢/١٥

«٣» [الانعام: ٩٠] وقال ابن عباس أيضا: كل الرسل كانوا أولي عزم. واختاره علي بن مهدي الطبري، قال: وإنما دخلت" من" للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: اشتريت أردية من البز وأكسية من الخز. أي اصبر كما صبر الرسل. وقيل: كل الأنبياء أولو عزم إلا يونس بن متي، ألا ترى أن

---

(١). ما بين المربعين ساقط من ب ل ن. [.....]

(٢). راجع ج ٧ ص ٣٥.

(٣). آية ٩٠ سورة الانعام.." [١]

"[سورة الطور (٥٢): الآيات ٢١ الى ٢٤]

والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين (٢١) وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣) ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون (٢٤)

قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم) قرأ العامة (واتبعتهم) بوصل الألف وتشديد التاء وفتح العين وإسكان التاء. وقرا عمرو (وأتبعناهم) بقطع الألف وإسكان التاء والعين ونون، اعتبارا بقوله: (ألحقنا بهم)، ليكون الكلام على نسق واحد. فأما قوله: (ذريتهم) الأولى فقرأها بالجمع ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب ورواها عن نافع إلا أن أبا عمرو كسر التاء على المفعول وضم باقيهم. وقرأ الباقون (ذريتهم) على التوحيد وضم التاء وهو المشهور عن نافع. فأما الثانية فقرأها نافع وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر التاء على ال جمع. الباقون (ذريتهم) على التوحيد وفتح التاء. واختلف في معناه، فقيل عن ابن عباس أربع روايات: الأولى أنه قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه، وتلا هذه الآية. ورواه مرفوعا النحاس في (الناسخ والمنسوخ) له عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقر بهم عينه) ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان) الآية. قال أبو جعفر: فصار الحديث مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا يجب أن يكون، لأن ابن عباس لا يقول هذا إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه إخبار عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى أنه أنزلها جل ثناؤه. الزمخشري:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/٢٢٠

فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوا ن المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم.." (١)

"[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧)

قوله تعالى: (هذا يوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أي إن يوم القيامة له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يؤذن لهم في الاعتذار والتنصل. وعن عكرمة عن ابن عباس قال: سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى: هذا يوم لا ينطقون وفلا تسمع إلا همسا [طه: ١٠٨] وقد قال تعالى: وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون [الصافات: ٢٧] فقال له: إن الله عز وجل يقول: وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون [الحج: ٤٧] فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان. وقيل: لا ينطقون بحجة نافعة، ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكأنه ما نطق. قال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون. وقيل: إن هذا وقت جوابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون [المؤمنون: ١٠٨] وقد تقدم «1». وقال أبو عثمان: أسكتتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب. وقال الجنيد: أي عذر لمن أعر ض عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه؟ ويوم بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر، أي تقول الملائكة: هذا يوم لا ينطقون ويجوز أن يكون قوله: انطلقوا من قول الملائكة، ثم يقول الله لأوليائه: هذا يوم لا ينطق الكفار. ومعنى اليوم الساعة والوقت. وروى يحيى بن سلطان. عن أبي بكر عن عاصم هذا يوم لا ينطقون بالنصب، ورويت عن ابن هرمز وغيره، فجاز أن يكون مبنيا لإضافته إلى الفعل وموضعه رفع. وهذا مذهب الكوفيين. وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم. وهذا مذهب البصريين، لأنه إنما بني عندهم إذا أضيف إلى مبني، والفعل ها هنا معرب. وقال الفراء في قوله تعالى: ولا يؤذن لهم فيعتذرون **الفاء نسق أي** عطف على يؤذن وأجيز ذلك، لأن أواخر الكلام بالنون. ولو قال: فيعتذروا لم يوافق الآيات. وقد قا ل:

---

(١). راجع ج ١٢ ص ١٥٣." (٢)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٦/١٧

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦٦/١٩

"الثالثة- قوله تعالى:" وارزق أهله من الثمرات من آمن" تقدم معنى الرزق «١». والثمرات جمع ثمرة، وقد تقدم «٢»." من آمن" بدل من أهل، بدل البعض من الكل. والإيمان: التصديق، وقد تقدم «٣»." قال ومن كفر"" من" في قوله" ومن كفر" في موضع نصب، والتقدير وارزق من كفر، ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء، وهي شرط والخبر" فأمتعه" وهو الجواب. واختلف هل هذا القول من الله تعالى أو من إبراهيم عليه السلام؟ فقال أبي بن كعب وابن إسحاق وغيرهما: هو من الله تعالى، وقرءوا" فأمتعه" بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التاء." ثم أضطره" بقطع الألف وضم الراء، وكذلك القراء السبعة خلا ابن عامر فإنه سكن الميم وخفف التاء. وحكى أبو إسحاق الزجاج أن في قراءة أبي" فنمتعه قليلا ثم نضطره" بالنون. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة: هذا القول عن إبراهيم عليه السلام. وقرءوا" فأمتعه" بفتح الهمزة وسكون الميم،" ثم اضطره" بوصل الألف وفتح الراء، فكأن إبراهيم عليه السلام دعا للمؤمنين وعلى الكافرين، وعليه فيكون الضمير في" قال" لإبراهيم، وأعيد" قال" لطول الكلام، أو لخروجه من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين. والفاعل في" قال" على قراءة الجماعة اسم الله تعالى، واختاره النحاس، وجعل القراءة بفتح الهمزة وسكون الميم ووصل الألف شاذة، قال: ونسق الكلام والتفسير جميعا يدلان على غيرها، **أما نسق الكلام** فإن الله تعالى خبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال:" رب اجعل هذا بلدا آمنا" ثم جاء بقوله عز وجل:" وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر" ولم يفصل بينه بقال، ثم قال بعد:" قال ومن كفر" فكان هذا جوابا من الله، ولم يقل بعد: قال إبراهيم. وأما التفسير فقد صح عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب. وهذا لفظ ابن عباس: دعا إبراهيم عليه السلام لمن آمن دون الناس خاصة، فأعلم الله عز وجل أنه يرزق من كفر كما يرزق من آمن، وأنه يمتعه قليلا ثم يضطره إلى عذاب

---

(١). راجع المسألة الثانية والعشرين ج ١ ص ١٧٧.

(٢). راجع المسألة الرابعة ج ١ ص ٢٢٩.

(٣). راجع المسألة الاولى ج ١ ص ١٦٢ طبعه ثانية. [.....]." [1]

"فنصب على المدح. وأما الذم فقوله تعالى:" ملعونين أينما ثقفوا «١» " [الأحزاب: ٦١] الآية.

وقال عروة ابن الورد:

سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/١١٩

وهذا مهيع «٢» في النعوت، لا مطعن فيه من جهة الإعراب، موجود في كلام العرب كما بينا. وقال بعض من تعسف في كلامه: إن هذا غلط من الكتاب حين كتبوا مصحف الإمام، قال: والدليل على ذلك ما روي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى «٣» فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها. وهكذا قال في سورة النساء" والمقيمين الصلاة" [النساء: ١٦٢]، وفي سورة المائدة" والصابئون" [«٤» المائدة: ٦٩]. والجواب ما ذكرناه. وقيل:" الموفون" رفع على الابتداء والخبر محذوف، تقديره وهم الموفون. وقال الكسائي:" والصابرين" عطف على" ذوي القربى "كأنه قال: وآتى الصابرين. قال النحاس:" وهذا القول خطأ وغلط بين، لأنك إذا نصبت" والصابرين" ونسقته على" ذوي القربى " دخل في صلة" من" وإذا رفعت" والموفون" على أنه نسق على" من" فقد نسقت على" من" من قبل أن تتم الصلة، وفرقت بين الصلة والموصول بالمعطوف". وقال الكسائي: وفي قراءة عبد الله" والموفين، والصابرين". وقال النحاس:" يكونان منسوقين على" ذوي القربى " أو على المدح. قال الفراء: وفي قراءة عبد الله في النساء" والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة «٥» " [النساء: ١٦٢]. وقرأ يعقوب والأعمش" والموفون والصابرون" بالرفع فيهما. وقرا

---

(١). راجع ج ١٤ ص ٢٤٧. [.....]

(٢). المهيع: الطريق الواسع البين.

(٣). هذا القول من أخبث ما وضع الوضاعون على عثمان رضى الله عنه، وقد أنكر العلماء صحة نسبته إليه. على أن عثمان لم يستقل بجمع المصحف بل شاركه؟؟ الصحابة في جمعه وكتابته ولم ينشروه بين المسلمين حتى قابلوه على الصحف التي جمع القرآن فيها على عهد أبي بكر رضي الله عنه، فلم يتداوله المسلمون إلا وهو بإجماع الصحابة موافق تمام الموافقة للعرضة الأخيرة التي عرض فيها النبي صلى الله عليه وسلم القرآن على جبريل عليه السلام. وهل يظن ظان أن عثمان رضى الله عنه وهو ثالث الخلفاء الراشدين يرى في المصحف لحنا يخالف ما أنزل الله ويتركه ويقول: ستقيمه العرب بألسنتها! وكيف يفعل أن يقول ذلك في حضرة الصحابة ولا يقفون في وجهه ويردون عليه قوله وهم أنصار الدين وحماته. وممن أنكر نسبة هذا القول إلى عثمان المصنف والزمخشري وأبو حيان والآلوسي في سورة" النساء" عند قوله تعالى:" والمقيمين الصلاة" آية ١٦٢، راجع ج ٦ ص ١٣.

(٤). راجع ج ٦ ص ٢٤٦.

(٥). كذا في كتاب" إعراب القرآن" للنحاس، وما يدل عليه سياق الكلام في البحر المحيط لابي حيان في سورة" النساء". وفى الأصول:" والمقيمين ... والمؤتين".." (١)

"الآخر بمنقاره فيه فغسله (. وفي حديث آخر قال: [جاءني ملك فشق عن قلبي، فاستخرج منه عذرة «١»، وقال: قلبك وكيع، وعيناك بصيرتان، وأذناك سميعتان، أنت محمد رسول الله، لسانك صادق، ونفسك مطمئنة، وخلقك قثم، وأنت قيم [. قال أهل اللغة: قوله] وكيع أي يحفظ ما يوضع فيه. يقال: سقاء وكيع، أي قوي يحفظ ما يوضع فيه. واستوكعت معدته، أي قويت وقوله: [قثم [أي جامع. يقال: رجل قثوم للخير، أي جامع له. ومعنى ألم نشرح قد شرحنا، الدليل، على ذلك قوله **في النسق عليه**: ووضعنا عنك وزرك، فهذا عطف على التأويل، لا على التنزيل، لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك. فدل هذا على أن معنى ألم نشرح: قد شرحنا. ولم جحد، وفي الاستفهام طرف من الجحد، وإذا وقع جحد، رجع إلى التحقيق، كقوله تعالى: أليس الله بأحكم الحاكمين «٢» [التين: ٨]. ومعناه: الله أحكم الحاكمين. وكذا أليس الله بكاف عبده «٣» [الزمر: ٦٣]. ومثله قول جرير يمدح عبد الملك ابن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

المعنى: أنتم كذا.

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ٢ الى ٣]

ووضعنا عنك وزرك (٢) الذي أنقض ظهرك (٣)

قوله تعالى: (ووضعنا عنك وزرك) أي حططنا عنك ذنبك. وقرأ أنس" وحللنا، وحططنا". وقرأ ابن مسعود:" وحللنا عنك وقرك". هذه الآية مثل قوله تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر «٤» [الفتح: ٢]. قيل: الجميع كان قبل النبوة. والوزر: الذنب، أي وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية، لأنه كان صلى الله عليه وسلم في كثير من مذاهب قومه، وإن لم يكن عبد صنما ولا وثنا. قال قتادة والحسن والضحاك: كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب أثقلته، فغفرها الله له الذي أنقض ظهرك أي أثقله حتى سمع

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٤٠/٢

(١). كذا في بعض نسخ الأصل. وفي بعضها الآخر: (غدرة) بالغين المعجمة والدال المهملة. ولم نقف على هذا اللفظ لغير القرطبي. ولعله محرف عن (علقة).

(٢). آية ٨ سورة التين.

(٣). آية ٣٦ سورة الزمر. [.....]

(٤). آية ٢ سورة الفتح.." [١]

"واتقوا الله لعلكم تفلحون «١» [آل عمران: ١٨٩]. وقال قوم منهم الجرجاني: هذا قول مدخول، لأنه يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفا، إن مع الفارس سيفا، أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنان. والصحيح أن يقال: إن الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مقلا مخفا، فعيره المشركون بفقره، حتى قالوا له: نجمع لك مالا، فاغتم وظن أنهم كذبوه لفقره، فعزاه الله، وعدد نعمه عليه، ووعده الغنى بقوله: فإن مع العسر يسرا أي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر، فإن مع ذلك العسر يسرا عاجلا، أي في الدنيا. فأنجز له ما وعده، فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن، ووسع ذات يده، حتى كان يعطي الرجل المائتين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ويعد لأهله قوت سنة. فهذا الفضل كله من أمر الدنيا، وإن كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد يدخل فيه بعض أمته إن شاء الله تعالى. ثم ابتدأ فضلا آخرا من الآخرة وفيه تأسية وتعزية له صلى الله عليه وسلم، فقال مبتدئا: إن مع العسر يسرا فهو شي آخر. والدليل على ابتدائه، تعريه من فاء أو واو أو غيرها من **حروف النسق التي** تدل على العطف. فهذا وعد عام لجميع المؤمنين، لا يخرج أحد منه، أي إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسرا في الآخرة لا محالة. وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الآخرة. والذي في الخبر: [لن يغلب عسر يسرين [يعني العسر الواحد لن يغلبهما، وإنما يغلب أحدهما إن غلب، وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة فكائن لا محالة، ولن يغلبه شي. أو يقال: إن مع العسر وهو إخراج أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة يسرا، وهو دخوله يوم فتح مكة مع عشرة آلاف رجل، مع عز وشرف.

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ٧ الى ٨]

فإذا فرغت فانصب (٧) وإلى ربك فارغب (٨)

فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: (فإذا فرغت) قال ابن عباس وقتادة: فإذا فرغت من صلاتك فانصب أي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠٥/٢٠

ب ا لغ في الدعاء وسله حاجتك. وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض

---

(١). آية سورة آل عمران.." [1]

"قوله تعالى: (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) فيه إحدى عشرة مسألة: الأولى- احتج بعض مشايخ خراسان من الحنفية بهذه الآية على أن المختلعة يلحقها الطلاق، قالوا: فشرع الله سبحانه صريح الطلاق بعد المفاداة بالطلاق، لأن الفاء حرف تعقيب، فيبعد أن يرجع إلى قوله:" الطلاق مرتان" لأن الذي تخلل من الكلام يمنع بناء قوله" فإن طلقها" على قوله" الطلاق مرتان" بل الأقرب عوده على ما يليه كما في الاستثناء ولا يعود إلى ما تقدمه إلا بدلالة، كما أن قوله تعالى:" وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم «١» بهن" فصار مقصورا على ما يليه غير عائد على ما تقدمه حتى لا يشترط الدخول في أمهات النساء. وقد اختلف العلماء في الطلاق بعد الخلع في العدة، فقالت طائفة: إذا خالع الرجل زوجته ثم طلقها وهي في العدة لحقها الطلاق ما دامت في العدة، كذلك قال سعيد بن المسيب وشريح وطاوس والنخعي والزهري والحكم وحماد والثوري وأصحاب الرأي. وفيه قول ثان وهو أن الطلاق لا يلزمها، وهو «٢» قول ابن عباس وابن الزبير وعكرمة والحسن وجابر بن زيد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور، وهو قول مالك إلا أن مالكا قال: إن افتدت منه على أن يطلقها ثلاثا متتابعا نسقا حين طلقها فذلك ثابت عليه، وإن كان بين ذلك صمات فما أتبعه «٣» بعد الصمات فليس بشيء، وإنما كان ذلك **لأن نسق الكلام** بعضه على بعض متصلا يوجب له حكما واحدا، وكذلك إذا اتصل. الاستثناء باليمين بالله أثر وثبت له حكم الاستثناء، وإذا انفصل عنه لم يكن له تعلق بما تقدم من الكلام. الثانية- المراد بقوله تعالى:" فإن طلقها" الطلقة الثالثة" فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره". وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه. واختلفوا فيما يكفي من النكاح، وما الذي يبيح التحليل، فقال سعيد بن المسيب ومن وافقه: مجرد العقد كاف. وقال الحسن بن أبى الحسن: لا يكفى مجرد الوطي حتى

---

(١). راجع ج ٥ ص ١١٢.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠٨/٢٠

(٢). في ز، وب: هذا. [.....]

(٣). في ب: أتبعها.." [(١)]

"الشيء (مخففا) أفسره (بالكسر) فسرا. والتأويل بيان المعنى، كقوله لا شك فيه عند المؤمنين. أو لأنه حق في نفسه فلا يقبل ذاته الشك وإنما الشك وصف الشاك. وكقول ابن عباس في الجد أبا، لأنه تأول قول الله عز وجل:" يا بني آدم". الثامنة- قوله تعالى: (والراسخون في العلم) اختلف العلماء في" والراسخون في العلم" هل هو ابتداء كلام مقطوع مما قبله، أو هو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع. فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله" إلا الله" هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد [وغيرهم] «١». قال أبو نهيك الأسدي: إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة. وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم" آمنا به كل من عند ربنا". وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز، وحكى الطبري نحوه عن يونس عن أشهب عن مالك بن أنس. و" يقولون" على هذا خبر" الراسخون". قال الخطابي: وقد جعل الله تعالى آيات كتابه الذي أمرنا بالإيمان به والتصديق بما فيه قسمين: محكما ومتشابها، فقال عز من قائل:" هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات" ... إلى قوله:" كل من عند ربنا" فاعلم أن المتشابه من الكتاب قد استأثر الله بعلمه، فلا يعلم تأويله أحد غيره، ثم أثنى الله عز وجل على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به. ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه. ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو عند قوله تعالى:" وما يعلم تأويله إلا الله" وأن ما بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله" والراسخون في العلم يقولون آمنا به". وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة. وإنما روي عن مجاهد أنه نسق" الراسخون" على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه. واحتج له بعض أهل اللغة فقال: معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا، وزعم أن موضع" يقولون" نصب على الحال. وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه، لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال، ولو جاز ذلك لجاز

---

(١). الزيادة من نسخة: ج.." [(٢)]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤٧/٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٦/٤

"فيه ثلاثة أقوال: يمحص: يختبر. الثاني- يطهر، أي من ذنوبهم فهو على حذف مضاف. المعنى: وليمحص الله ذنوب الذين آمنوا، قاله الفراء. الثالث- يمحص يخلص، فهذا أغربها. قال الخليل: يقال محصى الحبل يمحص محصا إذا انقطع وبره، ومنه (اللهم محص عنا ذنوبنا) أي خلصنا من عقوبتها. وقال أبو إسحاق الزجاج: قرأت على محمد بن يزيد عن الخليل: التمحيص التخليص. يقال: محصه [يمحصه] «١» محصا إذا خلصه، فالمعنى عليه ليبتلي المؤمنين ليثيبهم ويخلصهم من ذنوبهم. (ويمحق الكافرين) أي يستأصلهم بالهلاك.

[سورة آل عمران (٣): آية ١٤٢]

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (١٤٢)

" أم" بمعنى بل. وقيل: الميم زائدة، والمعنى أحسبتم يأمن انهزم يوم أحد أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على ألم الجراح والقتل من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم لا، حتى (يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أي علم شهادة حتى يقع عليه الجزاء. والمعنى: ولم تجاهدوا فيعلم ذلك منكم، فلما بمعنى لم. وفرق سيبويه بين" لم" و" لما" فزعم أن" لم يفعل" نفي فعل، وأن" لم يفعل". نفي قد فعل. (ويعلم الصابرين) منصوب بإضمار أن، عن الخليل. وقرأ الحسن ويحيى بن يعمر" يعلم الصابرين" بالجزم على النسق. وقرى بالرفع على القطع، أي وهو يعلم. وروى هذه القراءة عبد الوارث عن أبي عمرو. وقال الزجاج: الواو هنا بمعنى حتى، أي ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حتى يعلم صبرهم كما تقدم آنفا.

[سورة آل عمران (٣): آية ١٤٣]

ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون (١٤٣)

قوله تعالى: (ولقد كنتم تمنون الموت) " أي الشهادة من قبل أن تلقوه. وقرأ الأعمش" من قبل أن تلاقوه" أي من قبل القتل. وقيل: من قبل أن تلقوا أسباب الموت وذلك أن كثيرا ممن لم يحضروا بدرا كانوا يتمنون يوما يكون فيه قتال،

---

(١). في ب ود وهـ.." [1]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٤/٢٢٠

"وهو مذهب الأكثرين من العلماء «١». قال أبو عمر: إلا أن مالكا يستحب له استئناف الوضوء **على النسق لما** يستقبل من الصلاة، ولا يرى ذلك واجبا عليه، هذا تحصيل مذهبه. وقد روى علي بن زياد عن مالك قال: من غسل ذراعيه ثم وجهه ثم ذكر مكانه أعاد غسل ذراعيه، وإن لم يذكر حتى صلى أعاد الوضوء والصلاة، قال علي ثم قال بعد ذلك: لا يعيد الصلاة ويعيد الوضوء لما يستأنف. وسبب الخلاف ما قال بعضهم: إن" الفاء" توجب التعقيب في قوله:" فاغسلوا" فإنها لما كانت جوابا للشرط ربطت المشروط به، فاقتضت الترتيب في الجميع، وأجيب بأنه إنما اقتضت البداءة في الوجه إذ هو جزاء الشرط وجوابه، وإنما كنت تقتضي الترتيب في الجميع لو كان جواب الشرط معنى واحدا، فإذا كانت جملا كلها جوابا لم تبال بأيها بدأت، إذ المطلوب تحصيلها. قيل: إن الترتيب إنما جاء من قبل الواو، وليس كذلك لأنك تقول: تقاتل زيد وعمرو، وتخاصم بكر وخالد، فدخولها في باب المفاعلة يخرجها عن الترتيب. والصحيح أن يقال: إن الترتيب متلقى من وجوه أربعة: الأول- أن يبدأ بما بدأ الله به كم قال عليه الصلاة والسلام حين حج: (نبدأ بما بدأ الله به). الثاني- من إجماع السلف فإنهم كانوا يرتبون. الثالث- من تشبيه الوضوء بالصلاة. الرابع- من مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك. احتج من أجاز ذلك بالإجماع على أن لا ترتيب في غسل أعضاء الجنابة، فكذلك غسل أعضاء الوضوء، لأن المعنى في ذلك الغسل لا التبدية. وروي عن علي أنه قال: ما أبالي إذا أتممت وضوئي بأي أعضائي بدأت. وعن عبد الله بن مسعود قال: لا بأس أن تبدأ برجليك قبل يديك، قال الدارقطني: هذا مرسل ولا يثبت، والأولى وجوب الترتيب. والله أعلم. الثامنة عشرة- إذا كان في الاشتغال بالوضوء فوات الوقت لم يتيمم عند أكثر العلماء، ومالك يجوز التيمم في مثل ذلك، لأن التيمم إنما جاء في الأصل لحفظ وقت الصلاة، ولولا ذلك لوجب تأخير الصلاة إلى حين وجود الماء. احتج الجمهور بقوله تعالى:" فلم تجدوا ماء فتيمموا" وهذا واجد، فقد عدم شرط صحة التيمم فلا يتيمم.

---

(١). في ز: علمائنا.." [1]

"الرابعة- قوله تعالى: (وجعل الظلمات والنور) ذكر بعد خلق الجواهر خلق الأعراض لكون الجوهر لا يستغني عنه وما لا يستغني عن الحوادث فهو حادث. والجوهر في اصطلاح المتكلمين هو الجزء الذي لا يتجزأ الحامل للعرض وقد أتينا على ذكره في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى في اسمه"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦/٩٩

الواحد". وسمي العرض عرضا لأنه يعرض في الجسم والجوهر فيتغير به من حال إلى حال والجسم هو المجتمع وأقل ما يقع عليه اسم الجسم جوهران مجتمعان وهذه الاصطلاحات وإن لم تكن موجودة في الصدر الأول فقد دل عليها معنى الكتاب والسنة فلا معنى لإنكارها. وقد استعملها العلماء واصطلحوا عليها وبنوا عليها كلامهم وقتلوا بها خصومهم كما تقدم في" البقرة". واختلف العلماء في المعنى المراد بالظلمات والنور فقال السدي وقتادة وجمهور المفسرين: المراد سواد الليل وضياء النهار. وقال الحسن: الكفر والإيمان قال ابن عطية: وهذا خروج عن الظاهر. قلت: اللفظ يعمه وفي التنزيل:" أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات" «١»] الانعام: ١٢٢]. والأرض هنا اسم للجنس فإفرادها في اللفظ بمنزلة جمعها وكذلك" والنور" ومثله" ثم يخرجكم طفلا" «٢»] غافر: ٦٧]

وقال الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا

وقد تقدم «٣». وجعل هنا بمعنى خلق لا يجوز غيره قاله ابن عطية. قلت: وعليه يتفق اللفظ والمعنى في النسق فيكون الجمع معطوفا على الجمع والمفرد معطوفا على المفرد فيتجانس اللفظ وتظهر الفصاحة والله أعلم وقيل: جمع" الظلمات" ووحد" النور" لأن الظلمات لا تتعدى والنور يتعدى. وحكى الثعلبي أن بعض أهل المعاني قال:" جعل" هنا زائدة والعرب تزيد" جعل" في الكلام كقول الشاعر:

وقد جعلت أرى الاثنين أربعة ... والواحد «٤» اثنين لما هدني الكبر

---

(١). راجع ج ٧ ص ٧٨.

(٢). راجع ج ١٢ ص ١١.

(٣). تمام البيت:

فإن زمانكم زمن خميص

يقول الشاعر: كلوا في بعض بطنكم حتى تعتادوا ذلك فإن الزمان ذو مخمصة وجدب.

(٤). ورد البيت في ج ١ ص ٢٢٨ (والأربع اثنين) والصواب ما هنا.." [١]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٨٦/٦

"(إلا في كتاب مبين) يعني اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به. قال الجرجاني" إلا" بمعنى واو النسق، أي وهو في كتاب مبين، كقوله تعالى:" إني لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم" «١» [النمل: ١١ - ١٠] أي ومن ظلم. وقوله:" لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم" «٢» [البقرة: ١٥٠ [أي والذين ظلموا منهم، ف"- إلا" بمعنى واو النسق، وأضمر هو بعده كقوله:" وقولوا حطة" «٣» [البقرة: ٥٨] أي هي حطة. وقوله:" ولا تقولوا ثلاثة" «٤» [النساء: ١٧١] أي هم ثلاثة. ونظير ما نحن فيه:" وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين" «٥» [الانعام: ٥٩] وهو في كتاب مبين.

[سورة يونس (١٠): آية ٦٢]

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢)

قوله تعالى:" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم" أي في الآخرة." ولا هم يحزنون" لفقد الدنيا. وقيل:" لا خوف عليہم ولا هم يحزنون" أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن، قال الله تعالى:" إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها"- أي عن جهنم-" مبعدون"- إلى قوله" لا يحزنهم الفزع الأكبر" «٦» [الأنبياء: ١٠٣ - ١٠١]. وروى سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: من أولياء الله؟ فقال: (الذين يذكر الله برؤيتهم). وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى). قيل: يا رسول الله، خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم. قال: (هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطون بها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس- ثم قرأ- " ألا إن أولیاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". وقال

---

(١). راجع ج ١٣ ص ١٦٠ فما بعد.

(٢). راجع ج ٣ ص ١٦٨.

(٣). راجع ج ١ ص ٤٠٩.

(٤). راجع ج ٦ ص ٢٠ فما بعد.

(٥). راجع ج ٧ ص ١ فما بعد.

(٦). راجع ج ١١ ص ٣٤٥. [.....]." [١]

"النص. وقيل: معنى" زوجين" نوعان، كالحلو والحامض، والرطب واليابس، والأبيض والأسود، والصغير والكبير. (إن في ذلك لآيات) أي دلالات وعلامات (لقوم يتفكرون)

[سورة الرعد (١٣): آية ٤]

وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤)

فيه خمس مسائل: الأولى- قوله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات) في الكلام حذف، المعنى: وفي الأرض قطع متجاورات وغير متجاورات، كما قال:" سرابيل تقيكم الحر" «١» والمعنى: وتقيكم البرد، ثم حذف لعلم السامع. والمتجاورات المدن وما كان عامرا، وغير متجاورات الصحاري وما كان غير عامر. الثانية- قوله تعالى:" متجاورات" أي قرى متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والتمر، فيكون البعض حلوا، والبعض حامضا، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والمطعم، وإن انبسط الشمس والقمر على الجميع **على نسق واحد**، وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته، والإرشاد لمن ضل عن معرفته، فإنه نبه سبحانه بقوله:" يسقى بماء واحد" على أن ذلك كله ليس إلا بمشيئته وإرادته، وأنه مقدور بقدرته، وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع، إذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف. وقيل: وجه الاحتجاج أنه أثبت التفاوت بين البقاع، فمن تربة عذبة، ومن تربة سبخة مع تجاورهما، وهذا أيضا من دلالات كمال قدرته، جل وعز تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

---

(١). راجع ج ١٠ ص ١٥٩ فما بعد.." [٢]

"ابن عرفة: قال بعضهم ولا تفرقوا تأسيس؛ لأن الأمر لا يقتضي التكرار ولا الدوام، فيصدق بفعله وفناها والنهي يقتضي الانتهاء دائما، وإن قلت: إن الوقت يقتضي التكرار فيكون فيه دليل على أن الأمر

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٨/٣٥٧

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٩/٢٨١

بالشيء ليس نهيا عن ضده.

وقال ابن عرفة: وهذا في الأحكام الاعتقادية.

ابن عرفة: وفيه ترجيح لقول الغبريني القائل بأن كل مجتهد في العقليات مصيب.

ابن عرفة: وإن قلنا: إنها في الأحكام الشرعية فيكون فيها دليل على ترجيح الاتفاق على الاختلاف، وأنه مهما أمكن رد أقوال العلماء إلى **الآية نسق كان** الأولى.

قوله تعالى: (واذكروا نعمت الله عليكم).

قال ابن عرفة: هذا كما يقال: يصدق تبين الأشياء، وذلك أن من أكل طعاما فأمرضه، ثم صح فانتهى من ذلك الطعام، واستحضر ما ناله من الألم، وعلم أنه إن أكله يعود له مرضه، فإنه يجتنبه ويترك شهوته، وكذلك هؤلاء الأوس والخزرج كان بينهم في زمن كفرهم تباغض وقال: بغي ف أ نعم الله عليهم بالإسلام الرافع لذلك المثبت للمحبة وزوال البغض وتألفوا الكلمة فإذا استحضروا هذا ذكروه علموا أنه ضد الإسلام، وهو الكفر موجب لضد ذلك، وهو الشأن والبغضاء، فيكون ذلك سببا في ثبوتهم على دينهم وعدم تفرقهم.

ابن عرفة: (واذكروا) هو العامل في إذ عمل الفعل في المفعول، فيكون إذ بدلا من نعمة لأن اذكروا إنما يتعدى إلى مفعول، وقد أخذه.

قيل لابن عرفة: نقل بعضهم عن الشلوبين، أن إذ يكون تعليلا، وهو هنا مناسب فعلها للتعليل فقال: العلة غير المعلول، والنعمة هنا هي نفس التآلف بينهم، وذهاب العداوة.

قوله تعالى: (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها).

قال ابن عطية: إما عائد على (شفا) أو على (حفرة) أو على (النار).

ابن عرفة: والمعنى يرجح عوده على (شفا)؛ لأن الإنقاذ من الشيء يقتضي تقدم حصول فيه، وهم لم يحصلوا قط في النار، ولا في حفرها، ولكن في شفا الحفرة.

ابن عرفة: والآية تضمنت تذكيرهم في الامتنان عليهم بأمرين ضروري ونظري، فالضروري (إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) لأنه أمر واقع." (١)

"والعارض فيها من قبل التأويل تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج ثم المعتزلة ثم الأشعرية ثم الصوفية ثم جاء أبو حامد فطم الوادي على القرى، هذا كلامه بلفظه.

ولو ذهبنا نستوعب ما جناه التأويل على الدنيا والدين وما نال الأمم قديما وحديثا بسببه من الفساد لاستدعى

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٣٩١/١

ذلك عدة أسفار والله المستعان.

(وما يعلم تأويله إلا الله) التأويل يكون بمعنى التفسير كقولهم تأويل هذه الكلمة على كذا أي تفسيرها ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه، واشتقاقه من آل الأمر إلا كذا يؤول إليه أي صار وأولته تأويلا أي صيرته، وهذه الجملة حالية أي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله، والحال أنه ما يعلم تأويله إلا الله.

وقد اختلف أهل العلم في قوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) هل هو كلام مقطوع عما قبله أو معطوف على ما قبله فتكون الواو للجمع، فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع عما قبله وأن الكلام تم عند قوله: (إلا الله) وهذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وأبي الشعثاء وأبي نهيك وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيد وحكاه ابن جرير الطبري عن مالك، واختاره، وحكاه الخطابي عن ابن مسعود وأبي بن كعب.

قال: وإنما روي عن مجاهد **أنه نسق الراسخين** على ما قبله وزعم أنهم يعملونه، قال واحتج له بعض أهل اللغة فقال معناه والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا به، وزعم أن موضع يقولون نصب على الحال، وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معا، ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل، فإذا لم يظهر فعل لم يكن حالا، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال عبد الله راكبا يعني أقبل عبد الله راكبا، وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله عبد الله يتكلم يصلح بين الناس فكان يصلح حالا، فقول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده.." (١)

"لك واحتشاما منك بسبب ما كان من توليهم، وإذا كان الأمر كما ذكر (فاعف عنهم) فيما يتعلق بك من الحقوق (واستغفر لهم) الله سبحانه فيما هو إلى الله سبحانه.

(وشاورهم في الأمر) الذي يرد عليك أي أمر كان مما يشاور في مثله أو في أمر الحرب خاصة كما يفيده السياق لما في ذلك من تطييب خواطرهم، واستجلاب مودتهم، ولتعريف الأمة بمشروعية ذلك حتى لا يأنف منهم أحد بعدك.

قال السمين: جاء على **أحسن النسق وذلك** أنه أمر أولا بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه، فإذا انتهوا إلى هذا المقام أمر أن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله لتنزاح عنهم التبعات، فلما صاروا إلى هنا أمر بأن يشاورهم في الأمر إذ صاروا خالصين من التبعتين متصفين منهما انتهى.

والمراد هنا المشاورة في غير الأمور التي يرد الشرع بها، قال أهل اللغة الاستشارة مأخوذة من قول العرب

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢/١٨٤

شرت الدابة وشورتها إذا علمت خيرها، وقيل من قولهم شرت العسل إذا أخذته من موضعه.
قال ابن خواز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وفيما أشكل عليهم من أمور الدنيا ومشاورة وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب والعمال والوزراء فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها.
وحكى القرطبي عن ابن عطية أنه لا خلاف في وجوب عزل من لا يستشير أهل العلم والدين.
وأخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند حسن عن ابن عباس قال لما نزلت (وشاورهم في الأمر) قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أما إن الله." (١)
"العارف والعلوم، وقيل إنه الكلام الذي يجيء به الأرواح، والقدس الطهر، وإضافته إليه لكونه سببه.
وجملة (تكلم الناس) مبينة لمعنى التأييد أي تكلمهم (في المهد) حال كونك صبيا (وكهلا) لا يتفاوت كلامك في الحالين بل يكون **على نسق واحد** بديع صادر عن كمال العقل والتدبير مع أن غيرك يتفاوت كلامه فيهما تفاوتا بينا، وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لأحد قبله.
قال ابن عباس: أرسل الله عيسى وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه إليه ثم ينزله إلى الأرض وهو في سن الكهولة.
أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إذا كان يوم القيامة يدعى بالأنبياء وأممها ثم يدعى بعيسى فيذكره نعمته عليه فيقر بها فيقول يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك الآية ثم يقول أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالنصارى فيسئلون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك فيطول شعر عيسى حتى يأخذ كل ملك من الملائكة بشعرة من شعر رأسه وجسده فيجاثيهم بين يدي الله مقدار ألف عام حتى يوقع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطلق بهم إلى النار ".
(وإذ علمتك الكتاب) أي اذكر نعمتي عليك وقت تعليمي لك الكتاب أي جنس الكتاب أو المراد بالكتاب الخط (والحكمة) أي الفهم والإطلال على أسرار العلوم، وقيل جنس الحكمة وقيل هي الكلام المحكم (والتوراة والإنجيل) فعلى الأول يكون هذا من عطف الخاص على العام وتخصيصهما بالذكر لمزيد اختصاصه بهما أما التوراة فقد كان يحتج بها على اليهود في غالب ما يدور بينه وبينهم من الجدال كما هو مصرح

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦٤/٢

بذلك في الإنجيل، وأما الإنجيل فلكونه نازلا عليه من عند الله سبحانه.

(وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) أي تصور تصويرا مثل صورة الطير." (١)

"وعن كعب الأحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية فيها قوله: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) وفي لفظ هو آخر سورة هود، وقال ابن عباس: افتتح الله الخلق بالحمد وختمه به فقال وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

(وجعل الظلمات والنور) ذكر سبحانه خلق الجواهر بقوله خلق السموات والأرض ثم ذكر الأعراض بقوله هذا لأن الجواهر لا تستغني عن الأعراض، واختلف أهل العلم في المعنى المراد بالظلمات والنور فقال جمهور المفسرين: المراد بالظلمات سواد الليل، وبالنور ضوء النهار وبه قال السدي، وقال الحسن: الكفر والإيمان، قال ابن عطية: وهذا خروج عن الظاهر انتهى.

وقيل المراد بهما الجهل والعلم، وقيل الجنة والنار والأولى أن يقال إن الظلمات تشمل كل ما يطلق عليه اسم الظلمة، والنور يشمل كل ما يطلق عليه اسم النور، فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الإيمان (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات).

وأفرد النور لأنه جنس يشمل جميع أنواعه، وجمع الظلمات لكثرة أسبابها وتعدد أنواعها نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منهما صاحبه، والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات.

قال النحاس: (جعل) ههنا بمعنى خلق، وإذا كانت بمعنى خلق لم تتعد إلا إلى مفعول واحد، وقال القرطبي: جعل هنا بمعنى خلق، لا يجوز غيره، قال ابن عطية: وعليه يتفق اللفظ والمعنى **في النسق فيكون** الجمع معطوفا على الجمع والمفرد معطوفا على المفرد، وتقديم الظلمات على النور لأنها الأصل، ولهذا كان النهار مسلوخا عن الليل.." (٢)

"(وإسمعيل) هو ابن إبراهيم، وإنما أخر ذكره إلى هنا لأنه ذكر إسحق وذكر أولاده من بعده **على نسق واحد**.

(واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز وقد توهم قوم أن اليسع هو إلياس وهو وهم فإن الله أفرد كل واحد منهما، وقال وهب اليسع صاحب إلياس وكانا قبل يحيى وعيسى وزكريا وقيل اليسع هو الخضر (ويونس)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خ ان ٨٣/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩٨/٤

هو ابن متى (ولوطا) هو ابن هاران أخي إبراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) أي وكل واحد فضلناه بالنبوة على عالمي زمانه، والجملة معترضة.

ويستدل بهذه الآية من يقول: إن الأنبياء أفضل من الملائكة لأن العالم اسم لكل موجود سوى الله فيدخل فيه الملك، وقد ذكر سبحانه هنا ثمانية عشر نبيا من غير ترتيب لا بحسب الفضل ولا بحسب الزمان لأن الواو لا تقتضي الترتيب.." (١)

"(حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أي إلى غاية هي هذه، والمراد بالرسل هنا ملك الموت وأعوانه أو الملائكة والموكلون بإدخالهم النار، ففي المقام قولان ذكرهما الخازن وقيل حتى هنا هي التي للابتداء ولكن لا يخفى أن كونها لابتداء الكلام بعدها لا ينافي كونها غاية لما قبلها.

والاستفهام في قوله (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله) للتقريع والتوبيخ لا سؤال استعلام أي أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها ليدفعوا عنكم ما نزل بكم؟ وقيل: إن هذا يكون في الآخرة.

(قالوا) استئنافية بتقدير سؤال وقعت هي جوابا عنه كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (ضلوا عنا) أي ذهبوا عنا وغابوا فلا ندري أين هم.

قال الكرخي: وهو جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ. وذلك أن السؤال إنما وقع عن المكان، ولو جاء الجواب **على نسق السؤال** لقيل هم في المكان الفلاني، وإنما المعنى ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونه فأجابوا بأنهم ضلوا عنا وغابوا فلم نرهم مع شدة احتياجنا إليهم في هذا الوقت فلم ينفعونا وقت الاحتياج إليهم (وشهدوا على أنفسهم) عند الموت (أنهم كانوا كافرين) أي أقروا على أنفسهم بالكفر.." (٢)

"(وقال الملأ من قوم فرعون أتذر) الاستفهام منهم للإنكار عليه أي أتترك (موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) أي في مصر بإيقاع الفرقة وتشتيت الشمل (ويذرك) بياء الغيبة ونصب الراء هذه قراءة العامة، وفيها وجهان أظهرهما أنه على العطف على ليفسدوا، والثاني أنه منصوب على جواب الاستفهام كما ينصب في جوابه بعد الفاء.

والمعنى كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين، وبين تركهم إياك وعادة آلهتك، أي لا يمكن وقع ذلك وقرئ برفع الراء وفيها ثلاثة أوجه أظهرها **أنه نسق على** أتذر أي اتطلق له ذلك، والثاني أنه استئناف أخبار ذلك، الثالث أنه حال ولا بد من إضمار مبتدأ أي وهو يذرك، وقرئ بالجزم إما على

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/١٨٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٣٥٤

التخفيف بالسكون لنقل الضمة أو على ما قيل في (وأكن من الصالحين) في توجيه الجزم، وقرئ بالنون والرفع والمعنى أنهم أخبروا عن أنفسهم بأنهم سيذرونك.

(وآلهتك) اختلف المفسرون في معناها لكون فرعون كان يدعي الربوبية كما في قوله (ما علمت لكم من إله غيري) وقوله (أنا ربكم الأعلى) فقيل ومعنى آلهتك طاعتك وقيل معناه عبادتك، ويؤيده قراءة علي وابن عباس والضحاك:." (١)

"وقال ابن عباس: استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل أنها منسوقة على ما ينفق أي ويتخذ ما ينفق وصلوات الرسول قربة، وجوزه ابن عطية ولم يذكر أبو البقاء غيره، وظاهر كلام الزمخشري **أنها نسق على** قربات كما تقدم.

ثم إنه سبحانه بين بأن ما ينفقه هذا النوع من الأعراب تقربا إلى الله مقبول واقع على الوجه الذي أرادوه فقال: (ألا إنها قربة لهم) أخبر سبحانه بقبولها خبرا مؤكدا باسمية الجملة وحرفي التنبيه والتحقيق؛ وفي هذا من التطييب لخواطرهم والطمأنينة لقلوبهم ما لا يقادر قدره مع ما يتضمنه من النعي على من يتخذ ما ينفق مغرما والتوبيخ له بأبلغ وجه، والضمير في (إنها) راجع إلى ما في ما ينفق وتأنيثه باعتبار الخبر وقيل راجع إلى صلوات الرسول صلى الله عليه وسلم والأول أولى. ثم فسر سبحانه القربة بقوله: (سيدخلهم الله في رحمته) السين لتحقيق الوعد. وهذه النعمة هي أقصى مرادهم (إن الله غفور) لأهل طاعته (رحيم) بعباده." (٢)

"والحق ما عليه أهل الشرائع وأن نوحا عليه السلام لما أنجاه الله ومن معه بالسفينة نزل بهم وهم ثمانون رجلا سوى أولاده فماتوا بعد ذلك ولم يعقبوا، وصار العقب من نوح في أولاده الثلاثة، ويؤيد هذا قول الله تعالى عن نوح. (وجعلنا ذريته هم الباقين) انتهى.

وقد أطبق علماء البلاغة على أن هذه الآية الشريفة بالغه من الفصاحة والبلاغة إلى محل يتقاصر عن الوصف وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة الثابتين الأقدام في علم البيان، الراسخين في اللغة المطلعين على ما هو مدون من خطب مصاقع خطباء العرب وأشعار بواقع شعرائهم المرتاضين بدقائق علوم العربية وأسرارها.

قال الصاوي وسليمان الجمل: قال بعضهم: هذه الآية أبلغ آية في القرآن باحتوائها على أحد وعشرين نوعا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/٤٣٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٣٨١

من أنواع البديع، والحال أن كلماتها تسعة عشر انتهى.

قلت: وقد تعرض لبيان ما اشتملت عليه من ذلك جماعة فأطالوا وأطابوا رحمنا الله وإياهم برحمته الواسعة منهم أبو حيان محمد بن يوسف الإمام الأندلسي في تفسيره المسمى بالنهر الماد من المحيط ذكر فيه أحدا وعشرين نوعا من البديع وكذا السيد محمد بن أسماعيل بن صلاح الأمير في رسالته المسماة بالنهر المورود، في تفسير آية هود، وهو المناسبة والمطابقة، والمجاز، والاستعارة، والإشارة والتمثيل، والأرداف، والتعليل، وصحة التقسيم، والاحتراس، والإيضاح، والمساواة، وحسن النسق، والإيجاز، والتسهيم والتهذيب، وحسن البيان، والتمكين، والتجنيس، والمقابلة، والذم، والوصف.

وبسط في بيان هذه الأنواع أتم بسط وقال هذا كله نظرا في الآية من." (١)

"(فيضل الله من يشاء) إضلاله فيه التفات عن التكلم إلى الغيبة (ويهدي من يشاء) هدايته، والجملة مستأنفة.

قال الفراء: إذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فإن لم **يكن النسق مشاكلا** للأول فالرفع على الاستئناف هو الوجه، يعني لا يجوز نصبه عطفا على ما قبله لأن المعطوف كالمعطوف عليه في المعنى، والرسل أرسلت للبيان لا للضلال.

وقال الزجاج: ولو قرئ بنصبه على أن اللام لام العاقبة جاز، والمعنى على الأول وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم تلك الشرائع باللغة التي ألفوها وفهموها، ومع ذلك فإن المضل والهادي هو الله عز وجل، والبيان لا يوجب حصول الهداية إلا إذا جعله الله سبحانه واسطة وسببا، وتقديم الإضلال على الهداية لأنه متقدم عليها إذ هو إبقاء على الأصل، والهداية إنشاء ما لم يكن.

(وهو العزيز) الذي لا يغالبه مغالب في ملكه (الحكيم) الذي تجري أفعاله على مقتضى الحكمة في صنعه.." (٢)

"(وجعلنا الليل والنهار آيتين) وذلك لما فيهما من الإظلام والإنارة مع تعاقبهما وسائر ما اشتملا عليه من العجائب التي تحار في وصفها الأحلام، ومعنى كونهما آيتين أنهما يدلان على وجود الصانع وقدرته وعلى إنفاذ الحكمم بتعاقبهما **على نسق واحد** مع إمكان غيره؛ وقدم الليل على النهار لكونه الأصل، وثنى

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٠/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨٣/٧

الآية هاهنا وأفردها في قوله (وجعلناها وابنها آية) لتباين الليل والنهار من كل وجه ولتكررهما؛ فناسب هنا التثنية بخلاف عيسى مع أمه فإنه جزء منها ولا تكرر فيهما فناسب فيهما الإفراد، قاله الكرخي.." (١)

"(نحن نقص عليك نبأهم) هذا شروع في تفضيل ما أجمل في قوله إذ أوى الفتية، والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر أي نحن نخبرك بخبرهم (بالحق) أي نقص قصصا متلبسا بالحق أو نقصه متلبسين به أو نقص نبأهم متلبسا به أو نبأهم المتلبس به (إنهم فتية) أي أحداث وشبان وكان أحدهم وزير الملك دقيانوس وكانوا من أشراف تلك المدينة ومن عظماء أهلها والجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال اقتضاه ما قبلها فكأنه قيل وما نبؤهم؟ والفتية جمع قلة.

(آمنوا بربهم) فيه التفات من التكلم إلى الغيبة إذ لو جاء **على نسق الكلام** لقيل آمنوا بنا (وزدناهم هدى) بالتثبيت والتوفيق وفيه التفات من." (٢)

"(ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قرأ الجمهور يؤذن على البناء للمفعول، وقرأ زيد بن علي لا يأذن على البناء للفاعل أي لا يأذن الله لهم أي لا يكون لهم إذن من الله فيكون لهم اعتذار من غير أن يجعل الإعتذار مسببا عن الأذن كما لو نصب، قال الفراء الفاء في (**فيعتذرون) نسق على** يؤذن وأجيز ذلك لأن أواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات، وقد قال (لا يقضى عليهم فيموتوا) بالنصب والكل صواب." (٣)

"" صفحة رقم ٧٨ "

لا يتناولها لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر

وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر

ومحل

) هدى للمتقين (

الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع

) لا ريب فيه (لذلك أو مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٦١/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨/٨

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١/١٥

ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة أو الظرف

والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا

وان يقال إن قوله

) الم (

جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها

و

) ذلك الكتاب (جملة ثانية

و

) لا ريب فيه (ثالثة

و

) هدى للمتقين (رابعة

وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير **حرف نسق** **وذلك** لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض

فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة

بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة

وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا

ثم اخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة

ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه

وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة

وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف

وفي الرابعة الحذف

ووضع المصدر الذي هو

) هدى (

موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين

زادنا الله إطلاعا على أسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه." (١)

"هذا من محاجة أهل الكتاب. ولعل هذا هو الذي عناه عياض بقوله في الشفاء ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم القصة منه إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قضى عمره في تعليم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه كخبر موسى مع الخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان الخ كلامه، وإن كان هو قد ساقه في غير مساقنا بل جاء به دليلا على الإعجاز من حيث علمه به صلى الله عليه وسلم مع ثبوت الأمية، ومن حيث محاجته إياهم بذلك. فأما إذا أردنا عد هذا الوجه في نسق وجوه الإعجاز فذلك فيما نرى من جهة أن العرب لم يكن أدبهم مشتملا على التاريخ إلا بإرشادات نادرة، كقولهم درع عادية، ورمح يزنية، وقول شاعرهم

أحلام عاد وأجسام مطهرة

وقول آخر

تراه يطوف الآفاق حرصا ... ليأكل رأس لقمان بن عاد

ولكنهم لا يأبهون بذكر قصص الأمم التي هي مواضع العبرة، فجاء القرآن بالكثير من ذلك تفصيلا كقوله ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ [الاحقاف: ٢١] وكقوله ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ [فصلت: ١٣] ولهذا يقل في القرآن التعرض إلى تفاصيل أخبار العرب لأن ذلك أمر مقرر عندهم معلوم لديهم، وإنما ذكر قليل منه على وجه الإجمال على معنى العبرة والموعظة بخبر عاد وثمود وقوم تبع، كما أشرنا إليه في المقدمة السابعة في قصص القرآن.

وأما النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فينبلج للناس شيئا فشيئا انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلوم، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله لأنه جاء به أمي في موضع لم يعالج أهله

---

(١) تفسير الكشاف ، ١/٧٨

دقائق العلوم، والجائي به ثاو بينهم لم يفارقهم. وقد أشار القرآن إلى هذه الجهة من الإعجاز بقوله تعالى في سورة القصص ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ [القصص: ٥٠] ثم إنه ما كان قصاراه مشاركة أهل العلوم في علومهم الحاضرة، حتى ارتقى إلى ما لم يألفوه وتجاوز ما درسوه وألفوه.." (١)

"تسامح صاحب الكشاف في عده مذاهب القراء في نسق مذاهب الفقهاء. وإنما اختلف المجتهدون لأجل الأدلة التي تقدم بيانها، وأما الموافقة بينهم وبين قراء أمصارهم غالبا في هاته المسألة فسببه شيوع القول بين أهل ذلك العصر بما قال به فقهاؤه في المسائل، أو شيوع الأدلة التي تلقاها المجتهدون من مشايخهم بين أهل ذلك العصر ولو من قبل ظهور المجتهد مثل سبق نافع بن أبي نعيم إلى عدم ذكر البسملة قبل أن يقول مالك بعدم جزئيتها؛ لأن مالكا تلقى أدلة نفي الجزئية عن علماء المدينة وعنهم أو عن شيوخهم تلقى نافع بن أبي نعيم. وإذ قد كنا قد تقلدنا مذهب مالك واطمأننا لمداركه في انتفاء كون البسملة آية من أول سورة البقرة كان حقا علينا أن لا نتعرض لتفسيرها هنا وأن نرجئه إلى الكلام على قوله تعالى في سورة النمل [٣٠] ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ غير أننا لما وجدنا من سلفنا من المفسرين كلهم لم يهملوا الكلام على البسملة في هذا الموضع اقتفينا أثرهم إذ صار ذلك مصطلح المفسرين.

واعلم أن متعلق المجرور في ﴿بسم الله﴾ محذوف تقديره هنا أقرأ، وسبب حذف متعلق المجرور أن البسملة سنت عند ابتداء الأعمال الصالحة فحذف متعلق المجرور فيها حذفا ملتزما إيجازا اعتمادا على القرينة، وقد حكى القرآن قول سحرة فرعون عند شروعهم في السحر بقوله ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون﴾ [الشعراء: ٤٤] وذكر صاحب الكشاف أن أهل الجاهلية كانوا يقولون في ابتداء أعمالهم باسم اللات باسم العزى فالمجرور ظرف لغو معمول للفعل المحذوف ومتعلق به وليس ظرفا مستقرا مثل الظروف التي تقع أخبارا، ودليل المتعلق ينبئ عنه العمل الذي شرع فيه فتعين أن يكون فعلا خاصا من النوع الدال على معنى العمل المشروع فيه دون المتعلق العام مثل: أبتدئ، لأن القرينة الدالة على المتعلق هي الفعل المشروع فيه المبدوء بالبسملة، فتعين أن يكون المقدر اللفظ الدال على ذلك الفعل، ولا يجري١ في هذا الخلاف الواقع بين النحاة في كون متعلق الظروف هل يقدر اسما نحو كائن أو مستقر أم فعلا نحو كان أو استقر لأن ذلك الخلاف في الظروف الواقعة أخبارا أو أحوالا بناء على تعارض مقتضى تقدير

---

(١) التحرير والتنوير، ١/١٢٤

الاسم وهو كونه الأصل في الأخبار والحالية، ومقتضى تقدير الفعل وهو كونه الأصل في العمل لأن ما هنا ظرف لغو، والأصل فيه أن يعدي الأفعال ويتعلق بها، ولأن مقصد المبتدئ بالبسملة أن يكون جميع عمله ذلك مقارنا لبركة اسم الله تعالى فلذلك ناسب أن يقدر

_

١ هذا رد على ابن عطية وبعض المفسرين إذ فرضوا خلاف النجاة معتبرا هنا.." (١)

"إيمانهم لأن الذين فعلوا هذا إما أن يكونوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو بني عمهم فالغالب أن يكون خلقهم واحدا وطباعهم متقاربة كما قال نوح عليه السلام: ﴿ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ وللعرب والحكماء في هذا المعنى أقوال كثيرة مرجعها إلى أن الطباع تورث، ولذلك كانوا يصفون القبيلة بصفات جمهورها أو أراد بالفريق علماءهم وأحبارهم، فالمراد لا طمع لكم في إيمان قوم هذه صفات خاصتهم وعلمائهم فكيف ظنكم بصفات دهمائهم لأن الخاصة في كل أمة هم مظهر محامدها وكمالاتها فإذا بلغت الخاصة في الانحطاط مبلغا شنيعا فاعلم أن العامة أفظع وأشنع وأراد بالعامة الموجودين منهم زمن القرآن لأنهم وإن كان فيهم علماء إلا أنهم كالعامة في سوء النظر ووهن الوازع.

[٧٦,٧٧] ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يءلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾

الأظهر أن الضمير في ﴿لقوا﴾ عائد على بني إسرائيل **على نسق الضمائر** السابقة في قوله: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا﴾ [البقرة: ٧٥] وما بعده، وأن الضمير المرفوع بقالوا عائد عليهم باعتبار فريق منهم وهم الذين أظهروا الإيمان نفاقا أو تفاديا من مر المقارعة والمحاجة بقرينة قوله: ﴿ آمنا ﴾ وذلك كثير في ضمائر الأمم والقبائل ونحوها نحو قوله تعالى ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ [البقرة: ٢٣٢]لأن ضمير ﴿طلقتم﴾ للمطلقين وضمير تعضلوا للأولياء لأن الجميع راجع إلى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين من المسلمين لاشتمالهم على الصنفين، ومنه أن تقول لئن نزلت ببني فلان ليكرمنك وإنما يكرمك سادتهم وكرماؤهم ويكون الضمير في قوله ﴿بعضهم﴾ عائد إلى الجميع أي بعض الجميع إلى بعض آخر ومعلوم أن القائل من لم ينافق لمن نافق، ثم تلتئم الضمائر بعد ذلك في ﴿يعلمون﴾ و ﴿يسرون﴾ و ﴿يعلنون﴾ بلا كلفة وإلى هذه الطريقة ذهب صاحب الكشاف ويرجحها عندي أن فيها الاقتصار على تأويل ما به الحاجة والتأويل عند وجود دليله بجنبه وهو ﴿آمنا﴾ .

---

(١) التحرير والتنوير، ١/١٤٤

وجملة ﴿وإذا لقوا﴾ معطوفة على جملة ﴿وقد كان فريق منهم﴾ [البقرة: ٧٥] على أنها حال مثلها من أحوال اليهود وقد قصد منها تقييد النهي أو التعجيب من الطمع في إيمانهم فهو معطوف على الحال بتأويل وقد كان فريق منهم آخر إذا لقوا.

وقوله: ﴿وإذا خلا بعضهم﴾ معطوف على ﴿وإذا لقوا﴾ وهو المقصود من الحالية أي." (١)

"تفنن الخطاب هنا فجاء على نسق ما قبل الآية السابقة إذ عبر عنها عن جميع بني إسرائيل بضمير الخطاب على طريق التغليب لأن المخاطبين حين نزول القرآن١ هم المقصودون من هذه الموعظة أو على طريق تنزيل الخلف منزلة السلف، كما تقدم لأن الداعي للإظهار عند الانتقال من الاستطراد إلى بقية المقصود في الآية السابقة قد أخذ ما يقتضيه فعاد أسلوب الخطاب إلى ما كان عليه.

والقول في ﴿لا تسفكون﴾ كالقول في ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ [البقرة: ٨٣] والسفك الصب وإضافة الدماء إلى ضمير فاعل ﴿تسفكون﴾ اقتضت أن مفعول ﴿تسفكون﴾ هو دماء السافكين وليس المراد النهي عن أن يسفك الإنسان دم نفسه أو يخرج نفسه من داره لأن مثل هذا مما يزع المرء عنه وازعه الطبيعي فليس من شأن الشريعة الاهتمام بالنهي عنه. وإنما المراد أن لا يسفك أحد دم غيره ولا يخرج غيره من داره على حد قوله تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم﴾ [النور: ٦١] أي فليسلم بعضكم على بعض.

فوجه إضافة الدماء إلى ضمير السافكين أن هذه الأحكام المتعلقة بالأمة أو القبيلة يكون مدلول الضمائر فيها مجموع الناس، فإذا تعلقت أحكام بتلك الضمائر من إسناد أو مفعولية أو إضافة أرجع كل إلى ما يناسبه على طريقة التوزيع وهذا كثير في استعمال القرآن ونكتته الإشارة إلى أن المغايرة في حقوق أفراد الأمة مغايرة صورية وأنها راجعة إلى شيء واحد وهو المصلحة الجامعة أو المفسدة الجامعة، ومثله قوله تعالى: ﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ ومن هذا القبيل قول الحماسي الحارث بن وعلة الذهلي:

قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي

يريد أن سهمه إذا أصاب قومه فقد أضر بنفسه وإلى هذا الوجه أشار ابن عطية وسماء اللف في القول. أي الإجمال المراد به التوزيع، وذهب صاحب الكشاف إلى أنه من تشبيه الغير بالنفس لشدة اتصال الغير بالنفس في الأصل أو الدين فإذا قتل المتصل به نسبا أو دينا فكأنما قتل نفسه وهو قريب من الأول ومبناه على المجاز في الضمير المضاف إليه في قوله: ﴿دماءكم﴾ و ﴿أنفسكم﴾.

---

(١) التحرير والتنوير، ١/٥٥١

–

١ في المطبوعات "القراءات".." (١)

"عين المراد من قوله: ﴿الذين يكتمون﴾ [البقرة:١٥٩] و ﴿الذين اشتروا﴾ [البقرة:١٧٥]، فالموصولات كلها على نسق واحد.

والمراد من الكتاب المجرور بفي يحتمل أنه المراد من الكتاب في قوله: ﴿نزل الكتاب﴾ فهو القرآن فيكون من الإظهار في مقام الإضمار ليناسب استقلال جملة التذييل بذاتها ويكون المراد باختلفوا على هذا الوجه أنهم اختلفوا مع الذين آمنوا منهم أو اختلفوا فيما يصفون به القرآن من تكذيب به كله أو تكذيب مالا يوافق هواهم وتصديق ما يؤيد كتبهم، ويحتمل أن المراد من الكتاب المجرور بفي هو المراد من المنصوب في قوله: ﴿ما أنزل الله من الكتاب﴾ [البقرة:١٧٤] يعني التوراة والإنجيل أي اختلفوا في الذي يقرونه والذي يغيرونه وفي الإيمان بالإنجيل والإيمان بالتوراة، ومن المحتمل أن يكون المراد بالذين اختلفوا في الكتاب ما يشمل المشركين وأن يكون الاختلاف هو اختلاف معاذيرهم عن القرآن إذ قالوا: سحر أو شعر أو كهانة أو أساطير الأولين. لكنه خروج عن سياق الكلام على أهل الكتاب، ومن المحتمل أيضا أن يكون المراد بالكتاب الجنس أي الذين اختلفوا في كتب الله فآمنوا ببعضها وكفروا بالقرآن.

وفائدة الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿الكتاب﴾ أن يكون التذييل مستقلا بنفسه لجريانه مجرى المثل، وللمفسرين وجوه كثيرة في قوله: ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب﴾ متفاوتة البعد.

ووصف الشقاق بالبعيد مجاز عقلي أي بعيد صاحبه عن الوفاق كقوله تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ [هود:١١٨].

[١٧٧] ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾

قدمنا عند قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة:١٥٣] أن قوله: ﴿ليس البر

(١) التحرير والتنوير، ١/٥٦٧

أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ متصل بقوله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ [البقرة:١٤٢] وأنه." (١)

"الآية، على أنها جاءت لتشريع حكم المراجعة في الطلاق ما دامت العدة، وعندي أن هذا ليس مجرد تشريع للمراجعة، بل الآية جامعة لأمرين: حكم المراجعة، وتحضيض المطلقين على مراجعة المطلقات، وذلك أن المتفارقين. لا بد أن يكون لأحدهما، أو لكليهما، رغبة في الرجوع، فالله الرجال بأنهم أولى بأن يرغبوا في مراجعة النساء، وأن يصفحوا عن الأسباب التي أوجبت الطلاق لأن الرجل هو مظنة البصيرة والاحتمال، والمرأة أهل الغضب والإباء.

والرد تقدم الكلام عليه عند قوله تعالى: ﴿حتى يردوكم عن دينكم﴾ [البقرة:٢١٧] والمراد به هنا الرجوع إلى المعاشرة، وهو المراجعة، وتسمية المراجعة ردا يرجح أن الطلاق قد اعتبر في الشرع قطعا لعصمة النكاح، فهو إطلاق حقيقي على قول مالك، وأما أبو حنيفة ومن وافقه فتأولوا التعبير بالرد: بأن العصمة في مدة العدة سائرة في سبيل الزوال عند انقضاء العدة، فسميت المراجعة ردا عن هذا السبيل الذي أخذت في سلوكه وهو رد مجازي.

وقوله: ﴿إن أرادوا إصلاحا﴾، شرط قصد به الحث على إرادة الإصلاح، وليس هو للتقييد.

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾

لا يجوز أن يكون ضمير ﴿لهن﴾ عائد إلى أقرب مذكور، وهو "المطلقات"، **على نسق الضمائر** قبله؛ لأن المطلقات لم تبق بينهن وبين الرجال علقة، حتى يكون لهن حقوق، وعليهن حقوق، فتعين أن يكون ضمير لهن ضمير الأزواج النساء اللائي اقتضاهن قوله: ﴿بردهن﴾ بقرينة مقابلته بقوله: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾. فالمراد بالرجال في قوله وللرجال الأزواج، كأنه قيل: ولرجالهن عليهن درجة.

والرجل إذا أضيف إلى المرأة، فقيل: رجل فلانة، كان بمعنى الزوج، كما يقال للزوجة: امرأة فلان، قال تعالى: ﴿وامرأته قائمة﴾ [هود:٧١] ﴿إلا امرأتك﴾ [هود:٨١].

ويجوز أن يعود الضمير إلى النساء في قوله: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ [البقرة:٢٢٦] بمناسبة أن الإيلاء من النساء هضم لحقوقهن، إذا لم يكن له سبب، فجاء هذا الحكم الكلي على ذلك السبب الخاص

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/١٢٦

لمناسبة؛ فإن الكلام تدرج من ذكر النساء اللائي في العصمة، حين ذكر طلاقهن بقوله: ﴿وإن عزموا الطلاق﴾ [البقرة:٢٢٧]، إلى ذكر المطلقات." (١)

"المقصود. ولكن قدم الذكر هنا لأنه هو المرجو المأمول فهو أسبق إلى لفظ المتكلم. وقد يجيء النفي على معنى كون المشبه المنفي أضعف من المشبه به كما قال الحريري في المقامة الرابعة غدوت قبل استقلال الركاب، ولا اغتداء الغراب وقال في الحادية عشرة وضحكتم وقت الدفن، ولا ضحككم ساعة الزفن وفي الرابعة عشرة وقمت لله ولا كعمرو بن عبيد فجاء بها كلها **على نسق ما** في هذه الآية.

وقوله: ﴿وإني سميتها مريم﴾ الظاهر أنها أرادت تسميتها باسم أفضل نبيه في بني إسرائيل وهي مريم أخت موسى وهارون، وخولها ذلك أن أباها سمي أبي مريم أخت موسى.

وتكرر التأكيد في ﴿وإني سميتها﴾ ﴿وإني أعيذها بك﴾ للتأكيد: لأن حال كراهيتها يؤذن بأنها ستعرض عنها فلا تشتغل بها، وكأنها أكدت هذا الخبر إظهارا للرضا بما قدر الله تعالى، ولذلك انتقلت إلى الدعاء لها الدال على الرضا والمحبة، وأكدت جملة أعيذها مع أنها مستعمرة في إنشاء الدعاء: لأن الخبر مستعمل في الإنشاء برمته التي كان عليها وقت الخبرية، كما قدمناه في قوله تعالى: ﴿إني وضعتها أنثى﴾ وكقول أبي بكر إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ [٣٧].

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا﴾ .

تفريع على الدعاء مؤذن بسرعة الإجابة، وضمائر النصب لمريم. ومعنى تقلبها: تقبل تحريرها لخدمة بيت المقدس، أي أقام الله مريم مقام منقطع لله تعالى، ولم يكن ذلك مشروعا من قبل.

وقوله: ﴿بقبول حسن﴾ الباء فيه للتأكيد، وأصل نظم الكلام: فتقبلها قبولا حسنا، فأدخلت الباء على المفعول المطلق ليصير كالآلة للتقبل فكأنه شيء ثان، وهذا إظهار للعناية بها في هذا القول، وقد عرف هذا القبول بوحي من الله إلى زكريا بذلك، وأمره بأن يكفلها زكريا أعظم أحبارهم، وأن يوحي إليه بإقامتها بعد ذلك لخدمة المسجد، ولم يكن ذلك للنساء قبلها، وكل هذا إرهاص بأنه سيكون منها رسول ناسخ لأحكام كثيرة من التوراة؛ لأن خدمة النساء للمسجد المقدس لم تكن مشروعة.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٢/٣٧٦

(٢) التحرير والتنوير، ٣/٨٧

"ابن محمد الطاطري، وهي ضعيفة.

وقوله ﴿وإن كنتم مرضى﴾ الخ ذكر حالة الرخصة في ترك الاغتسال وترك الوضوء الذي لم يذكر في هذه السورة، وذكر في سورة المائدة، وهي نازلة قبل هذه السورة. فالمقصود بيان حكم التيمم بحذافره، وفي جمع هذه الأشياء **في نسق حصل** هذا المقصود، وحصل أيضا تخصيص لعموم قوله ﴿ولا جنبا﴾ كما تقدم.

وقوله ﴿أو على سفر﴾ بيان للإجمال الواقع في قوله ﴿إلا عابري سبيل﴾ إن كان فيه إجمال، وإلا فهو استئناف حكم جديد كما تقدم.

وقوله ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ زيادة على حكم التيمم الواقع بدلا عن الغسل، بذكر التيمم الواقع بدلا عن الوضوء إيعابا لنوعي التيمم. وغير ذلك من أسبابه يؤخذ بالقياس على المذكور. فالمريض أريد به الذي اختل نظام صحته بحيث صار الاغتسال يضره أو يزيد علته. ﴿أو جاء ... من الغائط﴾ كناية عن قضاء الحاجة البشرية، شاع في كلامهم التكني بذلك لبشاعة الصريح.

والغائط: المنخفض من الأرض وما غاب عن البصر، يقال: غاط في الأرض إذا غاب يغوط، فهمزته منقلبة عن الواو، وكانت العرب يذهبون عند قضاء الحاجة إلى مكان منخفض من جهة الحي بعيد عن بيوت سكناهم، فيكنون عنه: يقولون ذهب إلى الغائط أو تغوط، فكانت كناية لطيفة ثم استعملها الناس بعد ذلك كثيرا حتى ساوت الحقيقة فسمجت، فصار الفقهاء يطلقونه على نفس الحدث ويعلقونه بأفعال تناسب ذلك.

وقوله ﴿أو لامستم النساء﴾ قرئ لامستم بصيغة المفاعلة، وقرئ لمستم بصيغة الفعل كما سيأتي، وهما بمعنى واحد على التحقيق. ومن حاول التفصيل لم يأت بما فيه تحصيل. وأصل اللمس المباشرة باليد أو بشيء من الجسد، وقد أطلق مجازا وكناية على الافتقاد، قال تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ [الجن:٨] وعلى النزول، قال النابغة:

ليلتمسن بالجيش دار المحارب

وعلى قربان النساء، لأنه مرادف المس، ومنه قولهم فلانه لا ترد يد لامس، ونظيره ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ [البقرة:٢٣٧]. والملامسة هنا يحتمل أن يكون المراد منها ظاهرها، وهو الملامسة بمباشرة اليد أو بعض الجسد جسد المرأة." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٤/١٣٨

"الذي في الآية مخصوص بالإجماع" .وإن لم يكن كذلك كالنزاع في الطلاق والمعاملات.

فمن العلماء من قال: "حكم هذا التخيير محكم غير منسوخ"، وقالوا: الآية نزلت في قصة الرجم التي رواها مالك في الموطأ والبخاري ومن بعده وذلك أن يهوديا زنى بامرأة يهودية، فقال جميعهم:"لنسأل محمدا عن ذلك".فتحاكموا إليه، فخيره الله تعالى.واختلف أصحاب هذا القول فقال فريق منهم:كان اليهود بالمدينة يومئذ أهل موادعة ولم يكونوا أهل ذمة، فالتخيير باق مع أمثالهم ممن ليس داخلا تحت ذمة الإسلام، بخلاف الذين دخلوا في ذمة الإسلام فهؤلاء إذا تحاكموا إلى المسلمين وجب الحكم بينهم.وهو قول ابن القاسم في رواية عيسى بن دينار، لأن اليهوديين كانا من أهل خيبر أو فدك وهما يومئذ من دار الحرب في موادعة.

وقال الجمهور:هذا التخيير عام في أهل الذمة أيضا.وهذا قول مالك ورواية عن الشافعي.قال مالك:"الأعراض أولى".وقيل:"لا يحكم بينهم في الحدود"، وهذا أحد قولي الشافعي.وقيل:"التخيير منسوخ بقوله تعالى بعد: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [المائدة:٤٩]، وهو قول أبي حنيفة، وقاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، وعمر بن عبد العزيز، والنخعي، وعطاء الخراساني.ويبعده أن سياق الآيات يقتضي أنها نزلت في نسق واحد فيبعد أن يكون آخرها نسخا لأولها.

وقوله: ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ أي بالعدل.والعدل:الحكم الموافق لشريعة الإسلام.وهذا يحتمل أن الله نهى رسوله عن أن يحكم بينهم بما في التوراة لأنها شريعة منسوخة بالإسلام.وهذا الذي رواه مالك.وعلى هذا فالقصة التي حكموا فيها رسول الله لم يحكم فيها الرسول على الزانيين ولكنه قصر حكمه على أن بين لليهود حقيقة شرعهم في التوراة، فاتضح بطلان ما كانوا يحكمون به لعدم موافقته شرعهم ولا شرع الإسلام؛ فهو حكم على اليهود بأنهم كتموا.ويكون ما وقع في حديث الموطأ والبخاري:أن الرجل والمرأة رجما، إنما هو بحكم أحبارهم.ويحتمل أن الله أمره أن يحكم بينهم بما في التوراة لأنه يوافق حكم الإسلام؛ فقد حكم فيه بالرجم قبل حدوث هذه الحادثة أو بعدها.ويحتمل أن الله رخص له أن يحكم بينهم بشرعهم حين حكموه.وبهذا قال بعض العلماء فيما حكاه القرطبي.وقائل هذا يقول:"هذا نسخ بقوله تعالى: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [المائدة:٤٩]، وهو قول جماعة من التابعين.ولا داعي إلى دعوى النسخ، ولعلهم أرادوا به ما يشمل البيان، كما سنذكره عند قوله: ﴿فاحكم." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ٥/١١٠

"عليه السلام ويجوز أن تكون كلمة "كل" مستعملة في الكثرة كما تقدم.

والباء للإلصاق، أو بمعنى "في" كشأنها إذا دخلت على أسماء المنازل. كقول امرئ القيس:

بسقط اللوى

البيت.

وجملة ﴿توعدون﴾ حال من ضمير ﴿ولا تقعدوا﴾ . والإيعاد: الوعد بالشر. والمقصود من الإيعاد الصد، فيكون عطف جملة ﴿وتصدون﴾ عطف علة على معلول، أو أريد توعدون المصممين على اتباع الإيمان، وتصدون الذين لم يصمموا: فهو عطف عام على خاص.

و ﴿من آمن﴾ يتنازعه كل من ﴿توعدون﴾ ﴿وتصدون﴾.

والتعبير بالماضي في قوله: ﴿من آمن﴾ عوضا عن المضارع، حيث المراد بمن آمن قاصد الإيمان، فالتعبير عنه بالماضي لتحقيق عزم القاصد على الإيمان فهو لولا أنهم يصدونه لكان قد آمن.

و ﴿سبيل الله﴾ الدين لأنه مثل الطريق الموصول إلى الله، أي إلى القرب من مرضاته.

ومعنى ﴿تبغونها عوجا﴾ تبغون لسبيل الله عوجا إذ كانوا يزعمون أن ما يدعوا إليه شعيب باطل، يقال: بغاة بمعنى طلب له، فأصله بغى له فحذفوا حرف الجر لكثرة الاستعمال أو التضمين بغى معنى أعطى.

والعوج بكسر العين عدم الاستقامة في المعاني، وبفتح العين: عدم استقامة الذات، والمعنى: تحاولون ان تصفوا دعوة شعيب المستقيمة بأنها باطل وضلال، كمن يحاول اعوجاج عود مستقيم. وتقدم نظير هذا في هذه السورة في ذكر نداء أصحاب الجنة أصحاب النار.

وإنما أخر النهي عن الصد عن سبيل الله، بعد جملة ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ ولم يجعله **في نسق الأوامر** والنواهي الماضية ثم يعقبه بقوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ لأنه رتب الكلام على الابتداء بالدعوة إلى التوحيد، ثم إلى الأعمال الصالحة لمناسبة أن الجميع فيه صلاح المخاطبين، فأعقبها ببيان أنها خير لهم إن كانوا مؤمنين فأعاد تنبيههم." (١)

"ملوك المدن الكبيرة فلا دلالة في الآية على نفي إرسال رسول من أهل البادية مثل خالد بن سنان العبسي، ويعقوب - عليه السلام - حين كان ساكنا في البدو كما تقدم.

وقرأ الجمهور ﴿يوحى﴾ بتحية وبفتح الحاء مبنيا للنائب. وقرأه حفص بنون على أنه مبني للفاعل والنون نون العظمة.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩١/٨

وتفريع قوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ على ما دلت عليه جملة ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا﴾ من الأسوة، أي فكذبهم أقوامهم من قبل قومك مثل ما كذبك قومك وكانت عاقبتهم العقاب، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف مان عاقبة الأقوام السابقين، أي فينظروا آثار آخر أحوالهم من الهلاك والعذاب فيعلم قومك أن عاقبتهم على قياس عاقبة الذين كذبوا الرسل قبلهم، فضمير ﴿يسيروا﴾ عائد على معلوم من المقام الدال عليه ﴿وما أنا من المشركين﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

والاستفهام إنكاري، فإن مجموع المتحدث عنهم ساروا في الأرض فرأوا عاقبة المكذبين مثل عاد وثمود.

وهذا التفريع اعتراض بالوعيد والتهديد.

و ﴿كيف ﴾ استفهام معلق لفعل النظر عن مفعوله.

وجملة ﴿ولدار الآخرة﴾ خبر، معطوفة على الاعتراض فلها حكمه، وهو اعتراض بالتبشير وحسن العاقبة للرسل عليهم السلام ومن آمن بهم وهم الذين اتقوا، وهو تعريض بسلامة عاقبة المتقين في الدنيا، وتعريض أيضا بأن دار الآخرة أشد أيضا على الذين من قبلهم من العاقبة التي كانت في الدنيا فحصل إيجاز بحذف جملتين.

وإضافة ﴿دار﴾ إلى ﴿آخرة﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة مثل "يا نساء المسلمات" في الحديث.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمر، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب ﴿أفلا تعقلون﴾ بتاء الخطاب على الالتفات، لأن المعاندين لما جرى ذكرهم وتكرر صاروا كالحاضرين فالتفت إليهم بالخطاب. وقرأه الباقون بياء الغيبة **على نسق ما** قبله.

و ﴿حتى﴾ من قوله: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ ابتدائية، وهي عاطفة جملة ﴿إذا استيأس الرسل﴾ على جملة ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم﴾ باعتبار أنها." (١)

"وسكان الغيضة الأصليون الذين نزل مدين بجوارهم، فإن إبراهيم - عليه السلام - أسكن ابنه مدين في شرق بلاد الخليل، ولا يكون إلا في أرض مأهولة. وهذا عندي هو مقتضى ذكر قوم شعيب - عليه السلام - باسم مدين مرات وباسم أصحاب الأيكة مرات. وسيأتي لذلك زيادة إيضاح في سورة الشعراء.

[٨٠-٨٤] ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾

جمعت قصص هؤلاء الأمم الثلاث: قوم لوط، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الحجر في نسق، لتماثل حال

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢٨/١٢

العذاب الذي سلط عليها وهو عذاب الصيحة والرجفة والصاعقة.
وأصحاب الحجر هم ثمود كانوا ينزلون الحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم -. والحجر: المكان المحجور، أي الممنوع من الناس بسبب اختصاص به، أو اشتق من الحجارة لأنهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل نحتا محكما. وقد جعلت طبقات وفي وسطها بئر عظيمة وبئار كثيرة.
والحجر هو المعروف بوادي القرى وهو بين المدينة والشام، وهو المعروف اليوم باسم مدائن صالح على الطريق من خيبر إلى تبوك.
وأما حجر اليمامة مدينة بني حنيفة فهي - بفتح الحاء - وهي في بلاد نجد وتسمى العروض وهي اليوم من بلاد البحرين.
وقد توهم بعض المستشرقين من الإفرنج أن البيوت المنحوتة في ذلك الجبل كانت قبورا، وتعلقوا بحجج وهمية. ومما يفند أقوالهم خلو تلك الكهوف عن أجساد آدمية. وإذا كانت تلك قبورا فأين كانت منازل الأحياء.
والظاهر أن ثمود لما أخذتهم الصيحة كانوا منتشرين في خارج البيوت لقوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾. وقد وجدت في مداخل تلك البيوت نقر صغيرة تدل على أنها مجعولة لوصد أبواب المداخل في الليل.
وتعريف ﴿المرسلين﴾ للجنس، فيصدق بالواحد، إذ المراد أنهم كذبوا صالحا -." (١)
"صحبة من يطرأ عليه النسيان، ولذلك بني كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان ولم يبن على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محقوقا بالمؤاخذة، فكان كلاما بديع النسيج في الاعتذار.
والمؤاخذة: مفاعلة من الأخذ، وهي هنا للمبالغة لأنها من جانب واحد كقوله تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم﴾ [النحل: ٦١].
و ﴿ما﴾ مصدرية، أي لا تؤاخذني بنسياني.
والإرهاق: تعدية رهق، إذا غشي ولحق، أي لا تغشني عسرا. وهو هنا مجاز في المعاملة بالشدة.
والإرهاق: مستعار للمعاملة والمقابلة.
والعسر: الشدة وضد اليسر. والمراد، هنا: عسر المعاملة، أي عدم التسامح معه فيما فعله فهو يسأله الإغضاء والصفح.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣/٥٨

والأمر: الشأن.

و ﴿من﴾ يجوز أن تكون ابتدائية، فكون المراد بأمره نسيانه، أي لا تجعل نسياني منشئا لإرهاقي عسرا. ويجوز أن تكون بيانية فيكون المراد بأمره شأنه معه، أي لا تجعل شأني إرهاقك إياي عسرا.

[٧٤] ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾

يدل تفريع قوله: ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما﴾ عن اعتذار موسى، على أن الخضر قبل عذره وانطلقا مصطحبين.

والقول في نظم قوله: ﴿حتى إذا لقيا غلاما﴾ كالقول في قوله: ﴿حتى إذا ركبا في السفينة﴾ [الكهف: ٧١].

وقوله ﴿فقتله﴾ تعقيب لفعل ﴿لقيا﴾ تأكيدا للمبادرة المفهومة من تقديم الظرف، فكانت المبادرة بقتل الغلام عند لقائه أسرع من المبادرة بخرق السفينة حين ركوبها.

وكلام موسى في إنكار ذلك جرى **على نسق كلامه** في إنكار خرق السفينة سوى أنه." (١)

"وصف هذا الفعل بأنه نكر، وهو بضمتين الذي تنكره العقول وتستقبحه. فهو أشد من الشيء الإمر، لأن هذا فساد حاصل والآخر ذريعة فساد كما تقدم. ووصف النفس بالزاكية لأنها نفس غلام لم يبلغ الحلم فلم يقترف ذنبا فكان زكيا طاهرا. والزكاء: الزيادة في الخير.

وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب ﴿زاكية﴾ بألف بعد الزاي اسم فاعل من زكا. وقرأ الباقون ﴿زكية﴾ . وهما بمعنى واحد.

قال ابن عطية: "النون من قوله: ﴿نكرا﴾ هي نصف القرآن. أي نصف حروفه. وقد تقدم أن ذلك مخالف لقول الجمهور: إن نصف القرآن هو حرف التاء من قوله تعالى: ﴿وليتلطف﴾ في هذه السورة".

[٧٥-٧٦] ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾

كان جواب الخضر هذا **على نسق جوابه** السابق إلا أنه زاد ما حكي في الآية بكلمة ﴿لك﴾ وهو تصريح بمتعلق فعل القول. وإذ كان المقول له معلوما من مقام الخطاب كان في التصريح بمتعلق فعل القول تحقيق لوقوع القول وتثبيت له وتقوية، والداعي لذلك أنه أهمل العمل به.

واللام في قوله: ﴿لك﴾ لام التبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه،

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٢/١٥

نحو: قلت له، وأذنت له، وفسرت له؛ وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوما من السياق فيكون ذكر اللام لزيادة تقوي الكلام وتبليغه إلى السامع، ولذلك سميت لام التبليغ. ألا ترى أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ . فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد.

وهنا لم يعتذر موسى بالنسيان: إما لأنه لم يكن نسي. ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم. وهو قتل النفس بدون موجب. على واجب الوفاء بالالتزام؛ وإما لأنه نسي وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماجة تكرر الاعتذار به. وعلى الاحتماليين فقد عدل إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده.." (١)

"الترك: حقيقته مفارقة شيء شيئا كان بقربه، ويطلق مجازا على جعل الشيء بحالة مخالفة لحالة سابقة تمثيلا لحال إلفائه على حالة، تم تغييرها بحال من كان قرب شيء ثم ذهب عنه. وإنما يكون هذا المجاز مقيدا بحالة كان عليها مفعول ترك، فيقيد أن ذلك آخر العهد، وذلك يستتبع أنه يدوم على ذلك الحال الذي تركه عليها بالقرينة.

والجملة عطف على الجملة التي قبلها ابتداء من قوله: ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ [الكهف: ٩٣]. فهذه الجملة لذكر صنع الله تعالى في هذه القصة الثالثة من قصص ذي القرنين إذ ألهمه دفع فساد ياجوج وماجوج. بمنزلة جملة ﴿قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ [الكهف: ٨٦] في القصة الأولى. وجملة ﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾ [الكهف:٩١]

فجاء أسلوب حكاية هذه القصص الثلاث **على نسق واحد**.

و ﴿يومئذ﴾ هو يوم إتمام بناء السد المستفاد من قوله ﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾ الآية.

و ﴿يموج﴾ يضطرب تشبي٥ا بموج البحر.

وجملة ﴿يموج﴾ حال من ﴿بعضهم﴾ أو مفعول ثان ل ﴿تركنا﴾ على تأويله ب ﴿جعلنا﴾. أي جعلنا ياجوج وماجوج يومئذ مضطربين بينهم فصار فسادهم قاصرا عليهم ودفع عن غيرهم.

والنار تأكل نفسها

إن لم تجد ما تأكله

لأنهم إذا لم يجدوا ما اعتادوه من غزو الأمم المجاورة لهم رجع قويهم على ضعيفهم بالاعتداء.

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٣/١٥

﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾

تخلص من أغراض الاعتبار بما في القصة من إقامة المصالح في الدنيا على أيدي من اختاره الله لإقامتها من خاصة أوليائه، إلى غرض التذكير بالموعظة بأحوال الآخرة، وهو تخلص يؤذن بتشبيه حال تموجهم بحال تموج الناس في المحشر، تذكيرا للسامعين بأمر الحشر وتقريبا بحصوله في خيال المشركين، فإن القادر على جمع أمة كاملة وراء هذا السد، بفعل من يسره لذلك من خلقه، هو الأقدر على جمع الأمم في الحشر بقدرته، لأن متعلقات القدرة في عالم الآخرة أعجب. وقد تقدم أن من أهم أغراض هذه السورة إثبات." (١)

"[٦-٧] ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾

فذلكة ما تقدم، فالجملة تذييل.

والإشارة بـ ﴿ذلك﴾ إلى ما تقدم من أطوار خلق الإنسان وفنائه، ومن إحياء الأرض بعد موتها وانبثاق النبت منها.

وإفراد حرف الخطاب المقترن باسم الإشارة لإرادة مخاطب غير معين **على نسق قوله**: ﴿وترى الأرض هامدة﴾ على أن اتصال اسم الإشارة بكاف خطاب الواحد هو الأصل.

والمجرور خبر عن اسم الإشارة، أي ذلك حصل بسبب أن الله هو الحق الخ. والباء للسببية فالمعنى: تكون ذلك الخلق من تراب وتطور، وتكون إنزال الماء على الأرض الهامدة والنبات البهيج بسبب أن الله ألا له الحق دون غبره. ويجوز أن تكون الباء للملابسة، أي كان ذلك الخلق وذلك الإنبات البهيج ملابسا لحقية إلهية الله وهذه الملابسة ملابسة الدليل لمدلوله. وهذا ارشق من حمل الباء على معنى السببية وهو أجمع لوجود الاستدلال.

والحق: الثابت الذي لا مراء فيه، أي هو الموجود.والقصر إضافي، أي دون غيره من معبوداتكم فإنها لا وجود لها قال تعالى: ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾ . وهذا الاستدلال هو أصل بقية الأدلة لأنه نقض للشرك الذي هو الأصل لجميع ضلالات أهله كما قال تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٨/١٥

وأما بقية الأمور المذكورة بعد قوله: ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ ، فهي لبيان إمكان البعث.
ووجه كون هذه الأمور الخمسة المعدودة في هذه الآية ملابسة لأحوال خلق الإنسان وأحوال إحياء الأرض أن تلك الأحوال دالة على هذه الأمور الخمسة: إما بدلالة المسبب بالنسبة إلى وجود الله وإلى ثبوت قدرته على كل شيء، وإما بدلالة التمثيل على الممثل والواقع على إمكان نظيره الذي لم يقع بالنسبة إلى إحياء الله الموتى، ومجيء." (١)

"الأرض﴾ وتقديم المجرور للدلالة على القصر. أي له ذلك لا لغيره من أصنامكم، إن جعلت القصر إضافيا، أو لعدم الاعتداد بغنى غيره ومحموديته إن جعلت القصر ادعائيا.
ونبه بوصف الغنى على أنه غير مفتقر إلى غيره، وهو معنى الغنى في صفاته تعالى أنه عدم الافتقار بذاته وصفاته لا إلى محل ولا إلى مخصص بالوجود دون العدم والعكس تنبيها على أن افتقار الأصنام إلى من يصنعها ومن ينقلها من مكان إلى آخر ومن ينفض عنها القتام والقذر دليل على انتفاء الإلهية عنها.
وأما وصف ﴿الحميد﴾ بمعنى المحمود كثيرا، فذكره لمزاوجة وصف الغنى لأن الغني مفيض على الناس فهم يحمدونه.
وفي ضمير الفصل إفادة أنه المختص بوصف الغنى دون الأصنام وبأنه المختص بالمحمودية فإن العرب لم يكونوا يوجهون الحمد لغير الله تعالى. وأكد الحصر بحرف التوكيد وبلام الابتداء تحقيقا لنسبة القصر إلى المقصور كقول عمرو بن معد يكرب "إني أنا ا لموت". وهذا التأكيد لتنزيل تحققهم اختصاصه بالغنى أو المحمودية منزلة الشك أو الإنكار لأنهم لم يجروا على موجب علمهم حين عبدوا غيره وإنما يعبد من وصفه الغنى.
[٦٥] ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾
هذا **من نسق التذكير** بنعم الله واقع موقع قوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾، فهو من عداد الامتنان والاستدلال، فكان كالتكرير لغرض، ولذلك فصلت الجملة ولم تعطف.
وهذا تذكير بنعمة تسخير الحيوان وغيره. وفيه إدماج الاستدلال على انفراده بالتسخير. والتقدير: فهو الرب الحق.
وجملة: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ مستأنفة كجملة: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٩/١٧

ماء﴾.

والخطاب هنا والاستفهام كلاهما كما في الآية السابقة.

والتسخير: تسهيل الانتفاع بدون مانع وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير. وأصله تسهيل الانتفاع بما فيه إرادة التمنع مثل تسخير الخادم وتسهيل استخدام الحيوان الداجن من الخيل، والإبل. والبقر، والغنم ونحوها، بان جعل الله فيها طبع." (١)

"كان من أبناء إبراهيم وأن الله أنجاه من العذاب كما أنجى لوطا.

وتقديم المجرور في قوله ﴿إلى مدين﴾ ليتأتى الإيجاز في وصف شعيب بأنه أخوهم لأن هذا الوصف غير موجود في نوح وإبراهيم ولوط. وتقدم معنى كونه أخا لهم في سورة هود.

وقوله ﴿فقال﴾ عطف على الفعل المقدر، أي أرسلناه فعقب إرساله بأن قال.

والرجاء: الترقب واعتقاد الوقوع في المستقبل. وأمره إياهم بترقب اليوم الآخر دل على أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث وتقدم الكلام على نظير قوله ﴿تعثوا في الأرض مفسدين﴾ عند قوله تعالى ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ في [سورة البقرة: ٦٠]. وتقدمت قصة شعيب في سورة هود.

[٣٧] ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾

الأخذ: الإعدام والإهلاك؛ شبه الإعدام بالأخذ بجامع الإزالة.

والرجفة: الزلزال الشديد الذي ترتجف منه الأرض، وفي سورة هود سميت بالصيحة لأن لتلك الرجفة صوتا شديدا كالصيحة. وتقدم تفسير ذلك.

وقد أشير في قصة إبراهيم ولوط إلى ما له تعلق بالغرض المسوق فيه، وهو المصابرة على إبلاغ الرسالة، والصبر على أذى الكافرين، ونصر الله إياهم، وتعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

[٣٨] ﴿وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾

لما جرى ذكر أهل مدين وقوم لوط أكملت القصص بالإشارة إلى عاد وثمود إذ قد عرف القرآن اقتران هذه الأمم **في نسق القصص**.

والواو عاطفة قصة على قصة.

وانتصاب ﴿عادا﴾ يجوز أن يكون بفعل مقدر يدل عليه السياق، تقديره: وأهلكنا عادا، لأن قوله تعالى

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣١/١٧

آنفا ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ [العنكبوت: ٣٧] يدل على معنى الإهلاك، قاله الزجاج وتبعه الزمخشري. ومعلوم أنه إهلاك خاص من بطش الله تعالى، فظهر تقدير: وأهلكنا عادا.." (١)

"المبين هو الواضح في جنسه البالغ غاية حده.

[٢٥] ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون [٢٥]﴾.

أعيد الأمر بأن يقول لهم مقالا آخر إعادة لزيادة الاهتمام كما تقد آنفا واستدعاء لأسماء المخاطبين بالإصغاء إليه.

ولما كان هذا القول يتضمن بيانا للقول الذي قبله فصلت جملة الأمر بالقول عن أختها إذ لا يعطف البيان على المبين بحرف النسق، فإنه لما ردد أمر الفريقين بين أن يكون أحدهما هلى هدى ولآخر في ضلال وكان الضلال يأتي بالإجرام اتسع بالمحاجة فقيل لهم: إذا نحن أجرمنا فأنتم غير مؤاخذين بجرمنا وإذا عملتم عملا فنحن غير مؤاخذين به، أي أن كل فريق مؤاخذ وحده بعمله فالأجدى بكلا الفريقين أن ينظر كل في أعماله وأعمال ضده ليعلم أي الفريقين أحق بالفوز والنجاة عند الله.

وأيضا فصلت لتكون هذه الجملة مستقلة بنفسها ليخصها السامع بالتأمل في مدلولها فيجوز أن تعتبر استئنافا ابتدائيا، وهي مع ذلك اعتراض بين أثناء الاحتجاج.

فمعنى ﴿لا تسألون﴾ ، ﴿ولا نسأل﴾ أن كل فريق له خويصته.

والسؤال: كناية عن أثره وهو الثواب على العمل الصالح والجزاء على الإجرام بمثله كما هو في قول كعب بن زهير:

وقيل إنك منسوب ومسؤول

أراد ومؤاخذ بما سبق منك لقوله قبله:

لذاك أهيب عندي إذ أكلمه

وإسناد الإجرام إلى جانب المتكلم ومن معه مبني على زعم المخاطبين، وقال تعالى: ﴿وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ [المطففين: ٣٢] كان المشركون يؤنبون المؤمنين بأنهم خاطئون في تجنب عبادة أصنام قومهم.

وهذه نكتة صوغه في صيغة الماضي لأن متحقق على زعم المشركين. وصيغ ما يعمل المشركون في صيغة

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/٢٠

المضارع لأنهم ينتظرون منهم عملا تعريضا بأنهم يأتون عملا غير ما عملوه، أي يؤمنون بالله بعد كفرهم.." (١)

"وتخصيص وصف ﴿علام الغيوب﴾ من بين الأوصاف الإلهية للإشارة إلى أنه عالم بالنوايا، وأن القائل يعلم ذلك فالذي يعلم هذا لا يجترئ على الله بادعائه باطلا أنه أرسله إليكم، فالإعلام بهذه الصفة هنا يشبه استعمال الخبر في لازم فائدته وهو العلم بالحكم الخبري.

ويجوز أن يكون معنى ﴿يقذف بالحق﴾ يرسل الوحي، أي على من يشاء من عباده كقوله تعالى: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ [غافر: ١٥] ويكون قوله: ﴿علام الغيوب﴾ إشارة إلى أنه أعلم حيث يجعل رسالاته لأن المشركين كانوا يقولون: لولا أنزلت علينا الملائكة دون محمد.

وارتفع ﴿علام﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف،أي هو علام الغيوب، أو على أنه نعت لاسم ﴿إن﴾ إما مقطوع،وإما لمراعاة محل اسم ﴿إن﴾ حيث إنها استوفت خبرها لأن حكم الصفة حكم **عطف النسق عند** أكثر النحاة وهو الحق.وقال الفراء:رفع الاسم هذا هو غالب كلام العرب. ومثله بالبدل في قوله تعالى: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [ص: ٦٤].

وقرأ الجمهور: ﴿الغيوب﴾ بضم الغين.وقرأه أبو بكر وحمزة والكسائي بكسر الغين كما جاء الوجهان في باء ﴿بيوت﴾ .

[٤٩] ﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد [٤٩]﴾.

أعيد فعل ﴿قل﴾ للاهتمام بالمقول كما تقدم أنفا.

وجملة: ﴿قل جاء الحق﴾ تأكيد لجملة ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ [سبأ: ٤٨] فإن الحق قد جاء بنزول القرآن ودعوة الإسلام. وعطف ﴿وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ على ﴿جاء الحق﴾ لأنه إذا جاء الحق انقشع الباطل من الموضع الذي حل فيه الحق.

و ﴿يبدئ﴾ مضارع أبدأ بهمزة في أوله وهمزة في أخره والهمزة التي في أوله للزيادة مثل همزة: أجاء، وأسرى. وإسناد الإبداء والإعادة إلى الباطل مجاز عقلي أو استعارة.

ومعنى: ﴿ما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ الكناية عن اضمحلاله وزواله وهو ما عبر عنه بالزهوق في قوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٩/٢٢

﴿إن الباطل كان زهوقا﴾ في سورة الإسراء [٨١]. وذلك أن الموجود الذي تكون له آثار إما أن تكون آثاره مستأنفة أو معادة فإذا لم يكن له إبداء ولا." (١)

"﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾

علة لجملة ﴿اركض برجلك﴾[ص:٤٢]وجملة ﴿ووهبنا له أهله﴾ [ص:٤٣]،أي أنعمنا عليه بجبر حاله، لأنا وجدناه صابرا على ما أصابه فهو قدوة للمأمور بقوله: ﴿اصبر على ما يقولون﴾ [المزمل:١٠] صلى الله عليه وسلم،فكانت "إن" مغنية عن فاء التفريغ.

ومعنى ﴿وجدناه﴾ أنه ظهر في صبره ما كان في علم الله منه.

وقوله: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ مثل قوله في سليمان: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص:٣٠]،فكان سليمان أوابا لله من فتنة الغني والنعيم،وأيوب أوابا لله من فتنة الضر والاحتياج،وكان الثناء عليهما متماثلا لاستوائهما في الأوبة وإن اختلفت الدواعي.قال سفيان:"أثنى الله على عبدين ابتليا:أحدهما صابر، والآخر شاكر،ثناء واحدا.فقال لأيوب ولسليمان ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ ".

[٤٥.٤٧] ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾

القول فيه كالقول في نظائره لغة ومعنى.وذكر هؤلاء الثلاثة ذكر اقتداء وائتساء بهم،فأما إبراهيم عليه السلام فيما عرف من صبره على أذى قومه،وإلقائه في النار،وابتلائه بتكليف ذبح ابنه،وأما ذكر إسحاق ويعقوب فاستطراد بمناسبة ذكر إبراهيم ولما اشتركا به من الفضائل مع أبيهم التي يجمعها اشتراكهم في معنى قوله: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ ليقتدي النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثتهم في القوة في إقامة الذين والبصيرة في حقائق الأمور.

وابتدئ بإبراهيم لتفضيله بمقام الرسالة والشريعة،وعطف عليه ذكر ابنه وعطف على ابنه ابنه يعقوب.وقرأ الجمهور ﴿واذكر عبادنا﴾ بصيغة الجمع على أن ﴿إبراهيم﴾ ومن عطف عليه كله عطف بيان.وقرأ ابن كثير ﴿عبدنا﴾ بصيغة الإفراد على أن يكون ﴿إبراهيم﴾ عطف بيان من ﴿عبدنا﴾ ويكون ﴿إسحاق ويعقوب﴾ **عطف نسق على** ﴿عبدنا﴾. ومآل القراءتين متحد.

---

(١) التحرير والتنوير، ٩٩/٢٢

والأيدي:جمع يد بمعنى القوة في الدين.كقوله تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ في سورة الذاريات[٤٧].

والأبصار:جمع بصر بالمعنى المجازي،وهو النظر الفكري المعروف بالبصيرة،." [١]

"وهذا إيماء إلى تعطيل حركة الأرض وانقماع مظاهرها إذ تصبح في عالم الآخرة شيئا موجودا لا عمل له وذلك بزوال نظام الجاذبية وانقراض أسباب الحياة التي كانت تمد الموجودات الحية على سطح الأرض من حيوان ونبات.

وطي السماوات:استعارة مكنية لتشويش تنسيقها واختلال أبعاد أجرامها فإن الطي رد ولف بعض شقق الثوب أو الورق على بعض بعد أن كانت مبسوطة منتشرة **على نسق مناسب** للمقصود من نشره فإذا انتهى المقصود طوي المنشور،قال تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء:١٠٤].وإثبات الطي تخييل.

والباء في ﴿بيمينه﴾ للآلة والسببية.واليمين:وصف لليد ولا يد هنا وإنما هي كناية عن القدرة لأن العمل يكون باليد اليمين قال الشاعر أشده الفراء والمبرد،قال القرطبي:

ولما رأيت الشمس أشرق نورها ... تناولت منها حاجتي بيمين

أي بقدرة.وضمير "منها" يعود على مذكور في أبيات قبله.

والمقصود من هاتين الجملتين تمثيل عظمة الله تعالى بحال من أخذ الأرض في قبضته ومن كانت السماوات مطوية أفلاكها وآفاقها بيده تشبيه المعقول بالمتخيل وهي تمثيلية تنحل أجزاؤها إلى استعارتين،وفيها دلالة على أن الأرض والسماوات باقية غير مضمحلة ولكن نظامها المعهود اعتراه تعطيل،وفي "الصحيح" عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض" .وعن عبد الله ابن مسعود قال:"جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:"يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع،والأرضين على إصبع،والشجر على إصبع،والماء والثرى على إصبع،وسائر الخلق على إصبع.فيقول أنا الملك،فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ".

ومعنى قوله:ثم قرأ هذه الآية،نزلت قبل ذلك لأنها مما نزل مما نزل بمكة.والحبر من أحبار يهود المدينة،

(١) التحرير والتنوير، ١٦٩/٢٣

وقول الراوي:تصديقا لقول الحبر،مدرج في الحديث من فهم الراوي كما جزم أبو العباس القرطبي في كتابه "المفهم على صحيح مسلم"،وقال." [١]

"اعلم أبا مسعود" ، قال أبو مسعود: فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يقول: "اعلم أبا مسعود" فألقيت السوط من يدي، فقال لي: "إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام" رواه مسلم أواخر كتاب الإيمان. وتقدم معنى ﴿الذين يجادلون في آياتنا﴾ في هذه السورة.

و ﴿ما﴾ نافية، وهي معلقة لفعل ﴿يعلم﴾ عن نصب المفعولين.

والمحيص: مصدر ميمي من حاص، إذا أخذ في الفرار ومال في سيره، وفي حديث أبي سفيان في وصف مجلس هرقل فحاصوا حيصة حمر الوحش وأغلقت الأبواب. والمعنى: ما لهم من فرار ومهرب من لقاء الله. والمراد: ما لهم من محيد ولا ملجأ. وتقدم في قوله تعالى ﴿ولا يجدون عنها محيصا﴾ [النساء: ١٢١]

[٣٦] ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾

تفريع على جملة ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا﴾ [الشورى: ٢٧] إلى آخرها، فإنها اقتضت وجود منعم عليه ومحروم، فذكروا بأن ما أوتوه من رزق هو عرض زائل، وأن الخير في الثواب الذي ادخره الله للمؤمنين، مع المناسبة لما سبقه من قوله: ﴿ويعف عن كثير﴾ [الشورى: ٣٤] من سلامة الناس من كثير من أهوال الأسفار البحرية فإن تلك السلامة نعمة من نعم الدنيا، ففرعت عليه الذكرى بأن تلك النعمة الدنيوية نعمة قصيرة الزمان صائرة إلى الزوال فلا يجعلها الموفق غاية سعيه وليسع لعمل الآخرة الذي يأتي بالنعيم العظيم الدائم وهو النعيم الذي ادخره الله عنده لعباده المؤمنين الصالحين.

والخطاب في قوله ﴿أوتيتم﴾ للمشركين جريا **على نسق الخطاب** السابق في قوله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ وقوله ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ [الشورى: ٣١] وينسحب الحكم على المؤمنين بلحن الخطاب، ويجوز أن يكون الخطاب لجميع الأمة، فالفاء الأولى للتفريع، و ﴿ما﴾ موصولة ضمنت معنى الشرط والفاء الثانية في قوله ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ داخلة على خبر ﴿ما﴾ الموصولة لتضمنها معنى الشرط وإنما لم نجعل "ما" شرطية لأن المعنى على الإخبار لا على التعليق، وإنما تضمن معنى الشرط وهو مجرد ملازمة الخبر لمدلول اسم الموصول كما تقدم نظيره

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣٠/٢٤

آنفا في قوله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] في قراءة غير نافع وابن عامر.." (١)

"الشرعيين لم يكن مذموما. قال تعالى فيما حكاه عن الذين أوتوا العلم من قوم قارون ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص: ٧٧].

ويجوز أن يكون إبطالا لما تضمنه قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ فهو استئناف ابتدائي. والمعنى: أن معاذيرهم باطلة ولكنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، أي ثرا شهواتهم العاجلة ولم يحسبوا للآخرة حسابا.

وقرأ الجمهور ﴿تحبون﴾ و ﴿تذرون﴾ بتاء فوقية على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في موعظة المشركين مواجهة بالتفريع لأنه ذلك أبلغ فيه. وقرأه ابن كثير وابن عامر وأبو عمر ويعقوب بياء تحتية على نسق ضمائر الغيبة السابقة، والضمير عائد إلى ﴿الإنسان﴾ في قوله: ﴿بل الأنسان على نفسه بصيرة﴾ [القيامة:١٤] جاء ضمير جمع لأن الإنسان مراد به الناس المشركون، وفي قوله: ﴿بل تحبون﴾ ما يرشد إلى تحقيق معنى الكسب الذي وفق إلى بيانه الشيخ أبو الحسن الأشعري وهو الميل والمحبة للفعل أو الترك.

[٢٢-٢٥] ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ باسرة، تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ .

المراد ب ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة الذي تكرر ذكره بمثل هذا ابتداء من قوله: ﴿يقول الأنسان يومئذ أين المفر﴾ [القيامة:١٠] وأعيد مرتين.

والجملة المقدرة المضاف إليها "إذ"، والمعوض عنها التنوين تقديرها: يوم إذ برق البصر.

وقد حصل من هذا تخلص إلى إجمال حال الناس يوم القيامة بين أهل سعادة وأهل شقاوة.

فالوجوه الناضرة وجوه أهل السعادة والوجوه الباسرة وجوه أهل الشقاء، وذلك بين من كلتا الجملتين.

وقد علم الناي المعني بالفريقين مما سبق نزوله من القرآن كقوله في سورة عبس [٤٠-٤٢] ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة، أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ فعلم أن أصل أسباب السعادة الإيمان بالله وحده وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم والإيمان بما جاء به." (٢)

"والوثاق بفتح الواو اسم مصدر أوثق وهو الربط ويجعل للأسير والمقود إلى القتل. فيجعل لأهل النار وثاق يساقون به إلى النار قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/٢٥

(٢) التحرير والتنوير، ٣٢٦/٢٩

[غافر: ٧١-٧٢] الآية.

وانتصاب ﴿وثاقه﴾ كانتصاب ﴿عذابه﴾ على المفعولية المطلقة لمعنى التشبيه.

[٢٧-٣٠] ﴿يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي﴾
.

لما استوعب ما اقتضاه المقام من الوعيد والتهديد والإنذار ختم الكلام بالبشارة للمؤمنين الذين تذكروا بالقرآن واتبعوا هديه على عادة القرآن في تعقيب النذارة بالبشارة والعكس فإن ذلك يزيد رغبة الناس في فعل الخير ورهبتهم من أفعال الشر.

واتصال هذه الآية بالآيات التي قبلها في التلاوة وكتابة المصحف الأصل فيه أن تكون نزلت مع الآيات التي قبلها **في نسق واحد**. وذلك يقتضي أن هذا الكلام يقال في الآخرة. فيجوز أن يقال يوم الجزاء فهو مقول قول محذوف هو جواب "إذا" ﴿إذا دكت الأرض﴾ [الفجر: ٢١] الآية وما بينهما مستطرد واعتراض.

فهذا قول يصدر يوم القيامة من جانب القدس من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة: فإن كان من كلام الله تعالى كان قوله: ﴿إلى ربك﴾ إظهارا في مقام الإضمار بقرينة تفريع ﴿فادخلي في عبادي﴾ عليه. ونكتة هذا الإظهار ما في وصف ﴿رب﴾ من الولاء والاختصاص، وما في إضافته إلى ضمير النفس المخاطبة من التشريف لها.

وإن كان من قول الملائكة فلفظ ﴿ربك﴾ جرى على مقتضى الظاهر، وعطف ﴿فادخلي في عبادي﴾ عطف تلقين بصدر من كلام الله تعالى تحقيقا لقول الملائكة ﴿ارجعي إلى ربك﴾ .

والرجوع: إلى الله مستعار للكون في نعيم الجنة التي هي دار الكرامة عند الله بمنزلة دار المضيف قال تعالى: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥] بحيث شبهت الجنة بمنزل للنفس المخاطبة لأنها استحقته بوعد الله على أعمالها الصالحة فكأنها كانت مغتربة عنه في الدنيا فقيل لها: ارجعي إليه، وهذا الرجوع خاص غير مطلق الحلول في الآخرة.." (١)

"ومن بديع النظم وإعجازه إيثار كلمات "العاديات وضبحا والموريات وقدحا، والمغيرات وصبحا، ووسطن وجمعا" دون غيرها لأنها برشاقتها تتحمل أن يكون المقسم به خيل الغزو ورواحل الحج.

وعطف هذه الأوصاف الثلاثة الأولى بالفاء لأن أسلوب العرب في عطف الصفات وعطف الأمكنة أن يكون بالفاء وهي للتعقيب، والأكثر أن تكون لتعقيب الحصول كما في هذه الآية، وكما في قول ابن زيابة:

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٠/٣٠١

يا لهف زيابة للحارث الص ... ابح فالغانم فالآيب١
وقد يكون لمجرد تعقيب الذكر كما في سورة الصافات.
والفاء العاطفة لقوله: ﴿فأثرن به نقعا﴾ عاطفة على وصف ﴿المغيرات﴾ . والمعطوف بها من آثار وصف المغيرات. وليست عاطفة على صفة مستقلة مثل الصفات الثلاث التي قبلها لأن إثارة النقع وتوسط الجمع من آثار الإغارة صبحا، وليس مقسما بهما أصالة وإنما القسم بالأوصاف الثلاثة الأولى.
فلذلك غير الأسلوب في قول ﴿فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا﴾ ، فجيء بهما فعلين ماضيين ولم يأتيا **على نسق الأوصاف** قبلهما بصيغة اسم الفاعل للإشارة إلى أن الكلام انتقل من القسم إلى الحكاية عن حصول ما ترتب على تلك الأوصاف الثلاثة ما قصد منها بالظفر المطلوب الذي لإجله كان العدو والإيراء والإغارة عقبه وهي الحلول بدار القوم الذين غزوهم إذا كان المراد ب ﴿العاديات﴾ الخيل، أو بلوغ تمام الحج بالدفع عن عرفة إذا كان المراد ب ﴿العاديات﴾ رواحل الحجيج، فإن إثارة النقع يشعرون بها عند الوصول حين تقف الخيل والإبل دفعة، فتثير أرجلها نقعا شديدا فيما بينهما، وحينئذ تتوسطن الجمع من الناس. وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿جمعا﴾ اسم المزدلفة حيث المشعر الحرام.
ومناسبة القسم بهذه الموصوفات دون غيرها إن أريد رواحل الحجيج وهو الوجه الذي فسر به علي بن أبي طالب وهو أن يصدق المشركون بوقوع المقسم عليه لأن القسم بشعائر الحج لا يكون إلا بارا حيث هم لا يصدقون بأن القرآن كلام الله ويزعمونه قول

ـ

١ يعني: زيابة أمه. واسمه سلمة بن ذهل التيمي. والحارث هو ابن همام الشيباني الذي هدد ابن زيابة فأجابه ابن زيابة متهكما.." (١)

"فافتتحت بحرف الردع والتنبيه، وجيء بعده بحرف ﴿ثم﴾ الدال على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول. وكرر حرف الردع والتنبيه وحذف جواب ﴿لو تعلمون﴾ [التكاثر:٥] لما في حذفه من مبالغة التهويل، وأتي بلام القسم لتوكيد الوعيد. وأكد هذا القسم بقسم آخر، فهذه ستة وجوه.
وأقول زيادة على ذلك: إن في قوله: ﴿عين اليقين﴾ تأكيدين للرؤية بأنها يقين وأن اليقين حقيقة. والقول في إضافة ﴿عين اليقين﴾ كالقول في إضافة ﴿علم اليقين﴾ [التكاثر:٥] المذكور آنفا.
[٨] ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ .

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٤٢/٣٠

أعقب التوبيخ والوعيد على لهوهم بالتكاثر عن النظر في دعوة الإسلام من حيث إن التكاثر صدهم عن قبول ما ينجيهم، بتهديد وتخويف من مؤاخذتهم على ما في التكاثر من نعيم تمتعوا به في الدنيا ولم يشكروا الله عليه بقوله تعالى: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ ، أي عن النعيم الذي خولتموه في الدنيا فلم تشكروا الله عليه وكان به بطركم.

وعطف هذا الكلام بحرف ﴿ثم﴾ الدال على التراخي الرتبي في عطفه الجمل من أجل أن الحساب على النعيم الذي هو نعمة من الله أشد عليهم لأنهم ما كانوا يترقبونه، لأن تلبسهم بالإشراك وهم في نعيم أشد كفرانا للذي أنعم عليهم.

و ﴿النعيم﴾ : اسم لما يلذ لإنسان مما ليس ملازما له، فالصحة وسلامة الحواس وسلامة الإدراك والنوم واليقظة ليست من النعيم، وشرب الماء وأكل الطعام والتلذذ بالمسموعات وبما فيه فخر وبرؤية المحاسن، تعد من النعيم.

والنعيم أخص من النعمة بكسر النون ومرادف للنعمة بفتح النون.

وتقدم النعيم عند قوله تعالى: ﴿لهم فيها نعيم مقيم﴾ في سورة براءة [٢١].

والخطاب موجه إلى المشركين **على نسق الخطابات** السابقة.

والجملة المضاف إليها "إذ" من قوله: ﴿يومئذ﴾ محذوف دل عليها قوله: ﴿لترون الجحيم﴾ [التكاثر:٦] أي يوم إذ ترون الجحيم يغلظ عليكم العذاب.

وهذا السؤال عن النعيم الموجه إلى المشركين هو غير السؤال الذي يسأله كل منعم عليه فيما صرف فيه النعمة، فإن النعمة لما لم تكن خاصة بالمشركين خلافا للتكاثر كان." (١)

"١٤٥ تخصيص لبعض العصاة وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم فقالوا لمن يشاء وهو التائب لا خلاف أنه لا يعذب وهذا التأويل بعيد لأن قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به في غير التائب من الشرك وكذلك قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها **على نسق واحد** وتأولتها المرجئة على مذهبهم فقالوا لمن يشاء معناه لمن يشاء أن يؤمن وهذا أيضا بعيد لا يقتضيه اللفظ وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار وحملها أهل السنة على الكفار وعلى من لا يغفر الله له من العصاة كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلى المذنبين التائبين وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين فعلى مذهب أهل السنة

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٦١/٣٠

لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد بل يجمع بين معانيها بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره غفر له بإجماع وإن مات على كفره لم يغفر له وخلد في النار بإجماع وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه الذين يزكون أنفسهم هم اليهود لعنهم الله وتزكيتهم قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل مدحهم لأنفسهم فتيلا الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة وقيل ما يخرج بين اصبعيك وكفيك إذا فتلتهما هو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى يفترون دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل يؤمنون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس الجبت هو حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وقال عمر بن الخطاب الجبت السحر والطاغوت الشيطان وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله

ويقولون للذين كفروا الآية سببها أن حيي بن أخطب وكعب بن الشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه." (١)

"أجعل الآلهة إلها واحدا هذا إنكار منهم للتوحيد وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا فكلمه أبو طالب في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم وتدين لهم بها العرب فقالوا نعم وعشر كلمات معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبي طالب وقيل عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر وأن امشوا معناه يقول بعضهم لبعض امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم ولا تطيعوا محمدا فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده إن هذا لشيء يراد هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفي معناه وجهان أحدهما أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام **على نسق واحد** ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة هذا أيضا مما حكى الله عنهم من كلامهم أي ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد وقيل

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٦٢/١

المراد ملة قريش أي ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا وقيل المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء إن هذا ... ٥٧٣." (١)

"للإنسان باتفاق فيجري الكلام **على نسق واحد** وإنه لحب الخير لشديد الخير هنا المال كقوله إن ترك خيرا والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه وقيل الشديد البخيل والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال والأول أظهر إذا بعثر ما في القبور أي بحث عند ذلك عبارة عن البعث وحصل ما في الصدور أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلا أو ميز خيره من شره إن ربهم بهم يومئذ لخبير الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة وجهان أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها والثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان والتقدير أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور وهذا هو الذي قاله ابن عطية ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله والمفعول محذوف والتقدير أفلا يعلم الله أعمال ... ٨٠٨." (٢)

"/ سورة القلم

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله :

فصل

سورة [ن] : هي سورة [الخلق] ، الذي هو جماع الدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى فيها : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٤] قال ابن عباس : علي دين عظيم . وقاله ابن عيينة، وأخذه أحمد عن ابن عيينة . فإن الدين والعادة والخلق ألفاظ متقاربة المعني في الذات، وإن تنوعت في الصفات، كما قيل في لفظ الدين : فهذا دينه أبدا وديني .

وجمع بعض الزنادقة بينهما في قوله :

ما الأمر **إلا نسق واحد** ** ما فيه من مدح ولا ذم

وإنما العادة قد خصصت ** والطبع والشارع بالحكم

[ن] : أقسم ـ سبحانه ـ بالقلم وما يسطرون؛فإن القلم به يكون الكتاب الساطر للكلام، المتضمن للأمر

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٤٣٩/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٥٤/٣

والنهي والإرادة، والعلم المحيط بكل شيء، فالإقسام وقع بقلم التقدير ومسطوره، فتضمن أمرين عظيمين تناسب المقسم عليه :

أحدهما : الإحاطة بالحوادث قبل كونها، وأن من علم بالشيء قبل كونه أبلغ ممن علمه بعد كونه، فإخباره عنه أحكم وأصدق .

الثاني : أن حصوله في الكتابة والتقدير يتضمن حصوله في الكلام والقول والعلم من غير عكس؛ فإقسامه بآخر المراتب العلمية يتضمن أولها من غير عكس، وذلك غاية المعرفة واستقرار العلم إذا صار مكتوبا . فليس كل معلوم مقولا، ولا كل مقول مكتوبا، وهذا يبين لك حكمة الإخبار عن القدر السابق بالكتاب دون الكلام فقط، أو دون العلم فقط .." (١)

" صفحة رقم ١٢٥

نقض عهدهم ولبسهم وكتمهم بما ظهر من نقص عقولهم في أن يظهر طريق الهدى لغيره ولا يتبعه فأخرجهم بذلك عن حد العقل الذي هو أدنى أحوال المخاطبين ، وزاد في تبكيتهم بجملة حالية حاكية تلبسهم بالعلم والحكمة الناهية عما هم عليه فقال : (وأنتم تتلون الكتاب (من التلاوة ، وهو تتبع قول قائل أول من جهة أوليته – قاله الحرالي .

وهذه الجملة الحالية أعظم منبه على أن من حكم التوراة اتباعه (صلى الله عليه وسلم) ، ومشير إلى أن المعصية من العالم أقبح .

قال الحرالي : فيه إشعار بأن أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) في منطوق تلاوته ليس في خفي إفهامه ، فكان في ذلك خروج عن حكم نور العقل – انتهى .

ولما كان هذا في كتابهم وهم به يأمرون وعنه معرضون سبب سبحانه عنه الإنكار في قوله : (أفلا) أي أتتلونه فلا) تعقلون (إشارة إلى أن ما هم عليه من هذا لا يفعله ذو مسكة ، والعقل إدراك حقائق ما نال الحس ظاهره – قاله الحرالي .

سمي عقلا لأنه يعقل عن التورط في الهلكة .

ولما أنكر عليهم اتباع الهوى أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس وأجل أعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الأوامر .

وقال الحرالي : فكأنهم إنما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به أنفسهم من الرياسة والتقدم فلما

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، /

في ذلك عليهم من المشقة أن يصيروا أتباعا للعرب بعد ما كانوا يرون أن جميع الأرض تبع **لهم نسق بخطابهم** في ذلك الأمر بالاستعانة بالصبر الذي يكره أنفسهم على أن تصير تابعة بعد أن كانت متبوعة فقال تعالى – انتهى .

) واستعينوا) أي على إظهار الحق والانقياد له وهو معنى ما مضى من الأوامر والنواهي) بالصبر) أي على مخالفة الهوى ، والصبر حبس النفس عن حاجتها وعادتها وعلى إصلاحها وتزكيتها ، هو ضياء للقلوب تبصر به ما يخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما تنزع إليه الأنفس – قاله الحرالي .

وهو عام في كل صبر الصوم وغيره ،) والصلاة) أي الموصلة إلى المقام الأعلى ، وفيه التفات إلى

٧٧ ( ) وإياك نستعين ( ) ٧

[الفاتحة : ٥] وإشارة إلى أن من لم تنهه صلاته عن ركوب الباطل والتمادي فيه وتأمره بلزوم الحق والرجوع إليه فليس بمصل ، فكأن المراد بالصبر تخليص النفس من أشراك الهوى وقسرها على الإخلاص ، فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين ؛ وثنى بالصلاة لأنها استرزاق يغنيهم عن اشتراء ثمن كانوا يأخذونه من أتباعهم في اللبس والكتمان

٧٧ ( ) وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك ( ) ٧

[طه : ١٣٢] قال الحرالي .

ويصح أن يراد بها الدعاء ، فمن صبر عن." (١)

" صفحة رقم ٢٥٤

[الأنعام : ١٦٣] فهذه أولية رتبة الكمال التي هي خاصة به ومن سواه فهو منه فيها ، لأن نفي الشيء يفهم البراءة واللحاق بالمتأصل في مقابله ، فمن لم يكن مثلا من الكافرين فهو من المؤمنين ، لأنه لو كان هو المؤمن لذكر بالصفة المقابلة لما نفى عنه ، لما في ذلك من معنيي إثبات الوصف ونفي مقابله ، ومثل هذا كثير الدور في خطاب القرآن ، وبين من له الوصف ومن هو منه تفاوت ما بين السابق واللاحق في جميع ما يرد من نحوه يعني ومثل هذا التفاوت ظاهر للفهم خفي عن مشاهد العلم ، لأن العلم من العقل بمنزلة النفس ؛ والفهم من العقل بمنزلة الروح ، فللفهم مدرك لا يناله العلم ، كما أن للروح معتلى لا تصل إليه النفس ، لتوجه النفس إلى ظاهر الشهود ووجهة الروح إلى علي الوجود – انتهى .

ولما قيل ذلك توجهت النفس إلى ما به يوصل إلى ملة إبراهيم .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢٥/١

فصرف الخطاب الذي كان عند الحجاج للأكل عږى وجه يشمل من قاربه إلى من دونه بما يشمله ، لأن المراد العموم ، وساقه تعالى في جواب من كأنهم قالوا : ما نقول : حتى نكون إياها فقال : (قولوا) أي يا أيها الذين آمنوا) آمنا بالله (الذي له جميع صفات الكمال .

ولما كان المأمور المؤمنين وكانت تعدية الإنزال بإلى تقتضي الانتهاء وكان ذلك يقتضي واسطة قبل الانتهاء وكان الانتهاء إلى الاتباع إنما هو بالقصد الثاني كان الأنسب في هذه الآية لتوجيه الأمر إليهم التعبير بغلى بخلاف آية ںل عمران كما سيأتي إن شاء الله تعالى فقال : (وما أنزل إلينا) أي من الكتاب الذي تقدم أنه الهدى على أي وجه كان من الأحكام والنسخ والنسيء وغير ذلك وقيل) وما أنزل إلى إبراهيم (ليكون المهيع واحدا) وإسماعيل وإسحاق (ابنيه .

قال الحرالي : فلقن العرب الأميين المحسودين على ما آتاهم الله من **فضله نسق ما** أجرى من لفظ بني إسرائيل في عهده لهم ، فكان فيه وصل العرب الذين هم أبناء غسماعيل بإبراهيم وبنيه وقطع بني إسرائيل عنهم ، وفيه إظهار لمزية فضل الله على العرب حين يلقنهم ولا يستنطقهم فيقصروا في مقالهم فأغناهم بما لقنهم فتلوه عما كانوا يقولونه لو وكلوا إلى أنفسهم فسكنهم ربهم فأقرأهم ما يصلح من القول لهم وقال : (ويعقوب والأسباط (تكملة لما تقدم في العهد السابق – انتهى .

) وما أوتي موسى وعيسى) أي من ربهم من المنزل من التوراة والإنجيل وغير المنزل ، وغير الأسلوب تفضيلا لما لهما من الكتابين والمعجزات وغير ذلك من المكنة ؛ ثم أسند الإيتاء إلى الجميع لكون أهل الكتب العظيمة فيهم على سبيل التغليب فقال مؤكدا الكلام لأنه على لسان الأتباع وهم بالتأكيد أحق : (وما أوتي النبيون) أي قاطبة من تقدم وغيرهم من المنزل من كتاب وغيره) من ربهم (المحسن إليهم بذلك." (١)

" صفحة رقم ٢٣٤

المنكوحين وهذا جمع بين الناكحين فقال – عاطفا على النائب عن فاعل) جرمت (: (والمحصنات) أي الحرائر المزوجات لأنهن منعت فروجهن بالنكاح عن غير الأزواج) من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) أي من أزواج أهل الحرب ، فإن الملك بالأسر يقطع النكاح .

ولما أتم ذلك قال مؤكدا له ومبينا عظمته : (كتاب الله) أي خذوا فرض الملك الأعظم الذي أوجبه عليكم إيجاب ما هو موصول في الشيء بقطعه منه ، والزموه غير ملتفتين إلى غيره ، وزاد في تأكيده بأداة الوجوب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٢٥٤

فقال : (عليكم (ولما أفهم ذلك حل ما سواه أفصح به احتياطا للإيضاح وتعظيما لحرمتها في قوله : (وأحل لكم (وبين عظمة هذا التحريم بأداة البعد فقال : (ما وراء ذلكم) أي الذي ذكر لكم من المحرمات العظيمة .

ولما كان الكلام في المنع لمن يصرح بالفاعل بل قال ؛ (حرمت) – ترفقا في الخطاب حثا على الآداب ، فلما وصل الأمر إلى الحل أظهره تطييبا للقلوب وتأنيسا للنفوس في قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر بفتح الهمزة والحاء ، وأبهمه في قراءة الباقين **على نسق**) حرمت (لأن فاعل الحل والحرمة عند أهل هذا الكتاب معروف أنه الملك الأعلى الذي لا أمر لأحد معه أصلا ، ثم أتبع التحليل علته فقال : (أن) أي إرادة أن) تبتغوا) أي تطلبوا متبعين من شئتم مما أحل لكم) بأموالكم (اللاتي تدفعونها مهورا حال كونكم) محصنين) أي قاصدين بذلك العفة لأنفسكم ولهن) غير مسافحين) أي قاصدين قضاء الشهوة وصب الماء الدافق لذلك فقط ، وهو على هذا الوجه لا يكون إلا زنى سرا وجهرا ، فيكون فيه حينئذ إضاعة المال وإهلاك الدين ، ولا مفسدة أعظم مما يجمع هذين الخسرانين .

ولما تقدم أول السورة وأثناءها الأمر بدفع الصداق والنهي عن أخ ذشيء مما دفع إلى المرأة ، وكان ذلك أعم من أن يكون بعد الدخول أو قبله ، مسمى أو لا قال هنا مسببا عن الابتغاء المذكور : (فما استمتعتم) أي أوجدتم المتاع وهو الانتفاع) به منهن (بالبناء بها ، متطلبين لذلك من وجوهه الصحيحة راغبين فيه) فآتوهن أجورهن) أي عليه كاملة ، هي المهور) فريضة) أي حال كونها واجبة من الله ومسماة مقدرة قدرتموها على أنفسكم ، ويجوز كونه تأكيدا لآتوا بمصدر من معناه) ولا جناح) أي حرج وميل) عليكم فيما تراضيتم به) أي أنتم والأزواج) من بعد الفريضة) أي من طلاق أو فراق أو زيادة أو نقص إن كانت موجودة مقدرة ، أو من مهر المثل من بعد تقديره إن لم تكن مسماة فيمت عقد عليها من غير تسمية صداق .." (١)

" صفحة رقم ٦٢

) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفين (ولا ريب في أن زمان الكل يكن متحداإلا بتأويل جميع ألايام المتعلقة بالوقعة من سير وقتال وغير ذلك – والله اعلم ، وعبر في قصة نوح عليه السلام ب

٧٧ ( ) أرسلنا نوحا إلقومه ( ) ٧

[الأعراف : ٥٩] **ثم نسق من** بعده عليه فقيل :

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٢٣٤

٧٧ ( ) وإلى مدين أخاهم هودا ( ) ٧

[الأعراف : ٦٥]

٧٧ ( ) وإلى ثمود أخاهم صالحا ( ) ٧

[الأعراف : ٧٣]

٧٧ ( ) وإلى مدين أخاهم شعيبا ( ) ٧

[الأعراف : ٨٥] وعدل عن هذا السلوب في قصة لوط فلم يقل : وإلى أهل أدوما أخاهم لوطا ، أو إلى أهل سدوم لوطا أو وأرسلنا لوطا إلى قومه ونحو ذلك كما سيأتي في قصة موسعليه السلام ، لأن من أعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) ، في مخالفة قومه له من العذاب ، وقصص من عدا قوم لوطفزائده عن ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن **ذلك** **النسق تنبيها** عليه تهويلا للامر وتبشيعا له ، ليكون في التسلية أشد ، وفي استدعاء الحمد والشكر أتم ، وحينئذ يترجح أن يكون العامل) اذكر (لا) أرسلنا) أي وأذكر لوطا وما حصل عليه من قومه زيادة على شركهم من رؤيته فيهم هذا الأمر الذي لم يبق للشناعة موضعا ، فالقصة في الحقيقة تسلية وتذكير بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال وإنذارلهم سوء المآل مع ما شاركت فيه اخواتها من الدلالة على سوء جبلة هواء جلبة هؤلاء القوم وشرارة جوهرهم المقتضى لتفردهم عن اهل الأرض بذلك الأمر الفاحش ، والدليل على انه اشنع الشنع بعد الشرك – مع ما جعل الله تعالى في كل طبع سليم من النفرة عنه – اختصاصه بمشاركته للشرك في أنه لم يحل في ملة من الملل في وقت من الوقات ولا مع وصف من الأوصاف ، وبقية المحرمات ليست كذلك ، فأما قتل النفوس فقد حل في القصاص والجهاد وغير ذلك ، والوطء في القبل لم يحرم إلا بقيد كونه بالباطل – وكذا غير ذلك ؛ قال أبو حيان : ولما الأصل فيه الحل ، وما حرم إلا بقيد كونه زنى ، ولولا الوصف الحل ، واكل المال الأصل فيه الحل ، وما حرم إلا بقيد الباطل – وكذا غير ذلك ؛ قال أبو حيان : ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه ومركوزا في العقول فحشه ، أتى معفا – أي في قوله بعد إنكاره عليهم وتقريعه وتوبيخهلهم : (أتأتون الفاحشة (أتفعلون السيئة المتمادية في القبح وإن كان بينكم وبينها مسافة بعيدة – أو تكون (أل) فيه للجنس على سبيل المبالغة ، كأنه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد التام ، وذلك بخلاف الزنى فإنه قال فيه

٧٧ ( ) ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة ( ) ٧

[الإسراء : ٣٢] ولما كان غير مستبعد على صفاته وجوههم ووقاحتهم ان يقولون : لم تكون فعلتنا." [١]

" صفحة رقم ٦٥

[البقرة : ١٣١] اوائل امرهم ، وهذا كما سومت الحجارة لقريش – لما اجمعوا أن يرجعوا بعد توجههم عمن غزوة أحد من الطريق – ليفرغوا من النبي (صلى الله عليه وسلم) واصحابه على زعمهم ، كما قال (صلى الله عليه وسلم) (والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ، ولو رجعوا لكانوا كامس الذاهب) ولكنه (صلى الله عليه وسلم) لما كان رسول رحمة لم يقض الله برجوعهم فمضوا حتى اسلم بعد ذلك كثير منهم ، وكما أمطر الله الحجارة على أصحاب الفيل سنة مولده (صلى الله عليه وسلم) حماية لبلده ببركته .

ولما انقضت هذه القصة العجيبة في القصص ، **أعاد النسق الول** فقال) وإلى مدين) أي ارسلنا وهي بلد ، وقيل فبيلة من اولاد مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام) أخاهم) أي من النسب ، وبينه بقوله : (شعيبا (وهوموصوف بأنه خطيب الأنبياءعليهم السلام لحسن مراجعة قومه ؛ ثم استأنف قوله على **ذلك النسق** : (قال ياقوم (دالا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة ، وبدأ بالصل المعتبر في جميع الشرائع المأثورة عن الأنبياء عليهم السلام فقال : (اعبدوا الله) أي الذي يستحق العبادة لذاته بما له من السماء الحسنى والصفات العلى ولما كان المراد إفراد بالعبادة لأنه لا يقبل الشرك لأنهغني ، علل ذلك بقوله : (ما لكم (وأغرق في النفي بقوله : (قد جاءتكم) أي على يدي صحة دعواه في نفسها وصدقة في دعوى الرسالة بقوله : (قد جاءتكم) أي على يدي) بينه (ولما كنا عالمين من قوله النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنهما (من الأنبياء نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أن هذه البينة معجزة ، مثلها كاف في صحة الدعوى ولم تدع ضرورة إلى ذكرها لنا ، لو تعن ؛ ثم زادهم ترغيبا بقوله : (من ربكم) أي الذي لم تروا إحسانا إلا منه ولما كا ن إتيانه بالبينات سببا لوجوب امتثال أمره ، قال مسببا عنه : (فأوفوا الكيل) أي و المكيال والوزن) والميزان) أي ابذلوا ما تعطون بهما وافيا فالآية من الاحتباك ، وكان المحكي عنه هنا من اوئل قوله لهم فترك التاكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط ولما كان الأمر بالوفاء يتضمن النهي عن البخس ، صريح به على وجه يعم غيره." [٢]

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٢/٣

(٢) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٥/٣

" صفحة رقم ١٧٣

وهذا الفرق بين من يعبد بحق ومن يعبد بباطل ليرجعوا عن غيهم وعنادهم ، فقال مبينا أنهم ليسوا في شيء من صفاته مصرحا بنفي النصرة التي أثبتها له عنهم مع المواجهة بالخطاب الذي هو أفظع في الجواب : (والذين تدعون) أي تديمون دعاءهم) من دونه (- فإنهم يدعونه سبحانه في بعض الأوقات - أوتدعونهم تاركين له) لا يستطيعون نصركم) أي بوجه من وجوه النصرة بدليل عجزكم عني وأنا وحدي وأنتم أهل الأرض) ولا أنفسهم ينصرون (بدليل أن الكلب يبول عليهم فلا يمنعونه .

ولما كان دعاء الجماعة أقرب إلى السماع من دعاء الواحد ، **نسق على** ما قبله قوله : (وإن تدعوهم) أي يا من هم أضل منهم وأعجز) إلى الهدى) أي إلى الذي هو أشرف الخلال ليهتدوا في نصر أنفسهم بالنسبة إلى كل أحد على حد سواء ، قال مفردا للمخاطب : (وتراهم) أي أيها الناظر إليهم) ينظرون إليك) أي نوعا من الإبصار ، وما أشبه مضمون هذه الآيات بما في سفر أنبياء بني إسرائيل في نبوة أشعيا : هكذا يقول الرب ملك إسرائيل ومخلصه : أنا الأول وأنا الآخر ، وليس إله غيري .

ومن مثلي يدعي ويظهر قوته ويخبر بما كان منذ بسطت الدنيا إلى الأبد ، والآيات القديمة تظهر للشعوب ، فلا يفزعون ولا يخافون ، ألم أسمعكم منذ أول الدهر وأظهرها لكم وأبين لكم الأمور وأنتم شهدائي أن ليس إله غيري ، وليس في أعمالهم منفعة ، وأن الصناع الذين يعلمونها هم يشهدون عليها أنها لا تبصر ولا تسمع ولا تعلم ، لذلك يخزي جميع صناع الأوثان المسبوكة لأن جميع ما صنعوا لا عقل له ، فيجمعون كلهم وبخزون ويفتضحون لأن النجار نجت بحديده وهيأ صنما بمنقاره وسدده بقوة ساعده وجاع وعطش في عمله والنجار اختار خشبة وقدرها وألصق بعضها ببعض بالغراء وركبها وعملها كشبة الإنسان ، أقام من الخشب الذي قطع من الغيضة كشبه رجل الذي نبت من شرب المطر ليصير للناس للوقود فعملوه لهم إلها وعبدوه وسجدوا له ، الذي ينصفه خبزوا لهم خبزا وشووا لهم لحما على جمرة وأكلوا وشربوا واصطلوا وقالوا : قد حمينا لأنا قد أوقدنا نارا واصطلينا ، والذي بقي منه اتخذوه إلها منحوتا وسجدوا له وصلوا وقالوا : نجنا لأنك إلهنا .

ولم يخطر على بالهم فكر أن يقولوا : إنا قد أقدنا نصفه بالنار ، وخبزنا خبزنا وشوينا على جمره اللحم وأكلنا ، ولم يعلموا أن باقيه عمل منه صنم وسجدوا له ، لأن قلوبهم متمرغة في رماده ، وضلت عقولهم فلا يقدرون ينجون أنفسهم ولا يقولون :." (١)

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٧٣/٣

ولما كان سرورهم به – مع ما هو عليه من الجمال والهيبة والجلال – مقتضيا لأن ينافسوا في أمره ويغالوا بثمنه ، أخبر تعالى أنهم لم يفعلوا ذلك ليعلم أن جميع أموره **على نسق واحد** في خرقها للعوائد فقال : (وشروه) أي تمادي السيارة ولجوا في إسرارهم أياه بضاعة حتى باعوه من العزيز ، ولمعنى التمادي عبر ب (شرى) دون (باع) ، ويمكن أن يكون (شرى) بمعنى اشترى ، أي واشتراه السيارة من إخوته) بثمن (وهو البدل من الذهب أو الفضة ، وقد يقال على غيره تشبيها به) بخس) أي قليل ، ومادة (شرى) – يائية بتقاليبها الثلاثة : شرى ، وشير ، وريش ، وواويه بتراكيبها الستة : شور ، وشرو ، ووشر ، وورش ، ورشو ، وروش ، ومهموزة بتراكيبها الثلاثة : أرش ، وأشر ، ورشأ – تدور على اللجاجة ، وهي التمادي في الانتشار ، ويلزمه تبيين ذلك الأمر ، ويلزمها القوة تارة والضعف أخرى ، فمن مطلقة : شريت الشيء ، بمعنى ملكته بالبيع ، وشريته ، بمعنى : أزلت ملكي عنه به ، وكذا اشتريت فيهما ، والاسم الشراء بالمد ويقصر ، فحصل التمادي والانتشار تارة بالإزالة وتارة بالتحصيل ، وكل من ترك شيئا وتمسك بغيره فقد اشتراه ، وشاراه مشاراه : بايعه ، وشروى الشيء : مثله واوه مبدلة من ياء كأنه مأخوذ من بدل المبيع لأنه يتحرى فيه المماثلة ، وهو أوسع مما لم يوجد له مثل ، وشرى البرق : استطار ، وزيد : غضب ولج حتى استطار غضبا ، والفرس في سيره : بالغ ، واشتسرى الرجل : لج ، والبرق : لمع ، والمشاراة : الملاحة والمجادلة والمبايعة ، والشرية – كغنية : الطريقة والطبيعة ، وكأن هذا أصل المعنى الذي عنه تفرعت أغصانه ، لأن الطبع مظنة الدجاج ، وشرى الثوب واللحم والإقط : شره ، أي وضعها على خصفة أو غيرها منشورة لتجف ، وشرى فلانا : سخر به أو أرغمه ، كأنه تمادى معه حتى قهره ، وشرى بنفسه عن القوم : تقدم بين أيديدهم فقاتل عنهم ، أو إلى السلطان فتكلم عنهم ، والشرى – كعلي : الجبل – لانتشاره علوا ، والطريق – للانتشار فيه ، وطريق بسلمى كثيرة الأسد ، وجبل بتهامه كثير السباع – لانتشارها فيه أو لأن الساتر فيه أقوى الناس وألجهم ، وجبل بنجد لطيىء ، والناحية ، ويمد ، وأشراه : ملاه ، وأماله – لما يلزم من انتشار ما فيه ، وأشرى الجمل : تفلقت عقيقته ، أي صوفه ، وبينهم : أغرى ، وشرى البعير في سيره ؛ أسرع ، وشرى الفرس في لجامه – إذا جذبه ، والشرية كغنية : من النساء اللاتي يلدن الإناث ، كأنها تمادت في الميل مع طبعها : الأنوثة ، فلجت فيه ، أو هو راجع إلى الضعف اللازم للحاجة ، والمشتري : نجم لتلألؤه ، وطائر – للمعه بجناحه وانتشاره ، واشرورى : اضطرب ، وشرى زمام الناقة : كثر اضطرابه

، هو من الانتشار ومن الضعف ، واستشرت الأمور : تفاقمت وعظمت ، وشرى جلده : أصابه بثور صغار." (١)

" صفحة رقم ١٢٢

للاستواء عل العرش بعد أن أشار إلعظمة هذا الخبر بما في صلة الموصول من الأوصاف العظيمة : (يدبر الأمر) أي في المعاش والمعاد وما ينظمهما بأن يفعل فيه فعل من ينظر في أدباره وعواقبه ليأتي محكما يجل عن أن يرام بنقيض ، بل هو بالحقيقة الذي يعلم أدبار الأمور وعواقبها ، ولا يشغله شأن عن شأن ، مع أن هذا العالم – من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى – محتو عل أجناس وأنواع وفصول وأصناف وأشخاص لا يحيط بها سواه ، وذلك دال قطعا عل أنه سبحانه في ذاته وصفاته متعال عن مشابهة المحدثات واحد أحد صمد ليس له كفوا أحد .

ولما كان هذا بيانا عظيما لا لبس فيه ، قال) يفصل الآيات) أي التي برز إلى الوجود تدبيرها ، الدالة على وحدانيته وكمال حكمته ، المشتملة عليها مبدعاته ، فيفرقها ويباين بينها مباينة لا لبس فيها ، تقريبا لعقولكم وتدريبا لفهومكم ، لتعلموا أنها فعل الواحد المختار ، لا فعل الطبائع ولا غيرها من الأسباب التي أبدعها ، وإلا فكانت **على نسق واحد** ، وجمعها لما تقدم من الإشارة إلى كثرتها بقوله : (ق (وكأين من آية في السموات والأرض (فكأن هذه الألف واللام لذلك المنكر هناك .

ولما كان التدبير وهذا التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة ، وكان البعث لفصل القضاء والحكم بالعدل وإظهار العظمة هو محط الحكمة ، علل بقوله : (لعلكم بلقاء ربكم) أي لتكون حالكم حال من يرجى له بما ينظر من الدلالات الإيقان بلقاء الموجد له المحسن إليه بجميع ما يحتاجه التربية) توقنون) أي تعلمون ذلك من غير شك استدلالا بالقدرة على ابتداء الخلق على القدرة على ما جرت العادة بأنه أهون من الابتداء وهو الإعادة ، وأنه لا تتم الحكمة إلا بذلك .

الرعد : (٣ – ٤) وهو الذي مد. .. . . .

) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بمآء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (( )

ولما انقضى ما أراد من آيات السماوات ، ثنى بما فيما ثنى به في آية يوسف من الدلالات فقال : (وهو

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٠/٤

) أي وحده) الذي مد الأرض (ولو شاء لجعلها كالجدار أو الأزج لا يستطاع القرار عليها ، وهذا لا ينافي أن تكون كرية ، لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح ، كما أن الجبال أوتاد والحيوان يستقر عليها) وجعل فيها (جبالا مع شهوقها) رواسي) أي ثوابت ، واحدها راسية أي ثابتة باقية في حيزها." (١)

" صفحة رقم ٢٧٤

من العدو يكون عن ظن عدم قدرته عليه ، علل ذلك بقوله تعالى : (فما هم بمعجزين) أي في حالة من هذه الأحوال ، سواء علينا غفلتهم ويقظتهم ، ولم يعلل ما بعده بذلك لأن المتخوف مجوز للعجز ، فقال تعالى : (أو يأخذهم) أي الله أخذ غضب) على تخوف (منهم من العذاب وتحفظ من أن يقع بهم ما وقع بمن قبلهم من عذاب الاستئصال ، ويجوز أن يراد بما مضى عذاب الاستئصال ، وبهذا الأخذ شيئا فشيئا ، فإن التخوف التنقص عند هذيل ، روي أن عمر رضي الله عنه سأل الناس عنها فسكتوا فأجابه شيخ من هذيل بأنه التنقص ، فقال عمر رضي الله عنه : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ قال : نعم قال شاعرنا أبو كثير الهذلي يصف ناقة :

رحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

رضي الله عنه : أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل ، قالوا : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم .

ولما كان التقدير : لم يأمنوا ذلك في نفس الأمر ، ولكن جهلهم بالله – لطول أناته وحلمه – غرهم سبب عنه قوله التفاتا إلى الخطاب استعطافا : (فإن ربكم) أي المحسن إإليكم بإهلاك من يريد وإبقاء من يريد) لرءوف) أي بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بنوع وسيلة ، وكذا لمن قاطعه أتم مقاطعة ، وإليه أشار بقوله تعالى : (رحيم) أي فتسبب عن إمهاله لهم في كفرهم وطغيانهم مع القدرة عليهم العلم بأن تركه لمعاجلتهم ما هو إلا لرأفته ورحمته .

ولما خوفهم ، دل على تمام قدرته على ذلك وغيره بقوله : عاطفا على ما تقديره : أو لم يروا إلى عجزهم عما يريدون وقسره لهم على ما لا يريدون ، فيعلموا بذلك قدرته وعجزهم ، فيعلموا أن عفوه عن جرائمهم إحسان منه إليهم ولطف بهم : (أولم (ولما كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا ، أعرض عنهم في قراءة الجماعة تخوفا فقال تعالى : (يروا (بالياء التحتية ، وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب **على نسق ما** قبله ،

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/١٢٢

أي ينظروا بعيون الأبصار متفكرين بالبصائر ، وبين بعدهم عن المعارف الإلهية بحرف الغاية فقال تعالى : (إلى ما خلق الله) أي الذي له جميع الأمر) من شيء) أي له ظل) يتفيؤا) أي تترجع إلى جهة الشاخص) ظلاله (وهو ما ستره الشاخص عن الشمس متجاوزة له) عن اليمين (وهي ما على يمين المستدير للشمال ، المستقبل للجنوب ، الذي هو ناحية الكعبة لمن في بلاد الشام التي هي مسكن الأنبياء عليهم السلام ، وأفراد لأن الظل يكون أول ما تشرق الشمس مستقيما إلى تلك الجهة على استواء ، وجمع في قوله : (والشمائل (لأن الشمس كلما ارتفعت تحول ذلك الظل راجعا إلى جهة ما وراء الشاخص ، ولا يزال كذلك إلى أن ينتصب عند الغروب إلى جهة يساره قصدا على ضد." (١)

" صفحة رقم ٢٩٥

بالجار فقال) من دونه) أي بعد ما قام من الدليل على أنه الإله وحده من الحثيثات التي تقدمت) آلهة (المتحدون مشاهدون لأنهم كما قال تعالى : (لا يخلقون شيئا) أي لا أعجز منهم ، لا يكون منهم إيجاد شيء ، فيهم دون من عبدهم .

ولما كانت ربما ادعى أنهم مع ذلك غير مخلوقين قال : (وهم يخلقون) أي بما يشاهد فيهم من التغير والطواعية لمشيئته سبحانه ، ومن غير ذلك أن عبدتهم افتعلوهم بالنحت والتصوير .

ولما قرر أنه أنعم على كل شيء ، وكانت النعم أكثر وجودا ، وكان أدنى نعمة على الشيء خلقه سبحانه له ، أخبر أن ذلك الغير لا يقدر على ضر نفسه ولا بالإعدام ، فقال معبرا بأداة العقلاء تهكما بعابديهم حيث أقاموهم في ذلك المقام ، أو تغليبا لأنهم عبدوا الملائكة وعزيزا والمسيح عليهم السلام : (ولا يملكون) أي لا يتجدد لهم بوجه من الوججوه أن يملكوا) لأنفسهم ضرا (ولذلك قدمه ، ونكره ليعم .

فلما ثبت بذلك أنهم خلقه ، ولكن كان ربما قال متعنت : إنهم يملكن ذلك ولكنهم يتركنه عمدا ، لأن أحدا لا يريد ضر نفسه ، قال : (ولا نفعا (اي ولو بالبقاء على حالة واحدة ، وعبدتهم يقدرون على ما أراد الله م ذلك على وجه الكسب ، فهم أعلى منهم وعبادة الأعلى لمن دونه ليست من أفعال العقلاء .

ولما كان الموت والحياة ما ليس لغيرهما من عظيم الشأن ، أعاد العامل فقال : (ولا يملكون (وقدم الموت لأن الحياة أكثر ، فقال مبتدئا بما هو من باب الضر على نسق م قبله : (موتا) أي لأنفسهم ولا لغيرهم) ولا حياة) أي من العدم) ولا نشورا (اي إعادة لما طوي من الحياة بالموت ، وعطفها بالواو وإن كان بعضها مسببا عما قبله إشارة إلى أن كل واحدة منها كافية في سلب الإلهية عنهم بما ثبت من

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧٤/٤

العجز .

الفرقان : (٤ – ٨) وقال الذين كفروا. .. . .

) وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جآءوا ظلما وزورا وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا (( )

ولما وصف منزل الفرقان بما لا يحيط به علم أحد غيره من الشؤون ، فاتضح بذلك إعجاز المنزل الذي أبام ذلك ، وهو هذا القرآن ، وأنه وحده الفرقان ، عجب من حالا لمكذبين بهه فقال موضع) وقالوا (: (وقال الذين كفروا (مظهرا الوصف الذي." [1]

" صفحة رقم ٤٢٥

على طريق الملاطفة .

) فناظرة (عقب ذلك وبسببه) بم) أي بأي شيء) يرجع المرسلون (بتلك الهدية عنه من المقال أو الحال ، فنعمل بعد ذلك على حسب ما نراه من أمره ، فنكون قد سلمنا من خطر الإقدام على ما لم نعرف عاقبته ، ولم يضرنا ما فعلنا شيئا .

ولما كان التقدير / فأرسلت بالهدية ، وهي فيما يقال خمسمائة غلام مرد ، زينتهم بزي الجواري ، وأمرتهم بتأنيث الكلام ، وخمسمائة جارية في زي الغلمان ، وأمر لهم بتغليظ الكلام .

وجزعه معوجة الثقب ، ودرة غير مثقوبة – وغير ذلك ، وسألته أن يميز بين الغلمان والجواري ، وأن يثقب الدرة ، وأن يدخل في الجزعة خيطا ، فأمرهم بغسل الوجوه والأيدي ، فكانت الجارية تأخذ الماء بإحدى يديها ثم تنقله إلى الأخرى ثم تضرب الوجه وتصب الماء على باطن ساعدها صبا ، وكان الغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه ويصب الماء على ظهر الساعد ويحدره على يديه حدرا ، وأمر الأرضة فثقبت الدرة ، والدودة فأدخلت السلك في الثقب المعوج ، رتب عليه قوله مشيرا بالفاء إلى سرعة الإرسال : (فلما جاء) أي الرسول الذي بعثته وارسلته ، والمراد به الجنس ؛ قال أبو حيان : وهو يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث .

) سليمان (فدفع إليه ذلك) قال (اي سليمان عليه السلام للرسول ولمن في خدمته استصغارا لما معه :

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٩٥/٥

(أتمدونن) أي أنت ومن معك ومن أرسلك) بمال (وإنما قصدي لكم لأجل الدين ، تحقيرا لأمر الدنيا وإعلاما بأنه لا التفات له نحوها بوجه ، ولا يرضيه شيء دون طاعة الله .

ثم سبب عنه ما أوجب له استصغارا ما معه فقال : (فما آتان الله (اي الملك الأعظم الذي له جميع الكمال من المال والجلال بالنبوة والملك والقب منه سبحانه ، وهو الذي يغني مطيعه عن كل ما سواه ، فمهما سأله أعطاه ، وذلك أنه صف الشياطين والإنس والسباع والوحش والطير والهوام صفوفا فراسخ عدة ، وبسط المكان كله بلبن الذهب إلى غير ذلك مما يليق به) خير ما آتاكم (اي من الملك الذي لا نبوة فيه ، ولا تأييد من الله .

ولما كان التقدير : ولكنكم لا تعلمون أن هديتكم مما يزهد فيه لتقيدكم بظاهر من الحياة الدنيا ، **نسق عليه** قوله : (بل أنتم (اي بجهلكم لذلك تستعظمون ما أنتم فيه ، فأنتم) بهديتكم تفرحون (بتجويزكم أن الدنيا تردني عنكم لأنها غاية قصدي ، ويجوز أن يراد أنكم تفرحون بما يهدي إليكم فتتركون من كنتم تريدون غزوة لأجل ما آتاكم منه من الدنيا ، فحالي خلاف حالكم ، فإنه لا يرضيني إلا الدين .

ثم افرد الرسول إرادة لكبيرهم بقوله : (ارجع (وجمع في قوله : (إليهم (إكراما لنفسه ، وصيانه لاسمها عن." (١)

" صفحة رقم ٥٣٦

لحمه بأمشاط الحديد ما يرده ذلك عن دينه ، ومن رؤوسهم صاحب أكثر السورة الماضية موسى عليه الصلاة والسلام ، ففي قصته حديث طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما يقال له حديث الفتون وهو في مسند أبي يعلى ، ومن آخر ما ابتلى به أمر قارون وأتباعه .

ولما كان الامتحان سببا لكشف مخبآت الإنسان بل الحيوان ، فيكرم عنده أو يهان ، وأرشد السياق إلى أن المعنى : فلنفتنهم ، **نسق به** قوله : (فليعلمن الله (اي الذي له الكمال كله ، بفتنة خلقه ، علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا ، ويظهره لعباده ولو بولغ في ستره ، وعبر بالاسم الأعظم الدال على جميع صفاتالكمال التفاتا عن مظهر العظمة إلى أعظم منه تنبيها للناقصين وهم أكثر الناس على أنه منزه عن كل لا يطلع عليه أحد) الذين صدقوا (في دعواهم الإيمان ولو كانوا في أدنى مراتب الصدق ، وليعلمن الصادقين ، وهم الصابرون الدين يقولون عند البلاء) هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (فيكون أحدهم عند الرخاء برا شكورا ، وعند البلاء حرا صبورا ، وليعلمن الذين كذبوا في دعواهم) وليعملن الكاذبين

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٤٢٥

) أي الراسخين في الكذب الذين يعبدون على حرف ، فإن اصابهم خير اطمأنوا به وإن أصابيهم فتنة انقليوا على وجوههم ، فظنوا ، فيكون لكل من الجزاء على حسب ما كشف منه البلاء ، والتعبير بالمضارع لتحقق الاختبار ، على تجدد الأعصار ، لجمعي الأخبار والأشرار ، فمن لم يجاهد نفسه عند الفتنة فيطيع في السراء والضراء كان من الكافرين فكان في جهنم) أليس في جهنم مثوى للكافرين (ومن جاهد كان من المحسنين ، والآية من الاحتباك : دل بالذين صدقوا على الذين كذبوا ، وبالكاذبين على الصادقين ، ذكر الفعل أولا دليلا على تقدير ضده ثانيا ، والاسم ثانيا دليلا على حذف ضده أولا .

ولما أثبت سبحانه بهذا علمه الشامل وقدرته التامة الدنيا ، عادله بما يستلزم مثل ذلك في الآخرة ، فكان حاصل ما مضى من الاستفهامك أحسب الناس أنا لا نقدر عليهم ولا نعلم أحوالهم في الدنيا أم حسبوا أنم ذلك لا يكون في الأخرى ، فيذهب ظلمهم في الدنيا وتركهم لأمر الله وتكبرهم على عبادة مجانا ، فيكون خلقنا لهم عبثا لا حكمة فيه ، بل الحكمة في تركه ، وهذا الثاني هو معنى قوله منكرا أم حسب ، أو يكون المعنى أنه لما أنكر على الناس عموما ظنهم الإهمال ، علم أن أهل السيئات أولى بهذا الحكم ، فكان الإنكار عليهم أشد ، فعادل الهمزة بأم في السياق الإنكار كما عادلها بها في قوله :

٧٧ ( ) أتخذتم عند الله عهدا ( ) ٧

[البقرة : ٨٠] الآية ، فقال : (أم حسب) أي ظن ظنا يمشي له ويستمر عليه ، فلا يبين له جهله فيه بأمر يحسبه فلا يشتبه عليه بوجه) الذين." (١)

" صفحة رقم ٥٤٧

العنكبوت : (١٨ - ٢٣) وإن تكذبوا فقد. .. . .

) وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبديء الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير يعذب من يشآء ويرحم من يشآء وإليه تقلبون ومآ أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السمآء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقآئه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم (( )

ولماكان التقدير : فإن تصدقوا فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، عطف عليه قوله : (وإن تكذبوا (والذي دلنا على هذا المحذوف هذه الواو العاطفة على غير معطوف معروف) فقد) أي فيكفيكم في الوعظ

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٣٦

والتهديد معرفتكم بأنه)كذب أمم (في الأزمان الكائنة) من قبلكم (كثيرة ، كعاد وثمود وقم نوح وغيرهم ، فجرى الامر فيهم عل سنن واحد لم يختلف قط في نجاة والمطيع للرسول وهلاك العاصي له ، ولم يضر ذلك بالرسول شيئا وما ضروا به إلا أنفسهم) وما على الرسول (ان يقهركم بحيث لايبقى فيه شك ، بإظهار المعجزة وإقامة الدلة على الوحدانية .

ولما كان التقدير ك الم تروا إلى مصارعهم ؟ واتساق الحال في أمرهم ؟ فيكفيكم ذلك زاجرا ، عطف عليه للدلالة على الرجوع غليه منكرا قوله : (أو لم يروا (بالخطاب في قراءة حمزة والكسائي وفي رواية عن أبي بكر عن عاصم جريا **على النسق السابق** ، وبالغيب للباقين ، إعراضا للإيذان بالغضب)كيف يبدىء الله (اي الذي له كل كمال) الخلق) أي يجدد إبداءه في كل لحظة ، وهو بالضم من أبدأ ، وقرىء بالفتح من بدأ ، وهما معا بمعنى الإنشاء من العدم ؛ قال القزاز : أبدأت الشيء ابدئه إبداء - إذا أنشأته ، والله المبدىء أي الذي بدأ الخلق ، يقال : بدأهم وأبدأهم ، وفي القاموس : بدأ الله الخلق : خلقهم كأبدأ .

ورؤيتهم للإبداء موجودة في الحيوان للإبداء والإعادة في النبات ، ولا فرق في الإعادة بين شيء وشيء فيكون قوله -) ثم يعيده (اي يجدد إعادته في كل لمحة - معطوفا على) يبدىء (ولو لم يكن كذلك لكان عطفه عليه من حيث إن مشاهدة حال الابتداء جعلت مشاهدة لحال الإعادة من حيث إنه لا فرق ، ولا حاجة حينئذ إلى تكلف عطفه على الجملة من أولها .

ثم حقر أمره بالنسبة إلى عظيم قدرته ، فقال ذاكرا نتيجة الأمر السابق : (إن ذلك) أي الإبداء والإعادة ، وأكد لأجل إنكارهم) على الله يسير (لأنه الجامع لكل كمال ، المنزه عن كل شائبة نقص .

ولما ساق العزيزالجليل هذا الدليل ، عما حاج به قومه الخليل ، انتهزت الفرصة." (١)

" صفحة رقم ٥٥٨

ولما كان مقصود السورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير فترة ، عبر بالفاء فقال : (فقال) أي فتسبب عن إرساله وتعقبه أن قال : (يا قوم اعبدوا الله) أي الملك الأعلى وحده ، ولا تشركوا به شيئان فإن العبادة التي فيها شرك عدم ، لأن الله تعالى أغنى الشركاء فهو لا يقبل إلا ما كان له خالصا .

ولما كان السياق لإقامة الأدلة على البعث الذي هو من مقاصد السورة قال : (وارجوا اليوم الآخر) أي حسن الجزاء فيه لتفعلوا ما يليق بذلك) ولا تعثوا في الأرض (حال كونكم) مفسدين) أي متعمدين

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٧/٥

الفساد .

ولماتسبب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم فتسبب عنه وتعقبه إهلاكهم ، تحقيقا لأن أهل السيئات لا يسبقون قالك) فكذبوه فأخذتهم) أي لذلك أخذ قهر وغلبة) الرجفة) أي الصيحة التي زلزلت بهم فأهلكتهم) فأصبحوا في دراهم) أي محالهم التي كانت دائرة بهم وكانوا يدورون فيها) جاثمين) أي واقعين على صدورهم ، لازمين مكانا واحدا ، لا يقدرون على حركة أصلا ، لأنه لا أرواح لهم .

ولما كان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الأمم بعضا في الخير والشر **على نسق** ، والجري بهم في إهلاك المكذبين وإنجاء المصدقين طبقا عن طبق ، وكان إهلاك عاد وثمود – لما اشتهروا به من قوة الأبدان ، ومتانة الأركان – في غاية الغرابة ، وكان معنى ختام قصة مدين : فأهلكناهم ، عطف عليه على ذلك المعنى قوله : (وعادا) أي وأهلكنا ايضا عادا) وثمودا (مع ما كانوا فيه من العتو ، والتكبر والعلو) وقد تبين لكم) أي ظهر بنفسه غاية الظهور أيها العرب أمرهم) من مساكنهم) أي ما وصف من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة الأجسام ، وسعة الأحلام ، وعلو الاهتمام ، وثقوب الأذهان ، وعظيم الشأن ، عند مروركم بتلك المساكن ، ونظركم إليها في ضربكم في التجارة إلى الشام ، فصرفوا أفكارهم في الإقبال على الاستمتاع بالعرض الفاني من هذه الدنيا ، فأملوا بعيدا ، وبنوا شديدا ، ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيئا من أمر الله) وزين لهم (في غاية التزيين) الشيطان (اي بعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ، بقوة احتياله ، ومحبوب ضلاله ومحاله) أعمالهم) أي الفاسدة ، فأقبلوا بكليتهم عليها مع العدو المبين ، وأعرضوا عن الهداة الناصحين .

ولما تسبب عن هذا التزيين منعهم لعماهم عن الصراط المستقيم قال : (فصدهم عن السبيل) أي منعهم عن سلوك الطريق الذي لا لا طريق إلا هو ، لكونه يوصل إلى النجاة ، وغيره يوصل إلى الهلاك ، فهو عدم بل العدم خير منه .

ولما كان ذلك ربما ظن أنه لفرط غباوتهم قال : (وكانوا) أي فعل بهم الشيطان ما فعل من الإغواء والحال أنهم." (١)

" صفحة رقم ٦٠٦

الأخرى ، جزاء لهم بجنس عملهم ، فنهم كما أساؤوا الرسل ساءهم الملك ؛ ثم ذكر العلة بقوله : (ن كذبوا (اي لأجل تكذيبهم الرسل ، مستهينين) بآيات الله) أي الدلالات المنسوبة غلى الملك الأعلى

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٥٨

الذي له الكمال كله الدالة عليه على عظمها بعظمه) وكانوا) أي كونا كأنه جبلة لهم) بها (مع كونها أبعد شيء عن الهزء) يستهزئون) أي يستمرون على ذلك بتجديده في كل حين مع تعظيمه حتى كان استهزاؤهم بغيرها كأن عدم ، كما أنكم أنتم تكذبون بما وقع من الوعد في أمر الروم وتستهزئون به فاحذروا أن يحل بكم ما حل بالأولين ، ثم تردون إليه سبحانه فيعذبكم العذاب الأكبر ، ويجوز أن يكون هذا بدلاص من (السوأى) أو بيانا لها بمعنى أنهم لما أساؤوا زادتهم إساءتهم عماوة حتى ارتكسوا في العمى فوصلوا إلى التكذيب والاستهزاء الذي هو أقبح الحالات ، عكس ما يجازي به المؤمن من أنه يزداد بإيمانه هدى .

ولما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه وتعالى قادر على الإعادة كما قدر على الابتداءن وكان للتصريح مع النفس حالة ليست لغيره ، قال ذاكرا نتيجة ما مضى ومحصله تصريحا بالمقصود وتلخيصا للدليل : (الله) أي المحيط علما وقدرة) يبدؤا الخلق) أي بدا منه ما رأيتم وهو يجدد في كل حين ما يريد من ذلك كما تشاهدون) ثم يعيده (بعد ما يبيده ، وترك توكيده إشارة إلىأنه غني عنه لأنه من القضايا المسلمة أن من اخترع شيئا كان لا محالة قادرا على إعادته .

ولما كان الجزاء امرا مهولا ، أشار إليه بأداة التراخي فقال : (ثم إليه) أي لا إلى غيره) ترجعون (معنى في أموركم كلها في الدنيا وإن كنتم لقصور النظر تنسبونها إلى الأسباب ، وحسا بعد قيام الساعة ، وقراءةا لجماعة بالالتفات إلى الخطاب أبلغ لأنها أنص على المقصود ، وقرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء التحتانية على النسق الماضي .

ولما ذكر الرجوع ، أتبعه بعض أحوزاله فقال : (ويوم تقوم الساعة (سميت بذلك إشارة إلى عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلائق على ما فيهم من العظماء وزالكبراء والرؤساء) يبلس (اي يسكت ويسكن يأسا وتحيرا على غاية الذل – بما أشار إليه تذكير الفعل امع التجدد والاستمرار بما أومأ إليه المضارع) المجرمون (الذين وصلوا من الدنيا ما من حقه أن يقطع لفنائه ، وقطعوا من أسباب الآخرة مامن حقه أن يوصل لبقائه ، وكانوا في غاية اللبس في الجدل ومعرفة كل ما يغيظ الخصم من القول والفعل والتمايل والتضاحك عند سكوت الخصم تعجبا من جريانهم في هذيانهم سرورا منهم بإسكاته ليظن بعض من رآه أنه انقطع وأن الحجة لهم .." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٦٠٦

" صفحة رقم ٢٤٨

سبيل إلى استقامته ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فإنه ليس عليك إلا الإنذار ، إن الله عليم بما يصنعون ، فمن علم منه هذه الخشية أقبل به ، ومن علم منه القساوة رده على عقبه بما حال دونه من الغشاوة - والله الموفق .

ولما دل السياق على أن هذا نفع نفسه ، تشوف السامع إلى معرفة جزائه ، فقال مفردا الضمير على النسق الماضي في مراعاة لفظ (من) دلالة على قلة هذا الصنف من الناس بأجمعهم في هذه السورة الجامعة بكونها قلبا لما تفرق في غيرها : (فبشره) أي بسبب خشيته بالغيب) بمغفرة) أي لذنوبه وإن عظمت وإن تكررت مواقعته لها وتوبته منها ، فإن ذلك لا يمنع الاتصاف بالخشية .

ولما حصل العلم بمحو الذنوب عينها وأثرها قال : (وأجر كريم) أي دار عظيم هنيء لذيذ متواصل ، لا كدر فيه بوجه .

يس : (١٢ - ١٦) إنا نحن نحيي. .. . . .

) إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون إذ أرسلنآ إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنآ إليكم مرسلون قالوا مآ أنتم إلا بشر مثلنا ومآ أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنآ إليكم لمرسلون ( ))

ولما بين الأصل الثاني هو الرسالة واتبعها ثمرتها المختومة بالبشارة ، وكان الأصل الثالث في الإيمان - وهو البعث - سببا عظيما في الترقية إلى اعتقاد الوحدانية التي هي الأصل الأول ، وكان أكثر الخائفين مهه سبحانه مقترا عليهم في دنياهم منغضة عليهم حياتهم ، علل هذه البشارة إعلاما بأن هذا الأجر في هذه الدار بالملابس الباطنة الفاخرة من المعارف والسكينة والبركات والطمأنينة ، وبعد البعث بالملابس الطاهرة الزاهرة المسببة عن الملابس الدنيوية الباطنة الخفية من غير أهلها ، بشارة لهم ونذارة للقسم الذي قبلهم بقوله ، مقدما للبعث لما ذكر من فائدته ، لافتا القول إلى مظهر العظمة إيذانا بعظمة ههذ المقاصد وبأنه لا يحمي لهؤلاء الخلص مع قلتهم ومباينتهم للأولين مع كثرتهم إلا من له العظمة الباهرة : (إنا نحن) أي بما لنا من العظمة التي لا تضاهى) نحيي) أي بحسب التدريج الآن وجملة في الساعة) الموتى) أي كلهم حسا بالبعث ومعنى بالإنقاذ إذا أردنا من ظلم الإجمال) ما قدموا (من جميع أفعالهم وأحوالهم واقوالهم جملة عند نفخ الروح) وآثارهم) أي سنتهم التي تبقى من بعدهم صالح كانت أو غير صالحة ،

ونجازي كلا بما يستحق في الدار الآخرة التي الجزاء فيها لا ينقطع ، فلا أكرم منه إذا كان كريما .

ولما كان ذلك ربما أوهم الاقتصار هلى كتابة ما ذكر من أحوال الآدميين أو." (١)

" صفحة رقم ٢٧٥

يكسبون ولو نشآء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشآء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) ٧٣

( ) ٧١

ولما كان كأنه قبل : هل يحكم فبهم بعلمه أو يجري الأمر على قاعدة الدنيا في العمل بالبينة ، بين أنه على أظهر من قواعد الدنيا ، فقال مهولا لليوم على النسق الماضي في مظهر العظمة لأنه أيق بالتهويل : (اليوم نختم) أي بما لنا من عجيب القدرة المنشعبة من العظمة ، ولفت القول إلى الغيبة إيذانا بالإعراض لتناهي الغضب فقال : (على أفواههم) أي لاجترائهم على الكذب في الأخرى كما كان ديدنهم في الدنيا ، وكان الروغان والكذب والفساد إنما يكون باللسان المعرب عن القلب ، وأما بقية الجوارح فمهما خرق العادة بإقدارها على الكلام لم تنطق إلا بالحق ف‍لذلك قال : (وتكلمنا أيديهم) أي بما عملوا إقرارا عو أعظم شهادة) وتشهد أرجلهم) أي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة إقرار) بما كانوا) أي في الدنيا بجبلاتهم) يكسبون (فالآية من الاحتباك : أثبت الكلام للأيدي أولا لأنها كانت مباشرة دليلا على حذفه من حيز الأرجل ثانيا ، وأثبت الشهادة للأرجل ثانيا لأنها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيز الأرجل أولا ، وبقرينه أن قول المباشر إقرار وقول الحاضر شهادة ، روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال : يقول العبد : يا رب ألم تجرني من الظلم ، قال : فيقول : بلى ، فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام الكاتبين شهودا ، فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل .

وبالظاهر أن السر في الختم على فيه م‍نعه من أن يلغط حال شهادتها عليه لئلا يسمع قولها ، وكما هو دأب أهل العناد عند الخصام .

ولما أتم بضرب المثل وما بعده الدلالة على مضمون) إنما تنذر من اتبع الذكر (وما عللت به من إحياء

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٤٨/٦

الموتى ، ودل على ذلك بما تركه كالشمس ليس فيه لبس ، وزاد من بحو الفوائد وجميل العوائد ما ملأ الأكوان من موجبات الإيمان ، وذكر ما في فريقي المتبعين والممتنعين يوم البعث ، وختم بالحتم على الأفواه بعد البعث ، أتبعه آية الختم بالطمس والمسخ قبل الموت تهديدا عطفا على ما رجع إليه المعنى مما." (١)

" صفحة رقم ٣٨٤

ولما كان بيان ضخامة ملكه زكثرة هيبته وعزته مع زيادة أوبته لتحصل التأسية به في حسن ائتماره وانتهائه والتسلية بابتلائه مع ذلك من شرفه وبهائه ، أشار إلى كثرة الخيل جدا وزيادة محبته له وسرعة أوبته بقوله : (فقال (ولما كان اللائق بحاله والمعروف من فعاله أنه لا يؤثر على ذكر الله شيئا فلا يكاد أحد ممن شاهد ذلك يظن به ذلك بل يوجهون له في ذلك وجوها ويحملونه على محامل تليق بما يعرفونه من حال من الإقبال على الله والغنا عما سواه ، أكد قوله تواضعا لله تعالى ليعتقدوا أنه بشر يجوز عليه ما يجوز عليهم لولا عصمة الله : (إني (ولما كان الحب أمرا باطنا لا يظهر في شيء إلا بكثرة الاشتغال به ، وكان الاشتغال قد يكون لغير الحب أمرا باطنا لا يظهر في شيء إلا بقرائن قال اعترافا : (أحببت) أي أوجدت وأظهرت بما ظهر مني من الاشتغال بالخيل مقرونا ذلك بأدلة الود) حب الخير (وهو المال بل خلاصة المال وسبب كل خير دنيوي وأخروي (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) أظهرت ذلك بغاية الرغبة غافلا) عن ذكر ربي (المحسن إلي بهذه الخيل التي شغلتني وغيرها ، فلم أذكره بالصلاة التي كانت وظيفة الوقت وإن كان غرضي لما لكونه في طاعته ذكرا له .

ولم يزل ذلك بي) حتى توارت) أي الشمس المفهومة من (العشي)) بالحجاب (وهي الأرض التي حالت بيننا وبينها فصارت وراءها حقيقة .

ولما اشتد تشوف السامع إلى الفعل الذي أوجب له الوصف بأواب بعد سماع قوله في لومه نفسه ليجمع بين معرفة القول والفعل ، أجيب بقوله : (ردها) أي قال سليمان عليه السلام : ردوا) علي (الخيول التي شغلتني .

ولما كان التقدير : فردوها عليه ، **نسق به** قوله : (فطفق) أي أخذ يفعل ظافرا بمراده لازما له مصمما عليه وأصلا له معتمدا على الله يف التقوية على العدو لا على الأسباب التي من أعظمها الخيل مفارقا ما كان سبب ذهوله عن الذكر معرضا عما يمكن أن يتعلق به القلب متقربا به إلى الله تعالى كما يقترب في هذه الملة بالضحايا) مسحا) أي يوقع المسح - أي القطع - فيها بالسيف إيقاعا عظيما .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٧٥/٦

ولما كان السيف إنما يقع في جزء يسير من العضوين أدخل الباء فقال : (بالسوق) أي منها) والأعناق (يضربها ضربا بسيف ماض وساعد شديد وصنع سديد فيها من غير وقفة أصلا حتى كأنه يمسحه على ظاهر جلودها كما يقال : مسح علاوته ، أي ضرب عنقه – والله أعلم .." (١)

" صفحة رقم ٤١٨

عمن لا ينتبه عند التنبيه ، فضلا عمن يقاتل دون ذلك ، أجاب من كأنه قال : سبب عكوفهم على هذا الضلال الذي أوجب لهم قطعا الاختلاف بالفعل أو بالقوة ، فقال مؤكدا تكذيبا لمن ينكر ما تضمنه هذا الإخبار وإن ظهر لبعض وإنما هي استدراج .

ولما أرشد السياق إلى أن المعنى : لأنهم غير مهتدين لأن الله لم يخلق الهداية في قلوبهم ، **نسق به** قوله : (إن الله) أي الملك القادر القاهر تنفيرا عنه قال : (لا يهدي) أي لا يخلق الهداية في قلب) من هو) أي لضميره) كاذب) أي مرتكب الكذب عريق فيه حتى أداه كذبه إلى أن يقول على ملك الملوك أن شيئا يقرب إليه بغير إذنه ، ويخضع بالعبادة التي هي نهاية التعظيم ، فهي لا تليق بغير من ينعم غاية الإنعام لمن لا يملك ضرا ولا نفعا ، ولم يعبر في الكذب بصيغة مبالغة لأن الذين السياق لهم لم يقع منهم كذب إلا في ادعائهم أنهم يقربونهم .

ولما كان م ن كفر في حين الدهر قد ضاعف كفره لكثرة ما على الوحدانية من الدلائل وما لله عليه من الإحسان ، وكان هؤلاء الذين لهم السياق قد كفروا بتأهيلهم لشركائهم للعبادة ولعبادتهم بالفعل ولادعائهم فيهم التقريب قال) كفار (بصيغة المبالغة ، والأحسن أن يقال : إن المبالغة لإفهام أن الذي لا يهديه إنما هو من ختم عليه سبحانه الموت على ذلك ، قال القشيري : والإشارة إلى تهديد من يتعرض لغير مقامه ويدعي شيئا ليس بصادق فيه فالله لا يهديه إلى ما فيه سداده ورشده ، وعقوبته أن يحرمه ذلك الشيء الذي تصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوه وذوقه .

الزمر : (٤ – ٦) لو أراد الله. .. . .

) لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشآء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٤/٦

فأنى تصرفون (( )

ولما أخبر سبحانه بالحكم بينهم ، فكان ذلك مع تضمنه التهديد وافيا ينفي الشريك ، كافيا في ذلك لأن المحكوم فيه لا يجوز أن يكون قسيما للحاكم ، فلم يبق في ذيء من ذلك شبهة إلا عند ادعاء الوليدة ، قال نافيا لها على سبيل الاستئناف جوابا لمن." [(١)]

" صفحة رقم ٤٤٦

هكذا كان الأصل ولكنه قال : (ممن كذب (تعميما وتعليقا بالوصف ، فكفر بستر الصدق الثابت وإظهار ما لا حقيقة له .

ولما كان الكذب عظيم القباحة في نفسه فكيف إذا كان كما مضى على الأكابر فكيف إذا كانوا ملوكا ، فكيف إذا كان على ملك الملوك ، لفت القول إلى مظهر الاسم الأعظم تنبيها على ذلك فقال : (على الله) أي الذي الكبرياء رداؤه والعظمة إزاره ، فمن نازعه واحدة منهما قصمه ، فزعم فب كذبه أن له سبحانه أندادا ، وشركاء وأولادا .

ولما كان وقوع الحساب يوم القيامة حقا لكونه واقعا لا محالة وقوعا يطابق الخبر عنه ، لما علم من أنه لا يليق في الحكمة غيره لما علم من أن أقل الخلق لا يرضى أن يترك عبيده سدى ، فكيف بالخالق ؟ فكان الخبر به صدقا لوقوع العلم القطعي بأنه يطابق ذلك الواقع قال : (إذ جاءه) أي من غير توقف ولا نظر في دليل ، كما هو دأب المعاندين ، أولئك هم الكافرون لهم ما يضرهم من عذاب جهنم ، ذلك جزاء المسيئين .

ولما كان قد تقرر كالشمس أنه لا يسوغ في عقل العاقل ترك الخلق سدى ، فكان يوم الدين معلوما قطعا ، وكان معنى هذا الاستفهام الإنكاري نفي مدخوله فترجمته : ليس أحد أكذب منهم ، وكان عرف اللغة في تسليط هذا النفي على صيغة أفعل إثبات مدلول افعل ليكون المعنى أنهم أكذب الخلق ، فكان التقدير : أليس هذا الكاذب المكذب عاقلا يخشى أن يحاسبه الله كل خلقه ؟ أليس الله المتصف بجميع صفات الكمال يحاسب عباده كما يحاسب كل من الخلائق من تحت يده ؟ أليس يحبس الظالم منهم في دار انتقامه كما يفعل أدنى الحكام ؟ أليس دار انتقامه جهنم التي تلقى داخلها بعبوسة وتجهم **؟ نسق به** قوله : (أليس في جهنم) أي النار النار تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقى الحق وأهله) مثوى) أي منزل مهيأ للإقامة فيه على وجه اللزوم لهم هكذا كان الأصل ، ولكنه قال تعميما وتعليلا بالوصف

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٤١٨

مبينا أن الكذب كفر أي ستر للصدق وغظهار لما لا حقيقة له ، والتكذيب بالصدق كذلك) للكافرين) أي الذين ستروا كذبهم فألبسوه ملابس الصدق وستروا الصدق الذي كذبوا به ، ذلك جزاء المسيئين لأنهم ليسوا بمتقين ، فأقام سبحانه هذه المقدمة دليلا على تلك المقدمات كلها .

ولما ذكر سبحانه الظالمين بالكذب ذكر أضدادهم الذين يخاصمونهم عند ربهم وهم المحسنون بالصدق فقال : (والذي) أي الفريق الذي) جاء بالصدق) أي الخبر." (١)

" صفحة رقم ١٩

ولما كان الجواب قطعا عن هذين الاستفهامين : ليس لهم ذلك على مطلق ما قالوا ولا مقيده من صريح عقل ولا صحيح نقل إلى من يصح النقل عنه من أهل العلم بالأخبار الإلهية ، **نسق عليه** قوله إرشادا إليه : (بل قالوا) أي في جوابهم عن قول ذلك واعتقاده مؤكدين إظهارا جهلا أو تجاهلا لأن ذلك لم يعب عليهم إلا لظن أنه لا سلف لهم أصلا فيه ، فإذا ثبت أنه عمن تقدمهم انفصل النزاع : (إنا وجنا آباءنا) أي وهم أرجح منا عقولا وأصبح أفهاما) على أمة) أي طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد وتؤم مثل رحلة بمعنى شيء هو أهل لأن يرحل إليه ، وكذا قدوة ونحوه .

وقراءة الكسر معناها حالة حسنة يحق لها أن تؤم) وإنا على آثارهم) أي خاصة لا على غيرها ونحن في غاية الاجتهاد والقص للآثار وإن لم نجد عينا نتحققها .

ولماعلم ذلك من حالهم ، ولم يكن صريحا في الدلالة على الهداية ، بينوا الجار والمجرور ، وأخبروا بعد الإخبار واستنتجوا منه قولهم استئنافا لجواب من سأل : (مهتدون) أي نحن ، فإذا ثبت بهذا الكلام المؤكد أنا ما أتينا بشيء من عند أنفسنا ولا غلطنا في الاتباع واقتفاء الآثار ، فلا اعتراض علينا بوجه ، هذا قوله في الدين بل في أصوله التي من ضل في شيء منها هلك ، ولو ظهر ألأحد منهم خلل في سعي أبيه الدنيوي الذي به يحصل الدينار والدرهم ما اقتدى به أصلا وخالفه أي مخالفة ، ما هذا إلا لمحض الهوى وقصور النظر ، وجعل محطه الأمر الدنيوي الحاضر ، لا نفوذ لهم في المعاني بوجه .

ولما كان ترك المدعو للدليل واتباعه للهوى غائظا موجعا ومنكئا مولما ، قال يسليه (صلى الله عليه وسلم) عاطفا على قوله : (وكذلك) أي ومثل هذا الفعل المتناهي في البشاعة فعلت الأمم الماضية مع إخوانك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ ثم فسر ذلك بقوله : (ما أرسلنا (مع ما لنا من العظمة .

ولما كانت مقاړة قريش قد تقدمت والمراد التسلية بغيرهم ، وكان (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين فلا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٤٤٦

أمة لغيره في زمانه ولا بعده يسليه بها ، سلاه بمن مضى ، وقدم ذكر القبلية اهتماما بالتسلية وتخليصا لها من أن يتوهم أنه يكون معه في زمانه أو بعده نذير ، وإفهاما لأن المجد لشريعته إنما يكون مغيثا لأمته وبشيرا لا نذير لثباتهم على الدين بتصديقهم جميع النبيين فقال تعالى : (من قبلك) أي في الأزمنة السالفة حتى القريبة منك جدا ، فإن التسلية بالأقرب أعظم ، وأثبت الجار لأن الإرسال بالفعل لم يعم جميع الأزمنة وأسقط هذه القبلية في (سبأ) لأن المراد فيها التعميم لأنه لم يتقدم لقريش ذكر حتى يخص من قبلهم . ولما كان أهل القرى أقرب إلى العقل وأولى بالحكمة والحكم ، قال :." (١)

" صفحة رقم ٣٧

أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) ٧٣

( ) ٧١

ولما أرشد السياق إلى أن التقدير : أفهذا الذي جاء يسلنا عبيدنا بني إسرائيل خير عندكم مني ؟ نسق عليه قوله : (أم أنا خير (مع ما وصفت لكم من صخامتي وما لي من القدرة على إجراء المياه التي بها حياة كل شيء ، ونقل ابن الجوزي وغيره من المفسرين عن سيبويه وأتساذه الخليل أنها معادلة لتقريرهم بالإبصار ، فكأنه قال : أفلا تبصرون ما ذكرتكم به فترون لعدم إبصاركم أنه خير مني أم أنا خير منه لأنكم لا تبصرون ، وكان هو أحق بهذه النصيحة منهم فإنه أراهم الطريق الواضحة إلى الضلال والموسلة إليه من غير مشقة ولا تعب بقوله : أفلا تبصرون أم أنتم بصراء ، فيكون ذلك احتباكا تقديره : أفلا تبصرون ما نبهتكم عليه ، فذكر الإبصار أولا دليلا على حذف مثلها ثانيا والخيرية ثانيا دليلا على حذف مثلها أولا ، وحقر من عظمة الآتي له بتلك الآيات (صلى الله عليه وسلم) لئلا يسرع الناس إلى اتباعه لأن آياته - لكونها من عند الله - كالشمس بهجة وعلوا وشهرة فقال : (من هذا (فكنى بإشارة القريب عن تحقيره ، ثم وصفهم بما يبين مراده فقال : (الذي هو مهين) أي ضعيف حقير قليل ذليل ، لأنه يتعاطى أموره بنفسه ، وليس له ملك ولا قوة يجري بها نهرا ولا ينفذ بها أمرا) ولايكاد يبين) أي لا يقرب من أن يعرب عن معنى من المعاني لما في لسانه من الحبسة فلا هو قادر في نفسه ولا له قوة بلسانه على تصريف المعاني وتنويع البيان يستجلب القلوب ويدهش الألباب فيكثر أتباعه ويضخم أمره ، وقد كذب في جميع قوله ، فقد كان موسى عليه الصلاة والسالم أبلغ أهل زمانه قولا وفعلا بتقدير الله الذي أرسله له وأمره غياه ولكن الخبث أسند هذا إلى ما بقي في لسانه من الحبسة تخييلا لأتباعه لأن موسى عليه الصلاة والسام ما دعا بإزالة حبسته بل

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩/٧

بعقدة منها .

ولما كان عند فرعون وعند من كان مثله مطموس البصيرة فاقد الفهم وقوفا مع الوهم أن القرب من الملوك والغلبة على الأمور لا تكون إلا بكثرة الأعراض الدنيوية ، والتحلي بحلي الملوك ، سبب عن ادعائه لرسالته عن ملك الملوك اللازمة للقرب منه قوله : (فلولا (ولما كانت الكرامات والحبى والخلع تلقى على المكرم بها إلقاء ، عبر به فقال : (ألقي) أي من أي ملق كان) عليه (من عند مرسله الذي يدعي أنه الملك بالحقيقة) أسورة (جمع أسورة - قاله الزجاج ، وصرف لصيرورته على وزن المفرد نحو علانية وكراهية ، والسوار : ما يوضع في العصم من الحلية) من ذهب (ليكون ذلك أمارة على صدق صحة دعواه كما نفعل نحن عند إنعامنا على أحد من عبيدنا بالإرسال إلى ناحية من النواحي لمهم من المهمات) أو جاء معه) أي صحبته عندما أتى إلينا بهذا." (١)

" صفحة رقم ٣٨٧

سائر الممكنات من النبات والجماد والملائكة والسماوات والأرض وما حوتا مما عدا الثقلين على نظام واحد لا تفاوت فيه ، وأما الثقلان فأحوالهما لأجل تنازع العقل والشهوات لا تكاد تنضبط ، بل تغير حال الواحد منهم في اللحظة الواحد إلى ألوان كثيرة متضادة لما فيهم من المكر وأحوال المغالبة والبغي والاستئثار باللهو بالأمر والنهي ، وكان أكرهم يموت بناره من غير أخذ ثأره ، واقتضت الحكمة ولا بد أنه لا بد لهم من يوم يجتمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل على ميزان العدل ، خصهما بالذكر فقال آتيا في النهاية بالوعيد لأنه ليس للعصاة بعد الإنعام والبيان إلا التهديد الشديد للرجوع غلى طاعة الملك الديان ، والالتفات في قراءة الجماعة بالنون إلى التكلم أشد تهديدا من قراءة حمزة والكسائي بالتحتية **على نسق ما** مضى : (سنفرغ) أي بوعد قريب لا خلف فيه من جميع الشؤون التي ذكرت) لكم) أي نعمل علم من يفرغ للشيء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا من الملائكة وغيرهم مما أمرناهم به مما سبقت به كلمتنا ومضت به حكمتنا من الآجال والأرزاق وغير ذلك فينتهي كله ولا يكون لهم حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضي بينكم : (أيه الثقلان (بالنصفة ، والثقل هو ما يكون به قوام صاحبه ، فكأنهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك إشارة إلى المقصودان بالذات من الخلائق ، وقال الرازي في اللوامع : وصفا بذلك يعظم ذلك شأنهما ، كأن ما عداهما لا وزن له بالإضافة إليهما - انتهى .

وهذا كما قال (صلى الله عليه وسلم) (إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي) وقال جعفر الصادق

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٧/٧

: سيما بذلك لأنهما مثقلان بالذنوب .
ولما كان هذا من أجل النعم التي يدور عليها العباد ، ويصلح بها البلاد ، وتقوم بها السماوات والأرض ، لأن مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر ولا ينفع ، فكيف ب التهديد بيوم الفصل قال : (فبأي آلاء ربكما) أي المحسن إليكما بهذا الصنع المحكم) تكذبان (أبنعمة السمع عن اليمين أو بغيرها من إثابة أمل طاعته وعقوبة أمل معصيته ، وسمى ابن برجان هذا الإخبار الذي لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته وما هو خالقه ، قال : وذلك إخبار منه عن محض الوحدانية ، وما قبله من) سنفرغ (ونحوه وما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته وجنوده وهو خطاب البسط .
ولما كان التهديد بالفراغ ربما أوهم أنهم الآن معجوز عنهم أو عن بعض أمرهم ، بين بخطاب القبض المظهر لمحض الواحدانية أنهم في القبضة ، لا فعل لأحد منهم." (١)
" صفحة رقم ٥٣٩
(إن الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه)
٧٧ ( ) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ( ) ٧
[هود : ١٠٨] فلذلك لا رحيم بالحقيقة إلا الله تحقيق علم كما أنه لا رحمان إلا الله بادي معنى .
ولما كان الملك كمال استيلاء على الخلق يقصرهم به ملكهم على بعض مستطاعهم ويدينهم – على حسب دينهم أي ما وضع لهم من عادة قصره لهم وحكمة عليهم وبحسب إحصائه عليهم دقيق أعمالهم وإحاطته بخفي أحوالهم والاطلاع على سرائرهم بتحقيق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كمال الملك ، فكان لذلك لا تتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون العلم بالسر وأخفى ، والمحصي الحسيب لمثاقيل الدر ، الخبير بخبأ الكون ، فكان لا ملك في الحقيقة إلا الله ، ولكنه تعالى لما كان قد أولى الخلق من رفعه بعضهم فوق بعض ما أجرى عليهم اسم الملك فتنة لهم فضل بسبب ذلك قوم ادعوا الملك الحقيقي ، فغلط من أراد الله من الخلق فيهم فضلوا بهم ، أعاد التهليل مع اسمه الملك كما ابتدأ مع اسمه الإله أول أسماء الله ، ولذلك أيضا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الشيخان وأبو داود والترمذى في حديث الذي يسمى ملك الملوك في رواية المسلم : (لا ملك إلا الله) ، فقال

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٧/٧

مصرحا بما في باطن اسمي الرحمة من القهر والجبر **على النسق الأول** في البناء على الضمير تأكيد لتعين المحدث عنه وتوحيده : (هو الله) أي الذي لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء) الذي لا إله) أي معبود بحق) إلا هو الملك (فلا ملك في الحقيقة إلا هو لأنه لا يحتاج إلى شيء ، فإنه مهما أراد كان .

ولما كان الملك أصل ما لحق الخلق من الآفات لأنه رأس الشرف الذي هو باب الترف الملازم لمخالفة كتاب الله أما في الأعمال فيكون فتنة ، وأما في الرأي فيكون علوا وكبرا وكفرا ، فإن أمر الله في آدم على ماهو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون ملكا ثم تتداعى الأحداث ، فلمكان تداعي الملك لموجبات الذم قال عقب صفات الملك : (القدوس (مصرحا بما لزم عن تمام ملكه من أنه بليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حسن أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أيو يختلج به ضمير ، فإن القدس طهر لا يقبل التغير ولا يلحقه رجس فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس ، ولمكان ما حول سبحانه الخلق من حال طهر لا يظهر فيه تغير بما دونه أجرى عليهم." (١)

" صفحة رقم ٩٧

محمد (صلى الله عليه وسلم) عما تقوله المبطلون مقسما على ذلك زيادة في التعظيم ، تأكيا في التعزير والتكرير فقال تعالى

٧٧ ( ) ن والقلم وما يسطرون وما أنت بنعمة ربك بمجنون ( ) ٧

[القلم : ١ ، ٢] وأنى يصح من مجنون تصور بعض تلك البراهين قد انقطعت دونها أنظار العقلاء فكيف ببسطها وإيضاحها **في نسق موجز** ، ونظم معجز ، وتلاؤم يبهر العقول ، وعبارة تفوق كل مقول ، تعرف ولا تدرك ، وتستوضح سبلها فلا تسلك

٧٧ ( ) قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ( ) ٧

[الإسراء : ٨٨] فقوله سبحانه وتعالى

٧٧ ( ) ما أنت بنعمة ربك بمجنون ( ) ٧

[القلم : ٢] جوابا لقوله تعالى في آخر السورة إنه لمجنون ، وتقدم الجواب بنفي قولهم والتنزيه عنه على حكاية قولهم ليكون أبلغ في إجلاله (صلى الله عليه وسلم) وأخف وقعا عليه وأبسط لحاله في تلقي ذلك منهم ، ولهذا قدم مدحه (صلى الله عليه وسلم) بما خص من الخلق العظيم ، فكان هذا أوقع في

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣٩/٧

الإجلال من تقديم قولهم ثم رده إذ كسر سورة تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزيه عنها أتم في الغرض وأكمل ، ولا موضع أليق بذكر تنزيهه عليه الصلاة والسلام ، ووصفه من الخلق والمنح الكريمة بما وصف مما أعقب به ذلك إذ بعض ما تضمنته سورة الملك بما تقدم الإيماء إليه شاهد قاطع لكل عاقل متصف بصحة نبوته (صلى الله عليه وسلم) وجليل صدقه

٧٧ ( ) ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ( ) ٧

[النساء : ٨٢] فقد تبين موقع هذه السورة هنا ، وتلاؤم ما بعده من آيها يذكر في التفسير – انتهى .

ولما نفى سبحانه عنه (صلى الله عليه وسلم) ما قالوه مما تواقحوا به ، فثبت له (صلى الله عليه وسلم) كمال العقل ، وكان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم ولا قول يرتبط ، فلا يستعمله أحد في شيء ليكون له عليه أجر ، أثبت له الأجر المستلزم للعقل فيتحقق إثباته من أحكم الحكماء على وجه أبلغ مما لو صرح به ، فقال على وجه التأكيد لإنكارهم له بما ادعوا فيه من البهت : (وإن لك) أي على ما تحملت من اثقال النبوة وعلى صبرك عليهم بما يرمونك به وهو تسلية له (صلى الله عليه وسلم)) لأجرا (ولما أثبت له منا يلازم العقل ويصلح لأن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة دالا بتنوينه وما أفهمه السياق من مدحه (صلى الله عليه وسلم) على عظمته ، وكان الأجر لا يستلزم الدوام ، وقد يكون منغصا بنوع منة قال : (غير ممنون) أي مقطوع ولا منقوص في دنياك ولا في آخرتك ولا لأحد من الناس عليك به صنيع يمتن به بأن يذكره على سبيل اللوم والتقريع ، فهذا بيان السعادة ، والأجر لا يكون إلا على العمل الصالح ، والعمل رشح الأخلاق ، فصالحه نتيجة الأخلاق الحسنة والعقل الراجح .

ولما ثبت بهذا العقل مع ما أفاده من الفضل ، وكان الذي يؤجر قد يكون في أدنى رتب العقل ، بين أنه (صلى الله عليه وسلم) في أعلاها بقوله مؤكدا لما مضى : (وإنك (وزاد في التأكيد." [١]

" صفحة رقم ١٣٣

سافل بالنسبة إلى ما عوضتم عنه من أعمال القلب والبدن والمال) في الأيام (ولما كان سبحانه قد ضمن كل ما يشتغل به الإنسان من مصالح دنياه فهو واصل إليه لا محالة وإن فرغ أوقاته كلها لعباده ربه قال : (الخالية) أي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهب واسترحتم من تعبها والتي لا شاغل فيها عن العبادة .

إما بترك الاشتغال بالمعاش للواصل إلى درجة التوكل ، وإما بالسعي على وجه الاقتصاد بقصد المساعدة للعباد في أمور هذه الدار والإفضال عليهم وإن لا يكون كلا عليهم من غير اعتماد على السعي بل امتثالا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٩٧/٨

للأمر مع القناعة بالكفاف .

الحاقة : (٢٥ - ٣٣) وأما من أوتي. .. . .

) وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يليتها كانت القاضية مآ أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم (( )

ولما كانت العادة جارية بأن أهل العرض ينقسمون إلى قسمين : مقبول ومردود ، وذكر سبحانه وتعالى المقبول بادئا به تشويقا إلى حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن مآله ، أتبعه المردود تنفيرا عن أعماله بما ذكر أحواله فقال : (وأما من (ولما كان الدال على المساءة الإيتاء على وجه قبيح ، لا تعيين المؤتي ، قال بانيا للمفعول لذلك وللدلالة على ذل الأخذ وعدم قدرته على الامتناع عن شيء يسوءه : (أوتي كتابه) أي صحيفة أعماله - أعاذنا الله من ذلك) بشماله فيقول) أي لما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها لما يرى من قبائحه التي قدمها ، وكل ما يأتي مما يوهم سكتة في ذلك اليوم فمن باب المكابرة والمدافعة بالباطل على ما كان عليه في الدنيا) يا يلتني (تمنيا للمحال ، وجرى عن نسق ما مضى في البناء للمفعول الدال على ذله وعدم جبلته فقال : (لم أوت (أي من مؤت ما) كتابيه) أي هذا الذي ذكرني بخبائث أعمالي جزاءها) ولم) أي ويا ليتني لم) أدر (ولو حاولت الدارية) ما) أي حقيقة) حسابيه (من ذكر العمل وذكر جزائه ، بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا .

ولما تمنى هذين الشيئين ، استأنف مراده بهما فقال لأنه رأى أن ما يستقبله شر مما كان فيه من البرزخ : (يا ليتها) أي الموتة التي منها) كانت القاضية) أي الباتة الجازمة الملزمة لدوام الموت الخاتمة عليها حتى لا يكون بعدها بعث ولا شيء غير الموت كما اكنت أعتقد في الدنيا ؛ قال الإمام الرازي : وفي الحديث (تمنوا الموت) أي إذ ذاك ولم يكن في الدنيا شيء أكره منه عندهم .." (١)

" صفحة رقم ٣٠٩

في قسمه يعني الاعتبار بما آتاهم الله من القدرة على ذلك النزع الدالة على تمام الحكمة والاقتدار على ما يريده سبحانه .

ولما ذكر الشد مبتدئا به لأنه أهول ، أتبعه الرفق فقال : (والناشطات) أي المخرجات برفق للأرواح أو

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٣٣/٨

لأجنحتها من محالها) نشطا) أي رفقا فلا تدع وإن كان رفيقا بين الروح والسجد تعلقا كما ينشط الشيء من العقال أي يحل من عروة كانت عقدت على هيئة الأنشوطة ، قال الفراء إنه سمع العرب يقولون : نشطت العقال إذا حللته ، وأنشطت إذا عقدت بأنشوطة والنشط أيضا : الجذب والنزع ، يقال : نشطت الدلو نشطا إذا نزعتها .

انتهى ، والنشط والإنشاط مدك الشيء إلى نفسك حتى ينحل ، وكان هذا الأرواح أهل الطاعة ، وكذلك نزع النبات والإنساء والإنماء لكل ما يراد نزعه أو نشطه ، فالذي قدر بعض عبيده على هذا الذي فيه تمييز الأرواح من غيرها على ما لها من اللطافة وشدة الممازجة قادر على تمييز جسد كل ذي روح من جسد غيره بعد ان صار كل ترابا واختلط بتراب الآخر .

ولما ذكر نوعي السل بالشد والرفق ، ذكر فعلها في إقبالها إليه ورجوعها عنه فقال : (والسابحات) أي من الملائكة أيضا في الجو بعد التهيؤ للطيران إلى ما أمرهم الله به من أوامره من الروح أو غيرها) سبحا (هو في غاية السرعة لأنه لا عائق لها بل قد أقدرها الله علىالنفوذ في كل شيء كما أقدر السابح في الماء والهواء ، **ولذلك نسق عليه** بالفاء قوله : (فالسابقات) أي بعد السبح في الطيران إلى ما أمروا به من غمس الأرواح في النعيم أو الجحيم أو غير ذلك مما أمروا به في أسرع من اللمح مع القدرة والغلبة لجميع ما يقع محاولته) سبقا (.

ولما بان بذلك حسن امتثالها للأوامر ، بان به عظيم نظرها في العواقب فدل على ذلك بالفاء في قوله : (فالمدبرات) أي الناظرات في أدبار الأمور وعواقبها لإتقان ما أمروا به في الأرواح وغيرها) أمرا) أي عظيما ، ويصح أن يكون للشمس والقمر والكواكب والرياح والخيل السابحة في الأرض والجو لمنفعة العباد وتدبير أمورهم ، وبعضها سابق لبعض ، وبه قال بعض المفسرين ، والجواب بحذوف إشارة إلى أنه من ظهور العلم به بدلالة ما قبله وما بعده عليه في حد لا مزيد عليه ، فهو بحيث لا يحتاج إلى ذكره فحذفه كإثباته بالبرهان فتقديره : لتذهبن بالدنيا التي أنتم بها مغترون لنزعنا لها من حالها وتقطيع أوصالها ، فإن كل ما تقدم من أعمال ملائكتنا هو من مقدمات ذلك تكذيبا لقول الكفار

٧٧ ( ) ما هي إلا حياتنا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ( ) ٧

[الجاثية : ٢٤] المشار إليه بتساؤلهم عنها لأنه على وجه الاستهزاء والتكذيب ولتقومن." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٠٩/٨

"قالت فرقة من الفقهاء إن قوله تعالى " وأقيموا الصلاة " عموم وقالت فرقة هو من مجمل القرآن والمرجح أن ذلك عموم من وجه ومجمل من وجه فعموم من حيث الصلاة الدعاء فحمله على مقتضاه ممكن وخصصه الشرع بهيئات وأفعال وأقوال ومجمل من حيث الأوقات وعدد الركعات والسجدات لا يفهم من اللفظ بل السامع فيه مفتقر إلى التفسير وهذا كله في " أقيموا الصلاة " وأما الزكاة فمجملة لا غير قال الطبري إنما أمر الله هنا بالصلاة والزكاة لتحط ما تقدم من ميلهم إلى أقوال اليهود " راعنا " البقر ١٠٤ لأن ذلك نهي عن نوعه ثم أمر المؤمنين بما يحطه والخير المقدم منقض لأنه فعل فمعنى " تجدوه " تجدوا ثوابه وجزاءه وذلك بمنزلة وجوده

وقوله تعالى " إن الله بما تعملون بصير " خبر في اللفظ معناه الوعد والوعيد

وقوله تعالى " وقالوا لن يدخل الجنة " معناه قال اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا وقال النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فجمع قولهم ودل تفريق نوعيهم على تفرق قوليهم وهذا هو الإيجاز واللف وهود جمع هائد مثل عائد وعود ومعناه التائب الراجع ومثله في الجمع بازل وبزل وحائل وحول وبائر وبور وقيل هو مصدر يوصف به الواحد

والجمع كفطر وعدل ورضا وقال الفراء أصله يهودي حذفت ياءاه على غير قياس

١٩٨

وقرأ أبي بن كعب إلا من كان يهوديا وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم أمنية وقد قطعوا قبل بقوله " فتمنوا الموت " البقرة ٩٤ الجمعة ٦ وأمر محمد صلى الله عليه وسلم بدعائهم إلا إظهار البرهان وقيل إن الهاء في " هاتوا " أصلية من هاتا يهاتي وأميت تصريف هذه اللفظة كله إلا الأمر منه وقيل هي عوض من همزة آتى وقيل ها تنبيه وألزمت همزة آتى الحذف والبرهان الدليل الذي يوقع اليقين قال الطبري طلب الدليل هنا يقضي بإثبات النظر ويرد على من ينفيه وقول اليهود " لن " نفي حسنت بعده " بلى " إذ هي رد بالإيجاب في جواب النفي حرف مرتجل لذلك وقيل هي بل زيدت عليها الياء لتزيلها على **حد النسق الذي** في بل و " أسلم " معناه استسلم وخضع ودان ومنه قول زيد ابن عمرو بن نفيل

(وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له المزن تحمل عذبا زلالا) " المتقارب "

وخص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان وموضع الحواس وفيه يظهر العز والذل ولذلك يقال وجه الأمر أي معظمه وأشرفه قال الأعشى

(وأول الحكم على وجهه

ليس قضائي بالهوى الجائر) " السريع "

". (١)

"وقال ابن عباس " تتفكرون " في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها

سورة البقرة ٢٦٧

هذا الخطاب هو لجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذه صيغة أمر من الإنفاق واختلف المتأولون هل المراد بهذا الإنفاق الزكاة المفروضة أو التطوع فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبيدة السلماني ومحمد بن سيرين هي في الزكاة المفروضة

نهى الناس عن إنفاق الرديء فيها بدل الجيد وأما التطوع فكما للمرء أن يتطوع بقليل فكذلك له أن يتطوع بنازل في القدر ودرهم زائف خير من تمرة فالامر على هذا القول للوجوب والظاهر من قول البراء بن عازب والحسن بن أبي الحسن وقتادة أن الآية في التطوع وروى البراء بن عازب وعطاء بن أبي رباح ما معناه أن الأنصار كانوا أيام الجداد

يعلقون أقناء التمر في حبل بين أسطوانتين في المسجد فيأكل من ذلك فقراء المهاجرين فعلق رجل حشفا فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (بئسما علق هذا) فنزلت الآية

قال القاضي أبو محمد والأمر على هذا القول على الندب وكذلك ندبوا إلى أن لا يتطوعوا إلا بجيد مختار والآية تعم الوجهين لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الندب وهؤلاء كلهم وجمهور المتأولين قالوا معنى " من طيبات " من جيد ومختار " ما كسبتم " وجعلوا " الخبيث " بمعنى الرديء والرذالة وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله " ولا تيمموا الخبيث " أي الحرام قال القاضي أبو محمد وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية لا من معناه في نفسه وقوله

٣٦٢

" من طيبات ما كسبتم " يحتمل أن لا يقصد به لا الجيد ولا الحلال لكن يكون المعنى كأنه قال أنفقوا مما كسبتم فهو حض على الإنفاق فقط

ثم دخل ذكر الطيب تبينا لصفة حسنة في المكسوب عاما وتعديدا للنعمة كما تقول أطعمت فلانا من مشبع الخبز وسقيته من مروي الماء والطيب على هذا الوجه يعم الجود والحل ويؤيد هذا الاحتمال أن عبد

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٨٢/١

الله بن مغفل قال ليس في مال المؤمن خبيث و "كسبتم " معناه كانت لكم فيه سعاية إما بتعب بدن أو مقاولة في تجارة والموروث داخل في هذا لأن غير الوارث قد كسبه إذ الضمير في "كسبتم " إنما هو لنوع الإنسان أو المؤمنين " ومما أخرجنا لكم من الأرض " النباتات والمعادن والركاز وما ضارع ذلك و " تيمموا " معناه تعمدوا وتقصدوا يقال تيمم الرجل كذا وكذا إذا قصده ومنه قول امرىء القيس

(تيممت العين التي عند ضارج

يفيء عليها الظل عرمضها طام) " الطويل "

ومنه قول الأعشى

(تيممت قيسا وكم دونه

من الأرض من مهمه ذي شزن) " المتقارب "

". (١)

"هذا تماد في توبيخ العادلين بالله الأوثان وتوقيفهم على سوء الفعل في عبادتهم الأصنام وتركهم الذي ينجي من المهلكات ويلجأ إليه في الشدائد و " من " استفهام رفع بالابتداء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي من ينجيكم قل الله ينجيكم بتشديد الجيم وفتح النون وقرأ أبو عمرو في رواية علي بن نصر عنه وحميد بن قيس ويعقوب ينجيكم فيها بتخفيف الجيم وسكون النون وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بالتشديد في الأولى والتخفيف في الثانية فجمعوا بين التعدية بالألف والتعدية بالتضعيف كما جاء ذلك في قوله تعالى " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " و " ظلمات البر والبحر " يراد به شدائدهما فهو لفظ عام يستغرق ما كان من الشدائد بظلمة حقيقية وما كان بغير ظلمة والعرب تقول عام

٣٠٢

أسود ويوم مظلم ويوم ذو كواكب ونحو هذا يريدون به الشدة قال قتادة المعنى من كرب البر والبحر وقاله الزجاج و " تدعونه " في موضع الحال و " تضرعا " نصب على المصدر والعامل فيه " تدعونه " والتضرع صفة بادية على الإنسان " خفيه " معناه الاختفاء والسر **فكأن نسق القول** تدعونه جهرا وسرا هذه العبارة بمعان زائدة وقرأ الجميع غير عاصم وخفية بضم الخاء وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وخفية بكسر الخاء وقرأ الأعمش وخيفة من الخوف وقرأ الحجازيون وأهل الشام أنجيتنا وقرأ الكوفيون أنجانا على ذكر الغائب وأمال حمزة والكسائي الجيم و " من الشاكرين " أي على الحقيقة والشكر على الحقيقة يتضمن الإيمان

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٥٨/١

وحكى الطبري في قوله " ظلمات " أنه ضلال الطرق في الظلمات ونحوه المهدوي أنه ظلام الليل والغيم والبحر

قال القاضي أبو محمد وهذا التخصيص كله لا وجه له وإنما هو لفظ عام لأنواع الشدائد في المعنى وخص لفظ الظلمات بالذكر لما تقرر في النفوس من هول الظلمة وقوله تعالى " قل الله ينجيكم " الآية سبق في المجادلة إلى الجواب إذ لا محيد عنه " ومن كل كرب " لفظ عام أيضا ليتضح العموم الذي في الظلمات ويصح أن يتأول من قوله " ومن كل كرب " تخصيص الظلمات قبل ونص عليها لهولها وعطف في هذا الموضع ب " ثم " للمهلة التي تبين قبح فعلهم أي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم به أنتم تشركون

قوله عز وجل

سورة الأنعام ٦٥ ٦٦ ٦٧

". (١)

"هذا إخبار يتضمن الوعيد والأظهر **من نسق الآيات** أن هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال أبي بن كعب وأبو العالية وجماعة معهما هي للمؤمنين وهم المراد قال أبي بن كعب هي أربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فمضت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ثم لبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض واثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال الحسن بن أبي الحسن بعضها للكفار وبعضها للمؤمنين بعث

العذاب من فوق وتحت للكفار وسائرها للمؤمنين وهذا الاختلاف إنما هو بحسب ما يظهر من أن الآية تتناول معانيها المشركين والمؤمنين وروي من حديث جابر وخالد الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت " أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم " قال أعوذ بوجهك فلما نزلت " أو من تحت أرجلكم " قال أعوذ بوجهك فلما نزلت " أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض " قال هذه أهون أو هذه أيسر فاحتج بهذا من قال إنها نزلت في المؤمنين وقال الطبري وغير ممتنع أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لأمته من هذه الأشياء التي توعد بها الكفار وهون الثالثة لأنها بالمعنى هي التي دعا بها فمنع حسب حديث

٣٠٣

الموطأ وغيره وقد قال ابن مسعود إنها أسوأ الثلاث وهذا عندي على جهة الإغلاظ في الموعظة والحق أنها

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢/٣٥٦

أيسرها كما قال صلى الله عليه وسلم و " من فوقكم ومن تحت أرجلكم " لفظ عام للمنطبقين على الإنسان وقال السدي عن أبي مالك " من فوقكم " الرجم " ومن تحت أرجلكم " الخسف وقاله سعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس رضي الله عنه " من فوقكم " ولاة الجور " ومن تحت أرجلكم " سفلة السوء وخدمة السوء

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه وهذه كلها أمثلة لا أنها هي المقصود إذ هذه وغيرها من القحوط والغرق وغير ذلك داخل في عموم اللفظ و " يلبسكم " على قراءة الستة معناه يخلطكم شيعا فرقا يتشيع بعضها لبعض واللبس الخلط وقال المفسرون هو افتراق الأهواء والقتال بين الأمة وقرأ أبو عبد الله المدني يلبسكم بضم الياء من ألبس فهو على هذه استعارة من اللباس فالمعنى أو يلبسكم الفتنة شيعا و " شيعا " منصوب على الحال وقد قال الشاعر النابغة الجعدي

(لبست أناسا فأفنيتهم

) " المتقارب "

". (١)

"موضع نصب بالاستثناء ويصح أن يكون في موضع رفع كما يجوز الوجهان في قولك ما في الدار أحد إلا حمارا وإلا حمار والنصب أوجه و " من " على هذه التأويلات للشافع ويحتمل أن تكون للمشفوع فيه وقوله تعالى " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " قالت فرقة يريد الملائكة وقالت فرقة يريد خلقه أجمع وقد تقدم القول في ترتيب ما بين اليد وما خلف في غير موضع على أن جماعة من المفسرين قالوا في هذه الآية " ما خلفهم " الدنيا و " ما بين أيديهم " أمر الآخرة والثواب والعقاب وهذا بأن نفرضها حالة وقوف حتى نجعلها كالأجرام وأما إن قدرناها **في نسق الزمان** فالأمر على العكس بحكم ما بيناه قبل " وعنت " معناه ذلت والعاني الأسير ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في أمر النساء هن عوان عندكم وهذه حالة الناس يوم القيامة وقال طلق بن حبيب أراد سجود الناس على الوجوه والآراب السبعة .

قال القاضي أبو محمد وإن كان روي هذا أن الناس يوم القيامة سجودا وجعل هذه الآية إخبارا فهو مستقيم وإن كان أراد سجود الدنيا فإنه **أفسد نسق الآية** و " القيوم " بناء مبالغة من قيامه عز وجل على كل شيء بما يجب فيه و " خاب " معناه لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم فخيبة المشرك على الإطلاق وخيبة المعاصي مقيدة بوقت وحد في العقوبة .

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٢/٣٥٧

قوله عز و جل

سورة طه الآية ١١٢١١٤

قوله تعالى " ومن يعمل من الصالحات " عادل لقوله " من حمل ظلما " وفي قوله " من الصالحات " تيسير في الشرع لأنها " من " التي للتبعيض والظلم أعم من الهضم وهما يتقاربان في المعنى ويتداخلان ولكن من حيث تناسقا في هذه الآية ذهب قوم إلى تخصيص كل واحد منهما بمعنى فقالوا الظلم أن تعظم عليه سيئاته وتكثر أكثر مما يجب والهضم أن ينقض حسناته ويبخسها وكلهم قرأ " فلا يخاف ظلما " على الخبر غير ابن كثير فإنه قرأ فلا يخف على النهي ثم قال تعالى " وكذلك

". (١)

"الضمير في " قالوا " لقريش ولبعض اليهود لأنهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة يقولون لم لا يأتيكم بمثل ما جاء به موسى من العصا وغيرها وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وعلي بن نضر عن أبي عمرو آية من ربه وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص عن عاصم آيات من ربه فأمر الله تعالى بنيه أن يعلم أن هذا الأمر بيد الله عز وجل ولا يستنزله الاقتراح ولا التمني وأنه بعث نذيرا ولم يؤمر بغير ذلك وفي مصحف أبي بن كعب

قالوا لو ما يأتينا بآيات من ربه قل إنما الآيات ثم احتج عليهم في طلبهم آية بأمر القرآن الذي هو أعظم الآيات ومعجز للجن والإنس فقال " أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب " ثم قرر ما فيه من الرحمة والذكرى للمؤمنين فقوله " أو لم يكفهم " جواب لمن قال " لولا أنزل " وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين كتبوا عن اليهود بطائق أخبروهم بشيء من التوراة فكتبوه فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كفى بها ضلالة قوم أن رغبوا عما آتاهم به نبيهم إلى ما أتى به غيره ونزلت الآية بسببه

٣٢٣

قال الفقيه الإمام القاضي والتأويل الأول أجرى مع نسق الآيات ثم أمر تعالى نبيه بالإسناد إلى أمر الله تعالى وأن يجعله حسبه " شهيدا " وحاكما بينه وبينهم بعلمه وتحصيله جميع أمورهم وقوله " بالباطل " يريد بالأصنام والأوثان وما يتبع أمرها من المعتقدات والباطل هو أن يفعل فعل يراد به أمر ما وذلك الأمر لا يكون عن ذلك الفعل والأصنام أريد بأمرها الأكمل والأنجح في زعم عبادها وليس الأكمل والأنجح إلا رفضها فهي إذا باطل وباقي الآية بين

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ٨١/٤

قوله عز وجل في سورة العنكبوت آية ٥٣ - ٥٥

قوله " ويستعجلونك بالعذاب " يراد به كفار قريش في قولهم ائتنا بما تعدنا وغير ذلك من استدعائهم على جهة التعجيز والتكذيب عذاب الله الذي يتوعدهم محمد صلى الله عليه وسلم به ثم أخبر تعالى أنه يأتيهم " بغتة " أي فجأة وهذا هو عذاب الدنيا وهو الذي ظهر يوم بدر في السنين السبع

ثم ذكر تعالى أن تأخره إنما هو حسب الأجل المقدور السابق وقال المفسرون عن الضحاك أن الأجل المسمى في هذه الآية الآجال

قال الفقيه الإمام القاضي وهذا ضعيف يرده النظر والآجال لا محالة " أجل مسمى " ولكن ليس هذا موضعها ثم توعدهم تبارك وتعالى بعد عذاب الآخرة في قوله " يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين "كرر فعلهم وقبحه وأخبر أن وراءهم إحاطة جهنم بهم وقال عكرمة فيما حكى الطبري إن " جهنم " ها هنا أراد بها البحر

". (١)

"٣٨٤

وللعرب في اجتماعهم على رد امره ولا يتجه ان يكون العبد نوحا الا على تحامل في تأويل نسق الآية وقال ابن جبير معنى الآية إنما قول الجن لقومهم يحكون والعبد محمد صلى الله عليه وسلم

والضمير في "كادوا " لأصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلاة فهم عليه لبد

واللبد الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض ومنه قول عبد بن مناف بن ربع

(صافوا بستة أبيات وأربعة

حتى كأن عليهم جانيا لبدا) " البسيط "

يريد الجراد سماه جانيا لأنه يجني كل شيء ويروي جابيا بالباء لأنه يجبي الأشياء بأكله وقرا جمهور السبعة وابن عباس (لبدا) بكسر اللام جمع لبدة وقال ابن عباس اعوانا

وقرا ابن عامر بخلاف عنه وابن مجاهد وابن محيصن (لبدا) بضم اللام وتخفيف الباء المفتوحة وهو جمع ايضا

وروي عن الجحدري (لبدا) بضم اللام والباء

وقرا أبو رجاء (لبدا) بكسراللام وهو جمع لا بد فإن قدرنا الضمير للجن فتقصفهم عليه لاستماع الذكر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٧٦/٤

وهذا تأويل الحسن وقتادة و " أدعو " معناه أعبده وقرا جمهور السبعة وعلي بن ابي طالب (قال إنما)
وهذه قراءة تؤيد ان العبد نوح وقرا عاصم وحمزة بخلاف عنه (قال إنما) وهذه تؤيد بأنه محمد عليه السلام وإن كان الاحتمال باقيا من كليهما

واختلف القراء في فتح الياء من " ربي " وفي سكونها

ثم أمر تعالى محمدا نبيه عليه السلام بالتبري من القدرة وأنه لا يملك لأحد " ضرا ولارشدا " بل الأمر كله لله

وقرا الأعرج (رشدا) بضم الراء والشين وقرأ أبي بن كعب (لكم غيا ولا رشدا)

وقولهم " من دونه " أي من عند سواه

و (الملتحد) الملجأ الذي يمال اليه ويركن ومنه الإلحاد الميل ومنه اللحد الذي يمال به الى أحد شقي القبر

قوله عز وجل

سورة الجن ٢٣ - ٢٨

اختلف الناس في تأويل قوله " إلا بلاغا " فقال الحسن ما معناه انه استثناء منقطع والمعنى لن يجيرني من الله احد " إل، بلاغا " فإني إن بلغت

رحمنى بذلك والإجارة للبلاغ مستعارة إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته وقال بعض النحاة على هذا المعنى هو استثناء متصل

والمعنى لن اجد ملتحدا " إلا بلاغا " أي شيئا أميل اليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع فيجبرني الله

وقال قتادة التقدير لا أملك " إلا بلاغا " إليكم فأما الإيمان أو الكفر فلا املكه

وقال بعض المتأولين " إلا " بتقدير الانفصال و (إن)

٣٨٥

شرط و (لا) نافية كأنه يقول ولن أجد ملتحدا إن لم أبلغ من الله ورسالته و " من " في قوله " من الله " لابتداء الغاية

وقوله تعالى " ومن يعص الله " يريد الكفر بدليل الخلود المذكور

وقرأ طلحة وابن مصرف (فإن له) على معنى فجزاؤه ان له وقوله " حتى إذا رأوا " ساق الفعل في صيغة

الماضي تحقيقا لوقوعه

(١) ".

"في " رآه " للإنسان المذكور كانه قال أن رأى نفسه غنيا وهي رؤية قلب تقرب من العلم ولذلك جاز ان يعمل فعل الفاعل في نفسه كما تقول وجدتني وظننتني ولا يجوز ان تقول ضربتني وقرا الجمهور (ان رآه) بالمد على وزن رعاه واختلفوا في الإمالة وتركها وقرا ابن كثير من طريق قنبل (ان رأه) على وزن رعه على حذف لام الفعل وذلك تخفيف ثم حقر غنى هذا الانسان وما له بقوله " إن إلى ربك الرجعى " أي الحشر والبعث يوم القيامة و " الرجعى " مصدر كالرجوع وهو على وزن العقبى ونحوه وفي هذا الخبر وعيد للطاغين من الناس ثم صرح بذكر الناهي لمحمد عليه السلام ولم يختلف احد من المفسرين في ان الناهي أبو جهل وان العبد المصلى محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى " أرأيت " توقيف وهو فعل لا يتعدى الى مفعولين على حد الروية من العلم بل يقتصر به وقوله تعالى " ألم يعلم بأن الله يرى " إكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاث يصلح مع كل واحد منهما فجاء بها **في نسق ثم** جاء بالوعيد الكافي لجميعها اختصارا واقتضابا ومع كل تقرير من الثلاثة تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها وقوله " ألم يعلم " دال عليها مغن وقوله تعالى " إن كان " يعني العبد المصلي وقوله " إن كذب وتولى " يعني الإنسان الذي ينهى ونسب الرؤية الى الله تعالى بمعنى يدرك اعمال الجميع بإدراك سماه رؤية والله منزه عن الجارحة وغير ذلك من المماثلات المحدثات ثم توعد تعالى

٥٠٣

إن لم ينته بان يؤخذ بناصيته فيجر الى جهنم ذليلا تقول العرب سفعت بيدي ناصية الفرس والرجل اذا جذبتها مذللا له قال عمرو بن معد يكرب

(قوم إذا سمعوا الصياح رأيتهم

ما بين ملجم مهره او سافع) " الكامل "

فالآية على نحو قوله " فيؤخذ بالنواصي والأقدام " الرحمن ٤١ وقال بعض العلماء بالتفسير " لنسفعا " معناه لنحرقن من قولهم سفعته النار إذا احرقته واكتفى بذكر الناصية لدلالتها على الوجه وجاء " لنسفعا " في خط المصحف بألف بدل النون وقرا أبو عمرو في رواية هارون (لنسفعن) مثقلة النون وفي مصحف ابن مسعود (لأسفعن بالناصية ناصية كاذبة فاجرة) وقرا ابو حيوة (ناصية كاذبة خاطئة) بالنصب في

---

(١) المحرر الوجيز ، ٥/٣٥٥

الثلاثة وروي عن الكسائي انه قرا بالرفع فيها كلها والناصية مقدم شعر الرأس ثم أبدل النكرة من المعرفة في قوله " ناصية كاذبة " ووصفها بالكذب والخطأ من حيث صفة لصاحبها كما تقول يد سارقة وقوله " فليدع نادية " اشارة الى قول أبي جهل وما بالوادي اكثر ناديا مني والنادي والندى المجلس ومنه دار الندوة ومنه قول زهير

(وفيهم مقامات حسان وجوههم

واندية ينتابها القول والفعل) " الكامل "

." (١)

"﴿وإن تدع مثقلة﴾ : أي نفس مثقلة بحملها ، ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيء﴾ : أي لا غياث يومئذ لمن استغاث ، ولا إعانة حتى أن نفسا قد أثقلتها الأوزار لو دعت إلى أن يخفف بعض وزرها لم تجب وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ فالآية قبلها في الدلالة على عدل الله في حكمه وأنه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها وهذه في نفي الإعانة والحمل ما كان على الظهر في الأجرام فاستعير للمعاني كالذنوب ونحوها فيجعل كل محمول متصلا بالظهر كقوله : ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ ، كما جعل كل اكتساب منسوبا إلى اليد. وقرأ الجمهور : يحمل بالياء ، مبنيا للمفعول ؛ وأبو السمال عن طلحة ، وإبراهيم بن زادان عن الكسائي : بفتح التاء من فوق وكسر الميم ، وتقتضي هذه القراءة نصب شيء ، كما اقتضت قراءة الجمهور رفعه ، والفاعل بيحمل ضمير عائد على مفعول تدع المحذوف ، أي وإن تدع مثقلة نفسا أخرى إلى حملها ، لم تحمل منه شيئا. واسم كان

٣٠٧

ضمير يعود على المدعو المفهوم من قوله : ﴿وإن تدع﴾ ، هذا معنى قول الزمخشري ، قال : وترك المدعو ليعم ويشمل كل مدعو. قال : فإن قلت : فكيف استفهام إضمار ، ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقل ؟ قلت : هو من العموم الكائن على طريق البدل. انتهى. وقال ابن عطية : واسم كان مضمر تقديره ولو كان. انتهى ، أي ولو كان الداعي ذا قربى من المدعو ، فإن المدعو لا يحمل منه شيئا. وذكر الضمير حملا على المعنى ، لأن قوله : ﴿مثقلة﴾ ، لا يريد به مؤنث المعنى فقط ، بل كل شخص ، فكأنه قيل : وإن تدع شخصا مثقلا. وقرىء : ولو كان ذو قربى ، على أن كان تامة ، أي ولو حضر إذا ذاك ذو قربى ودعته ، لم يحمل منه شيئا. وقالت العرب : قد كان لبن ، أي حضر وحدث. وقال الزمخشري : نظم

---

(١) المحرر الوجيز ـ ، ٤٧٤/٥

الكلام أحسن ملاءمة للناقصة ، لأن المعنى : على أن المثقلة إذا دعت أحدا إلى حملها لا يحمل منه ، وإن كان مدعوها ذا قربى ، وهو معنى صحيح ملتئم. ولو قلت : ولو وجد ذو قربى ، لتفكك وخرج عن اتساقه والتئامه. انتهى. **وهو نسق ملتئم** على التقدير الذي ذكرناه ، وتفسيره كان ، وهو مبني للفاعل ، يؤخذ المبني للمفعول تفسير معنى ، وليس مرادفا ومرادفه ، حدث أو حضر أو وقع ، هكذا فسره النحاة.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٩٥
ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض أهوال القيامة ، كان ذلك إنذارا ، فذكر أن الإنذار إنما يجدي وينفع من يخشى الله. ﴿بالغيب﴾ : حال من الفاعل أو المفعول ، أي يخشون ربهم غافلين عن عذابه ، أو يخشون عذابه غائبا عنهم. وقيل : بالغيب في السر ، وقيل : بالغيب ، أي وهو بحال غيبه عنهم إنما هي رسالة. وقرأ الجمهور : ﴿ومن تزكى ﴾ ، فعلا ماضيا ، ﴿فإنما يتزكى ﴾ : فعلا ، مضارع تزكى ، أي ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي ، فإنما ثمرة ذلك عائدة عليه ، وهو إنما زكاته لنفسه لا لغيره ، والتزكي شامل للخشية وإقامة الصلاة. وقرأ العباس عن أبي عمرو : ومن يزكى فإنما يزكى ، بالياء من تحت وشد الزاي فيهما ، وهما مضارعان أصلهما ومن يتزكى ، أدغمت التاء في الزاي ، كما أدغمت في الذال في قوله : ﴿يذكرون﴾ . وقرأ ابن مسعود ، وطلحة : ومن ازكى ، بإدغام التاء في الزاي واجتلاب همزة الوصل في الابتداء ؛ وطلحة أيضا : فإنما يزكى ، بإدغام التاء في الزاي. ﴿وإلى الله المصير﴾ : وعد لمن يزكى بالثواب. " (١).

"﴿نستعين﴾ ، الاستعانة ، طلب العون ، والطلب أحد معاني استفعل ، وهي اثنا عشر معنى ، وهي : الطلب ، والاتخاد ، والتحول ، وإلقاء الشيء بمعنى ما صيغ منه وعده كذلك ، ومطاوعة افعل وموافقته ، وموافقة تفعل وافتعل والفعل المجرد ، والاغناء عنه وعن فعل مثل ذلك استطعم ، واستعبده ، واستنسر واستعظمه واستحسنه ، وإن لم يكن كذلك ، واستشلى مطاوع اشلى ، واستبل موافق مطاوع ابل ، واستكبر موافق تكبر ، وأستعصم موافق اعتصم ، واستغنى موافق غنى ، واستنكف واستحيا مغنيان عن المجرد ، واسترجع ، واستعان حلق عانته ، مغنيان عن فعل ، فاستعان طلب العون ، كاستغفر ، واستعظم. وقال صاحب اللوامح : وقد جاء فيه وياك أبدل الهمزة واوا ، فلا أدري أذالك عن الفراء أم عن العرب ، وهذا على العكس مما فروا إليه في نحو أشاح فيمن همز لأنهم فروا من الواو المكسورة إلى الهمزة ، واستثقالا للكسرة على الواو. وفي وياك فروا من الهمزة إلى الواو ، وعلى لغة من يستثقل الهمزة جملة لما فيها من

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

شبه التهوع ، وبكون استفعل أيضا لموافقة تفاعل وفعل. حكى أبو الحسن بن سيده في المحكم : تماسكت بالشيء ومسكت به واستمسك به بمعنى واحد ، أي احتبست به ، قال ويقال : مسكت بالشيء وأمسكت وتمسكت ، احتبست ، انتهى. فتكون معاني استفعل حينئذ أربعة عشر لزيادة موافقة تفاعل وتفعل. وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور ، وهي لغة الحجاز ، وهي الفصحى. وقرأ عبيد بن عمير الليثي ، وزر بن حبيش ، ويحيى بن وثاب ، والنخعي ، والأعمش ، بكسرها ، وهي لغة قيس ، وتميم ، وأسد ، وربيعة ، وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما

٢٣

أشبهه. وقال أبو جعفر الطوسي : هي لغة هذيل ، وانقلاب الواو ألفا في استعان ومستعان ، وياء في نستعين ومستعين ، والحذف في الاستعانة مذكور في علم التصريف ، ويعدى استعان بنفسه وبالباء. إياك مفعول مقدم ، والزمخشري يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص ، فكأنه قال : ما نعبد إلا إياك ، وقد تقدم الرد عليه في تقديره بسم الله اتلوا ، وذكرنا نص سيبويه هناك. فالتقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول. وسب أعرابي آخر فأعرض عنه وقال : إياك أعني ، فقال له : وعنك أعرض ، فقدما الأهم ، وإياك التفات لأنه انتقال من الغيبة ، إذ لو جرى **على نسق واحد** لكان إياه. والانتقال من فنون البلاغة ، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم ، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم ، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب. والغيبة تارة تكون بالظاهر ، وتارة بالمضمر ، وشرطه أن يكون المدلول واحدا. ألا ترى أن المخاطب بإياك هو الله تعالى ؟ وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام ، والاقتدار على التصرف فيه. وقد ذكر بعضهم مزيدا على هذا ، وهو إظهار فائدة تخص كل موضع موضع ، ونتكلم على ذلك حيث يقع لنا منه شيء ، وفائدته في إياك نعبد أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك والملك لليوم المذكور ، أقبل الحامد مخبرا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره ، أنه وغيره يعبده ويخضع له. وكذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره ، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين ، كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره. ونظير هذا أنك تذكر شخصا متصفا بأوصاف جليلة ، مخبرا عنه أخبار الغائب ، ويكون ذلك الشخص حاضرا معك ، فتقول له : إياك أقصد ، فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ إياه ، ولأنه ذكر ذلك توطئة للدعاء في قوله اهدنا. ومن ذهب إلى أن ملك منادى ، فلا يكون إياك التفاتا لأنه خطاب بعد خطاب وإن كان يجوز بعد النداء الغيبة ، كما قال :

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٤
يا دار مية بالعلياء فالسندأقوت وطال عليها سالف الأبد
ومن الخطاب بعد النداء :
ألا يا اسلمى يا دار مي ءلى البلولا زال منها بجرعائك القطر
ودعوى الزمخشري في أبيات امرىء القيس الثلاثة أن فيه ثلاثة التفاتات غير صحيح ، بل هما التفاتان :
الأول : خروج من الخطاب المفتتح به في قوله :
تطاول ليلك بالاثمدونام الخلي ولم ترقد
إلى الغيبة في قوله :
وبات وباتت له ليلةكليلة ذي العائر الأرمد
." (١)

"البغي والمعصية ، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي عن أشياخه أو علمه بأنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون ، قاله قتادة ، أو علمه بمن يملأ جهنم من الجنة والناس ، قاله ابن زيد ؛ أو علمه بعواقب الأمور فيبتلي من تظنون أنه مطيع فيؤديه الابتلاء إلى المعصية ، ومن تظنون أنه عاص فيؤديه الابتلاء إلى الطاعة فيطيع ، قاله الزجاج ، أو علمه بظواهر الأمور وباطنها ، جليها ودقيقها ، عاجلها وآجلها ، صالحها وفاسدها ، على اختلاف الأحوال والأزمان علما حقيقيا ، وأنتم لا تعلمون ذلك ، أو علمه بغير اكتساب ولا نظر ولا تدبر ولا فكر ، وأنتم لا تعلمون المعلومات على هذا النسق. أو علمه بأن معهم إبليس ، أو علمه باستعاظمكم أنفكم بالتسبيح والتقديس. والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أخبرهم إذا تكلموا بالجملة السابقة التي هي أتجعل فيها بأنه يعلم ما لا تعلمونه. وأبهم في إخباره الأشياء التي يعلمها دونهم ، فإذا كان كذلك ، فإخباره بأنه يجعل في الأرض خليفة يقتضي التسليم له والرجوع إليه فيما أراد أن يفعله والرضا بذلك ، لأن علمه محيط بما لا يحيط به علم عالم ، جل الله وعز. والأحسن أن يفسر هذا المبهم بما أخبر به تعالى عنه من قوله ، قال :
جزء : ١ رقم الصفحة : ١٣٧
﴿ألم أقل لكم إنيا أعلم غيب السماوات والارض﴾ الآية.
﴿وعلم ءادم الاسمآء كلها﴾ : لما أخبر تعالى الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته على سبيل

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٠/١

الإجمال ، أراد أن يفصل ، فبين لهم من فضل آدم ما لم يكن معلوما لهم ، وذلك بأن علمه الأسماء ليظهر فضله وقصورهم عنه في العلم ، فتأكد الجواب الإجمالي بالتفضيل. ولا بد من تقدير جملة محذوفة قبل هذا ، لأنه بها يتم المعنى ويصح هذا العطف ، وهي : فجعل في الأرض خليفة. ولما كان لفظ الخليفة محذوفا مع الجملة المقدرة ، أبرزه في قوله : ﴿وعلم ءادم﴾ ، ناصا عليه ومنوها بذكره باسمه. وأبعد من زعم أن : ﴿وعلم ءادم﴾ معطوف على قوله ، قال من قوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملئاكة إني جاعل﴾ . وهل التعليم بتكليم الله تعالى له في السماء ، كما كلم موسى في الأرض ، أو بوساطة ملك أو بالإلهام ؟ أقوال أظهرها أن الباري تعالى هو المعلم ، لا بواسطة ولا إلهام. وقرأ اليماني ويزيد اليزيدي : وعلم آدم مبنيا للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به والتضعيف في علم للتعدية ، إذ كان قبل التضعيف يتعدى لواحد ، فعدى به إلى اثنين. وليست التعدية بالتضعيف مقيسة ، إنما يقتصر فيه على مورد السماع ، سواء كان الفعل قبل التضعيف لازما أم كان متعديا ، نحو : علم المتعدية إلى واحد. وأما إن كان متعديا إلى اثنين ، فلا يحفظ في شيء منه التعدية بالتضعيف إلى ثلاث. وقد وهم القاسم بن علي الحريري في زعمه في شرح الملحة له أن علم تكون منقولة من علم التي تتعدى إلى اثنين فتصير بالتضعيف متعدية إلى ثلاثة ، ولا يحفظ ذلك من كلامهم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٣٧

وقد ذهب بعض النحويين إلى اقتباس التعدية بالتضعيف. قال الإمام أبو الحسين بن أبي الربيع في (كتاب التلخيص) من تأليفه : الظاهر من مذهب سيبويه أن النقل بالتضعيف سماع في المتعدي واللازم ، وفيما علمه أقوال : أسماء جميع المخلوقات ، قاله ابن نعباس وابن جبير ومجاهد وقتادة ، أو اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وعزى إلى ابن عباس ، وهو قريب من الأول ، أو جميع اللغات ، ثم كلم كل واحد من بنيه بلغة فتفرقوا في البلاد ، واختص كل فرقة بلغة أو كلمة واحدة تفرع منها جميع اللغات ، أو أسماء النجوم فقط ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، أو أسماء الملائكة فقط ، قاله الربيع بن خيثم ، أو أسماء ذريته ، قاله الربيع بن زيد ، أو أسماء ذريته والملائكة ، قاله الطبري واختاره ؛ أو أسماء الأجناس التي خلقها ، علما أن هذا اسمه فرس ، وهذا اسمه بعير ، وهذا اسمه كذا ، وهذا اسمه كذا ، وعلمه أحوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ، واختاره الزمخشري ، أو أسماء ما خلق في الأرض ، قاله ابن قتيبة ، أو الأسماء بلغة ثم وقع الاصطلاح من ذريته في سواها ، أو علمه كل شيء حتى نحو سيبويه ، قاله أبو علي الفارسي ، أو أسماء

١٤٥
." (١)

"﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ ، ما : منصوب باسم الفاعل ، وهو موصول معهود ، فلذلك أتى باسم الفاعل لأنه يدل على الثبوت ، ولم يأت بالفعل الذي هو دال على التجدد والتكرار ، ولا تكرار ، إذ لا تجدد فيه ، لأنها قصة واحدة معروفة ، فلذلك ، والله أعلم ، لم يأت بالفعل. وجاء اسم الفاعل معملا ، ولم يضف ، وإن كان من حيث المعنى ماضيا ، لأنه حكى ما كان مستقبلا وقت التدارؤ ، وذلك مثل ما حكى الحال في قوله تعالى : ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ . ودخلت كان هنا ليدل على تقدم الكتمان ، والعائد على ما محذوف تقديره : ما كنتم تكتمونه. والظاهر أن المعنى ما كنتم تكتمون من أمر القتيل وقاتله ، وعلى هذا ذهب الجمهور. وقيل : يجوز أن يكون عاما في القتيل وغيره ، فيكون القتيل من جملة أفراده ، وفي ذلك نظر ، إذ ليس كل ما كتموه عن الناس أظهره الله تعالى.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

﴿فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ : جملة

٢٥٩

معطوفة على قوله : ﴿قتلتم نفسا فادارءاتم فيها ﴾ .

والجملة من قوله تعالى : ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ، مشعرة بأن التدارؤ لا يجدي شيئا ، إذ الله تعالى مظهر ما كتم من أمر القتيل. والهاء في اضربوه عائد على النفس ، على تذكير النفس ، إذ فيها التأنيث ، وهو الأشهر ، والتذكير ، أو على أو الأول هو على حذف مضاف ، أي وإذ قتلتم ذا نفس ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، فروعي بعود الضمير مؤنثا في قوله : ﴿فادارءاتم﴾ فيها ، وروعي المحذوف بعود الضمير عليه مذكرا في قوله : ﴿فقلنا اضربوه﴾ ، أو عائد على القتيل ، أي ، فقلنا : اضربوا القتيل ببعضها. الظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأي بعض كان ، فقيل : ضربوه بلسانها ، أو بفخذها اليمنى ، أو بذنبها ، أو بالغضروف ، أو بالعظم الذي يلي الغضروف ، وهو أصل الأذن ، أو بالبضعة التي بين الكتفين ، أو بالعجب ، وهو أصل الذنب ، أو بالقلب واللسان معا ، أو بعظم من عظامها ، قاله أبو العالية. والباء في ببعضها للآلة ، كما تقول : ضربت بالقدوم ، والضمير عائد على البقرة ، أي ببعض البقرة. وفي الكلام حذف يدل عليه ما بعده وما قبله ، التقدير : فضربوه فحيي

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٢٠/١

، دل على ضربوه قوله تعالى : ﴿اضربوه ببعضها ﴾ ، ودل على فحيي قوله تعالى : ﴿كذلك يحى الله الموتى ﴾ . ونقل أن الضرب كان على جيد القتيل ، وذلك قبل دفنه ، ومن قال : إنهم مكثوا في طلبها أربعين سنة ، أو من يقول : إنهم أمروا بطلبها ، ولم تكن في صلب ولا رحم ، فلا يكون الضرب إلا بعد دفنه. قيل : على قبره ، والأظهر أنه المباشر بالضرب لا القبر. وروي أنه قام وأوداجه تشخب دما ، وأخبر بقاتله فقال : قتلني ابن أخي ، فقال بنو أخيه والله ما قتلناه ، فكذبوا بالحق بعد معاينته ، ثم مات مكانه. وفي بعض القصص أنه قال : قتلني فلان وفلان ، لا بني عمه ، ثم سقط ميتا ، فأخذا وقتلا ، ولم يورثوا قاتلا بعد ذلك. وقال الماوردي : كان الضرب بميت لا حياة فيه ، لئلا يلتبس على ذي شبهة أن الحياة إنما انقلبت إليه مما ضرب به لتزول الشبهة وتتأكد الحجة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

﴿كذلك يحى الله الموتى ﴾ : إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيل ، كان ثم إضمار قول : أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة. وقدره الماوردي خطابا مو موسى ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وإن كان لمنكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون من تلوين الخطاب. والمعنى : كما أحيي قتيل بني إسرائيل في الدنيا ، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة ، وإلى هذا ذهب الطبري ، والظاهر هو الأول ، لانتظام الآي **في نسق واحد** ، ولئلا يختلف خطاب ﴿لعلكم تعقلون﴾ ، وخطاب ﴿ثم قست قلوبكم﴾ ، لأن ظاهر قلوبكم أنه خطاب لبني إسرائيل. والكاف من كذلك صفة لمصدر محذوف منصوب بقوله : ﴿فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ ، أي إحياء مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى ، والمماثلة إنما هي في مطلق الإحياء لاقى كيفية الإحياء ، فيكون ذلك إشارة إلى إحياء القتيل. وجعل صاحب المنتخب ذلك إشارة إلى نفس القتيل ، ويحتاج في تصحيح ذلك إلى حذف مضاف ، أي مثل إحياء ذلك القتيل ، يحيي الله الموتى ، فجعله إشارة إلى المصدر أولى وأقل تكلفا. وإذا كان ذلك خطابا لبني إسرائيل الحاضرين إحياء القتيل ، فحكمه مشاهدة ذلك ، وإن كانوا مؤمنين بالبعث ، اطمئنان قلوبهم وانتفاء الشبهة عنهم ، إذ الذي كانوا مؤمنين به بالاستدلال آمنوا به مشاهدة.

". (١)

"لأمر الله ، وأنها لا تمتنع على ما يريد الله تعالى فيها. فمن يراها يظن أن ذلك الانفعال السريع هو مخافة خشية الله تعالى. وهذا قول من ذهب إلى أن الحياة والنطق لا يحلان في الجمادات ، وذلك ممتنع

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٢١/١

عندهم. وتأولوا ما ورد في القرآن والحديث ، مما يدل على ذلك على أن الله تعالى قرن بها ملائكة ، هي التي تسلم وتتكلم ، كما ورد أن الرحم معلقة بالعرش ، تنادي : اللهم صل من وصلني ، واقطع من قطعني. والأرحام ليست بجسم ، ولا لها إدراك ، ويستحيل أن تسجد المعاني ، أو تتكلم ، وإنما قرن الله تعالى بها ملكا يقول ذلك القول. وتأولوا : هذا جبل يحبنا ونحبه ، أي يحبه أهله ونحب أهله ، كقوله تعالى : واسئل القرية. واختيار ابن عطية ، رحمه الله تعالى ، أن الله يخلق للحجارة قدرا ما من الإدراك ، تقع به الخشية والحركة. واختيار الزمخشري أن الخشية مجاز عن الانقياد لأمر الله تعالى وعدم امتناعها ، وترتيب تقسيم هذه الحجارة ترتيب حسن جدا ، وهو على حسب الترقي. فبدأ أولا بالذي تتفجر منه الأنهار ، أي خلق ذا خروق متسعة ، فلم ينسب إليه في نفسه تفعل ولا فعل ، أي أنها خلقت ذات خروق بحيث لا يحتاج أن يضاف إليها صدور فعل منها. ثم ترقى من هذا الحجر إلى الحجر الذي ينفعل انفعالا يسيرا ، وهو أن يصدر منه تشقق بحيث ينبع منه الماء. ثم ترقى من هذا الحجر إلى الحجر الذي ينفعل انفعالا عظيما ، بحيث يتحرك ويتدهده من علو إلى أسفل ، ثم رسخ هذا الانفعال التام بأن ذلك هو من خشية الله تعالى ، من طواعيته وانقياده لما أراد الله تعالى منه ، فكنى بالخشية عن الطواعية والانقياد ، لأن من خشي أطاع وانقاد.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ : هذا فيه وعيد ، وذلك أنه لما قال : ﴿ثم قست قلوبكم منا بعد ذالك﴾ ، أفهم أنه ينشأ عن قسوة القلوب أفعال فاسدة وأعمال قبيحة ، من مخالفة الله تعالى ، ومعاندة رسله ، فأعقب ذلك بتهديدهم بأن الله تعالى ليس بغافل عن أعمالهم ، بل هو تعالى يحصيها عليهم ، وإذا لم يفعل عنها كان مجازيا عليها. والغفلة إن أريد بها السهو ، فالسهو لا يجوز على الله تعالى ، وإن أريد بها الترك عن عمد ، فذكروا أنه مما يجوز أن يوصف الله تعالى به. وعلى كلا التقديرين ، فنفى الله تعالى الغفلة عنه. وانتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا ، ولكونه لا يقع منه مع إمكانه. وقد ذهب القاضي إلى أنه لا يصح أن يوصف الله تعالى بأنه ليس بغافل ، قال : لأنه يوهم جواز الغفلة عليه ، وليس الأمر كما ذهب إليه ، لأن نفي الشيء عن الشيء لا يستلزم إمكانه. ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ ؟ وقوله : ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ ، فقد نفى عنه تعالى ما لا يستلزم إمكانه له. وبغافل : في موضع نصب ، على أن تكون ما حجازية. ويجوز أن تكون في موضع رفع ، على أن تكون ما تميمية ، فدخلت الباء في خبر المبتدأ ، وسوغ ذلك النفي. ألا ترى أنها لا تدخل في الموجب ؟ لا

تقول : زيد بقائم ، ولا : ما زيد إلا بقائم. قال ابن عطية : وبغافل في موضع نصب خبر ما ، لأنها الحجازية ، يقوي ذلك دخول الباء في الخبر ، وإن كانت الباء قد تجيء شاذة مع التميمية. انتهى كلامه. وهذا الذي ذهب إليه أبو محمد بن عطية ، من أن الباء مع التميمية قد تجيء شاذة ، لم يذهب إليه نحوي فيما علمناه ، بل القائلون قائلان ، قائل : بأن التميمية لا تدخل الباء في خبر المبتدأ بعدها ، وهو مذهب أبي علي الفارسي في أحد قوليه ، وتبعه الزمخشري. وقائل : بأنه يجوز أن يجر بالباء ، وهو الصحيح. وقال الفرزدق :

لعمرك ما معن بتارك حقه

وأشعار بني تميم تتضمن جر الخبر بالباء كثيرا. وقرأ الجمهور : تعملون بالتاء ، وهو الجاري **على نسق قوله** : ﴿ثم قست قلوبكم﴾ . وقرأ ابن كثير بالياء ، فيحتمل أن يكون الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن يكون الخطاب مع بني إسرائيل ، ويكون ذلك التفاتا ، إذ خرج من الخطاب في قوله تعالى : ﴿ثم قست قلوبكم﴾ إلى الغيبة في قوله : ﴿يعملون﴾ . وحكمة هذا الالتفات أنه أعرض عن مخاطبتهم ، وأبرزهم في صورة من لا يقبل عليهم

٢٦٧

بالخطاب ، وجعلهم كالغائبين عنه ، لأن مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام إقبال من المخاطب عليه ، وتأنيس له ، فقطع عنهم مواجهته لهم بالخطاب ، لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

". (١)

"أحدها : أنه جملة منفية في موضع نصب على الحال من بني إسرائيل ، أي غير عابدين إلا الله أي موحدين الله ومفرديه بالعبادة ، وهو حال من المضاف إليه ، وهو لا يجوز على الصحيح. لا يقال إن المضاف إليه يمكن أن يكون معمولا في المعنى لميثاق ، إذ يحتمل أن يكون مصدرا ، أو حكمه حكم المصدر. وإذا كان كذلك ، جاز أن يكون المجرور بعده فاعلا في المعنى ، أو مفعولا لأن الذي يقدر فيه العمل هو ما انحل إلى حرف مصدري والفعل ، وهنا ليس المعنى على أن ينحل ، لذلك فلا يجوز الحكم على موضعه برفع ولا نصب ، لأنك لو قدرت أخذنا أن نواثق بني إسرائيل ، أو أن يواثقنا بنو إسرائيل ، لم يصح ، بل لو فرضنا كونه مصدرا حقيقة : لم يجز فيه ذلك. ألا ترى أنك لو قلت : أخذت علم زيد ، لم

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٢٨/١

ينحل لحرف مصدري والفعل : لا يقال : أخذت أن يعلم زيد. فإذا لم يتقدر المصدر بحرف مصدري والفعل ، ولا كان من ضربا زيدا ، لم يعمل على خلاف في هذا الأخير ، ولذلك منع ابن الطراوة في ترجمة سيبويه هذا. باب علم ما الكلم من العربية : أن يتقدر المصدر بحرف مصدري والفعل ، ورد ذلك على من أجازه. وممن أجازه أن تكون الجملة حالا بالمبرد وقطرب ، قالوا : ويجوز أن يكون حالا مقارنة ، وحالا مقدرة. الوجه الثاني : أن تكون الجملة جوابا لقسم محذوف دل عليه قوله : ﴿أخذنا ميثاق بنى إسرا ءيل﴾ ، أي استحلفناهم والله لا يعبدون ، ونسب هذا الوجه إلى سيبويه ، وأجازه الكسائي والفراء والمبرد. الوجه الثالث : أن تكون أن محذوفة ، وتكون أن وما بعدها محمولا على إضمار حرف جر ، التقدير : بأن لا تعبدوا إلا الله

٢٨٢

فحذف حرف الجر ، إذ حذفه مع أن ، وأن جائز مطرد ، إذ لم يلبس ، ثم حذف بعد ذلك ، أن ، فارتفع الفعل ، فصار لا تعبدون ، قاله الأخفش ، ونظيره من نثر العرب : مره بحفرها ، ومن نظمها قوله :

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى

أصله : مره بأن يحفرها. وعن : أن أحضر الوغى ، فجرى فيه من العمل ما ذكرناه. وهذا النوع من إضمار أن في مثل هذا مختلف فيه ، فمن النحويين من منعه ، وعلى ذلك متأخرو أصحابنا. وذهب جماعة من النوحييو إلى أنه يجوز حذفها في مثل هذا الموضع. ثم اختلفوا فقيل : يجب رفع الفعل إذ ذاك ، وهذا مذهب أبي الحسن. ومنهم من قال بنفي العمل ، وهو مذهب المبرد والكوفيين. والصحيح : قصر ما ورد من ذلك على السماع ، وما كان هكذا فلا ينبغي أن تخرج الآية عليه ، لأن فيه حذف حرف مصدري ، وإبقاء صلته في غير المواضع المنقاس ذلك فيها. الوجه الرابع : أن يكون التقدير : أن لا تعبدوا ، فحذف أن وارتفع الفعل ، ويكون ذلك في موضع نصب على البدل من قوله : ﴿ميثاق بنى إسرا ءيل﴾ . وفي هذا الوجه ما في الذي قبله من أن الصحيح عدم اقتياس ذلك ، أعني حذف أن ورفع الفعل ونصبه. الوجه الخامس : أن تكون محكية بحال محذوفة ، أي قائلين لا تعبدون إلا الله ، ويكون إذ ذاك لفظه لفظ الخبر ، ومعناه النهي ، أي قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله ، قاله الفراء ، ويؤيده قراءة أبي وابن مسعود ، والعطف عليه قوله : ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ .

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٨٠

الوجه السادس : أن يكون المحذوف القول ، أي وقلنا لهم : ﴿لا تعبدون إلا الله﴾ ، وهو نفي في معنى

النهي أيضا. قال الزمخشري : كما يقول تذهب إلى فلان ، تقول له كذا ، تريد الأمر ، وهو أبلغ من صريح الأمر والهي ، لأنه كان سورع إلى الامتثال والانتهاء ، فهو يخبر عنه. انتهى كلامه ، وهو حسن.

الوجه السابع : أن يكون التقدير أن لا تعبدون ، وتكون أن مفسرة لمضمون الجملة ، لأن في قوله : ﴿أخذنا ميثاق بنى إسرا ءيل﴾ معنى القول ، فحذف أن المفسرة وأبقى المفسر. وفي جواز حذف أن المفسرة نظر.

الوجه الثامن : أن تكون الجملة تفسيرية ، فلا موضع لها من الإعراب ، وذلك أنه لما ذكر أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل ، كان في ذلك إيهام للميثاق ما هو ، فأتى بهذه الجملة مفسرة للميثاق ، فمن قرأ بالياء ، فلأن بني إسرائيل لفظ غيبة ، ومن قرأ بالتاء ، فهو التفات ، وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب ، ليكون أدعى للقبول ، وأقرب للامتثال ، إذ فيه الإقبال من الله على المخاطب بالخطاب. ومع جعل الجملة مفسرة ، لا تخرج عن أن يكون نفي أريد به نهي ، إذ تبعد حقيقة الخبر فيه.

إلا الله : استثناء مفرغ ، لأن لا تعبدون لم يأخذ مفعوله ، وفيه التفات. إذ خرج من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب. ألا ترى أنه لو جرى **على نسق واحد** لكان نظم الكلام لا تعبدون إلا إيانا ؟ لكن في العدول إلى الاسم الظاهر من الفخامة ، والدلالة على سائر الصفات ، والتفرد بالتسمية به ، ما ليس في المضمر ، ولأن ما جاء بعده من الأسماء ، إنما هي أسماء ظاهرة ، فناسب مجاورة الظاهر الظاهر.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٨٠

". (١)

"جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿وما هو بمزحزحها من العذاب أن يعمر﴾ : الضمير من قوله : وما هو عائد على أحدهم ، وهو اسم ما ، وبمزحزحه خبر ما فهو في موضع نصب ، وذلك على لغة أهل الحجاز. وعلى ذلك ينبغي أن يحمل ما ورد في القرآن من ذلك ، وأن يعمر فاعل بمزحزحه ، أي وما أحدهم مزحزحه من العذاب تعمير. وجوزوا أيضا في هذا الوجه ، أعني : أن يكون الضمير عائدا على أحدهم ، أن يكون هو مبتدأ ، وبمزحزحه خبر. وأن يعمر فاعل بمزحزحه ، فتكون ما تميمية. وهذا الوجه ، أعني أن تكون ما تميمية هو الذي ابتدأ به ابن عطية. وأجازوا أن يكون هو ضميرا عائدا على المصدر المفهوم من قوله : ﴿لو يعمر﴾ ، وأن يعمر بدل منه ، وارتفاع هو على وجهيه من كونه اسم ما أو مبتدأ. وقيل : هو كناية عن التعمير ، وأن يعمر بدل منه

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١/٢٤٣

، ولا يعود هو على شيء قبله. والفرق بين هذا القول والذي قبله ، أن مفسر الضمير هنا هو البدل ، ومفسره في القول الأول هو المصدر الدال عليه الفعل في لو يعمر. وكون البدل يفسر الضمير فيه خلاف ، ولا خلاف في تفسير الضمير بالمصدر المفهوم من الفعل السابق. فهذا يفسره ما قبله ، وذاك يفسره ما بعده. وهذا الذي عنى الزمخشري بقوله : ويجوز أن يكون هو مبهما ، وأن يعمر موضحه. يعني : أن يكون هو لا يعود على شيء قبله ، وأن يعمر بدل منه وهو مفسر. وأجاز أبو علي الفارسي في الحلبيات أن يكون هو ضمير الشأن ، وهذا ميل منه إلى مذهب الكوفيين ، وهو أن مفسر ضمير الشأن ، وهو المسمى عندهم بالمجهول ، يجوز أن يكون غير جملة إذا انتظم إسنادا معنويا نحو : ظننته قائما زيد ، وما هو بقائم زيد ، فهو مبتدأ ضمير مجهول عندهم ، وبقائم في موضع الخبر ، وزيد فاعل بقائم. وكان المعنى عندهم : ما هو يقوم زيد ، ولذلك أعربوا في : ظننته قائما زيد ، الهاء ضمير المجهول ، وهي مفعول ظننت ، وقائما المفعول الثاني ، وزيد فاعل بقائم. ولا يجوز في مذهب البصريين أن يفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها سالمة من حرف جر. قال ابن عطية ، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت : هو عماد. انتهى كلامه ، ويحتاج

٣١٥

إلى تفسير ، وذلك أن العماد في مذهب بعض الكوفيين يجوز أن يتقدم مع الخبر على المبتدأ ، فإذا قلت : ما زيد هو القائم ، جوزوا أن تقول : ما هو القائم زيد. فتقدير الكلام عندهم ، وما تعميره هو بمزحزحه. ثم قدم الخبر مع العماد ، فجاء : وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، أي تعميره ، ولا يجوز ذلك عند البصريين ، لأن شرط الفصل عندهم أن يكون متوسطا. وتلخص في هذا الضمير : أهو عائد على أحدهم ؟ أو على المصدر المفهوم من يعمر ؟ أو على ما بعده من قوله أن يعمر ؟ أو هو ضمير الشأن ؟ أو عماد ؟ أقوال خمسة ، أظهرها الأول.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿والله بصيرا بما يعملون﴾ : قرأ الجمهور يعملون بالياء ، على نسق الكلام السابق. وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب بالتاء ، على سبيل الالتفات والخروج من العيبة إلى الخطاب. وهذه الجملة تتضمن التهديد والوعيد ، وأتى عنا بصفة بصير ، وإن كان الله تعالى متنزها عن الجارحة ، إعلاما بأن علمه ، بجميع الأعمال ، علم إحاطة وإدراك للخفيات. وما : في بما ، موصولة ، والعائد محذوف ، أي يعملونه. وجوزوا فيها أن تكون مصدرية أي بعملهم ، وأتى بصيغة المضارع ، وإن كان علمه تعالى محيطا بأعمالهم السالفة

والآتية لتواخي الفواصل.
." (١)

"﴿ولله المشرق والمغربا فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ : قال الحسن وقتادة : أباح لهم في الابتداء أن يصلوا حيث شاؤا ، فنسخ ذلك. وقال مجاهد والضحاك : معناها إشارة إلى الكعبة ، أي حيثما كنتم من المشرق والمغرب ، فأنتم قادرون على التوجه إلى الكعبة. فعلى هذا هي ناسخة لبيت المقدس. وقال أبو العالية وابن زيد : نزلت جوابا لمن عير من اليهود بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. وقال ابن عمر : نزلت في صلاة المسافر ، حيث توجهت به دابته. وقيل : جواب لمن قال : أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ قاله سعيد بن جبير. وقيل : في الصلاة على النجاشي ، حيث قالوا : لم يكن يصلي إلى قبلتنا. وقيل : فيمن اشتبهت عليه القبلة في ليلة متغيمة ، فصلوا بالتحري إلى جهات مختلفة. وقد روي ذلك في حديث عن جابر ، أن ذلك وقع لسرية ، وعن عامر بن ربيعة ، أن ذلك جرى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في االسفر ، ولو صح ذلك ، لم يعدل إلى سواه من هذه الأقوال المختلفة المضطربة. وقال النخعي : الآية عامة ، أينما تولوا في متصرفاتكم ومساعيكم. وقيل : نزلت حين صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت.

وهذه أقوال كثيرة في سبب نزول هذه الآية ، وظاهرها التعارض ، ولا ينبغي أن يقبل منها إلا ما صح ، وقد شحن المفسرون كتبهم بنقلها. وقد صنف الواحدي في ذلك كتابا قلما يصح فيه شيء ، وكان ينبغي أن لا يشتغل بنقل ذلك إلا ما صح. والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو : أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها ، نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات ، ولا من ذكر الله ، إذ المشرق والمغرب لله تعالى ، فأي جهة أديتم فيها العبادة ، فهي لله يثيب على ذلك ، ولا يختص مكان التأدية بالمسجد. والمعنى : ولله بلاد المشرق والمغرب وما بينهما. فيكون على حذف مضاف ، أو يكون المعنى : ولله المشرق والمغرب وما بينهما ، فيكون على حذف معطوف ، أو اقتصر على ذكرهما تشريفا لهما ، حيث أضيفا لله ، وإن كانت الأشياء كلها لله ، كما شرف البيت الحرام وغيره من الأماكن بالإضافة إليه تعالى. وهذا كله على تقدير أن يكون المشرق والمغرب أسمى مكان.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

وذهب بعض المفسرين إلى أنهما اسما مصدر ، والمعنى أن لله تولى إشراق الشمس من مشرقها وإغرابها

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٧١/١

من مغربها ، فيكونان ، إذ ذاك ، بمعنى الشروق والغروب. ويبعد هذا القول قوله بعد : ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ . وأفرد المشرق والمغرب باعتبار الناحية ، أو باعتبار المصدر الواقع في الناحية. وأما الجمع فباعتبار اختلاف المغارب والمطالع كل يوم. وأما التثنية فباعتبار مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما. ومعنى التولية : الاستقبال بالوجوه. وقيل : معناها الاستدبار من قولك : وليت عن فلان إذا استدبرته ، فيكون التقدير : فأي جهة وليتم عنها واستقبلتم غيرها فثم وجه الله. وقيل : ليست في الصلاة ، بل هو خطاب للذين يخربون المساجد ، أي أينما تولوا هاربين عني فإني ألحظهم. ويقويه قراءة الحسن : فأينما تولوا ، جعله للغائب ، فجرى على قوله : ﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ ، وعلى قوله : ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾ ، فجرت الضمائر **على نسق واحد**. قال الزمخشري : ففي أي مكان فعلتم التولية ، يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ، انتهى. فقيد التولية التي هي مطلقة بالتولية التي هي شطر القبلة ، وهو قول حسن. وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ مسائل موضوعها علم الفقه منها : من صلى في ظلمة مجتهدا إلى جهة ، ثم تبين أنه صلى لغير القبلة ، ومسألة من صلى على ظهر الدابة فرضا لمرض أو نفلا ، ومسألة الصلاة على الميت الغائب ، إذا قلنا نزلت في النجاشي ، وشحن كتابه بذكر هذه المسائل ، وذكر الخلاف فيها ، وبعض دلائلها وموضوعها ، كما ذكرناه هو علم الفقه. ﴿فثم وجه الله﴾ ، هذا جواب الشرط ، وهي جملة ابتدائية ، فقيل : معناه فثم قبلة الله ، فيكون الوجه بمعنى الجهة ، وأضيف ذلك إلى الله حيث أمر باستقبالها ، فهي الجهة التي فيها رضا الله تعالى ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل. وقيل : الوجه هنا صلة ، والمعنى فثم الله أي علمه وحكمه. وروي عن ابن عباس ومقاتل : أو عبر عن الذات بالوجه ، كقوله تعالى : ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ، ﴿كل شيء هالك إلا وجهها﴾ ، وقيل : المعنى العمل لله ، قاله الفراء ، قال :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

أستغفر الله ذنبا لست محصيهرب العباد إليه الوجه والعمل

(١) ".

"هذا ما نقلناه من كلام أهل التفسير في الآية. وظاهر الآية يدل على أن الله تعالى إذا أراد إحداث شيء قال له : كن ، تبينه الآية الأخرى : ﴿إنما قولنا لشيء إذآ أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ ، وقوله : ﴿ومآ أمرنآ إلا واحدة كلمحا بالبصر﴾ . لكن دليل العقل صد عن اعتقاد مخاطبة المعدوم ، وصد عن أن

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١١/١

يكون الله تعالى محلا للحوادث ، لأن لفظة كن محدثة ، ومن يعقل مدلول اللفظ. وكونه يسبق بعض حروفه بعضا ، لم يدخله شك في حدوثه ، وإذا كان كذلك ، فلا خطاب ولا قول لفظيا ، وإنما ذلك عبارة عن سرعة الإيجاد وعدم اعتياصه ، فهو من مجاز التمثيل ، وكأنه قدر أن المعدوم موجود يقبل الأمر ويمتثله بسرعة ، بحيث لا يتأخر عن امتثال ما أمر به. وقرأ الجمهور : فيكون بالرفع ، ووجه على أنه على الاستئناف ، أي فهو يكون ، وعزى إلى سيبويه.

٣٦٥

وقال غيره : فيكون عطف على يقول ، واختاره الطبري وقرره. وقال ابن عطية : وهو خطأ من جهة المعنى ، لأنه يقتضي أن القول مع التكوين حادث ، وقد انتهى ما رده به ابن عطية. ومعنى رده : أن الأمر عنده قد تم ، والتكوين حادث ، **وقد نسق عليه** بالفاء ، فهو معه ، أي يعتقبه ، فلا يصح ذلك ، لأن القديم لا يعتقبه الحادث. وتقرير الطبري له هو ما تقدم في أوائل الكلام على هذه المسألة ، من أن الأمر لا يتقدم الوجود ولا يتأخر عنه. وما رده به ابن عطية لا يتم إلا بأن تحمل الآية على أن ثم قولا وأمرا قديما. أما إذا كان ذلك على جهة المجاز ، ومن باب التمثيل ، فيجوز أن يعطف على نقول. وقرأ ابن عامر : فيكون بالنصب ، وفي آل عمران : ﴿كن فيكون﴾ ونعلمه ، وفي النحل ، وفي مريم ، وفي يس ، وفي المؤمن. ووافقه الكسائي في النحل ويس ، ولم يختلف في ﴿كن فيكون﴾ الحق في آل عمران. ﴿كن فيكون﴾ قوله الحق في الأنعام أنه بالرفع ، ووجه النصب أنه جواب على لفظ كن ، لأنه جاء بلفظ الأمر ، فشبه بالأمر الحقيقي. ولا يصح نصبه على جواب الأمر الحقيقي ، لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجزاء نحوه : ائتني فأكرمك ، إذ المعنى : إن تأتني أكرمك. وهنا لا ينتظم ذلك ، إذ يصير المعنى : إن يكن يكن ، فلا بد من اختلاف بين الشرط والجزاء ، إما بالنسبة إلى الفاعل ، وإما بالنسبة إلى الفعل في نفسه ، أو في شيء من متعلقاته. وحكى ابن عطية ، عن أحمد بن موسى ، في قراءة ابن عامر : أنها لحن ، وهذا قول خطأ ، لأن هذه القراءة في السبعة ، فهي قراءة متواترة ، ثم هي بعد قراءة ابن عامر ، وهو رجل عربي ، لم يكن ليلحن. وقراءة الكسائي في بعض المواضع ، وهو إمام الكوفيين في علم العربية ، فالقول بأنها لحن ، من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر ، إذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينآ ءاية﴾ : قال ابن عباس ، والحسن ، والربيع ، والسدي :

نزلت في كفار العرب حين ، طلب عبد الله بن أمية وغيره ذلك. وقال مجاهطد : في النصارى ، ورجحه الطبري ، لأنهم المذكورون في الآية أولا. وقال ابن عباس أيضا : اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رافع بن خزيمة ، من اليهود : إن كنت رسولا من عند الله ، فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله الآية. وقال قتادة : مشركو مكة. وقيل : الإشارة بقوله : ﴿الذين لا يعلمون﴾ إلى جميع هذه الطوائف ، لأنهم كلهم قالوا هذه المقالة ، واختلافهم في الموصول مبني على اختلافهم في السبب. فإن كان الموصول الجهلة من العرب ، فنفى عنهم العلم ، لأنهم لم يكن لهم كتاب ، ولا هم أتباع نبوة ، وإن كان الموصول اليهود والنصارى ، فنفى عنهم العلم ، لانتفاء ثمرته ، وهو الاتباع له والعمل بمقتضاه. وحذف مفعول العلم هنا اقتصارا ، لأن المقصود إنما هو نفي نسبة العلم إليهم ، لا نفي علمهم بشيء مخصوص ، فكأنه قيل : وقال الذين ليسوا ممن له سجية في العلم لفرط غباوته ، فهي مقالة صدرت ممن لا يتصف بتمييز ولا إدراك. ومعمول القول ، الجملة التخصيصية وهي : ﴿لولا يكلمنا الله﴾ ؛ كما يكلم الملائكة ، وكما كلم موسى عليه السلام ، قالوا ذلك على طريقة الاستكبار والعتو ، ﴿وقال الذين لا﴾ ، أي هلا يكون أحد هذين ، إما التكلم ، وإما إتيان آية ؟ قالوا ذلك جحودا لأن يكون ما أتاهم آية واستهانة بها. ولما حكى عنهم نسبة الولد إلى الله تعالى ، أعقب ذلك بمقالة أخرى لهم تدل على تعنتهم وجهلهم بما يجب لله تعالى من التعظيم وعدم الاقتراح على أنبيائه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

". (١)

"﴿إن كنتم﴾ : هذا عموم في الأماكن التي يحلها الإنسان ، أي في موضع كنتم ، وهو شرط وجراء ، والفاء جواب الشرط ، وكنتم في موضع جزم. وحيث : هي ظرف مكان مضافة إلى الجملة ، فهي مقتضية ، الخفض بعدها ، وما اقتضى الخفض لا يقتضي الجزم ، لأن عوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال ، والإضافة موضحة لما أضيف ، كما أن الصلة موضحة فينافي اسم الشرط ، لأن الشرط مبهم. فإذا وصلت بما زال منها معنى الإضافة ، وضمنت معنى الشرط ، وجوزي بها ، وصارت إذ ذاك من عوامل الأفعال. وقد تقدم لنا ما شرط في المجازاة بها ، وخلاف الفراء في ذلك. ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ : وهذا أمر لأمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما تقدم أمره بذلك ، أراد أن يبين أن حكمه وحكم أمته في ذلك واحد ، مع مزيد عموم في الأماكن ، لئلا يتوهم أن هذه القبلة مختصة بأهل المدينة ، فبين أنهم في أيما

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٦/١

حصلوا من بقاع الأرض ، وجب أن يستقبلوا شطر المسجد. ولما كان صلى الله عليه وسلم هو المتشوق لأمر
٤٢٩
التحويل ، بدأ بأمره أولا ثم أتبع أمر أمته ثانيا لأنهم تبع له في ذلك ، ولئلا يتوهم أن ذلك مما اختص به صلى الله عليه وسلم. وفي حرف عبد الله : فولوا وجوهكم قبله. وقرأ ابن أبي عبلة : فولوا وجوهكم تلقاءه ، وهذا كله يدل على أن المراد بالشطر : النحو..
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٧
﴿وإن الذين أوتوا الكتاب﴾ : أي رؤساء اليهود والنصارى وأحبارهم. وقال السدي : هم اليهود. ﴿ليعلمون أنه﴾ : أي التوجه إلى المسجد الحرام ، ﴿الحق﴾ : الذي فرضه الله على إبراهيم وذريته. وقال قتادة والضحاك : إن القبلة هي الكعبة. وقال الكسائي : الضمير يعود على الشطر ، وهو قريب من القول الثاني ، لأن الشطر هو الجهة. وقيل : يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ، أي يعرفون صدقه ونبوته ، قاله قتادة أيضا ومجاهد. ومفسر هذه الضمائر متقدم. فمفسر ضمير التحويل والتوجه قوله : ﴿فول وجهك﴾ ، فيعود على المصدر المفهوم من قوله : ﴿فولوا ﴾ ، ومفسر ضمير القبلة قوله : ﴿قبلة ترضاها ﴾ ، ومفسر ضمير الشطر قوله : ﴿شطر المسجد الحرام﴾ ، ومفسر ضمير الرسول ضمير خطابه صلى الله عليه وسلم. فعلى هذا الوجه يكون التفاتان. والعلم هنا يحتمل أن يكون مما يتعدى إلى اثنين ، ويحتمل أن يكون مما يتعدى إلى واحد ، لأن معموله هو أن وصلتها ، فيحتمل الوجهين ، وعلمهم بذلك ، إما لأن في كتابهم التوجه إلى الكعبة ، قاله أبو العالية ، وإما لأن في كتابهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي صادق ، فلا يأمر إلا بالحق ، وإما لجواز النسخ ، وإما لأن في بشارة الأنبياء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى القبلتين. ﴿من ربهم﴾ : جار ومجرور في موضع الحال ، أي ثابتا من ربهم. وفي ذلك دليل على أن التحول من بيت المقدس إلى الكعبة لم يكن باجتهاد ، إنما هو بأمر من الله تعالى. وفي إضافة الرب إليهم تنبيه على أنه يجب اتباع الحق الذي هو مستقر ممن هو معتن بإصلاحك ، كما قال تعالى : ﴿الحق من ربك﴾ .
﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ : قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب. فيحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله : ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ ، ويحتمل أن يراد به أهل الكتاب ، فتكون من باب الالتفات. ووجهه أن في خطابهم بأن الله لا يغفل عن أعمالهم ، تحريكا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق ، لأن

المواجهة بالشيء تقتضي شدة الإنكار وعظم الشيء الذي ينكر. ومن قرأ بالياء ، فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك **في نسق واحد** من الغيبة. وعلى كلتا القراءتين ، فهو إعلام بأن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد ، ولا يغفل عنها ، وهو متضمن الوعيد.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤١٧

". (١)

"كل من كتم علما من دين الله يحتاج إلى بثه ونشره ، وذلك مفسر في قوله صلى الله عليه وسلم : "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" ، وذلك إذا كان لا يخاف على نفسه في بثه. وقد فهم الصحابة من هذه الآية العموم ، وهم العرب الفصح المرجوع إليهم في فهم القرآن. كما روي عن عثمان وأبي هريرة وغيرهما : لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم. وقد امتنع أبو هريرة من تحديثه ببعض ما يخاف منه فقال : لو بثثته لقطع هذا البلعوم. وظاهر الآية استحقاق اللعنة على من كتم ما أنزل الله ، وإن لم يسأل عنه ، بل يجب التعليم والتبيين ، وإن لم يسألوا ، ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ . وقال الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي ، فيما سمع منه أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي الحافظ : الحظ لمن آثر العلم وعرف فضله أن يستعمله جهده ويقرئه بقدر طاقته ويحققه ما أمكنه ، بل لو أمكنه أن يهتف به على قوارع طرق المارة ويدعو إليه في شارع السابلة وينادي عليه في مجامع السيارة ، بل لو تيسر له أن يهب المهال لطلابه ويجري الأجور لمقتبسيه ويعظم الأجعال للباحثين عنه ويسني مراتب أهله صابرا في ذلك على المشقة والأذى ، لكان ذلك حظا جزيلا وعملا جيدا وسعدا كريما وأحياء للعلم ، وإلا فقد درس وطمس ولم يبق منه إلا آثار لطيفة وأعلام دائرة. انتهى كلامه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٥٣

﴿أوائك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ : هذه الجملة خبر إن. واستحقوا هذا الأمر الفظيع من لعنة الله ولعنة اللاعنين على هذا الذنب العظيم ، وهو كتمان ما أنزل الله تعالى ، وقد بينه وأوضحه للناس بحيث لا يقع فيه لبس ، فعمدوا إلى هذا الواضح البين فكتموه ، فاستحقوا بذلك هذا العقاب. وجاء بأولئك اسم الإشارة البعيد ، تنبيها على ذلك الوصف القبيح ، وأبرز الخبر في صورة جملتين توكيدا وتعظيما ، وأتى بالفعل المضارع المقتضي التجدد لتجدد مقتضيه ، وهو قوله تعالى : ﴿إن الذين يكتمون﴾ . ولذلك أتى

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٧٣/١

صلة الذين فعلا مضارعا ليدل أيضا على التجدد ، لأن بقاءهم على الكتمان هو تجدد كتمان. وجاء بالجملة المسند فيها الفعل إلى الله ، لأنه هو المجازي على ما اجترحوه من الذنب. وجاءت الجملة الثانية ، لأن لعنة اللاعنين مترتبة على لعنة الله للكاتمين. وأبرز اسم الجلالة بلفظ الله على سبيل الالتفات ، إذ لو جرى **على نسق الكلام** السابق ، لكان أولئك يلعنهم ، لكن في إظهار هذا الاسم من الفخامة ما لا يكون في الضمير. واللاعنون : كل من يتأتى منهم اللعن ، وهم الملائكة ومؤمنو الثقلين ، قاله الربيع بن أنس ؛ أو كل شيء من حيوان وجماد غير الثقلين ، قاله ابن عباس والبراء بن عازب ، إذا وضع في قبره وعذب فصاح ، إذ يسمعه كل شيء إلا الثقلين ؛ أو البهائم والحشرات ، قاله مجاهد وعكرمة ، وذلك لما يصيبهم من الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين ، أو الطاردون لهم إلى النار حين يسوقونهم إليها ، لأن اللعن هو الطرد ؛ أو الملائكة ؛ قاله قتادة ؛ أو المتلاعنون ، إذا لم يستحق أحد منهم اللعن انصرف إلى اليهود ، قاله ابن مسعود ؛ والأظهر القول الأول. ومن أطلق اللاعنون على ما لا يعقل أجراه مجرى ما يعقل ، إذ صدرت منه اللعنة ، وهي من فعل من يعقل ، وذلك لجمعه بالواو والنون. وفي قوله : ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ ، ضرب من البديع ، وهو التجنيس المغاير ، وهو أن يكون إحدى الكلمتين إسما والأخرى فعلا.

﴿إلا الذين تابوا ﴾ : هذا استثناء متصل ، ومعنى تابوا عن الكفر إلى الإسلام ، أو عن الكتمان على الإظهار. ﴿وأصلحوا ﴾ ما أفسدوا من قلوبهم بمخالطة الكفر لها ، أو ما أفسدوا من أحوالهم مع الله ، أو أصلحوا قومهم بالإرشاد إلى الإسلام بعد الإضلال. ﴿وبينوا ﴾ : أي الحق الذي كتموه ، أو صدق توبتهم بكسر الخمر وإراقتها ، أو ما في التوراة والإنجيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، أو اعترفوا بتلبيسهم وزورهم ، أو ما أحدثوا من توبتهم ، ليمحوا سيئة الكفر عنهم

٤٥٩

ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ، ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين. ﴿فأوالئاك﴾ : إشارة إلى من جمع هذه الأوصاف من التوبة والإصلاح والتبيين. ﴿أتوب عليهم﴾ : أي أعطف عليهم ، ومن تاب الله عليه لا تلحقه لعنة. ﴿وأنا التواب الرحيم﴾ : تقدم الكلام في هاتين الصفتين ، وختم بهما ترغيبا في التوبة وإشعارا بأن هاتين الصفتين هما له ، فمن رجع إليه عطف عليه ورحمه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٥٣
." (١)

"﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ : من ذهب إلى أن معناها معنى إذ ، فقوله ضعيف ، وهو قول كوفي ، ولا يراد بالشرط هنا إلا التثبت والهز للنفوس ، وكأن المعنى : العبادة له واجبة ، فالشكر له واجب ، وذلك كما تقول لمن هو متحقق العبودية إن كنت عبدي فأطعني ، لا تريد بذلك التعليق المحض ، بل تبرزه في صورة التعليق ، ليكون أدعى للطاعة وأهزلها. وقيل : عبر بالعبادة عن العرفان ، كما قال : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ . قيل : معناه ليعرفون ، فيكون المعنى : أشكروا الله إن كنتم عارفين به وبنعمه ، وذلك من إطلاق الأثر على المؤثر. وقيل : عبر بالعبادة عن إرادة العبادة ، أي اشكروا الله إن كنتم تريدون عبادته ، لأن الشكر رأس العبادات. وقال الزمخشري : إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري. انتهى كلامه. وإيا هنا مفعول مقدم ، وقدم لكون العامل فيه وقع رأس آية ، وللاهتمام به والتعظيم لشأنه ، لأنه عائد على الله تعالى ، كما في قولك : ﴿وإياك نستعين﴾ ، وهذا من الموضع التي يجب فيها انفصال الضمير ، وهو إذا تقدم على العامل أو تأخر ، لم
٤٨٥
ينفصل إلا في ضرورة ، قال :
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٧٧
إليك حتى بلغت إياكا
﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ومآ أهل بها لغير الله﴾ : تقدم الكلام على إنما في قوله : ﴿إنما نحن مصلحون﴾ . وقرأ الجمهور : حرم مسندا إلى ضمير اسم الله ، وما بعده نصب ، فتكون ما مهيئة في إنما هيأت إن لولايتها الجملة الفعلية. وقرأ ابن أبي عبلة : برفع الميتة وما بعدها ، فتكون ما موصولة اسم إن ، والعائد عليها محذوف ، أي إن الذي حرمه الله الميتة ، وما بعدها خبران. وقرأ أبو جعفر : حرم ، مشددا مبنيا للمفعول ، فاحتملت ما وجهين : أحدهما : أن تكون موصولة اسم إن ، والعائد الضمير المستكن في حرم والميتة خبران. والوجه الثاني : أن تكون ما مهيئة والميتة مرفوع بحرم. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي : إنما حرم ، بفتح الحاء وضم الراء مخففة جعله لازما ، والميتة وما بعدها مرفوع.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١/٤٠٠

ويحتمل ما الوجهين من التهيئة والوصل ، والميتة فاعل يحرم ، إن كانت ما مهيئة ، وخبر إن ، إن كانت ما موصولة. وقرأ أبو جعفر : الميتة ، بتشديد الياء في جميع القرآن ، وهو أصل للتخفيف. وقد تقدم الكلام على هذا التخفيف في قوله : ﴿أو كصيب﴾ ، وهما لغتان جيدتان ، وقد جمع بينهما الشاعر في قوله :

ليس من مات فاستراح بميتإنما الميت ميت الأحياء

قيل : وحكى أبو معاذ عن النحويين الأولين ، أن الميت بالتخفيف : الذي فارقته الروح ، والميت بالتشديد : الذي لم يمت ، بل عاين أسباب الموت. وقد تقدم الكلام في الموت. ولما أمر تعالى : بأكل الحلال في الآيةِ السابقة ، فصل هنا أنواع الحرام ، وأسند التحريم إلى الميتة. والظاهر أن المحذوف هو الأكل ، لأن التحريم لا يتعلق بالعين ، ولأن السابق المباح هو الأكل في قوله : ﴿كلوا مما فى الارض حلالا طيبا﴾ . فالممنوع هنا هو الأكل ، وهكذا حذف المضاف يقدر بما يناسب. فقوله : ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ ، المحذوف : وطء ، كأنه قيل : وطء أمهاتكم ، ﴿وأحل لكم ما ورآء ذالكم﴾ ، أي وطء ما وراء ذلكم. فسائر وجوه الانتفاعات محرم من هذه الأعيان المذكورة ، إما بالقياس على الأكل عند منيقول بالقياس ، وإما بدليل سمعني عند من لا يقول به.

وقال بعض الناس ما معناه : أنه تعالى لما أسند التحريم إلى الميتة ، **وما نسق عليها** وعلقه بعينها ، كان ذلك دليلا على تأكيد حكم التحريم وتناول سائر وجوه المنافع ، فلا يخص شيء منها إلا بدليل يقتضي جواز الانتفاع به ، فاستنبط هذا القول تحريم سائر الانتفاعات من اللفظ. والأظهر ما ذكرناه من تخصص المضاف المحذوف بأنه الأكل. وظاهر لفظ الميتة يتناول العموم ، ولا يخص شيء منها إلا بدليل. قال قوم : خص هذا العموم بقوله تعالى : ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة﴾ ، وبما روي من قوله صلى الله عليه وسلم : "أحلت لنا ميتتان". وقال ابن عطية : الحوت والجراد لم يدخل قط في هذا العموم. انتهى. فإن عنى لم يدخل في دلالة اللفظ ، فلا نسلم له ذلك. وإن عنى لم يدخل ففي الإرادة ، فهو كما قال ، لأن المخصص يدل على أنه لم يرد به الدخول في اللفظ العام الذي خصص به.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٧٧

". (١)

"والضمير في ﴿سمعه﴾ عائد على الإيصاء كما شرحناه ، وقيل : يعود على أمر الله تعالى في هذه الآية.

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١/٤٢٤

وقيل : الهاء ، في : ﴿فمنا بدله﴾ عائدة إلى الفرض ، والحكم ، والتقدير : فمن بدل الأمر المقدم ذكره ، ومن : الظاهر أنها شرطية ، والجواب : ﴿فإنمآ إثمه﴾ وتكون : من ، عامة في كل مبدل : من رضي بغير الوصية في كتابة ، أو قسمة حقوق ، أو شاهد بغير شهادة ، أو يكتمها ، أو غيرهما ممن يمنع حصول المال ووصوله إلى مستحقه ، وقيل : المراد بمن : متولي الإيصاء دون الموصي والموصى له ، فإنه هو الذي بيده العدل والجنف والتبديل والإمضاء ، وقيل : المراد : بمن : هو الموصي ، نهي عن تغيير وصيته عن المواضع التي نهى الله عن الوصية إليها ، لأنهم كانوا يصرفونها إلى الأجانب ، فأمروا بصرفها إلى الأقربين.
ويتعين على هذا القول أن يكون الضمير في قوله : ﴿فمنا بدله﴾ وفي قوله : ﴿بعدما سمعه﴾ عائدا على أمر الله تعالى في الآية ، وفي قوله : ﴿بعدما سمعه﴾ دليل على أن الإثم لا يترتب إلا بشرط أن يكون المبدل قد علم بذلك ، وكنى بالسماع عن العلم لأنه طريق حصوله. ﴿فإنمآ إثمه﴾ : الضمير عائد على الإيصاء المبدل ، أو على المصدر المفهوم من بدله ، أي : فإنما إثم التبديل على المبدل ، وفي هذا دليل على أن من اقترف ذنبا ، فإنما وباله عليه خاصة ، فإن قصر الوصي في شيء مما أوصى به الميت ، لم يلحق الميت من ذلك شيء ، وراعى المعنى في قوله : ﴿على الذين يبدلونها ﴾ إذ لو جرى على نسق اللفظ الأول لكان : فإنما إثمه ، أو فإنما إثمه عليه على الذي يبدله ، وأتي في جملة الجواب بالظاهر مكان المضمر ليشعر بعلية : الإثم الحاصل ، وهو التبديل ، وأتى بصلة : الذين ، مستقبلة جريا على الأصل ، إذ
٢٢
هو مستقبل.
﴿إن الله سميع عليم﴾ في هاتين الصفتين تهديد ووعيد للمبدلين ، فلا يخفي عليه تعالى شيء ، فهو يجازيهم على تبديلهم شر الجزاء ، وقيل : سميع لقول الموصي ، عليم بفعل الموصي ، وقيل : سميع لو صاياه ، عليم بنياته. والظاهر القول الأول المجيئه في أثر ذكر التبديل وما يترتب عليه من الإثم.
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦
﴿فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه﴾ الظاهر أن الخوف هو الخشية هنا ، جريا على أصل اللغة في الخوف ، فيكون المعنى : بتوقع الجنف أو الإثم من الموصي.
قال مجاهد : المعنى : من خشي أن يجنف الموصي ، ويقطع ميراث طائفة ، ويتعمد الإذاية أو يأتيها دون تعمد ، وذلك هو الجنف دون إثم ، وإذا تعمد فهو الجنف في إثم ، فوعظه في ذلك ورده ، فصلح بذلك

ما بينه وبين ورثته ، فلا إثم عليه.
﴿أن الله غفور﴾ عن الموصي إذا عملت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الأذية ﴿رحيم﴾ . وقيل : يراد بالخوف هنا : العلم ، أي : فمن علم ، وخرج عليه قوله تعالى : ﴿إلا أن يخافآ ألا يقيما حدود الله﴾ .
وقول أبي محجن.
أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
والعلقة بين الخوف والعلم حتى أطلق على العلم الخوف ، وأن الإنسان لا يخاف شيئا حتى يعلم أنه مما يخاف منه ، فهو من باب التعبير بالمسبب عن السبب ، وقال في المنتخب : الخوف والخشية يستعملان بمعنى العلم ، وذلك لأن الخوف عبارة عن حالة مخصوصة متولدة من ظن مخصوص ، وبين الظن والعلم مشابهة في أمور كثيرة ، فلذلك صح إطلاق كل واحد منهما على الأخر. انتهى كلامه.
وعلى الخوف بمعنى العلم ، قال ابن عباس ، رضي الله عنهما ، وقتادة ، والربيع ، معنى الآية : من خاف أي ، علم بعد موت الموصي أن الموصي حاف وجنف وتعمد إذاية بعض ورثته ، فأصلح ما وقع بين الورثة من الاضطراب والشقاق ، فلا إثم عليه ، أي : لا يلحقه إثم التبديل المذكور قبل ، وإن كان في فعله تبديلها ، ولكنه تبديل لمصلحة ، والتبديل الذي فيه الإثم إنما هو تبديل الهوى.
وقال عطاء : المعنى : فمن خاف من موص جنفا أو إثما في عطيته لورثته عند حضور أجله ، فأعطى بعضا دون بعض ، فلا إثم عليه أن يصلح بين ورثته في ذلك.
وقال طاووس : المعنى : فمن خاف من موص جنفا أو إثما في وصيته لغير ورثته بما يرجع بعضه على ورثته ، فأصلح بين ورثته فلا إثم عليه.
وقال الحسن : هو أن يوصي للأجانب ويترك الأقارب ، فيرد إلى الأقارب ، قال : وهذا هو الإصلاح.
وقال السدي : المعنى : فمن خاف من موص بآبائه وأقربائه جنفا على بعضهم لبعض ، فأصلح بين الآباء والأقرباء ، فلا إثم عليه.
وقال علي بن عيسى : هو مشتمل على أمر ماض واقع ، وأمر غير واقع ، فإن كانت الوصية باقية أمر الموصي بإصلاحها ، ورد من الجنف إلى النصف ، وإن كانت ماضية أصلحها الموصى إليه بعد موته.
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٦

وقيل : هو أن يوصي لولد ابنته ، يقصد بها نفع ابنته ، وهذا راجع إلى قول طاووس المتقدم. (١) ".

"اجتمع مخاطب وغائب ، وأسند إليهما حكم كان التغليب للمخاطب ، فتقول : أنت وزيد تخرجان ، ولا يجوز يخرجان ، وكذلك مع التكلم نحو : أنا وزيد نخرج ، ولما كان الاستثناء بعد مضى الجملة للخطاب جاز الالتفات ، ولو جرى **على النسق الأول** لكان : إلا أن تخافوا أن لا تقيموا ، ويكون الضمير إذ ذاك عائدا على المخاطبين وعلى أزواجهم ، والمعنى : إلا أن يخافا أي : صنفا الزوجين ، ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من حقوق الزوجية ، بما يحدث من بغض المرأة لزوجها حتى تكون شدة البغض سببا لمواقعة الكفر ، كما في قصة جميلة مع زوجها ثابت ، ﴿أن يخافآ﴾ قيل : في موضع نصب على الحال ، التقدير : إلا خائفين ، فيكون استثناء من الأحوال ، فكأنه قيل : فلا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا في كل حال إلا في حال الخوف أن لا يقيما حدود الله ، وذلك أن : أن ، مع الفعل بتأويل المصدر ، والمصدر في موضع اسم الفاعل فهو منصوب على الحال ، وهذا في إجازته نظر ، لأن وقوع المصدر حالا لا ينقاس ، فأحرى ما وقع موقعه ، وهو : أن الفعل ، ويكثر المجاز فإن الحال إذ ذاك يكون : أن والفعل ، الواقعان موقع المصدر الواقع موقع اسم الفاعل.
وقد منع سيبويه وقوع : أن والفعل ، حالا ، نص على ذلك في آخر : هذا باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات ، والذي يظهر أنه استثناء من المفعول له ، كأنه قيل : ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله ، فذلك هو المبيح لكم الأخذ ، ويكون حرف العلة قد حذف مع : أن ، وهو جائز فصيحا كثيرا ، ولا يجيء هنا ، خلاف الخليل وسيبويه أنه إذا حذف حرف الجر من : أن ، هل ذلك في موضع نصب أو في موضع جر ؟ بل هذا في موضع نصب ، لأنه مقدر بالمصدر لو صرح به كان منصوبا ، واصلا إليه العامل بنفسه ، فكذلك هذا المقدر به ، وهذا الذي ذكرناه من أن : أن والفعل ، إذا كانا في موضع المفعول من أجله ، فالموضع نصب لا غير ، منصوص عليه من النحويين ، ووجهه ظاهر.
ومعنى الخوف هنا الإيقان ، قاله أبو عبيدة ، أو : العلم أي إلا أن يعلما ، قاله ابن سلمه ، وإياه أراد أبو محجن ، بقوله :
أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤٥٢/١

ولذلك رفع الفعل بعد : أن ، أو : الظن ، قاله الفراء ، وكذلك قرأ أبي : إلا أن يظنا ، وأنشد :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٧٤

أتاني كلام من نصيب بقولهوما خفت يا سلام أنك عايبي

والأولى بقاء الخوف على بابه ، وهو أن يراد به الحذر من الشيء ، فيكون المعنى : إلا أن يعلم. أو يظن أو يوقن أو يحذر ، كل واحد منهما بنفسه ، أن لا يقيم حقوق الزوجية لصاحبه حسبما يجب ، فيجوز الأخذ.

وقرأ عبد الله : إلا أن يخافوا أن لا يقيموا حقوق ، أي إلا أن يخاف الأزواج والزوجات ، وهو من باب الالتفات إذ لو جرى عليه النسق الأول لكان بالتاء ، وروي ءن عبد الله أنه قرأ أيضا : إلا أن تخافوا بالتاء. وقرأ حمزة ، ويعقوب ، ويزيد بن القوقاع ؛ إلا أن يخافوا ، بضم الياء ، مبنيا للمفعول ، والفاعل المحذوف : الولاة.

وأن لا يقيما ، في موضع رفع بدل من الضمير أي : إلا أن يخاف عدم إقامتهما حدود الله ، وهو بد اشتمال ، كما تقول : الزيد ان أعجباني حسنهما ، والأصل : إلا أن يخافوا ، أنها : الولاة ، عدم إقامتهما حدود الله.

وقال ابن عطية : في قراءة يخافا بالضم ، أنها تعدت خاف إلى مفعولين : أحدهما أسند الفعل إليه ، والآخر بتقدير حرف جر بمحذوف ، فموضع أن خفض الجار المقدر عند سيبويه ، والكسائي ، ونصب عند غيرهما ، لأنه لما حذف الجار المقدر وصل الفعل إلى المفعول الثاني ، مثل : استغفر لله ذنبا ، وأمرتك الخير. إنتهى كلامه. وهو نص كلام أبي علي الفارسي نقله من كتابه ، إلا التنظير باستغفر ، وليس بصحيح تنظير ابن عطية خاف باستغفر ، لأن ءاف لا يتعدى إلى اثنين ، كاستغفر الله ، ولم يذكر ذلك

١٩٧

النحويون حين عدوا ما يتعدى إلى اثنين ، وأصل أحدهما بحرف الجر ، بل إذا جاء : خفت زيدا ضربه عمرا ، كان ذلك بدلا ، إذ : من ضربه عمرا كان مفعولا من أجله ، ولا يفهم ذلك على أنه مفعول ثان ، وقد وهم ابن عطية في نسبة أن الموضع خفض في مذهب سيبويه ، والذي نقله أبو علي وغيره أن مذهب سيبويه أن الموضع بعد الحذف نصب ، وبه قال الفراء ، وأن مذهب الخليل أنه جر ، وبه قال الكسائي. وقدر غير ابن عطية ذلك الحرف المحذوف : على ، فقال : والتقدير إلا أن يخافا على أن يقيما ، فعلى هذا يمكن أن يصح قول علي وفيه بعد وقد طعن في هذه القراءات من لا يحسن توجيه كلام العرب ، وهي

قراءة صحيحة مستقيمة في اللفظ وفي المعنى ، ويؤيدها قوله بعد : فإن خفتم ، فدل على أن الخوف المتوقع هو من غير الأزواج ، وقد اختار هذه القراءة أبو عبيد.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٧٤
." (١)

"والذي يقتضيه النظر أن هذه الجملة في موضع البدل من العظام ، وذلك أن : انظر ، البصرية تتعدى بإلى ، ويجوز فيها التعليق ، فتقول : انظر كيف يصنع زيد ، قال تعالى : ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ فتكون هذه الجملة في موضع نصب على المفعول : بانظر ، لأن ما يتعدى بحرف الجر ، إذا علق صار يتعدى لمفعول ، تقول : فكرت في أمر زيد ، ثم تقول : فكرت هل يجيء زيد ؟ فيكون : هل يجيء زيد ، في موضع نصب على المفعول بفكرت ، فكيف ، ننشرها بدل من العظام على الموضع ، لأن موضعه نصب ، وهو على حذف مضاف أي : فأنظر إلى حال العظام كيف ننشزها ، ونظير ذلك قول العرب : عرقت زيدا أبو من هو : على أحد الأوجه فالجملة من قولك : أبو من هو في موضع البدل من قوله زيدا مفعول عرفت ، وهو على حذف مضاف ، التقدير : عرفت قصة زيد أبو من. وليس الاستفهام في باب التعليق مرادا به معناه ، بل هذا من المواضع التي جرت في لسان العرب مغلبا عليها أحكام اللفظ دون المعنى ، ونظير ذلك : أي ، في باب الاختصاص. في نحو قولهم : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، غلب عليها أكثر أحكام النداء وليس المعنى على النداء ، وقد تقدم من قولنا ، إن كلام العرب على ثلاثة أقسام : قسم يكون فيه اللفظ مطابقا للمعنى ، وهو أكثر كلام العرب. وقسم يغلب فيه أحكام اللفظ كهذا الاستفهام الواقع في التعليق ، والواقع في التسوية. وقسم يغلب فيه أحكام المعنى نحو : أقائم الزيدان. وقد أمعنا الكلام على مسألة الاستفهام الواقع في التعليق في كتابنا الكبير المسمى (بالتذكرة) وهي إحدى المسائل التي سألني عنها قاضي القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي القشيري ، عرف بابن دقيق العيد ؛ وسألني أن أكتب له فيها ، وكان سؤاله في قوله عليه السلام : "فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده".

﴿ثم نكسوها لحما ﴾ الكسوة حقيقة هي ما وارى الجسد من الثياب ، واستعارها هنا لما أنشأ من اللحم الذي غطى به العظم. كقوله : ﴿فكسونا العظام لحما﴾ وهي استعارة في غاية الحسن ، إذ هي استعارة عين لعين ، وقد

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٤١/٢

جاءت الاستعارة في المعنى للجرم قال النابغة :

الحمد لله إذ لم يأتني أجليحتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وروي أنه كان يشاهد اللحم والعصب والعروق كيف تلئم وتتواصل ، والذي يدل عليه ظاهر اللفظ : أن قول الله له كان بعد تمام بعثه ، لا أن القول كان بعد إحياء بعضه.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٥

والتعقيب بالفاء في قوله : فانظر إلى آخره ، يدل على أن العظام لا يراد بها عظام نفسه ، وتقدم ذكر شيء من هذا ، إلا إن كان وضع : ننشرها ، مكان : أنشرتها ، و: نكسوها ، مكان : كسوتها ، فيحتمل. وتكرر الأمر بالنظر إلى الطعام والشراب في الثلاث الخوارق ، ولم **ينسق نسق المفردات** ، لأن كل واحد منها خارق عظيم ، ومعجز بالغ ، وبدأ أولا بالنظر إلى العظام والشر ا ب حيث لم يتغيرا على طول هذه المدة ، لأن ذلك أبلغ ، إذ هما من الأشياء التي يتسارع إليها الفساد ، إذ ما قام به الحياة وهو الحمار يمكن بقاؤه الزمان الطويل ، ويمكن أن يحتش بنفسه ويأكل ويرد المياه. كما قال صلى الله عليه وسلم في ضالة الإبل : "معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يأتيها ربها". ولما أمر بالنظر إلى الطعام والشراب ، وبالنظر إلى الحمار ، وهذه الأشياء هي التي كانت صحبته ، وقال تعالى : ﴿ولنجعلك ءاية للناس﴾ أي فعلنا ذلك : ولما كان قوله : ﴿وانظر إلى حمارك﴾ كالمجمل ، بين له جهة النظر بالنسبة إلى الحمار ، فجاء النظر الثالث توضيحا للنظر الثاني ، من أي جهة ينظر إلى الحمار ، وهي جهة إحيائه وارتفاع عظامه شيئا فشيئا عند التركيب وكسوتها اللحم ، فليس نظرا مستقلا ، بل هو من تمام النظر الثاني ، فلذلك حسن الفصل بين النظرين بقوله : ﴿ولنجعلك ءاية للناس﴾ .

وليس في الكلام تقديم وتأخير كما زعم بعضهم ، وأن الأنظار منسوق بعضها على بعض ، وأن قوله : ﴿ولنجعلك ءاية للناس﴾ الخ وهو مقدم في اللفظ ، مؤخر في الرتبة.

وفي هذه الآية أقوى دليل على البعث إذ وقعت الإماتة والإحياء في دار الدنيا مشاهدة.

". (١)

"وقرأ أبو عمرو ، وحفص ، وعياش ، ويعقوب ، وسهل : يبغون ، بالياء على الغيبة ، وينسبها ابن عطية لأبي عمرو ، وعاصم بكماله. وقرأ الباقون : بالتاء ، على الخطاب ، فالياء **على نسق** : هم الفاسقون

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/٢٢١

، والتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها ، وقدمت الهمزة اعتناء بالاستفهام. والتقدير : فأغير ؟ وجوز هذا الوجه الزمخشري ، وهو قول جميع النحاة قبله. قال : ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره : أيتولون فغير دين الله يبغون. انتهى. وقد تقدم ذكر هذا والكلام على مذهبه في ذلك ، وأمعنا الكلام عليه في كتاب (التكميل) من تأليفنا.

وانتصب : غير ، على أنه مفعول يبغون ، وقدم على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل ، قاله الزمخشري. ولا تحقيق فيه ، لأن الإنكار الذي هو معنى الهمزة لا يتوجه إلى الذوات ، إنما يتوجه إلى ال أفعال التي تتعلق بالذوات ، فالذي أنكر إنما هو الابتغاء الذي متعلقه غير دين الله ، وانما جاء تقديم المفعول هنا من باب الاتساع ، وشبه : يبغون ، بالفاصلة بآخر الفعل.

﴿ولها أسلم من فى السماوات والارض طوعا وكرها﴾ أسلم عند الجمهور : استسلم وانقاد ، قال ابن عباس : أسلم طوعا بحالته الناطقة عند أخذ الميثاق عليه ، وكرها عند دعاء الأنبياء لهم إلى الإسلام. وقال مجاهد : سجود ظل المؤمن طائعا وسجود ظل الكافر كاره. كما قال تعالى : ﴿ولله يسجد من فى السماوات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال﴾ وقال مجاهد أيضا ، وأبو العالية ، والشعبي : ما يقار معناه : أسلم أقر بالخالقية والعبودية ، وإن كان فيهم من أشرك في العبادة ، فمن أشرك أسلم كرها. ومن أخلص أسلم طوعا. وقال الحسن : أسلم قوم طوعا وقوم خوف السيف. وقال مطر الوراق : أسلم من في السموات طوعا وكذلك الأنصار ، وبنو سليم ، وعبد القيس ، وأسلم سائر الناس كرها حذر القتال والسيف. وأسلم على هذا القول في ضمنه الإيمان. وقال قتادة : الإسلام كرها هو إسلام الكافر عند الموت والمعاينة حيث لا ينفعه. وقال ابن عطية : ويلزم على هذا أن كل كافر يفعل ذلك ، وهذا غير موجود إلا في أفراد. انتهى. وقال عكرمة : طوعا باضطرار الحجة. وقال الزمخشري : طوعا بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه ، وكرهاو بالسيف ، أو بمعاينة ما يلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل ، وإدراك الغرق فرعون ، والإشفاء على الموت ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا ءامنا بالله وحده﴾ . انتهى. فلفق الزمخشري تفسير : طوعا ، من قول عكرمة وتفسير قوله : وكرها ، من قول مطر الوراق وقول قتادة. وقال الكلبي : طوعا بالولادة على الإسلام ، وكرها بالسيف.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٥١٤

وقال ابن كيسان : المعنى : وله خضع من في السموات والأرض فيما صورهم فيه ودبرهم عليه ، وما يحدث

فيهم فهم لا يمتنعون عليه كرهوا ذلك أو أحبوه ، رضوا بذلك أو سخطوه ؛ وهذا معنى قول الزجاج : إن الأسلام هنا الخضوع

٥١٥

لنفوذ أمره في جبلته ، لا يقدر أحد أن يمتنع مما جبل عليه ولا أن يغيره والذي يظهر عموم من في السموات ، وخصوص من في الأرض.

والطوع هو الذي لا تكلف فيه ، والكره ما فيه مشقة ، فإسلام من في السموات طوع صرف إذ هم خالون من الشهوات الداعية إلى المخالفة ، وإسلام من في الأرض ، من كان منهم معصوما كان طوعا ، ومن كان غير معصوم كان كرها ، بمعنى أنه في مشقة ، لأن التكاليف جاءت على مخالفة الشهوات النفسانية ، فلو لم يأت رسول من الله مبشر بالثواب ومنذر بالعقاب لم يلتزم الإنسان شيئا من التكاليف.

وهذه الأقوال لا تخرج : أسلم ، فيها عن أن يحمل على الاستسلام ، وعلى الاعتقاد ، وعلى الإقرار باللسان ، وعلى التزام الأحكام. وقد قيل بهذا كله.

والجملة من قوله : ﴿ول٥١ أسلم﴾ حالية. و: طوعا وكرها ، مصدران في موضع الحال ، أي : طائعين وكارهين. وقيل : هما مصدران على خلاف الصدر.

وقرأ الأعمش : كرها ، بضم الكاف ، والجمهور بفتحها.

﴿وإليه يرجعون﴾ تهديد عظيم لمن اتبع وابتغى غير دين الله ، وتقدم معنى الرجوع إليه ، ويحتمل أن يكون قد عطف على قوله : ﴿ولها أسلم﴾ فيكون مشاركا له في الحالية ، وكأنه نعى عليهم ابتغاء غير دين من انقاد إليه المكلفون كلهم ومن إليه مرجعهم ، فيجازيهم على أعمالهم. والمعنى : أن من كان بهاتين الصفتين لا يبتغي دينا غير دينه ، ويحتمل أن يكون استئنافا وإخبارا بأنه تعالى إليه مصيرهم ومنقلبهم فيجازيهم بأعمالهم.

." (١)

"يخصه ، فإذا صاروا في هذه الدرجة أمر باستغفار فيما لله ، فإذا صاروا في هذه الدرجة صاروا أهلا للاستشارة في الأمور انتهى. وفيه بعض تلخيص ، ولا يظهر هذا التدريج من اللفظ ، ولكن هذه حكمة تقديم هذه الأوامر بعضها على بعض. أمر أولا بالعفو عنهم ، إذ عفوه عنهم مسقط لحقه ، ودليل على رضاه صلى الله عليه وسلم عليهم ، وعدم مؤاخذته. ولما سقط حقه بعفوه استغفر لهم الله ليكمل لهم

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٩٤/٢

صفحه وصفح الله عنهم ، ويحصل لهم رضاه صلى الله عليه وسلم ورضا الله تعالى. ولما زالت عنهم التبعات من الجانبين شاورهم إيذانا بأنهم أهل للمحبة الصادقة والخلة الناصحة ، إذ لا يستشير الإنسان إلا من كان معتقدا فيه المودة والعقل والتجربة. والظاهر أن قوله : فاعف عنهم أمر له بالعفو. وقيل : معناه سلني العفو عنهم لأعفو عنهم ، والمعفو عنه والمسؤول الاستغفار لأجله. قيل : قرارهم يوم أحد ، وترك إجابته ، وزوال الرماة عن مراكزهم. وقيل : ما يبدون من هفواتهم وألسنتهم من السقطات التي لا يعتقدونها ، كمناداتهم من وراء الحجرات. وقول بعضهم : إن كان ابن عمتك وجر رداءه حتى أثر في عنقه ، وغير ذلك مما وقع منهم على سبيل الهفوة. ومن غريب النقول والمقول وضعيفه الذي ينزه عنه القرآن قول بعضهم : أن قوله تعالى : وشاورهم في الأمر ، أنه من المقلوب ، والمعنى : وليشاوروك في الأمر. وذكر المفسرون هنا جملة مما ورد في المشاورة من الآيات والأحاديث والآثار. وذكر ابن عطية : إن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب ، هذا ما لا خلاف له. والمستشار في الدين عالم دين ، وقل ما يكون ذلك إلا في عاقل. قال الحسن : ما كمل دين امرىء لم يكمل عقله ، وفي الأمور الدنيوية عاقل مجرب وادفى المستشير انتهى كلام ابن عطية ، وفيه بعض تلخيص. وقراءة الجمهور : في الأمر ، وليس على العموم. إذ لا يشاور في التحليل والتحريم. والأمر : اسم جنس يقع للكل وللبعض. وقرأ ابن عباس : في بعض الأمر ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ أي : فإذا عقدت قلبك على أمر بعد الاستشارة فاجعل تفويضك فيه إلى الله تعالى ، فإنه العالم بالأصلح لك ، والأرشد لأمرك ، لا يعلمه من أشار عليك. وفي هذه الآية دليل على المشاورة وتخمير الرأي وتنقيحه ، والفكر فيه. وإن ذلك مطلوب شرعا خلافا لما كان عليه بعض العرب من : ترك المشورة ، ومن : الاستبداد برأيه من غير فكر في عاقبة ، كما قال :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٨٠

إذا هم ألقى بين عينيه عزمهونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسهولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

وقرأ الجمهور عزمت على الخطاب كالذي قبله. وقرأ عكرمة وجابر بن زيد وأبو نهيك وجعفر الصادق عزمت بضم التاء على أنها ضمير لله تعالى والمعنى فإذا عزمت لك على شيء أي أرشدتك إليه وجعلتك تقصده ويكون قوله على الله من باب الالتفات إذ لو جرى على نسق ضم التاء لكان فتوكل علي ونظيره في نسبة العزم إلى الله على سبيل التجوز قول أم سلمة ، ثم عزم الله ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ حث على التوكل

على الله ، إذ أخبر أنه يحب من توكل عليه ، والمرء ساع فيما يحصل له محبة الله تعالى.
وقد تضمنت هذه الآيات فنونا من البيان والبديع والإبهام في : ولا تلوون على أحد ، فمن قال : هو الرسول أبهمه تعظيما لشأنه ، ولأن التصريح فيه هضم لقدره. والتجنيس المماثل في : غما بغم ، ثم أنزل عليكم من بعد الغم. والطباق : في يخفون ويبدون ، وفي فاتكم وأصابكم. والتجنيس المغاير في : تظنون وظن ، وفي فتوكل والمتوكلين. وذكر بعضهم ذلك في فظا ولا تفضوا ، وليس منه ، لأنه قد اختلفت المادتان والتفسير بعد الإبهام في ما لا يبدون يقولون. والاحتجاج النظري في : لو كنتم في بيوتكم
٩٩
والاعتراض في : قل إن الأمر كله لله. والاختصاص في : بذات الصدور ، وفي بما تعملون بصير ، وفي يحب المتوكلين. والإشارة في قوله : ليجعل الله ذلك حسرة. والاستعارة في : إذا ضربوا في ا لأرض ، وفي لنت ، وفي غليظ القلب ، والتكرار في : ما ماتوا ، وما قتلوا ، وما بعدهما ، وفي : على الله إن الله. وزيادة الحرف للتأكيد في : فبما رحمة. والالتفات والحذف في عدة مواضع.
." (١)

"ما نكح. والتكرار في : اسم الله في مواضع ، وفي : إنما التوبة وليست التوبة ، وفي : زوج مكان زوج ، وفي : أمهاتكم وأمهاتكم اللاتي ، وفي : إلا ما قد سلف ، وفي : المؤمنات في قوله : المحصنات المؤمنات ، وفي : فتياتكم المؤمنات ، وفي : فريضة ومن بعد الفريضة ، وفي : المحصنات من النساء والمحصنات ، ونصف ما على المحصنات ، وفي : بعضكم من بعض ، وفي : يريد في أربعة مواضع ، وفي : يتوب وأن يتوب ، وفي : إطلاق المستقبل على الماضي ، في : واللاتي يأتين الفاحشة وفي : واللذان يأتيانها منكم ، وفي : يعملون السوء وفي : ثم يتوبون ، وفي : يريد وفي : ليبين ، لأن إرادة الله وبيانه قديمان ، إذ تبيانه في كتبه المنزلة والإرادة والكلام من صفات ذاته وهي قديمة. والإشارة والإيماء في قوله ؛ كرها ، فإن تحريم الإرث كرها يومىء إلى جوازه طوعا ، وقد صرح بذلك في قوله : فإن طبن ، وفي قوله : ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ، فله أن يعضلها على غير هذه الصفة لمصلحة لها تتعلق بها ، أو بمالها ، وفي : أنه كان فاحشة أومأ إلى نكاح الأبناء في الجاهلية نساء الآباء ، وفي : أحل لكم ما وراء ذلكم إشارة إلى ما تقدم في المحرمات ، ذلك لمن خشي العنت إشارة إلى تزويج الإماء. والمبالغة في تفخيم الأمر وتأكيده في قوله : وآتيتم إحداهن قنطارا عظم الأمر حتى ينتهي عنه. والاستعارة في قوله

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٧٩/٣

: وأخذن منكم ميثاقا غليظا ، استعار الأخذ للوثوق بالميثاق والتمسك به ، والميثاق معنى لا يتهيأ فيه الأخذ حقيقة ، وفي : كتاب الله عليكم أي فرض الله ، استعار للفرض لفظ الكتاب لثبوته وتقريره ، فدل بالأمر المحسوس على المعنى المعقول. وفي : محصنين ، استعار لفظ الإحصان وهو الامتناع في المكان الحصين للامتناع بالعقاب ، واستعار لكثرة الزنا السفح وهو صب الماء في الأنهار والعيون بتدفق وسرعة ، وكذلك : فآتوهن أجورهن استعار لفظ الأجور للمهور ، والأجر هو ما يدل على عمل ، فجعل تمكين المرأة من الانتفاع بها كأنه عمل تعمله. وفي قوله : طولا استعارة للمهر يتوصل به للغرض ، والطول وهو الفضل يتوصل به إلى معالي الأمور. وفي قوله : يتبعون الشهوات استعار الاتباع والميل اللذين هما حقيقة في الإجرام لموافقة هوى النفس المؤدي إلى الخروج عن الحق. وفي قوله : أن يخفف ، والتخفيف أصله من خفة الوزن وثقل الجرم ، وتخفيف التكاليف رفع مشاقها من النفس ، وذلك من المعاني. وتسمية الشيء بما يؤول إليه في قوله : أن ترثوا النساء كرها ، سمي تزويج النساء أو منعهن للأزواج إرثا ، لأن ذلك سبب الإرث في الجاهلية. وفي قوله : وخلق الإنسان ضعيفا جعله ضعيفا باسم ما يؤول إليه ، أو باسم أصله. والطباق المعنوي في قوله : وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، وقد فسر الخير الكثير بما هو محبوب. وفي قوله : و ا لمحصنات من النساء ، أي حرام عليكم ثم قال : وأحل لكم. والذي يظهر أنه من الطباق اللفظي ، لأن صدر الآية حرمت عليكم أمهاتكم ، **ثم نسق المحرمات** ، ثم قال : وأحل لكم ، فهذا هو الطباق. وفي قوله : محصنين غير مسافحين ، والمحصن الذي يمنع فرجه ، والمسافح الذي يبذله. والاحتراس في قوله : اللاتي دخلتم بهن احترز من اللاتي لم يدخل بهن ، وفي وربائبكم اللاتي في حجوركم احترس من اللاتي ليست في الحجور. وفي قوله : والمحصنات من النساء إذا المحصنات قد يراد بها الأنفس المحصنات ، فيدخل تحتها الرجال ، فاحترز بقوله : من النساء. والاعتراض بقوله : والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض. والحذف في مواضع لا يتم المعنى إلا بها.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢

٢٢٩

الجار : القريب المسكن منك ، وألفه منقلبة عن واو لقولهم : جاورت ، ويجمع على جيران وجيرة. والجنب : البعيد. والجنابة البعد قال :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٢٩

فلا تحرمني نائلا عن جنابةفإني امرؤ وسط القباب غريب

وهو من الاجتناب ، وهو أن يترك الرجل جانبا. وقال تعالى : ﴿واجنبنى﴾ أي بعدني ، وهو وصف على فعل كناقة سرح.

المختال : المتكبر ، وهو اسم فاعل من اختال ، وألفه منقلبة عن ياء لقولهم : الخيلاء والمخيلة. ويقال : خال الرجل يخول خولا إذا تكبر وأعجب بنفسه ، فتكون هذه مادة أخرى ، لأن تلك مركبة من خيل خ ي ل ، وهذه مادة من خ ول. الفخور : فعول من فخر ، والفخر عد المناقب على سبيل الشغوف والتطاول. القرين : فعيل بمعنى مفاعل ، من قارنه إذا لازمه وخالطه ، ومنه سميت الزوجة قرينة. ومنه قيل لما يلزمن الإبل والبقر : قرينان ، وللحبل الذي يشدان به قرن قال الشاعر :

وابن اللبون إذا ما لزفى قرنلم يستطع صوله البزل القناعيس

وقال :

كمدخل رأسه لم يدنه أحدمن القرينين حتى لزه القرن

." (١)

"ومناسبتها لما قبلها أنه لما أمر الولاة أن يحكموا بالعدل أمر الرعية بطاعتهم ، قال عطاء : أطيعوا الله في فريضته ، والرسول في سنته. وقال ابن زيد : في أوامره ونواهيه ، والرسول ما دام حيا ، وسنته بعد وفاته. وقيل : فيما شرع ، والرسول فيما شرح. وقال ابن عباس ، وأبو هريرة ، والسدي ، وابن زيد : أولو الأمر هم الأمراء. وقال مجاهد : أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. وقال التبريزي : المهاجرون والأنصار. وقيل : الصحابة والتابعون. وقيل : الخلفاء الأربع. وقال عكرمة : أبو بكر وعمر. وقال جابر ، والحسن ، وعطاء ، وأبو العالية ، ومجاهد أيضا : العلماء ، واختاره مالك. وقال ميمون ، ومقاتل ، والكلبي ، أمراء السرايا ، أو الأئمة من أهل البيت قاله : الشيعة. أو علي وحده قالوه أيضا. والظاهر أنه كل من ولي أمر شيء ولاية صحيحة. قالوا : حتى المرأة يجب عليها طاعة زوجها ، والعبد مع سيده ، والولد مع والديه ، واليتيم مع وصية فيما يرضى الله وله فيه مصلحة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٧٦

وقال الزمخشري : والمراد ، بأولي الأمر منكم ، أمراء الحق ، لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم ، فلا يعطفون على الله ورسوله. وكان أول الخلفاء يقول : أطيعوني ما عدلت فيكم ، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم. وعن أبي حازم : أن مسلمة بن عبد الملك قال له : ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله وأولي الأمر منكم

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٨٥/٣

؟ قال : أليس قد نزعت منكم إذ خالفتم الحق بقوله : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾ . وقيل : هم أمراء السرايا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم : "من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع أميري فقد أطاعني ، ومن يعص أميري فقد عصاني" وقيل : هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر انتهى. وقال سهل التستري : أطيعوا السلطان في سبعة : ضرب الدنانير ، والدراهم ، والمكاييل ، والأوزان ، والأحكام ، والحج ، والجمعة ، والعيدين ، والجهاد. وإذا نهى السلطان العالم أن يفتى فليس له أن يفتى ، فإن أفتى فهو عاص وإن كان أميرا جائرا. قيل : ويحمل قول سهل على أنه يترك الفتيا إذا خاف منه على نفسه. وقال ابن خويز منداد : وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان فيه طاعة ، ولا تجب فيما كان فيه معصية. قال : ولذلك قلنا : أن أمراء زماننا لا تجوز طاعتهم ، ولا معاونتهم ، ولا تعظيمهم ، ويجب الغزو معهم متى

٢٧٨

غزوا ، والحكم من قبلهم ، وتولية الإمامة والحسبة ، وإقامة ذلك على وجه الشريعة. فإن صلوا بنا وكانوا فسقة من جهة المعاصي جازت الصلاة معهم ، وإن كانوا مبتدعة لم تجز الصلاة معهم إلا أن يخافوا فتصلى معهم تقية ، وتعاد الصلاة فيما بعد. انتهى.

واستدل بعض أهل العلم على إبطال قول من قال : بإمام معصوم بقوله : وأولي الأمر منكم. فإن الأمراء والفقهاء يجوز عليهم الغلط والسهو ، وقد أمرنا بطاعتهم. ومن شرط الإمام العصمة فلا يجوز ذلك عليه ، ولا يجوز أن يكون المراد الإمام لأنه قال **في نسق الخطاب** : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ، فلو كان هناك إمام مفروض الطاعة لكان الرد إليه واجبا ، وكان هو يقطع التنازع ، فلما أمر برد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة دون الإمام ، دل على بطلان الإمامة. وتأويلهم : أن أولى الأمر علي رضي الله عنه فاسد ، لأن أولي الأمر جمع ، وعلي واحد. وكان الناس مأمورين بطاعة أولي الأمر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلي لم يكن إماما في حياته ، فثبت أنهم كانوا أمراء ، وعلى المولى عليهم طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية. فكذلك بعد موتهم في لزوم اتباعهم طاعتهم ما لم تكن معصية. وقال أبو عبد الله الرازي : وأولي الأمر منكم إشارة إلى الإجماع ، والدليل عليه أنه أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر بطاعته على الجزم والقطع لا بد أن يكون معصوما عن الخطأ ، وإلا لكان بتقدير إقدامه على الخطأ مأمورا باتباعه ، والخطأ منهى عنه ، فيؤدي إلى اجتماع الأمر والنهي في فعل واحد باعتبار واحد ، وأنه محال. وليس أحد معصوما بعد الرسول إلا جمع الأمة أهل العقد والحل ، وموجب ذلك أن

إجماع الأمة حجة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٧٦

﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾ قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، والأعمش ، وميمون بن مهران : فردوه إلى كتاب الله ، وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته. وقال قوم منهم الأصم : معناه قولوا : الله ورسوله أعلم. وقال الزمخشري : فإن اختلفتم أنتم وأولوا الأمر في شيء من أمور الذين فردوه ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة انتهى. وقد استدل نفاة القياس ومثبتوه بقوله : فردوه إلى الله ورسوله ، وهي مسألة يبحث فيها في أصول الفقه.

". (١)

"قال الزمخشري : هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال والاستبطان للأمور ، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به ، وكانت إذاعتهم مفسدة. ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله ، وإلى أولي الأمر منهم وهم : كبار الصحابة البصراء بالأمور ، أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه ، لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه أي : الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها. وقيل : كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء ، أو على خوف واستشعار ، فيذيعونه فينشر ، فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ، ولو ردوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم ، وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه ، وما يأتون ويدرون فيه. وقيل : كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه ، فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين. ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر ، وقالوا : نسكت حتى نسمعه منهم ، ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع ؟ لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته ، وهل هو مما يذيع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي : يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم انتهى كلامه.

وهذه كلها تأويلات حسنة ، وأجراها **على نسق الكلام** هذا التأويل الأخير وهو : أن المعنى إذا طرأ خبر بأمن المسلمين أو خوف ، فينبغي أن لايشاع ، وأن يرد إلى الرسول وأولي الأمر ، فإنهم يخبرون عن حقيقة الأمر فيعلمه من يسألهم ، ويستخرج ذلك من جهتهم ، لأن ما أخبر به الرسول وأولوا الأمر إذ هم مخبرون

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٢٧/٣

عنه حق لا شك فيه. وقال أبو بكر الرازي : في هذه الآية دلالة على وجوب القول بالقياس واجتهاد الرأي في أحكام الحوادث ، لأنه أمر برد الحوادث إلى الرسول في حياته إذ كانوا بحضرته ، وإلى العلماء بعد وفاته والغيبة عن حضرته ، والمنصوص عليه لا يحتاج إلى استنباطه ، فثبت بذلك أن من الأحكام ما هو مودع في النص قد كلف الوصول إلى علمه بالاستدلال والاستنباط. وطول الرازي في هذه المسألة اعتراضا وانفصالا واستقرأ من الآية أحكاما.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٠٣

قال : ويدل على بطلان قول القائل بالإمامة : لأنه لو كان كل شيء من الأحكام منصوصا عليه يعرفه الإمام لزال موضع الاستنباط ، وسقط الرد إلى أولي الأمر ، بل كان الواجب الرد إلى الإمام الذي يعرف صحة ذلك من باطله من جهة النص. وقال الشيخ جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن النقيب وهو جامع كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير ما نصه في ذلك الكتاب : وقد لاح لي في هذه الآية أن في الكلام حذفا وتقديما وتأخيرا وأن هذا الكلام متعلق بالذي قبله مردود إليه ، ويكون التقدير : أفلا يتدبرون القرآن ، ولو تدبروه لعلموا أنه من كلام الله ، والمشكل عليهم من متشابهه لو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم يعني : لعلم معنى ذلك المتشابه الذين يستنبطونه منهم من أهل العلم بالكتاب إلا قليلا ، وهو ما ستأثر الله به من علم كتابه ومكنون خطابه. ثم قال : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، والذي حسن لهم ذلك وزينه الشيطان ، ثم التفت إلى المؤمنين فقال : ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ وقد أشار إلى شيء من هذا أبو طالب المكي في كتابه المعروف بقوت القلوب ، وقال : إن قوله : ﴿إلا قليلا﴾ متصل بقوله ﴿لعلمه الذين يستنابطونه منهم﴾ وعلى هذا

٣٠٦

يكون الاستنباط استخراجا من معنى اللفظ المتشابه بنوع من النظرة والاجتهاد والتفكر انتهى كلامه. وهو كما ترى تركيب ونظم غير تركيب القرآن ونظمه ، وكثيرا ما يذكر هذا الرجل في القرآن تقديما وتأخيرا ، وأغرب من ذلك أنه يجعله من أنواع علم البيان ، وأصحابنا وحذاق النحويين يجعلونه من باب ضرائر الأشعار ، وشتان ما بين القولين. وقرأ أبو السمال : لعلمه بسكون اللام. قال ابن عطية : وذلك مثل شجر بينهم انتهى. وليس مثله لأن تسكين علم قياس مطرد في لغة تميم ، وشجر ليس قياسا مطردا ، إنما هو على سبيل الشذوذ. وتسكين علم مثل التسكين في قوله :

فإن تبله يضجر كما ضجر بازلمن الادم دبرت صفحتاه وغاربه
". (١)

"قيل : وتضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبديع. فمنها التجنيس المغاير في : يخادعون وخادعهم ، وشكرتم وشاكرا. والمماثل في : وإذا قاموا. والتكرار في : اسم الله ، وفي : هؤلاء وهؤلاء ، وفي : ويرون ويريدون ، وفي : الكافرين والكافرين ، وفي : أهل الكتاب وكتابا ، وفي : بميثاقهم وميثاقا. والطباق في : الكافرين والمؤمنين ، وفي : إن تبدوا أو تخفوه ، وفي : نؤمن ونكفر ، والاختصاص في : إلى الصلاة ، وفي : الدرك الأسفل ، وفي : الجهر بالسوء. والإشارة في مواضع. الاستعارة في : يخادعون الله وهو خادعهم استعار اسم الخداع للمجازاة وفي : سبيلا ، وفي سلطانا لقيام الحجة والدرك الأسفل لانخفاض طبقاتهم في النار ، واعتصموا للالتجاء ، وفي : أن يفرقوا ، وفي : ولم يفرقوا وهو حقيقة في الأجسام استعير للمعاني ، وفي : سلطانا استعير للحجة ، وفي : غلف وبل طبع الله. وزيادة الحرف لمعنى في : فبما نقضهم ، وإسناد الفعل إلى غير فاعله في : فأخذتهم الصاعقة وجاءتهم البينات وإلى الراضي به وفي : وقتلهم الأنبياء ، وفي : وقولهم على مريم بهتانا وقولهم إنا قتلنا المسيح. **وحسن النسق في** : فبما نقضهم ميثاقهم والمعاطيف
٣٩٣
عليه حيث نسقت بالواو التي تدل على الجميع فقط. وبين هذه الأشياء أعصار متباعدة فشرك أوائلهم وأواخرهم لعمل أولئك ورضا هؤلاء. وإطلاق اسم كل على بعض وفي : كفرهم بآيات الله وهو القرآن والإنجيل ولم يكفروا بشيء من الكتب إلا بهما وفي قولهم إنا قتلنا ولم يقل ذلك إلا بعضهم. والتعريض في رسول الله إذا قلنا أنه من كلامهم. والتوجيه في غلف من احتمال المصدر جمع غلاف أو جمع أغلف. وعود الضمير على غير مذكور وهو في ليؤمنن به قبل موته على من جعلهما لغير عيسى. والنقل من صيغة فاعل إلى فعيل في شهيد. والحذف في مواضع.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٦
الغلو : تجاوز الحد. ومنه غلا السعر وغلوة السهم. الاستنكاف : الأنفة والترفع ، من نكفت الدمع إذا نحيته بأصبعك من حدك ، ومنعته من الجري قال :
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٩٤

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٤٩/٣

فباتوا فلولا ما تذكر منهممن الحلق لم ينكف بعينك مدمع
وسئل أبو العباس عن الاستنكاف فقال : هو من النكف ، يقال : ما عليه في هذا الأمر نكف ولا وكف ، والنكف أن يقال له سوء ، واستنكف دفع ذلك السوء.
﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ المعنى : فبظلم عظيم ، أو فيظلم أي ظلم. وحذف الصفة لفهم المعنى جائز كما قال : لقد وقعت على لحم أي لحم متبع ، ويتعلق بحرمنا. وتقدم السبب على المسبب تنبيها على فحش الظلم وتقبيحا له وتحذيرا منه. والطيبات هي ما ذكر في قوله : ﴿وعلى الذين هادوا ﴾ الألبان وبعض الطير والحوت ، وأحلت لهم صفة الطيبات بما كانت عليه. وأوضح ذلك قراءة ابن عباس : طيبات كانت أحلت لهم.
﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ أي ناسا كثيرا ، فيكون كثيرا مفعولا بالمصدر ، وإليه ذهب الطبري. قال : صدوا بجحدهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم جمعا عظيما من الناس ، أو صد كثيرا. وقدره بعضهم زمانا كثيرا.
﴿وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه﴾ وهذه جملة حالية تفيد تأكيد قبح فعلهم
٣٩٤
وسوء صنيعهم ، إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه. قالوا : والربا محرم في جميع الشرائع.
﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ أي الرشا التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب. وفي هذه الآية فصلت أنواع الظلم الموجب لتحريم الطيبات. قيل : كانوا كلما أحدثوا ذنبا حرم عليهم بعض الطيبات ، وأهمل هنا تفصيل الطيبات ، بل ذكرت نكرة مبهمة. وفي المائدة فصل أنواع ما حرم ولم يفصل السبب. فقيل : ذلك جزيناهم ببغيهم ، وأعيدت الباء في : ﴿وبصدهم﴾ لبعده عن المعطوف عليه بالفصل بما ليس معمولا للمعطوف عليه ، بل في العامل فيه. ولم يعد في : ﴿وأخذهم﴾ وأكلهم لأن الفصل وقع بمعمول المعطوف عليه. ونظير إعادة الحرف وترك إعادته قوله : ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ الآية. وبدىء في أنواع الظلم بما هو أهم ، وهو أمر الدين ، وهو الصد عن سبيل الله ، ثم بأمر الدنيا وهو ما يتعلق به الأذى في بعض المال ، ثم ارتقى إلى الأبلغ في المال الدنيوي وهو أكله بالباطل أي مجانا لا عوض فيه. وفي ذكر هذه الآية امتنان على وجه الأمة حيث لم يعاملهم معاملة اليهود فيحرم عليهم في الدنيا الطيبات عقوبة لهم بذنوبهم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٩٤
." (١)

"وهذه الأقوال الثلاثة عامة في جميع بني إسرائيل ، وهو ظاهر قوله : وجعلكم ملوكا. وقال عبد الله بن عمر ، والحسن ، ومجاهد ، وجماعة : من كان له مسكن وامرأة وخادم فهو ملك. وقيل : من له مسكن ولا يدخل عليه فيه إلا بإذن فهو ملك. وقيل : من له زوجة وخادم ، وروي هذا عن ابن عباس. وقال عكرمة : من ملك عندهم خادما وبيتا دعي عندهم ملكا. وقيل : من له منزل واسع فيه ماء جار. وقيل : من له مال لا يحتاج فيه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق. وقيل : ملوك لقناعتهم ، وهو ملك خفي. ولهذا جاء في الحديث : "القناعة كنز لا ينفذ". وقيل : لأنهم ملكوا أنفسهم وذادوها عن الكفر ومتابعة فرعون. وقيل : ملكوا شهوات أنفسهم ذكر هذه الأقوال الثلاثة التبريزي في تفسيره. الثالثة : إيتاؤه إياهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، فسره ابن عباس فيما روى عنه مجاهد : بالمن والسلوى ، والحجر ، والغمام. وروى عنه عطاء الدار والزوجة والخادم. وقيل : كثرة الأنبياء. وقال ابن جرير : ما أوتي أحد من النعم في زمان قوم موسى ما أوتوا ، خصوا بفلق البحر لهم ، وإنزال المن والسلوى ، وإخراج المياه العذبة من الحجر ، ومد الغمام فوقهم. ولم تجمع النبوة والملك لقوم كما جمعا لهم ، وكانوا في تلك الأيام هم العلماء بالله وأحباؤه وأنصار دينه انتهى. وأن المراد كثرة الأنبياء ، أو خصوصات مجموع آيات موسى. فلفظ العالمين مقيد بالزمان الذي كان فيه بنو إسرائيل ، لأن أمة محمد قد أوتيت من آيات محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك : قد ظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغمامة قبل مبعثه ، وكلمته الحجارة والبهائم ، وأقبلت إليه الشجرة ، وحن له الجذع ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وشبع كثير من الناس من قليل الطعام ببركته ، وانشق له القمر ، وعد العود سيفا ، وعاد الحجر المعترض في الخندق رملا مهيلا إلى غير ذلك من آياته الءظمى ومعجزاته الكبرى. وهذه المقالة من موسى لبني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله هي توطئة لنفوسهم ، وتقدم إليهم بما يلقى من أمر قتال الجبارين ليقوي حاشهم ، وليعلموا أن من أنعم الله عليه بهذه النعم العظيمة لا يخذله الله ، بل يعليه على عدوه ويرفع من شأنه ، ويجعل له السلطنة والقهر عليه.

والخطاب في قوله : وآتاكم ، ظاهره أنه لبني إسرائيل كما شرحناه ، وأنه من كلام موسى لهم ، وبه قال الجمهور. وقال أبو مالك ، وابن جبير : هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وانتهى الكلام عند قوله : وجعلكم ملوكا ، ثم التفت إلى هذه الأمة لما ذكر موسى قومه بنعم الله ، ذكر الله أمة محمد صلى

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٩/٣

الله عليه وسلم بهذه النعمة الظاهرة جبرا لقلوبهم ، وأنه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وعلى هذا المراد بالعالمين العموم ، فإن الله فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم ، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وأسبغ عليهم من النعم ما لم يسبغها على أحد من الأمم ، وهذا معنى قول ابن جرير وهو اختياره. وقال ابن عطية : وهذا ضعيف ، وإنما ضعف عنده لأن الكلام **في نسق واحد** من خطاب موسى لقومه ، وهو معطوف على ما قبله ، ولا يلزم ما قاله ، لأن القرآن جاء على قانون كلام العرب من الالتفات والخروج من خطاب إلى خطاب ، لا سيما إذا كان ظاهر الخطاب لا يناسب من خوطب أولا ، وإنما يناسب من وجه إليه ثانيا ، فيقوي بذلك توجيه الخطاب إلى الثاني إذا حمل اللفظ على ظاهره. وقرأ ابن محيصن : ياقوم بضم الميم ، وكذا

٤٥٣

حيث وقع في القرآن ، وروى ذلك عن ابن كثير. وهذا الضم هو على معنى الإضافة ، كقراءة من قرأ : قل رب احكم بالحق بالضم وهي إحدى اللغات الخمس الجائزة في المنادى المضاف لياء المتكلم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٤٢

﴿من النسآء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم﴾ المقدسة المطهرة ، وهي أريحا قاله : السدي وابن زيد ، ورواه عكرمة عن ابن عباس. وقيل : موضع بيت المقدس. وقيل : ايليا. قال ابن قتيبة. قرأت في مناجاة موسى قال : اللهم إنك اخترت فذكر أشياء ثم قال : رب ايليا بيت المقدس. وقال ابن الجوزي : قرأت على أبي منصور اللغوي قال : ايليا بيت المقدس. قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن نزورهوبيت بأعلى ايلياء مشرف

وقيل : الطور ، رواه مجاهد عن ابن عباس ، واختاره الزجاج. وقيل : فلسطين ودمشق وبعض الأردن. قال قتادة : هي الشام. وقال الكلبي : صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان فقال له جبريل : انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس ، وهو ميراث لذريتك. وقيل : ما بين الفرات وعريش مصر. قال الطبري : لا يختلف أنها ما بين الفرات وعريش مصر قال : وقال الادفوي : أجمع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار أنها ما بين الفرات وعريش مصر. وقال الطبري : تظاهرت الروايات أن دمشق هي قاعدة الجبارين انتهى.

". (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٦٥/٣

"جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٣
وفي هذه المسألة خلاف بين النحويين. وبعضهم يجيز حذف هذا الضمير في الكلام ، وبعضهم يخصه بالشعر ، وبعضهم يفصل. وهذه المذاهب ودلائلها مذكورة في علم النحو. وقال الزمخشري : وإسقاط الراجع عنه كإسقاطه عن الصلة في "أهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في : الناس رجلان ، رجل أهنت ورجل أكرمت. وعن الحال في : مررت بهند تضرب زيدا انتهى. فإن كان جعل الإسقاط فيه مثل الإسقاط في الجواز والحسن ، فليس كما ذكر عند البصريين ، بل حذفه من الصلة بشروط الحذف فصيح ، وحذفه من الصفة قليل ، وحذفه من الخبر مخصوص بالشعر ، أو في نادر. وإن كان شبهه به من حيث مطلق الإسقاط فهو صحيح. وقال ابن عطية : وإنما تتجه القراء على أن يكون التقدير : أفحكم الجاهلية حكم تبغون ، فلا تجعل تبغون خبرا بل تجعل صفة خبر محذوف ، ونظيره : ﴿يحرفون﴾ تقديره قوم يحرفون انتهى. وهو توجيه ممكن. وقرأ قتادة والأعمش : أفحكم بفتح الحاء والكاف والميم ، وهو جنس لا يراد به واحد كأنه قيل : أحكام الجاهلية وهي إشارة إلى الكهان الذين كانوا يأخذون الحلوان وهي رشا الكهان ، ويحكمون لهم بحسبه وبحسب الشهوات ، أرادوا بسفههم أن يكون خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام. وقرأ الجمهور : يبغون بالياء **على نسق الغيبة** المتقدمة. وقرأ ابن عامر بالتاء على لخطاب ، وفيه مواجهتهم بالإنكار والردع والزجر ، وليس ذلك في الغيبة ، فهذه حكمة الالتفات والخطاب ليهود قريظة والنضير.

﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ أي لا أحد أحسن من الله حكما. وتقدم ﴿وأن احكم بينهم بمآ أنزل الله﴾ فجاءت هذه الآية مشيرة لهذا المعنى والمعنى : أن حكم الله هو الغاية في الحسن وفي العدل. وهو استفهام معناه التقرير ، ويتضمن شيئا من التكبر عليهم. واللام في : لقوم يوقنون ، للبيان فتتعلق بمحذوف أي : في هيت لك وسقيا لك أي : هذا الخطاب. وهذا الاستفهام لقوم يوقنون قاله الزمخشر. وقال ابن عطية : وحسن دخول اللام في لقوم من حيث المعنى يبين ذلك ، ويظهر لقوم يوقنون. وقيل : اللام بمعنى عند أي عند قوم يوقنون ، وهذا ضعيف. وقيل : تتعلق بقوله : حكما ، أي أن أحكم الله للمؤمن على الكافر. ومتعلق يوقنون محذوف تقديره : يوقنون بالقرآن قاله ابن عباس. وقيل : يوقنون بالله تعالى قاله مقاتل. وقال الزجاج : يوقنون يثبتون عهد الله تعالى في حكمه ، وخصوا بالذكر لسرعة إذعانهم لحكم الله وأنهم هم الذين يعرفون أن لا أعدل منه ولا أحسن حكما.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٣

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٠٥

٥٠٥

الدائرة : واحدة الدوائر ، وهي صروف الدهر ، ودوله ، ونوازله. وقال الشاعر :

ويعلم أن الدائرات تدور

اللعب معروف وهو مصدر على غير قياس ، وفعله لعب يلعب. الإطفاء : الإخماد حتى لا يبقى أثر. الإفك : بفتح الهمزة مصدر أفكه يأفكه ، أي قلبه وصرفه. ومنه : ﴿أجئتنا لتأفكنا﴾ يؤفك عنه من أفك. قال عروة بن أذينة :

إن كنت عن أحسن المروءة مأفوكا ففي آخرين قد أفكوا

وقال أبو زيد : المأفوك المأفون ، وهو الضعيف العقل. وقال أبو عبيدة : رجل مأفوك لا يصيب خيرا ، وائتفكت البلدة بأهلها انقلبت ، والمؤتفكات مدائن قوم لوط عليه السلام قلبها الله تعالى.

٥٠٦

والمؤتفكات أيضا الرياح التي تختلف مهابها.

﴿يوقنون * يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليآءا بعضهم أوليآء بعض﴾ قال الزهري وغيره : سبب نزولها ولها قصة عبد الله بن أبي واستمساكه بحلف يهود ، وتبرؤ عبادة بن الصامت من حلفهم عند انقضاء بدر وعبادة ، في قصة فيها طول هذا ملخصها. وقال عكرمة : سببها أمر أبي لبابة بن عبد المنذر وإشارته إلى قريظة أنه الذبح حين استفهموه عن رأيه في نزولهم عن حكم سعد بن معاذ. وقال السدي : لما نزل بالمسلمين أمر أحد فزع منهم قوم ، وقال بعضهم لبعض : نأخذ من اليهود عهدا يعاضدونا إن ألمت بنا قاصمة من قريش أو سائر العرب. وقال آخرون : بل نلحق بالنصارى فنزلت. وقيل : هي عامة في المنافقين أظهروا الإيمان وظاهروا اليهود والنصارى.

." (١)

"﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ تقدم الكلام على إعراب ما قال الزمخشري في قوله : أن سخط الله ، أنه هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل : لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم ، والمعنى موجب سخط الله عليهم انتهى. ولا يصح هذا الإعراب إلا على مذهب الفراء ، والفارسي في أن ما موصولة ، أو على مذهب من جعل في بئس ضميرا ، وجعل ما تمييزا بمعنى شيئا ،

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣/٤٠٥

وقدمت صفة التمييز. وأما على مذهب سيبويه فلا يستوي ذلك ، لأن ما عنده اسم تام معرفة بمعنى الشيء ، والجملة بعده صفة للمخصوص المحذوف ، والتقدير : لبئس الشيء قدمت لهم أنفسهم ، فيكون على هذا أن سخط الله في موضع رفع بدل من ما انتهى. ولا يصح هذا سواء كانت موصولة ، أم تامة ، لأن البدل يحل محل المبدل منه ، وأن سخط لا يجوز أن يكون فاعلا لبئس ، لأن فاعل نعم وبئس لا يكون أن والفعل. وقيل : إن سخط في موضع نصب بدلا من الضميـر المحذوف في قدمت ، أي : قدمته كما تقول : الذي ضربت زيدا أخوك تريد ضربته زيدا. وقيل : على إسقاط اللام أي : لأن سخط.

﴿وفى العذاب هم خالدون﴾

٥٤١

لما ذكر ما قدموا إلى الآخرة زادا ، وذمه بأبلغ الذم ، ذكر ما صاروا إليه وهو العذاب وأنهم خالدون فيه ، وأنه ثمرة سخط الله ، كما أن السخط ثمرة العصيان.

﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى ومآ أنزل إليه ما اتخذوهم أوليآء﴾ إن كان المراد بقوله : ﴿ترى كثيرا منهم﴾ أسلافهم ، فالنبي داود وعيسى أو معاصري الرسول ، فالنبي هو محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين كفروا عبدة الأوثان. والمعنى : لو كانوا يؤمنون إيمانا خالصا غير نفاق ، إذ موالاة الكفار دليل على النفاق. والظاهر في ضمير كانوا وضمير الفاعل في ما اتخذوهم أنه يعود على كثيرا منهم ، وفي ضمير المفعول أنه يعود على الذين كفروا. وقال القفال وجها آخر وهو : أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتـولون من المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياء. والوجه الأول أولى ، لأن الحديث إنما هو عن قوله كثيرا منهم ، فعود الضمائر **على نسق واحد** أولى من اختلافها. وجاء جواب لو منفيا بما بغير لام ، وهو الأفصح ، ودخول اللام عليه قليل نحو قوله :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣٨

لو أن بالعلم تعطى ما تعيش بهلما ظفرت من الدنيا بنقرون

﴿ولاكن كثيرا منهم فاسقون﴾ خص الكثير بالفسق ، إذ فيهم قليل قد آمن.

والمخبر عنهم أولا هو الكثير ، والضمائر بعده له ، وليس المعنى. ولكن كثيرا من ذلك الكثير. ولكنه لما طال أعيد بلفظه ، وكان من وضع الظاهر بلفظه موضع الضمير ، إذ كان السياق يكون : ما اتخذوهم أولياء ، ولكنهم فاسقون. فوضع الظاهر موضع هذا لضمير.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣٨." (١)

"﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ أي هم ألين عريكة وأقرب ودا. ولم يصفهم بالود إنما جعلهم أقرب من اليهود والمشركين ، وهي أمة لهم الوفاء والخلال الأربع التي ذكرها عمرو بن العاص في صحيح مسلم ، ويعظمون من أهل الإسلام من استشعروا منه دينا وإيمانا ، ويبغضون أهل الفسق ، فإذا سالموا فسلمهم صاف ، وإذا حاربوا فحربهم مدافعة ، لأن شرعهم لا يأمرهم بذلك ، وحين غلب الروم فارس سر رسول الله صلى الله عليه وسلم لغلبة أهل الكتاب لأهل عبادة النار ، ولإهلاك العدو الأكبر بالعدو الأصغر إذ كان مخوفا على أهل الإسلام ، واليهود ليسوا على شيء من أخلاق النصارى ، بل شأنهم الخبث واللي بالألسنة ، وفي خلال إحسانك إلى اليهودي يترقب ما يغتالك به ألا ترى إلى ما حكى تعالى عنهم ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميان سبيل﴾ وفي قوله تعالى : ﴿الذين قالوا إنا نصارى ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة النصرانية ، بل ذلك قول منهم وزعم ، وتعلق ﴿للذين ءامنوا ﴾ الأول والثاني . وقيل هما في موضع النعت ووصف العداوة بالأشد والمودة بالأقرب دليل على تفاوت الجنسين بالنسبة إلى المؤمنين ، فتلك العداوة أشد العداوات وأظهرها ، وتلك المودة أقرب وأسهل ، وظاهر الآية يدل على أن النصارى أصلح حالا من اليهود وأقرب إلى المؤمنين مودة ، وعلى هذا الظاهر فسر الآية على من وقفنا على كلامه.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢

قال بعضهم : وليس على ظاهره وإنما المراد أنهم أكثر أسباب مودة من اليهود ، وذلك ذم لهم ، فإن من كثرت أسباب مودته كان تركه للمودة أفحش ، ولهذا قال أبو بكر الرازي : من الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحا للنصارى وإخبارا بأنهم خير من اليهود ، وليس كذلك لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليه ما ذكره في نسق التلاوة من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله وبالرسول ، ومعلوم عند كل ذي فطنة صحيحة أنعم في مقالتي الطائفتين أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة وأظهر فسادا من مقالة اليهود ، لأن اليهود تقربا بالتوحيد في الجملة وإن كان فيها مشبهة ببعض ما اعتقدته في الجملة من التوحيد بالتشبيه ؛ انتهى كلام أبي بكر الرازي

٤

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤٣٣/٣

والظاهر ما قاله المفسرون وغيره من أن النصارى على الجملة أصلح حالا من اليهود ، وقد ذكر المفسرون فيما تقدم ما فضل به النصارى على اليهود من كرم الأخلاق ، والدخول في الإسلام سريعا ، وليس الكلام واردا بسبب العقائد ، وإنما ورد بسبب الانفعال للمسلمين ، وأما قوله لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول ليس كما ذكر ، بل صدر الآية يقتضي العموم لأنه قال : ﴿أشركوا ا ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ ثم أخبر أن من هذه الطائفة علماء وزهاد ومتواضعين وسريعي استجابة للإسلام وكثيري بكاء عند سماع القرآن ، واليهود بخلاف ذلك والوجود يصدق قرب النصارى من المسلمين وبعد اليهود.

﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ الإشارة بذلك إلى أقرب المودة عليه ، أي منهم علماء وعباد وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة ، وليسوا مستكبرين واليهود على خلاف ذلك لم يكن فيهم قط أهل ديارات ولا صوامع وانقطاع عن الدنيا ، بل هم معظمون متطاولون لتحصيلها حتى كأنهم لا يؤمنون بآخرة ولذلك لا يرى فيهم زاهد ، والرهبان جمع راهب كفارس وفرسان والرهب والرهبة الخشية. وقيل الرهبان مفرد كسلطان وأنشدوا :

لو عاينت رهبان دير في القللتحدر الرهبان تمشي وتزل

ويروي ونزل ، والقسيس تقدم شرحه في المفردات. وقال ابن زيد : هو رأس الرهبان. وقيل : العالم. وقيل : رافع الصوت بالقراءة. وقيل : الصديق ، وفي هذا التعليل دليل على جلاله العلم ، وأنه سبيل إلى الهداية ، وعلى حسن عاقبة الانقطاع ، وأنه طريق إلى النظر في العاقبة على التواضع ، وأنه سبب لتعظيم الموحد إذ يشهد من نفسه ومن كل محدث أنه مفتقر للموجد فيعظم عند مخترع الأشياء البارىء ﴿وإذا سمعوا مآ أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ هذا وصف برقة القلوب والتأثر بسماع القرآن ، والظاهر أن الضمير يعود على قسيسين ورهبانا فيكون عاما ، ويكون قد أخبر عنهم بما يقع من بعضهم كما جرى للنجاشي حيث تلا عليه جعفر سورة مريم إلى قوله ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ وسورة طه إلى قوله ﴿وهل أتاك حديث موسى ﴾ فبكى وكذلك قومه الذين وفدوا على الرسول حين قرأ عليها ﴿يس﴾ فبكوا.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢

." (١)

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢/٤

"الوعيد ، والأظهر **من نسق الآيات** أنه خطاب للكفار وهو مذهب الطبري. وقال أبي وأبو العالية وجماعة : هي خطاب للمؤمنين. قال أبي : هن أربع : عذاب قبل يوم القيامة مضت اثنتان قبل وفاة الرسول بخمس وعشرين سنة لبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم. وقال الحسن : بعضها للكفار بعث العذاب من فوق ومن تحت وسائرها للمؤمنين ، انتهى. وحين نزلت استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وقال في الثالثة : "هذه أهون أو هذه أيسر" ؛ واحتج بهذا من قال هي للمؤمنين. وقال الطبري : لا يمتنع أن يكون عليه لسلام تعوذ لأمته مما وعد به الكفار وهون الثالثة لأنها في المعنى هي التي دعا فيها فمنع كما في حديث الموطأ وغيره. والظاهر ﴿من فوقكم أو من تحت أرجلكم﴾ الحقيقة كالصواعق وكما أمطر على قوم لوط وأصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان ، كقوله : ﴿ففتحنآ أبواب السمآء بمإء منهمر﴾ وكالزلازل ونبع الماء المهلك وكما خسف بقارون. وقال السدي عن أبي مالك وابن جبير : الرجم والخسف. وقال ابن عباس : ﴿من فوقكم﴾ ولاة الجور و﴿من تحت أرجلكم﴾ سفلة السوء وخدمته. وقيل : حبس المطر والنبات. وقيل : ﴿من فوقكم﴾ خذلان السمع والبصر والآذان واللسان و﴿من تحت أرجلكم﴾ خذلان الفرح والرجل إلى المعاصي ؛ انتهى ، وهذا والذي قبله مجاز بعيد.

﴿أو يلبسكم شيعا﴾ أي يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم انشاب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال كقول الشاعر :

وكتيبة لبستها بكتيبةحتى إذا التبست نفضت لها يدي فتركتهم تقص الرماح ظهورهمما بين منعفر وآخر مسند

قال ابن عباس ومجاهد : تثبت فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقا. وقيل : المعنى يقوي عدوكم حتى يخالطوكم. وقرأ أبو عبد الله المدني ﴿يلبسكم﴾ بضم الياء من اللبس استعارة من اللبا س فعلى فتح الياء يكون شيعا حالا. وقيل : مصدر والعامل فيه ﴿يلبسكم﴾ من غير لفظه ؛ انتهى. ويحتاج في كونه مصدرا إلى نقل من اللغة وعلى ضم الياء يحتمل أن يكون التقدير أو يلبسكم الفتنة شيعا ويكون شيعا حالا ، وحذف المفعول الثاني ويحتمل أن يكون المفعول الثاني شيعا كان الناس يلبس بعضهم بعضا كما قال الشاعر :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣

لبست أناسا فأفنيتهمو وغادرت بعد أناس أناسا

وهي عبارة عن الخلطة والمعايشة.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ البأس الشدة من قتل وغيره والإذاقة والإنالة والإصابة هي من أقوى حواس الاختبار وكثر استعمالها في كلام العرب وفي القرآن قال تعالى : ﴿ذوقوا مس سقر﴾ . وقال الشاعر :

أذقناهم كؤوس الموت صرفاوذاقوا من أسنتنا كؤوسا

وقرأ الأعمش : ونذيق بالنون وهي نون عظمة الواحد وهي التفات فأئدته نسبة ذلك إلى الله على سبيل العظمة والقدرة القاهرة.

﴿انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون﴾ هذا استرجاع لهم ولفظة تعجب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعني إنا نسألك في مجيء الآيات أنواعا رجاء أن يفقهوا ويفهموا عن الله تعالى ، لأن في اختلاف الآيات ما يقتضي الفهم إن غربت آية لم تعزب أخرى.

﴿وكذب بها قومك وهو الحق﴾ قال السدي : ﴿به﴾ عائد على القرآن الذي فيه جاء تصريف الآيات. وقال الزمخشري : ﴿به﴾ راجع إلى العذاب وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم. وقال ابن عطية : ويحتمل أن يعود على الوعيد الذي تضمنته الآية ونحا إليه الطبري. وقيل : يعود على النبي صلى الله عليه وسلم

١٥١

وهذا لقرب مخاطبته بعد ذلك بالكاف ؛ انتهى. وقرأ ابن أبي عبلة : وكذبت به قومك بالتاء ، كما قال : كذبت قوم نوح والظاهر أن قوله : ﴿وهو الحق﴾ جملة استئناف لا حال.

﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ أي لست بقائم عليكم لإكراهكم على التوحيد. وقيل : ﴿بوكيل﴾ بمسلط وقيل : لا أقدر على منعكم من التكذيب إجبارا إنما أنا منذر. قال ابن عطية : وهذا كان قبل نزول الجهاد والأمر بالقتال ثم نسخ. وقيل : لا نسخ في هذا إذ هو خبر والنسخ فيه متوجه لأن اللازم من اللفظ لست الآن وليس فيه أنه لا يكون في المستقبل.

﴿لكل نبإ مستقر﴾ أي لكل أجل شيء ينبأ به يعني من أنبائه بأنهم يعذبون وإبعادهم به وقت استقرار وحصول لا بد منه. وقيل : لكل عمل جزاء وليس هذا بالظاهر. وقال السدي : استقر نبأ القرآن بما كان يعدهم من العذاب يوم بدر. وقال مقاتل : منه في الدنيا يوم بدر وفي الآخرة جهنم. ﴿وسوف تعلمون﴾ مبالغة في التهديد والوعيد فيجوز أن يكون تهديد بعذاب الآخرة ، ويجوز أن يكون تهديدا بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٤٣
". (١)

"﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيواة الدنيا وكذالك نجزى المفترين﴾ . الظاهر أنه من كلام الله تعالى إخبارا عما ينال عباد العجل ومخاطبة لموسى بما ينالهم. وقيل : هو من بقية كلام موسى إلى قوله ﴿وقال إنما اتخذتم﴾ وأصدقه الله تعالى بقوله : ﴿وكذالك نجزى المفترين﴾ والأول الظاهر لقوله ﴿وكذالك نجزى المفترين﴾ **في نسق واحد** مع الكلام قبله والمعنى اتخذوه إلها لقوله ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هاذآ إلاهكم وإلاه موسى ﴾ ، قيل : والغضب في الأخرة والذلة في الدنيا وهم فرقة من اليهود أشربوا حب العجل فلم يتوبوا ، وقيل : هم من مات منهم قبل رجوع موسى من الميقات ، وقال أبو العالية وتبعه الزمخشري : هو ما أمروا به من قتل أنفسهم ، وقال الزمخشري والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب انتهى ، وينبغي أن يقول استمرار انقطاعهم عن ديارهم لأن خروجهم كان سبق على عبادة العجل ، وقال عطية العوفي : هو في قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير لأنهم تولوا متخذي العجل ، وقيل : ما نال أولادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من السبي والجلاء والجزية وغيرها ، وجمع هذين القولين الزمخشري فقال : هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريضة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية انتهى ، والغضب إن أخذ بمعنى الإرادة فهو صفة ذات أو بمعنى العقوبة فهو صفة فعل والظاهر أن قوله ﴿وقال إنما اتخذتم﴾ متعلق بقوله ﴿سينالهم﴾ ، وكذلك أي مثل ذلك النيل من الغضب والذلة نجزي من افترى الكذب على الله وأي افتراء أعظم من قولهم ﴿هاذآ إلاهكم وإلاه موسى ﴾ و﴿المفترين﴾ عام في كل مفتر ، وقال أبو قلابة ومالك وسفيان بن عيينة : كل صاحب بدعة أو فرية ذليل واستدلوا على ذلك بالآية.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٨٣

﴿والذين عملوا السيات ثم تابوا منا بعدها وءامنوا إن ربك منا بعدها لغفور رحيم﴾ ﴿السيئات﴾ هي الكفر والمعاصي غيره ﴿ثم تابوا ﴾ أي رجعوا إلى الله ﴿منا بعدها﴾ أي من بعد عمل السيئات ﴿وءامنوا ﴾ داموا على إيمانهم وأخلصوا فيه أو تكون الواو حالية أي وقد آمنوا أن ربك من بعدها أي من بعد عمل السيئات هذا هو الظاهر ، ويحتمل أن يكون الضمير في ﴿منا بعدها﴾ عائدا على التوبة أي ﴿إن ربك﴾ من بعد توبتهم فيعود على المصدر المفهوم من قوله ﴿ثم تابوا ﴾ وهذا عندي أولى لأنك إذا جعلت

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٢١/٤

الضمير عائدا على ﴿السيئات﴾ ، احتجت إلى حذف مضاف وحذف معطوف إذ يصير التقدير من بعد عمل السيئات والتوبة منها وخبر ﴿الذين﴾ قوله ﴿إن ربك﴾ وما بعده والرابط محذوف أي ﴿لغفور رحيم﴾ لهم. قال الزمخشري : ﴿لغفور﴾ لستور عليهم محاء لما كان منهم ﴿رحيم﴾ منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم أولا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وإن عظمت فإن عفوه تعالى وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والإنابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم انتهى ، وهو على طريقة الاعتزال.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٨٣
." (١)

"وهذا منهم تنقيص للرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ وصفوه بقلة الحزامة والانخداع. وقيل : المعنى ذو أذن ، فهو على حذف مضاف قاله ابن عباس. وقيل : أذن حديد السمع ، ربما سمع مقالتنا. وقيل : أذن وصف بنى على فعل من أذن يأذن أذنا إذا استمع ، نحو أنف وشلل وارتفع. أذن على إضمار مبتدأ أي : قل هو أذن خير لكم. وهذه الإضافة نظيرها قولهم : رجل صدق ، تريد الجودة والصلاح. كأنه قيل : نعم هو أذن ، ولكن نعم الإذن. ويجوز أن يراد هو أذن في الخير والحق وما يجب سماعه وقبوله ، وليس بإذن في غير ذلك. ويدل عليه خير ورحمة في قراءة من جرها عطفا على خير أي : هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ، قاله الزمخشري. وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم في
٦٢
رواية قل : أذن بالتنوين خير بالرفع. وجوزوا في أذن أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، وخير خبر ثان لذلك المحذوف أي : هو أذن هو خير لكم ، لأنه صلى الله عليه وسلم يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء خلتكم. وأن يكون خير صفة لأذن أي : أذن ذو خير لكم. أو على أن خيرا أفعل تفضيل أي : أكثر خيرا لكم ، وأن يكون أذن مبتدأ خبره خبر. وجاز أن يخبر بالنكرة عن النكرة مع حصول الفائدة فيه قاله صاحب اللوامح ، وهو جائز على تقدير حذف وصف أي : أذن لا يؤاخذكم خير لكم ، ثم وصفه تعالى بأنه يؤمن بالله ، ومن آمن بالله كان خائفا منه لا يقدم على الإيذاء بالباطل. ويؤمن للمؤمنين أي : يسمع من المؤمنين ويسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم مؤمنين ، فهم صادقون. ورحمة للذين آمنوا منكم ، وخص المؤمنين

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣٢٢/٤

وإن كان رحمة للعالمين ، لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول لم يحصل لغيرهم ، وخصوا هنا بالذكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيتهم. وهذه الأوصاف الثلاثة مبينة جهة الخيرية ، ومظهرة كونه صلى الله عليه وسلم أذن خير. وتعدية يؤمن أولا بالباء ، وثانيا باللام. قال ابن قتيبة : هما زائدان ، والمعنى : يصدق الله ، ويصدق المؤمنين.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٦١

وقال الزمخشري : قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر ، فعدى بالباء ، وقصد الاستماع للمؤمنين ، وإن يسلم لهم ما يقولون فعدى باللام. ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ومآ أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ ما أنباه عن الباء ونحوه ﴿فمآ ءامن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ ﴿أنؤمن لك واتبعك الارذلون﴾ ﴿قال ءامنتم له قبل أن ءاذن﴾ انتهى. وقال ابن عطية : يؤمن بالله يصدق بالله ، ويؤمن للمؤمنين. قيل : معناه ويصدق المؤمنين ، واللام زائدة كما هي في ﴿ردف لكم﴾ وقال المبرد : هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل ، كأنه قال : وإيمانه للمؤمنين أي : وتصديقه. وقيل : يقال آمنت لك بمعنى صدقتك ، ومنه قوله : ﴿ومآ أنت بمؤمن لنا﴾ وعندي أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء فالمعنى : ويصدق للمؤمنين فيما يخبرونه به ، وكذلك وما أنت بمؤمن لنا بما نقوله لك انتهى. وقرأ أبي ، وعبد الله ، والأعمش ، وحمزة : ورحمة بالجر عطفا على خبر ، فالجملة من يؤمن اعتراض بين المتعاطفين ، وباقي السبعة بالرفع عطفا على يؤمن ، ويؤمن صفة لأذن خير. وابن أبي عبلة : بالنصب مفعولا من أجله حذف متعلقه التقدير : ورحمة يأذن لكم ، فحذف لدلالة أذن خير لكم عليه. وأبرز اسم الرسول ولم يأت به ضميرا **على نسق يؤمن** بلفظ الرسول تعظيما لشأنه ، وجمعا له في الآية بين الرتبتين العظيمتين من النبوة والرسالة ، وإضافته إليه زيادة في تشريفه ، وحتم على من أذاه بالعذاب الأليم ، وحق لهم ذلك والذين يؤذون عام يندرج فيه هؤلاء الذين أذوا هذا الإيذاء الخاص وغيرهم.

﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسولهآ أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ : الظاهر أن الضمير في يحلفون عائد على الذين يقولون : هو أذن أنكره وحلفوا أنهم ما قالوه. وقيل : عائد على الذين قالوا : إن كان ما يقول محمد حقا ، فنحن شر من الحمير ، وتقدم ذكر ذلك. وقيل : عائد على الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اعتذروا وحلفوا واعتلوا ، قاله : ابن السائب ، واختاره البيهقي. وكانوا ثلاثة وثمانين حلف منهم ثمانون ، فقبل الرسول أعذارهم واعترف

." (١)

"فريق الشيطان وفريق الرحمن. والخطاب في قوله تعالى : وما تكون في شأن ، وما تتلوا للرسول صلى الله عليه وسلم وهو عام بجميع شؤونه عليه السلام. وما تتلوا مندرج تحت عموم شأن ، واندرج من حيث المعنى في الخطاب كل ذي شأن. وما في الجملتين نافية ، والضمير في منه عائد على شأن ، ومن قرآن تفسير للضمير ، وخص من العموم لأن القرآن هو أعظم شؤونه عليه السلام. وقيل : يعود على التنزيل ، وفسر بالقرآن لأن كل جزء منه قرآن ، وأضمر قبل الذكر على سبيل التفخيم له. وقيل : يعود على الله تعالى أي : وما تتلوا من عند الله من قرآن. والخطاب في قوله : ولا تعملون عام ، وكذا إلا كنا عليكم شهودا. وولى إلا هنا الفعل غير مصحوب بقد ، لأنه قد تقدم الأفعل. والجملة بعد إلا حال وشهودا رقباء نحصي عليكم ، وإذ معمولة لقوله : شهودا. ولما كانت الأفعال السابقة المراد بها الحالة الدائمة وتنسحب على الأفعال الماضية كان الظرف ماضيا ، وكان المعنى : وما كنت في شأن وما تلوت من قرآن ولا عملتم من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ أفضتم فيه. وإذ تخلص المضارع لمعنى الماضي ، ولما كان قوله : إلا كنا عليكم شهودا فيه تحذير وتنبيه عدل عن خطابه صلى الله عليه وسلم إلى خطاب أمته بقوله : ولا تعملون من عمل ، وإن كان الله شهيدا على أعمال الخلق كلهم. وتفيضون : تخوضون ، أو تنشرون ، أو تدفعون ، أو تنهضون ، أو تأخذون ، أو تنقلون ، أو تتكلمون ، أو تسعون ، أقوال متقاربة ثم واجهه تعالى بالخطاب وحده في قوله : وما يعزب عن ربك ، تشريفا له وتعظيما. ولما ذكر شهادته تعالى على أعمال الخلق ناسب تقديم الأرض الذي هي محل المخاطبين على السماء ، بخلاف ما في سورة سبأ ، وإن كان الأكثر تقديمها على الأرض.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٤٥

وقرأ ابن وثاب ، والأعمش ، وابن مصرف ، والكسائي ، يعزب بكسر الزاي ، وكذا في سبأ. والمثقال اسم لا صفة ، ومعناه هنا وزن ذرة. والذر صغار النمل ، ولما كانت الذرة أصغر الحيوان المتناسل المشهور النوع عندنا جعلها الله مثالا لأقل الأشياء وأحقرها ، إذ هي أحقر ما نشاهد. ثم قال : ولا أصغر من ذلك أي : من مثقال ذرة. ولما ذكر تعالى أنه لا يغيب عن علمه أدق الأشياء التي نشاهدها ، ناسب تقديم ولا أصغر من ذلك ، ثم أتى بقوله : ولا أكبر ، على سبيل إحاطة علمه بجميع الأشياء. ومعلوم أن من علم

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٥/٥٠

أدق الأشياء وأخفاها كان علمه متعلقا بأكبر الأشياء وأظهرها. وقرأ الجمهور : لا أصغر من ذلك ولا أكبر بفتح الراء فيهما ، ووجه على أنه عطف على ذرة أو على مثقال على اللفظ. وقرأ حمزة وحده : برفع الراء فيهما ، ووجه على أنه عطف على موضع مثقال لأن من زائدة فهو مرفوع بيعزب ، هكذا وجهه الحوفي وابن عطية وأبو البقاء. وقال الزمخشري نابعا لاختيار الزجاج : والوجه النصب على نفي الجنس ، والرفع علىى الابتداء ، يكون كلاما مبتدأ. وفي العطف عل محل مثقال ذرة أو لفظه فتحا في موضع الجر أشكال ، لأن قولك : لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل انتهى. وإنما أشكل عنده ، لأن التقدير يصير إلا في كتاب فيعزب ، وهذا كلام لا يصح. وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره : لكن هو في كتاب مبين ، ويزول بهذا التقدير الإشكال. وقال أبو عبد الله الرازي : أجاب بعض المحققين من وجهين : أحدهما : أن الاستثناء منقطع ، والآخر أن العزوب عبارة عن مطلق البعد ، والمخلوقات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض ، وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ، وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمملوكية عن مرتبة وجود واجب الوجود ، فالمعنى : لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهو في كتاب مبين ، كتبه الله ، وأثبت صور تلك المعلومات فيها انتهى ، وفيه بعض تلخيص. وقال الجرجاني صاحب النظم :

١٧٤

إلا بمعنى الواو أي : وهو في كتاب مبين. والعرب تضع إلا موضع واو النسق كقوله : ﴿إلا من ظلم﴾ إلا الذين ظلموا منهم﴾ انتهى. وهذا قول ضعيف لم يثبت من لسان العرب وضع إلا موضع الواو ، وتقدم الكلام على قوله : انتهى. وهذا قول ضعيف لم يثبت من لسان العرب وضع إلا موضع الواو ، وتقدم الكلام على قوله : ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وسيأتي على قوله : إلا من ظلم إن شاء الله تعالى.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٤٥

﴿ألا إن أوليآء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين ءامنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحيواة الدنيا وفى الاخرةا لا تبديل لكلمات الله ذالك هو الفوز العظيم﴾

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٧٥
". (١)

"فاعمد لما تعلو فما لك بالذيلا تستطيع من الأمور يدان أي لما تقهر أقوال متقاربة ، وإسرافه كونه كثير القتل والتعذيب. وقيل : كونه من أخس العبيد فادعى الإلهية ، وهذا الإخبار مبين سبب خوف أولئك المؤمنين منه.

وفي الآية مسلاة للرسول صلى الله عليه وسلم بقلة من آمن لموسى ومن استجاب له مع ظهور ذلك المعجز الباهر ، ولم يؤمن له إلا ذرية من قومه ، وخطاب موسى عليه السلام لمن آمن بقوله : يا قوم ، دليل على أن المؤمنين الذرية كانوا من قومه ، وخاطبهم بذلك حين اشتد خوفهم مما توعدهم به فرعون من قتل الآباء وذبح الذرية. وقيل : قال لهم ذلك حين قالوا إنا لمدركون. وقيل : حين قالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قيل : والأول هو الصواب ، لأن جواب كل من القولين مذكور بعده وهو : ﴿كلا إن معى ربى سيهدين﴾ وقوله : ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ الآية وعلق توكلهم على شرطين : متقدم ، ومتأخر. ومتى كان الشرطان لا يترتبان في الوجود فالشرط الثاني شرط في الأول ، فمن حيث هو شرط فيه يجب أن يكون متقدما عليه. فالإسلام هو الانقياد للتكاليف الصادرة من الله ، وإظهار الخضوع وترك التمرد ، والإيمان عرفان القلب بالله تعالى ووحدانيته وسائر صفاته ، وأن ما سواه محدث تحت قهره وتدبيره. وإذا حصل هذان الشرطان فو العبد جميع أموره إلى الله تعالى ، واعتمد عليه في كل الأحوال. وأدخل أن على فعلي الشرط وإن كانت في الأغلب إنما تدخل على غير المحقق مع علمه بإيمانهم على وجه إقامة الحجة وتنبيه الأنفس وإثارة الأنفة ، كما تقول : إن كنت رجلا فقاتل ، تخاطب بذلك رجلا تريد إقامة البينة.

---

(١) RUH
RIYADH, SAUDI ARABIA
landed at
King Khalid Int'l - **RUH**
TUESDAY 12-SEP-2023
(3 minutes early) ***11:32PM +03***

وطول ابن عطية هنا في مسألة التوكل بما يوقف عليه في كتابه ، وأجابوا موسى عليه السلام بما أمرهم به من التوكل على الله لأنهم كانوا مخلصين في إيمانهم وإسلامهم ، ثم سألوا الله تعالى شيئين : أحدهما : أن لا يجعلهم فتنة للقوم الظالمين. قال الزمخشري : أي موضع فتنة لهم ، أي عذاب تعذبوننا أو تفتنوننا عن ديننا ، أو فتنة لهم يفتنون بها ويقولون : لو كان هؤلاء على الحق ما أصيبوا. وقال مجاهد وأبو مجلز وأبو الضحى وغيرهم : معنى القول الآخر قال : المعنى لا ينزل بنا ملأنا بأيديهم أو بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون ويعتقدون أن هلاكنا إنما هو بقصد منك لسوء ديننا وصلاح دينهم وأنهم أهل الحق. وقالت فرقة : المعنى لا نفتنهم ونبتليهم بقتلنا وإذايتنا فنعذبهم على ذلك في الآخرة. قال ابن عطية : وفي هذا التأويل قلق. وقال ابن الكلبي : لا تجعلنا فتنة بتقتير الرزق علينا وبسطه لهم. والآخر : ينجيهم من الكافرين أي : من تسخيرهم واستعبادهم. والذي يظهر أنهم سألوا الله تعالى أن لا يفتنوا عن دينهم ، وأن يخلصوا من الكفار ، فقدموا ما كان عندهم أهم وهو سلامة دينهم لهم ، وأخروا سلامة أنفسهم ، إذ الاهتمام بمصالح الدين آكد من الاهتمام بمصالح الأبدان.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٧٨

﴿وأوحينآ إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلواةا وبشر المؤمنين﴾ : لم يصرح باسم أخيه لأنه قد تقدم أولا في قوله : ﴿ثم بعثنا منا بعدهم موسى وهارون﴾ وتبوآ اتخذا مباءة أي مرجعا للعبادة والصلاة كما تقول : توطن اتخذ موطنا ، والظاهر اتخاذ البيوت بمصر. قال الضحاك : وهي مصر المحروسة ، ومصر من البحر إلى أسوان ، والاسكندرية من أرض مصر. وقال مجاهد : هي

١٨٥

الاسكندرية ، وكان فرعون قد استولى على بني إسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم ، ومنعهم من الصلوات ، وكلفهم الأعمال الشاقة. وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم ، فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم ، كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام. وقرأ حفص في رواية هبيرة : تبويا بالياء ، وهذا تسهيل غير قياسي ، ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والألف ، والظاهر أن المأمور بأن يجعل قبلة هي المأمور بتبوئها. ومعنى قبلة مساجد : أمروا بأن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله : النخعي ، وابن زيد ، وروي عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا : واجعلوا بيوتكم قبل القبلة ، وعنه أيضا : قبل مكة. وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء : أمروا بأن يجعلوها مستقبلة الكعبة.

وعن ابن عباس أيضا وابن جبير : قبلة يقابل بعضها بعضا. وأقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة ، لأنها لم تنزل إلا بعد إجارة البحر. وبشر المؤمنين يعني : بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة ، وهو أمر لموسى عليه السلام أن يتبوآ لقومهما ويختاراها للعبادة ، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. **ثم نسق الخطاب** عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها ، لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللمبشر به.
". (١)

"أي بعد طول اجتماع ومنه كتبته لثلاث خلون من شهر كذا. وقال الواحدي : اللام للسبب لأنها إنما تجب بزوال الشمس ، فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس. قال ابن عطية : ﴿أقم الصلواة﴾ الآية هذه بإجماع من المفسرين إشارة إلى الصلوات المفروضة. فقال ابن عمر وابن عباس وأبو بردة والحسن والجمهور : دلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر وغسق الليل إشارة إلى المغرب والعشاء ﴿أقم الصلواة﴾ أريد به صلاة الصبح ، فالآية على هذا تعم جميع الصلوات. وروي ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر". وروي جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عنده وقد طعم وزالت الشمس ، فقال : "أخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس". وقال ابن مسعود وابن عباس وزيد بن أسلم : دلوك الشمس غروبها والإشارة بذلك إلى المغرب ﴿قم اليل﴾ ظلمته فالإشارة إلى العتمة ﴿أقم الصلواة﴾ صلاة الصبح ، ولم تقع إشارة على هذا التأويل إلى الظهر والعصر انتهى. وعن علي أنه الغروب ، وتتعلق اللام وإلى بأقم ، فتكون إلى غاية للإقامة. وأجاز أبو البقاء أن تكون حالا من الصلاة قال : أي ممدودة ويعني بقرآن الفجر صلاة الصبح ، وخصت بالقرآن وهو القراءة لأنه عظمها إذ قراءتها طويلة مجهور بها ، وانتصب ﴿أقم الصلواة﴾ عطفا على ﴿الصلواة﴾ .

وقال الأخفش : انتصب بإضمار فعل تقديره وآثر ﴿أقم الصلواة﴾ أو عليك ﴿أقم الصلواة﴾ انتهى. وسميت صلاة الصبح ببعض ما يقع فيها. وقال الزمخشري : سميت صلاة الفجر قرآنا وهي القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة علي ابن أبي علية. والأضم في زعمهما أن القراءة ليست بركن انتهى. وقيل : إذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر إذا غييت الإقامة بغسق الليل ، ويكون الغسق وقتا مشتركا بين الغرب والعشاء ، ويكون المذكور ثلاثة أوقات : أول وقت الزوال ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥/١٥١

وأول وقت المغرب ، وأول وقت الفجر انتهى ، والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أمر بإقامة الصلاة إما من أول الزوال إلى الغسق ، وبقرآن الفجر ، وإما من الغروب إلى الغسق وبقرآن الفجر ، فيكون المأمور به الصلاة في وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧

وقال أبو عبد الله الرازي في قوله ﴿أقم الصلواة﴾ دلالة على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة لأن الأمر على الوجوب ، ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة إلا في الصلاة ومن قال معنى ﴿أقم الصلواة﴾ صلاة الفجر غلط لأنه صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل ، ولأن **في نسق التلاوة** ﴿ومن اليل فتهجد بها نافلة لك﴾ ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا. والهاء في ﴿به﴾ كناية عن ﴿أقم الصلواة﴾ المذكور قبله ، فثبت أن المراد حقيقة القرآن لا مكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلاة الفجر ، وعلى أنه لو صح أن يكون المراد ما ذكروا لكانت دلالته قائمة على وجوب القراءة في الصلاة لأنه لم تجعل القراءة عبارة عن الصلاة إلا وهي من أركانها انتهى. وفيه بعض تلخيص

٧٠

والظاهر ندبية إيقاع صلاة الصبح في أول الوقت لأنه مأمور بإيقاع قرآن الفجر ، فكان يقتضي الوجوب أول طلوع الفجر ، لكن الإجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية ، فإذا انتفى وجوبها بقي ندبها وأعاد ﴿أقم الصلواة﴾ في قوله ﴿أقم الصلواة لدلوك﴾ ولم يأت مضمرا فيكون أنه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى ﴿مشهودا﴾ تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث : "إنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر". وهذا قول الجمهور. وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة. وقيل : من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة. قال الزمخشري : ويجوز أن يكون ﴿أقم الصلواة﴾ حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ، ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة انتهى. ويعني بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك ﴿أقم الصلواة﴾ أو والزم.

وقال محمد بن سهل بن عسكر : ﴿مشهودا﴾ يشهده الله وملائكته ، وذكر حديث أبي الدرداء أنه تعالى ينزل في آخر الليل ولأبي عبد الله الرازي كلام في قوله ﴿مشهودا﴾ على عادته في تفسير كتاب الله على ما لا تفهمه العرب ، والذي ينبغي بل لا يعدل عنه ما فسره به الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله فيه : "يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار". وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٧
." (١)

"بالتقوى ، أتنهاه مع ذلك ؟ والضمير في ﴿إن كان﴾ ، وفي ﴿إن كذب﴾ عائد على الناهي. قال الزمخشري : ومعناه أخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله ، وكان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد ، وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح ، كما نقول نحن.

﴿ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ ، ويطلع على أحواله من هداة وضلالة ، فيجازيه على حسب ذلك ، وهدا وعيد ، انتهى. وقال ابن عطية : الضمير في ﴿إن كان على الهدى ﴾ عائد على المصلي ، وقاله الفراء وغيره. قال الفراء : المعنى ﴿أرءيت الذى ينهى * عبدا إذا صلى ﴾ ، وهو على الهدى وأمر بالتقوى ، والناهي مكذب متول عن الذكر ، أي فما أعجب هذا ألم يعلم أبو جهل بأن الله تعالى يراه ويعلم فعله ؟ فهذا تقرير وتوبيخ ، انتهى. وقال : من جعل الضمير في ﴿إن ك ا ن﴾ عائدا على المصلي ، إنما ضم إلى فعل الصلاة الأمر بالتقوى ، لأن أبا جهل كان يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن : الصلاة والدعاء إلى الله تعالى ، ولأنه كان صلى الله عليه وسلم لا يوجد إلا في أمرين : إصلاح نفسه بفعل الصلاة ، وإصلاح غيره بالأمر بالتقوى. وقال ابن عطية : ﴿ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ : إكمال التوبيخ والوعيد بحسب التوفيقات الثلاثة يصلح مع كل واحد منها ، يجاء بها في نسق. ثم جاء بالوعيد الكافي بجميعها اختصارا واقتضابا ، ومع كل تقرير تكلمة مقدرة تتسع العبارات فيها ، وألم يعلم دال عليها مغن.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٩٢

وقال الزمخشري : فإن قلت : ما متعلق ﴿أرءيت﴾ ؟ قلت : ﴿الذى ينهى ﴾ مع الجملة الشرطية ، وهما في موضع المفعولين. فإن قلت : فأين جواب الشرط ؟ قلت : هو محذوف تقديره : ﴿أرءيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى ﴾ ، ﴿ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ . وإنما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني. فإن قلت : فكيف صح أن يكون ﴿ألم يعلم﴾ جوابا للشرط ؟ قلت : كما صح في قولك : إن أكرمتك أتكرمني ؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه ؟ فإن قلت : فما ﴿أرءيت﴾ الثانية وتوسطها بين مفعولي ﴿أرءيت﴾ ؟ قلت : هي زائدة مكررة للتوكيد ، انتهى.

وقد تكلمنا على أحكام ﴿أرءيت﴾ بمعنى أخبرني في غير موضع منها التي في سورة الأنعام ، وأشبعنا

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٦/٥٠

الكلام عليها في شرح التسهيل. وما قرره الزمخشري هنا ليس بجار على ما قررناه ، فمن ذلك أنه ادعى أن جملة الشرط في موضع المفعول الواحد ، والموصول هو الآخر ، وعندنا أن المفعول الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية ، كقوله : ﴿أفرءيت الذى تولى * وأعطى قليلا وأكدى * أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ ، ﴿أفرءيت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا * أطلع الغيب﴾ ، ﴿أفرءيتم ما تمنون * ءأنتم تخلقونها أم﴾ ، وهو كثير في القرآن ، فتخرج هذه الآية على ذلك القانون ، ويجعل مفعول ﴿أرءيت﴾ الأولى هو الموصول ، وجاء بعده ﴿أرءيت﴾ ، وهي تطلب مفعولين ،

٤٩٤

وأرأيت الثانية كذلك ؛ فمفعول ﴿أرءيت﴾ الثانية والثالثة محذوف يعود على ﴿الذى ينهى ﴾ فيهما ، أو على ﴿عبدا﴾ في الثانية ، وعلى ﴿الذى ينهى ﴾ في الثالثة على الاختلاف السابق في عود الضمير ، والجملة الاستفهامية توالى عليها ثلاثة طوالب ، فنقول : حذف المفعول الثاني لأرأيت ، وهو جملة الاستفهام الدال عليه الاستفهام المتأخر لدلالته عليه. حذف مفعول أرأيت الأخير لدلالة مفعول أرأيت الأولى عليه. وحذفا معا لأرأيت الثانية لدلالة الأول على مفعولها الأول ، ولدلالة الآخر لأرأيت الثالثة على مفعولها الآخر. وهؤلاء الطوالب ليس طلبها على طريق التنازع ، لأن الجمل لا يصح إضمارها ، وإنما ذلك من باب الحذف في غير التنازع. وأما تجويز الزمخشري وقوع جملة الاستفهام جوابا للشرط بغير فاء ، فلا أعلم أحدا أجازه ، بل نصوا على وجوب الفاء في كل ما اقتضى طلبا بوجه ما ، ولا يجوز حذفها إلا إن كان في ضرورة شعر.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٩٢

﴿كلا﴾ : ردع لأبي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة الله. ﴿لان لم ينته﴾ عن ما هو فيه ، وعيد شديد ﴿لنسفعا ﴾ : أي لنأخذن ، ﴿بالناصية﴾ : وعبر بها عن جميع الشخص ، أي سحبا إلى النار لقوله : ﴿فيؤخذ بالنواصى والاقدام﴾ ، واكتفى بتعريف العهد عن الإضافة ، إذ علم أنها ناصية الناهي. وقرأ الجمهور : بالنون الخفيفة ، وكتبت بالألف باعتبار الوقف ، إذ الوقف عليها بإبدالها ألفا ، وكثر ذلك حتى صارت رويا ، فكتبت ألفا كقوله :

ومهما تشأ منه فزارة تمنعا

وقال آخر :

". (١)

٣١٩"

يقول ما أفاء الله عليكم من ذلك وإن كان لهن أزواج من المشركين فلا بأس بأن يأتيها الرجل إذا استبرأ رحمها وقال في رواية مقاتل " والمحصنات من النساء " يعني كل امرأة ليست تحتكم فهي حرام عليكم ثم استثنى من المحصنات فقال " إلا ما ملكت أيمانكم " يعني إلا ما قد تزوجتم من النساء مثنى وثلاث ورباع ثم قال تعالى "كتاب الله عليكم " يقول هذا ما حرم عليكم في الكتاب ويقال "كتاب الله عليكم " معناه هذا الذي يقرأ عليكم هو كتاب الله تعالى فاتبعوه ولا تخالفوه وقال الزجاج "كتاب الله عليكم " منصوب على التأكيد محمول على المعنى لأن معناه " حرمت عليكم أمهاتكم "كتب الله عليكم هذا كتابا ويجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر كأنه قال الزموا كتاب الله ويكون " عليكم " تفيسرا له

ثم قال تعالى " وأحل لكم ما رواء ذلكم " يقول رخص لكم ما سوى ذلكم فالله تعالى قد ذكر ما حرم في هذه الآية من قوله " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم " أربع عشرة من المحرمات سبع بالنسب وسبع بالسبب ثم بين المحللات فقال " وأحل لكم ما وراء ذلكم " يعني ما سوى هذه الأربع عشرة التي ذكر في هذه الآية فلو كان الأمر على ظاهر هذه الآية لكان يجوز ما سوى ذلك إلا أنه قد جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا تنكح الأمة على الحرة فوجب اتباعه لأن الله تعالى قال " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا " الحشر ٧ قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص " وأحل لكم " بضم الألف وقرأ الباقون بالنصب فمن قرأ بالضم لأنه عطف على قوله " حرمت عليكم " ومن قرأ بالنصب **لأنه نسق على** قوله " كتاب الله عليكم "

ثم قال تعالى " أن تبتغوا بأموالكم " يعني أن تتزوجوا بأموالكم ويقال تشتروا بأموالكم الجواري ثم قال " محصنين غير مسافحين " يقول كونوا متعففين من الزنى غير زانين

ثم قال " فما استمتعتم به منهن " قال مقاتل يعني به المتعة أي فما استمتعتم منهن إلى أجل مسمى "

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٨/٣٧٠

فآتوهن أجورهن " يعني أعطوهن ما شرطتم لهن من المال وإنما كانت إباحة المتعة في بعض المغازي ثم نهي عن ذلك وروي عن ابن عباس أنه كان يقرأ " فما استمتعتم." [١]
"

٥٥٠

عقوبة له إذا لم يكن شاكرا لأنه قال في آية أخرى " لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة " الزخرف ٣٣ يعني الغنى يكون وبالا لمن لم يشكر الله وعقوبة له

ثم قال تعالى " أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا " يعني أن ينزل عليهم عذابنا ليلا " وهم نائمون أو أمن أهل القرى " فتحت الواو لأنها واو العطف أدخلت عليها ألف الاستفهام وكذلك " أفأمن " لأنها فاء العطف أدخل عليها ألف الاستفهام قرأ نافع وابن كثير " أو أمن " بجزم الواو لأن أصله أو وأمن وأو حرف من حروف الشك فأدغم في **حرف النسق** " أن يأتيهم بأسنا ضحى " يعني يأتيهم عذابنا نهارا " وهم يلعبون " يعني لاهون عنه

ثم قال تعالى " أفأمنوا مكر الله " يعني عذاب الله " فلا يأمن مكر الله " يعني عذاب الله " إلا القوم الخاسرون " يعني المغبونين بالعقوبة

سورة الأعراف ١٠٠ - ١٠٢

قوله تعالى " أو لم يهد للذين يرثون الأرض " يعني أو لم يبين قال القتبي أصل الهدى الإرشاد كقوله " عسى ربي أن يهديني " يعني يرشدني ثم يصير الإرشاد على معان منها إرشاد تبيان مثل قوله " أو لم يهد للذين " يعني أو لم يبين لهم ومنها إرشاد بمعنى بالدعاء كقوله " ولكل قوم هاد " الرعد ٧ يعني نبيا يدعوهم وقوله " وجعلنهم أئمة يهدون بأمرنا " الأنبياء ٧٣ يعني يدعون الخلق وقرأ بعضهم " أو لم نهد بالنون " يعني أو لم نبين لهم الطريق ومن قرأ بالياء معناه أو لم يبين الله " أو لم نهد بالنون " يعني أو لم نبين لهم الطريق ومن قرأ بالياء معناه أو لم يبين الله " للذين يرثون الأرض من بعد أهلها " يعني ينزلون الأرض من بعد هلاك أهلها ويقال أولم نبين لأهل مكة هلاك الأمم الخالية كيف أهلكناهم ولم يقدر معبودهم على نصرتهم " أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم " يعني أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا من كان قبلهم عند التكذيب ثم قال " ونطبع على قلوبهم " يعني نختم على قلوبهم بأعمالهم الخبيثة عقوبة لهم " فهم لا يسمعون " الحق ولا يقبلون الموعظة

---

(١) بحر العلوم ، ١/٣١٩

قال عز وجل " تلك القرى نقص عليك من أنبائها " يعني تلك القرى التي أهلكنا أهلها نخبرك في القرآن من حديثها " ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات " يعني بالعلامات الواضحة والبراهين القاطعة التي لو اعتبروا بها لاهتدوا " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل " يعني أهل مكة لم يصدقوا بما كذب به الأمم الخالية وقال مجاهد فما كانوا ليؤمنوا

". (١)

٧٦"

هلكت قد أنزل الله فيك من القرآن كذا وكذا فأقبل ثعلبة بن حاطب وجعل على رأسه التراب وهو يبكي ويقول يا رسول الله إقبض مني صدقة مالي فلم يقبض منه صدقته حتى قبض الله تعالى رسوله ثم أتى إلى أبي بكر فلم يقبل صدقته ثم أتى إلى عمر فلم يقبل صدقته ثم أتى إلى عثمان فلم يقبل صدقته ومات في خلافة عثمان فذلك قوله تعالى " فلما آتاهم " يعني أعطاهم " من فضله " يعني من المال " بخلوا به " بمنع حق الله " وتولوا " عن الصدقة " وهم معرضون " لم يفوا بما قالوا

قوله تعالى " فأعقبهم نفاقا في قلوبهم " يقول جعل عاقبتهم إلى النفاق " إلى يوم يلقونه " يعني يلقون الله وهو يوم القيامة " بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون " لقوله " لئن آتانا الله من فضله لنصدقن " وقال عبد الله بن مسعود إعتبروا المنافق بثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر ثم قرأ " ومنهم من عاهد الله " إلى قوله " وبما كانوا يكذبون " فقد ذكر الثلاثة في هذه الآية

سورة التوبة ٧٨

قوله تعالى " ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم " وقال مقاتل نزلت هذه الآية في أصحاب العقبة حين هموا بما لم ينالوا ويقال هذا **عطف نسق عطف** على قوله " لئن آتانا من فضله لنصدقن " " ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم " " وأن الله علام الغيوب " أي علم غيب كل شيء مما هموا به

سورة التوبة ٧٩ - ٨٠

قوله تعالى " الذين يلمزون المطوعين " يعني يطعنون ويعيبون " المؤمنين في الصدقات " وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يخرج إلى غزوة تبوك حث الناس على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وزن كل درهم مثقالا فقال أكثرت هل تركت لأهلك شيئا فقال يا رسول الله كان مالي ثمانية آلاف درهم فأما أربعة آلاف درهم التي جئت بها فأقرضتها ربي وأما أربعة آلاف التي بقيت

---

(١) بحر العلوم . ، ١/٥٥٠

فأمسكتها لنفسي وعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فيه حتى بلغ ماله حين مات وقد كان طلق إحدى نسائه الثلاث في مرضه فصالحوها من ثلث الثمن على ثمانين ألف." (١)

"٥٠٦

كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن فإنه لا ينصرف فأما من صرفه ونون فإن رده إلى الأصل في الازدواج إذا وقعت الألف بغير تنوين

ثم قال " قدروها تقديرا " يعني على قدر كف الخدم ويقال على قدر كف المخدوم ولا يحجز عنهم ويقال على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه

ويقال على مقدار الذي لا يزيد ولا ينقص ليكون ألذ لشربهم " ويسقون فيها كأسا " يعني خمرا وشرابا " كان مزاجها " يعني خلطها " زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا " وقال القتبي يقال الزنجبيل اسم العين وكذلك السلسبيل ويقال إن السلسبيل اللبن والزنجبيل طعمه والعرب تضرب به المثل

وقال مقاتل إنما سمي السلسبيل لأنها تسيل عليهم في الطريق وفي منازلهم وقال أبو صالح بلغني أن السلسبيل شديد الجرية

وقال بعضهم معناه "كان مزاجها زنجبيلا " عينا فيها تسمى سلسبيلا يعني عينا تسمى الزنجبيل وتم الكلام

ثم قال " سلسبيلا " يعني سل الله تعالى السبيل إليها

قوله تعالى " ويطوف عليهم ولدان مخلدون " يعني لا يكبرون ولا يموتون ويكونون على سن واحد " إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا " قال قتادة كثرتهم وحسنهم كاللؤلؤ " منثورا " أي المنثور (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما) يعني إذا رأيت هناك ما في الجنة " رأيت نعيما " " وملكا كبيرا " يعني على رؤوسهم التيجان كما يكون على رأس ملك من الملوك

ويقال " وملكا كبيرا " يعني لا يدخل عليهم رسول رب العزة إلا بإذنهم

ثم قال عز وجل " عاليهم ثياب سندس خضر " يعني على ظهورهم ثياب سندس

قرأ نافع وحمزة " عاليهم " بجزم الياء وكسر الهاء

والباقون بنصب الياء وضم الهاء

فمن قرأ بالجزم فمعناه الذي يعلوهم وهو اسم فاعل من علا يعلو

---

(١) بحر العلوم . ، ٧٦/٢

ومن قرأ بالنصب نصبه على الظرف كما تقول فوقهم ثياب

وروي عن ابن مسعود أنه قرأ " عاليتهم ثياب " يعني الوجه الأعلى

ثم قال " ثياب سندس خضر " بالكسر " واستبرق " بالضم قرأ نافع وعاصم في رواية حفص " خضر واستبرق "كلاهما بالضم

والباقون كلاهما بالكسر

فمن قرا بالضم لأنه نعت الثياب

يعني ثيابا خضرا

ومن قرأ بالكسر فهو نعت للسندس

ومن قرأ (واستبرق) بالضم **فهو نسق على** الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق ومن قرأ بالكسر يكون عليهم ثياب من هذين النوعين

ثم قال عز وجل " وحلوا أساور من فضة " وهو جمع السوار " وسقاهم ربهم شرابا طهورا " يعني الذي سقاهم خدمهم

ويقال الذين يشربون من قبل أن يدخلوا الجنة

ثم قال " إن هذا كان لكم جزاء " يعني الذي وصف لكم في الجنة ثوابا لأعمالكم " وكان سعيكم مشكورا " يعني عملكم مقبولا

يعني يبشرون بهذا إذا أرادوا أن يدخلوا الجنة." (١)

"ص : ٦٧

عن ابن عباس أنه قال : كلّ القرآن أعلم إلا أربعا : غسلين ، وحنانا ، والأوّاه ، والرّقيم.

وكان هذا من قول ابن عباس في وقت ، ثمّ علم ذلك بعد.

حدثني محمد بن عبد العزيز ، عن موسى بن مسعود ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : تعلمونه وتقولون : آمنا به.

ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا [آل عمران : ٧] - لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين ، بل على جهلة المسلمين ، لأنهم جميعا يقولون : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا.

---

(١) بحر العلوم . ، ٣/٥٠٦

وبعد :

فإنّا لم نر المفسرين توقّفوا عن شيء من القرآن فقالوا : هذا متشابه لا يعلمه إلا اللّه ، بل أمرّوه كلّه على التفسير ، حتى فسروا (الحروف المقطّعة) في أوائل السّور ، مثل : الر ، وحم ، وطه ، وأشباه ذلك. وسترى ذلك في الحروف المشكلة ، إن شاء اللّه.

فإن قال قائل : كيف يجوز في اللغة أن يعلمه الراسخون في العلم ، واللّه تعالى يقول : وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ، [آل عمران : ٧] وأنت إذا أشركت الراسخين في العلم انقطعوا عن (يقولون) ، وليست هاهنا **واو نسق توجب** للراسخين فعلين. وهذا مذهب كثير من النحويين في هذه الآية ، ومن جهته غلط قوم من المتأوّلين ؟ .

قلنا له : إن (يقولون) هاهنا في معنى الحال ، كأنه قال : الرّاسخون في العلم قائلين : آمنا به. ومثله في الكلام : لا يأتيك إلا عبد اللّه ، وزيد يقول : أنا مسرور بزيارتك. يريد : لا يأتيك إلا عبد اللّه وزيد قائلا : أنا مسرور بزيارتك.

ومثله لابن مفرّغ الحميريّ يرثي رجلا في قصيدة أولها «١» :

أصرمت حبلك من أمامه من بعد أيّام برامه

والرّيح تبكي شجوها والبرق يلمع في غمامه

أراد : والبرق لا معا في غمامة تبكي شجوه أيضا ، ولو لم يكن البرق يشرك الرّيح في البكاء ، لم يكن لذكره البرق ولمعه معنى.

---

(١) البيتان من مجزوء الكامل ، وهما في ديوان ابن مفرغ ص ٢٠٨ ، والبيت الثاني في لسان العرب (درك).." [1]

"ص : ١٥٨

ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم هانيء أينق جرب

وقال عز وجل : وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ [الأحقاف : ٢٦].

وقال بعضهم : أراد فيما مكّنّاكم فيه ، و(إن) زائدة.

وقال بعضهم : هي بمعنى مكّنّاهم فيما لم نمكنكم فيه.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٦٧

و(إذ) قد تزاد ، كقوله : وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ [البقرة : ٣٠].

وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ [لقمان : ١٣]. أي : وقال.

وقال ابن ميّادة «١» :

إذ لا يزال قائل : أبن أبن و(ما) قد تزاد ، كقوله : قالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ (٤٠) [المؤمنون : ٤٠] وأَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى [الإسراء : ١١٠].

و(واو النّسق) قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له ، كقوله : حَتَّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها [الزمر : ٧٣]. والمعنى : قال لهم خزنتها.

وقوله : فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ [يوسف : ١٥].

وقوله سبحانه : فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنادَيْناهُ [الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤].

وكقوله : حَتَّى إِذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ [الأنبياء : ٩٦ ، ٩٧].

وقوله : اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَلْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ [العنكبوت : ١٢] أي : لنحمل خطاياكم عنكم.

قال امرؤ القيس «٢» :

---

(١) يروى الرجز بتمامه :

إمّا يزال قائل ابن أبن هوذلة المشآة عن ضرس اللّبن

والرجز لابن هرمة في ديوانه ص ٢١٦ ، ولسان العرب (هذل) ، وتاج العروس (هذل) ، ولسالم بن دارة أو لابن ميادة في لسان العرب (لبن) ، ولابن ميادة في ملحق ديوانه ص ٢٦٠ ، ولسان العرب (ضرس) ، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٨٥ ، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٧٩ ، ٧٠٢ ، ١١٧٤ ، وكتاب الجيم ١/ ٨٤.

(٢) يروى عجز البيت بلفظ :." [1]

"ص : ٢٤٢

وانقطع هاهنا قول اللّه تعالى.

وقال الجن : وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً (٨) [الجن : ٨].

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/١٥٨

و(إنّا) مكسورة نسق على ما تقدم من قولهم. يريدون : حرست بالنجوم من استماعنا وكنا قبل ذلك نقعد منها مقاعد للسمع.

وروى عبد الرّزّاق عن معمر أنه قال : قلت للزهري : أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية ؟ فقال : نعم.

قلت : أفرأيت قوله : وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً (٩) [الجن : ٩].

فقال : غلّظت وشدّد أمرها حين بعث النبي ، صلّى اللّه عليه وسلم.

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزّهري ، عن علي بن حسين ، عن ابن عباس أنه قال : بينا النبي ، صلّى اللّه عليه وسلم ، جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال : ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية ؟ فقالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم «١».

في حديث فيه طول اختصرناه وذكرنا هذا منه لندلّ على أن الرجم قد كان قبل مبعثه ولكنه لم يكن مثله الآن في شدة الحراسة قبل مبعثه ، وكانت تسترق في بعض الأحوال ، فلما بعث منعت من ذلك أصلا.

وعلى هذا وجدنا الشعراء القدماء :

قال بشر بن أبي خازم الأسدي وهو جاهلي «٢» :

---

(١)

لفظ الحديث بتمامه : عن عبد اللّه بن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي صلّى اللّه عليه وسلم من الأنصار ، أنهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ » ، قالوا : اللّه ورسوله أعلم ، كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم : «فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتءالى اسمه ، إذا قضى أمر سبّح حملة العرش ، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال : فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا ، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا ، فتختطف الجن السمع ، فيقذفون إلى أوليائهم ، ويرمون به ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون». أخرجه مسلم في السلام حديث ١٢٤ ، والترمذي في تفسير سورة ٣٤ ، باب ٣ ، وأحمد في المسند ١/ ٢١٨.

(٢) البيت من الكامل ، وهو لبشر بن أبي حازم في ديوانه ص ٣٧ ، والمعاني الكبير ٢/ ٧٣٩ ، وكتاب."
(١)

"ص : ٢٤٤

ثم قال : وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً [الجن : ١٧] أي يدخله عذابا شاقا.

يقال : سلكت الخيط في الحبّة وأسلكته : إذا أدخلته ، ومنه سمّي الخيط سلكا ، تقول : سلكته سلكا ، فتفتح أوّل المصدر. وتقول للخيط : هذا السّلك ، فتكسر أوّل الاسم ، مثل القطف والقطف.

ومن الصّعد قيل : تصعّدني هذا الأمر ، أي شقّ علي. والصّعود : العقبة الشّاقة.

ومنه قوله : سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) [المدثر : ١٧] ثم قال سبحانه : وَأَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً (١٨) [الجن : ١٨] بنصب (أنّ) نسق على ما تقدّم من قوله : يريد أنّ السجود للّه ، ولا يكون لغيره ، جمع مسجد ، كما تقول : ضربت في البلاد مضربا بعيدا ، وهذا مضرب بعيد.

ثم قال سبحانه : وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ [الجن : ١٩] بنصب (أنّ) نسق على ما تقدم من قوله سبحانه. يريد لما قام النبي ، عليه السلام يَدْعُوهُ أي يدعو اللّه كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً يعني الجنّ كادوا يلبدون به ويتراكبون ، رغبة فيما سمعوا منه ، وشهوة له.

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام : قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَداً (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٢) إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً (٢٣) حَتَّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً (٢٥) عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ [الجن : ٢١ ، ٢٧] أي ارتضاء للنّبوّة والرّسالة ، فإنّه يطلعه على ما يشاء من غيبه.

ثم قال : فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً [الجن : ٢٧] أي يجعل بين يديه وخلفه رصدا من الملائكة ، يحوطون الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة ، حتى تخبر به الكهنة إخبار الأنبياء ، فلا يكون بينهم وبين الأنبياء فرق ، ولا يكون للأنبياء دلالة.

ثم قال : لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ [الجن : ٢٨] أي ليبلّغوا رسالات ربهم.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٢٤٢

و(العلم) هاهنا مثله في قوله : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ [آل عمران : ١٤٢] يريد : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا تجاهدوا." (١)

"ص : ٢٩٠

لما

لمّا : تكون بمعنى (لم) في قوله : بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذابِ [ص : ٨] أي : بل لم يذوقوا عذاب.

وتكون بمعنى (إلّا) ، قال تعالى : وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا [الزخرف : ٣٥] أي : إلّا متاع الحياة الدنيا ، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ (٤) [الطارق : ٤] أي : إلّا عليها ، وهي لغة هذيل مع «إن» الخفيفة التي تكون بمعنى «ما».

ومن قرأ وَإِنْ كُلُّ ذلِكَ لَمَّا مَتاعُ بالتخفيف إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ جعل (ما) صلة ، وأراد : وإن كلّ ذلك لمتاع الحياة ، وإن كلّ نفس لما عليها حافظ.

فإذا رأيت للمّا جوابا فهي لأمر يقع بوقوع غيره ، بمعنى «حين» ، كقوله تعالى :

فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ [الزخرف : ٥٥] أي : حين آسفونا ، ولَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ [هود : ١٠١] أي : حين جاء أمر ربك.

أو

أو : تأتي للشك ، تقول. رأيت عبد اللّه أو محمدا.

وتكون للتخيير بين شيئين ، كقوله : فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ [المائدة : ٨٩] وقوله : فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ [البقرة : ١٩٦] أنت في جميع هذا مخيّر أيّة فعلت أجزأ عنك.

وربما كانت بمعنى واو النّسق.

كقوله : فَالْمُلْقِياتِ ذِكْراً (٥) عُذْراً أَوْ نُذْراً (٦) [المرسلات : ٥ ، ٦] يريد : عذرا ونذرا. وقوله : لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى [طه : ٤٤] وقوله : لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً [طه : ١١٣] ، أي لعلهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذكرا.

هذا كلّه عند المفسرين بمعنى واو النّسق.

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٢٤٤

وأما قوله : وَأَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) [الصافات : ١٤٧] ، فإن بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل يزيدون ، على مذهب التّدارك لكلام غلطت فيه وكذلك قوله :

وَما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ [النحل : ٧٧] وقوله : فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى (٩) [النجم : ٩].

وليس هذا كما تأوّلوا ، وإنما هي بمعنى (الواو) في جميع هذه المواضع : وأرسلناه." (١)

"" الم " جملة إن قيل : إنها خبر مبتدأ مضمر ، و " ذلك الكتاب " جملة ، و " لا ريب " جملة ، و " فيه هدى " جملة ، وإنما ترك العاطف لشدّة الوصل ؛ لأن كلّ جملة متعلّقة بما قبلها آخذة بعنقها تعلقاً لا يجوز معه الفصل بالعطف.

قال الزمخشري : " وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها مُتَنَاسقة هكذا من غير حرف نسق. [وذلك لمجيئها مُتَتَابعة بعضها بعنق] بعض ، والثانية متحدة بالأولى ، وهلم جَرًّا إلى الثالثة والرابعة.

بيانه : أنه نبّه أولاً على أنه الكلام المتحدي به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المَنْعُوت بنهاية الكَمَال ، فكان تقريراً لجهة التحدي.

ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب ، فكان شهادة بكماله.

ثم أخبر عنه بأنه " هدى للمتقين " ، فقرر بذلك كونه يقيناً ، لا يحوم الشّك حوله ، ثم لم تَخْلُ كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رتبت هذه الترتيب الأنيق [من] نُكْتَةٍ ذات جَزَالة : ففي الأولى الحذف ، والرمز إلى الغرض بألطف وجه.

وفي الثانية ما في التعريف من الفَخَامة.

وفي الثانية ما في تقديم الريب على الظَّرف.

وفي الثالثة ما في تقديم " الريب " على الظرف.

وفي الرابعة الحذف ، ووضع المصدر الذي هو " هدى " موضع الوصف الذي هو " هاد " وإيراده منكراً.

" المتقين " جمع " مُتَّقٍ " ، وأصله : مُتَّقِيينَ بياءين ، الأولى : لام الكلمة ، والثانية علامة الجمع ، فاستثقلت الكسرة على لام الكلمة ، وهي الياء الأولى فحذفت ، فالتقى ساكنان ، فَحذف إحداهما وهي الأولى.

و " متقٍ " من اتقى يتّقي وهو مُفْتَعِل الوِقَايَةِ ، إلا أنه يطرد في الواو والياءلا إذا كانتا فاءين ، ووقعت

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٢٩٠

بعدهما " تاء " الافتعال أن يبدلا " تاء " نحو : " اتَّعَدض " من الوَعْدِ ، و " اتَّسَرَ " من اليُسْرِ.
وَفِعْلُ ذلك بالهمزة شاذ ، قالوا : " اتَّزَرَ " و " اتَّكَلَ " من الإِزَارِ ، والأَكْلِ.
و لـ " افتعل " اثنا عشر معنى : الاتِّخَاذ نحو : " اتقى ".
والتسبب نحو : " اعمل ".
وفعل الفاعل بنفسه نحو : " اضطرب ".
والتخير نحو : " انتخب ".
٢٧٢
والخطف نحو : " استلب ".
ومطاوعة " أَفْعَلَ " نحو : " انتصف ".
ومطاوعة " فَعَّلَ " نحو " عمّمته فاعتمّ.
وموافقة " تَفَاعَلَ " و " تَفَعَّلَ " و " اسْتَفْعَلَ " نحو : احتور واقتسم واعتصم ، بمعنى تحاور وتقَسَّم واستعصم.
وموافقة المجرد ، نحو " اقتدر " بمعنى : قَدَرَ.
والإغناء عنه نحو : " اسْتَلَم الحجر " ، لم يُلْفَظْ له بمجرد.
و " الوقاية " : فرط الصيانة ، وشدة الاحتراس من المكروه ، ومنه " فرس وَاقٍ " : إذا كان يقي حافِرهُ أدنى شيء يصيبه.
وقيل : هي في أصل اللّغة قلّة الكلام.
وفي الحديث : " التَّقِيُّ مُلْجَمٌ ".
ومن الصيانة قوله : [الكامل] ١١٧ - سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ
فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتَا بِاليَدِ
جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٥١
وقال آخر : [الطويل] ١١٨ - فَأَلْقَتْ قِنَاعً دُوُنَهُ الشَّمْسَ واتَّقَتْ
بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٌ وَمِعْصَمِ
قال أبو العباس المقرىء : ورد لفظ " الهدى " في القرآن بإزاء ثلاثة عشر معنى : الأول : بمعنى " البَيَان " قال تعالى : ﴿أُوْلَـائِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة : ٥] أي : على بيان ، ومثله ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى : ٥٢] أي : لتبين ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت : ١٧] أي : بَيَّنَّا لهم.

الثاني : الهُدَى : دين الإسلام ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٧٣] أي : دين الحق هو دين الله.

وقوله : ﴿إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾ [الحج : ٦٧] أي : دين الحق.

الثالث : بمعنى " المَعْرِفَة " قال تعارى : ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦] أي : يعرفون ، وقوله تعالى : ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ [النمل : ٤١] أي : أتعرف.

٢٧٣

" (١).

"أحدها : قوله : ﴿فَأْتُواْ بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى ﴾ [القصص : ٤٩].

وثانيها : قوله : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء : ٨٨].

وثالثها : قوله : ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود : ١٣].

ورابعها : قوله : ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة : ٢٣] ، ونظير هذا لمن يتحدّى صاحبه فيقول : ائتني بمثله ، ائتني بنصفه ، ائتني بربعه ، ائتني بمسألة مثله ، فإن هذا هُوَ النّهاية في التحدّي ، وإزالة لعُذْر.

قوله : ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ في الهاء ثلاثة أقوال : أحدهما : أنها تعود على " ما نَزَّلنا " عند الجمهور كعمرو ، وابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد ، وغيرهم ، فيكون " من مثله " صفة لـ " سورة " ، ويتعلّق بمحذوف على ما تقرر : أي بسورة كائنة من مثل المنزل في فصاحته ، وإخباره بالغيوب ، وغير ذلك ، ويكون معنى " من " التبعيض.

واختار ابن عطية والمَهْدَوِيّ أن تكون للبيان ، وأجازا هما وأبو البقاء أن تكون زائدة ولا تجيء إلاَّ على قول الأخفش.

الثاني : أنها تعود على " عَبْدنا " فيتعلّق " من مثله " بـ " أتوا " ، ويكون معنى " من " ابتداء الغاية ، ويجوز على هذا الوجه أيضاً أن تكون صفة لسورة أي : " بسورة كائنة من رجل مثل عبدنا أمي لا يقرأ ولا يكتب ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦

قال القرطبي : و " من " على هذين التأويلين للتبعيض.

الثالث : قال أبو البقاء : " إنها تعود على الأنداد بلفظ المفرد كقوله : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل : ٦٦] ولا حاجة تدعو إلى ذلك ، والمعنى يأباه أيضاً.

قال القرطبي : وقيل : يعود على التوراة والإنجيل ، والمعنى : فأتوا بسورة من كتاب مثله ؛ فإنها تصدِّق ما فيه ، والوقف على " مثله " ليس بتام ؛ لن " وادعوا " نسق عليه.

قوله : ﴿وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ هذه جملة أمر معطوفة على الأمر قبلها ، فهي في مَحَلّ جزم أيضاً ، ووزن " ادعوا " افعوا ؛ لأن لام الكلمة محذوف دلالة على السكون في الأمر الذي هو جزم في المُضَارع ، و " الواو " ضمير الفاعلين.

و " شهداءكم " مفعول به جمع " شهيد " كظريف.

وقيل : بل جمع " شاهد " ك " شاعر " والأوّل أولى ؛ لاطِّرَادِ " فعلاء " في " فعيل "

٤٣٥

دون فاعل ، والشهادة الحضور ، وفي المراد من الشهداء وجهان : الأول : المراد من الشهداء الأوثان.

والثاني : المراد من الشهداء أكابرهم ، أو من يوافقهم في إنكار أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، والمعنى : ادعوا أكابركم ، ورؤساءكم ليعينوكم على المُعَارضة ، أو ليشاهدوا ما تأتون به ، فيكون [الرد على الجميع أوكد].

و " من دون الله " متعلّق ب " ادعوا " من دون الله شهداءكم ، فلا تستشهدوا بالله ، فكأنه قال : وادعوا من غير الله من يشهد لكم ، ويحتمل أن يتعلّق ب " شهداءكم " والمعنى : ادعوا من اتخذتموه من دون الله ، وزعمتم أنهم يشهدون لكم بصحّة عبادتكم إياهم ، وأعوانكم من دون الله أولياء الذين تستعينون بهم دون الله ، أو يكون معنى " من دون الله " بين يدي الله ؛ كقوله : [الطويل] ٢٩٣ - تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ

لِوَجْهِ أَخِيهَا فِي الإِنَاءِ قُطُوبُ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٢٩

أي : تريك القذى قُدَّامه ؛ لرقّتها وصفَائِها.

واختار أبو البقاء أن يكون " من دُونِ الله " حالاً من " شهدائكم " والعامل فيه محذوف قال : " تقديره : شهدائكم منفردين عن الله ، أو عن أنصار الله ".

و " دون " من ظروف متصرّفة ، وجعل من ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ [الجن : ١١] فقال : " دون " مبتدأ و " منّا " خبره ، وإنما بني لإضافته إلى مبنيٍّ ، وقد شذَّ رفعُهُ خبراً في قول الشاعر : [الطويل]

٢٩٤ - أَلَمْ تَر أَنّي قَدْ حَمَيْتُ حَقِيقَتي

وبَاشَرْتُ حَدَّ المَوْتِ وَالمَوْتِ دُونُهَا

وهو من الأسماء اللاَّزمة للإضافة لفظاً ومعنى.

وأمّا " دون " التي بمعنى رديء فتلك صفة كسائر الصفات ، تقول : " هذا ثوب دُون " ، و " رأيت ثوباً دوناً " أي : رديئاً ، وليست مما نحن فيه.

و " دون " أيضاً نقيض " فوق " ويقال : هذا دون ذاك ، أي : أقرب منه ، ويقال في الأخذ بالشَّيء : دونكه.

٤٣٦

." (١)

"فقال : " أَمُرُّ بمعنى مَرَرْتُ ".

قال بعضهم : ويكون في هذه الآية ت يعنى في آية " آل عمران " ت بمعنى "كان " فَلْيَجُزْ عَطْفُهُ على " قال ".

وقرأ ابن عامر : " فيكونَ " نصباً هنا ، وفي الأولى من " آل عمران " ، وهي ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ، تحرزاً من قوله تعالى : ﴿كُن فَيَكُونُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [آل عمران : ٦٠.٥٠].

وفي مريم : ﴿كُن فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [مريم : ٣٦.٣٥].

وفي غافر : ﴿كُن فيَكُونُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ [غافر : ٦٩.٦٨].

ووافقه الكسائي على ما في " النحل " و " يس ".

وهي : ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢].

أما آيتا " النحل " و " يس " فظاهرتان : لأن ما قبل الفعل منصوباً يصح عطفه عليه ، وسيأتي.

وأما ما انفرد به ابن عامل في هذه المواضع الأربعة ، فقد اضطرب كلام النَّاس فيها ، وهي لَعَمْري تحتاج إلى فضل نظر وتأمل ، ولذلك تجرأ بعض الناس على هذا الإمام اكلبير ، فقال ابن مجاهد : قرأ ابن عامر : " فَيَكُونَ " نصباً ، وهذا غير جائز في العربيةح لأنه لا يكون الجواب هنا للأمر بالفاء إلاَّ في " يس " و

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٩٣

" النحل " ن فإنه نسق لا جواب.

وقال في " آل عمران " : قرأ ابن عامر وحده : "كُنْ فَيَكُونَ " بالنصب وهو وَهَمٌ.

قال : وقال هشامك كان أيوب بن تميم يقرأ : " فَيَكُونَ " نصباً ، ثم رجع فقرأ : " يَكُونُ " رفعاً.

وقال الزجاج : "كُنْ فَيَكُونُ " رفع لاغير.

وأكثر ما أجابوا بأن هذا مما روعي فيه ظاهر اللَّفظ من غير ناظر لملعنى ، يريدون أه قد وجد في اللفظ صورة أمر فَنُصِبَتا في جوابه بالفاء.

وأما إذا نظرنا إلى جانب المعنى ، فإن ذلك لا يصح لوجهين :

٤٢٧

أحدهما : أن هذا وإن كان بلفظ الأمر ، فمعناه الخبر نحو : ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ﴾ [مريم : ٧٥].

أي فيمدّ ، و إذا كان معناه الخبر ، لم ينتصب في جوابه بالفاء إلا ضرورة ؛ كقوله : [الوافر] ٧٥٩. سَأَتْرُكُ مَنْزِلِي تَمِيمٍ

وَأَلْحَقُ بِالحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا

وقول الآخر : [الطويل] ٧٦٠. لَنَا هَضْبَةٌ لاَ يَنْزِلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا

وَيَأْوِي إلَيْهَا المُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا

والثاني : أن من شرط النصب بالفاء في جواب الأمر أن ينعقد منهما شرط وجزاء نحو : " ائتني فأكرمك " تقديره : " إن أتيتني أكرمتك ".

وها هنا لا يصح ذلك إذ يصير التدقير : إن تكن تكن ، فيتحد فعلا الشرط والجزاء معنى وفاعلاً ، وقد علمت أنه لابد من تغايرهما ، وإلا يلزم أن يكون الشيء شرطاً لنفسه وهو مُحَال ، قالوا : والمُعَاملة اللفظية ، واردةٌ في كلامهم نحو : ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ﴾ [إبراهيم : ٣١] ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ [الجاثية : ١٤].

وقال عمر بن أبي ربيعة : [الطويل] ٧٦١. فَقُلْتُ لجَنَّادٍ خُذِ السَّيْفَ وَاشْتَمِلْ

عَلَيْهِ بِرِفْقٍ وَارْقُبِ الشَّمْسَ تَغْرُبِ

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤١٨

وَأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْمَاءَ وَاذْهَبْ بِمِمْطَرِي ولاَ يَعْلَمَنْ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ مَذهَبِي فجعل " تَغْرُب " جواباً لـ " ارقب " وهو غير مترتّب عليه ، وكذلك لا يلزمُ من قوله أَنْ يفعلوا ، وإنما ذلك مُرَاعة لجانب اللفظ.

أما ما ذكره في بيت عمر فصحيح.

وأما الآيات فلا نسلم أنَّه غير مترتب عليهح لأنه أراد بالعباد الخُلّص ، وبذلك أضافهم إليه.

أو تقولُ : إن الجزمَ على حَذْفِ لامِ الأمر ، وسيأتي تحقيقه في موضعه إن شاء الله تعالى.

٤٢٨

وقال ابن مالك : " إنَّ " " أنْ " الناصبةَ قد تُضْمر بعد الحَصْر بـ " إنما " اختياراً ، وحكاه عن بعض الكوفيين.

قال : وحكوا عن العرب : إنما هي ضربة من الأسد فتحطمَ ظهره بنصب " تحطم " ، فعلى هذا يكون النّصْب في قراءة ابن عامر محمولاً على ذلك إلاَّ أنَّ هذا الذي نصبوه دليلاً لا دليل فيه لاحتمال أن يكون من باب العطف على الاسم تقديره : إنما هي ضَرْبَة فَحَطمح كقوله : [الوافر] ٧٦٢. لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي

أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

". (١)

"الثالث : أنه تبارك وتعالى أوجب في أول الآية الكريمة رعاية المماثلة ، وهو قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى..

﴾ ، فلما ذكر عقيبة قوله : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ دلَّ على أن رعاية التَّسوية في الحُرِّيَّة والعبوديَّة معتبرةٌ ؛ لأن قوله : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ خرج مخرج التَّفسير لقوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى..

﴾ ، فإيجاب القصاص على الحُرِّ بقتل العبد إهمال لرعاية التَّسوية ؛ فوجب ألاَّ يكون مشروعاً ؛ ويؤيّد ما ذكرنا قوله صلى الله عليه وسلم " لاَ يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ ، وَلاَ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ " ، فإن أخذ الخصم بقوله تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة : ٤٥] ، فالجواب من وجهين : أحدهما : هذه الآية شَرْعُ مَنْ قبلنا وليسَ شَرْعاً لَنا ، والآيةُ التي نَحْنُ فيها شرْعُنا ، فهذا أقوَى في الدَّلالة.

والثاني : أن هذه الآية الكريمة مشتملةٌ على أحْكَام النُّفُوس على التفصِيل والتَّخْصيص ، وتلك عامَّةٌ ، والخاصُّ متقدِّم على العامِّ ، ثم قال أَصْحَابُ هذا القَوْل إنَّ ظاهِر الآية يقتضِي ألاَّ يُقتل العبد بالحرّ ولا تقتل الأنثَى بالذَّكَر ، إلاَّ إذَا خالَفْنا هذا الظاهر ؛ للإجمَاع وللمعنى المستنبطِ **من نَسقِ هذه** الآية الكريمة

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٥

، وذلك المعنَى غير موجُود في الحُرِّ بالعَبْد ؛ فوجب أَنْ يبقَى هاهنا على ظاهر اللَّفظ ، أَمَّا الإجمَاعُ فظاهرةٌ ، وَأَمَّا المعنَى المستنبَطُ ، فهو أنه لَمَّا قتل العبدُ بالعبدِ ، فَلأَنَّ يقتَلَ بالحرِّ الذي هو فوقه أولى ، بخلاف الحر ، فإنَّ لمَّا قتل بالحرِّ ، لا يلزم : أنْ يُقْتَل بالعبد الَّذي هو دونَهُ ، وكذا القَوْل في قتل الأنثَى بالذَّكَر ، وأَمَّا قتل الذَّكَر بالأُنْثَى ، فليس فيه إلاَّ الإجماعُ.

القول الثاني : أَنَّ قوله تعالى : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ لا يفيدُ الحَصْر ، بل يفيد شَرْع القِصَاص بيْن الذُّكُور من غير أن يكُون فيه دَلالَةٌ على سائر الأقسامِ ؛ واحتجُّوا عليه بوجهين : الأول : أنَّ قوله : ﴿وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾ يقتضي قِصَاص المرأة الحُرَّة بالمرأة الرقيقَةِ ، فلو كان قوله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ..

﴾ مانعاً من ذلك ، لوقع التناقض.

الثاني : أنَّ قولَهُ تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى..

﴾ جملةٌ تامّضة مستقلَّةٌ بنَفْسها.

وقوله : ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ تخصيصٌ لبعض الجزئيَّاتِ بالذِّكْرن وتخصيص بعض الجزئيَّات بالذِّكِر لا يمنع مِنْ ثُبوت الحُكْم ؛ كسَائِر الجزئيَّات ، وذلك التخصيصُ يمكنُ أنْ يكُون لفائدةٍ سوى نَفْي الحُكْم عن سائِرِ الصُّور ، ثم اختلَفُوا في تـ‍ﻠك الفَائدة ، فذكَرُوا فيها وجهين :

٢١٩

." (١)

"وقال قوم : نسخت بدليلٍ قياسٍ ، وهو أن نقول : هذه الوصية ، لو كانت واجبةً ، لكانت ، إذا لم توجد هذه الوصيَّة ، يجب ألاَّ يسقط حقُّ هؤلاء الأقربين ، وقد رأيناهم سقطوا لقوله تعالى في آية المواريث ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء : ١٢] فظاهره يقتضي أنه إذا لم يكن وصيَّةٌ أو دينٌ ، فالمال أجمع للوارث.

ولقائل أن يقول : نسخ القرآن بالقياس غير جائزٍ.

قال القرطبيُّ : قوله تعالى " حَقًّا " أي : ثابتاً ثبوت نظرٍ ، وتحصين ، لا ثبوت فرضٍ ووجوبٍ ؛ بدليل قوله : " عَلَى الْمُتَّقِين " وهذا يدل على كونه مندوباً ؛ لأنه لوكان فرضاً ، لكان على جميع المسلمين ، فلما خصَّ الله تعالى المُتَّقِي ، وهو من يخاف التَّقصير ، دلَّ على أنه غير لازم لغيره.

فصل " في حقِّ من نسخت الآية " قال أكثر المفسرين إنها نسخت في حقِّ من يرث ومن لا يرث.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٢٤

وقال بعض المفسِّريِن من الفقهاء : إنَّها نسخت في حقِ من يرث ، وثابتة في حقّ من لا يرث ، وهو مذهب ابن عبَّاس والحسن ، ومسروق ، وطاوسٍ ، والضَّحَّاك ، ومسلم بن يسارٍ ، والعلاء بن زياد.
؟ قال طاوس : إن من أوصى للأجانب ، وترك الأقارب ، نزع منهم ، وردَّ إلى الأقارب ؛ لوجوب الوصيَّة عند هؤلاء ، والباقي للقريب الذي ليس بوارث.
واستدلُّوا بأنَّ هذه الآية دالَّة على وجوب الوصيَّة للقريب ، سواء كان وارثاً ، أو غير وارث ، ترك العمل به في حقِّ القري الوارث ، إما بآية الماوريث ، أو بقوله - عليه الصلاة والسلام - : " لاَ وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ " ، وهاهنا الإجماع غير موجود ، لأن الخالف فيه قديم وحديث ؛ فوجب أن تبقى الآية دالَّةً على وجوب الوصيَّة للقريب الذي ليس بوارث.
واستدلوا أيضاً بقوله - عليه السلام - : " مَا حَقُّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَهُ مُلْكٌ يَبِيتُ لَيْلَتَيْن ، إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ " وقد أجمعنا على أن الوصيَّة غير واجبةً لغير الأقارب ؛ فوجب أن تكون هذه الوصيَّة واجبةً للأقراب ، فأمَّا الجمهور ، فأجود ما استدلُّوا به على أنها منسوخة في حقِّ الكلِّ قوله : ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء : ١٢] وقد ذكرنا تقريره.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٣١
يجوز في " مَنْ " أن تكون شرطيَّةً وموصولةً ، والفاء : إمَّا واجبةٌ ، إن كانت شرطاً ، وإمَّا جائزةٌ ، إن كانت موصولةً ، والهاء في " بَدَّلَهُ " يجوز أن تعود على الوصيَّة ، وإن كان
٢٤٣
بلفظ المؤنَّث ؛ لأنَّها في معنى المذكَّر ، وهو الإيصاء ؛ كقوله تعالى : ﴿فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة : ٢٧٥] أي وعظٌ ، أو تعود على نفس الإيصاء المدلول عليه بالوصيَّة ، إلاَّ أنَّ اعتبار المذكَّر في المؤنَّث قليلٌ ، وإن كان مجازيّاً ؛ ألا ترى أنه لا فرق بين قولك : " هِنْدٌ خَرَجَتْ ، والشَّمْسُ طَلَعَتْ " ، ولا يجوز : " الشَّمْسُ طَلَعَ " كما لا يجوز : " هِنْدٌ خَرَجَ " إلا في ضرورة.
وقيل : تعود على الأمر ، اولفرض الذي أمر الله به وفرضه.
وقيل : تعود إلى معنى الوصيَّة ، وهو قولٌ ، أو فعلٌ ، وكذلك الضَّمير في " سَمِعَهُ " والضَّمير في " إثْمُهُ " يعود على الإيصاء المبدَّل ، أو التَّبديل المفهوم من قوله : " بَدَّلَهُ " ، وقد راعى المعنى في قوله : ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ؛ إذ لو جرى على نسق اللفظ الأول ، لقال ﴿ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ ، وقيل : الضَّمير في " بَدَّلَهُ " يعود على الكتب ، أو الحَقِ ، أو المعروفِ ، فهذه ستَّة أقوال ، و " مَا " في قوله : "

بَعْدَمَا سَمِعَهُ " يجوز أن تكون مصدريَّةً ، أي : بعد سماعه ، وأن تكون موصولةً بمعنى " الذي " ، فالهاء في " سَمِعَهُ " على الأول تعود على ما عاد عليه الهاء في " بَدَّلَهُ " ؛ وعلى الثاني : تعود على الموصول ، أي " بَعْدَ الَّذي سَمِعَهُ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ ".

فصل في بيان المبدِّل في المبدِّل قولان : أحدهما : انه الوصيُّ ، أو الشاهد ، أو سائر النَّاس أما الوصيُّ : فبأن يغيِّر الموصى به : إمَّا في الكتابة ، أو في قسمة الحقوق ، وأمَّا الشاهد : فبأن يغيِّر شهادته ، أو يكتمها ، وأما غير الوصي والشاهد ؛ فبأن يمنعوا من وصول ذلك المال إلى مستحقِّه ، فهؤلاء كلُّهم داخلون تحت قوله : " فَمَنْ بَدَّلَهُ ".

الثاني : أن المبدِّل هو الموصي ، نهي عن تغيير الوصيَّة عن موضعها التي بيَّن الله تعالى الوصية إليها ؛ وذلك أنا بيَّنَّا أنهم كانوا في الجاهليَّة يوصون للأجانب ، ويتركون الأقارب في الجوع والضَّر ، فأمرهم الله تعالى بالوصيَّة إلى الأقربين ، ثم زجر بقوله : ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ أي : من أعرض عن هذا التَّكليف ، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ، أي سَمِيعٌ لما أوصى به النموصي ، عليمٌ بنيَّتهن لا تخفى عليه خافيةٌ من التَّغيير الواقع فيها.

فصل في تبديل الوصيَّة بما لا يجوز قال القرطبيُّ : لا خلاف أنه إذا أوصبى بما لا يجوز ؛ مثل : أن يوصي بخمرٍ ، أو

٢٤٤

". (١)

"أَبْوَابِهَا " وتستدلُّوا بالمعلوم المتيقَّن ، لا تعلمونَها ، فجعل إتيانَ البُيُوت من ظُهُورها كنايةً عن العُدُول عن الطَّريق الصحيح ؛ وإتيانَها من أبوابِها كنايةً عن التَّمَسُّك بالطَّريق المُستقيم ، وهذا طريقٌ مشهورٌ في الكناية ؛ فإنَّ مَنْ أرشد غيرهُ إلى الصَّواب ، يقولُ له : ينبغِي أنْ تأتي الأمر مِنْ بابه ، وفي ضِدَّه قالُوا : ذهبإل لاشيءِ من غير بابه ، قال تعالى : ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمرا اان : ١٨٧] وقال عزَّ مِنْ قَائل : ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيّاً﴾ [هود : ٩٢] وهذا تأويل المتكلِّمين.

قال ابن الخطيب : ولا يصحُّ تفسير هذه الآية ؛ لأنَّ الوجه الأوَّلَ **يغيِّر نسقَ الترتيب** ، وكلام الله تعالى منزَّهٌ عن ذلك.

الوجه الثالث : قال أبو مسلم : إن المراد مِنْ هذه الآية ما كَانُوا يعملونه من النسيء ؛ فإنهم كانُوا يخرجون

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥٣٨

الحجَّ عن وقته الَّذي عينه الله تعالى لهم ، فيحرِّمون الحلال ، ويحلُّون الحرام ، فذَكَرَ إتيانَ البُيُوت من ظُهُورها مثلاً لمخالفة الواجب في الحجِّ وشهوره.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٣٠

قوله تعالى : ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ متعلَّقٌ بـ " قاتلوا " على أحد معنيين : إمَّا أن تقدِّر

٣٣٩

مضافاً ، أي : في نصرةِ سبيلِ الله تعالى ، والمرادُ بالسبيلِ : دينُ الله ، لأنَّ السبيلَ في الأصل هو الطريقُ ، فتُجوِّزَ به عن الدِّين ، لمَّا كان طريقاً إلى الله تعالى روى أبو موسى : أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم وشرَّف ، ومجَّد ، وكَرَّم ، وبَجَّل ، وعَظَّم – سُئِلَ عمَّن يُقاتِلُ في سبيل الله تعالى ، فقال : " مَنْ قاتل ؛ لتكون كلمةُ الله هي العُليا ، ولا يُقاتل رياءً ولا سمعةً ؛ وهو في سبيل الله " وإمَّا أن تُضَمِّن " قَاتِلُوا " معنى بالِغوا في القتالِ في نصرةِ دِينِ اللهِ تعالى ، " والَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم " مفعول " قاتلوا ".

فصل في سياق الآيات اعلم ، أنَّه لمَّا أمر بالتقوى في الآية المتقدِّمة أمر في هذه الآية الكريمة بأشدِّ أقسامِ التقوى ، وأشقها على النَّفس ، وهو قتلُ أعداء الله تعالى.

قال الربيع بن أنس : هذه أوَّل آية نزلت في القتال ، وكان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وشرَّف ، وكَرَّم ، ومَجَّد ، وبَجَّل ، وعظَّم – يُقاتلُ مَنْ قاتلهُ ، ويَكُفُّ عن قتال منْ لمْ يقاتله إلى أن نزل قوله تعالى : ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : ٥] قاتلوا ، أو لم يقاتلوا فصارت الآية منسوخةً بها.

وقيل : نُسخَ بقوله : ﴿اقْتُلُواْ الْمُشْرِكِين﴾ قريبٌ من سبعين آيةً ، وعلى هذا ، فقوله : " وَلاَ تَعْتَدُوا " أي : لا تَبْدُءوهم بالقتال ، وروي عن أبي بكر الصِّدِّيق – رضي الله عنه – أنَّ أوَّل آيةٍ نزلت في القتال قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ الحج : ٣٩] والأوَّل أكثر.

وقال ابن عبَّاس وعمر بن عبد العزيز ، ومجاهدٌ – رضي الله عنهم – هذه الآية محكمةٌ غير منسوخة ؛ أُمِر النبيُّ – صلى الله عليه وسلم وشرَّف ، وكَرَّم ، وبَجَّل ، ومَجَّد ، وعَظَّم – بقتال المُقاتلين.

٣٤٠

." (١)

"" شِعْرٌ شَاعِرٌ " ؛ كما قال به الفارسيُّ وصاحبُه ، أو يُجْعَلَ " أَشَدَّ " من صفاتِ الأعيان ، لا من صفاتِ الإِذكار ؛ كما قال به الزمخشريُّ ، أو يُجْعَلَ " أَشَدَّ " حالاً من " ذكْراً " أو ننصبّه بفعْلٍ و " أو "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٨٧

هنا قيل للإباحةِ ، وقيل للتخيير ، وقيل : بمعنى بَلْ ، وهو قول أكثر المفسِّرين.

قوله : ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ " مَنْ " مبتدأٌ ، وخبرُه في الجارِّ قبله ، ويجوز أن تكونَ فاعلةً عند الأخفش ، وأن تكونَ نكرةً موصوفةً ، وفي هذا الكلام التفاتٌ ؛ إذ لو جرَى **على النسقِ الأولِ** ، لقيل : " فَمِنْكُمْ " ، وحَمِل على معنى " مَنْ " ؛ إذ جاء جَمْعاً في قوله : " رَبّنَا آتِنَا " ، ولو حُمِل على لفظِها ، لقال " رَبِّ آتِني ".

وفي المفعول الثاني لـ " آتِنَا " - لأنه يتعدَّى لاثْنَيْنِ ثانيهما غيرُ الأوَّل - ثلاثةُ أقوال : أظهرها : أنه محذوفٌ ؛ اختصاراً أو اقتصاراً ؛ لأنه من باب " أَعْطَى " ، أي : آتِنا ما نُريدُ ، أو مطلوبَنَا.

والثاني : أن " فِي " بمعنى " مِنْ " أي : من الدنيا.

والثالث : أنها زائدٌ ، أي : آتِنا الدنيا ، ولَيْسَا بشيء.

فصل واعلم أنَّه بيَّن أولاً مناسِكَ الحَجِّ ، ثم أمر بَعْدَها بالذِّكْرِ ، ثم بيّن بعد الذِّكْرِ كيفيَّة الدَّعَاء ، وهذا من أحسن التَّرْتيب ؛ فإنّ تقديم العِبَادة يكسر النَّفْسَ ، وبعد العِبَادة لا بُدَّ من الاشْتِغال بذكْرِ الله ، فإن به يَكْمُل الدُّعَاء ؛ كما حُكِيَ عن إبراهيم - عليه السَّلام - ؛ أنّه قدَّم الذِّكْر على الدُّعاء ، فقال : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء : ٧٨] ثم قال : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء : ٨٣] ثم بيَّن - تبارك وتعالى - أنّ الَّذِين يَدْعُون فَرِيقان : أحدهما يطلب الدُّنْيَا ، والثَّاني يطلب الدُّنْيَا والآخِرة ، وقد بقي قِسْمٌ ثالثٌ وهو طلب الآخِرَةِ ؛ واخْتَلَفُوا في هذا القِسْم : هل هو مَشْرُوعٌ أم لا ؟ والأكثرونَ على أنّه غير مشروع ؛ لأن الإنسان ضعيف لا طاقة له بآلام الدُّنيا ؛ فالأولى أن يستعيذ بربّه من كل شرّ في الدُّنيَا والآخِرة.

روى القفَّال في " تَفْسيرِه " عن أنس - رضي الله عنه - " أن النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - دَخَلَ على رَجُلٍ يعُودُ ، قد أنهَكه المَرَضُ حتَّى صَارَ كالفَرْخ ، فقال : ما كُنتُ تدعُوا الله به قَبْلَ هذا ؟ قال : كُنْتُ أقُولُ : اللَّهُمَّ ما كُنتَ تُعاقِبني به في الآخِرة فَعَجِّل بِهِ في الدُّنْيا ، فقال النبيُّ - عليه السلام - : سبحان الله!! إنّك لا تُطِيقُ ذلك ؛ هلا قُلْتَ : " ربنا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَة وفي الآخِرَةِ حَسَنَة وقِنَا عَذَابَ النَّارَ " قال : فدَعَا له رسُول الله - صلى الله عليه وسلم - فَشُوفِيَ "

٤٣٦

فصل اختلفوا في الَّذِين يَقتَصِرُون في الدُّعاء على طلب الدُّنْيَا على قَوْلَيْن.

فقال قوم : هم الكُفَّار ؛ رُوِيَ عن ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - ؛ أنّ المُشْركين كانوا إذا وقَفُوا للدُّعاء

، يقولون : اللَّهُمَّ أعطِنا غنماً وإبلاً وبقراً ، وعبيداً ، وإماءً ، وكان الرَّجُل يقوم ويقُول : اللَّهُم إنّ أبي كان عظيم القُبَّة ، كبير الجَفْنَة ، كثير المال ؛ فأعطني مثلما أعطيْتَه ، ولم يَطْلُبُوا التَّوْبة والمغفِرة ؛ لأنهم كانوا مُنْكِرين البعثَ والمَعَاد.

وعن أنسٍ ؛ كانوا يقولون : اسْقِنا المطر ، وأَعْطِنا على عَدُوِّنا الظَّفَر ، فأخبر الله – تعالى – أنَّ من كان هكذا ، فلا خلاق لهُ في الآخِرَة ، أي : لا نَصِيبَ لهُ.

قال القرطبي : فنهُوا عن ذلك الدُّعاء المَخْصُوص بأمرِ الدُّنْيَا ، وجاء النَّهْي بصيغة الخَبَر عَنْهُم.

وقال آخرون : قد يكُونُوا مؤمِنين ، ويسألون الله – تعالى – لِدُنياهُم لا لآخِرَتِهم ، ويكون سُؤَالُهم هذا ذَنباً ؛ لأنهم سأَلُوا الله في أعظم المواقف حُطام الدُّنْيَا الفَانِي ، وأَعْرَضُوا عن سُؤَال نعيم الآخِرة ، ويقال لِمَن فَعَل ذَلِك : أنّه لا خَلاَقَ لَهُ في الآخِرةِ ، وإن كان مُسْلِماً ؛ كما رُوِي في قوله – تعالى – ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـائِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ [آل عمران : ٧٧] أنها نزلت فيمن أخذ مالاً بيمينٍ فاجرةٍ.

ورُوِي عن النَّبيّ – عليه السَّلام – : إنّ الله يُؤَيِّد هذا الدِّين بأقْوَامٍ لا خَلاَق لَهُم ، ومعنى ذلك على وجوهٍ.
٤٣٧
." (١)

"فذهب أكثرهم إلى أَنَّه يُعتبر عدد الطَّلاق بالزَّوج ؛ فالحُرُّ يملك على زوجته الأَمة ثلاث تطليقاتٍ ، والعبد لا يملك على زوجته الحُرَّةِ لاَّ طَلْقَتَيْن.

قال عبدالله بن مسعود : الطَّلاق بالرِّجال والعِدَّة بالنِّساءِ ، يعني : يُعْتَبر في الطَّلاق حالُ الرِّجالِ ، وفي قدر العِدَّة حالُ المرأة ، وهو قول عُثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن عبَّاس ، وبه قال عطاء وسعيد بن المُسَيَّب ، وإليه ذهب مالِكٌ ، والشَّافِعِي ، وأَحمد ، وإسحاق.

وذهب قَوْمٌ إلى أن الاعتبار بالمرأة في عدد الطَّلاق ، فيملُكِ العَبْدُ على زوجته الحُرَّة ثلاث طلقاتٍ ، ولا يَمْلِكُ الحُرَّ على زوجته الأَمة إلاَّ طلْقَتَين ، وهو قول سُفْيان الثَّوريّ وأصحاب الرَّأي.

فصل إذا طلَّقها ثلاثاً بكلمةٍ واحدةٍ ، لزِمه الطَّلاَق بالإِجماع.

وقال عليّ بن أبي طالبٍ ، وابن مسعود : يلزمه طلقةٌ واحِدةٌ.

وقال ابن عبَّاس : وقوله : ثلاثاً لا معنى له ؛ لأَنَّه لم يُطلِّق ثلاث مرَّات وإنَّما يجوز قوله : في ثَلاَث إذا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٦٣٧

كان مُخبراً عمّا مضى ، فيقول : طلَّقت ثلاثاً ، فيكون مُخبراً عن ثلاثة أفعالٍ كانت منهُ في ثلاثة أوقاتٍ ؛ فهو كقول الرَّجُل : قرأت سُورَة كذا ثلاث ؛ فإن كان قرأها ثلاث مرَّاتٍ ، كان صادِقاً ، وإن كان قرأها مرَّة واحِدَةً ، كان كاذِباً ، وكذا لو قال : أحْلِفُ بالله ثَلاَثاً يردد الحَلْف كانت ثَلاَثة أيمانٍ ، ولو قال : أَحْلِف بالله ثلاَثاً ، لم يَكُن حلف إلا يميناً واحدة والطَّلاق مِثْله.

وقاله الزُّبير بن العوَّام ، وعبد الرَّحمن بن عوف ، قاله القرطبي.

قوله : " أَنْ تَأْخُذُوا " : " أَنْ " وما في حَيِّزها في محلِّ رفعٍ على أنه فاعل " يَحِلُّ " ، أي : ولا يَحِلُّ لكُم أَخْذُ شَيءٍ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ.

و " مِمَّا " فيه وجهان ".

أحدهما : أن يتعلَّقَ بنفسِ " تَأْخُذُوا " ، و " مِنْ " على هذا لابتداءِ الغاية.

والثاني : أن يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنه حالٌ من " شَيْئاً " قُدِّمت عليه ؛ لأنها لو تأَخَّرَتْ عنه لكانَتْ وصفاً ، و " مِنْ " على هذا للتبعيض ، و " مَا " موصولةٌ ، والعائدُ محذوفٌ ، تقديره : مِنَ الذي آتيتموهنَّ إيَّاهُ ، وقد تقدَّم الإِشكالُ والجوابُ في حذفِ العائدِ المنصوب المنفصلِ عند قوله تعالى : ﴿ومَّمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة : ٣] وهذا مثلُه ، فَلْيُلْتَفَتْ إليه.

و " آتَى " يتعدَّى لاثنين ، أولهُما " هُنَّ " والثاني هو العائدُ المحذوفُ ، و " شَيْئاً "

١٣٥

مفعولٌ به ناصبُه " تَأْخُذُوا ".

ويجوزُ أن يكونَ مصدراً ، أي : شيئاً مِنَ الأَخْذِ.

والوجهانِ منقولانِ في قوله : ﴿لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ [يس : ٥٤].

قوله : ﴿إِلاَّ أَن يَخَافَآ﴾ هذا استثناءٌ مُفَرَّغٌ ، وفي " أَنْ يَخَافَا " وجهان : أحدهما : أنه في محلِّ نصبٍ على أنه مفعولٌ من أجلِهِ ، فيكونُ مستثنىً من ذلك العامِّ المحذوفِ ، والتقديرُ : وَلاَ يَحِلُّ لكُمْ أن تَأْخُذُوا بِسَبَب من الأسباب ، إلا بسببِ خوفِ عدم إقامة حُدُودِ الله ، وحُذِفَ حرفُ العلةِ ؛ لاستكمالِ شروط النصب ، لا سيما مع " أَنْ " ولا يجيءُ هنا خلافُ الخليلِ وسيبويه : أهيَ في موضع نصبٍ ، أو جرٍّ بعد حَذْفِ اللامِ ، بل هي في محلِّ نصبٍ فقط ، لأنَّ هذا المصدرَ لو صُرِّحَ به ، لنُصِبَ ، وهذا قد نصَّ عليه النحويُّون ، أعنِي كونَ " أَنْ " وما بعدها في محلِّ نصبٍ ، بلا خلافٍ ، إذا وقعَتْ موقعَ المفعولِ له.

والثاني : أنه في محلِّ نصبٍ على الحالِ ، فيكونُ مستثنى من العامِ أيضاً ، تقديره : ولاَ يَحِلُّ لكُمْ في كلِّ

حالٍ من الأحوالِ إلاَّ في حالِ خوفِ ألاَّ يقيما حدودَ اللهِ ، قال أبو البقاء : والتقديرُ : إلاَّ خائفينَ ، وفيه حَذْفُ مضافٍ ، تقديره : وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تأخُذُوا على كلّ حال ، أو في كلّ حال إلا في حالِ الخوفِ ، والوجهُ الأولُ أحسنُ ، وذلك أَنَّ " أَنْ " وما في حَيِّزها مُؤَوَّلةٌ بمصدرٍ ، وذلك المصدرُ واقعٌ موقعَ اسم الفاعلِ المنصُوبِ على الحَال ، والمصدرُ لا يطَّرِدُ وقوعُه حالاً ، فكيف بما هو في تأْويله!! وأيضاً فقد نَصَّ سيبويه على أنَّ " أَنِ " المصدرية لا تقَعُ موقعَ الحالِ.

والألفُ في قوله " يَخَافَا " و " يُقِيمَا " عائدةٌ على صنفَي الزوجين ، وهذا الكلامُ فيه التفاتٌ ، إذ لو جَرَى **على نَسَقِ الكلام** ، لقيل : " إِلاَّ أَنْ تَخَافُوا أَلاَّ تُقِيمُوا " بِتَاءِ الخِطَابِ لِلْجَمَاعَةِ ، وقد قَرأَها كذلك عبد الله ، ورُوِي عنه أيضاً بياءِ الغَيْبَة ، وهو التفاتٌ أيضاً.

والقراءةُ في " يَخَافَا " بفتحِ الياءِ واضحةٌ ، وقرأها حمزة وأبو جعفر ويعقوب بضمِ ها على البناء للمفعول ، وقَد استشكلها جماعةٌ ، وطعن فيها آخرون لعدم معرفتهم بلسان العرب ، وقد ذكروا فيها توجيهاتٍ كثيرةً ، أحسنُها أَنْ يكونَ " أَنْ يُقِيمَا " بدلاً من الضمير في " يَخَافَا " ؛ لأنه يَحُلُّ مَحَلَّه ، تقديره : إِلاَّ أَنْ يُخَافَ عَدَمُ إقامَتِهما حُدُودَ اللهِ ،

١٣٦

". (١)

"لأجل الرَّجل وعلى فراشه ، وجب عليه رعاية مصالحه ، [فنبه على أنَّ سبب النَّسب ، والالتحاق محدودٌ بهذا القدر.

وثالثها : ذكر الوالد بلفظ " المَوْلُودِ [لَهُ] " تنبيهاً على أنَّ نفقته عائدةٌ إليه ، فيلزمه رعاية مصالحه] كما قيل : كلُّه لك ، وكلُّه عليك.

فإن قيل : فما الحكمة في قول موسى – عليه الصَّلاة والسَّلام – لأخيه : ﴿قَالَ يَبْنَ أُمَّ﴾ [طه : ٩٤] ولم يذكر أباه.

فالجواب : أنّه أراد بذكر الأم [أنْ] يذكر الشفقة فإنَّ شفقة الأمّ أعظم من شفقة الأب.

فصل اعلم أنَّ الله تعالى كما وصَّى الأمَّ برعاية جانب الطِّفل ، في قوله : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ – وصَّى برعاية جانب الأمّ ، حتَّى تقوى على رعاية مصلحة الطفل ، فأمره برزقها ، وكسوتها بالمعروف ، وهذا المعروف قد يكون محدوداً بشرطٍ وعقدٍ ، وقد يكون غير محدودٍ إلاَّ من جهة العرف

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٧٥٠

لأنّه إذا قام بما يكفيها من طعام وكسوتها ، فقد استغنى عن تقدير الأجرة فإنه إن لم يقم بما يكفيها من ذلكن تضرَّرت وضررها يتعدى إلى الود ، ولمّا وصَّى الأمَّ برعاية الطفل أوّلاً ثم وصَّى الأب برعايته ثانياً ، دلَّ على أنَّ احتياج الطفل إلى رعاية الأمِّ أشدُّ من احتياجه إلى رعاية الأب ؛ لأنَّه ليس بين الطفل وبين رعاية الأمّ واسطةٌ أَلْبَتَّةَ ؛ ورعاية الأب إنَّما تصل إلى الطفل بواسطة ، فإنّه يستأجر المرأة على رضاعته ، وحضانته بالنفقة ، والكسوة ، وذلك يدلُّ على أنَّ حقَّ الأمِّ أكثر من حقِّ الأب ، والأخبار المطابقة لهذا المعنى كثيرةٌ مشهورةٌ.

قوله : ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾ الجمهور على " تُكَلَّفُ " مبنياً للمفعول ، " نفسٌ " قائم مقام الفاعل ، وهو الله تعالى ، ﴿وُسْعَهَا﴾ مفعول ثانٍ ، وهو استثناءٌ مفرغٌ ؛ لأنَّ " كَلَّفَ " يتعدَّى لاثنين.

قال أبو البقاء : " ولو رُفِعَ الوُسْعُ هنا ، لم يَجُزْ ؛ لأنه ليس ببدَلٍ ".

وقرأ أبو جراء : " لاَ تَكَلَّفُ نَفْسٌ " بفتح التَّاء ، والأصل : " تَتَكَلَّفُ " فحذفت إحدى التاءين ؛ تخفيفاً : إمَّا الأولى ، أو الثانية على خلافٍ في ذلك تقدَّم ، فتكون " نَفْسٌ " فاعلاً ، و " وُسْعَها " مفعولٌ به ، استثناء مفرَّغاً أيضاً.

وروى أبو الأشهب عن أبي رجاء أيضاً : " لا يُكَلِّفُ نَفْساً " بإسناد الفعل إلى ضمير الله تعالى ، فتكون " نَفْساً " و " وُسْعَها " مفعولين.

١٧٥

والتكليفُ : الإلزام ، وأصله من الكلف ، وهو الأثر من السَّواد في الوجه ؛ قال : [البسيط] ١١٢٨ -

يَهْدِي بِهَا أَكْلَفُ الخَدَّيْنِ مُخْتَبَرٌ

مِنَ الْجِمَالِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْثُومُ

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٦٨

فمعنى " تَكَلَّفَ الأَمْرَ " ، أي : اجتهد في إظهار أثره.

وفلانٌ كَلِفٌ بكذا : أي مُغْرًى به.

و " الوُسْعُ " هنا م، يسع الإنسان فيطيق أخذه من سعة الملك أي الغرض ، ولو ضاق لعجز عنه ، فالسَّعة بمنزلة القدرة ، ولهذا قيل : الوسع فوق الطَّاقة ، والمراد منه : أنَّ أبا الصَّبي لا يتكلّف الإنفاق عليه ، وعلى أُمِّه ، إلاَّ ما تتسع له قدرته ، لأنَّ الوسع ما تتَّسع له القدرة ، ولا يبلغ استغراق القدرة ؛ وهو نظير قوله تعالى : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَآ آتَاهَا﴾

[الطلاق : ٧].

فصل في احتجاج المعتزلة بالآية تمسَّك المعتزلة بهذه الآية في أنَّ الله – تعالى – لا يكلّف العبد ما لا يقدر عليه.

وقوله : ﴿لاَ تُضَآرَّ﴾ ابن كثير ، وأبو عمرو : " لا تُضَارُّ " برفع الراء مشددةً ، وتوجيهها واضح ، لأنه فعلٌ مضارعٌ لم يدخل عليه ناصبٌ ولا جازمٌ فرفع ، وهذه القراءة مناسبةٌ لما قبلها ، من حيث إنه عطف جملة خبريّةٌ على خبرية مثلها من حيث اللفظ وإلاَّ فالأولى خبريةٌ لفظاً ومعنًى ، وهذه خبريةٌ لفظاً نهييَّةٌ معنًى ويدل عليه قراءة الباقين كما سيأتي.

قال الكسائيُّ والفراء : **هو نسقٌ على** قوله : " لاَ يُكَلِّفُ ".

قال عليين عيسى : هذا غلطٌ ؛ **لأنَّ النَّسق بـ** " لا " إنَّما هو إخراج على إخراج الثَّاني مما دخل فيه الأوَّل نحو : " ضربتُ زيداً لا عمراً " فأمّا أن يقال : يقوم زيدٌ لا يقعد عمرو ، فهو غير جائزٍ **على النَّسق ،** بل الصواب أنَّه مرفوعٌ على الاستئناف في النَّهي كما يقال : لا تضرب زيداً لا تقتل عمراً.

وقرأ باقي السَّبعة : بفتح الراء مشدّدةً ، وتوجيهها أنَّ " لا " ناهيةٌ ، فهي جازمةٌ ،

١٧٦." [1]

"حال كونها شرطيةً وجهٌ آخر ، وهو أن تكون منصوبةً بفعلٍ مضمرٍ يفسِّره ما بعده ، وتكون المسألة من باب الاشتغال ، ويقدَّر الفعل بعدها ؛ لأنَّ لها صدر الكلام ، والتقدير : فأيُّ شخصٍ جاءت الموعظة جاءته ، ولا يجوز ذلك فيها موصولةً ؛ لأنَّ الصلة لا تفسِّر عاملاً ؛ إذ لا يصحُّ تسلُّطها على ما قبلها ، وشرط التفسير صحة التسلُّط.

وسقطت علامة التأنيث من فعل الموعظة لأن ثانيها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وأيضاً للفصل بين الفعل ، وفاعله بالمفعول.

وقرأ أبيّ والحسن : " جاءَتْه " على الأصل.

قوله : ﴿مِّنْ رَّبِّهِ﴾ يجوز أن تكون متعلقةً بجاءته ، وتكون لابتداء الغاية ؛ مجازاً ، وأن تتعلَّق بمحذوفٍ على أنها صفةٌ لموعظةٍ ، أي : موعظةٌ من موعظات ربه ، أي : بعض مواعظه.

وقوله : ﴿فَانْتَهَى﴾ **نسقٌ على** " جاءَتْه " عطفه بفاء التعقيب ، أي : لم يتراخ انتهاؤه عن مجيء الموعظة.

وقوله : ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الكلام على " مَنْ " هذه في احتمال الشرط ، والموصول ، كالكلام على التي

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٧٧٠

قبلها.
" عاد " أي : رجع ، يقال : عاد يعود عوداً ، ومعاداً ، وعن بعضهم : أنها تكون بمعنى " صار " ؛ وأنشد [الطويل] ١٢٥٨ - وَبِالمَحْضِ حَتَّى عَادَ عَنَطْنَطاً
إِذَا قَامَ سَاوَى غَارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهْ
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٤٦
وأنشد : [الطويل] ١٢٥٩ - تُعِدُّ لَكُمْ جَزْرَ الجَزُورِ رِمَاحُنَا
وَيَرْجِعْنَ بالأَسْيَافِ مُنْكَسِرَاتِ
والضمير في قوله " فَأَمْرُه " يعود على " مَا سَلَف " ، أي : وأمر ما سلف إلى الله ، أي : في العفو عنه وإسقاط التِّبعة منه.
وقيل : يعود على المنتهي المدلول عليه بانتهى ، أي : فأمر المنتهي عن الربا إلى الله ؛ في العفو ؛ والعقوبة.
وقيل : يعود على ذي الرِّبا في أن ينتبه على الانتهاء ، أو يعيده إلى المعصية.
وقيل : يعود على الرِّبا ، أي : في عفو الله عمَّا شاء منه ، أو في استمرار تحريمه.
قال الواحديُّ " السُّلُوفُ " : التقدم ، وكلُّ شيءٍ قدمته أمامك فهو سلفٌ ، ومنه الأمم السَّالفة ، وسالف الذكر ، وله سلفٌ صالحٌ : آباءٌ متقدِّمون ، ومنه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً﴾
٤٥٤
[الزخرف : ٥٦] أي : أمةً متقدمةً تعتبر بهم من بعدهم ، وتجمع السَّلف على : أسلافٍ وسلوفٍ ، والسالفة والسُّلاف : المتقدِّمون في حرب أو سفرٍ ، والسالفة من الوجه ؛ لتقدُّمها ؛ قال : [الوافر] ١٢٦٠ - وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً
وَسَالِفَةً وأَحْسَنُهُ قَذَالاَ
والسُّلفة : ما يقدَّم من الطعام للضَّيف.
يقال : " سَلِّفُوا ضَيْفَكُمْ ، ولَهِّنُوهُ " أي : بادروه بشيءٍ مَّا ، ومنه : السَّلف في الدَّين ؛ لأنه تقدَّمه مالٌ.
والسَّالفة : العنق ؛ لتقدُّمه في جهة العلو ، والسلفة : ما قدم قبل الطعام ، وسلافة الخمر : صفوتها ؛ لأنه أوَّل ما يخرج من عصيرها.
فصل في تأويل ما سلف قال الزجاج : أي صفح له عمَّا مضى من ذنبه ، قبل نزول الآية ؛ كقوله : ﴿قُل

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال : ٣٨] ، وضعِّف ؛ بأن قبل نزول الآية في التحريم ، لم يكن ذلك حراماً ، ولا ذنباً ؛ فكيف يقال المراد من الآية الصفح عن ذلك الذنب مع أنه ما كان هناك ذنبٌ ؟ والنهي المتأخر لا يؤثر في الفعل المتقدم! ولأنه تعالى أضاف ذلك إليه بلام التمليك ، وهو قوله : ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أي : كلُّ ما أكل من الرِّبا ، وليس عليه ردُّه ، فأمَّا ما لم يقضَ بعد ، فلا يجوز له أخذه ، وإنما له رأس ماله فقط ؛ كما بيَّنه تعالى في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٧٩].

فصل قال ابن الخطيب – رحمه الله – : في قوله تعالى : ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ وجوهٌ للمفسرين ، والذي أقوله : إنَّ هذه الآية مختصةٌ بمن ترك استحلال الرِّبا من غير بيان أنه ترك أكل الربا ، أو لم يترك ؛ ويدلُّ عليه مقدمة الآية ومؤخِّرتها.

أمَّا مقدمة الآية ؛ فلأن قوله ﴿فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانْتَهَى ﴾ ليس فيه بيان أنه انتهى عماذا ، فلا بدَّ وأن يصرف ذلك إلى المدلول السابق ، وأقرب المذكورات إلى هذه الكلمة قولهم : ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ فكان قوله : ﴿فَانْتَهَى ﴾ عائداً إليه فيكون المعنى : فانتهى عن هذا القول.

وأما مؤخرة الآية فقوله : ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ معناه

٤٥٥

." (١)

"قال ابن الخطيبِ : " وأمر هؤلاء الأدباء عجيبٌ ؛ لأنهم أوجبوا في كل لفظ أن يكون مأخوذاً من شيء آخرَ ، ولو كان كذلك لزم إما التسلسل ، وإما الدور ، ولما كانا باطلَيْنِ وجب الاعتراف بأنه لا بد من ألفاظ موضوعة وَضْعًا أوَّلاً ، حتى يُجْعَل سائرُ الألفاظ مشتقةً منها ، وإذا كان الأمر كذلك فلم لا يجوز في هذا اللفظ الذي جعلوه مشتقاً من ذلك الآخر أن يكون الأصل هو هذا ، والفرع هو ذاك الآخر ، ومن الذي أخبرهم بأن هذا فرع وذاك أصل ؟ وربما كان هذا الذي يجعلونه فرعاً ومشتقاً في غاية الشهرة ، وذاك الذي يجعلونه أصلاً في غاية الخفاء ، وأيضاً فلو كانت التوراة إنما سميت بذلك لظهورها ، والإنجيل إنما سمي إنجيلاً لكونه أصلاً وجب في كل ما ظهر أن يُسَمَّى بالتوراة ، فوجب تسمية كل الحوادث بالتوراة ، ووجب في كل ما كان أصلاً لشيء آخر أن يُسَمَّى بالإنجيل ، فالطين أصل الكوز فوجب أن يكون الطين إنجيلاً ، والذهب أصل الخاتم ، والغزل أصل الثوب ، فوجب تسمية هذه الأشياء بالإنجيل ، ومعلوم أنه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩١٦

ليس كذلك ، ثم إنهم عند إيراد هذه الإلزامات عليهم لا بد وأن يتمسكوا بالوضع ، ويقولوا : العرب خصصوا هذين اللفظين بهذين الشيئين على سبيل الوضع ، وإذا كان لا يتم المقصود في آخر الأمر إلا بالرجوع إلى وضع اللغة ، فلِمَ لا نتمسك به في أول الأمر ، ونُرِيح أنفسنا من الخوض في هذه الكلمات ، وأيضاً فالتوراة والإنجيل اسمان أعجميان ، أحدهما بالعبرية ، والآخر بالسريانية [فقيل : التوراة بالعبرانية نور ، ومعناه الشريفة ، والإنجيل بالسريانية " إنكليون " ، ومعناه الإكليل] [فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بتطبيقها على أوزان لغة العرب ؟ فظهر أنَّ الأوْلَى بالعاقل أن لا يلتفتَ إلى هذه المباحث "].

قوله : " مِن قَبْلُ " متعلق بـ " أنْزَلَ " والمضاف إليه الظرف محذوف ؛ لفَهْم المعنى ، تقديره : من قبلك ، أو من قبل الكتاب ، و " الْكِتَاب " غلب على القرآن ، وهو - في الأصل - مصدر واقع موقع المفعول به ، [أي] المكتوب.

وذكر المنزل عليه في قوله : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ ، ولم يذكره في قوله : ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ تشريفاً لنبينا صلى الله عليه وسلم.

قوله : " هُدًى " فيه وجهان :

٢٠

أحدهما : أنه منصوب على المفعول من أجله ، والعامل فيه " أنْزَلَ " أي : أنزل هذين الكتابين لأجل هدايته.

وعلى هذا التقدير يكون قد وصف القرآن بأنه حق ، ووصف التوراة والإنجيل بأنهما هُدًى ، والوصفان متقاربان.

فإن قيل : لم وصف القرآن - في أول سورة البقرة - بأنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ٢] ، ولم يصفه هنا بذلك ؟ قيل : إنما وصفه - هناك - بذلك ؛ [لأن] المتقين هم المنتفعون به ، فهو هدى لهم لا لغيرهم وها هنا فالمناظرة كانت مع النصارى ، وهم لا يَهْتَدُونَ بالقرآن ، فلا جرم لم يقل هنا في القرآن إنه هدًى ، بل قال : إنه حق في نفسه - سواء قبلوه أو ردوه - وأما التوراة والإنجيل فهم يعتقدون صحتهما ، ويدعون أنهم إنما يعولون في دينهم عليهما ، فلا جرم ، وصفهما بكونهما هدى.

ويجوز أن يكون متعلقاً - من حيث المعنى - بـ " نَزَّلَ " و " أنْزَلَ " معاً ، وتكون المسألة من باب التنازع على إعمال الثاني والحذف من الأول ، تقديره : نزل عليك الكتاب له أي : للهدى ، فحذفه.

ويجوز أن يتعلق بالفعلين - معاً - تعلقاً صناعياً ، لا على وجه التنازع ، بل بمعنى أنه علة للفعلين معاً ،

كما تقول : أكرمت زيداً وضربت عمراً إكراماً لك ، يعني أن الإكرام علة الإكرام والضرب.

والثاني : أن ينتصب على الحال من التوراة والإنجيل.

ولم يُثَنَّ ؛ لأنه مصدر ، وفيه الأوجه المشهورة من حذف المضاف – أي ذَوَي هُدًى – أو على المبالغة – بأن جُعِلا نَفْسَ الهُدَى – أو على جعلهما بمعنى هاديَيْنِ.

وقيل : إنه حال من الكتاب والتوراة والإنجيل.

وقيل : حال من الإنجيل فقط ، وحذف مما قبله ؛ لدلالة هذا عليه.

وقال بعضهم : تَمَّ الكلام عند قوله تعالى : ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فيوقف عليه ، ويُبْتَدَأ بقوله : ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أي : وأنزل الفرقان هدًى للناس.

وهذا التقدير غير صحيح ؛ لأنه يُؤدي إلى تقديم المعمول على **حرف النسق** ، وهو ممتنع ؛ إذ لو قلت : قام زيدٌ مكتوفةٌ وضربتُ هِنْداً – تعني وضربت هنداً مكتوفةً – لم يصح ، فكذلك هذا.

قوله : " لِلناسِ " يحتمل أن يتعلق بنفس " هُدًى " لأن هذه المادة تتعدى باللام ، كقوله تعالى : ﴿يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء : ٩] وأن يتعلق بمحذوف ؛ لأنه صفة لـ " هُدًى ".

٢١

". (١)

"و ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يجوز أن تكون الجملةُ صفةٌ للنَّكِرَةِ قَبْلَهَا ، ويجوز أن تكونَ مستأنفةً.

وأخْبَرَ بلفظ الواحد " أمُّ " عن جمع " هُنَّ " إمَّا لأن المرادَ أن كل واحدةٍ منه أمٌّ ، وإمَّا لأن المجموعَ بمنزلة آية واحدةٍ ، كقوله : ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون : ٥٠] ، وإما لأنه مفرد واقع موقع الجمع ، كقوله : ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة : ٧].

وقوله : [الوافر] ١٣٢٢ – كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعِفُّوا

....

وقوله : [الطويل] ١٣٢٣ – بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى فَأمَّا عِظَامُهَا

فَبِيضٌ وَأمّا جِلدُهَا فَصَلِيبُ

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٨

وقال الأخفش : وَحَّد " أمُّ الْكِتَابِ " بالحكاية على تقدير الجواب ، كأنه قيل : ما أمُّ الكتاب ؟ فقال :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٦٦

هن أم الكتاب ، كما يقال : مَن نظيرُ زَيْدٍ ؟ فيقول قوم : نحن نظيره ، كأنهم حكوا ذلك اللفظ ، وهذا على قولهم : دعني من تمرتان ، أي : مما يُقَال له : تمرتان.

قال ابنُ الأنباري : " وهذا بعيد من الصواب في الآية ؛ لأن الإضمار لم يقم عليه دليل ، ولم تدع إليه حاجةٌ ".

وقيل : لأنه بمعنى أصْل الكتاب ، والأصْل يُوَحَّد.

قوله : " وأُخَر " نسق على " آيات " و " متشابهات " نعت لـ " أخر " ، وفي الحقيقة " أخر " نعت لمحذوف تقديره : وآيات أخر متشابهات.

قال أبو البقاء : فإن قيل : واحدة [متشابهات : متشابهة ، وواحدة أخر : أخرى ، والواحد هنا – لا يصح أن يُوصَف بهذا الواحد – ، فلا يقال : أخرى متشابهة] ، إلا أن يكون بعض الواحدة يشبه بعضاً ، وليس المعنى على ذلك ، إنما المعنى أن كل آية تشبه آيةٌ أخرى ، فكيف صح وصف هذا الجمع بهذا الجمع ولم يصح وصْف مفردِه بمفردِه ؟ قيل : التشابهُ لا يكون إلا بين اثنين فصاعداً ، فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل واحدٍ منها مشابهاً للآخر ، فلما لم يصح التشابه إلا في حالةِ الاجتماعِ وُصِفَ الجمعُ بالجمعِ ؛ لأن كل واحد منها يشابه باقيها ، فأما الواحد فلا يصح فيه هذا المعنى ، ونظيره قوله : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ﴾ [القصص : ١٥] فثنَّى الضمير ، وإن كان الواحد لا

٢٩

يقتتل ، يعني أنه ليس من شرط صحة الوصف في التثنية أو الجمع صحة انبساط مفردات الأوصاف على مفردات الموصوفات ، وإن كان الأصل ذلك كما أنه لا يُشترط في إسناد الفعل إلى المثنى والمجموع صحة إسناده إلى كل واحد على حدته ، وقريب من ذلك قوله : ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر : ٧٥] ، وقيل : ليس لِ " حَافينَ " مفرد ؛ لأنه ولو قيل : حافّ لم يَصِحّ ؛ إذ لا يتحقق الحفوف في واحد فقط ، إنما يتحقق بجمع يُحيطون بذلك الشيءِ المحفوفِ [وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى].

فصل اعلم أن القرآن الكريمَ كلَّه مُحْكَمٌ من دجهة الإحكام والإتقان والفصاحة وصحة المعاني ، وكونه كلاماً حقًّا ؛ لقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود : ١] ، وقوله : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس : ١] فهو أفضل من كل كلام يُوجَد في هذه المعاني ، ولا يمكن أحد أن يأتي بكلام يساويه فيها ، والعرب تقول في البناء الوثيق ، والعقد الوثيق الذي لا يمكن حَلُّه : مُحْكَم ، وكلُّه متشابه من حيث إنه يشبه بعضهُ بعضاً في الحُسن ، ويصدِّقُ بعضُهُ بعضاً ؛ لقوله تعالى : ﴿كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ﴾ [الزمر :

.[٢٣

وذكر في هذه الآيةِ أن بعضه مُحْكَمٌ ، وبعضه متشابه.

واختلف المفسّرون في المحكم – هنا – والمتشابه ، فقال ابنُ عباس : المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الانعام ، ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام : ١٥١] الآيات ، ونظيرها في بني إسرائيل ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا اْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٢٣].

وعنه أنه قال : المتشابهات : حروف التهجي في أوائل السور.

وقال مجاهد وعكرمة : المحكم : ما فيه الحلال والحرام ، وما سوى ذلك متشابه ، يشبه بعضه بعضاً في الحق ، ويصدق بعضه بعضاً ، كقوله : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وقوله : ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠].

وقال قتادة والضحاك والسُّديُّ : المحكم : الناسخ الذي يُعْمَل به ، والمتشابه : المنسوخ الذي لا يُعْمَل به ويؤمن به ، ورَوَى علي بن أبي طلحةَ عن ابن عباس قال :

٣٠

." (١)

"العامة على " شَهِدَ " فعلاً ماضياً ، مبنيًّا للفاعل ، ولفظ الجلالة رَفْع به.

وقرأ أبو الشعثاء : " شُهِدَ " مبنيًّا للمفعول ، ولفظ الجلالة قائِم مقام الفاعل ، وعلى هذه القراءة يكون " أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ " في محل رفع ؛ بدلاً من اسم " اللهُ " – بدل اشتمال ، تقديره : شُهِدَ وحدانيةُ الله – تعالى – وألوهيتهُ.

ولما كان المعنى على هذه القراءة كذلك أشكل عطف الملائكة ، وأولي العلم على لفظ الجلالة ، فخُرِّج ذلك على عدم العطف ، بل إما على الابتداء ، والخبر محذوف ؛ لدلالة الكلام عليه ، تقديره : والملائكة ، وأولو العلم يشهدون بذلك ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ ، وإما على الفاعلية بإضمار محذوف ، تقديره : وشَهِدَ الملائكةُ ،

٩١

وأولو العلم بذلك ، وهو قريب من قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [النور : ٣٦] ، في قراءة مَنْ بن١ه للمفعول.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٧١

وقوله : [الطويل] ١٣٦٧ - لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ

وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

وقرأ أبو المهلَّب : " شُهَدَاءَ اللهِ " جمعاً على فُعَلاَء - كظُرفاءَ - منصوباً ، ورُوِيَ عنه وعن أبي نُهَيْك كذلك إلا أنه مرفوع ، وفي كلتا القراءتين مضاف للفظ الجلالة ، فأما النصب فعلى الحال ، وصاحبها هو الضمير المستتر في " الْمُسْتَغْفِرِينَ ".

قال ابنُ جني ، وتبعه الزمخشريُّ ، وأبو البقاء : وأما الرفع فعلى إضمار مبتدأ ، أي : هم شهداءُ الله.

وشهداء : يُحْتَمل أن يكون جمع شاهد - كشاعر وشُعَراء - وأن يكون جمع شهيد كظريف وظُرفاء.

وقرأ أبو المهلب - أيضاً - : " شُهُداً الله " - بضم الشين والهاء والتنوين ونصب لفظ الجلالة وهو منصوب على الحال ؛ جمع شهيد - كنذير ونُذُر - واسم " الله " منصوب على التعظيم أي يشهدون الله ، أي : وحدانيته.

وروى النقاش أنه قرأ كذلك ، إلاّ أنه قال : برَفْع الدال ونصبها ، والإضافة للَفْظ الجلالة ، فالرفع والنصب على ما تقدم في " شُهَدَاءَ " ، وأما الإضافة ، فيحتمل أن تكون محضة ، بمعنى أنك عرفتهم إضافتهم إليه من غير تعرض لحدوث فعل ، كقولك : عباد الله ، وأن يكون من نصب كالقراءة قبلها فتكون غير محضة.
٩٢

ونقل الزمخشريُّ أنه قُرِئ " شُهَدَاء لله " جمعاً على فُعَلاَء ، وزيادة لام جر داخلة على اسم الله ، وفي الهمزة النصب والرفع ، وخرجهما على ما تقدم من الحال والخبر ، وعلى هذه القراءات كلها ففي رفع " الْمَلاَئِكَةِ " وما بعدها ثلاثة أوجه : أحدها : الابتداء ، والخبر محذوف.

والثاني : أنه فاعل بفعل مقدر.

الثالث : - ذكره الزمخشريُّ - وهو النسق على الضمير المستكن في " شَهِدَ اللهُ " ، قال : " وجاز ذلك لوقوع الفاصلِ بينهما ".

قوله : " أَنَّهُ " العامة على فَتح الهمزة ، وإنما فُتِحَت ؛ لأنها على حذف حرف الجر ، أي : شهد الله بأنه لا إله إلا هو ، فلما حذف الحرف جاز أن يكون محلها نصباً ، وأن يكون محلها جَرًّا.

وقرأ ابن عباس " إِنَّهُ " - بكسر الهمزة - وفيها تخريجان : أحدهما : إجراء " شَهِدَ " مُجْرَى القولن لأنه بمعناه ، وكذا وقع في التفسير : شهد الله اي : قال الله ، ويؤيدَه ما نقله المؤرّجُ من أن " شَهِد " بمعنى " قال " لغة قيس بن عيلان.

الثاني : أنها جملة اعتراض – بين العامل – وهو شَهِد – وبين معموله – وهو قوله : إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ " ، وجاز ذلك لِما في هذه الجملةِ من التأكيد ، وتقوية المعنى وهذا إنما يتجه على قراءة فتح " أنَّ " من " أنَّ الدِّينَ " ، وأما على قراءة الكسر فلا يجوز ، فتعيَّنَ الوجهُ الأول.

والضمير في " أنَّهُ " يحتمل العود على الباري ؛ لتقدم ذكره ، ويحتمل أن يكون ضميرَ الأمر ، ويؤيِّدُ ذلك قراءةُ عبد الله : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ف " أنْ " مخفَّفة في هذه القراءة ، والمخففة لا تعمل إلا في ضمير الشأن – ويُحْذَف حينئذ – ولا تعمل في غيره إلا ضرورة [وأدغم أبو عمرو بخلاف عنه واو هُوَ في واو النسق بعدها ، وقد تقدم تحقيق هذه المسألة عند قوله : " هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَه "].

فصل قال سعيدُ بنُ جُبَيْر : كان حَوْلَ البيت ثلاثمائةٍ وستون صَنَماً ، فلما نزلت هذه الآية خَرَرْنَ سُجَّداً.

٩٣

". (١)

"بالوعيد على أن يصير الباطنُ موافقاً للظاهر – في وقت التقية – ؛ لئلا يجرَّه ذلك الظاهرُ إلى الموالاةِ في الباطن ، فبيَّن – تعالى – أن علمه بالظاهر كعِلْمِه بالباطن.

فإن قيل : قوله : ﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ﴾ شرط ، وقوله : ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ جزاء ، ولا شك أن الجزاء مترتِّب على الشرط ، متأخِّرٌ عنه ، فهذا يقتضي حدوثَ علمِ اللهِ تعالى.

فالجوابُ : أن تعلق علم الله بأنه حصل الآن لا يحصل إلا عند حصوله الآن ، وهذا التجدُّد إنما يعرض في النِّسَب ، والإضافات ، والتعلُّقات ، لا في حقيقة العلم.

فإن قيل : إن محل البواعثِ والضمائر هو القلب ، فلم قال : ﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ولم يَقُلْ : ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ؟ فالجوابُ : لأن القلبَ في الصدر ، فجاز إقامة الصدر مقام القلب ، كما قال : ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس : ٥].

فصل قوله : ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم ، من مودة الكفار وموالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾.

وقال الكلبيُّ : إن تُسرُّوا ما في قلوبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من التكذيب ، أو تُظْهِرُوه ، لحَرْبِهِ وقتاله يعلَمه الله ، ويجازكم عليه.

قوله : " وَيَعْلَمُ " مستأنف ، وليس منسوقاً على جواب الشرطِ ؛ لأن علمه بما في السموات وما في الأرض

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٠٠٤

غير متوقِّف على شرط ، فلذلك جِيء مستأنفاً ، وقوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من باب ذكر العام بعد الخاص.

﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ، وقدَّم - هنا - الإِخْفَاءَ على الإبداء وجعل محلهما الصدور ، بخلاف آية البقرةِ - فإنه قدَّم فيها الإبداء على الإخفاء ، وجعل محلهما النفس ، وجعل جواب الشرطِ المحاسبة ؛ تفنُّناً في البلاغة ، وذكر ذلك للتحذير ؛ لأنه إذا كان لا يخفى عليه شيء فكيف يَخْفَى عليه الضميرُ ؟ قوله : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهو تمام التحذير ؛ لأنه إذا كان قادراً على جميع المقدورات كان - لا محالة - قادراً على إيصال حق كل أحد إليه ، فيكون هذا تمام الوعدِ ، والوعيد ، والترغيب ، والترهيب.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٤٦

أحدها : أنه منصوب بـ " قَدِيرٌ " ، أي : قدير في ذلك اليوم العظيم ، لا يقال : يلزم

١٤٧

من ذلك تقييد قدرته بزمان ؛ لأنه إذا قدر في ذلك اليوم الذي يُسْلَب فيه كلُّ أحدٍ قدرته ، فلأنْ يقدرَ في غيره بطريق الأولى.

وإلى هذا ذهب ابو بكر ابن الأنباري.

الثاني : أنه منصوب بـ " يُحَذِّرُكُمْ " ، أي : يخوفكم عقابه في ذلك اليوم ، وإلى هذا نحا أبو إسحاق ، ورجحه.

ولا يجوز أن ينتصب بـ " يُحَذِّرُكُمْ " المتأخرة.

قال ابن الأنباري : لا يجوز أن يكون اليوم منصوباً بـ " يُحَذِّرُكُمْ " المذكور في هذه الآية ؛ لأن واو النسق لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ".

وعلى ما ذكره أبو إسحاق يكون ما بين الظرفِ وناصبه معترضاً ، وهو كلامٌ طويلٌ ، والفصل بمثله مستبعد ، هذا من جهة الصناعة ، وأما من جهة المعنى ، فلا يصح ؛ لأن التخويف لم يقع في ذلك اليوم ؛ لأنه ليس زمانَ تكليف ؛ لأن التخويف موجود ، واليوم موعود ، فكيف يتلاقيان ؟ قال : أن يكون منصوباً بالمصير ، والتقدير : وإلى الله المصير يومَ تَجِدُ ، وإليه نحا الزّجّاجُ - أيضاً - وابن الأنباري ومكيٌّ ، وغيرُهم ، وهذا ضعيف على قواعد البصريين ؛ للزوم الفصل بين المصدر ومعموله بكلامٍ طويلٍ.

وقد يقال : إن جُمَل الاعتراضِ لا يُبَالَى بها في الفصل ، وهذا من ذاك.

الرابع : أن يكون منصوباً بـ " اذكر " مقدراً ، فيكون مفعولاً به لا ظرفاً ، وقدر الطبريُّ الناصب له " اتَّقُوا

" ، وفي التقدير ما فيه من كونه على خلاف الأصلِ ، مع الاستغناء عنه.
الخامس : أن العامل فيه ذلك المضاف المقدر قبل " نفسه " ، أي : يحذركم اللهُ عقاب نفسه يوم تجد ، فالعامل فيه " عقاب " لا " يحذركم " قاله أبو البقاء ، وفي قوله : " لا يُحَذِّرُكُمْ " فرار عما أورد على أبي إسحاقَ كما تقدم.
السادس : أنه منصوب بـ " تَوَدُّ ".
قال الزمخشريُّ : " يَوْمَ تَجِدُ " منصوب بـ " تَوَدُّ " والضمير في " بينه " لليوم ، أي : يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها تتمنى لو أن بينها ، وبين ذلك اليوم ، وهَوْله أمداً بعيداً ".
وهذا ظاهر حسنٌ ، ولكن في هذه المسألة خلافٌ ضعيف ؛ جمهور البصريين والكوفيين على جوازها ، وذهب الأخفشُ الفرّاءُ إلى مَنْعِهَا.
وضابط هذه المسألة أنه إذا كان الفاعلُ ضميراً عائداً إلى شيء مُتَّصِلٍ بمعمولِ الفعلِ نحو : ثَوْبَيْ أخَوْيك يلبسان ، فالفاعل هو الألف ، وهو ضمير عائد على " أخويك " المتصلين بمفعول " يلبسان " ومثله : غلام هندٍ ضربَتْ ، ففاعل " ضربت " ضمير عائد على " هند " المتصلة بـ " غلام " المنصوب بـ " ضربت " والآية من هذا القبيل ؛ فإن فاعل " تَوَدُّ "
١٤٧
." (١)

"ونقل الزمخشريُّ : قراءة يحبكم - بفتح الياء والإدغام - وهو ظاهر ، لأنه متى سكن المثلين جَزْماً ، أو وقْفاً جاز فيه لغتان : الفك والإدغام.
وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله في المائدة.
والحُبّ : الخَابِيَة - فارسيّ مُعَرَّب - والجمع : حِباب وحِبَبَة ، حكاه الجوهريُّ.
وقرأ الجمهور " فَاتَّبِعُونِي " بتخفيف النون ، وهي للوقاية.
وقرأ الزُّهري بتشديدها ، وخُرِّجَتُ على أنه ألحق الفعل نون التأكيد ، وأدغمها في نون الوقاية وكان ينبغي له أن يحذف واوَ الضمير ؛ لالتقاء الساكنين ، إلا أنه شبَّه ذلك بقوله : ﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾ وهو توجيه ضعيف ولكن هو يصلح لتخريج هذا الشذوذ.
وطعن الزجاجُ على من روى عن أبي عمرو إدغام الراء من " يغفر " في لام " لكم ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٣٢

وقال : هو خطأ وغلط على أبي عمرو.
وقد تقدم تحقيقه ، وأنه لا خطأ ولا غلط ، بل هو لغة للعرب ، نقلها الناس ، وإن كان البصريون ل ا يُجِيزون ذلك كما يقول الزجاج.
فصل اعلم أنه – تعالى – لما دعاهم إلى الإيمان به وبرسولِه على سبيل التهديدِ والوعيد دعاهم إلى ذلك بطريق آخرَ ، وهو أن اليهود كانوا يقولون : ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة : ١٨] فنزلت هذه الآية.
وروي الضحاك – عن ابن عباس – أن النبي وقف على قريش – وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها السيوف.
– فقال : يا معشر قريش ، والله لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم ، فقالت قريش : إنما نعبدها حباً لله : ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، فقال الله – تعالى – : " قل " يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ فتعبدون الأصنام لتقربكم إليه ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فأنا رسولُه إليكم ، وحجتُه عليكم أي اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله.
وقال القرطبي : " نزلت في وفد نجرانَ ؛ إذْ زعموا أنّ ما ادَّعَوْه في عيسى حُبٌّ لله عز وجل ".
وروي أن المسلمين قالوا : يا رسول الله ، والله إنا لنحب رَبَّنا ، فأنزل الله – عز وجل – ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران : ٣١].
١٥٧
قال ابن عرفة : المحبة – عند العرب – إرادة الشيء على قَصْدٍ له.
وقال الأزهري : محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما ، واتباعه أمرهما ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران : ٣١] [ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران ، قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران : ٣٢] ، أي : لا يغفر لهم].
قال سهل بن عبد الله : علامة حُبُّ الله حُبَّ القرآن ، وعلامة حب القرآن حبُّ النبي ، وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ، وعلامة حب السنة ، حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة ، أن لا يحب نفسه ، وعلامة أن لا يحب نفسه أن يبغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا الزاد والبُلْغَة.
قوله : ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية قيل : إنه لما نزلت هذه الآية ، قال عبد الله بن أبي لأصحابه : إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله ، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارَى عيسى – عليه السلام – فنزل

قوله : ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ﴾ أعرَضوا عنها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ لا يَرْضَى فعلَهم ولا يغفر لهم.

والمعنى : إنما أوجب الله عليكم طاعتي ، ومتابعتي – لا كما تقول النصارى في عيسى ، [بل لكوني رسولاً من عند الله].

قوله : ﴿فإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون مضارعاً ، والأصل " تَتَوَلُّوْا " فحذف إحدى التاءين كما تقدم ، وعلى هذا ، فالكلام جارٍ **على نسق واحدٍ** ، وهو الخطاب.

والثاني : أن يكون فعلاً ماضياص مسنداً لضمير غيب ، فيجوز أن يكون من باب الالتفاتِ ، ويكون المراد بالغُيَّبِ المخاطبين في المعنى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس : ٢٢].

فصل روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كُلُّ أمتي يدخلونَ الجنة إلا مَنْ أبَى "

١٥٨

". (١)

"فيه ، وآذَوْهُ إلى أن برأه اللهُ مما قالوا ، ولم يقدح ذلك في وجاهته ، فكذا هنا.

قوله : ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ قيل "كان هذا مَدْحاً عظيماً للملائكة ؛ لأنه ألْحَقَه بمثل مَنْزِلَتِهِمْ ، وهو دليل لمن جعل الملائكة أفضل.

وقيل : معناه : سيُرْفَع إلى السماء بمصاحبة الْمَلاَئِكَةِ.

وقيل : ليس كل وجيه في الآخرة يكون مُقَرَّباً ؛ لأن أهل الجنة تتفاوت درجاتُهم.

وقوله : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ الواو للعطف على قوله : " وَجِيهًا " ، والتقدير : وجيهاً ومُكَلَّماً.

قال ابن الخطيب : وهذا عندي ضعيفٌ ؛ لأن عطف الجملة الفعلية على الاسمية غير جائز إلا لضرورة [أو لفائدة] ، والأوْلَى أن يُقال : تقدير الآيةِ : إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، الوجيه في الدنيا والآخرة ، المعدود من المقرَّبينَ ، وهذا المجموع جملة واحدة ، ثم قال : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾.

فقوله : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ عطف على قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾.

وأجيب بأن هذا خطأ ؛ لأنه إن أراد العطف على جملة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ فهي جملة اسمية فقد عطف

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٠٣٧

الفعلية على الاسمية ، فوقع فيما فَرَّ منه.

وإن أراد العطفَ على " يُبَشِّرُكِ " فهو خطأ ؛ لأن المعطوف على الخبر خبر – و " يُبَشِّرُكِ " خبر – فيصير التقدير : إن الله يكلم الناسَ في المهدِ ، والصواب ما قالوه من كونه حالاً ، وأن الجملة الحالية إذا كانت فعلاً فهي مقدرة بالاسم ، فجاز العطف.

قوله : ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ يجوز فيه وَجْهَان : أظهرهما : أنه متعلق بمحذوف ؛ على أنه حال من الضمير في ﴿وَيُكَلِّمُ﴾ أي : يكلمهم صَغِيراً ، و "كَهْلاً " على **هذا نسق على** هذه الحال المؤوَّلة فعلى هذا تكون خمسة أحوال.

والثاني : أنه ظرف لـ " يُكَلِّمُ "كسائر المنفصلات ، و "كَهلاً " على **هذا نَسَق على** " وَجِيهاً " فعلى هذا يكون خَمْسَةَ أحْوَالٍ.

والكهل : هو مَنْ بلغ سِنَّ الكُهُولة ، وأولها ثلاثون.

وقيل : اثنان وثلاثون.

وقيل : ثلاث وثلاثون.

وقيل : أربعون.

وآخرها : خمسون.

وقيل : ستون.

ثم يدخل في سن الشَّيْخُوخَةِ.

واشتقاقه من : اكتهل النبات – إذا علا وارتفع – ومنه الكاهل.

٢٣٠

وقال صاحبُ المُجْمَلِ : " أكهل الرجل : وَخَطَهُ الشَّيْبُ ".

فصل كلامه – عليه السلام – في المَهْد هو قوله : ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾ [مريم : ٣٠ – ٣٣].

وحكي عن مجاهدٍ قال : قالت مريم : كنت إذا خلوتُ أنا وعيسى حدّثني وحدّثته ، فإذا شغلني عنه إنسان كان يُسَبِّحُ في بطني وأنا أسمعُ.

فصل ذكر القرطبيُّ في تفسيره عن ابن أبي شيبةَ بسنده ، قال : " لم يتكلمْ في الْمَهْدِ إلا ثلاثة : عيسى

ابن مريم ، وصاحب يوسف ، وصاحب جُرَيْج ".
[وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج وصاحب الجبار "].
وقال الضَّحَّاكُ : " تكلم في المهد ستة شاهد يوسف ، وصبيّ ماشطة امرأة فرعون ، وعيسى ، ويحيى ، وصاحب جريج " ولم يذكر صاحب الأخدود ، فأسقط صاحب الأخدود ، وبه يكون المتكلمون سبعةً.
قال القرطبيُّ : " ولا معارضة بين هذا وبين قوله – عليه السلام – : " لَمْ يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إلاَّ ثَلاَثَةٌ " بالحصر – فإنه أخبر بما كان في علمه مما أوحِي إليه في تلك الحالِ ، ثم بعد هذا أعلمه اله – تعالى – بما شاء من ذلك ، فأخْبَرَ به.
والمهدُ : ما يُهُيَّأُ للصَّبِيِّ أن يربى فيه ، من مَهَّدت له المكان – أي : وطَّأته وليَّنته له – وفيه احتمالانِ : أحدهما يُحتمل أن يكون أصله المصدر ، فسُمِّي به المكانُ ، ويحتمل أن يكون بنفسه اسم مَكان غير مصدر.
وقد قرئ : مَهْداً ومِهَاداً في طه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.
قال ابن الخطيب [قوله : وكهلاً يدل على أنه يكلم الناس بعد الكهولة ، وذلك بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان.
قال الحسين بن الفضل : في الآية نص على نزوله إلى الأرض وقد] أنكرت النصارَى كلامَ المسيح – عليه السلام – في المَهْد ، واحتجوا – على صحة قولهم بأن كلامه من أعْجب الأمور وأغربها ، ولا شك أن هذه الواقعةَ لو وقعت لوجب أن يكون وقوعُها
٢٣١
." (١)

"وقرأ الزهري ومجاهد وأبو السّمّال وأيوب السختياني " تَذْخَرُونَ " – بسكون الذَّال المعجمة ، وفَتح الخاء جاءوا به مجرداً على فَعَل ، يقال : ذَخَرته – أي : خبَّأته.
ومن العرب من يقلب تاء الافتعال – في هذا النحو – ذالاً معجمة ، فيقول : اذَّخَر يذخِر – بذال معجمة مشددة ، ومثله اذَّكَر فهو مذّكر.
وسيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٧٣

قال أبو البقاء : والأصل في " تَدَّخِرُونَ " تَذتَخِرون ، إلاَّ أنَّ الذالَ مجهورة ، والتاء مهموسة ، فلم يجتمعا ، فأبدلت التاء دالاً ؛ لأنها من مَخْرَجِها ؛ لتقرب من الذال ، ثم أبدِلت الذال دالاً ، وأدغمت.

و " في بيوتكم " متعلق بـ " تَدَّخِرُونَ ".

فصل في الآية قولان : أحدهما : قال السُّديُّ : كان عيسى عليه السلام في الكتّاب يُحَدِّثُ الغِلْمَانَ بما يصنع آباؤهم ، ويقول للغلام : انطلق فقد أكل أهلُك كذا وكذا ، ورفعوا لك كذا وكذا ، فينطلق الصبيّ إلى أهله ، ويبكي لهم ، حتى يعطوه ذلك الشيءَ ، فيقولون مَنْ أخبرَك بهذا ؟ فيقول : عيسى ، فحبسوا صبيانَهُمْ عنه ، وقالوا : لا تلعبوا مع هذا الساحر ، فجمعوهم في بيتٍ فجاء عيسى ، وطلبهم ، فقالوا : ليسوا هاهنا.

فقال : ما في هذا البيت قالوا : خنازير ، قال عيسى : كذلك يكونون ، ففتحوا عليهم فإذا هم خنازير ، ففشا ذلك في بني إسرائيل ، فهمت به بنو إسرائيل ، فلما خافت عليه أمُّه ، حملته على حمارٍ لها ، وخرجت هاربةً به إلى مصر.

قال قتادةُ : إنما كان هذا في المائدةِ ، وكان خواناً ينزل عليهم أينما كانوا كالمَنِّ والسَّلْوَى وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبئوا لغد ، فخانوا وخبّأوا ، فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة وبما ادَّخروا ، فمسخهم اللهُ خنازيرَ.

وقال القرطبيُّ : إنه لمَّا أحيا لهم الموتى طلبوا منه آيةً أخرى ، وقالوا : أخبرنا بما نأكل في بيوتنا ، وبما ندخر للغد ، فأخبرهم ، فقال : يا فلان ، أكلتَ كذا وكذا ، وادَّخرت كذا وكذا ، وأنت يا فلان ، أكلت كذا وكذا وادَّخرت كذا وكذا.

فصل اعلم أن الإخبار عن الغيب على هذا الوجه معجزة ؛ وذلك لان المنجِّمين الذين

٢٥٠

يدعون استخراج الجنيِّ لا يُمكنهم ذلك إلا عن تقدم سؤال يستعينون عند ذلك بآلة ، ويتوصَّلون بها إلى معرفة أحوال الكواكبِ ، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً ، فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة ولا تقدم مسألة فلا يكون إلا بوحي من الله تعالى.

قوله : ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ إشارة غلى جميع ما تقدم من الخوارق ، وأشِير إليها بلفظ الإفْرادِ - وإن كانت جمعاً في المعنى - بتأويل ما ذُكِر.

وقد تقدم أن مصحفَ عبدِ الله وقراءته " لآياتٍ " - بالجمع ؛ مراعاةً لما ذكرنا من معنى الجمع ، وهذه

الجملة يُحْتَمَل أن تكون من كلام عيسى ، وأن تكون من كلام الله تعالى.

قوله : ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُ ؤْمِنِينَ﴾ جوابه محذوف ، أي : إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية ، وتدبَّرتموها.

وقدر بعضهم صفةً محذوفةً لـ " آية " أي : لآية نافعة.

قال ابو حيّان : " حتى يتَّجه التعلُّق بهذا الشرط " وفيه نظر ؛ إذْ يَصِحّ التعلُّق بالشرط دون تقدير هذه الصفة.

قوله : **﴿مُصَدِّقًا﴾ نَسَقٌ على** محل بآيةٍ ، لأن محل " بآيَةٍ " في محل نصبٍ على الحالِ ؛ إذ التقدير وجئتكم متلبساً بآيةٍ ومصدقاً.

وقال الفراء والزَّجَّاجُ : نصب " مُصَدِّقاً " على الحال ، المعنى : وجئتكم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ ، وجاز إضمار " جئتكم " ، لدلالة أول الكلام عليه – وهو قوله : ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ – ومثله في الكلام : جئته بما يُحِبُّ ومُكْرِماً له.

قال الفراء : " ولا يجوز أن يكون " مُصَدِّقاً " معطوفاً على " وَجِيهاً " ؛ لأنه لو كان كذلك لقال : أو مصدقاً لما بين يديه ، يءني : أنه لو كان معطوفاً عليه ؛ لأتى معه بضمير الغيبة ، لا بضمير التكلُّم ".

وذكر غير الفرّاء ، ومنع – أيضاً – أن يكون منسوقاً على " رَسُولاً " قال : لأنه لو كان مردوداً عليه لقال : ومصدقاً لما بين يديك ؛ لأنه خاطب بذلك مريم ، أو قال : بين يديه.

يعني أنه لو كان معطوفاً على " رَسُولاً " لكان ينبغي أن يُؤْتَى بضمير الخطاب ؛ مراعاةً لمريم ، أو بضمير الخطاب مراعاةً للاسم الظاهر.

قال أبو حيّان : وقد ذكرنا أنه يجوز في " رَسُولاً " أن يكون منصوباً بإضمار فعل – أي : وأرسلت رسولاً – فعلى هذا التقدير يكون " مُصَدِّقاً " معطوفاً على " رَسُولاً ".

قوله : ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أنه حال من " ما " الموصولة ، أي : الذي بين يدي حال كونه من التوراةِ ، فالعامل فيه مصدقاً لأنه عامل في صاحب الحالِ.

الثاني : أنه حال من الضمير المُسْتَتِرِ في الظرف الواقع صِلَة ً.

والعامل فيه الاستقرارُ المُضْمَرُ في الظرف أو نفس الظرف ؛ لقيامه مقامَ الفعل.

٢٥١

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٨٣

"الثاني : أن يكون الخبر مُضْمَراً ، تقديره : وما من إله لنا إلا الله ، و ﴿إِلاَّ اللَّهُ﴾ بدل من موضع ﴿مِنْ إِلَاهٍ﴾ ، لأن موضعه رفع بالابتداء ، ولا يجوز في مثله الإبدالُ من اللفظ ، لِئَلاّ يلزم زيادة " مِنْ " في الواجب ، وذلك لا يجوز عند الجمهور.

ويجوز في مثل هذا التركيب نصب ما بعد " إلاَّ " على الاستثناء ، ولكن لم يُقرأ به ، إلا أنَّه جائز لُغَةً أنْ يُقَالَ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ – برفع لفظ الجلالة بدلاً من الموضع ، ونصبها على الاستثناء من الضمير المستكن في الخبر المقدر ؛ إذ التقدير : لا إله استقر لنا إلا الله.

وقال بَعْضُهُم : دخلت " مِنْ " لإفادة تأكيد النفي ؛ لأنك لو قلتَ : ما عندي من الناس أحد ، أفاد أن عندك بعض الناس.

فإذا قلتَ : ما عندي من الناس من أحدٍ ، أفاد أن ليس عندك بعضهم وإذا لم يكن عندك بعضهم فبأن لا يكون عندك كلهم أوْلَى ، فثبت أن قوله : ﴿وَمَا مِنْ إِلَاهٍ إِلاَّ اللَّهُ﴾ مبالغة في أنه لا إله إلا الله الواحدُ الحقُّ.

قوله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ كقوله : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ وفيه إشارةٌ إلى الجواب عن شبهات النَّصَارَى ، لأن اعتمادَهم على أمرين : أحدهما : أنه قدر على إحياء الموتَى وإبراء الأكْمَهِ والأبْرَصِ ، فكأنه – تعالى – قال : هذا القدر من القدرة لا يكفي في الإلهية ، بل لا بُدَّ وأن يكون عزيزاً ، غالباً ، لا يدفع ، ولا يمنع ، وأنتم اعترفتم بأن عيسى – عليه السلام – ما كان كذلك ، بل قلتم : إنّ اليهودَ قتلوه.

والثاني : أنهم قالوا : إنه كان يُخبر عن الغيوب وغيرها ، فكأنه – تعالى – قال : هذا القدرُ من العلم لا يكفي في الإلهية ، بل لا بد وأن يكون حَكِيماً ، أي : عالماً بجميع المعلومات ، وبجميع عواقب الأمورِ.

فَذِكرُ العزيز الحكيم – هاهنا – إشارةٌ إلى الجواب عن هاتَيْنِ الشبهتين ، ونظير هذه الآية ما ذكر تعالى في أول السورة من قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لاَ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران : ٦].

وقوله : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يجوز أن يكون مضارعاً – حُذِفَتْ منه إحدى التاءَين ، تخفيفاً – على حَدِّ قراءة : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ﴾ [القدر : ٤] و ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٢] – ويؤيد **هذا نسق الكلام** ، ونظمُه في خطاب من تقدم في قوله : ﴿تَعَالَوْا﴾ ثم جرى معهم في الخطاب إلى أن قال لهم : فَإن تولّوا.

قال ابو البقاء : " ويجوز أن يكون مستقبلاً ، تقديره : تتولوا – ذكره النَّحَّاسُ – وهو ضعيفٌ ؛ لأن حَرْفَ الْمُضَارَعَةِ لا يُحْذَف ".

قال شهاب الدين : " وهذا ليس بشيء ؛ لأن حرف المضارعة يُحْذَف – في هذا النحو – من غير

خِلافٍ.
وسيأتي من ذلك طائفة كثيرة ".
٢٩٣
وقد أجمعوا على الحذف في قوله : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر : ٤].
ويجوز أن يكون ماضياً ، أي : فإن تَوَلَّى وَفْدُ نجرانَ المطلوب مباهلتهم ، ويكون - على ذلك - في الكلام التفات ؛ إذْ فيه انتقال من خطابٍ إلى غيبةٍ.
قوله : ﴿بِالْمُفْسِدِينَ﴾ من وقوع الظاهر موقعَ المُضْمَرِ ، تنبيهاً على العلة المقتضية للجزاءِ ، وكان الأصل : فإن الله عليم بكم - على الأول - وبهم - على الثاني.
فصل ومعنى الآية : فإن تولوا عما وَصَفْتَ لهم من أنه الواحد ، وأنه يجب أن يكون عزيزاً غالباً ، قادراً على جميع المقدوراتِ ، حكيماً ، عالماً بالعواقب - مع أن عيسى ما كان كذلك - فاعلم أن تولّيهم وإعراضَهم ليس إلاَّ على سبيل العِنَادِ ، فاقطع كلامَك عَنْهُم ، وفَوِّضْ أمرك إلى اللهِ ؛ فإنه عليم بالمفسدين الذين يعبدون غيرَ اللهِ ، مُطَّلِع على ما في قلوبهم من الأغراض الفاسدة ، قادرٌ على مجازاتهم.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٩١
قوله : ﴿إِلَى كَلَمَةٍ﴾ مُتَعَلِّق بـ " تَعَالَوْا " فذكر مفعول " تَعَالَوْا " قبلها ، فإنه لم يذكر مفعوله ؛ فإن المقصودَ مُجَرَّدُ الإقبال ، ويجوز أن يكون حذفه للدلالة عليه ، تقديره : تعالوا إلى المباهلة.
وقرأ العامة " كَلِمَةٍ " - بفتح الكاف وكسر اللام - وهو الأصل ، وقرأ أبو السَّمَّال " كِلْمَةٍ " بوزن سدرة و " كَلْمَةٍ " كَضَرْبَة وتقدم هذا قريباً.
وكلمة مفسَّرة بما بعدها - من قوله : " ألاَّ نَعْبُدَ إلاَّ الله " - فالمرادُ بها كَلاَمٌ كَثِيرٌ ، وهَذا مِنْ بَابَ إطلاق الجزء والمراد به الكل ، ومنه تسميتهم القصيدة جميعاً قافيةً - والقافية جزء منها قال : [الوافر] ١٤٩٦ -
أعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ
فَلَمَّا اشتدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي
فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي
ويقولون كلمة الشهادة - يعنون : لا إله إلا الله ، مُحَمدٌ رَسُولُ اللهِ - وقال صلى الله عليه وسلم : " أصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شاعرٌ كلمة لبيدٍ ".

يريد : [الطويل] ١٤٩٧ – ألا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ

". (١)

"النصرانية التي جاء بها عيسى – فإنَّ أديانَ الأنبياء كلَّها لا يجوز أن تكون مختلفة في الأصول ، وإن أردتم به الموافقةَ في الفروع لزم أن لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب شرع ألبتة ، بل كان مقرِّراص لدين غيره ، وأيضاً فمن المعلوم بالضرورة أن التعبُّد بالقرآن ما كان موجوداً في زمان إبراهيمَ ، وتلاوة القرآن مشروعة في صلاتنا ، وغير مشروعة في صلاتهم.

فالجوابُ : أنه يجوز أن يكون المراد به الموافقة في الأصولِ والغرض منه بيانُ أنه ما كان موافقاً في أصول الدين لمذهب هؤلاءِ الذين هُمُ اليهود والنصارى في زماننا هذا.

ويجوز أن يقالَ : المراد به الموافقة في الفروع ، وذلك لأن اللهَ نسخ تلك الشرائعَ بشرع موسى ، ثم زمان محمد صلى الله عليه وسلم نسخ شرع موسى بتلك الشرائع التي كانت ثابتةً في زمان إبراهيم عليه السلامُ – وعلى هذا التقدير يكون – عليه السلامُ – صاحب الشريعة ، ثم لمَّا كان غالب شرع محمد صلى الله عليه وسلم موافقاً لشرع إبراهيم ، جاز إطلاق الموافقة عليه ، ولو وقعت المخالفةُ في القليل لم يقدَحْ ذلك في حصول الموافقة.

قوله : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ ، " إبْراهِيم " متعلِّق به " أوْلَى " و " أوْلَى " أفعل تفضيل ، من الولي ، وهو القُرْب ، والمعنى : إنَّ أقْرَبَ الناسِ به ، وأخصهم ، فألفه منقلبة عن ياء ، لكون فائه واواً ، قال أبو البقاء : وألفه منقلبة عن ياء ، لأن فاءَه واوٌ ، فلا تكون لامه واواً ؛ إذ ليس في الكلام ما فاؤه ولامه واوان إلا واو – يعني اسم حرف التهجِّي – كالوسط من قول – أو اسم حرف المعنى – **كواو النسق –** ولأهل التصريفِ خلاف في عينه ، هل هي واو – أيضاً – أو ياء.

﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ خبر " إن " و ﴿وَهَاذَا **النَّبِيُّ﴾ نَسَق على** الموصول ، وكذلك : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنون – رضي الله عنهم – وإن كانوا داخلين فيمن اتبع إبراهيمَ إلا أنهم خُصُّوا بالذِّكْر ؛ تشريفاً ، وتكريماً ، فهو من باب قوله تعالى : ﴿وَمَلا ائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة : ٩٨].

حكى الزمخشريُّ أنه قُرِئَ : ﴿وَهَاذَا النَّبِيِّ﴾ – بالنصب والجر – فالنصب نَسَقاً على مفعول ﴿اتَّبَعُوهُ﴾

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٠٨

فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد اتَّبَعه غيرُه - كما اتبع إبراهيمَ - والتقدير : للذين اتبعوا إبراهيمَ وهذا النبيَّ ، ويكون قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ نَسَقاً على قوله : ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾.

والجر نَسَقاً على " إِبْرَاهِيمَ " أي : إن أوْلَى الناسِ بإبراهيمَ وبهذا النبي ، لَلَّذِينَ اتَّبَعُوه ، وفيه نظرٌ من حيث إنه كان ينبغي أن يُثَنَّى الضميرُ في " اتَّبَعُوهُ " فيُقَال : اتبعوهما ، اللهم إلا

٣٠٧

". (١)

"التقديرين - وهو كونها لتأسيس النفي فقد ظهر صحةُ كلام الطبريِّ بكلام الزمخشريِّ ، وظهر أن رَدَّ ابنِ عطيةَ عليه مردودٌ ".

وقد رجح الناس قراءةَ الرفعِ على النصبِ.

قال سيبويه : ولا يأمركم منقطعة مما قبلها ؛ لأن المعنى ولا يأمركم الله.

قال الواحدي : ومما يدل على انقطاعها من النسق ، وأنها مُسْتأنفة ، فلما وقعت " لا " موقع " لن " رفعت كما قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة : ١١٩] وفي قراءة ، عبد الله : ولن تُسْأل.

قال الزمخشريُّ : والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر ، ويعضدُهَا قراءةُ عبد الله : " ولَنْ يَأمُرَكم " وقد تقدم أن الضمير في " يَأمُرُكُمْ " يجوز أن يعود على " الله " وأن يعود على البشر الموصوف بما تقدم والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم أو أعم من ذلك.

وسواء قرئ برفع ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ﴾ و بنصبه إذا جعلناه معطوفاً على " يَقُولَ " فإن الضمير يعود على " بشر " لا غير ، [ويؤيد هذا قولُ بعضهم : ووجه القراءة بالنصب أن يكون معطوفاً على الفعل المنصوب قبله ، فيكون الضمير المرفوع لِ " بشر " لا غير يعني بما قبله " ثُمَّ يَقُولَ ".

ولما ذكر سيبويه قراءة الرفع جعل الضمير عائداً على " الله " تعالى ولم يذكر غير ذلك ، فيحتمل أن يكون هو الأظهر عنده ، ويُحْتَمَل أنه لا يجوز غيرُه ، والأول أوْلَى.

قال بعضهم : وفي الضمير المنصوب في " يَأمُرُكُمْ " - على كلتا القراءتين - خروج من الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات ، فكأنه توهم أنه لما تقدم في قوله ذكر النافي - في قوله : ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾ كان ينبغي أن يكون النظم ولا يأمرهم ؛ جرياً على ما تقدم ، وليس كذلك ، بل هذا ابتداء خطابٍ ، لا التفات

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١١٦

فيه.

قوله : ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ﴾ الهمزة للاستفهام بمعنى الإنكار ، يعني أنه لا يفعل ذلك.

قوله : ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ " بَعْدَ " متعلق بـ " يَأْمُرُكُمْ " وبعد ظرف زمان مضاف لظرف زمان ماضٍ وقد تقدّم أنه لا يضافُ إليه إلا الزمان ، نحو حينئذٍ ويومئذٍ.

و ﴿أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ في محل خفض بالإضافة ؛ لأن " إذْ " تضاف إلى الجملة مطلقاً.

قال الزمخشريُّ : " بَعْدَ إذ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " دليلٌ على أن المخاطبين كانوا مسلمين ، وهم الذين استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يَسْجُدُوا له.

٣٥٣

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤٤

العامل في " إذْ " وجوه : أحدها : " اذكر " إن كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني : " اذكروا " إن كان الخطاب لأهل الكتابِ.

الثالث : اصطفى ، فيكون معطوفاً على " إذْ " المتقدمة قبلها ، وفيه بُعْدٌ ؛ بل امتناع ؛ لبُعْده.

الرابع : أن العامل فيه " قَالَ " في قوله : ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ وهو واضح.

وميثاق ، يجوز أن يكون مضافاً لفاعله ، أو لمفعوله ، وفي مصحف أبيّ وعبد الله وقراءتهما : ﴿مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران : ١٨٧].

وعن مجاهد ، وقال : أخطأ الكاتب.

قال شهابُ الدين : " وهذا خطأٌ من قائله - كائناً مَنْ كان - ولا أظنه عن مجاهد ؛ فإنه قرأ عليه مثل ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء ، ولم يَنْقُلْ عنه واحدٌ منهما شيئاً مِنْ ذلك ".

والمعنى على القراءة الشهيرة صحيح ، وقد ذكروا فيها أوجهاً : أحدها : أن الكلام على ظاهرِ ، وأن الله تعالى - أخذ على الأنبياء مواثيق أنهم يُصَدِّقون بعضهم بعضاً وينصر بعضُهم بعضاً ، بمعنى : أنه يوصي قومه أن ينصروا ذلك النبي الذي يأتي بعده ، ولا يخذلوه وهذا قول سعيد بن جبيرٍ والحسن وطاووس.

وقيل هذا الميثاقُ مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا مرويٌّ عن عليٍّ وابن عباس وقتادةَ والسدي ، واحتج القائلون بهذا بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران : ٨١] وهذا يدل على أن الآخذ [هو الله - تعالى - والمأخوذ منهم هم النبيون ، وليس في الآية ذكر الأمة ، فلم يحسن صرف الميثاق إلى الأمة].

". (١)

"يخرج من المدينةِ ، ثُمَّ إنَّ الصحابةَ ألَحُّوا على النبي صلى الله عليه وسلم في أن يخرج إليهم ، فغضب عبد اللهِ بنُ أبي من ذلك ، فقال : عصاني وأطاع الوِلْدان ، فلما كثر القتل في بني الخزرج ، ورجع عبدُ الله بن أبي قيل له : قُتِل بنو الخَزرج!! فقال : " هل لنا من الأمر من شيء " ؟ يعني : أن محمداً لم يقبل قولي حين أمرتُه بأن لا يخرج من " المدينة ".

والمعنى : هل لنا أمرٌ يُطاع ؟ وهو استفهام على سبيل الإنكار.

الثاني : ما تقدم في الإعرابِ أنَّ معناه النفي ، أي : هل لنا من الشيء الذي كان يَعِدُنا به محمد صلى الله عليه وسلم وهو النصر والقوة – شيء ؟ وهذا استفهامٌ على سبيل الإنكار.

الثالث : أن التقدير : أنطمع أن تكون لنا الغلبة على هؤلاء ؟ ويكون المراد منه الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكونَ قائلُهُ من المؤمنين ، ويكون المرادُ منه إظهار الشَّفَقَة ، أنه متى يكون الفرجُ والنُّصرة ؟ وهو المرادُ – أيضاً – بقوله : هو النصر والقوة – شيء ؟ وهذا استفهامٌ على سبيل الإنكار.

الثا ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ﴾.

وقوله : ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للَّهِ﴾ قرأ أبو عمرو "كُلُّهُ " – رفعاً – وفيه وجهان : الأول : – وهو الأظهر – أنه رفع بالابتداء ، و " لله " خبره والجملة خبر " إنَّ " نحو : إن مال زيد كله عنده.

الثاني : أنه توكيد على المحل ، فإن اسمها – في الأصل – مرفوعٌ بالابتداء ، وهذا مذهبُ الزَّجَّاجِ والجَرْمي ، يُجْرُون التوابعَ كلَّها مُجْرَى **عطف النسق** ، فيكون " للهِ " خبراً لِ " إنَّ " أيضاً.

وقرأ الباقون بالنصب ، فيكون تأكيداً لاسم " إنَّ " وحَكَى مكي عن الأخفش أنه بدل منه – وليس بواضح – و " للهِ " خبر " إنَّ ".

وقيل على النعت ؛ لأنَّ لفظة "كُلّ " للتأكيد ، فكانت كلفظة " أجمع ".

فصل هذه الآية تدل على أن جميع المحدثات خلق لله تعالى بقضائه وقدره ؛ لأن المنافقين قالوا : إن محمداً لو قبل مِنَّا رَأيَنَا ونُصْحَنا ، ملا وقع في هذه المِحْنةِ ، فأجابهم اللهُ تَعَالَى بأن الأمرَ كُلَّه للهِ ، وهذا [الجواب] إنما ينتظم إذا كانت أفعالُ العبادِ بقضاء اللهِ وقدَرِهِ ؛ إذ لو كانت خارجة عن مشيئته لم يكن هذا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١١٤٢

الجواب دافعاً لشبهة المنافقين.

قوله : ﴿يُخْفُونَ﴾ إما خبر لِ ﴿طَآئِفَةً﴾ وإما حال مما قبله – كما تقدم – وقوله : ﴿يَقُولُونَ﴾ ٦١٦." [1]

"فصل في معنى الآية ومعنى الكلامِ : لو كنتَ جافياً ، سَيّء الخُلُقِ ، قليل الاحتمالِ.

وقال الكلبيُّ : فظاً في القول ، غليظ القلبِ في الفعلِ ، لانفضوا من حولك تفرَّقوا عنك وذلك أن المقصود من البعثة أن يبلِّغ الرسولُ تكاليفَ اللهِ تعالى إلى الخَلْق ، وذلك لا يتم إلا بميل قلوبهم إليه ، وسكون نفوسهم لديه ، وهذا المقصودُ لا يتم إلا إذا كان رحيماً بهم ، كريماً ، يتجاوز عن ذنوبهم ، ويعفو عن سيئاتهم ، ويخصهم بالبرِّ والشفقة ، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسولُ مُبَرَّءاً عن سوء الخلق ، وغِلْظة القلبِ ، ويكون كثير الميلِ إلى إعانة الضعفاء ، وكثير القيام بإعانة الفقراء.

وحمل القفَّال هذه الايةَ على واقعة أُحُد ، فقال : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ يوم أحُد ، حين عادُوا إليك بعد الانهزام ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ فشَافَهْتُهُمْ بالملامة على ذلك الانهزام ﴿لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ هيبة منك وحياءً ، بسبب ما كانوا منهم من الانهزام ، فكان ذلك مما يُطْمَع العدو فيك وفيهم.

قوله : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ جاء على **أحسن النسق ،** وذلك أنه – أولاً – أُمِر بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصَّةِ نفسه ، فإذا انتهَوْا إلى هذا المقام أمر أن يستغفرَ لهم ما بينهم وبين الله تعالى ، لتنزاح عنهم التبعاتُ ، فلما صاروا إلى هنا أُمِرَ بأن يشاوروهم في الأمرِ إذا صاروا خالصين من التبعتين ، مُصَفَّيْنَ منهما.

والأمرُ هنا – وإن كان عاماً – المراد به الخصوص.

قال أبو البقاء : الأمر – هنا – جنس ، وهو عامٌّ يراد به الخاصُّ ؛ لأنه لم يُؤمَر بمشاورتهم في الفرائض ، ولذلك قرأ ابن عباسٍ : في بعض الأمر وهذا تفسيرٌ لا تلاوةٌ.

فصل ظاهر الأمر الوجوب ، و " الفاء " في قوله : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ تدل على التعقيب ، وهذا يدل على أنه – تعالى – أوجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم في الحال ، ولما آل الأمرُ إلى الأمة لم يوجبه عليهم ، بل ندبهم إليه ، فقال : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٤] وقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يدل على دلالة قوية على أنه – تعالى – يعفو عن أصحاب الكبائر ، لأن الانهزام في وقت المحاربة كبيرة ، لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال : ١٦] وقوله صلى الله عليه وسلم حين عد

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٢٨١

الكبائر – : " والتولي يوم الزحف " وإذا ثبت أنه كبيرة ، فالله تعالى – حضّ – في هذه الآية – على العفو عنهم ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهم ، وإذا أمره بالاستغفار
١٨
لهم لا يجوز أن لا يجيبه إليه ؛ لأن ذلك لا يليق بالكريم ، وإذا دلت الآية على أنه – تعالى – شفع محمداً في أصحاب الكبائر في الدنيا فلأنه يشفعه يوم القيامة كان أولى.

قوله : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ يقال شاورهم مشاورة وشِوَاراً وَمَشورة ، والقوم شورى ، وهي مصدر ، سمي القوم بها ، كقوله : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ [الإسراء : ٤٧] قيل : المشاورة : مأخوذة من قولهم : شُرتُ العسل ، أشورُه : إذا أخذته من موضعه واستخرجته.

وقيل : مأخوذة من قولهم : شربت الدابّة ، شوراً – إذا عرضتها والمكان الذي يعرض فيه الدوابّ يسمى مشواراً ، كأنه بالعرض – يعلم خيره وشرهن فكذلك بالمشاورة يعلم خير الأمور وشرها.

الفائدة في أمر اللهِ لرسوله بالمشاورة من وجوه : الأول : أن مشاورة الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم توجب علو شأنهم ، ورفعة درجتهم ، وذلك يقتضي شدة محبتهم له ، فلو لم يفعل ذلك لكان ذلك إهانة بهم ، فيحصل سوء الخلقِ والفظاظة.

الثاني : أنه صلى الله عليه وسلم وإن كان أكملَ الناس عقلاً ، إلا أن [عقول] الخلق غير متناهية ، فقد يخطر ببال إنسانٍ من وجوه المصالح – ما لا يخطر ببال آخرَ ، لا سيما فيما يتعلق بأمور الدنيا ، قال : " أَنتم أعرف بأمور دنياكم " ولهذا السبب قال : " ما تشاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم ".

الثالث : قال الحسنُ وسفيانُ بن عيينة إنما أمر بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير ذلك سنة في أمته.

الرابع : أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم شاورهم في واقعة أُحُد ، فأشاروا عليه بالخروج ، وكان ميله إلى ألا يخرج ، فلما خرج وقع ما وقع ، فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على أنه بقي في قلبه منهم – بسبب مشاورتهم – بقية أثرٍ ، فأمره الله – تعالى – بمشاورتهم بعد تلك الواقعةِ ، ليدل على أنه لم يَبْقَ في قلبه أثرٌ من تلك الواقعة.

الخامس : أنه صلى الله عليه وسلم أمر بمشاورتهم ، لا ليستفيد منهم رأياً وعِلْماً ، بل ليعلم مقادير عقولهم ، ومحبتهم له.

وقيل : أمر بالمشاورة [ليعلم] مقدار عقولهم وعلمهم ، فينزلهم منازلهم على

١٩

". (١)

"قدر عقولهم وعلمهم.

وذكروا – أيضاً – وُجُوهاً أُخَرَ ، وهذا كافٍ.

فصل اتفقوا على أنَّ كلَّ ما نزل فيه وحي من عند الله لم يجز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاورَ الأمةَ فيه ، لأن النصَّ إذا جاء بطل الرأي والقياس ، أما ما لا نصَّ فيه ، فهل يجوز المشاورةُ فيه في جميع الأشياء ، أم لا ؟ قال الكلبيُّ وأكثر العلماء : الأمر بالمشاورة إنما هو في الحروبِ ، قالوا : لأن الألف واللام – في لفظ " الأمر " ليسا للاستغراق ؛ لما بيَّنَّا أن الذي نزل فيه الوحي لا تجوز المشاورة فيه ، فوجب حمل الألف واللام – هنا – على المعهود السابق ، والمعهودُ السابقُ في هذه الآية ما يتعلق بالحرب ولقاء العدو ، فكان قوله : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ مختصاً بذلك وقد أشار الحُبابُ بنُ المنذر يوم أُحُدٍ – على النبي بالنزول على الماء ، فقبل منه.

وأشار عليه السعدان – سعد بنُ معاذٍ وسعد بن عبادةَ – يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا ، فقبل منهما ، وخرق الصحيفةُ.

وقال بعضهم : اللفظ عام ، خص منه ما نزل فيه وحيٌ ، فتبقى حجته في الباقي.

قال بعضهم : هذه الآية تدل على أن القياسَ حُجَّةٌ.

فصل روى الواحديُّ في " البسيط " عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال : الذي أمر النبي بمشاورته في هذه الآية أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – واستشكلته ابن الخطيب ، قال : " وعندي فيه إشكالٌ ؛ لأن الذين امَرَ اللهُ رسولَه بمشاورتهم في هذه الآية هم الذي أمره بأن يعفو عنهم ويستغفر لهم – وهم المنهزمون – فَهَبْ ان عمر كان من المنهزمين فدخل تحت الآيةِ إلا أن أبا بكر ما كان منهم ، فكيف يدخل تحت هذه الآية ؟ ".

قوله : ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ الجمهورُ على فتح التاءِ ؛ خطاباً له صلى الله عليه وسلم وقرأ عكرمة وجعفر الصادق – ورُويت عن جابر بن زيد – بضَمِّها.

على ان٥ا لله تعالى ، على معنى : فإذا ارشدتك إليه ، وجعلتك تقصده.

وجاء قوله : من الالتفات ؛ إذ لو جاء **على نسقِ هذا** الكلام لقيل : فتوكل عليَّ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٢٩١

فقد نُسِب العزمُ إليه تعالى في قول أم سلمة : " ثم عزم الله لي " وذلك على سبيل المجاز.
فصل معنى الكلامِ : فإذا عزمتَ على اللهِ لا على مشاورتهم ، أي : قم بأمر اللهِ ،
٢٠
وثق به ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وهذا جارٍ مجرى العلةِ الباعثةِ على التوكُّل عند الأخذ في كل الأمورِ ، وهذه الآية تدل على أنه ليس التوكُّلُ أن يُهْمِل نفسه – كقول بعض الجُهَّال – وإلا لكان الأمرُ بالمشاورة منافياً [للأمر بالتوكل] ، بل التوكلُ هو أن يراعيَ الإنسانُ الأسبابَ الظاهرةَ ، ولكن لا يعوِّل بقلبه عليها ، بل يعوِّل على عصمة الحقِّ.
فصل التوكلُ : الاعتماد على الله تعالى مع إظهار العجزِ ، والاسم : التُّكْلان ، يقال منه : اتكلت عليه في أمري وأصله ، اوتَكَلْتُ ، قُلِبت الواو ياء ، لانكسار ما قبلها ، ثم أُبْدِلت منها التاء ، وأدغمت في تاء الافتعال ، ويقال : وَكَّلْته بأمري توكيلاً ، والاسم : الوَكَالة – بكسر الواو وفتحها – .
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٥
قوله : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ شرطٌ وجوابه ، وكذلك قوله : ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي﴾ وهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب – كذا قوله أبو حيان.
يعني من الغيبة في قوله : ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾ وقوله : ﴿لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ وقوله : ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ قال شهاب الدين : وفيه نظر.
وجاء قوله : ﴿فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ جواباً للشرطِ ، وهو نفيٌ صريحٌ ، وقوله : ﴿فَمَن ذَا الَّذِي﴾ – وهو متضمن للنفي – جوابٌ للشرط الثاني ، تلطفاً بالمؤمنين ، حيث صرح لهم بعدم الغلبة في الأول ، ولم يصرح لهم بأنه لا ناصر لهم في الثاني بل أتى به في صورة الاستفهام – وإن كان معناه نفياً.
وقوله : ﴿فَمَن ذَا الَّذِي﴾ قد تقدم مثله في البقرة.
والهاء – في قوله : ﴿مِّنْ بَعْدِهِ﴾ – فيها وجهان : أحدهما – وهو الأظهر – : أنها تعود على " الله " تعالى ، وفيه احتمالانِ : الأول : أن يكون ذلك على حذف مضاف ، أي : من بعد خذلانه.
الثاني : إنه يحتاج إلى ذلك ، ويكون معنى الكلامِ : إنكم إذا جاوزتموه إلى غيره ، – وقد خذلكم – فمن يجاوزه إليه وينصركم ؟ ثانيهما : أن يعود على الخذلان المفهوم من الفعلن وهو نظيرُ قوله : ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٨].
قوله : ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ يعنكم ويمنعكم من عدوكم ﴿فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾ مثل يوم بدر ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾

يتركبكم كما أن بأُحُدٍ – لم ينصركم أحَدٌ.

والخذلان : القعود عن

٢١

." (١)

"أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر : ١] وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج أكثر من أربع نسوة ، وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم.

فصل ذهبَ أكْثرُ الفقهاء إلى أن قوله تعالى : ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ﴾ لا يتناول العبد ؛ لأن الخطاب إنما يتناول إنساناً متى طلب امرأة قَدِرَ على نكاحها ، والعبد ليس كذلك ؛ لأنه لا يتمكن من النكاح إلا بإذن مولاه لقوله تعالى : ﴿عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [النحل : ٧٥] ، فَيَنْفِي كونه مستقلاًّ بالنكاح.

وقال عليه السلام : " أيُّما عَبْدٍ تَزَوَّجَ بِغَيْرِ إذنِ مَوْلاَهُ فَهُوَ عَاهِرٌ ".

وقال مالك : يجوز للعبد أن يتزوج أربعاً لظاهر الآية.

وأجيب بأن قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مختص بالأحرار ؛ لأن العبد لا ملك له ، وبقوله تعالى : ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾ [النساء : ٤] والعبد لا يأكل ما طابت عنه نفس امرأته من المهر ، بل يكون لسيده.

قال مالك : إذا ورد عمومان مستقلان فدخول التقييد في الآخر لا يوجب دخوله في السابق.

وأجيب بأن هذه الخطابات وردت متوالية **على نسق واحد** ، فلما ذكر في بعضها الأحرار علم أن الكل كذلك.

فصل ذهبت طائفة فقالوا : يجوز التزويج بأيّ عدد شاء ، واحتجوا بالقرآن والخبر ، أمَّا القرآن فتمسكوا بهذه الآية من ثلاثة أوجه : الأول : أن قوله ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ﴾ إطلاق في جميع الأعداد ، بدليل أنه لا عدد إلاّ ويصح استثناؤه منه.

١٦٤

وحكم الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل.

الثاني : أن قوله : " مثنى وثلاث ورباع " لا يصلح مخصصاً لذلك العموم ؛ لأن تخصيص بعض الأعداد يدخل على رفع الحرج ؛ والحجر مطلقاً ، فإن الإنسانَ إذا قال لولده : افعل ما شئت ، اذهب إلى السوق

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٢٩٢

وإلى المدرسة ، وإلى البستان ، لم يكن تنصيصاً للإذن بتلك الأشْيَاء المذكورة فقط ، بل يكون ذلك إذناً في المذكور ، وغيره ، هكذا هنا.

الثالث : أن الواو للجمع المطلق ، فقوله تعالى : ﴿مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ لا يدخل هذا المجموع ، وهو تسعة ، بل يفيد ثمانية عشر ؛ لأن قوله مثنى ليس عبارة عن اثنين فقط ، بل عن اثنين اثنين ، وكذا البقية.

وأما الخبر فمن وجهين : الأول : أنه ثبت بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام مات عن تسع ، وأمرنا الله باتباعه بقوله تعالى : ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام : ١٥٣] وأقل [مراتب] الأمر الإباحة.

الثاني : أن التزويج بأكثر من أربع طريقة عليه الصلاة والسلام ، فيكون سنةً له.

وقال عليه الصلاة والسلام : " النِّكَاحُ سُنَّتِي وَسُنَّةُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي ، فـمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " وهذا يقتضي الذم لمن ترك التزويج بأكثر من أربع ، فلا أقل من أن يثبت أصل الجواز.

أجاب القدماء بما رُوِيَ أن غَيْلاَنَ أسلم وتحته عشر نسوة فقال له عليه الصلاة والسلام : " أَمْسِكْ أربعاً وَفَارِقْ بَاقِيهِنَّ " وهذا ضعيف من وجهين : الول : أن هذا نسخ للقرآن بخبر الواحد ، وذلك لا يجوز.

الثاني : أن هذه واقعة حال ، فلعله عليه الصلاة والسلام إنَّما أمره بإرسال أربع ومفارقة البواقي ؛ لأن الجمع بين الأربع وبين البواقي غير جائز ، إمَّا لنسب أو رضاع ، أو اختلاف دين محرم ، وإذا قام الاحتمال فلا يمكن نسخ القرآن إلا بمثله.

واستدلوا أيضاً بإجماع فقهاء الأمصار على أنه لا يجوز الزيادة على الربع ، وهذا أيضاً فيه نظر من وجهين : أحدهما : أن الإجْمَاعَ لا يُنْسَخُ به فكيف يقال : الإجماع نسخ هذه الآية ؟ الثاني : أن هؤلاء الذين قالوا بجواز الزيادة على الأربع من جملة فقهاء الأمصار ، والإجماع لا ينعقد مع مخالفة الواحد والاثنين.

١٦٥

." (١)

"قوله – تعالى – : " فما لكم " : مبتدأ وخَبَر ، و " في المنافقين " فيه ثلاثة أوجُه : أحدها : انه متعلّقٌ بما تعلّق الخَبَرُ ، وهو " لكم " ، أي : أيُّ شَيْءٍ كائنٌ لكم – أو مُسْتَقِرٌّ لكم – في أمْر المُنَافِقِين.

والثاني : أنه مُتَعَلِّق بمعنى فئتين ، فإنَّه في قُوَّة " مال كم تفترقون في أمور المنافقين " فحُذِف المُضافُ ، وأُقيم المُضَافُ إليه مقامه.

والثالث : أنه مُتَعَلِّقٌ بمَحْذُوفٍ على أنه حالٌ من " فئتين " ؛ لأنه في الأصْل صفةٌ لها ، تقديرُه : فئتين

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٦٤

مُفْترقَتَيْن في المُنَافِقِين ، وصفةُ النكرة إذا قُدّمت عليها ، انتصبَتْ حَالاً.

وفي " فئتين " وجْهَان : أحدُهما : أنها حالٌ من الكافِ والميم في " لَكُم " ، والعَامِلُ فيها الاستقرارُ الذي تعلَّق به " لَكُم " ؛ ومثله : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر : ٤٩] وقد تقدَّم أنَّ هذه الحَالُ لازمةٌ ؛ لأن الكلامَ لا يَتِمُّ دونَها ، وهذا مذهبُ البَصْرِيِّين في كل ما جَاءَ من هذا التَّرْكِيب.

والثاني – وهو مذهب الكوفيين – : أنه نَصْبٌ على خَبَر "كان " مُضْمَرةً ، والتقدير : ما لَكُم في المُنَافِقِين كنتم فئتين ، وأجَازوا : " ما لك الشاتم " أي : ما لك كُنْتَ الشَّاتِمَ ، والبَصْرِيُّون لا يُجِيزُون ذلك ؛ لأنه حالٌ والحالُ لا تتعرَّف ، ويدلُّ على كَوْنِهِ حالاً التزامُ مَجِيئه في هذا التَّركِيب نَكِرَةً ، وهذا كما قالُوا في " ضَرْبِي زَيْداً قَائِماً " : إنَّ " قائماً " لا يجُوز نصبُه على خَبَر "كان " المُقَدَّرةِ ، بل على الحَالِ ؛ لالتزامِ تَنْكيره.

وقد تقدَّم اشتِقَاقُ " الفِئَة " في البقرة.

٥٤٤

فصل قال قوم : نَزَلت في الذين تخَلَّفُوا يَوْمَ أحُد من المُنَافِقِين ، وقالوا : ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران : ١٦٧].

فاختلف أصْحَاب الرَّسُول – عليه الصلاة والسلام – : فقالَتْ مَنْهُم فرقة : كَفَرُوا ، وآخَرُون قالوا : لَمْ يَكْفُرُوا ، فنزلت الآية ؛ وهو قول زَيْد بْنِ ثَابِت وطُعِن في هذا الوَجْهِ : بأن في نَسَقِ الآية ما يَقْدَحُ فيه وأنَّهم من أهْل مكَّة ؛ وهو قوله : ﴿فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾.

وقال مُجَاهِد : هم قَوْم خَرَجُوا إلى المَدِينَة ، وأسْلَمُوا ثم ارْتَدُّوا ، واسْتَأذَنُوا رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى مَكَّة ؛ ليأتوا بِبِضَائِع لَهُم يتَّجِرُون فيها ، فَخَرَجُوا وأقَامُوا بمكَّة ، فاختلف المسلمون فيهم : فقائل يَقُول : هم مُنَافِقُون ، وقائل يَقُول : هُمْ مُؤْمِنُون.

وقيل : نزلت في نَاسٍ من قُرَيْش قَدِمُوا المَدِينَةَ ، وأسْلَمُوا ثم نَدِمُوا على ذلك ، فَخَرَجُوا كهيئة المُتَنَزِّهِين حتى بَعُدوا عن المدينة ، فكتَبوا إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّا عَلَى الَّذِي وافقْنَاك عليه من الإيمَانِ ، ولَكِنَّا اجتوينا المدينة واشْتَقْنَا إلى أرْضِنا ، ثم إنَّهُم خرجوا في تجارةٍ لَهُم نحو الشَّامِ فَبَلَغَ ذَلِك المُسْلِمِين ، فقال بَعْضُهم : نخرج إلَيْهم فنقتلهم ونأخذ ما مَعَهُم ؛ لأنَّهم رَغِبُوا عن دِينِنَا ، وقالت طَائِفة : كيف تَقْتُلون قوماً على دينكُم إن لَمْ يَذَرُوا دِيَارَهم ، وكان هَذَا بِعَيْن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو سَاكِتٌ لا يَنْهَى واحداً من الفَرِيقَيْن ؛ فنزلت الآية.

وقيل : هم العرنيون : وقال ابْن زَيْد : نزلت في أهل الإفكِ ، وقال ابن عبَّاسٍ وقتادة : هم قَوْمٌ أسْلَمُوا بمكَّة ثم لم يُهَاجِرُوا وكانُوا يُظَاهِرُون المُشْرِكين ، فاختلف المُسْلِمُون فيهم وتشاجروا ، فنزلت : " فما بالكم " يا معشر المؤمنين ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ أي : صرتم فيهم فئتين ، ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ أي : نكَّسَهُم وردَّهم إلى الكُفْرِ وأحْكَامه من الذُّلِّ والصّغَار والسَّبْي والقَتْل.

٥٤٥

قال الحسن : وإنما سَمَّاهم مُنَافِقِين وإن أظْهَرُوا الكُفْر ؛ لأنهم وُصِفُوا بالصِّفَةِ التي كَانُوا عَلَيْهَا من قَبْل.

قوله : ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ، وفيها وجهان : أظهرهما : أنها حالٌ ، إمَّا من المُنَافِقِين – وهو الظَّاهِرُ – ، وإمَّا من المُخَاطبين ، والرابطُ الواوُ ، كأنه أنكرَ عليهم اختلافهم في هؤلاء ، والحالُ أنَّ الله قد ردَّهم إلى الكُفْر.

والثاني : أنها مُسْتَأنفةٌ أخبر – تعالى – عنهم بذلك.

و " بما كسبوا " مُتَعَلِّقٌ بـ " أركسهم " والبَاءُ سَبَبِيَّة ، أي : بسبب كَسْبِهِم ، و " ما " مصدريَّةٌ أو بمعنى الَّذِي ، والعائدُ مَحْذُوفٌ على الثَّانِي ، لا على الأوَّلِ على الصَّحِيح.

والإركاس : الردّ والرَّجْعُ ، ومنه الرِّكْس ، قال – عليه السلام – في الرَّوْثة لمَّا أُتِيَ بها : " إنها ركس ".

وقال أمَيَّة بن أبِي الصَّلت : [البسيط] ١٨٥٦ – فَأرْكِسُوا في جَحِيمِ النَّارِ إنَّهُمُ

كَانُوا عُصَاةً وَقَالُوا الإفْكَ وَالزّورَا

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥٤٤

." (١)

"إليْهِم في الدُّنْيَا ؛ فوجب القول بِوُصُول ذلك الجَزَاء [إليْهِم] في الآخرة.

فصل في شبهة المعتزلة وردِّها قالت المُعْتَزِلَة : دلت [هذه] الآيَة على أنَّ العَبْد فَاعِلٌ ، وعلى أنَّه بعملِ السُّوء يستحِقُّ الجَزَاء ، وإذا كَانَ كَذَلِك ، دلَّت على أنَّ اللَّه غير خَالِق لأفْعَال العِبَاد من وَجْهَيْن : أحدُهُما : أنه لما كان عَمَلاً للعبد ، امْتَنَعَ كَوْنه عَمَلاً للَّه ؛ لامتناع حُصُول مَقْدُورٍ واحدٍ بِقَادِرَيْن.

والثاني : أنه لَو حَصَل بخلق اللَّه ، لما استَحَقَّ العَبْد جَزَاءً ألْبَتَّة ، وذلك بَاطِل ؛ لأن الآيَة دلَّت على أن العَبْد يستحِقُّ الجزَاءَ على عملِهِ ، وقد تقدَّمَ الجوابُ عن هذا الاسْتِدْلالِ.

قوله : ﴿وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ قرأ الجمهور بجزم " يَجِدْ " ، عطفاً على جواب الشرط

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٥٦

، وروي عن ابن عامر رفعه ، وهو على القطع عن النسق.
ثم يُحْتمل أن يكون مستأنفاً وأن يكونَ حالاً ، كذا قيل ، وفيه نظرٌ من حيث إنَّ المضارع المنفي بـ " لا " لا يقترن بالواوِ إذا وقع حالاً.
فصل في شبهة المعتزلة بنفي الشفاعة وردها قالت المُعْتَزِلَة : [دلت] الآية على نَفْي الشَّفَاعة ، وأجَابُوا بوجهين : أحدهما : أنا بيَّنا أن هذه الآيَة في حقِّ الكُفَّار.
والثَّاني : أن شفاعة الأنْبِيَاء والمَلاَئِكَة في حقِّ العُصَاة ، إنَّما تكُون بإذن الله - تعالى - ، وإذا كان كَذلِك ، فلا وَلِيَّ لأحَدٍ ولا نصير ، إلا اللَّه - سبحانه وتعالى - .
قوله : " [وَمَن يَعْمَلْ] مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ " " من " الأولَى : للتَّبعيضِ ؛ لأنَّ المكلَّف لا يطيق عَمَل كل الصَّالِحَات.
وقال الطَّبَرِي : " هي زائدةٌ عند قَوْم " وفيه ضعفٌ ، لعدم الشَّرْطَيْن ، و " مِنْ " الثانية للتبيين ، وأجاز أبو البقاء أن تكُونَ حالاً ، وفي صَاحِبها وجهان : أحدهما : أنه الضَّميرُ المَرْفُوع بـ " يَعْمَل ".
والثاني : أنه الصَّالحات ، أي : الصالحات كَائِنةً من ذكر أو أنثى ، وقد تقدَّم إيضاح هذا في قوله : ﴿لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ [آل عمران : ١٩٥] والكلامُ على
٣٤
" أوْ " أيضاً ، وقوله : " وَهُوَ مُؤْمِنٌ " جملة حَالِيّة من فَاعِل " يَعْمَل ".
[قوله " يدخلون "] قرأ أبو عَمْرو ، وابن كَثير ، وأبُو بَكْر عن عَاصِم : " يُدْخَلون " هُنَا ، وفي مَرْيم ، وأوَّل غَافِر بضم حَرْف المُضَارَعة ، وفتح الخَاء مبنياً للمَفْعُول ، وانفردَ ابنُ كَثِيرٍ وأبو بكْرٍ بثانية غَافِر ، وأبو عمرو بالتي في فَاطِر ، والبَاقُون : بفتحِ حَرْفِ المُضَارعة ، وضمِّ الخَاءِ مبنياً للفاعِل ، وذلك للتفنُّنِ في البلاغَةِ.
والأوّل أحْسن ؛ لأنَّهُ أفْخَم ، ولِكَوْنه مُوافقاً لقوله : ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.
وأما القِرَاءة الثَّانية : فهي مُطَابِقَةٌ لقوله : ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ [الزخرف : ٧٠] ، ولقوله ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ [الحجر : ٤٦].
والنقير : النُّقْرَة في ظَهْر النَّوَاة ، مِنْها تَنْبُت النَّخْلَة ، والمَعْنَى : أنَّهم لا يُنْقَصُون قدر مَنْبَت النَّوَاة.
فإن قِيلَ : لم خصَّ اللَّه الصالِحِينَ بأنَّهم لا يُظْلَمُونَ ، مع أنَّ غيرهم كَذَلِك ؛ كما قال : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت : ٤٦] ، وقوله ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ١٠٨].
فالجواب : من وجهين : الأول : أن يَكُون الرَّاجع في قوله : " ولا يُظْلَمُونَ " عائداً إلى عُمَّال السُّوءِ ،

وعُمَّال الصَّالِحَات جَمِيعاً.
والثَّاني : أن من لا يُنْقِصُ من الثَّواب ، أولى بأن لا يَزِيدَ في الع ِقَابِ.
روى الأعْمَش ، عن أبي الضُّحَى عن مَسْرُوقٍ ، قال : لمَّا نَزَل ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا اا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُواءًا يُجْزَ بِهِ﴾ قال أهْل الكِتَاب : نَحْنُ وأنْتُم سَوَاءٌ ، فَنَزَلتْ : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ﴾ الآية ، ونزل أيْضاً : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ﴾ [النساء : ١٢٥].
فصل : صاحب الكبيرة لا يخلد في النار وهذه الآية من أدَلِّ الدَّلائِل على أن صَاحِبَ الكَبِيرَة لا يُخَلَّد [في النَّارِ] بل ينقل إلى الجَنَّة ؛ لأنَّا بينَّا أن صاحِبَ الكبِيرَة مؤمن ، وإذا ثَبَتَ ذَلِك ، وكان قد عَمِلَ الصَّالِحَات ، وجب أنْ يدْخُل الجَنَّة ، لهذه الآية ، ولزم بِحُكْم الآيَات الدَّالَّة على وَعِيد الفُسَّاق أن يَدْخُل النَّار ، فإمَّا أن يدْخُل النَّار ، ثم يَنْتَقِل إلى النَّارِ ، وذلك بَاطِلٌ
٣٥
بالإج ْماع ، أو يَدْخُل النَّار ، ثم ينتقل إلى الجَنَّة ، وذلك هُو المَطْلُوب.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٩
." (١)

"وُصِفَ الزمانُ بذلك مبالغةً كقولهم : نَهَارُهُ صَائِمٌ ، ولَيْلُهُ قائم.
و " غَيْرَ " نُصبَ على الحال.
قال بعضُهم : يَنْتَصِبُ بمحذوفٍ مُقَدَّرٍ على معنى : فيتناول غَيْر مُتجانِفٍ ، ويجوز أن يَنْتَصِبَ بقوله : " اضْطُرَّ " ويكونُ المقدرُ متأخراً.
والجمهور على " مُتجَانِفٍ " بألف وتخفيف النون من " تَجَانَفَ ".
وقرأ أبُو عبدِ الرحمن والنَّخَعِيُّ " مُتَجنِّفٍ " بتشديدِ النُّونِ دُونَ ألفٍ.
قال أبو مُحمدِ بن عَطِية : وهي أبْلَغُ من " متجانف " في المعنى ؛ لأنَّ شِدّةَ العينِ تدلُ على مُبالغةٍ وتوغُّلٍ في المعنى.
و " لإثم " متعلّق بـ " متجانف " ، واللام على بابها.
وقيل : هي بمعنى " إلى " أي غَيْرَ مائِلٍ إلى إثْمٍ ولا حاجة إليه.
وقد تقدم معنى هذا واشتقاقها عند قوله : ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً﴾ [البقرة : ١٨٢].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٦١٣

قال القُرْطبي : هو معنى قوله : ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، ومعنى " الإثم " هاهنا أنْ تأكُلَ فوق الشِّبَع تلذُّذاً في قولِ أهل " العراق ".

وفي قولِ أهْلِ " الحجازِ " : أنْ تكُون عَاصِياً.

قال قتادةُ : غَيْرَ مُتَعرّضٍ لمعْصِية في مقصده.

وقوله : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ جُمْلةٌ ، إمَّا في محلِ جَزْمٍ ، أو رفعٍ على حَسَبِ ما قيل في " مَنْ " ، وكذلك القول في الفاء إما واجبةٌ أو جائزةٌ ، والعائدُ على كِلاَ التقديرين محذوفٌ ، أيْ : " فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ " له ، [يعني] : يَغْفِرُ له أكْلَ المُحَرَّمِ عند الاضطرارِ " رَحِيمٌ " بعباده ،

٢٠٢

حَيْثُ أحَلَّ لهم ذلك المحرمَ عند احتياجهم إلى أكْلِهِ ، وهذا مِنْ تَمام ما تقدم ذكره في المطاعِمِ التي حَرَّمَها الله تعالى ، يَعْنِي : إنها وإنْ كانت مُحرمةً إلا أنها تحل في حالِ الاضطرارِ ، ومن قوله : " فِسْق " إلى هاهنا - اعتراضٌ وقع في النَّسَقِ ، والغَرَضُ منه تأكيدُ ما ذُكِر مِنْ مَعْنى التحريم ، فإن تحريم هذه الخبائثِ من جملةِ الدِّينِ الكاملِ والنعْمةِ الثابتةِ والإسلامِ الذي هو الدينُ المرضيُّ عند الله تعالى.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٧

قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية.

وهذا أيضاً مُتَّصِلٌ بما قَبْلَهُ من ذِكْرِ المطعُومَاتِ ، وقد تقدم الكلامُ على " مَاذَا " [وما قيل فيها فليلتفت إليه].

وقوله : " لَهُمْ " بلفظ الغَيْبَةِ لتقدمِ ضَميرِ الغَيْبةِ في قوله تعالى : " يَسْأَلُونَكَ ".

ولو قيل في الكلام : ماذا أحِلَّ لنا ؟ لكان جائزاً على حكايةِ الجملةِ ، كقولك : أقْسَمَ زَيْدٌ لَيَضرْبَنَّ ولأضربَنَّ ، بلفظ الغيبة والتكلمِ ، إلا أن ضمير المتكلّمِ يَقْتَضِي حكايةَ ما قالوا : كما أن " لأضربن " يقتضي حكاية الجملة المقسم عليها ، و " ماذا أحِلّ ؟ " هذا الاستفهامُ معلّق للسؤال ، وإن لم يكن السؤالُ من أفعالِ القُلُوبِ إلاَّ أنَّهُ كان سبب العلم ، والعلم يعلق ، فكذلك سببهُ ، وقد تقدم تحريره في " البقرة ".

وقال الزمخشري هنا : في السؤال معنى القول ، فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم ، كأنه قيل : يقولون : ماذا أحل لهم ، ولا حاجة إلى تضمين السؤال معنى القول ؛ لما تقدم من أن السؤال يعلق بالاستفهام كمسببه.

وقال ابن الخطيب : لو كان حكاية لكلامهم لكانوا قد قالوا : ماذا أحلَّ لهم ، ومعلوم أن ذلك باطل لا

يقولونه ، وإنما يقولون ماذا أحِلَّ لنا ، بل الصحيح أنه ليس حكاية لكلامهم ، بل هو بيان كيفية الواقعة.
قال القُرْطُبي : " مَا " فِي مَوْضِعِ رفعٍ بالابتداء ، والخبرُ " أُحِلَّ لَهُمْ " ، و " ذَا " زَائِدَةٌ وإنْ شِئْتَ كانت بمعنى " الذي " ، ويكون الخبر ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ".
٢٠٣
." (١)

"وعلى ما أجَازَهُ أبو البَقَاء أن تكون المَسألَةُ من باب الإعْمَال ، ويكون قد وجد التَّنَازع بين ثلاثةِ عوامِلٍ ، ويكون من إعْمَال الثَّالِث للحَذْفِ من الأوَّل والثَّاني ، وتقدَّم تَحْرِير ذلك.
و " أغْرَيْنَا " من أغْرَاه بكذا أي : ألزمه إياه ، وأصْلُه من الغِرَاء الذي يُلْصَقُ به ، ولامُهُ وَاوٌ [فالأصلُ] أغْرَوْنَا ، وإنما قلبت الواوُ ياءً ؛ لوقوعها رابعَةً [ك " أغْوَيْنَا " ،] ، ومنه قولهم : سَهْمٌ مغروٌّ أي : معمول بالغِرَاء ، يقال : غَرِيَ بكذا يغْرى غَرًى وغرَاء ، فإذا أريد تَعْدِيته عُدِّي بالهمزة ، فقيل : أغْرَيْتُه بكذا.
والضمير في " بَيْنَهُم " يحتمل أن يعُود على ﴿الَّذِينَ قَالُواْ : إِنَّا نَصَارَى ﴾ ، وأن يعود على اليَهُود المتقدمين الذِكْر ، وبكلٍّ قال جماعَةٌ كَمَا [قَدَّمْنَا] وهذا الكلامُ مَعْطُوفٌ على الكلام قَبْلَه من قوله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَآئِيلَ﴾ [المائدة : ١٢] أي : ولقد أخَذَ الله ميثاقَ بني إسْرَائيل ، وأخَذْنا من الَّذين قالوا.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٥٥
لما حكى عن اليهود والنَّصارى نَقْضَ العَهْد ، دَعَاهُم بعد ذلك إلى الإيمان بِمُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ وأراد اليَهُود والنَّصَارى ، وَوَحَّد " الكِتَاب " إرادة للْجِنْس.
ثم قال : ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾.
قال ابن عباس : أخْفُوا آية الرَّجْمِ من التَّوْراة وبَيَّنَها الرَّسُول - عليه السلام - لهم ، وهو لَمْ يَقْرأ [كتاباً] ولم يتعلَّم علماً من أحَد ، وهذه مُعْجِزة ، وأخفوا صِفَةَ مُحَمَّد - عليه الصلاة والسلام - في الإنْجِيلِ ، وغير ذَلِك.
قوله : " يُبَيِّن " في محلِّ نَصْب على الحَال من " رَسُولُنَا " ، أي : جَاءَكم رسولُنا في هذه الحالة ، و " ممَّا يتعلَّق بَمْحذُوف ؛ لأنَّه صِفَة ل "كَثيراً " ، و " مَا " موصولةٌ اسميَّة ، و " تُخْفُون " صلتُهَا ، والعائد مَحْذُوفٌ ، أي : من الذين كُنْتُم تُخْفُونَهُ ، و " مِن الكِتَابِ " متعلِّق بِمَحْذُوف على أنَّه حالٌ من العَائِد المَحْذُوف.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٧٠٢

٢٥٨

وقوله : ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ، أي : لا يُظْهِر كثيراً مما كُنْتُم تُخْفُون من الكِتَاب ، فلا يتعرَّض لكم ، ولا يُؤاخذكم به ؛ لأنَّه لا حاجةَ له إلى إظْهَارِهِ ، والفَائِدةُ في ذلك : أنهم علموا كَوْنَ الرَّسُول عالماً بكُلِّ ما يُخْفُونَه ، فيصير ذلك داعياً لهم إلى تَرْكِ الإخْفَاء ، لئلا يفتضح أمرهم.

والضَّمِير في " يُبَيِّنُ " و " يَعْفُو " يعود على الرَّسُول.

وقد جوَّز قومٌ أن يعود على الله تعالى ، وعلى هذا فلا مَحَلَّ لِقَوْلِهِ : " يُبَيِّنُ " من الإعراب ، ويمتنعُ أن يكون حَالاً من " رَسُولُنَا " لعدم الرَّابِط ، وصِفَةُ "كَثِير " محذوفة لِلْعِلْمِ بها ، وتَقْدِيرُه : عن كثير من ذُنُوبِكُمْ ، وحذف الصِّفَة قَلِيلٌ.

قوله : ﴿قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ لا محلَّ له [من الإعراب] لاستئنَافِه ، و " من اللَّه " يَجُوز أن يتعلق بـ " جاء " ، وأن يتعلَّق بمحذُوف على أنَّه حَالٌ من " نُورٌ " ، قدِّمت صفة النَّكرة عليها ، فنُصِبَتْ حالاً.

فصل في معنى الآية والمراد بالنُّور : محمد - عليه الصلاة والسلام - ، وبالكتاب : القُرْآن ، وقيل : المراد بالنُّور : الإسلام ، وبالكِتَاب القُرْآن ، وقيل : النُّور والكتاب والقُرْآن ، وهذا ضعيفُ ؛ لأنَّ العَطْفَ يوجبُ التَّغَاير.

قوله تعالى : " يَهْدِي " فيه خَمْسَة أوجه : أظهرها : أنَّه في محلِّ رفْع ؛ لأنَّهُ صفة ثَانِيَةٌ لـ "كِتَاب " ، وصفَهُ بالمفرد ثم بالْجُمْلَة ، وهو الأصْلُ.

الثاني : أن يكون صِفَةً أيضاً لكن لـ " نُورٌ " ، وصَفَهُ بالمُفْرَد ثم بالجُمْلَة ، ذكره أبو البقاء وفيه نظر ، إذ القَاعِدَةُ أنَّه إذا اجْتَمَعَتِ التَّوابع قُدِّم النَّعْت على **عَطْف النَّسَق** ، تقول جاء زَيْدٌ العَاقِل وعَمْرو ، ولا تقُولُ : جاء زيْدٌ وعمرو العَاقِل ؛ لأنَّ فيه إلباساً أيضاً.

الثالث : أن يكون حالاً من "كِتَاب " ، لأن النَّكرة لما تخصَّصَت بالوَصْف قَرُبت من المَعْرِفة.

وقياس قول أبي البقاء أنَّه يجوز أن يكون [حالاً من " نُورٌ " ، كما جاز أن يكُون] صِفَةَ لَهُ.

٢٥٩

". (١)

"والثاني : أنه مجرورٌ ؛ عطفاً على ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أيضاً ، إذا قُلْنا بأنَّها في محلِّ جرٍ بدلاً من " بِشَرٍّ " ؛ كما تقدَّم إيضاحُه ، وهذه أوجهٌ واضحةٌ عَسِرةُ الاستنباطِ ، والله أعلمُ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٧٢٨

ومَنْ قرأ بالواو فرفعه : إمَّا على إضمار مبتدأ ، أي : هُمْ عَابِدُوا الطَّاغُوتِ ، **وإمَّا نَسَقٌ على** " مَنْ " في قوله تعالى : ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ كما تقدَّم.

فصل قِيلَ : الطَّاغُوتُ الْعِجْل ، وقيل : الأحْبَارُ ، وكلُّ مَنْ أطاعَ أحَداً فِي مَعْصِيَةٍ فَقَدْ عَبَدَه.

واحْتَجُّوا بهذه الآية على أنَّ الكُفْرَ بِقَضَاءِ اللَّهِ ، قالُوا : لأنَّ تقديرَ الآيَة : وجَعَلَ اللَّهُ منهم من عَبَدَ الطَّاغُوت ، وإنَّما يُعْقَلُ معنى هذا الجَعْل ، إذا كانَ هُوَ الذي جعل فيهم تِلْكَ العِبَادَةَ ، إذْ لَوْ كَانُوا هُمُ الجَاهِلُون لكَانَ اللَّهُ تعالى [ما] جعلهم عَبَدَة الطَّاغُوت ، بلْ كَانُوا هُمُ الذين جعلوا أنْفُسَهُم كذلك وذلك خِلافُ الآية.

قالتِ المُعْتَزِلَة : مَعْنَاه أنَّهُ تعالى حَكَمِ عليهم بذلك كَقوْلِهِ تعالى : ﴿وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثاً﴾ [الزخرف : ١٩] وقد تقدَّمَ الكلامُ فيه.

[قوله تعالى : " أولئك شَرٌّ " مبتدأ وخبر ، و " مكاناً " نصب على التمييز ، نَسَب الشَّر للمكان وهو لأهله ، كنايةً عن نهايتهم في ذلك] كقولهم : فلانٌ طَوِيلُ النِّجَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ ، وحَاصِلُهُ يرجع إلى الإشَارَةِ إلى الشَّيْءِ بذكرِ لوَازِمِه وتَوَابِعِهِ و " شَرّ " هنا على بابه من التفضيل ، والمفضَّلُ عليه فيه احتمالان : أحدهما : أنهم المؤمنون ، فإن قيل : كيف يُقال ذلك ، والمؤمنون لا شَرَّ عنْدَهُمْ ألبتة ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما : - ما قاله النحاس - أنَّ مكانَهم في الآخرة شَرٌّ مِنْ مكانِ المؤمنين في الدُّنيا ؛ لِمَا يلحقُهم فيه من الشَّرِّ ، يعني : من الهمومِ الدنيويةِ ، والحاجةِ ، والإعسارِ ، وسماعِ الأذَى ، والهَضْمِ من جانبهم ، قال : " وهذا أحسنُ ما قيل فيه ".

والثاني : أنه على سبيلِ التنازُلِ والتسليم للخَصْم على زعمه ؛ إلزاماً له بالحُجَّة ، كأنه قيل : شَرٌّ من مكانِهِمْ في زعْمِكُمْ ، فهو قريبٌ من المقابلة في المعنى.

والثاني من الاحتمالين : أنَّ المفضَّل عليه هم طائفةٌ من الكفارِ ، أي : أولئكَ الملعونَون المغضُوبُ عليهم المجعُولُ منهم القردةُ والخنازيرُ العابدُونَ الطَّاغوت - شرٌّ مكاناً من غيرهم مِنَ الكفرة الذين لم يَجْمَعُوا بَيْنَ هذه الخصَالِ الذَّميمة.

٤٢٠

قوله تعالى : ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾ أي : طريق الحقّ.

قال المُفَسِّرون : لمَّا نزلت هذه الآيَةُ عيَّر المسلمون أهْلَ الكِتَاب ، وقالُوا : يا إخْوَان القِردَةِ والخَنَازِير ، فافْتَضَحُوا ونَكَّسُوا رؤُوسَهم قال الشَّاعِر : [الرجز] ٢٠٠١ - فَلَعْنَةُ اللَّهِ على اليَهُودِ

إنَّ اليَهُودَ إخْوَةُ القُرُودِ

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٠٩
". (١)

"فإن قيل : كيف مدَحَهُم اللَّه تعالى بذلك ، مع قوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا﴾ [الحديد : ٢٧] ، وقوله – عليه الصلاة والسلام – : " لا رَهْبَانِيَّة في الإسلام " ؛ فالجواب : أنَّ ذَلِكَ صار مَمْدُوحاً في مُقابلةِ اليهُودِ في القَسَاوَةِ ، والغِلْظَةِ ، ولا يَلْزَمُ من هذا كونُهُ مَمْدُوحاً على الإطلاق.

قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ **نسقٌ على** " أنَّ " المجرورةِ بالباء ، أي : ذلك بما تقدَّم ، وبأنَّهم لا يستكبرون.

فصل المراد بقوله تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوا اْ إِنَّا نَصَارَى ﴾ يَعْنِي : وفْدَ النَّجَاشِي الذين قدمُوا مع جعفر ، وهم السَّبْعُون ، وكانوا أصْحاب الصَّوامع.

وقال مُقَاتِل والكَلْبِي : كَانُوا أرْبَعينَ رَجُلاً ، اثنَانِ وثلاثُون من الحَبَشَةِ ، وثمانِيَةٌ من الشَّام.

وقال عطاء : كانوا ثَمَانِين رجُلاً ، أرْبَعُون مِنْ أهْلِ نَجْرَان من بَنِي الحارثِ بن كَعْب ، واثنان وثلاثُون من الحَبَشَةِ ، وثمانِيَة رُومِيُّون مِنْ أهْلِ الشَّام.

وقال قتادة : نزلت في ناسٍ من أهْلِ الكتابِ ، كانُوا على شَرِيعَةٍ من الحقّ مِمَّا جَاءَ بِه عيسى – عليه السلام – ، فلمَّا بُعِثَ محمَّدٌ – صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – صَدَّقوه ، وآمَنُوا به ، فأثْنَى اللَّهُ عليهم بقوله : تعالى : ﴿ذالِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً﴾ أي : عُلَمَاء.

قال قُطْرُب : القِسُّ والقِسِّيسُ : العَالِمُ بِلُغَةِ الرُّومِ.

قوله تعالى : " وإذَا سَمِعُوا " " إذَا " شرطيةٌ جوابُها " تَرَى " ، وهو العاملُ فيها ، وهذه الجملةُ الشرطيةُ فيها وجهان : أظهرهما : أنَّ محلَّها الرفعُ ؛ نسقاً على خبر " أنَّهُم " الثانية ، وهو " لا يَسْتَكْبِرُونَ " ، أي : ذلك بأنَّ منهم كذا ، وأنهم غيرُ مستكْبرينَ ، وأنهم إذا سمعُوا : فالواو عطفتْ مُفْرَداً على مثله.

والثاني : أنَّ الجملةَ استئنافية ، أي : أنه تعالى أخْبَرَ عنهم بذلك ، والضميرُ في " سَمِعُوا " ظاهرُه : أنْ يعود على النصارى المتقدِّمين ؛ لعمومهم ، وقيل : إنما يعودُ لبعضِهِمْ ، وهم مَنْ جاء من " الحبشةِ " إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

٤٨٠

قال ابن عبَّاس – رضي الله عنهما – في روايَةِ عطاء : يريد النَّجاشي وأصحابه ، قرأ عليْهِمْ جعفرُ بالحبَشَةِ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/١٨٢١

" كهيعص " فأخَذَ النجاشِيُّ نَبْتَةً من الأرض ، وقال : واللَّه ما زَادَ على ما قال في الإنْجِيلِ مِثْل هذه مثلاً ، فما زالوا يَبْكُون ، حتى فَرَغَ جَعْفَرُ من القراءة ، واختارَه ابْنُ عَطِيَّة ، قال : " لأنَّ كل النصارى ليسوا كذلك ".

و " مَا " في " مَا أنْزِلَ " تحتملُ الموصولةَ ، والنكرةَ الموصوفة ، وقوله تعالى : " تَرَى " بصَرِيَّةٌ ، فيكون قوله ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ جملةً في محلّ نصبٍ على الحالِ.

وقرئ شاذًّا : " تُرَى " بالبناء للمفعول ، " أعْيُنُهُمْ " رفعاً ، وأسند الفيض إلى الأعين ؛ مبالغةً ، وإن كان الفائضُ إنَّمَا هو دمعها لا هِيَ ؛ كقول امرئِ القيسِ : [الطويل] ٢٠٤٣ - فَفَاضَتْ دُمُوعُ العيْنِ مِنِّي صَبَابَةً

عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٣

والمرادُ : المبالغةُ في وصفهم بالبكاءِ ، أو يكونُ المعنى أنَّ أعينَهُمْ تمتلئُ حتى تفيضَ ؛ لأنَّ الفيضَ ناشئٌ عن الامتلاءِ ؛ كقوله : [الطويل] ٢٠٤٤ - قَوَارِصُ تَأتِينِي وَتَحْتَقِرُونَهَا

وَقَدْ يَمْلأُ المَاءُ الإنَاءَ فَيُفْعَمُ

وإلى هذين المعنَيَيْن نحا الزمخشريُّ ؛ فإنه قال : " فإنْ قلت : ما معنى ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ ؟ قلتُ : معناه تَمْتَلِئُ من الدمْع حتَّى تفيضَ ؛ لأنّ الفيضَ أنْ يتملئَ الإناءُ حتَّى يَطْلُعَ ما فيه من جوانبه ، فوضَعَ الفيضَ الذي هو من الامتلاءِ موضعَ الامتلاء ، وهو من إقامةِ المسبَّب مُقام السَّبَب ، أو قصدت المبالغةَ في وصفهم بالبكاء ، فجعلْتَ أعينهم ، كأنها تفيضُ بأنفسها ، أي : تسيلُ من الدمعِ ؛ من أجلِ البكاءِ ، من قولك ، دَمَعتْ عَيْنُهُ دَمْعاً ".

قوله تعالى " مِنَ الدَّمْعِ " فيه أربعةُ أوجه : أحدها : أنه متعلِّقٌ بـ " تَفِيضُ " ، ويكون معنى " مِن " ابتداء الغاية ، والمعنى : تَفِيضُ من كثرة الدمع.

والثاني : أنه متعلِّقٌ بمحذوف ؛ على أنه حالٌ من الفاعلِ في " تَفِيضُ " قالهما أبو البقاء ، وقَدَّر الحالَ بقولك : " مَمْلُوءَةً من الدَّمْعِ " ، وفيه نظر ؛ لأنه كونٌ مقيَّدٌ ، ولا يجوزُ ذلك ، فبقيَ أن يُقَدَّرَ كوناً مطلقاً ، أي : تفيضُ كائنةً من الدمْعِ ، وليس المعنى على ذلك ، فالقولُ بالحاليةِ لا ينبغي ، فإن قيل : هل يجوزُ عند الكوفيين أن يكون " مِنَ الدَّمْعِ "

٤٨١

". (١)

"وقد مضى ذلك.

فصل اختَلَفُوا في قَدْرِ هذا الإطعامِ ، فقالَ قَوْمٌ : يُطْعِمُ كُلَّ مِسْكِينٍ مُداً من طعام بمُدِّ النَّبِيِّ

٤٩٧

– صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم – وهو رَطلٌ وثُلُثٌ مِنْ غالبِ قُوتِ البَلْدَة ، وكذَلِكَ في جَمِيعِ الكفَّارَاتِ ، وهُوَ قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثابتٍ ، وابْن عبَّاس ، وابن عُمَر – رضي الله عنهم – ، وبه قال سعيدُ بْنُ المُسَيِّب والحَسَن والقَاسِم ، وسُلَيْمَان بنُ يَسَار ، وعطاء ، والشَّافِعيُّ – رضي الله تعالى عنهم – وقال أهْلُ العِرَاقِ : عليه لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدَّانِ – وهو نصف صاع ، ويُرْوَى ذلِكَ عَنْ عُمَرَ وعَلِيّ – رضي الله عنهما – .

وقال أبو حنيفة – رضي الله تعالى عنه – : إنْ أطعم من الحِنْطَةِ فنِصْفُ صَاعٍ ، وإنْ أطعم من غيرها فصاعٌ ، وهو قول الشَّعْبِيّ ، والنَّخْعِيّ ، وسعيد بن جُبَيْرٍ ، ومُجَاهِد ، والحكم – رحمهم الله – ولو غدَّاهم وعشَّاهُمْ لا يجُوزُ ، وجوَّزهُ أبُو حنيفةَ – رضي الله عنه – ، ويُروَى ذَلِكَ عن عليٍّ – رضي الله عنه – ، ولا يَجُوزُ الدَّرَاهِمُ و الدَّنَانِيرُ ، ولا الخُبْزُ ، والدَّقِيقُ ، بل يَجِبُ إخْرَاجُ الحَبِّ إلَيْهِم ، وجوَّز أبُو حنيفةَ – رضي الله عنه – كُلَّ عشرةٍ إلى مسكينٍ واحدٍ في عشرة أيام ولا يَجُوزُ أن يُصرَف إلا إلى مُسْلِمٍ حر مُحْتَاج ، فإن صُرِفَ إلى ذِمِّيّ أوْ عَبْدٍ أو غَنِيّ لَمْ يَجُزْ ، وجوَّز أبُو حنيفةَ صرْفَهُ إلى أهْلِ الذِّمَّةِ ، واتَّفَقُوا على أنَّ صَرْفَ الزَّكَاةِ إلى أهْلِ الذَّمَّة لا يَجُوزُ.

فصل واختلفُوا في الوسط.

فقيل : مِنْ خَيْر قُوتِ عيالِكُمْ ، والوسَطُ : الخُبْزُ [وتقدم في البقرة في] قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ [البقرة : ١٤٣].

وقال عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ : الأوْسَط الخُبْزُ والْخَلُّ ، والأعلى الخُبْزُ واللَّحْم ، والأدْنَى الخُبْزُ البحْتُ ، والكُلُّ يُجْزِئُ.

قوله تعالى : " أوْ كِسْوَتُهُمْ " فيه وجهان : أحدهما : **أنه نَسَقٌ على** " إطْعَام " ، أي : فكفارتُه إطعامُ عشرةٍ أو كسْوَة تلك العشرة.

والثاني : أنه عطفٌ على محلِّ " مِنْ أوْسَط " [وهو أن يكون " مِنْ أوسط " خبراً لمبتدأ محذوفٍ يدُلُّ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٨٦٥

عليه ما قبله ، تقديرُه : طعامُهُمْ مِنْ أوْسَط] ، فالكلامُ عنده تامٌّ على قوله " عَشرةِ مساكِينَ " ، ثم ابتدأ إخباراً آخر بأن الطعام يكونُ من أوسط كذا وأمَّا إذا قلنا : إنَّ " مِنْ أوْسَطِ " هو المفعولُ الثاني ، فيستحيل عطف "كِسْوَتُهُمْ " عليه ؛ لتخالفهما إعراباً.

٤٩٨

." (١)

"فِضَّةٍ " بمعنى مِنْ فِضَّةٍ " ، قال أبو حيان : " أمَّا ما زعمه ، فليْسَ من هذا الباب ؛ لأنَّ " خَاتَم فِضَّةٍ " من باب إضافة الشيء إلى جنْسه ، والطعامُ ليس جنساً للكفارةِ ، إلا بتجَّوزٍ بعيدٍ جدًّا ".

انتهى ، قال شهاب الدين : كان مِنْ حَقِّه أن يقول : والكفَّارةُ ليستْ جنْساً للطَّعامِ ؛ لأنَّ الكفارةَ في التركيب نظيرُ " خَاتَم " في أنَّ كلاًّ منهما هو المضافُ إلى ما بعده ، فكما أن " خَاتَماً " هو المضافُ إلى جنسه ينبغي أن يُقالَ : الكفَّارةُ ليستْ جنْساً للطعام ؛ لأجل المقابلةِ ، لكنْ لا يمكنُ أن يُقال ذلك ، فإنَّ الكفارةَ كما تقدَّم جنسٌ للطعامِ ، والجزاءِ ، والصَّومِ ، فالطريقُ في الردِّ على الزمخشريِّ أن يُقال : شرطُ الإضافةِ بمعنى " مِنْ " : أن يُضاف جزءٌ إلى كلٍّ بشرطِ صدقِ اسم الكلِّ على الجزءِ ؛ نحو : " خَاتَمُ فِضَّةٍ " ، و "كَفَّارةُ طعَامٍ " ليس كذلك ، بل هي إضافة "كُلّ " إلى جزء ، وقد استشكل جماعةٌ هذه القراءة ؛ من حَيْثُ إنَّ الكفارةَ ليست للطعامِ ، إنما هي لقتلِ الصيدِ ، كذا قاله أبو عليٍّ الفارسيُّ وغيره ، وجوابُه ما تقدَّم.

ولم يختلف السبعةُ في جمع " مَسَاكِينَ " هنا ، وإن اختلفوا في البقرة ، قالوا : والفرقُ بينهما أنَّ قَتْلَ الصَّيْدِ لا يُجْزِئُ فيه إطعامُ مِسْكِينٍ واحدٍ ، على أنه قد قرأ عيسى بْنُ عُمَرَ والأعْرَجُ بتنوين "كَفَّارة " ، ورفع " طَعَامُ مسْكِينٍ " بالتوحيد ، قالوا : ومرادُهما بيانُ الجِنْسِ ، لا التوحيدُ.

قوله : " أوْعَدْلُ " نسقٌ على " فَجَزاءٌ " ، والجمهورُ على فتحِ العين ، وقرأ ابن عباس وطلحة بن مُصَرّف والجَحْدَري بكَسْرِها.

قال الفرَّاءُ : " العِدْل " بالكسر : ما عادَل الشَّيْء من جِنْسِهِ ، والعدل : المِثْلُ ، تقول : عندي عِدلُ غُلامِكَ أو شَاتِكَ إذا كان غلامٌ بِعِدْل غُلامه ، أو شاةٌ تَعْدِلُ شَاتَهُ ، أمَّا إذا أرَدْتَ قِيمَتَهُ من غير جِنْسِه نَصَبْتَ العَيْن ، فقُلْت : عَدْل.

وقال أبو الهَيْثَم : العدل : المِثْل ، والعِدْل : القِيمَةُ ، والعَدْلُ : اسم مَعْدُولٌ بحمل آخر مُسَوى به ، والعَدْل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٨٧٨

: تَقْوِيمُك الشَّيْء بالشيء من غير جِنْسِهِ.

وقال الزَّجَّاج ، وابنُ الأعْرَابِيّ : العَدل والعِدْل سواءٌ ، وقد تقدَّم الكلام عَلَيْه في البَقَرة : عند قوله : ﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [الآية : ٤٨].

قوله : " صِيَاماً " نصْبٌ على التميز كقولك : " عندي رَطلان عَسَلاً " لأنَّ المعنى : أو قَدْرُ ذلك صِياماً ، والأصْلُ فيه إدْخَالُ حَرْفَيْنِ تقُولُ : رطلانِ من العَسَلِ ، وعَدْلُ ذلك من الصِّيَام.

[وأصل " صِياماً " : " صِوَاماً " فأعِلَّ كما تقدَّم مراراً].

٥٢٦

" .(١)

"والمرادُ بالبَحْر : جَمِيعُ المِيَاهِ ، قال عُمَرٌ : صَيْدُه ما اصْطِيدَ ، وجَمِيعُ ما يُصْطَادُ من البَحْرِ ثلاثةُ أجْنَاسٍ : الحِيتَانُ وجَمِيعُ أنْوَاعِها حلالٌ ، والضَّفَادِعُ وجميع أنواعها حَرَامٌ ، واختلَفُوا فيما سِوَى هَذَيْنِ.

فقال أبو حنيفة : إنَّه حَرَامٌ ، وقال الأكثرُون : إنَّه حلالٌ لِعُمُومِ هذه الآيَة.

قوله : " وطعَامُهُ " : نسقٌ على " صَيْدُ " ، أي : أحِلَّ لكمُ الصيدُ وطعامُهُ ، فالصَّيْدُ الاصْطِيَادُ ، والطَّعامُ بمعنى الإطعامِ ، أي : إنه اسمُ مصدرٍ ، ويُقَدَّرُ المفعولُ حينئذٍ محذوفاً ، أي : إطعامُكُمْ إياه أنفسكُمْ ، ويجوز أن يكون الصَّيْدُ بمعنى المَصِيد ، والهاءُ في " طَعَامُهُ " تعودُ على البَحْر على هذا أي : أُحِلَّ لكُمْ مَصِيدُ البَحْرِ وطعامُ البَحْر ؛ فالطعامُ على هذا غَيْرُ الصَّيْدِ وعلى هذا ففيهِ وجوهٌ : أحسنها ما ذكرهُ أبو بَكْر الصِّدِّيق ، وعُمَرُ – رضي الله عنهما – : أنَّ الصَّيدَ ما صِيدَ بالْحِيلَةِ حال حِيَاتِهِ – والطَّعَامُ ما رَمَى بِهِ البَحْرُ ، أو نضبَ عَنْهُ المَاءُ مِنْ غَيْرِ مُعَالَجَةٍ.

وقال سعيدُ بنُ جُبَيْر ، وسعيدُ بنُ المُسَيِّب ، ومُقَاتِلُ ، والنَّخْعِي ، وعِكْرِمَةُ ، وقتادَةُ : صَيْدُ البَحْرِ هو الطَّرِيُّ ، وطعامَهُ هُو المُمَلَّحُ مِنْهُ ، وهو ضَعِيفٌ ؛ لأنَّ المملَّحُ كان طَرِيّاً وصَيْداً في أوَّلِ الأمْرِ فَيَلْزَمُ التكْرَارُ.

وأيضاً : فإنَّ الاصْطِيَادَ قد يَكُون للأكْل ، وقد يَكُون لِغَيْرِه كاصْطِيَادِ الصَّدف لأجْلِ اللُّؤْلُؤِ ، واصْطِيَاد بَعْضِ الحيواناتِ البَحريَّة لأجل عِظَامِها وأسْنَانِهَا ، فَحَصَل التَّغَايُر بين الاصْطِيَاد من البَحْرِ ، وبين الأكْل مِنْ طعامِ البَحْر.

رُوِيَ عن ابن عبَّاس – وابن عُمَرَ ، وأبي هُرَيْرَة : طَعَامُهُ ما قَذَفَهُ المَاءُ إلى السَّاحِل

٥٣١

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٨٩٩

مَيْتاً ، ويجوزُ أن تعود الهاءُ على هذا الوجهِ أيضاً على الصيْدِ بمعنى المصيدِ ، ويجوز أن يكون " طعام " بمعنى مَطْعُوم ، ويَدُلُّ على ذلك قراءة ابن عبَّاس وعبد الله بن الحارث : " وطَعْمُهُ " بضم الميم وسكون العين.

قوله تعالى : " متاعاً لَكُمْ " في نصبه وجهان : أحدهما : أنه منصوبٌ على المصدر ، وإليه ذهب مكي وابن عطيَّة وأبو البقاء وغيرهم ، والتقدير : مَتَّعَكُمْ به متاعاً تَنْتَفِعُونَ وتَأْتَدِمُونَ به ، وقال مكيٌّ : لأنَّ قوله : " أُحِلَّ لَكُمْ " بمعنى أمْتَعْتُكُمْ به إمْتَاعاً ؛ كقوله : ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء : ٢٤].

والثاني : أنه مفعول من أجله ، قال الزمخشري : " أي : أحلَّ لكُمْ تمتيعاً لكم ، وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء : ٧٢] فى باب الحال ؛ لأنَّ قوله " مَتَاعاً لكُمْ " مفعولٌ له مختصٌّ بالطعام ؛ كما أنَّ " نَافِلَةً " حالٌ مختصٌّ بيعقوب ، يعني أُحِلَّ لكم طعامُه تمتيعاً لتَنَائِكُمْ تأكلونه طَرِيًّا ولسيَّارَتِكُمْ يتزوَّدونه قديداً ".

انتهى ، فقد خصَّصَ الزمخشريّ كونه مفعولاً له بكون الفعْلِ ، وهو " أُحِلَّ " مسنداً لقوله : " طَعَامُهُ " ، وليس علَّةً لحِلِّ الصيدِ ، وإنما هو علَّةٌ لحِلِّ الطعام فقط ، وإنما حملهُ على ذلك مذهبُهُ – وهو مذهبُ أبي حنيفةَ – ؛ من أنَّ صيدَ البَحْرِ مُنْقَسِمٌ إلى ما يُؤكَلُ ، وإلى ما لا يُؤكَلُ ، وأن طعامه هو المأكُولُ منه ، وأنه لا يقع التمثيلُ إلا بالمأكُول منه طريًّا وقَدِيداً ، وقوله " نَافِلَةً " ، يعني أنَّ هذه الحالَ مختصةٌ بيعقوبَ ؛ لأنه ولدُ ولدٍ ؛ بخلافِ إسحاقَ ، فإنه ولدُه لصُلْبه ، والنافلةُ إنما تُطْلَقُ على ولد الولدِ ، دونَ الولد ، فـكذا " متاعاً " ، إلاَّ أنَّ هذا يؤدِّي إلى أنَّ الفعل الواحدَ يُسْنَدُ لفاعلين متعاطفَيْن [يكونُ] في إسناده إلى أحدهما معلَّلاً وإلى الآخر ليْسَ كذلك ، فإذا قلت : " قَامَ زَيْدٌ وعَمْرٌو إجلالاً لَكَ " ، فيجوز أن يكون " قِيَامُ زيدٍ " هو المختصَّ بالإجلال ، أو بالعكْسِ ، وهذا فيه إلباسٌ ، وأمَّا ما أورده من الحالِ في الآية الكريمة ، فَثَمَّ قرينةٌ أوْجَبَتْ صرْفَ الحالِ إلى أحدهما ، دون ما نحْنُ فيه من الآية الكريمة ، وأمَّا غيرُ مذهبه ؛ فإنه يكونُ مفعولاً له غير مختص بأحدِ المتعاطفيْنِ وهو ظاهرٌ جَلِيٌّ ، و " لَكُمْ " إنْ قلنا : " مَتَاعاً " مصدرٌ ، فيجوز أن يكونَ صفةً له ، ويكونُ مصدراً مبيّناً لكونه وُصِفَ ، وإن قلنا : إنه مفعولٌ له ، فيتعلَّقُ بفعلٍ محذوفٍ ، أي : أعني التقديرُ : لأنْ أمَتِّعَكُمْ ، ولأنْ أمَتِّعَكُمْ ، ولأنْ أجلَّكَ ، وهكذا ما جاء من نظائره.

٥٣٢

." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩٠٣

"يتعرَّضُ له ألْبَتَّة ، ولم يتعرَّضْ لها صاحِبُها أيضاً ، وكلُّ ذلِكَ إنَّما كان ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى أوْقَعَ في قُلُوبِهم تَعْظيمَ البيْتِ الحَرَامِ.

فصل قال القُرْطُبِي : ذكر العُلمَاءُ في جعل اللَّه تعالى هذه الأشياء قِيَاماً للناس ، أنَّ اللَّه تعالى خلق الخَلْقَ على سَليقَةِ الآدَميّين ، من التَّحَاسُدِ ، والتَّنَافُرِ ، والتَّقَاطُعِ ، والتدابر ، والسَّلْبِ ، والغَارَةِ ، والقَتْل ، والثَّأرِ ، فلم يكن بُدٌّ في الحِكْمَة الإلهيَّة أنْ يكُونَ مع الحالِ وازِعٌ يُحْمَد معهُ المآلُ ، فقال تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] فأمرهُم الله تعالى بالخلافَةِ ، وجعل أمُورهُمْ إلى واحدٍ يَمْنَعُهُم من التَّنَاوش ، ويَحْملُهُم على التَّآلُف من التَّقَاطُعِ ، وردِّ المظالِمِ عن المَظْلُومِ ، ويقَرِّر كلَّ يدٍ على ما تَسْتَوْلي عليه.

واعلم : أنَّ جوْرَ السُّلطان عام واحِدٌ أقَلُّ أذاه كونُ النَّاسِ فَوْضَى لحظَةً واحدة ، فأنْشَأ اللَّهُ تعالى الخَليقَةَ لهذه الفَائِدَة ، لتجرِيَ على رأيه الأمُور ، ويَكُف اللَّهُ تعالى به عاديَة الأمُورِ فعظَّم اللَّهُ تعالى في قُلُوبِهم البَيْتَ الحرامَ ، [وأوقع في قُلُوبهم هَيْبَتَه] وعظَّم بينهم حُرْمَتَهُ ، فكان من لجأ إليه مَعْصُوماً قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت : ٦٧].

قوله " ذَلِكَ " فيه ثلاثةُ أوجه : أحدها : أنه خبرُ مبتدأ محذوفٍ ، أي : الحُكْمُ الذي حكمْنَاهُ ذلك لا غيرُه.

والثاني : أنه مبتدأ ، وخبره محذوف ، أي ذلك الحكمُ هو الحقُّ لا غيره.

الثالث : أنه منصوبٌ بفعلٍ مقدَّرٍ يدُلُّ عليه السِّياقُ ، أي : شَرَعَ اللَّهُ ذلك ، وهذا أقواها ؛ لتعلُّق لام العلَّة به ، و " تَعْلَموا " منصوبٌ بإضمار " أنْ " بعد لام كَيْ ، لا بها ، و " أنَّ اللَّه " وما في حَيِّزها سادَّةٌ مَسَدَّ المفعولينِ أو أحدهما على حسبِ الخلافِ المتقدِّم ، و ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ نسقٌ على " أنَّ " قبلها.

فإن قيل : أيُّ اتِّصَالٍ لهذا الكلامِ بمَا قَبْلَهُ.

قيل : لمَّا عَلِمَ في الأزَل أنَّ مُقْتَضَى طِبَاعِ العَرَب الحرص الشَّديد على القَتْلِ والغارَةِ ، وعلمَ أنَّ هذه الحالة لو دَامَتْ بهم ، لَعَجَزُوا عن تَحْصيلِ ما يَحْتَاجُونَ إليه ، وأدَّى ذلك إلى فَنَائِهِم وانْقِطَاعِهِم بالكُلِّيَّة ، دَبَّرَ في ذلك تَدْبِيراً لَطِيفاً ، وهو أنَّه تعالى ألْقى في قُلُوبِهِمْ تَعْظيمَ البَيْتِ الحَرَامِ وتَعْظِيمَ مَنَاسِكهِ ، فصار ذلك سبباً لحصُول الأمْن في البلدِ

". (١)

"٤٦] ، أي : مقامه بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ ، والعربُ تَحْذِفُ كثيراً ذكر " مَا " و " مَنْ " في الموضِعِ الذي يُحْتَاجُ إليهما فيه ؛ كقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ [الإنسان : ٢٠] أي : ما ثَمَّ ، وكقوله : ﴿هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف : ٧٨] و ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام : ٩٤] أي ما بَيْنِي ، ومَا بَيْنَكُمْ ، وقول أبي حَيَّان " لا يُتَخَيَّل فيه تقديرُ " مَا " إلى آخره " ممنوعٌ ؛ لأنَّ حالة الإضافة لا تَجْعَلُها صلةً للموصول المحذوف ، ولا يَلْزمُ من ذلك : أنْ تُقَدِّرَها من حيث المعنى ، لا من حيث الإعرابُ ؛ نظراً إلى الأصْلِ ، وأمَّا حَذْفُ الموصُولِ ، فقد تقدَّم تحقيقُه.

فصل واخْتَلَفُوا في هَاتَيْن الآيتين ، فقالَ قَوْمٌ : هما الشَّاهِدِانِ يَشْهَدَان على وِصيَّةٍ.

وقال غَيْرُهم : هُمَا الوصيَّان ؛ لأنَّ الآيَة نَزَلَتْ فيهما ؛ ولأنَّه قال : ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ فَيُقْسِمَانِ﴾ ، ولا يَلْزَمُ الشَّاهِدُ يَمِين ، وجَعَلَ الوَصِيَّ اثْنَيْن تَأكيداً ، فعلى هذا تكُونُ الشَّهَادَةُ بِمَعْنَى : الحُضُور ، كقولك : " شَهِدْتُ وصيَّة فُلانٍ " ، بِمَعْنَى : حَضَرتُ وشَهِدْتُ العَيْن ، وقوله تعالى : ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٢] يُرِيدُ الحُضُور.

فصل وقوله : " ذَوا " صفةٌ لاثنين ، أي : صاحِبَا عدْلٍ ، وكذلك قوله " مِنْكُمْ " صفة أيضاً لاثنين ، وقوله : " أوْ آخَرَانِ " نسقٌ على اثنين ، و " مِنْ غَيْرِكُمْ " صفةٌ لآخَرَيْنِ ، والمراد بـ " مِنْكُمْ " من قرابتكم وعترَتِكُم ، ومن غيركم من المسلمين الأجانب ، وقيل : " مِنْكُمْ " من أهل دينكم ، و " مِنْ غَيْرِكُمْ " من أهل الذمة ، ورجَّح النحَّاسُ الأولَ ، فقال : " هذا يَنْبَنِي على معنًى غامضٍ في العربية ، وذلك أنَّ معنى " آخَرَ " في العربية من جنْسِ الأوَّلِ تقولُ : " مَرَرْتُ بِكَرِيمٍ وكَرِيمٍ آخَرَ " ولا يجوز " وخَسِيسٍ آخَرَ " ولا : " مَرَرْتُ بِحِمَارٍ ورَجُلٍ آخَرَ " ، فكذا هاهنا يجب أن يكون " أو آخَرَانِ " : أو عَدْلاَن آخَرَان ، والكفارُ لا يكونونَ عُدُولاً " وردَّ أبو حيان ذلك ؛ فقال : " أمَّا ما ذكَرَهُ من المُثُلِ ، فصحيحٌ ؛ لأنه مثَّل بتأخير " آخَرَ " ، وجعله صفةً لغير جنسِ الأوَّل ، وأمَّا الآيةُ ، فمن قبيل ما يُقدَّم فيه " آخَرَ " على الوصف ، واندرج " آخَرَ " في الجنْس الذي قبله ، ولا يُعْتَبَرُ وصْفُ جنس الأول ، تقول : " مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ وآخَرَ كَافِرٍ ، واشْتَرَيْتُ فَرَساً سَابِقاً ، وآخَرَ بَطِيئاً " ، ولو أخَّرْتَ " آخَرَ " في هذين المثالين ، فقلت : " مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ كَافِرٍ آخَرَ " ، لم يَجُزْ ، وليس الآيةُ من هذا ؛ لأن تركيبها ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ فـ "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩٠٨

آخَرَانِ " من جنسِ قوله " اثْنَانِ " ، ولا سيما إذا قَدَّرْته : " رَجُلانِ اثْنَانِ " ف " آخَرَانِ " هما من جنْس قوله " رَجُلانِ اثْنَانِ " ، ولا

٥٦٨

يُعْتَبَرُ وصف قوله : ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ ، وإن كان مغايراً لقوله " مِنْ غَيْرِكُمْ " ، كما لا يُعتبر وصفُ الجنْسِ في قولك : " عِنْدِي رَجُلانِ اثْنَانِ مُسْلِمَانِ وآخَرَانِ كَافِرَانِ " ؛ إذ ليس من شرطِ " آخَرَ " إذا تقدَّم أن يكون من جنْس الأول بقيدِ وصفه ، وعلى ما ذكرته جاء لسانُ العربِ ؛ قال الشاعر : [البسيط] ٢٠٦٨ - كَانُوا

فَرِيقَيْنِ يُصْفُونَ الزِّجَاجَ عَلَى

قُعْسِ الكَوَاهِلِ في أشْدَاقِهَا ضَخَمُ

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٦٢

وآخرِينَ تَرَى المَاذِيَّ فَوْقَهُمُ

مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ أوْ مَا أوْرَثَتْ إرَمُ

." (١)

"المالِ ، أو الإثمِ ، حَسْبما تقدَّم ، وأمَّا " الأوَّلَيْنِ " فجمعُ " أوَّل " المقابل لـ " آخِر " ، وفيه أربعةُ أوجه : أحدها : أنه مجرورٌ صفةً لـ " الَّذين ".

الثاني : أنه بدلٌ منه ، وهو قليلٌ ؛ لكونه مشتقًّا.

الثالث : أنه بدلٌ من الضميرِ في " عَلَيهم " ، وحسَّنَه هنا ، وإن كان مشتقًّا عدمُ صلاحَيةِ ما قبله للوصف ، نقل هذَيْن الوجهَيْن الأخيرَيْنِ مكيٌّ.

الرابع : أنه منصوبٌ على المَدْح ، ذكره الزمخشريُّ ، قال : " ومعنى الأوَّلِيَّةِ التقدُّمُ على الأجَانب في الشَّهَادة ؛ لكونهم أحَقَّ بها " ، وإنما فَسَّر الأوَّلِيَّةَ بالتقدُّمِ على الأجَانِب ؛ جَرْياً على ما مَرَّ في تفسيره : أو آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ أنَّهُمَا من الأجانب لا من الكُفَّارِ وقال الواحديُّ : " وتقديرُه من الأوَّلينَ الَّذينَ اسْتُحِقَّ عليْهِمُ الإيصَاءُ أو الإثْمُ ، وإنما قيل لهم " ال أوَّلِينَ " من حيث كانوا أوَّلِينَ في الذِّكْرِ ؛ ألا ترى أنه قد تقدَّم : ﴿يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ وكذلك ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ﴾ ذُكِرَا في اللفظ قبل قوله : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ ، وكان ابنُ عباسٍ يختارُ هذه القراءة ، ويقول : " أرأيتَ إنْ كان الأوْليانِ صغيريْنِ ، كيف يَقُومَانِ مقامهما " ؟ أراد : أنهما إذا كانا صغيريْنِ لم يقُومَا في اليمين مقامَ الحانِثَيْنِ ، ونحا ابن عطية هذا المنحَى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩٣٠

قال : " معناه : من القوْمِ الذين استُحِقَّ عليهم أمرُهُمْ ، أي : غُلِبُوا عليه ، ثم وصفَهم بأنهم أوَّلون ، أي : في الذكْرِ في هذه الآية ".

وأمَّا قراءةُ الحَسَن فالأوَّلانِ مرفُوعَانِ بـ " استَحَقَّ " فإنه يقرؤهُ مبنيًّا للفاعل ، قال الزمخشريُّ : " ويَحْتَجُّ به مَنْ يَرَى ردَّ اليمينِ على المُدَّعِي " ، ولم يبيّن مَنْ هما الأوَّلاَن ، والمرادُ بهما الاثْنَانِ المتقدّمَانِ في الذكْرِ ؛ وهذه القراءةُ كقراءةِ حَفْصٍ ، فيُقَدَّرُ فيها ما ذُكِرَ ، ثم مما يليقُ من تقديرِ المفْعُولِ.

وأما قراءة ابن سيرينَ ، فانتصابُها على المَدْحِ ، ولا يجوزُ فيها الجَرُّ ؛ لأنه : إمَّا على البدل ، وإمَّا على الوصْف بجَمْعٍ ، والأوْلَيَيْنِ في قراءته مثنًّى ، فتعذر فيها ذلك ، وأمَّا قراءة " الأوْلَيْنَ " كالأعلَيْنَ ، فحكاها أبو البقاء قراءةً شاذَّة لم يَعْزُها ، قال : " ويُقْرَأ " الأوْلَيْنَ " جمع الأوْلَى ، وإعرابه كإعراب الأوَّلينَ " يعني في قراءة حمزة ، وقد تقدَّم أن فيها أربعةُ أوجه ، وهي جارية هنا.

قوله : " فَيُقْسِمَانِ " **نسقٌ على** " يَقُومَانِ " والسببيَّةُ ظاهِرَة ، و " لشَهَادَتُنَا أحَقُّ " : هذه الجملة جوابُ القسمِ في قوله : " فَيُقْسِمَانِ ".

٥٨٥

" .(١)

"وللسهولة والتَّذَلُّلِ المفهومة من هذه المادة اشْتَقُّوا منها لِلثَّدْي اسماً فقالو له : " ضَرْعاً ".

قوله : ﴿وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُم﴾ " لكنْ " هنا وَاقِعَةٌ بين ضدَّيْنِ ، وهما اللِّينُ والقَسْوَةُ ؛ وذلك أن قوله : " تضرَّعوا " مُشْعِرٌ باللِّينِ والسُّهُولةِ ، وكذلك إذا جعلءتَ الضَّراعَةَ عبارة عن الإيمان ، والقَسْوَةَ عبارة عن الكُفْرِ ، وعبَّرت عن السبب بالمُسَبَّبِ ، وعن المُسَبَّبِ بالسبب ، ألا ترى أانه تقول : " آمنَ قلبه فتضرَّعُ ، وقسا قلبه فكفر " وهذا أحسن من قول أبي البقاء : " ولكن " استدراك على المعنى ، أي ما تَضَرَّعُوا ولكن يعني أن التَّخْضِيضَ في معنى النَّفْي ، وقد يَتَرَجَّحُ هذا بما قالهُ الزمخشري فإنه قال : مَعْنَاهُ نَفْيُ التضرُّع كأنه قيل : لم يَتَضرَّعوا إذ جاءهم بأسُنَا ، ولكنه جاء بـ " لولا " ليفيد أنه لم يكن لهم عُذْرٌ في تَرْك التَّضَرُّعِ ، إلاَّ قَسْوَة قلوبهم ، وإعجابهم بأعمالهم التي زَيَّنَهَا الشَّيْطَانُ لهم.

قوله : " وزيَّنَ لَهُم " هذه الجملة تَحْتَمِلُ وجهين : أحدهما : أن تكون اسْتِئْنَافِيَّةً أخبر تعالى عنهم بذلك. والثاني : وهو الظاهر – : أنها داخلة في حيِّز الاستدراك **فهو نسقٌ على** قول : " قَسَتْ قُلُوبهم " وهذا رأي الزمخشري فإن قال : " لم يكن عُذْرٌ في ترك التَّضرع إلاَّ قَسْوَةُ قلوبهم وإعابُهُم بأعمالهم " كما تقدَّم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٩٤٤

و " ما " في قوله : " ما كانوا " يحتمل [أن تكون موصولة اسمية أي : الذي كانوا يعملونه] وأن تكون مصدرية ، أي : زيَّنَ لهم عَمَلَهُم ، كقوله : ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل : ٤] ويَبْعُدُ جَعْلُها نكرةً موصوفة.

فصل دلت هذه الآية مع الآية التي قبلها على مذهب أهل السُّنةِ ، لأنه بيَّن في الآية الأولى أن الكُفار يرجعون إلى الله – تعالى – عند نزول الشَّدائد ثم بيَّن في هذه الآية أنهم لا يَرْجعُونَ إلى الله – تعالى – عند كل ما كان من جِنْسِ الشَّدَائِدِ ، بل قد يبقون مُصِرِّينَ على الكُفْرِ غير راجعين إلى الله تعالى ، وذلك يَدُلُّ على أنَّ من لم يَهْدِهِ الله لم يَهْتَدِ سواء شَاهَدَ الآيات أوْ لم يُشَاهد.

فإن قيل : ألَيْسَ قوله : ﴿بل إيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ يَدُلُّ على أنهم تَضَرَّعُوا ، وها هنا يقول : " قَسَتْ قُلوبهم ولم يتضرَّعوا ".

فالجوابُ : أولئك أقْوَامٌ وهؤلاء أقوامٌ آخَرُون ، أو نقول : أولئك تَضَرَّعُوا لطلب إزالة

١٤٨

البَلِيَّة ولم يَتَضرَّعُوا على سبيل الإخلاصِ لله تعالى ، فلهذا الفَرْق حَسُنَ الإثْبَاتُ والنفي.

فصل احتج الجُبَّائي بقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُون﴾ على أنه – تعالى – إنما أرْسَل الرسل إليهم ، وإنما سَلَّطَ البَأسَاءَ والضَّرَّاء عليهم إرادةِ أن يتضرعوا أو يؤمنوا ، وذلك يَدُلُّ على أنه – تعالى – أراد الإيمان والطاعة من الكُلِّ.

والجوابُ أن كلمة " لَعلَّ " للتَّرَجِّي والتَّمَنِّين وهو في حق الله – تعالى – مُحَالٌ ، وأنتم حملتموه على إرادة هذا المَطْلُوب ، ونحن نحمله على أنه – تعالى – عاملهم مُعاملة لو صدرت عن غير الله لكان المَقْصُود منه هذا المعنى ، فأمَّا تعليل حكم الله – تعالى – ومشيئته ، فذلك مُحَالٌ على ما ثبت بالدَّليل ، ثم نقول : إن دَلَّتْ هذه الآية على قولكم من هذا الوَجْهِ ، فإنها تَدُلُّ على ضِدِّ قولكم من وجهٍ آخر ، وذلك لأنها تَدُلُّ على أنهم إنما لم يَتضَرَّعُوا لِقَسْوَةِ قلوبهم ، ولأجلِ أنَّ الشَّيْطَانَ زَيَّنَ لهم أعْمَالَهُمْ فنقول : تلك القَسْوَةُ إن [حصلت بفعلهم احتجاوا في إيجادها إلى سبب آخر ولزم التسلسل وإن] حصلت بفعل الله – تعالى – فالقول قولنا.

وأيضاً : هَبْ أن الكُفَّارَ إنما أقدموا على هذا الفعل القبيح [بسبب تزيين الشيطان ، إلاَّ أنا نقول : ولم بقي الشيطان مصراً على هذا الفعل القبيح] ، فإن كان ذلك لأجل شَيْطان آخر تَسَلْسَلَ إلى غير نهاية ، وإذا بطلت هذه التَّقَادِيرُ وانتهت إلى أنَّ كُلَّ أحد إنما يُقدِمُ تارةً على الخير وأخْرَى على الشَّرِّ ؛ لأجل الدَّوَاعي التي تحصل في قَلْبِهِ ثم ثبت أن تلك الدَّوَاعي لا تحصل إلاَّ بإيجاد الله ، فحينئذٍ يَصِحُّ قولنا ،

ويفسدُ قولهم بالكلية ، والله أعلم.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٧

." (١)

"عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم : " أعُوذُ بِوَجْهِكَ " قال : ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال : " أعُوذُ بِوَجْهِكَ ".

قال : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم : " هذا أهْوَنُ أوْ هَذَا أيْسَرُ " وعن عامر بن سعد بن أبي وقَّاصٍ ، عن أبيه قال : " أقبلنا مع روسوله الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا على مسجد بني مُعاويةَ ، فدخل وصلَّى ركعتين ، وصلينا معه فناجى ربه طويلاً ، ثم قال : " سَألْتُ ربِّي ثلاثاً : ألاَّ يُهْلِكَ أمَّتِي فأعْطَانِيها ، وسَالْتُهُ ألاَّ يُهْلِكَ أمَّتِي بالسَّنَةِ فأعْطَانيها ، وسَألْتُهُ ألاَّ يَجْعَلَ بأسَهُمْ بَيْنَهُمْ فمنَعَنِيهَا " وعن ابن عُمَرَ أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا في المسجد ، فسأله الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين ، ومنعه واحدة ، سأله ألاَّ يُسَلِّطَ على أمته عدواً من غيرهم يظهر عليهم ، فأعطاه ذلك ، وسأله ألا يهلكهم بالسِّنين ، فأعطماه ذلك ، وسأله ألاَّ يجعل بَأسَ بضعهم على بَعْضٍ فمنعه ذلك.

فصل في مزيد بيان عن الآية ظاهر قوله تعالى : ﴿أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا﴾ أنه يجعلهم على الأهْوَاءِ المختلفة ، والمذاهب المُتنافيةِ ، والحق منها ليس إلا لواحدٍ ، وما سواه فهو باطل ، وهذا يقتضي أنه - تعالى - قد يحلم المُكَلَّف على اعتقاد الباطِلِ.

وقوله : ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْض﴾ لا شَكَّ أن أكثرها ظُلم ومعصية ، وهذا يدل على كونه - تعالى - خالقاً للخير والشر.

وأجاب الخَصْمُ عنه بأنه الآية تَدُلُّ على أنه - تعالى - قادر عليه ، وعندنا أن الله - تعالى - قَادِرُ على القُبْحِ ، إنما النزاع في أنه - تعالى - هل يفعل ذلك أم لا ؟ وأجيب بأن وَجْهَ التَّمَسُّكِ بالآية شيء آخر ، فإنه قال : " هُوَ القادرُ " على ذلك ، وهذا يفيد الحَصْرَ ، فوجب أن يكون غَيْرُ الله غَيْرَ قادر على ذلك ، وقد حصل الاختلافُ بين الناس ، فثبت بِمُقْتَضَى الحَصْر المذكور ألاَّ يكون ذلك صَادِراً عن غير الله ، فوجب أن يكون صادراً عن الله ، وهو المطلوب.

فصل في إثبات النظر والاستدلال قالت المعتزلة والحَشَويَّة : هذه الآية من أدَلِّ الدلائل على المَنْعِ من النظر

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٠٥٢

والاستدلال ؛ لأن فَتْحَ تلك الأبواب يفيد وقوع الاختلاف ، والمُنازعة في الأديان ، وتفريق الخلائقِ إلى هذه المذاهبِ والأديان ، وذلك مَذْمُومٌ بهذه الآية ، والمُفْضِي إلى المذموم مَذْمُومٌ ، فوجب أن يكون فتح باب النظر والاستدلال مَذْمُوماً.

وأجيبوا بالآيات الدالة على وجوب النَّظَرِ والاستدلال كما تقدَّم مِرَاراً.

فصل في قراءة " يلبسكم " قرأ أبو عبد لاله المدني : " يُلْبِسَكُمْ " بضم الياء من " أَلْبَسَ " رباعياً ، وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون المفعول الثَّاني مَحْذُوفاً ، تقديره أو يُلْبِسكم الفِتْنَةَ ، و " شيعاً " على هذا حالٌ ، أي : يلبسكم الفِتْنَةَ في حال تفرُّقِكُمْ وشَتَاتِكُمْ.

الثاني : أن يكون " شيعاً " هو المفعول الثاني ، كأنه جعل النَّاس يلبسن بعضهم مجازاً كقوله : [المتقارب]

٢١٩١ - لَبِسْتُ أنَاساً فَأَفْنَيْتُهُمْ

وأفْنَيْتُ بَعْدَ أنَاسٍ أنَاسَا

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٠١

والشِّيعَةُ : من يَتَقوَّى بهم الإنسان ، والجمع : " شيع " كما تقدم ، و " أشْيَاع " ، كذا قال الراغب ، والظاهر أن " أشْيَاعاً " جمع " شِيعَ " كـ " عنب " و " أعْنَاب " ، و " ضِلَع " و " أضْلاع " و " شيع " جمع " شِيْعَة " فهو جمع الجمع.

قوله : " ويُذيْقَ " نَسَقٌ على " يِبْعَث " ، والإذاقَةُ اسْتِعَارةٌ ، وهي فاشية : ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر : ٤٨] ، ﴿ذُقْ إِنَّكَ﴾ [الدخان : ٤٩] ، ﴿فَذُوقُواْ العَذَابَ﴾ [الأنعام : ٣٠].

وقال : [الوافر] ٢١٩٢ - أذَقْنَاهُمْ كُئُوسَ المَوْتِ صِرْفاً

وَذَاقُوا مِنْ أسِنَّتِنَا كُئُوسَا

وقرأ الأعمش : " ونُذِيقَ " بنون العظمة ، وهو التْتِفَاتٌ ، فائدته تعظيم الأمر ، والتحذير من سطوَتِهِ.

قوله : ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون﴾ قال القاضي : هذا يَدُلُّ على أنه - تعالى أراد بتصريف الآيات ، وتقرير هذه البيِّنات أن يفهم الكل تلك الدلائل ، ويفقه الكل تلك البيِّنات.

وأجيب بأن ظاهِرَ الآية يَدُلُّ على أنه - تعالى - ما صرَّف هذه الآيات إلا لمن فقه

٢٠٤
." (١)

"أوجه ؛ كونه خبراً ، وأو بدلاً ، أو نعتاً فجاءت مع ما قبلها ستة أوجه ستة أوجه في هذه الآية ، و " شراب " يجوز رَفْعُهُ من وجهين ؛ الابتدائية والفاعلية عند الأخفش ، وعند سيبويه أيضاً على أن يكون " لهم " هو خبر المبتدأ أو حالاً ، حيث جعلناه حالاً ، و " شراب " مُرتفعٌ به لاعتماده على ما تقدَّم ، و " ن حميم " صفة لـ " شراب " فهو في مَحَلِّ رفع ، ويتعلق بمحذوف.

و " شراب " فعال بمعنى مفعول كـ " طعام " بمعنى " مطعوم " ، و " شراب " بمعنى " مشروب " لا يَنْقَاسُ ولا يقال : " أكال " بمعنى " مأكول " ولا " ضراب " بمعنى " مضروب ".

والإشارة بذلك إلى الَّذين اتخذوا في قول الزمخشري والحوفي ، فلذلك أتى بصيغة الجمع ، وفي قول ابن عطية وأبي البقاء إلى الجنْسِ المفهوم من قوله " أن تُبْسَلَ نَفْسٌ " إذ المرادُ به عُمومُ الانْفُسِ ، فلذلك أشير إليه بالجمع ، ومعنى الآية : أولئك الذين أبسلوا أسلمُوا للهلاكِ بما كسبوا " لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ".

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢١١

المقصود : من هذه الآية الرَّدُّ على عبدةِ الأصنام ، وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام : ٥٦].

فقوله : " أنَدْعُوا من دون الله " أي : أنعبد من دون الله النَّافِعِ الضَّارِّ ما لا يَقْدرُ لعى نَفْعِنَا إن عبدناهُ ، ولا على ضرنا إن تركناه.

قوله : " أنَّدْعُوا " استفهام توبيخ وإنكارن والجملة في مَحَلِّ نصب بالقول ، و " ما " مفعولة بـ " ندعوا " ، وهي موصولة أو نكرة موصوفة ، و " مِنْ دون الله " متعلِّقٌ بـ " ندعوا ".

قال أبو البقاء : " ولا يجوز أن يكون حالاً من الضمير في " يَنْفَعُنَا " ولا معمولاً لـ " يَنْفَعُنَا " لتقدُّمِهِ على " ما " ، والصلة والصفة لا تَعْملُ فيما قبل الموصول والموصوف.

قوله : " من الضمير في يَنْفعنَا " يعني به المرفوع العائد على " ما " وقوله : " لا تعمل فيما قبل الموصول والموصوف " يعني : أن " ما " لا تخرج عن هذين القسمين ولكن يجوز أن يكون " من دون " حالاً من " ما " نفسها على قوله ؛ إذ لم يجعل المانع من جعله حالاً من ضميره الذي في " يَنْفَعُنَا " إلاَّ صِناعِياً لا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٨٠

معنوياً ، ولا فرق بين الظاهر وضميره بمعنى

٢١٦

أنه إذا جازَ أن يكون حالاً من ظاهره ، جاز أن يكون حالاً من ضميره ، إلا أن يمنع مَانِعٌ.

قوله : " ونُرَدُّ " فيه وجهان : أظهرهما : **أنه نَسَقٌ على** " نَدْعُوا " فهو داخل في حيِّز الاستفهام المُتَسَلِّطِ عليه القَوْلُ.

الثاني : أنه حالٌ على إضمار مبتدأ ؛ أي : ونحن نُرَدُّ.

قال أبو حيَّان بعد نقله هنا عن أبي البقاء : " وهوضعيف لأضمار المبتدأ ، ولأنها تكون حالاً مؤكّدة " ، وفي كونها مؤكدة نظرٌ ؛ لأن المؤكدة ما فهم معناها من الأوَّلِ ، وكأنه يقول : من لازم الدعاء " من دون الله " الارتداد على العقب.

قوله : " عَلَى أعْقَابِنَا " فيه وجهان : أحدهما : أنه معلّق بـ " نُرَدُّ ".

والثاني : أنه متعلِّق بمحذوف على أنه حال من مرفوع " نرد " أي : نرد راجعين على أعْقابنا ، أو منقلبين ، أو متأخرين كذا قدَّرُوهُ ، وهو تفسير معنى ؛ إذا المُقَدَّرُ في مثله كونٌ مُطلقٌ ، وهذا يحتمل أن يقال فيه : إنه حال مؤكدة ، و " بعد إذ " مُتعلِّقٌ بـ " نُرَدُّ ".

[ومعنى الآية : ونرد على أعقابنا إلى الشِّرْكِ مرتدين بعد إذ هدانا الله إلى الإسلام.

يقال لكل من أعْرَضَ عن الحق إلى الباطل : إنه رجع إلى خَلْفٍ ، ورجع على عَقِبَيْهِ ، ورجع القَهْقَرى ؛ لأن الأصل في الإنسان الجَهْلُ ثم يترقى ويتعلم حتى يتكاملن ويحصل له العلم.

قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ [النحل : ٧٨] فإذا رجع من العِلْمِ إلى الجَهْلِ مرة أخرى ، فكأنه رجع إلى أوَّل أمره ، فلهذا السبب يقال : فلان رُدَّ على عقبيه].

قوله "كالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ " في هذه الكاف وجهان : أحدهما : أنه نَعْتُ مصدرٍ محذوف ؛ أي : نُرَدُّ رَدّاً مثل ردِّ الذين.

الثاني : في مَحَلّ نصب على الحال من مرفوع " نرد " ، أي : نرد مُشْبهينَ الذي استهوته الشياطين ، فمن جوَّز تعدُّدّ الحالِ جعلها حالاً ثانية ، إن جعل " على أعقابنا " حالاً ، ومن لم يُجَوِّزْ ذلك جعل هذه الحال بدلاً من الحال الأولى ، أو لم يجعل على أعقابنا حالاً ، بل معلّقاً بـ " نرد ".

الجمهور على " اسْتهْوتْهُ " بتاء التأنيث ، وحمزة " اسْتَهْوَاهُ " وهو على قاعدته من الإمالة ، والوجهان

معروفان مما تقدم في ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام : ٦١] وقرأ أبو عبد الرحمن والأعمش : " اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطانُ " بتأنيث الفعل ، والشيطان مفرداً.

٢١٧

". [1]

"وهذا ليس مذهب سبيويه ، إنما مذهبه ما تقدَّم تحقيقه في " سورة النساء ".

قوله " وأنْ أقِيمُوا " فيه أقوال : أحدها : أنها في مَحَلِّ نصب بالقول نَسَقاً على قوله : " إنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى " أي : قل هذين الشيئين.

والثاني : **أنه نَسَقٌ على** " لنسلم " أي : وأمرنا بكذا للإسلام ، ولنقيم الصلاة ، و " أن " تُوصل بالأمر كقولهم : كتب إليه بأن قم ، حكاه سبيويه وهذا رَأيُ الزَّجَّاج.

والثالث : **أنه نَسَقٌ على** " ائْتِنَا " قال مكي : لأن معناه : " أن ائتنا " ، وهو غير ظاهر.

والرابع : أنه مَعْطُوفٌ على مفعول الأمر المقدر ، والتقدير : وأمرنا بالإيمان ، وبإقامة الصلاة قاله ابن عطية.

قال أبو حيَّان : وهذا لا بأس به ، إذ لا بُدَّ من تقدير المفعول الثاني لـ " أمرنا " ويجوز حذف المعطوف عليه لِفَهْمِ المعنى ؛ تقول : أضَرَبْتَ زيداً ؟ فيجب نعم وعمراً ؛ والتقدير : ضربته وعمراً.

وقد أجاز الفراء : " جاءني الذي وزيد قائمان " ، التقدير : الذي هو وزيد قائمان ، فحذف " هو " لدلالة المعنى عليه ، وهذا الذي قاله أنه لا بأس به ليس من أصول البصريين.

و " أما نعم وعمراً " فلا دلالة فيه ؛ لأن " نعم " قامت مقام الجملة المحذوفة.

وقال مكي قريباً من هذا القول ، إلاَّ أنه لم يُصَرِّحْ بحذف المعطوف عليه ، فإنه قال : و " أن " في موضع نَصْب بحذف الجار ، تقديره : وبأنْ أقيموا ، فقوله : وبأن أقيموا هو معنى قول ابن عطية ، إلاَّ أن ذلك[أوضحه] بحذف المعطوف عليه.

وقال الزمخشري : فإن قلت : علام عطف قوله : " وأن أقيموا " ؟ قلت : على موضع " لنسلم "كأنه قيل : وأمرنا أن نسملم ، وأن أقيموا.

قال أبو حيَّان : وظاهر هذا التقدير أن " لنسلم " في موضع المفعُولِ الثاني لـ " أمرنا " وعطف عليه : " وأن أقيموا " فكتون اللام على هذا زَائِدَةً ، وكان قد تقدَّم قبل هذا أن " اللام " تعليل للأمر ، فتناقض كلامه ؛ لأن ما يكون عِلَّةً يستحيل أن يكون معفولاً ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٨٦

ويدلُّ على أنه أراد بقوله : " أن نسلم " في موضع المفعول الثاني قوله بعد ذلك : ويجوز أن يكون التقدير : وأمرنا لأن نسلم ، ولأن أقيموا ، أي للإسلام ولإقامة الصلاة ، وهذا قول الزَّجَّاجِ ، فلو لم يكن هذا القول مغايراً لقوله الأوَّل لاتَّحَدَ قَوْلاَهُ ، وذلك خُلْفٌ.

قال الزَّجَّاج : " أن أقيموا " عطف على قوله " " لنسلم " ، تقديره : وأمرنا لأن نسلم ، وأن أقيموا.

قال ابن عطية : واللَّفْظُ يُمانِعُهُ ، لأن " نسلم " معرب ، و " أقيموا " مبني ، وعطف المبني على المعرب لا يجوز ، لأن العطف يقتضي التَّشْرِيكَ في العامل.

قال أبو حيان : وما ذكر من أنه لا يعطف المبني على المعرب ليس كما ذكر ، بل يجوز ذلك نحو : " قام زيد وهذا " ، وقال تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود : ٩٨] غَايَةُ ما في الباب أن العامل يُؤَثِّرُ في المعرب ، ولا يُؤَثِّرُ في المبني ، وتقول : " إن قام زيد ويقصدني أكرمه " ، ف " إن " لم تُؤَثِّرْ في " قام " ؛ لأنه مبني ، وأثرت في " يقصدني " ؛ لأنه معرب ثم قال ابن عطية : " اللهم إلا أن تجعل العطف في " إن " وحدها ، وذلك قلق ، وإنما يَتَخَرَّجُ على أن يقدر قوله : " وأن أقيموا " بمعنى " ولنقم " ، ثم خرجت بلفظ الأمر لما في ذلك من جزالةِ اللفظ ، فجاز العطفُ على أن يلغي حكم اللفظ ، ويعول على المعنى ، ويشبه هذا من وجهة ما حكاهُ يونس عن العرب : ادخلوا الأوَّل فالأوَّل ، وإلا فلا يجوز إلاَّ الأول فالأوَّل بالنصب ".

قال أبو حيَّان : وهذا الذي استدركه بقوله : " اللهم إلا " إلى آخره هو الذي أراده الزَّجَّاج بعينه ، وهو " أن أقيموا " معطوف على " أن نسلم " ، وأن كليهما عِلَّةٌ للمأمور به المحذوف ، وإنما قلق عند ابن عطية ؛ لأنه أراد بقاء " أن أقيموا " على معناها من موضوع الأمر ، وليس كذلك ؛ لأن " أنْ " إذا دخلت على فعل الأمر ، وكانت المصْدَرِيَّةَ انْسَبَكَ منها ومن الأمر مصدر ، وإذا انْسَبَكَ منهما مصدر زال معنى الأمر ، وقد أجاز النحويون سيبويه وغيره أن تُوصَلَ " أن " المصدرية الناصبة للمضارع بالماضي والأمر.

قال سيبويه : وتقول : كتبت إليه بأن قم ، أي بالقيام ، فإذا كان الحكم كذا كان قوله : " لنسلم " و " أن أقيموا " في تقدير الإسلام ولإقامة الصلاة ، وأما تشبيه ابن عطيَّة له بقوله : ادخلوا الأوَّل فالأول : بالرفع ، فليس بتشبيهح لأن ادخلوا لايمكن لو أزيل عنه الضمير أن يتسلَّطَ على ما بعده ، بخلاف " أنْ " فإنها تُوصَلُ بالأمرِ ، فإذن لا شبه بينهما انتهى.

٢٢١
." (١)

"أما قول أبي حيَّان : " وإنما قلق عند ابن عطية ؛ لأنه أراد بقاء " أنْ أقيموا " على معناها من موضوع الأمر " ، فليس القلقُ عنده لذلك فقط كما حصره الشيخ ، بل لأمر آخر من جهة اللفظ ، وهو أن السِّيَاقَ التَّرْكِيبِيَّ يقتضي لعى ما قاله الزجاج أن يكون " لنسلم وأن نقيم " ، فتأتي في الفعل الثاني بضمير المتكلم ، فلما لم يقل ذلك قلق عنده ، ويدلُّ على [ما ذكرته] قول ابن عطية : " بمعنى : ولنقم ثم خرجت بلفظ الأمر " إلى آخره.

والخامس : أنه مَحْمُولٌ على المعنى ؛ إذا المعنى قيل لنا : أسْلِمُوا وأن أقيموا.

وقال الزجاج : فإن قيل : كيف حَسُنَ عطف قوله : " وأن أقيموا الصلاة واتقوه " على قوله " وأمِرْنَا لِنُسلمَ لِرَبِّ العالمينَ " ؟ فالجواب من وجهين : الأول : أن يكون التقدير : وأمرنا لنسلم لرب العالمين ، ولأن نقيم الصلاة.

الثاني : أن يكون التقدير : وأمرنا فقيل لنا أسلموا لربِّ العالمين ، وأقيموا الصَّلاة.

فإن قيل : هَبْ أن المُرَادَ ما ذكرتم ، لكن ما الحِكْمَةُ في العُدُولِ عن هذا اللَّفْظِ الظَّاهِرِ ، والتركيب الموافق للعقل إلى ذلك اللفظ الذي لا يهتدي العقل إلى معناه ، إلاَّ بالتأويل ؟ !.

فالجواب : لأن الكافر ما دام [يبقى] على كُفْرِهِ كان كالغَائبِ الأجنبي ، فلا جرم خُوطِبَ بخطاب الغائبين ، فيقال له : " وأمِرْنَا لِنُسلِمَ لِرَبِّ العَالمينَ " فإذا أسلم [وآمن] ودخل في الإيمان صار كالقريب الحاضرن فلا جرمَ خُوطِبَ بخطاب الحاضرين ، ويقال له " وأنْ أقيمُوا الصَّلاة وأتَّقُوُ " فالمقصود من ذِكْرِ هذهين النوعين من الخطاب للتنبيه على الفَرْقِ بين حالتي الكُفْرِ والإيمان ، وتقريره أن الكافر بعيد غائب ، والمؤمن قريب حاضر.

فصل في أنه لا هدى إلا هدى الله اعلم أن الله – تعالى – لما بيَّن أوَّلاً أن الهُدَى النافع هو هدى اللهن أرْدفَ ذلك الكلام الكُلِّيَّ بِذِكْرِ أشرف أقْسَامِهِ على الترتيبن وهو الإسلام ، وهو رئيس الطاعات الروحانية ، والصلاة التي هي رَئِيسَةُ الطاعات الجِسْمَانِيَّةِ ، والتقوى التي هي رئيسة باب التروك والاحتراز عن كل ما لا ينبغي ، ثم بيَّن منافع هذه الأعمالن فقال : " وهُو الَّذي إليْهِ تُحْشَرونَ " يعني أن منافع هذه الأعمال إنما تظهر في يوم الحشر.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٨٨

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢١٦

لمَّا بيَّن في الآيات المتقدمة فساد طريقة عبادة الأصنام ذكر هاهنا ما يدل على أنْ لا معبود إلاَّ الله ، وذكرها هاهنا أنواعاً من الدلائل : أحدهما : قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ تقدم أول السورة.

وقوله : " بالحق " قيل : الباء بمعنى اللام ، أي إظهار للحق ؛ لأنه جعل صُنْعَهُ دليلاً على وحدانيته ، فهو نظير قوله : ﴿رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً﴾ [آل عمران : ١١٩] ، وقوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [الدخان : ٣٨].

وثانيها : قوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ في " يوم " ثمانية أوجه : أحدهما : - وهو قول الزَّجَّاج - أنه مفعول به لا ظَرْفٌ ، وهو معطوف على الهاء في " اتقواه " أي : واتقوا يوماً أي : عقاب يوم يقول ، أو هوله أو فزعه ، فهو كقوله تعالى في موضع آخر : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي﴾ [البقرة : ٤٨] على المشهور في إعرابه.

والثاني : أنه مفعول به أيضاً ، ولكنه نَسَقٌ على السموات والأرض ، أي : وهو الذي خَلَقَ يوم يقول.

الثالث : أنه مفعول لـ " اذكر " مقدراً.

الرابع : أنه منصوب بعامل مقدر ، وذلك العامل المُقَدَّرُ مفعول فعل مقدر أيضاً ، والتقدير : واذكروا الإعادة يوم يقول : كن ، أي يوم يقول الله للإجساد : كوني مُعَادَةً.

الخامس : أنه عَطْفٌ على موضع قوله : " ب الحق " فإن موضعه نَصْبٌ ، ويكون " يقول " بمعنى قال ماضياًن كأنه قيل : وهو اذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم قال لها : كن.

السادس : أن يكون " يوم يقول : كن فيكون ، وإليه ننحا الزمخشري ، فإنه قال : " قوله الحق " مبتدأ ، و " يوم يقول " خبره مقدماً عليه ، وانْتِصَابُهُ بمعنى الاستقرار ، كقولك : " يوم الجمعة القتال " واليوم بمعنى الحينِ ، والمعنى : أنه خلق السموات والأرض قائماً بالحكم ، وحين يقول لشيء من الأشياء : كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة.

فإن قيل : قول الله حَقّ في كل وقت ، فما الفائدةُ في تخصيص هذا اليوم بهذين الوصفين ؟ فالجواب : لأن هذا اليوم لا يَظْهَرُ فيه من أحَدٍ نَفْعٌ ولا ضر ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار : ١٩] فلهذا السبب حَسُنَ هذا التخصيص.

". (١)

"الوحي " ، أو الإيحاء.

والأوّلاً أولى ؛ لأن فيه فائدةً جديدةً ، بخلاف الثاني فإن معنى المصدر مفهوم من الفعل قَبْلَهُ.

قوله : " وَلَمْ يُوحَ إِلَيْه " جملة حاليةٌ ، وحذف الفاعل هنا تعظيماً له ؛ لأن المُوحِي هو الله تعالى.

قوله : " ومَنْ قَالَ " مجرور المَحَلّ ؛ **لأنه نَسَقٌ على** " مَنْ " المجرور بـ " من " أي : وممن قال ، وقد تقدم نظير هذا الاستفهام في " البقرة : وهناك سؤال وجوابه.

قوله ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنَزلَ اللَّهُ﴾ وقرا أبو حيوة : " سأنزّل " مضعفاً وقوله : " مثل " يجوز فيه وجهان : أحدهما : أنه مَنْصُوبٌ على المفعول به ، أي سأنزل قرآناً مِثْلَ ما أن الله ، و " ما " على هذا مَوصُولةٌ اسمية ، أن نكرة موصوفة ، أي : مثل الذي أنزله ، أو مثل شيء أنزله.

والثاني : أن يكون نعتاً لمصدر محذوف ، تقديره : سأنزل إنزالاً مثل ما أنزل الله ، و " ما " على هذا مصدرية ، أي : مثل إنزال الله.

فصل في نزول الآية قيل : نزلت هذه الآيةُ الكريمة في عبد الله بن أبي سَرْحٍ كان قد أسلم ، وكان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه " سميعاً بصيراً " كتب عليماً حكيماً ، وإذا أملى عليه " عليماً حكيماً " كتب " غفوراً رحيماً " فلما نزل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون : ١٢] أمْلاَهَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خَلْقِ الإنسان ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون : ١٤] فقال : ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين﴾ [المؤمنون : ١٤] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اكْتُبْهَا فَهَكَذَا نَزَلَتْ " فَشَكَّ عبد الله.

فقال : لئن كان محمد صادقاً فقد أوحي إلي كما أوحي إليه فارتدَّ عن الإسلام ، ولحق بالمشركين ، ثم رجع عبد الله إلى الإسْلام قبل فتح " مكّة " المشرفة ، إذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : يريد النَّضْرَ بن الحارثِ ، والمستهزئين ، وهو جواب لقولهم : ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ [الأنفال : ٣١] وقوله في القرآن : ﴿إِنْ هَاذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال : ٣١] فكل أحمد يمكنه الإتيان [بمثله].

" وَلَوْ تَرَى " يا محمد " إذ الظالمون " و " إذا " منصوب بـ " ترى " ، ومَفْعُول الرؤية محذوف ، أي : ولو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٨٩

ترى الكُفَّار الكذبةَ ، ويجوز ألا يقدّر لها مفعول ، أي : ولو كنت من أهل الرُّؤيةِ في هذا الوقتِ ، وجواب " لو " محذوف ، أي : لَرَأيْتَ أمراً عظيماً.

و " الظالمون " يجوز أن تكون فيه " أل " للجنس ، وأن تكون للعهد ، والمراد بهم من تقدَّم

٢٨٨

ذكره من المشركين واليهود والكذبةِ المفترين و " في غَمَارتِ المَوْتِ " خبر المبتدأ ، والجملة في مِحَلِّ خفض بالظَّرْفِ.

و " الغَمَراتُ جمع " غَمْرة " وهي الشدة المفظعة وأصلها مِنْ غَمَرَةُ الماءُ إذا سَتَرَهُ ، وغَمْرَةُ كلِّ شيء كثرته ومعظمه ، ومنه غمرة الموت وغمرة الحرب.

ويقال : غمرت الشيء إذا علاه وغطَّاه.

قال الزَّجَّاج : يقال لكل من كان في شيء كثير : قد غَمَرَهُ ذلك وغمره الدَّيْنُ إذا كثر عليه ، ثم يقال للمَكَارِهِ والشدائد : غمرات ، كأنها تَسْتُرُ بغمرها وتنزل به قال في ذلك : [الوافر] ٢٢٣٤ - وَلاَ يُنْجِي مِنَ الْغَمَراتِ إلاَّ

بَرَاكَاءُ القِتَالِ أو الفِراءُ

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٨٦

ويجمع على " غُمَرَ " ك " عُمْرة " و " عُمَر " كقوله : [الوافر] ٢٢٣٥ - ....

وَحَانَ لِتَالِكَ الغُمَرِ انْقِشَاعُ

ويروى " انحسار ".

وقال الرَّغِبُ : أصل الغَمْرِ إزالةُ أثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل أثر سيله : غمر وغامر ، وأنشد غير الراغب على غامر : [الكامل] ٢٢٣٦ - نَصَفَ النَّهَارُ المَاءُ غَامِرُهُ

وَرَفِيقُهُ بالغَيْبِ لا يَدْرِي

ثم قال : " والغمرة مُعْظَمُ الماء لِسَتْرِهَا مَقَرِهَا ، وجعلت مثلاً للجَهَالَةِ التي تغمر صاحبها ".

والغَمْرُ : الذي لم يُجَرِّب الأمور ، وجمعه أغْمَار ، والغِمْرُ : - بالكسر - الحِقْدُ ، والغَمْرُ بالفتح : الماء الكثير ، والغَمَرُ بفتح الغين والميم : ما يغمر من رائحة الدَّسَم سائر الروائح ، ومنه الحديث " مَنْ بَاتَ وفِي يَدَيْهِ غَمَرٌ ".

وغرم يده ، وغمر عرضه دنس ، ودخلوا في غُمَارِ الناس وخمارهم ، والغمرة ما ٢٨٩." [1]

"وقال مَالك بن دِينَار : إن شَيَاطين الإنْس أشَد عليَّ من شَيَاطِين الجِنّ ، وذلك أنّي إذَا تعَوَّذت باللَّه ، ذهب عني شَيَطان الجِنِّ ، وشيطان الإنس يجيئني ، فَيَجرُّني إلى المَعَاصي.

قوله : " يُوحي " يُحْتَمل أن يكون مُسْتَأنفاً ، أخبْرَ عنهم بذلك ، وأن يكون حالاً من " شياطين " وأن يكون وَصْفاً لـ " عَدُوّاً " وقد تقدَّم وَاقِع مَوْقع أعْدَاء ، فَلذلك عَادَ الضَّمِير عَلَيْه جَمْعاً في قوله " بَعْضُهم " انتهى.

فصل في معنى قوله : " يوحي " الوحي : هو عِبَارة عن الإيماءِ ، والقَوْل السَّريع ، والزُّخْرُف هو الذي يَكُون بَاطِنُه باطلاً ، وظاهر مُزَيَّناً ، يقال : فلان يزخرف كلامه ، إذا زَيَّنَه بالبَاطِل والكذب ، وكلُّ شيء حَسَن مَمَوّه ، فهو مُزَخْرَف والزُّخْرف : الزّينة ، وكلام مُزَخْرَف ، [أي] : مُنَمَّق ، وأصله الذَّهب ، ولما كان الذَّهب مُعْجِبٌ لكل أحَد ، قيل لكل مُسْتَحْسن مزين : زُخْرُف.

وقال أبو عُبَيْدة : كل ما حَسَّنْتَه ، وزيَّنته ، وهو بَاطِل : فهو زُخْرُف ، وهذا لا يَلْزَم ، إذ قد يُطْلَق على مَا هُو زِينَة حَقّ ، وبيت مُزَخْرَف ، أي : مُزَيَّن بالنَّقْش ، ومنه الحَدِيث : أنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم لم يَدْخُل الكَعْبَة حتى أمر بالزُّخْرف فَنُحِّيَ يعني : أنهم كَانُوا يُزَيِّنُون الكعبة بِنُقُوش ووتصاوير مُمَوِّهة بالذَّهب ، فأمر بإخْرَاجِها.

قوله : " غُرُواً " قيل : نُصِب على المَفْعُول له ، أي : لا يَغُرُّوا غيرهم.

وقيل : هو مَصْدر في مَوْضِع الحَالِ ، أي : غارّين ، وأن يَكُون مَنْصُوباً على المَصْدَر ؛ لأن العَامِل فيه بِمَعْنَاه ، كأنه قِيل : " يَغُرُّون غُرواً بالوَحي ".

قوله : " ولَوْ شَاءَ ربُّكَ ما فَعَلُوه " ما ألْقواه من الوسْوَسة في القُلُوب ، وقد تقدَّم الكلام في المَشِيئة ومَدْلُولِها مع المُعتزلة.

قوله : " وما يَفْتَرُون " " ما " موصولة اسميَّة ، أو نكرة مَوْصُوفة ، والعَائِد على كلا هَذَين القَوْلَيْن محذُوفٌ ، أي : " وما يَفْتَرُونَه " أو مصدريَّة ، وعلى كُلِّ قوله فمحلُّهَا نَصْب ، وفيه وَجهَان : أحدهما : **أنها نَسَق على** المَفْعُول في : " فَذَرْهُمْ " أي : اتْرُكْهُم ، واترك افْتِرَاءهم.

والثاني : أنَّها مفعول مَعَه ، وهو مَرْجُوحٌ ، لأنه متى أمكن العَطْف من غير ضَعْفٍ في التركب ، أو في

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢١٢٦

المَعْنَى ، كان أوْلَى من المَفْعُول معه.

قال ابن عبَّاسٍ – رضي الله عنهما – يُرِيد بقوله : " فَذَرْهُم وما يَفْتَرون " : ما زيَّن لهم إبْليس وغرَّهُم.

٣٨٦

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٨٣

في هذه اللاَّم ثلاثة أوْجُه : أحدها : أنها لام "كَيْ " والفِعْل بعدها مَنْصُوب بإضمار " أن " وفيما يتعلَّق به احتمالان : الاحتمال الأول : أن يتعلَّق بـ " يُوحِي " على أنَّها نَسَق على " غُرُوراً " و " غُرُوراً " مفعول له ، والتقدير : " ويحي بَعْضُهم إلى بَعْض للغُرُور وللصَّغْو " ، ولكن لما كان المَفْعُول له الأوَّل مُسْتَكْمِلاً لِشُروط النَّصْب ، نُصِب ، ولما كان هذا غير مُسْتكملٍ للشُّروطِ ، وصل افعل إليه بِحَرف العِلَّة ، وقد فَاتَه من الشُّروط كونه لم يتَّحِد فيه الفَاعِل ، فإنَّ فاعل الوحي : " بَعْضُهم " ، وفاعل الصَّغْو : " الأفئدة " وفات أيضاً من الشُّروط صَرِيح المصدريَّة.

والاحتمال الثاني : أن يتعلَّقِ بِمَحْذُوف متَأخِّر بَعْدَها ، فقدَّره الزَّجَّاج ، ولِتَصْغى إليه فَعَلُوا ذَلِك ، وكذا قدَّره الزَّمَخْشَرِي ، فقال : ولِتَصْغى جَوَابُه مَحْذُوف ، تقديره : وليكون ذَلِك جَعَلْنا لكُلِّ نبي عدُواً على أن اللاَّم لام الصَّيْرُورة.

والوجه الثاني : أن اللاَّم لام الصَّيْرُورة وهي الَّتِي يعبِّرون عنها بِلام العاقِبَة ، وهي رأي الزَّمَخْشَري ، كما تقدَّم حكايته عنه.

الوجه الثالث : أنها لام القَسَم.

قال أبو البقاء : " إلا أنَّها كُسِرتْ لمَّا لم يؤكد الفِعْل بالنُّون " وما قَالَه غير مَعْرُوف ، بل المَعْرُوف في هذا القَول : أنَّ هذه لام كَيْ ، وهي جوابُ قسم مَحْذُوف ، تقديره : واللَّه لتَصْغَى فوضع " لِتَصْغَى " موضع " لَتَصْغَيَنَّ " فصار دواب القَسَم من قَبِيل المُفْرَد ؛ كقولك : " والله ليقومُ زيد " أي : " أحْلِفُ بالله لَقيامُ زيد " هذا مَذْهبُ الأخْفَش وأنشد : [الطويل] ٢٢٨٩ – إذَا قُلْتُ قَدْنِي قَالَ بِاللَّه حَلْفَةً

لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إنَائِكَ أجْمَعَا

فقوله : " لتُغْني " جواب القَسَم ، فقد ظَهَر أن هذا القَائِل يَقُول بكونها لام كي ، غاية

٣٨٧

ما في الباب أنَّها وقعت مَوْقِع جواب القَسَم لا أنَّها جوابٌ بِنَفْسِها ، وكُسِرَتْ لمَّا حُذِفَتْ من٥١ نون التَّوكيد ، ويدلُّ على فساد ذلك ، أنَّ النُّونَ قد حُذِفَتْ ، ولامَ الجواب بَاقِية على فَتْحِها ، قال القَائِل في ذلك :

[الطويل] ٢٢٩٠ - لئِنْ تَكُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ بُيُوتُكُمْ
لَيَعْلَمُ رَبِّي أنَّ بَيْتِيَ وَاسِعُ
". (١)

"قيل "كذلك " نَسَقٌ على " كَذَلِكَ " قبلها ففيها ما فيها.

وقدَّرَهُ الزَّمَخشَرِيُّ بأنّ معناه : " وكما جعلنا في مكَّةَ المشرفةِ صَنَادِيدَهَا لِيَمْكُرُوا " يجوزُ أن تكون فيها ، كذلك جعلْنَا في كل قريةٍ أكابرَ مجْرِميها " واللامُ في " لِيَمْكُرُوا " يجوزُ أن تكون للعقاقبة ؛ وأنْ تكونَ للعلَّة مَجَازاً ، و " جَعَلَ " تَصْييريَّة ، فتعدَّى لاثنَيْنِ ، واختُلِف في تقديرهما : والصحيحُ أنء تكُونَ " فِي قَرْيَةٍ " مَفْعُولاً ثانياً قُدِّم على الأوَّل ، والأولُ " أكابِر " مُضَافاً لمجرميها.

الثاني : أنَّ " فِي كُلَّ قَرْيَةٍ " مفعولٌ - مقدَّمٌ ، و " أكَابِر " هو الأول ، و " مُجْرِمِيهَا " بدلٌ من " أكَابِر " ؛ ذكر ذلك أبُو البقاء.

الثالث : أن يكُون " أكَابِر " معفولاً ثانياً قُدِّم ، و " مُجْرِيمها " مَفْعُولٌ أول أخِّر ، والتقديرُ : جَعَلءنا في كُلِّ قريةٍ مجرميها أكَابِرَ ، فيتعلق الجارُّ بنفسِ الفِعْلِ قبلهح ذكر ذلك ابنُ عَطِيَّة.

قال أبُو حيَّان : " وما أجَازَاهُ - يعني : أبَا البَقَاءِ ، وابنُ عَطيَّةَ. خطأٌ وذهولٌ عن قاعدةٍ نَحْويَّةٍ ، وهي أنَّ أفْعَلَ التفضيلِ إذا كانت بـ " مِنْ " مَلْفُوظاً بها ، أو مقدرةً ، أو مُضَافة إلى نِكَرَة كانت مُفردةً على كُل حالٍ ، سواءٌ كانت لمذكر ، أم مؤنث ، مُفْرَدٍ أم مُثَنى أمْ مَجْمُوعٍ ، وإذا ثُنِّيَتْ أو جُمِعَتْ أو أنِّثَتْ وطابَقَتْ ما هي له ، لَزِمَها أحَدُ أمْرَيْنِ : إمَّا الألف واللام ، وإمَّا الإضافة لمعرفة.

وإذا تقرَّرَ ذلك ، فالقولُ بكوْنِ " مُجْرِميهَا " بدلاً ، أو بكونه مفعولاً أول ، و " أكابر " مَفعولٌ ثانٍ - خَطَأٌ ؛ لاسْتلْزام أنْ يبقى " أكَابِرَ " مَجْمُوعاً وليست في ألِفٌ ولامٌ ، ولا هِيَ مُضَافة لمعرفةٍ ".

قال : " وقد تنبّه الكرمَانِيُّ إلى هذه القاعدة فقال : أضَاف " أكَابِر " إلى " مُجْرِمِيها " لأن أفْعَلَ لا يُجْمَعُ إلاَّ مع الألفِ واللامِ ، أو مع الإضافة ".

قال أبُو حيَّان : " وكان يَنْبَغِي أنْ يُقَيَّد بالإضافة إلى معرفةٍ ".

قال شهابُ الدِّين : أما هذه القاعدةُ فمسلمة ، ولكن قد ذكر مكِّي مِثْلَ ما ذُكِر عن ابْن عَطيَّة سواء ، وما أظُنّه أخذ إلاَّ منه ، وكذلك الواحديُّ أيضاً ، ومنع أنْ تُجوَّز إضافةُ " أكابر " إلى مجرميها " ؛ قال رحمه الله : " والآيةُ على التَّقْديم ، والتأخير تقديرُه :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢١٨٦

٤١٠

" جَعَلْنَاه مُجْرِميها أَكَابر " ولا يجوز أن تكون الأَكَابِر مضافةً ؛ لأنه لا يتمُّ المعنى ، ويحتاجُ إلى إضْمار المفعول الثاني للجعل ؛ لأنك إذا قلت : " جعلتُ زَيْداً " وسكتَّ لم يُفِد الكلامُ حتى تقول : رَئِيساً أوَ َليلاً ، أو ما أشبه ذلك ، ولأنَّك إذا أضَفْتَ الأَكَابِر ، فقد أضَفْتَ النعتَ إلى المنعوت ؛ وذلك لا يجوزُ عند البَصْرِيّين ".

قال شهابُ الدِّين : هذان الوجْهَانِ اللذان ردِّ بهما الواحديُّ لَيْسَا بِشَيْءٍ.

أمَّا الأولُ فلا نسلم أنا نُضْمِرُ المعفول الثاني ، وأنه يَصِيرُ الكلامُ غيرَ مُفِيد ، وأمَّا ما أوْرَده من الأمْثِلَةِ ، فليس مُطَابِقاً ؛ لأنَّا نقولُ : إنَّ المفعول الثَّانِي - هنا - مذكورٌ مصرّحٌ به ، هو الجارُّ والمجرورُ السابقُ.

وأما الثاني : فلا نُسَلِّم محذوفٌ ، قالوا : وتقديرُه : " جعلنا في كُلِّ قرية أكَابر مُجْرميها فُسَّقاً لِيَمْكُرُوا " وهذا لَيْس بِشَيْءٍ ؛ لأنه لا يحذفُ شيء إلاَّ لدليلٍ ، والدليلُ على ما ذكروه غيرُ واضحٍ.

وقال ابنُ عطيَّة : " ويقالُ أكابرة كما يقالُ أحْمر وأحَامِرَةَ " ؛ قال الشاعر : [الكامل] ٢٣٠٣ - إنَّ الأحَامِرَة الثَّلاثَةَ أتْلَفَتْ

مَالِي وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْماً مُؤْلَعَا

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤١٠

قال ابو حيان : " ولا أعْلَمُ أحَداً أجاز في جَمْع أفْضَل أفَاضِلَة ، بل نَصَّ النحويون على أن : أفْعَل التَّفْضِيل يجمعُ للمذكَّرِ على الأفضَلِين ، أو على الأفاضل ".

قال شهابُ الدين : وهذه التاءُ يذكرها النحويونُ أنها تكون دَالَّةً على النسب في مِثْلِ هذه البنية ، قالوا : الأَزَارِقَة ، والأشاعِثَة ، وفي الأزْرَقِ ورهطه ، والأشْعَث وبنيه ، ولي بقياسٍ ، ولَيْس هذا مِنْ ذلك في شَيْءٍ.

والجمهورُ على " أكَابِرَ " جَمْعاً.

وقرأ ابنُ مُسْلِم : " أكبر مجرميها " بالإفْرَادِ ، وهو جائِزٌ ، وذلك أنَّ أفعل التفضيل إذا أضيفت لمعرفة وأُريد بها غيرُ الإفْرَادِ ، والتذكير ؛ جاز أنْ يُطابِق ، كالقراءةِ المشهُورةِ

٤١١

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٠٠

"قال الفرَّاءُ : ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ فيه واو مُضْمَرَةٌ ، المعنى : أهلكناها فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أو هم قائلون فاستثقلوا نسقاً على **أثَرِ نَسَقٍ ،** ولو قيل لكَانَ صواباً.

قلتُ : قد تقدَّم أنَّ الشَّيخَ نقل أنَّ الواوَ ممتنعةٌ في هذا المثال ، ولم يَحكِ خِلافاً ، وهذا قَوْلُ الفرَّاءِ : " ولو قيل لكان صواباً " مُصَرِّحُ بالخلاف له.

وقال أبُو بَكْرٍ : أضْمِرَتْ واوُ الحالِ لوُضُوحِ معناها كما تَقُولُ العرب : " لقيتُ عَبْدَ الله مُسْرعاً ، أو هو يَرْكُضُ " فَيَحْذِفُونَ الواوَ لأمْنِهمُ اللَّبس ، لأن الذِّكْرَ قد عَادَ على صاحب الحال ، ومن أجل أنَّ " أو " حرف عطف والوُ كَذِلَكَ ، فاسْتَثْقَلُوا جمعاً بين حرفين من حروفِ العَطْفِ ، فَحَذَفُوا الثَّانِي.

قال شهابُ الدِّين : فهذا تَصْرِيحٌ من هذين الإمَامَيْنِ بما ذكره أبُوا القَاسِم ، وإنما ذكرتُ نص هذين الإمَامَيْنِ ؛ لأعلم اطلاعه على اقوال النَّاسِ ، وأنَّهُ لا يأتي بغير مُصْطَلَحِ أهْلِ العلم كما يرميه به غير مرَّةٍ.

و " قَائِلثونَ " من القَيْلأُولَةِ.

يقال : قَالَ يَقِيلُ [قَيْلُولَةً﴾ فهو قَائِلٌ ك " بائع " والقيلُولَةُ : الرَّاحَةُ والدعَةُ في الحرِّ وسط النهار ، وإن لم يكن معها نَوْمٌ.

وقال اللَّيث : هي نَوْمَةُ نِصْفِ النَّهَارِ.

قال الأزْهَرِيُّ : " القيلولة : الرَّاحَةُ ، وإن لم يكن فيها نَوْمٌ بدليل قوله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان : ٢٤] ، والجنَّةُ لا نَوْمَ فيها ".

قال شهابُ الدِّين : و " ولا دليلَ فيما ذَكَرَ ؛ لأن المقيل هنا خرج عن موضعه الأصْلِيّ إلى مُجَرَّدِ الإقامة بدليل أنَّهُ لا يراد أيضاً الاستراحة في نِصْفِ النَّهَارِ في الحر فقد خَرَجَ عن موضعه عندنا وعندكم إلى ما ذكرنا ، والقَيْلُولَةُ مصدرٌ ومثلها : القَائِلَةُ والقيلُ والمَقِيلُ ".

فصل في المراد بالآية معنى الآية أنهم جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ، وهم غير متوقِّعين له ، إمَّا ليلاً وهم نَائِمُونَ ، أو نهاراً وهم قَائِلُونَ ، والمُرَادُ أنَّهُم جاءهم العذابُ على حين غَفْلَةٍ منهم ، من غير تقدُّم أمارة تدلُّهم على نزول ذلك العذاب مكانه ، قيل لِلْكُفَّارِ : لا تغتروا بأسباب الأمْنِ والرَّاحة ، فإنَّ عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق أمارة.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٣

قوله تعالى : ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ جوَّزُوا في " دَعْواهُم " وجهين :

١٧

أحدهما : أن يكون اسْماً لـ "كان " ، و ﴿إلاَّ أَن قَالُوا اْ﴾ خبرها ، وفيه خدشٌ من حيث إنَّ غير الأعرف جعل اسماً والأعْرَفُ جعل خبراً ، وقد تقدَّم ذلك في أوَّل الأنعام عند ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام : ٢٣].

والثانيك أن يكون " دَعْوَاهُم " خبراً مقدماً و ﴿إلاَّ أَن قَالُوا اْ﴾ اسماً مؤخراً كقوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اْ﴾ [النمل : ٥٦] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ [الحشر : ١٧] ، و ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية : ٢٥] ذكر ذلك الزَّمخشريُّ ومكيُّ بن أبِي طالبٍ ، وسبقهما إلى ذلك الفرَّاءُ والزَّجَّاجُ ، ولكن ذلك يشكل من قاعدة أخرى ذكرها النُّحاةُ ، وهو أنَّ الاسم والخبر في هذا الباب متى خفي إعرابُهُمَا ؛ وجَبَ تَقْدِيمُ الاسمِ ، وتأخير الخبر نحو : كان موسى صاحبي ، وما كان دعائي إلاَّ أن اسْتَغْفَرْتُ ، قالوا : لأنهما كالمفعولِ والفاعلِ فمتى خَفِيَ الإعْرَابُ التزم كل في مَرْتَبَتِهِ ، وهذه الآيَةُ مما نحن فيه فكيف يُدَّعى فيها ذَلِكَ ، بل كيف يَخْتَارُهُ الزَّجَّاجُ ؟ وقد رأيتُ كلام الزَّجَّاجِ هنا فيمكن أن يُؤخَذَ منه جَوابٌ عن هذا المكانِ ، وذلك أنه قال : " إلاَّ أنَّ الاختيار إذا كانت " الدَّعْوَى " في موضع رفع أن يقول : فما كانت دَعْوَاهُم ، فَلَمَّا قال : "كَانَ دَعْوَاهُمْ " دلَّ على أن " الدَّعْوى " في موضع نصب ، غير أنه يجوز تَذْكِير الدعوى وإن كانت رفعاً ، فمن هنا يقال : تذكير الفعل فيه قرينة مرجَّحةٌ لإسنادِ الفِعْلِ إلى " أنْ قَالُوا " ، ولو كان مسنداً للدَّعْوَى لكان الأرجح "كَانَتْ "كما قال ، وهو قَرِيبٌ من قولك : " ضَرَبَتْ مُوسَى سَلْمَى " فقدمت المفعول بقرينةِ تأنِيثِ الفِعْلِ ، وأيضاً فإنَّ ثمَّ قَرِينَةً أخرى ، وهي كَوْنُ الأعْرَفِ أحَقُّ أن يكون اسماً من غير الأعرف ".

والدَّعْوَى تكون بمعنى الدُّعَاءِ ، وبمعنى الادِّعَاءِ ، والمقْصُودُ بها ههنا يحتمل الأمرين جميعاً ، ويحتمل أيضاً أنْ تكونَ بمعنى الاعتراف ، فمن مَجِيئها بمعنى الدُّعاءِ ما حَكَاهُ الخَلِيلُ : " اللَّهُمَّ أشْرِكْنا فِي صالح دعوى المُسلمين " يريد في صالح دُعَائِهِم ؛ وأنشدوا : [الطويل] ٢٤٠٢ - وإنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ اشْتَفِي

بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَتَهُونُ

." (١)

"أي : لأن ألبس عباءة وتقر ، كذلك ينحل لـ " أنَّ " وفعل أمر ؛ لأنَّهَا توصل بالثَّلاث الصِّيغ : الماضي والمُضارع والأمر بشرط التَّصَرُّف ، وقد تقدَّم تحقيقُ هذه المسألة وإشكالها وجوابُهُ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٨٥

وهذا بخلاف " ما " فإنَّهَا لا تُوصَلُ بالأمْرِ ، وبخلاف "كي " فإنَّهَا لا توصل إلا بالمُضَارِعِ ، فلذلك لا ينحلُّ المصدر إلى " ما " وفعل أمر ، ولا إلى "كي " وفعل ماضي أو مضارع.

وقال الزَّمخْشَرِيُّ : وقل أقيموا وجوهكم أي : اقصدوا عبادته ، وهذا من الزَّمَخْشَرِيُّ يحتمل تأويلين : أحدهما : أن يكون قوله " قل " أراد أنه مقدر غير هذا الملفوظ به فيكون " وأقيموا " معمولاً لقول أمر مقدر ، وأن يكون معطوفاً على قوله : " أمر رَبِّي " فإنه معمول لـ " قل " وإنما أظهر الزَّمَخْشرِيُّ " قُلْ " مع أقِيمُوا لتحْقيق عطفيته على " أمر رَبِّي ".

ويجوز أن يكُون قوله " وأقِيمُوا " معطوفاً على أمْرٍ محذوف تقديره قل : أقبلوا وأقيموا.

وقال الجُرْجانِيُّ صاحب " النَّظْم " : **نسق الأمر** على الجر وجاز ذلك ؛ لأنَّ قوله ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي﴾ قول لأن الأمْرَ لا يكُونُ إلا كلاماً ، والكلام قول ، وكأنه قال : قل : يقول ربي : اقسطوا وأقيموا ، يعني أنَّهُ عطف على المعنى.

و " مسجد " هنا يحتمل أن يكون مَكَاناً وزماناً.

قال الزَّمَخْشَرِيُّ : في وقت كلِّ سُجُودٍ ، وفي مكان كلِّ سُجُودٍ ، وكان من حَقِّ " مسجد " بفتح العين لضمها في المضارع ، وله في هذا الشذوذ أخوات كثيرة مذكورة في التَّصريفِ.

٨١

فصل في المراد بـ " أقيموا وجوهكم " قال مجاهد والسدي : معنى ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وجهوا حَيْثُ ما كنتم في الصَّلاةِ إلى الكَعْبَةِ.

وقال ابْنُ عبَّاس والضحاك : إذا حضرت الصَّلاةُ ، وأنتم عند مَسْجِدِ فصلُّوا فيه ولا يقولن أحدكُم أصلي في مَسجْدِي.

وقيل : معناه : اجعلوا سجودكم لِلَّهِ خَالِصاً ، والسبب في ذكر هذين القولين أنّ إقامة الوجه في العبادة قد تكون باستقبال القِبْلَةِ ، وقد تكون بالإخلاص في تلك العِبَادَةِ.

والأقرب هو الأوَّلُ ؛ لأنَّ الإخْلاَصَ مذكور بعده ، فلو حملناه على معنى الإخلاص صار كأنَّهُ قال : وأخلصوا عند كلِّ مَسْجدٍ وادْعُوه مُخلصينَ ، وذلك لا يستقيم.

فإن قيل يستقيمُ ذلك إذا علقت الإخلاصَ بالدُّعَاءِ فقط.

فالجواب لما أمكنرجوعه إليهما جميعاً لم يَجُزْ قصرهما على أحدهما خصوصاً مع قوله : ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فعم كل ما يسمى ديناً ، وإذا ثبت هذا فاختلفوا في قوله : ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ هل المرادُ منه زمان

الصَّلاة أو مكانها على ما تقدم ؟ قوله : " مُخْلِصِينَ " حال من فاعل " ادْعُوه " ، " الدِّين " مفعولٌ به باسْمِ الفاعل وله متعلق بـ " مخْلِصِينَ " حال من فاعل " ادْعُوه " ، و " الدِّين " مفعولٌ به باسْمِ الفاعل وله متعلق بـ " مخْلِصين " ويجوز أن يتعلَّق بمحذوف على أنَّهُ حالٌ من " الدين " ، والمراد اعبدوه مخلصين له الطَّاعة.

" والعِبَادَة " قال ابن الخطيب : المرادُ به أعمالُ الصَّلاةِ ، وسمَّاها دعاءً لأنَّ الصلاة في اللُغة عبارة عن الدُّعاء ، ونظيره قوله ﴿وَمَآ أُمِرُوا اْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة : ٥].

قوله : "كَمَا بَدَأَكُمْ " " الكاف " في محل نَصْبِ نَعْتاً لمصدر محذوف تقديرُهُ : تعُودُون عَوْداً مثل ما بدأكم.

وقيل : تقديره : تُخْرَجُونَ خُرُوجاً مثل ما بَدَأكُم ذكرهما مَكي ، والأوَّل أليق بلفظ الآية الكريمة.

وقال ابن الأنْبَارِيّ : موضع " الكاف " في "كما " نصب بـ " تَعُودُونَ " وهو على مذهب العرب في تقديم مفعول الفعل عليه أي : تعودون كما ابتدأ خلقكم.

قال الفارسي : كما بَدَأكُم تعودُون ليس على ظَاهِرِهِ إذ ظاهره تعودون على البَدْءِ ،

٨٢

". (١)

"والثاني : أنَّهُ مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام : ١٥١] ، والمعنك لا تُقدمُوا على إيذاءِ النَّاسِ بالقَتْلِ والقهر ، إلا أن يكون لكم فيه حق فحينئذ يخرج عن أن يكون بغياً.

وقوله : " وأنْ تُشْرِكُوا " منصوب المحلِّ نسقاً على مفعول " حرَّم " أي : وحرّم إشراككم عليكم ، ومفعول الإشراك ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً﴾ وقد تقدَّم بيانه في " الأنعام " ، تهكَّم بهم ؛ لأنَّهُ لا يجوز أن ينزل برهاناً أن يُشْرَكَ به غيره.

قوله : ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ﴾ نسق على ما قبله أي : وحرّم قولكم عليه من غير علم ، وقد تقدَّم الكلامُ عليه في هذه السُّورة عند قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٢٨].

فإن قيل : كلمة " إنَّمَا " تفيدُ الحَصْرَ ، إنَّمَا حرّم ربي كذا وكذا يفيد الحصر ، والمحرمات غير محصور

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣١٧

في هذه الأشياء ؟ فالجواب : إنْ قُلْنَا إن الفاحشة محمولة على مطلق الكبَائِرِ ، والإثم على مطلق الذنب دخل كلّ الذُّنوب فيه ، وإن حملنا الفَاحِشَة على الزِّنَا ، والإثم على الخمر فنقول : الجنايات محصورةٌ في خمسة : أحدها : الجنايات على الإنسانيَّة ، فهذا إنَّما يحصل بالزِّنَّا ، وهو المراد بقوله : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾.

وثانيها : الجنايات على العقول ، وهي شُرْبُ الخمر ، وإليه الإشارة بقوله " والإثْم ".

وثالثها ورابعها : الجنايات على النُّفوس والأموال ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

وخامسها : الجناية على الأديان ، وهي من وجهين : أحدهما : الطَّعْنُ في توحيد الله تبارك وتعالى.

والثاني : الطعن في أحكامه ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

فلما كانت الجنايات هذه الأشياء ، وكانت البواقي كالفروع والتَّوابع ، لا جرم كان ذكرها جارٍ مجرى ذكر الكُلِّ ، فأدخل فيها كلمة " إنَّمَا " المفيدة للحصر.

فإن قيل : الفَاحِشة والإثم هو الذي نهى الله تعالى عنه فصار تقديرُ الآية الكريمة : إنَّمَا حرَّمَ ربي المحرمات ، وهو كلام خال عن الفائدة ؟ فالجوابُ ، كون الفعل فَاحِشة إنَّما هو عبارة عن اشتماله في ذاته على أمور باعتبارها يجب النَّهي عنه فسقط السُّؤال.

٩٨

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٩٦

لما بيَّن الحَلاَلَ والحَرامَ وأحوال التَّكاليف ، بين أنَّ لِكُلِّ أحد أجلاً معيناً أي : مدة وأجل.

وقال ابْنُ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - وعطاءٌ والحسنُ : وقت نزول العذاب بهم.

وقوله عز وجل : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ خبر مقدَّمٌ ، ولا حاجة إلى حذف مضاف كما زعم بعضهم أنَّ التقدير : ولكلِّ أحد من أمةٍ أجل أي : عُمْرٌ ، كأنَّه توهم أنَّ كل أحد له عمر مستقل ، وأنَّ هذا مراد الآية الكريمة ، ومراد الآية أعم من ذلك.

قوله : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾.

قال بعضهم : كُلُّ موضع في القرآن العظيم من شبه هذا التَّركيب ، فإن " الفاء " داخلة على " إذَا " إلا في " يونس " فيأتي حكمها ، وأما سائر المواضع فقال : " لأنَّها عطفت جملة على أخرى بينهما اتصال وتعقيب ، فكان الموضع موضع الفاء ".

وقرأ الحسنُ وابْنُ سيرينَ : " آجَالُهُم " جمعاً.

قوله : " لا يَسْتَأخِرُونَ " جواب " إذَا " ، والمضارعُ المنفي بـ " لا " إذا وقع جواباً لـ " إذَا " جاز أن يُتلقى بـ " الفاء " ، وألا يُتلقى بها.

قال أبو حيَّان : وينبغي أن يعتقد أن بين الفاء والفعل بعدها اسماً مبتدأ ، فتصير الجملة اسميّة ، ومتى كانت كذلك وجب أن تتلقى " بالفاء " أو " إذا " الفجائية.

و " ساعة " نصب على الظرف ، وهي مثل في قلة الزمان.

قوله : " وَلاَ يَسْتَقْدِمُون " هذا مستأنف ، معناه الإخبار بأنَّهم لا يسبقون أجلهم المضروب لهم ، بل لا بدَّ من استيفائهم إيَّاه ، كما أنهم لا يتأخرون عنه أقلّ زمان.

وقال الحُوفِيُّ – رحمه الله – وغيره : إنَّهُ معطوف على " لا يستأخرون " ولهذا لا يجوز ؛ لأن " إذا " إنَّما يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلة لا الماضية ، والاستقدام بالنِّسبة إلى مجيء الأجل مُتقدم عليه ، فكيف يترتب عليه ما تقدَّمَهُ ؟ ويصيرُ هذا من باب الإخبار بالضَّروريات التي لا يجهل أحد معناها ، فيصير نظير قولك : " إذا

٩٩." (١)

"وهذا غير مرضي منه لمخالفته الجُمْهُور.

وقوله " لا تعلُّقَ لها بما قبلها " ممنوع على جميع الأقوال التي ذكرها.

والظَّاهِرُ أنّما تتعلّق بقوله " ينَالُهُمْ نصيبهم ".

فصل في إمالة " حتى " قال الخليلُ وسيبويه : لا يجوزُ إماة " حتى " و " ألاّ " و " أمَّا " وهذه ألفات أُلْزِمَتِ الفتح لأنَّها أواخر حروفٍ جاءت لمعاني يفصل بينها وبين أواخر الأسماء التي فيها الألف نحو : حبلى وهُدَى إلا أن " حتَّى "كتبت بالياء لأنَّها على أربعة أحرف فأشبهت سَكْرَى ، قال بعض النحويين : لا يجوز إمالة " حتَّى " لأنَّها حرف لا يتصرف والإمالة ضرب من التصرف.

قوله : " يَتَوَفَّوْنَهُمْ " في محلّ نصب على الحال ، وفي المراد بقوله : ﴿رُسُلُنَا يَتوفَّوْنَّهُمْ﴾ قولان : المراد بالرُّسل ملك الموت وبقوله : " يَتَوَفَّوْنَهُم " يقبضون أرواحهم ؛ لأنَّ لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى.

ح قال ابنُ عبّاسٍ : إنَّ الملائكة يطالبون بهذه الأشياء عند الموت على سبيل الزّجر والتّوبيخ.

الثاني : قال الحسن والزَّجَّاجُ في أحد قوليه : إنّ هذا لا يكون في الآخر ومعنى قوله : ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي يتوفون مدتهم عند حشرهم إلى النار بمعنى يستكملون عدتهم حتَّى لا ينفلت منهم أحد.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٣٢٦

١٠٤
قوله " أَيْنمَا كُنْتُمْ " أي أين الشّركاء الذين كنتم تَعْبدُونَهُمْ من دون اللَّهِ وكتبت " أينَمَا " متصلة وحقُّها الانفصال ، لأنَّ " ما " موصولة لا صلة إذ التقدير : أين الذين تدعونهم ولذلك كتبت ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ﴾ [الأنعام : ١٣٤] منفصلاً و ﴿إِنَّمَا اللَّهُ﴾ [النساء : ١٧١] متصلاً.

قوله " ضَلُّوا " جواب من حيث المعنى لا من حيث اللَّفْظ ، وذلك أنَّ السُّؤال إنَّما وقع عن مكان الذين كانوا يدعونهم من دون اللَّه ، فلو جاء الجوابُ **على نسق السُّؤال** لقيل : هم في المكان الفلانيّ ، وإنَّما المعنى : ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونهم ، فأجَابُوا بأنَّهُمْ ضلُّوا عنهم وغابوا.

قوله : " وشَهِدُوا " يحتمل أن يكون نَسَقاً على " قالوا " الذي وقع جواباً لسؤال الرسل ، فيكون داخلاً في الجواب أيضاً.

ويحتمل أن يكون مستأنفاً منقطعاً عما قَبْلَهُ ليس داخلاً في حيِّز الجواب كذا قال أبو حيَّان وفيه نظرٌ ؛ من حيث إنَّهُ جعل هذه الجملة جواباً لعطفها على " قَالُوا " ، و " قالوا " في الحقيقة ليس هو الجواب ، إنَّما الجوابُ هو مقولُ هذا القول ، وهو " ضَلُّوا عَنا " ف " ضلُّوا عنَّا " هو الجواب الحقيقي الذي يُسْتَفَادُ منه الكلام.

ونظيره أن يقولك سألت زَيْداً ما فعل ؟ فقال : أطعمتُ وكسوتُ فنفسُ أطعمتُ ، وكسوتُ هو الجواب.

وإذا تقرَّرَ هذا فكان ينبغي أن يقول : " فيكون " معطوفاً على " ضَلُّوا عنَّا " ، ثمَّ لو قال كذلك لكان مُشْكلاً من جهة أخرى ، وهو أنَّهُ كان يكون التركيب الكلامي : " ضلُّوا عَنَّا وشهدنا على أنفسنا أنَّا كنَّا " ، إلا أن يقال : حكى الجواب الثَّاني على المعنى ، فهو محتمل على بُعْد بعيدٍ.

ومعنى الآية أنَّهُم اعترفوا عند معاينة الموت أنَّهُم كانوا كافرين.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ١٠٢

اختلفوا في هذا القائل ، فقال مقاتل : " هو كلامُ خازِنِ النَّارِ " ، وقال غيره : " هو كلام اللَّهِ " ، وهذا الاختلاف مبني على أنَّ الله – تعالى – هل يتكلَّمُ مع الكفار أم لا ؟ ، وقد تقدمت هذه المسألة.

قوله : " فِي أمَمٍ " يجوزُ أنْ يتعلَّق قوله : " في أمَمٍ " وقوله " في النَّارِ " كلاهما ب " ادْخُلُوا " ، فيجيء الاعتراضُ المشهور وهو كيف يتلّق حرفا جرٍّ متحدا اللفظ والمعنى بعامل واحد ؟ ، فيجاب بأحد وجهين :

١٠٥

إمَّا أنَّ " في " الأولى ليست للظَّرفية ، بل للمعيّة ، كأنَّهُ قيل : ادخلوا مع أممٍ أي : مصاحبين لهم في الدُّخول ، وقد تأتي " في " بمعنى " مع " كقوله تعالى : ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف : ٦١].

وقول الشاعر : [الطويل] ٢٤٦٢ - شَمُوسٌ ودُودٌ فِي حَيَاءٍ وعِفَّةٍ

رخِيمَةُ رَجْعِ الصَّوْتِ طَيِّبَةُ النَّشْرِ

." (١)

"قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يريدُ كبراء مكَّةَ.

قرأ الجمهور : " يَهْد " بالياء من تحت ، وفي فاعله حينئذ ثلاثة أوجه : أظهرها : أنَّهُ المصدرُ المؤوَّلُ من " أن " وما في حيِّزها ، والمفعول محذوفٌ ، والتقديرُ : أو لم يهد أي يبين ويوضح للوارثين مآلهم وعاقبة أمرهم ، وإصابتنا إيَّاهُم بذنُوبِهم لو شئنا ذلك ، فقد سبكنا المصدر من " أنْ " ومن جواب لو.

والثاني : أنَّ الفاعل هو ضميرُ الله تعالى ، أي : أو لم يبيِّن الله ويُؤيِّدُه قراءةُ من قرأ " نَهْدِ " بالنون.

الثالث : أنَّهُ ضمير عائدٌ على ما يفهم من سياق الكلام ، أي : أو لم يهد ما جرى للأمم السَّالِفَةِ كقولهم : إذَا كَانَ غَداً فأتني أي : إذا كان ما بيني وبينكَ مما دلَّ عليه السِّياق.

وعلى هذين الوجهين ، فـ " أنْ " وما في حيِّزها بتأويلِ مصدر كما تقدَّم في محلِّ المفعُولِ والتَّقديرُ : أو لم يبين ويوضِّح الله أو ما جرى لأمم إصابتنا إيَّاهُم بذنوبهم أي : بعقاب ذُنُوبِهِم لو شئنا ذلك.

وقرأ مُجاهدٌ وقتادةُ ويعقوبُ : " نَهْدِ " بنون العَظَمَةِ و " أنْ " مفعولٌ فقط ، و " أنْ " هي المخفَّفةُ من الثَّقيلة و " لَوْط فاصلةٌ بينها وبين الفِعْلِ ، وقد تقدَّم أنَّ الفصل بها قليل.

و " نَشَاءُ " وإن كان مُضَارعاً لفظاً فهو ماضٍ معنى ؛ لأنَّ " لو " الامتناعية تخلِّصُ المضارع للمُضِيِّ.

وفي كلام ابن الأنْبَاريِّ خلافه ، فإنَّهُ قال في " ونَطْبَعُ " : " هذا فعل مستأنفٌ ومنقطعٌ مما قبله ؛ لأنَّ قوله : " أصَبْنَا " ماضٍ و " نَطْبع " مستقبل ثم قال : ويجوزُ أن يكون معطوفاً على " أصَبْنَا " إذ كان بمعنى نُصِيبُ ، والمعنى : " لو يَشَاءُ يصيبهم ويطبع " ، فوضع الماضي موضعَ المستقبلِ عند وضوح معنى الاستقبال كقوله تعالى : ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ [الفرقان : ١٠][أي :] يجعلُ ، بدليل قوله : " ويَجْعَل لَكَ " ، وهذا ظَاهِرٌ قَوِيٌّ في أن " لَوْ " هذه لا تخلِّصُ المضارع للمضيّ ، وتنظير بالآية الأخْرَى مُقَوِّل أيضاً ، وسيتي تحقيقُ ذلك عند قوله : " ونَطْبَعُ "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٢٩

وقال الفرَّاءُ : " وجاز أنْ تَرُدَّ " يَفْعل " [على فَعَلَ] في جواب " لو " كقوله : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ﴾ [يونس : ١١] فقوله : " فَنَذَرُ " مردود على " لقضى " ، وهذا قولُ الجمهور ، ومفعول " يَشَاءُ " محذوف لدلالةِ جواب " لو " عليه ، والتَّقديرُ : لو يشاء تعذيبهم ، أو الانتقام منهم.

وتى جوابها بغير لام ، وإن كان مبنيّاً على أحد الجائزين وإن كان الأكثر خلافه ، كقوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾ [الواقعة : ٧٠].

قوله : " ونَطْبَعُ " في هذه الجملة أوْجُهٌ : أحدها : أنَّهَا نسقٌ عدى " أصَبْنَاهم " وجاز عطف المضارع على الماضي ؛ لأنَّهُ بمعناه ، وقد تقدَّم أنَّ " لو " تخلِّص المضارع للمُضِيّ ، ولما حكى أبُو حيَّان كلام ابن الأنْبَارِيْ المتقدم قال : " فَجَعل " لو " شرطيّةً بمعنى " إنْ " ولم يجعلها التي هي لِما كان سيقعُ لوقوع غيره ، ولذلِكَ جعل " أصَبْنَا " بمعنى نُصِيبُ.

ومثال وقوع " لو " بمعنى " إن " قوله : [الكامل] ٢٥٣٣ - لا يُلْفِكَ الرَّاجِيكَ إلاَّ مُظْهِراً

خُلُقَ الكِرَامِ ولَوْ تكُونُ عَدِيمَا

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٣٨

وهذا الذي قاله ابن الأنباريّ ردَّهُ الزَّمخشريُّ من حيث المعنى ، لكن بتقدير : أن يكون " ونَطْبَعُ " بمعنى " طَبَعَنا " فيكون قد عطف المضارع على المَاضِي لكَوْنِهِ بمعنى المضاي وابن الأنباري جعل التَّأويل في " أصَبْنَا " الذي هو جواب " لو نَشَاءُ " فجعله بمعنى " نُصِيبُ " فتأوَّلَ المعطوف عليه وهو الجوابُ ، وردَّهُ إلى المستقبل ، والزمخشريُّ تأوَّلَ المعطوف وردَّهُ إلى المضي وأنتج ردُّ الزَّمخشري أنَّ كلا التقديرين لا يصحُّ ".

قال الزمخشريُّ : " فإن قلت : هل يجوزُ أن يكون " وَنَطْبَعُ " بمعنى " طَبَعْنَا " كما كان " لَوْ نَشَاءُ " بمعنى " لَوْ شِئْنَا " ويعطف على " أصَبْنَاهُم " ؟ قلت : لا يساعدُ على المعنى ؛ لأنَّ القَوْمَ كانوا مطبوعاً على قلوبهم ، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذُّنوب والإصابةِ بها ، وهذا التَّفسيرُ يؤدِّي إلى خلوّهِم من هذه الصِّفةِ ، وأن الله لو شاء لاتَّصَفُوا بها ".

قال أبو حيَّان : " وهذا الرَّدُّ ظَاهِرُ الصِّحَّةِ ، وملخصهُ : أن المعطوفَ على الجوابِ جوابٌ ، سواءً تأوَّلْنَا المعطوف عليه أم المعطوف ، وجواب " لو " لم يقع بَعْدُ ، سواءً كانت حرفاً لما كان سيقعُ لوقوع غيره أمْ

بمعنى " إن " الشَّرطية ، والإصابة لم تقع ، والطَّبْعُ على القلوب واقعٌ ، فلا يَصِحُّ أن تعطف على الجوابِ.
فإن تؤوِّل " ونُطِبعُ " على معنى : ونستمرُّ
٢٣٩
." (١)

"المشهور المتواتر ، ولا التفات إلى مَنْ أنكر بعضها ولا لمن أنكر على روايها.

وضبط ذلك أنْ يقال : ثلاث مع الهَمْزِ وثلاث مع عدمه.

فأمّا الثَّلاثُ التي مع الهمزة فأولُها قراءة ابن كثير ، وهشام عن ابن عامر : أرجِئْهو بهمزة ساكنة ، وهاء متصلة بواو.

والثانية : قراءة أبي عَمْرو : أرْجِئْهُ كما تقدَّم إلا أنَّه لم يصلها بواو.

الثالثة : قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر : أرْجِئْهِ بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صفة.

وأمّا الثَّلاثُ التي بلا همة فأوَّلهَا : قراءة الأخوين : " أرْجِهْ " بكسر الجيم وسكون الهاء وصلاً ووقفاً.

الثانية : قراءة الكسائيِّ ، وورشٍ عن نافعٍ : " أرْجِهِي " بهاء متصلة بياء.

الثالثة : قراءة قالون بهاء مكسورة دون ياء.

فأمّا ضمُّ الهاء وكسرها فقد عُرِف مما تقدَّم.

وأمَّا الهمزُ وعدمه فلغتان مشهورتان يقال : أرْجَأته وأرْجَيْتُه أي : أخَّرته ، وقد قرئ قوله تعالى : ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب : ٥١] بالهَمْزِ وعدمه ، وهذا كقولم : تَوَضَّأتُ وتَوَضَّيْتُ ، وهل هما مادتان أصليتان أم المبدل فرع الهمز ؟ احتمالان.

وقد طعن قَوْمٌ على قراءة ابن ذكوان فقال الفارسي : " ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز [غيره] ، ورواية ابن ذُكْوَان عن ابن عامر غلطٌ ".

وقال ابنُ مُجَاهدٍ : " وهذا لا يجوزُ ؛ لأنَّ الهَاءَ لا تكسَرُ إلاَّ بعد كسرة أو ياء ساكنة ".

وقال الحُوفِيُّ : " ومن القرَّاء مَنْ يكسر مع الهَمْزِ وليس بجيِّد ".

وقال أبو البقاءِ : " ويُقْرأ بكسر الهاء مع الهمز وهو ضعيف ؛ لأنَّ الهمزة حرف صحيحٌ ساكنٌ ، فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر ".

وقد اعتذر النَّاس عن هذه القراءة على سبيل التنازل بوجهين : أحدهما : أن الهَمْزَة ساكنةٌ والسَّاكن حاجزٌ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٩٧

غير حصين ، وله شواهدُ [مذكورة في موضعها] ، فكأنَّ الهاء وليست الجيم المكسورة فلذلك كُسِرت.
٢٥٣
[الثاني : أن الهمزة كثيراً ما يطرأ عيلها التغيير وهي هنا في معرض أن تبدل ياء ساكنة لسكونها بعد كسره فكأنها وليت ياء ساكنة فلذلك كسرت].

وقد اعترض أبُو شَامَةَ على هذين الجوابين بثلاثةِ أوجه : الأولُ : أنَّ الهمز حاجز معتدٌّ به بإجماع في ﴿أَنبِئْهُم﴾ [البقرة : ٣٣] ، ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ [القمر : ٢٨] والحكم واحد في ضمير الجمع والمفرد فيما يرجع إلى الكَسْرِ والضمّ.

الثالث : أنَّ الهمز لو قلب يَاءٌ لكان الوَجْه المختارُ ضمّ الهاء مع صريح الياءِ نظراً إلى أنَّ أصلها همزة ، فما الظنُّ بمَنْ يكسر الهاء مع صريح الهَمزةِ ، وسيأتي تحقيق ذلك في باب وقفِ حمزةَ وهشام ، فضمُّ الهَاء مع الهمزةِ هو الوَجْهُ.

وقد استضعف أبُو البقاءِ قراءة ابن كثير وهشام فإنَّهُ قال : " وَأَرْجِئْهُ " يقرأ بالهمزة وضمِّ الهاء من غير إشابع وهو الجيّد ، وبالإشباع وهو ضَعِيفٌ ؛ لأنَّ الهاء خفيَّة ، فكأنَّ الواو التي بعدها تتلو الهمزة ، وهو قريبٌ من الجمع بين السَّاكنين ومن هاهنا ضَعْف قولهم : " عليهمي مال " بالإشْبَاع.

قال شهابُ الدِّينِ : " وهذا التَّضْعيف ليس بشيء ؛ لأنَّهَا لغة ثابتة عن العَرَبِ ، أعني إشباع حركة الهاء بعد ساكن مطلقاً ، وقد تقدَّم أنَّ هذا أصل لابن كثير ليس مختصاً بهذه اللَّفْظَةِ ، بل قاعدته كلُّ هاء كناية بعد ساكن أنْ تُشْبع حركتها حتى تتولَّد منها حرف مدّ نحو : " منهو ، وعنهو ، وأرجِئْهو " إلاَّ قبل ساكن فإن المدَّ يُحذفُ لالتقاء الساكنين إلاَّ في موضع واحد رواه عنه البَزِّيُّ وهو ﴿عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس : ١٠] بتشديد التَّاءِ ، ولذلك استضعف الزَّجَّاج قراءة الأخوين قال بعد ما أنشد قول الشَّاعر : [الرجز] ٢٥٣٩ -

لَمَّا رَأى أنْ لا دَعُهُ وَلاَ شِبَعْ
مَالَ إلَى أرْطَاةِ حِقْفٍ فَالطَجَعْ
"

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٢٢

هذا شعرٌ لا يعرف قائله ولا هو بِشَيءٍ ، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له : أخطأت ؛ لأنَّ الشَّاعر يجوز أن يخطئ مذهب لا يُعَرَّج عليه ".

قال شهابُ الدِّين : " وقد تقدَّم أنَّ تسكين هاء الكناية لغة ثابتة ، وتقدَّم شواهدها ، فلا حاجةَ إلى الإعادة

".

قوله : " وَأَخَاهُ " الأحسنُ أن يكون نسقاً على الهاء في " أَرْجِهْ " ويضعف نصله على المعيَّة **لإمكان النَّسق من** غير ضعف لَفْظي ولا معنوي.

٢٥٤

". (١)

"وقرأ الحسنُ في رواية عنه ونعيمُ بن ميسرة " وَيَذَرُكَ " برفع الرَّاء ، وفيها ثلاثة أوْجه : أظهرها : أنَّه **عطف نسق على** " أتذر " أي : أتطلق له ذلك.

الثاني : أنه استئناف أي ، إخبار بذلك.

الثالث : أنَّهُ حالٌ ، ولا بدَّ من إضمارِ مبتدأ ، أي : وهو يَذَرُكَ.

وقرأ الحسنُ أيضاً والأشهبُ العُقَيْلِيُّ " وَيَذَرْكُ " بالجزم ، وفيه وجهان : أحدهما : أنَّه جزم على التَّوهُّم ، كأنه توهَّم جزم " يُفْسِدُوا " في جواب الاستِفْهَامِ وعطف عليه بالجزمِ ، كقوله : ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون : ١٠] بجزم " أَكُنْ ".

والثاني : أنَّهَا تخفيفٌ كقراءة أبي عمرو ﴿يَنصُرْكُمُ﴾ [آل عمران : ١٦٠] وبابه.

وقرأ أنس بن مالك " ونَذَرُكَ " بنون الجماعة ورفع الرَّاءِ ، تَوَعَّدُوهُ بذلك ، أو أنَّ الأمْرَ يؤولُ إلى ذلك فيكونُ خبراً محضاً.

وقرأ عبد الله والاعمش بما يخالف السَّوادَ ، فلا حاجة إلى ذكره.

وقرأ العامةُ " آلِهَتَكَ " بالجمع.

رُوِيَ أنه كان يعبدُ آلهةً متعددة كالبَقَرِ ، ولذلك أخرجَ السَّامري لهم عجلاً ، ورُوي أنَّهُ كان يعبدُ الحِجارةَ والكواكب ، أو آلهتَه التي شَرَعَ عبادَتَها لهم وجعل نَفْسَهُ الإله الأعلى في قوله : ﴿أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ [النازعات : ٢٤].

وقرأ علي بنُ أبي طالب ، وابنُ مسعود ، وابن عبَّاسٍ ، وأنسٌ وجماعة كثيرةٌ " وإلاهتكَ " ، وفيها وجهان : أحدهما : أنَّ " الإلاهَةَ " اسمٌ للمعبود ، ويكونُ المرادُ بها معبودَ فرعون ، وهي الشَّمْسُ.

رُوى أنَّهُ كان يعبُد الشَّمْسَ ، والشَّمْسُ تُسَمَّى " الإهَةً " ، عَلَماً عليها ، ولذلك مُنِعَت الصَّرف ، للعمليَّة والتأنيث ؛ قال الشَّاعرُ : [الوافر] ٢٥٤٦ – تَرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْرًا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٤٠٦

فأعْجَلْنَا الإلهَةَ أنْ تَئُوبَا

٢٧٠

." (١)

"٣١٢

المتكبرين كل آية جائية ، أو حادثة.

وقرأ مالك بن دينارٍ " وإن يُرَوْا " مبنياً للمفعول من أري المنقول بهمزة التعدية.

قوله : " سَبِيلَ الرُّشْدِ " قرأ حمزة والكسائي هنا وأبُو عمرو في الكهف في قوله : ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ [الكهف : ٦٦] خاصة دون الأولين فيها بفتحتين ، والباقون بضمة وسكون واختلف النَّاسُ فيهما هل هما بمعنى واحد.

فقال الجمهور نعم لغتان في المصدر كالبُخْلِ والبَخَل ، والسُّقْم والسَّقَم ، والحُزْن والحَزَن.

وقال أبُو عمرو بن العلاءِ : " الرُّشْدُ – بضمة وسكون – الصَّلاحُ في النَّظر ، وبفتحتين الدِّين " ولذلك أجمع على قوله : ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً﴾ [النساء : ٦] بالضمِّ والسُّكثون ، وعلى قوله ﴿فَأُوْلَائِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَداً﴾ [الجن : ١٤] بفتحتين.

ورُوي عن ابن عامر " الرُّشُد " بضمتين وكأنَّهُ من باب الإتباع ، كاليُسُر و العُسُر وقرأ السلمي الرَّشَاد بألف فيكون : الرُّشْد والرَّشَد والرَّشَاد كالسُّقْم والسَّقَم والسَّقَام.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة لا يتَّخِذُوَها ، ويتَّخِذُوها بتأنيث الضَّمير ، لأنَّ السبيل يَجُوزُ تأنيثُها.

قال تعالى : ﴿قُلْ هَاذِهِ سَبِيلِى ﴾ [يوسف : ١٠٨].

والمُرادُ بسَبيل الرُّشْدِ سبيل الهدى والدين ، وسَبيلَ الغَيِّ ضد ذلك.

ثُمَّ بيَّن العلة لذلك الصَّرف ، وهو كونهم مُكّذِّبينَ بآياتِ اللَّهِ ، وكونهم عنها غافلين أي معرضين ، أي : أنَّهم واظبوا على الإعراضِ حتى صَارُوا بِمَنْزلةِ الغافلينَ عَنْهَا.

قوله : " ذَلِكَ " فيه وجهان : أظهرهما : أنَّهُ مبتدأ ، خبره الجارُّ بعده ، أي : ذلك الصرف بسبب تكذيبهم.

والثني : أنَّه في محلِّ نصبٍ ، ثم اختلفَ في ذلك.

فقال الزَّمخشريُّ : " صَرَفَهُمُ اللَّهُ ذلك الصَّرْفَ بعينه ".

فجعله مصدراً.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٤١٥

وقال ابْنُ عطيَّة : فـ ءلنا ذلك فجعله مفعولاً به وعلى الوجهين فالباءُ في بأنَّهُمْ متعلقةٌ بذلك المحذوف.
٣١٣
قوله : ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.
في هذه الجملة احتمالان : أحدهما : أنَّهَا نَسَقٌ على خبر أنَّ ، أي : ذلك بأنَّهُمْ كذّبوا ، وبأنَّهُمْ كانوا غافلين عن آياتنا.
والثاني : أنَّها مستأنفةٌ ، أخبر اللَّهُ تعالى عنهم بأنهم من شأنهم الغفلة عن الآيات وتدبرها.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٠
قوله : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ في خبره وجهان ، أحدهما : أنَّهُ الجملةُ من قوله " حَبِطَتْ أعْمالُهُم " و " هل يُجْزَونَ " – خبر ثان ، أو مستأنف والثاني : أنَّ الخبر هَلْ يجزونَ والجملةُ من قوله حَبِطَتْ في محلِّ نصب على الحالِ ، و " قَدْ " مضمرة معه ، عند من يشترط ذلك ، وصاحبُ الحال فاعلُ كَذَّبُوا.
قوله : ولقاء الآخرةِ فيه وجهان ، أحدهما : أنَّهُ من باب إضافة المصدر لمفعوله ، والفاعل محذوف ، والتقديرُ : ولقائهم الآخرة.
والثاني : أنَّهُ من باب إضافة المصدر للظرف يعني : ولقاء ما وعد الله في الآخرة.
ذكرهما الزمخشريُّ.
قال أبو حيَّان : " ولا يُجيز جُلَّةُ النَّحويين الإضافة إلى الظَّرف ، لأنَّ الظَّرف على تقدير " في " ، والإضافةُ عندهم على تقدير اللاَّم ، أو " مِنْ " فإن اتُّسِعَ في العَامِل جازَ أن يُنْصبَ الظرفُ نَصْبَ المفعول ، ويجوزُ إذْ ذاك أن يُضافَ مصدرُه إلى ذلك الظَّرف المُتَّسَع في عاملِهِ ، وأجازَ بعضً النَّحويين أن تكون الإضافةُ على تقدر " في " كما يفهمُ ظاهرُ كلام الزمخشري ".
فصل لمَّا ذكر ما لأجله صرف المتكبرين عن آياته وأتبعه ببيان العلّة لذلك الصرف وهُو كونُهم مُكَذِّبينَ بالآياتِ غافلين عنها ، فقد كان يَجُوزُ أن يظن أنَّهُمْ يختلفون في باب العقابِ لأنَّ فيهم مَنْ يعمل بعض أعمال البرّ ، بيّن تعالى أنه حال جميعهم ، سواء كان م تكبراً أو متواضعاً ، أو قليل الإحسان ، أو كثير الإحسان ، فقال : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَآءِ الأُخِرَةِ﴾ يعني ذلك بجحدهم للميعاد وجراءتهم على المعاصي ، فبيَّنَ تعالى أنَّ أعمالهم محيطة.
قوله : هَلْ يَجْزوْنَ هذا الاستفهامُ معناه النَّفي ، لذلك دخلت : " إلاَّ " ولو كان معناه التقرير لكان مُوجباً ، فيبعدُ دخول " إلاَّ " أو يمتنع.

وقال الواحديُّ هنا : " لا بد من تقدير محذوفٍ أي : إلا بِمَا كانُوا أو على ما كانُوا ، أو جزاء ما كانوا " وتقريره : أنَّ نفس ما كانوا يعملونه لا يُجْزونَهُ إنَّمَا يُجْزَوْنَ بمقابلة.

٣١٤

". (١)

"قال أبُو عبيدٍ : جميع متاعِ الدُّنْيَا عرض بفتح الرَّاء.

يقال : " الدُّنيا عرضٌ حاضرٌ يأكل منها البرُّ والفاجِرُ ".

وأما العَرَْ بسكون الرَّاء فما خالف الثَّمين ، أعني الدَّراهم والدَّنانير وجمعه عروض ، فكان العَرْضُ من العَرَض وليس كل عَرَضٍ عَرْضاً.

والمعنى : حُطَامُ هذا الشَّيء الأدْنَى يريد الدُّنْيَا ، والمرادُ منه : التَّخسيس والتَّحقير ، والأدْنَى إمَّا من الدُّنوِّ بمعنى القرب ؛ لأنَّهُ عاجل قريب ، وإمَّا من دنوِّ الحالِ وسقوطها.

وتقدَّم الكلامُ عليه.

قوله **ويَقُولُونَ نسقٌ على** يَأخذُونَ بوجهيه ، وسَيُغْفَرُ معموله ، وفي القائم مَقَام فاعله وجهان : أحدهما الجَاُّ بعده وهو " لَنَا " والثاني : أنَّهُ ضمير الأخْذِ المدلول عليه بقوله يَأخُذُونَ أي : سيغفرُ لنا أخذُ العرض الأدْنَى.

قوله : ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ﴾ هذه الجملة الشَّرطية فيها وجهان : أظهرهما : أنَّها مستأنفةٌ لا محلَّ لها من الإعراب.

والثاني : أنَّ الواوَ للحال ، وما بعدها منصوبٌ عليها.

قال الزمخشري : الواو للحال ، أي : يَرْجُون المغفرة وهم مُصِرُّون عائدون إلى فعلهم غير تائبين ، وغفرانُ الذُّنُوب لا يصحُّ إلاَّ بالتَّوبةِ ، والمُصِرُّ لا غفران له انتهى.

وإنَّما جعل الواو للحال لهذا الغرض الذي ذكره من أن الغُفران شرطه التَّوبة ، وهو رأي المعتزلة وأمَّا أهْلُ السُّنَّة : فيجوز مع عدم التوبة ، لأنَّ الفاعل مختار.

والعَرَض – بفتح الراء – ما لا ثبات له ، ومنه استعار المتكلمون : العَرَض المقابل للجوهر.

وقال أبو عبيدة : العَرَضُ – بالفتح – جميعُ متاعِ الدُّنيا غير النقدين.

كما تقدَّم.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٤٣٧

قال المفسِّرون : المراد بالكلامِ : الإخبارُ عن إصرارهم على الذُّنُوبِ.

وقال الحسنُ : هذا إخبارٌ عن حِرصِهِمْ على الدُّنْيا ، وأنهم " يستمتعون " منها.

ثم قال تعالى : ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ أي : التَّوراة : ﴿أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ والمرادُ منعهم عن تحريف الكتاب ، وتغيير الشَّرائع ، لأجل أخذ الرشوةِ.

قوله : ﴿أَن لاَّ يِقُولُواْ﴾ فيه أربعةُ أوجه : أحدها : أنَّ محله رفع على البدل من " مِيثَاقُ " ؛ لأن قول الحقّ هو ميثاق الكتاب.

والثاني : أنَّهُ عطفُ بيان له وهو قريب من الأوَّلِ.

والثالث : أنه منصوبٌ على المفعول من أجله.

٣٧١

قال الزمخشريُّ : وإنْ فُسِّرَ ميثاق الكتاب بما تقدَّم ذكره كان : " ألاَّ يقُولُوا " مفعولاً من أجله ومعناه : لئلا يقولوا وكان قد فسَّر ميثاق الكتاب بقوله في التوراة : " من ارتكب ذَنْباً عَظِيماً فإنَّه لا يُغفر له إلا بالتَّوبة " ، و " أنْ " على هذه الأقوالِ الثلاثة مصدرية.

الرابع : أنَّ " أنْ " مفسرة لـ " مِيثَاقُ الكتابِ " ؛ لنَّهُ بـمعنى القولِ ، و " لا " ناهية ، وما بعدها مجزوم بها ، وعلى الأقوال المتقدِّمة " لا " نافية ، والفعلُ منصوبٌ بـ " أنْ " المصدرية و " الحَقَّ " يجوز أن يكون مفعولاً به ، وأن يكون مصدراً ، وأضيفَ الميثاقُ للكتابِ ؛ لأنَّهُ مذكورٌ فيه.

قوله : " ودَرَسُوا " فيه ثلاثةُ أوجه ، أظهرُها ما قاله الزمخشريُّ : وهو كونُه معطوفاً على قوله : " أَلَمْ يُؤخَذْ " ؛ لأنَّهُ تقرير.

فكأنه قيل : أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ، نظيره قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء : ١٨] معناه : قد رَبَّيْنَاك ولَبِثْتَ.

والثاني : أنَّهُ معطوف على " وَرِثُوا ".

قال أبُو البقاءِ : ويكونُ قوله أَلَمْ يُؤخَذْ معترضاً بينهما وهذا الوجه سبقه إليه الطَّبري وغيره.

الثالث : أنه على إضمار " قَدْ " والتقدير : وقد درسوا.

فهو على هذا منصوب عىى الحال نسقاً على الجملة الشرطية ، أي : يقولون : سَيُغْفَرُ لنا في هذه الحال ، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل : " يَأخُذُوهُ " أي يأخذون العرضَ في حال دَرْسِهم ما في الكتاب المانع من أخذ الرِّشَا وعلى كلا التقديرين فالاستفهامُ اعتراض.

وقرأ الجحدري : أن لا تقُولُوا بتاء الخطابِ ، وهو التفاتٌ حسنٌ.

وقرأ علي – رضي الله عنه – وأبو عبد الرحمن السلمي وادَّارَسُوا بتشديد الدَّالِ ، والأصلُ : تَدَارَسُوا وتصريفه كتصريف ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة : ٧٢] وقد تقدم.

ثم قال تعالى : ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي : من تلك الرَشوة الخبيثة المحقرة " فلا تَعْقِلُونَ ".

وقد تقدَّم الكلام على هذه الهمزة والفاء غير مرة.

وقرأ ابنُ عامرٍ ونافعٌ وحفصٌ تَعْقِلُونَ بالخطابِ ، والباقون بالغيبة ، فالخطابُ يحتمل وجهين : أحدهما : أنه التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب ، والمرادُ بالضَّمائر حينئذٍ شيءٌ واحد.

٣٤٢

." (١)

"ورابعها : أنَّ النعاس غشيهم دفعةً واحدةً مع كثرتهم وحصول النُّعاس للجمع العظيم على الخوف الشَّديد أمرٌ خارق للعادة.

فلهذا قيل : إنَّ ذلك النُّعاس في حكم المُعْجِز.

فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فلم خافوا بعد ذلك ؟ فالجواب : لأنَّ المعلوم أنَّ الله تعالى يجعل جُنْدَ الإسلامِ مظفراً منصوراً ، وذلك لا يمنع من ضرورة بعضهم مقتولين.

قال ابنُ عباسٍ : " النُّعاس في القتال أَمَنَة من اللَّهِ ، وفي الصَّلاةِ وسوسة من الشَّيطانِ ".

قوله : ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ العامَّةُ على " ماءً " ، و " ليطُهِّرَكُم " متعلقٌ بـ : " يُنَزّل ".

وقرأ الشعبيُّ : " مَا ليُطهركُم " بألفٍ مقصورة ، وفيها تخريجان ، أشهرهما وهو الذي ذكره ابن جني وغيره – " أنَّ " " مَا " بمعنى " الَّذي " و " لِيُطهِّرَكُم " صلتها.

قال بعضهم : تقديره : الذي هو ليطهركم.

فقدَّر الجار خبراً لمبتدأ محذوف ، والجملة صلة لـ " مَا " وقد ردَّ أبو حيانهذين التخريجين بأنَّ لامَ "كَيْ " لا تقعُ صلةً.

والثاني : أن " ما " هو ماء بالمدّ ، ولكن العرب قد حذفتْ همزته فقالوا : " شَرِبْتُ مًا " بميم منونة حكاه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٤٦٨

ابن مقسم.
وهذا لا نظير له ، إذ لا يجُوزُ أن يُنتهك اسمٌ معربٌ بالحذفِ حتَّى يبقى على حرفٍ واحدٍ ، إذا عرف هذا ؛ فيجُوزُ أن يكون قصر " ماء " ، وإنَّما لم يُنونهُ إجراء للوصل مجرى الوقف ، ثم هذه الألفُ تحتملُ أن تكون عين الكلمة ، وأنَّ الهمزة محذوفةٌ ، وهذه ألألفُ بدلٌ من الواوِ التي في " مَوَه " في الأصل ، ويجوزُ أن تكون المبدلة من التَّنوين ، وأجرى الوصل مُجْرَى الوقف ، والأوَّلُ أوْلَى ، لأنَّهم يُرَاعُونَ في الوقف ألاَّ يتركُوا الموقوف عليه على حرفٍ واحدٍ نحو : " مُرٍ " اسم فاعل من : أرَى يُري.
فصل رُوي أنَّهم حَفَرُوا موضعاً في الرَّملِ ، فصار كالحوض الكبير ، واجتمع فيه الماء حتَّى شربُوا منه وتطهروا وتزودوا.
وقيل : إنَّهم لمَّا عطشوا ولم يجدوا الماء ثمَّ نامُوا واحتلمُوا تضاعفت حاجتهم إلى الماء ثم إنَّ المطر نزل وزالت عنهم تلك البليّة والمِحْنَة.
٤٦٨
ومن المعلومِ بالعادة أنَّ المؤمن يستقذر نفسه إذا كان جُنُباً ، ويغتم إذا لم يمكن من الاغتسال ، وقد يستدل بهذا على حصول اليسر وزوال العسر.
قوله : " ويُذْهِبُ عنكُمْ " نسق على " لِيُطَهِّركُم " وقرأ عيسى بنُ عُمَرَ : " ويذْهِبْ " بسكون الباء وهو تخفيف سمَّاهُ أبُو حيَّان : جَزْماً.
والعامة على " رِجْزَ " بكسر الرَّاءِ وبالزاي.
وقرأ ابنُ محيصن : بضمِّ الراءِ ، وابنُ أبي عبلة بالسِّين ، وقد تقدَّم الكلامُ على كلِّ واحد منهم.
ومعنى : رجز الشيطانِ ههنا : ما ينشأ عن وسوسته ، وقيل : الاحتلام ، وقيل : إن الكفار لمَّا نزلوا على الماءِ وسوس الشَّيطانُ للمسلمينِ وخوَّفَهُم من الهلاكِ ، فلمَّا نزل زالت تلك الوسوسة.
فإن قيل : فأيُّ هذه الوجوه أوْلَى ؟ .
فالجوابُ : أنَّ قوله " لِيُطهِّركُم " معناه ليزيلَ الجنابة عنكم ، فلوْ حملنا قوله ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ على الجنابةِ لزم التَّكرار ، وهو خلافُ الأصل.
ويمكن أنْ يُجابَ بأنَّ المُرادَ من قوله " لِيُطهِّركُم " حصولُ الطَّهارةِ الشَّرعيةِ ، والمرادُ : ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ إزالة عين المَنِيّ عن أعضائهم فإنَّهُ شيء مُسْتَخْبَثٌ.
ثم نقول حمله على إزالة أثر الاحتلام أولى من حمله على إزالة الوسوسة ؛ لأن تأثير الماءِ في إزالة العينِ

عن العضو تأثير حقيقيّ ، وتأثيره في إزالة الوسوسةِ عن القلبِ تأثير مجازي ، وحمل اللفظِ على الحقيقةِ أولى من حمله على المجازِ.
قوله : ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ أي بسبب نزول هذا المطر قويت قلوبهم وزال الخوفُ عنهم ، ومعنى الرَّبط في اللغة : الشَّد ، وقد تقدَّم في قوله : ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران : ٢٠].
قال الواحديُّ : " ويشبه أن تكون " على " ههنا صلة ، والمعنى : وليربط قلوبكم بالصَّبر وما أوقع فيها من اليقين ".
وقال ابن الخطيب : ويشبه ألاَّ يكون صلة ؛ لأنَّ كلمة " عَلَى " تفيد الاستعلاء ، فالمعنى أنَّ القلوب امتلأتْ من ذلك الربط حتَّى كأنَّهُ عَلاَ عليها وارتفع فوقها.
قوله : ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ قيل : إنَّ ذلك المطرَ لبَّد ذلك الرَّمل ، وصيَّرهُ بحيث لا تغوص أرجلهم فيه فقدروا على المشي عليه كيفما أرادوا ، ولولا هذا المطر لما قدروا عليه ، وعلى هذا فالضَّمير في " بِهِ " عائدٌ على المطرِ.
٤٦٩
وقيل : إنَّ ربط قلوبهم أوجب ثبات الرَّبْطِ.
وقيل : لمَّا نزل المطرُ حصل للكافرينَ ضدَّ ما حصل للمؤمنين ؛ لأنَّ الموضع الذي نزل الكفارُ فيه كان موضع التُّرابِ والوحل ، فلمَّا نزل المطرُ عظم الوحْلُ ؛ فصار ذلك مانعاً لهم من المشي كيفما أرادوا فقوله : ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ يدلُّ دلالة المفهوم على أنَّ حال الأعداءِ كان بخلاف ذلك.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٦٥
." (١)

"وقال السديُّ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي : لو استغفروا ، ولكنهم لم يكونوا مستغفرين ولو أقرُّوا بالذَّنب واستغفروا لكانوا مؤمنين.
وقال عكرمةُ : " وهُمْ يَستَغْفِرُونَ " يسلمون ، يقول : لو أسلموا لما عذبوا ، وروى الوالبي عن ابن عبَّاسٍ : أي : وفيهم من سبق له من الله أنه يؤمن ويستغفر كأبي سفيان ، ومصعب بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام ، وغيرهم.
وروى عبد الوهاب عن مجاهدٍ : " وهُمْ يستغْفِرُونَ " أي : وفي أصلابهم من يستغفر.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥١٨

قوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية.

في " أن " وجهان : أظهرهما : أنَّها مصدريةٌ ، وموضعها إما نصبٌ ، أو جرٌّ ؛ لأنَّها على حذف حرف الجر ، إذ التقدير : في ألاَّ يُعذِّبهم ، وهذا الجارُّ متعلقٌ بما تعلَّ بـه : " لَهُمْ " من الاستقرار ، والتقديرُ : أيَّ شيءٍ استقر لهم في عدم تعذيبِ اللَّهِ ياهم ؟ بمعنى : لا حظ لهم في انتفاء العذاب.

والثاني : أنَّها زائدةٌ وهو قول الأخفش.

قال النَّحَّاسُ " : لو كانت كما قال لرفع " يُعذِّبهم ".

يعني النَّحاس : فكان ينبغي أن يرتفع الفعلُ على أنه واقعٌ موضع الحال ، كقوله : ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [المائدة : ٨٤] ولكن لا يلزمُ من الزيادةِ عدمُ العمل ، ألا ترى : " أنَّ " مِنْ " و " الباء " يعملان وهما مزيدتان.

وقال أبُو البقاءِ : " وقيل هو حال ، وهو بعيدٌ ، لأنَّ " أنْ " تُخلِّص الفعل للاستقبال " والظَّاهِرُ أنَّ " ما " في قول " وَمَا لهُمْ " استفهامية ، وهو استفهامٌ معناه التقرير ، أي : كيف لا يُعذَّبُونَ وهم مُتَّصفون بهذه الحال ؟ .

وقيل : " ما " نافية ، فهي إخبارٌ بذلك ، أي : ليس عدمُ التَّعذيب ، أي : لا ينتفي عنهم التعذيب مع تلبسهم بهذه الحال.

فصل معنى الآية : وما يمنعهم من أن يعذبوا ، أي : بعد خروجك من بينهم : ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي : يمنعون المؤمنينَ من الطَّواف ، وقيل : أراد بالعذاب بالأوَّلِ عذاب الدُّنيا ، وبهذا عذاب الآخرة.

٥٠٨

وقال الحسن : قوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال : ٣٣] منسوخة بقوله ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال : ٣٤].

قوله ﴿وَمَا كَانُوا اْ أَوْلِيَآءَهُ﴾ في هذه الجملة وجهان : أحدهما : أنَّها استئنافيةٌ ، والهاء تعود على المسجد أي : وما كانُوا أولياءَ المسجد.

والثاني : **أنَّها نسقٌ على** الجملة الحاليَّة قبلها وهي : " وهُم يَصُدُّونَ " والمعنى : كيف لا يُعذِّبهُم اللَّه ، وهم مُتَّصفون بهذين الوَصْفيْنِ : صدِّهم عن المسجد الحرام ، وانتفاءِ كونهم أولياءه ؟ ويجوزُ أن يعود الضَّميرُ على الله تعالى ، أي : لم يكونوا أولياءَ الله.

فصل قال الحسن : كان المشركون يقولون : نحن أولياء المسجد الحرام ، فردَّ الله عليهم بقوله : ﴿وَمَا كَانُوا اْ أَوْلِيَآءَهُ﴾ أي : أولياء البيت : " إنْ أوْلياؤُهُ " أي : ليس أولياء البيت " إلاَّ المُتَّقُون " يعني المؤمنين الذين يتَّقُون الشرك ، ويحترزون عن المنكرات ، كالذي كانوا يفعلونه عند البيتن فلهذا قال بعده : ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال : ٥] ولكن أكثرهم لا يعلمون.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٠٣

لمَّا ذكر أنَّهم ليسُوا أولياء البيتِ الحرام بيَّن ههنا ما به خرجوا من أن يكونوا أولياء البيت ، وهو أنَّ صلاتهم عند البيت إنَّما كان بالمكاء والتَّصديةِ.

أي : ما كان شيءٌ ممَّا يعُدَّونه صلاةً وعبادةً إلا هذين الفعلينِ ، وهما المكاء والتصدية أي : إن كان لهم صلاةٌ فلا تكن إلاَّ هذين ، كقول الشَّاعر : [الطويل] ٢٧٠٠ - ومَا كُنْتُ أخْشَى أن يكثونَ عَطَاؤُهُ

أدَاهِمَ سُوداً أو مُحَدْرَجَةً سُمْرَا

فأقام القيود ، والسِّياط مقام العطاء ، والمُكَاء : مصدر مَكَا يَمْكُوا ، أي : صفر بين أصابعه أو بين كفَّيه.

قال الأصمعي : قلت لمنتجع بن نبهان : ما تَمْكُوا فريصتُه ؟ .

فشبَّك بين أصابعه ، وجعلها على فِيهِ ، ونفخ فيها.

يريد قول عنترة : [الكامل] ٢٧٠١ - وحَلِيْلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً

تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلمِ

يقال : مكت الفريصة ، أي : صَوَّتت بالدَّمِ ، ومكت استُ الدَّابة ، أي : نفخت بالرِّيحِ.

٥٠٩

وقال مجاهدٌ : المُكاءُ : صفيرٌ على لحنِ طائرٍ أبيض يكون بالحجاز ؛ قال الشاعر : [الطويل] ٢٧٠٢ -

إذَا غرَّدَ المُكَّاءُ في غَيْرِ روْضَةٍ

فَوَيلٌ لأهْلِ الشَّاءِ والحُمُراتِ

." (١)

"قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية.

لمَّا شرح أحوال الكفَّار في طاعاتهم البدنية ، أتبعها بشرح أحوالهم في الطَّاعات الماليَّةِ.

قال مقاتل والكلبيُّ : نزلت في المُطعمين يوم بدر ، وكانوا اثني عشر رجلاً من كبار قريش ، كان يطعم كلُّ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٣٦

واحد منهم يوم عشر جزر.

وقال سعيدُ بن جبيرٍ : نزلت في أبي سفيان وإنفاقه المال على حرب محمد يوم أحد ، وكان قد استأجر ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العربِ ، وأنفق عليهم أربعين أوقية ، والأوقية : اثنان وأربعون مثقالا ، هكذا قاله الزمخشريُّ.

ثُم بيَّن تعالى أنهم إنَّما ينفقون المال : ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : غرضهم من الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله ، وإن لم يكن عندهم كذلك.

قال : ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي : أنَّ هذا الإنفاق يكون عاقبته حسرة ؛ لأنَّهُ يذهب المال ولا يحصل المقصودُ ، بل يغلبون في آخر الأمر.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا اْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ وإنَّما خصَّ الكفار ، لأن فيهم من أسلم.

قوله ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ قد تقدَّم الكلامُ فيه في آل عمران : [١٧٩].

والمعنى : ليميزَ اللَّهُ الفريق الخبيث من الكُفَّارِ من الفريق الطَّيب من المؤمنين ، فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً ، أي : يجمعهم ويضمُّهم حتَّى يتراكموا.

" أولَئِكَ " إشارةً إلى الفريق الخبيثِ ، وقيل : المرادُ في جهاد الكفار ، كإنفاقِ أبي بكر وعثمان في نصرة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، فيضم تعالى تلك الأموال الخبيثة بعضها إلى بعض فيلقيها في جهنَّم ، ويعذبهم بها ، كقوله تعالى : ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة : ٣٥] فاللاَّمُ في قوله ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾ على القول الأوَّلِ متعلقة بقوله تعالى : ﴿يُحْشَرُونَ﴾ أي : يحشرون ليميز اللَّهُ الفريق الخبيث من الفريق الطيب ، وعلى القول الثاني متعلقة بقوله : ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ و " يَجْعَلَ " يحتمل أن تكون تصييريةً ، فتنصبَ مفعولين ، وأن تكون بمعنى الإلقاء ، فتتعدَّى لواحد ، وعلى

٥١٣

كلا التقديرين ف " بَعْضَهُ " بدل بعضٍ من كل ، وعلى القول الأوَّلِ يكون " عَلَى بعضٍ " في موضع المفعول الثَّاني ، وعلى الثَّاني يكون متعلقاً بنفس الجَعْل ، نحو قولك : ألقَيْتَ متاعك بعضه على بعض.

وقال أبُو البقاءِ ، بعد أن حكم عليها بأنَّها تتعدَّى لواحدٍ : " وقيل : الجار والمجرور حالٌ تقديره : ويجعل الخبيث بعضه عالياً على بعض ؟ .

ويقال : مَيَّزْتُه فتمَيَّزَ ، ومِزْتُه فانمازَ ، وقرىء شاذاً : ﴿وَامْتَازُواْ الْيَوْمَ﴾ [يس : ٥٩] ؛ وأنشد أبو زيدٍ : [البسيط] ٢٧٠٦ - لمَّا نَبضا اللَّهُ عَنِّي شرَّ غُدْرَتِهِ

وانْمَزْتُ لا مُنْسِئاً ذُعْراً ولا وَجِلا

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥١٣

وقد تقدَّم الفرق بين هذه الألفاظ في آل عمران [١٧٩].

قوله " فَيَرْكُمَهُ " **نسقٌ على** المنصوبِ قبله ، والرَّكْمُ جمعك الشَّيء فوق الشيء ، حتى يصير رُكَاماً مركوماً كما يُركم الرمل والسحاب ، ومنه : ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور : ٤٤] والمُرْتَكَم : جَادَّة الطريق للرَّكْم الذي فيه أي : ازدحام السَّابلة وآثارهم ، و " جَمِيعاً " حالٌ ، ويجوزُ أن يكون توكيداً عند بعضهم ثم قال تعالى : ﴿أُوْلَـائِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ إشارة إلى الذين كفرُوا.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥١٣

قوله تعالى ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوا اْ﴾ الآية.

فصل لمَّا بينَّ ضلالهُم في عباداتهم البدنية ، والمالية ، أرشدهم إلى طريق الصَّواب ، وقال : ﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُوا اْ﴾.

وفي هذه اللاَّم الوجهان المشهوران : الأول : أنَّها للتبليغ ، أمر أن يُبلِّغَهُم معنى هذه الجملة المحكيةِ بالقول ، وسواء اوردها بهذا اللفظ أم بلفظٍ آخرَ مؤدٍّ لمعناها.

والثاني : أنها للتعليل ، وبه قال الزمخشريُّ.

ومنع أن تكون للتبليغ ، فقال : " أي قل

٥١٤

". (١)

"وروي عن خالد بن الوليد " أنه كان لا يركبُ في القتال إلا الإناث ، لقلَّة صهيلها ".

روى ابن محيريز قال : "كان الصَّحابةُ يستحبُّون ذكور الخيل عند الصفوف ، وإناث الخيل عند الشتات والغارات ".

قال عليه الصَّلاة والسَّلام : " الخَيْلُ مَعْقُودٌ بنواصيها الخَيْرُ إلى يومِ القيامةِ الأجْرُ والمَغْنَمُ " وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَن احتبس فرساً في سبيل اللَّهِ إيماناً باللَّهِ ، وتصْديقاً بوعْدِهِ ، كان شبعه وريُّةُ وبولُهُ حسنات في ميزانِهِ يوَْ القيامةِ " فصل وهذه الآية تدل على جواز وقف الخيل والسلاح ، واتخاذ الخزائن والخزان [لها عدة] للأعداء ، ويؤيدهُ حديث ابن عمر في الفرس الذي حمل عليه في

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٣٨

سبيل الله ، وقوله عليه الصلاة والسلام في حقِّ خالد : " وأمَّا خَالدٌ فإِنَّكُم تَظْلمُونَ خالِداً فإِنَّه قَد احْتبسَ أدْراعَهُ وأعْتَادَهُ في سبيلِ اللَّهِ ".

وما روي أنَّ امرأة جعلت بعيراً في سبيل اللَّهِ ، فأرادَ زوجُها الحجَّ ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ادفعيه إليه ليحج عليه فإن الحجَّ فريضةٌ من اللَّهِ " ؛ ولأنَّهُ مال ينتفع به في وجه قربة ، فجاز أن يوقف كالرباع.

ثم إنه تعالى ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء.

فقال : ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ؛ لأنَّ الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ، مستعدين له بجميع الأسلحة والآلات هابوهم.

قوله " تُرْهِبُونَ " يجوزُ أن يكون حالاً من فاعل : " أعِدُّوا " ، أي : حَصِّلُوا لهم هذا

٥٥٤

حال كونكم مُرْهِبين ، وأن يكُون حالاً من مفعوله ، وهو الموصولُ ، أي : أعِدُّوه مُرْهَباً بِهِ.

وجاز نسبته لكلٍّ منهما ؛ لأنَّ في الجملة ضميريها ، هذا إذا أعدنا الضمير من " بِهِ " على " ما " الموصولة ، أمَّا إذا أعَدْنَاه على الإعِدادِ المدلُولِ عليه بـ " أعِدُّوا " ، أو على " الرِّباط " ، أو على : " القُوَّةِ " بتأويل الحول ؛ فلا يتأتَّى مجيئُها من الموصول ، ويجوز أن يكون حالاً من ضمير " لَهُمْ " ، كذا نقله أبو حيَّان عن غيره ، فقال : " تُرْهبون " قالوا : حال من ضمير في " لَهُمْ " ولا رابط بينهما ؟ ولا يصحُّ تقدير ضمير في جملة " تُرهبون " لأخذه معموله.

وقرأ الحسنُ ويعقوبُ ، ورواها ابن عقيل عن أبي عمرو : " تُرَهِّبُون " مضعَّفاً عدَّاه بالتضعيف ، كما عدَّاه العامَّةُ بالهمزةِ ، والمفعول الثَّاني على كلتا القراءتين محذوف ؛ لأنَّ الفعل قبل النَّقْلِ بالهمزة ، أو بالتَّضعيف متعدٍّ لواحد ، نحو : " رَهَّبْتُك " والتقدير : تُرهِّبون عدوَّ اللَّه قتالكم ، أو لقاءكم.

وزعم أبو حاتم أنَّ أبا عمرو نقل قراءة الحسن بياء الغيبة وتخفيف " يُرْهبن " ، وهي قراءة واضحة ، فإنَّ الضمير حينئذٍ يرجع إلى من يرجع إليهم ضمير " لَهُمْ " ، فإنَّهُم إذا خافوا خَوَّفُوا من وراءهم.

قوله " عَدُوَّ اللَّهِ " العامَّة قراءوا بالإضافة ، وقرأ السلميُّ منوناً ، و " لِلَّه " بلام الجرِّ ، وهو مفرد ، والمراد به الجنس ، فمعناه : أعداء لله.

قال صاحبُ اللَّوامح " وإنما جعله نكرةً بمعنى العامَّة ؛ لأنَّها نكرةٌ أيضاً لم تتعرَّف بالإضافة إلى المعرفة ؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الحالِ ، أو الاستقبال ، ولا يتعرَّف ذلك وإن أضيف إلى المعارف ، وأمَّا " وعَدُوَّكُمْ

" فيجوزُ أن يكون كذلك نكرة ، ويجوز أن يتعرَّف لأنه قد أُعيد ذكره ، ومثله : رأيت صاحباً لكم ، فقال لي صاحبكم " يعني : أن " عَدُوّاً " يجوز أن يُلمحَ فيه الوصفُ فلا يتعرَّف ، وألاَّ يلمح فيتعرف.

قوله " وآخَرِينَ " **نسق على** " عَدُوَّ اللَّهِ " ، و " مِن دُونِهِمْ " صفة لـ " آخرينَ ".

قال ابن عطيَّة : " مِن دُونِهِم " بـمنزلة قولك : دون أن تكون هؤلاء ، فـ " دون " في كلام العرب ، و " مِنْ دُونِ " تقتضي عدم المذكور بعدها من النَّازلة التي فيها القول ؛ ومنه المثل : [الكامل]

٥٥٥

٢٧٣٠ - ....

وأمِرَّ دُونَ عُبَيْدَةَ الوَذَمْ

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٥١

". (١)

"أي : وكلَّ نار ، فلا يكُونُ من العطفِ على الضمير المجرور.

قال ابن عطيَّة : " وهذا الوجهُ من حذفِ المضاف مكروه بأنه ضرورةٌ ".

قال أبو حيان : " وليس بمكروهٍ ، ولا ضرورة بل أجازه سيبويه ، وخرَّج عليه البيت وغيره من الكلام ".

قال شهابُ الدين : " قوله : " بل هذه إضافةٌ صحيحة ، ليست من نصب " فيه نظر ؛ لنَّ النَّحويين على أنَّ إضافة " حَسْب " وأخواتها إضافةٌ غيرُ محضة ، وعلَّلُوا ذلك بأنها في قوة اسم فاعل ناصبٍ لمفعولٍ به ، فإنَّ " حَسْبَكَ " بمعنى : كافيك ، و " غيرك " بمعنى مُغايرك ، و " قيد الأوابد " بمعنى : مُقيدها.

قالوا : ويدلُّ على ذلك أنَّها تُوصفُ بها النَّكرات ، فيقال : مررت برجلٍ حسبك من رجلٍ ".

وجوَّز أبو البقاء : الرفع من ثلاثة أوجهٍ : **أنَّهُ نسقٌ على** الجلالةِ كما تقدَّم ، إلاَّ أنَّهُ قال : فيكون خبراً آخر ، كقولك : القائمان زيد وعمرو ، ولم يُثَنِّ " حَسْبك " ؛ لأنه مصدرٌ.

وقال قومٌ : هذا ضعيفٌ ؛ لأن الواو للجمع ، ولا يَحْسُن ههنا ، كما لا يَحْسُن في قولهم : " مَا شَاءَ اللَّهُ وشِئْتَ " ، " ثم " هاهنا أولى.

يعني أنَّهُ من طريق الأدل لا يُؤتَى بالواو التي تقتضي الجمع ، بل يأتي بـ " ثم " التي تقتضي التراخي والاحديثُ دالٌّ على ذلك.

الثاني : أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره : وحسب من اتبعك.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٥٧

الثالث : هو مبتدأ والخبر محذوف تقديره : ومن اتبعك كذلك ، أي : حسبهم الله.
وقرأ الشعبيُّ " ومَنْ " بسكون النون " أُتْبَعك " بزنة " أَكْرَمَكَ ".
قوله تعالى : ﴿ يا أيها النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ الآية.
لمَّا بيَّن أنه تعالى كافيه بنصره ، وبالمؤمنين ، بيَّن ههنا أنه ليس من الواجب أن يتكل على ذلك إلا بشرط أن يحرض المؤمنين على القتال ؛ فإنه تعالى كفيل بالكفاية بشرط أن
٥٦٢
يحصل منهم التعاون على القتال ، والتحريض كالتحضيض والحث.
يقال : حَرَّضَ وَحَرَّشَ وحرَّكَ وحثَّ بمعنىً واحد.
وقال الهرويُّ " يقال : حَارَضَ على الأمر ، وأَكَبَّ ، وواكبَ ، وواظبَ ، وواصبَ بمعنىً ".
قيل : وأصله من الحَرَض ، وهو الهلاك ، قال تعالى : ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف : ٨٥].
٢٧٣٧ - إِنِّي امْرُؤٌ نَابَنِي همٌّ فأحْرَضَنِي
حتَّى بَليتُ وحتَّى شَفَّنِي سَقَمُ
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٦٠
قال الزجاج : " تأويل التحريض في اللُّغةِ أن يُحَثَّ الإنسان على شيءٍ حتى يُعلمَ منه أنَّه حارضٌ والحارض : المقاربُ للهلاك " واستبعد النَّاسُ هذا منه ، وقد نَحَا الزمخشريُّ نحوه ، فقال : " التَّحريضُ : المبالغةُ في الحثِّ على الأمر ، من الحرَض ، وهو أن ينهكه المرض ، ويتبالغ فيه حتى يُشْفِيَ على الموت أو تُسَمِّيه حَرَضاً ، وتقولُ له : ما أراك إلاَّ حَرَضاً ".
وقرأ الأعمش " حَرِّصْ " بالصاد المهملة ، وهو من " الحِرْصِ " ، ومعناه مقارب لقراءة العامة.
قوله : ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ الآيات.
أثبت في الشرط الأول قيداً ، وهو الصبرُ ، وحذف من الثاني : وأثبت في الثاني قيداً ، وهو كونهم من الكفر ، وحذف من الأوَّلِ ، والتقديرُ : مائتين من الذين كفروا ، ومائة صابرة فحذف من كلٍّ منهما ما أثبت في الآخر ، وهو في غاية الفصاحة.
وقرأ الكوفيون : ﴿وإن يكُنْ منْكُم مائةٌ يَغلِبُوا﴾ ، ﴿فإنْ يكنْ منكُم مائةٌ صابرةٌ﴾ بتذكير " يكن " فيهما ، ونافع وابن كثير وابن عامر بتأنيثه فيهما ، وأبو عمرو في الأولى كالكوفيين وفي الثانية كالباقين.

٥٦٣

". (١)

"وهذا كما قال الآخرُ في " حراء " : اسم الجبل المعروف ، اعتباراً بتأنيث البقعة في قوله : [الوافر]

٢٧٧٥ - أَلَسْنَا أَكْثَرَ الثَّقليْنِ رَجْلاً

وأعْظَمَهُمْ بِبطْنِ حِرَاءَ نَارَا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٥

فصل المرادُ بالمواطن الكثيرة : غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إنها ثمانون موطناً ، فأعلمهم أنه تعالى هو الذي تولَّى نصر المؤمنين ، ومن نصره الله فلا غالب له ، ثم قال

٥٦

" وَيَوْمَ حُنَيْنٍ " أي : واذكر يوم حُنَيْن من جملة تلك المواطن حال ما أعجبتكم كثرتكم ، و " حنين " واد بين مكة والطائف.

وقيل : إلى جنب ذي المجاز.

قال الرواةُ : لمَّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة ، وقد بقيت أيامٌ من شهر رمضان ، خرج متوجهاً إلى حنين ، لقتال هوازن وثقيف ، في اثني عشر ألفاً ، عشرة آلاف من المهاجرين ، وألفان من الطلقاءِ.

وقال عطاءٌ : عن ابن عباس " كانوا ستة عشر ألفاً ".

وقال الكلبيُّ " كانوا عشرة آلاف ".

وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف ، وعلى هوازن : مالكُ بن عوف النضري ، وعلى ثقيف : كنانة بن عبد ياليل الثقفي ، فلما التقى الجمعان ، قال رجلٌ من الأنصار يقال له : سملة بنُ سلامة بن وقش : لن نغلب اليوم عن لقَّةٍ ، وهو المراد من قوله : ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ، فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ، ووكلوا إلى كلمة الرجل ، وفي رواية : لم يرض الله قوله ، ووكلُوا إلى أنفسهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فانهزم المشركون وتخلّوا عن الذراري ، ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح ، فتراجعوا ، وانكشف المسلمون.

قال قتادةُ : وذكر لنا أنَّ الطُّلقاء انجفلوا يومئذ بالنَّاسِ.

قوله : " وَيَوْمَ حُنَيْنٍ " فيه أوجه : أحدهما : أنَّهُ عطفٌ على محلِّ قوله : " فِي مَوَاطِنَ " عطف ظرف الزمان من غير واسطة " في " على ظرف المكان المجرور بها ، ولا غرو **في نسق ظرف** زمان على مكان

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٦١

، أو العكس ، تقول : سرت أمامك ويوم الجمعة ، إلاَّ أنَّ الأحسن أن يُترِكَ العاطفُ في مثله.
الثاني : زعم ابنُ عطية : أنَّه يجوز أن يُعطف على لفظ " مَواطِنَ " بقتدير : " وفِي يَوْمِ " ، فحذف حرف الخفض ، وهذا لا حاجة إليه.
الثالث : قال الزمخشريُّ : " فإن قلت : كيف عطف الزمان على المكان ، وهو " يَوْمَ حُنينٍ " على " مَواطِنَ " ؟ .
قلت : معناه : وموطن يوم حنين ، أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ".
الرابع : أن يُراد بـ " المواطِن " : الأوقاتُ ، فحينئذٍ إنَّما عطف زمانٌ على زمان.
قال الزمخشريُّ - بعدما تقدَّم عنه - : " ويجوزُ أن يُراد بـ " المواطن " : الوقت ، كـ :
٥٧
". (١)

"والسلمي بالخطاب ، التفاتاً للمؤمنين دون المنافقين والسِّر : ما ينطوي عليه صدورهم والنَّجْوَى : ما يفاوضُ فيه بعضهم بعضاً فيما بينهم ، مأخوذ من " النَّجْوِ " وهو الكلام الخفي كأنَّ المتناجين منعا إدخال غيرهما معهما ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم : ٥٢] وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً﴾ [يوسف : ٨٠] وقوله : ﴿فَلاَ تَتَنَاجَوْاْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْاْ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المجادلة : ٩] ، والمعنى : أنَّ الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم فكيف يتجرَّءون على النفاق الذي الأصل فيه الاستسرار والتَّناجي فيما بينهم ، مع علمهم بأنَّهُ تعالى يعلم ذلك من حالهم ، كما يعلم الظَّاهر ، وأنَّهُ يعاقب عليه كما يعاقب على الظَّاهر.
قال : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ والعَلاَّمُ : مبالغة في العالم ، والغيب : ما كان غَائِباً عن الخلق.
قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية.
في " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ " أوجه : أحدها : أنه مرفوعٌ على إضمار مبتدأ ، أي : هم الذين.
الثاني : أنَّه في محل رفع بالابتداء ، و " مِنَ الْمؤمنينَ " حالٌ من " المطَّوِّعين ".
و " في الصَّدقاتِ " متعلق بـ " يَلْمِزُونَ " ، و " الَّذشينَ لا يَجِدُونَ " **نسقٌ** " المُطَّوِّعينَ " أي : يَعيبُونَ المياسير ، والفقراء.
وقال مكيٌّ : " والَّذينَ " خفضٌ ، عطفاً على " المُؤمنينَ " ولا يَحْسُن عطفهُ على " المُطَّوِّعين " ؛ لأنه لمْ

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥٩٩

يتمَّ اسماً يعد ؛ لأنَّ " فَيَسْخَرُونَ " عطف على " يَلْمِزُونَ " هكذا ذكره النَّحاسُ في الإعراب له ، وهو عندي وهمٌ منه.

قال شهابُ الدِّين : " والأمر فيه كما ذكر ، فإنَّ " المُطَّوِّعِينَ " قد تمَّ من غير احتياجٍ لغيره ".

وقوله : " فَيَسْخرُونَ " نسقٌ على الصِّلةِ ، وخبر المبتدأ : الجملةُ من قوله " سَخِرَ اللهُ منهُمْ " هذا أظهرُ إعراب قيل هنا.

وقيل : " والَّذينَ لا يَجِدُونَ " نسقٌ على " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ " ، ذكره أبُو البقاءِ وهذا لا يجُوزُ ؛ لأنَّهُ يلزمُ الإخبارُ عنهم بقوله : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ، وهذا لا يكون ، إلاَّ بأنْ كان " الَّذِينَ لا يَجِدُون " مُنافقينَ ، وأمَّا إذَا كانُوا مؤمنين ، كيف يسخرُ الله منهم ؟ .

وقيل : " والَّذِينَ لا يَجِدُونَ " نسقٌ على " المُؤمنينَ " ، قاله أبُو البقاءِ.

قال أبُو حيَّان : " وهُو بعيدٌ جدّاً ".

ووجهُ بعده : أنَّه يفهمُ أنَّ " الَّذِينَ لا يجدُونَ " ليسوا مؤمنين ؛ لأن أصل العطف الدلالةُ على المُغايرةِ ، فكأنَّهُ قيل : يَلْمِزُونَ المطَّوِّعينَ من

١٥٥

هذين الصنفين : المؤمنين ، والذين لا يجدُونَ فيكون " الَّذِينَ لا يجدون " مطَّوِّعين غير مؤمنين.

وقال أبُو البقاءِ : " فِي الصَّدقاتِ " متعلقٌ بـ " يَلمِزُونَ " ، ولا يتعلَّق بـ " المُطَّوِّعينَ " لئلاَّ يفصل بينهما بأجنبي.

وهذا فيه نظر ؛ إذ قوله " مِنَ المؤمنينَ " حال ، والحالُ ليست بأجنبيّ ، وإنَّما يظهر في ردِّ ذلك أن " يطَّوَّع " إنَّما يتعدى بالياءِ ، لا بـ " في " وكون " في " بمعنى " الباء " خلاف الأصل.

وقيل : " فَيَسْخَرُونَ " خبرُ المبتدأ ودخلتِ الفاءُ ، لمَا تضمَّنهُ المبتدأ من معنى الشرط ، وفي هذا الوجه بُعدٌ من حيث إنَّه يقرُب من كون الخبر في معنى المبتدأ فإنَّ من عاب إنساناً وغمزهُ علم أنَّهُ يسخرُ منه فيكون كقولهم : " سَيِّدُ الجاريةِ مالِكُهَا ".

الثالث : أن يكون محلُّه نصباً على الاشتغال ، بإضمار فعل يُفسِّره " سَخِرَ اللهُ منهُم " من طريق المعنى ، نحو : عاب الذين يلمزُون ، سخر الله منهم.

الرابع : أنْ ينصب على الشتم.

الخامس : أن يكون مجروراً بدلاً من الضمير في " سِرَّهُم ونجْواهُمْ ".

وقرئ " يلْمُزون " بضم الميم ، وقد تقدَّم أنَّها لغة ، وقرأ الجمهور " جُهْدَهم " بضمِّ الجيمِ.

وقرأ ابنُ هرمز وجماعة " جَهْدهم " بالفتح.

فقيل : لغتان بمعنى واحد.

وقيل المفتوحُ المشقَّةُ والمضمومُ : الطَّاقةُ ، قالهُ القتيبيُّ ، وقيل : المضمومُ شيءٌ قيلٌ يعاشُ به والمفتوحُ : العملُ.

وقوله : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ يحتملُ أن يكون خبراً محضاً ، وأن يكون دعاءً.

فصل اعلم أنَّ هذا نوع آخر من أعمالهم القبيحة ، وهو لمزهم من يأتي بالصَّدقاتِ.

قال المفسِّرون : حثَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الصَّدقةِ ؛ فجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ بأربعة آلافِ درهم ، فقال : يا رسول الله ، مالي ثمانية آلاف درهم ، جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله ، وأمسكتُ أربعة آلاف لعيالي.

فقال رسُول الله صلى الله عليه وسلم : " بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أعْطيْتَ ، وفيمَا أمْسَكْتَ " فبارك اللهُ في مال عبدالرحمن ، حتَّى إنَّهُ خلف امرأتين يوم أن مات ؛ فبلغ ثمنُ ماله لهما مائة وستون ألفاً وتصدق يومئذ عاصمُ بن عدي العجلاني بمائة وسْقٍ من تمر.

١٥٦

". (١)

"كقوله : ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء : ٩٠] في أحد أوجهه كما تقدَّم ، وإلى هذا نحا الزمخشريُّ.

الثالث : أن يكون معطوفاً على الشَّرط ؛ فيكون في محلِّ جرٍ بإضافة الظرف إليه بطريق النسق وحذف حرف العطف ، والتقدير : وقلت ، وقد تقدَّم الكلام على هذه المسألة وإلى هذا ذهب الجرجاني ، وتبعه ابنُ عطيَّة ، إلا أنَّه قدَّر العاطف فاءً أي : فقلت.

الرابع : أن يكون مستأنفاً.

قال الزمخشريُّ " فإن قلت : هل يجُوزُ أن يكون قوله : " قلت لا أجدُ " استئنافاً مثله ؟ - يعني مثل : ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [التوبة : ٩٣] - كأنَّه قيل : إذا ما أتوك لتحملهم تولَّوا ، فقيل : ما لهُم تولَّوا باكينَ ؟ قلت لا أجدُ ما أحملهم عليه إلاَّ أنَّه وسط بين الشرط والجزاء ، كالاعتراض ؟ قلتُ : نعم ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٥٤

ويحسنُ " انتهى.

قال أبُو حيَّان " ولا يجوزُ ، ولا يحسن في كلام العربِ ، فكيف في كلام الله ؟ وهو فهم أعجمي " قال شهابُ الدين : وما أدري ما سببُ منعه ، وعدم استحسانه له مع وضوحه وظهوره لفظاً ومعنًى ؟ وذلك لأنَّ تولّيهم على حالة فيض الدَّمع ليس مرتباً على مجرَّد مجيئهم له عليه الصلاة والسلام – لهم ذلك سببٌ في بكائهم ؛ فحسن أن يجعل قوله : ﴿قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ﴾ جواباً لمنْ سأل عن علةِ تولّيهم ، وأعينُهم فائضةٌ دمعاً وهو المعنى الذي قصده أبُو القاسم وعلى هذه الأوجه الأربعة المتقدمة في " قُلْتَ " يكون جواب الشَّرط قوله : " تولَّوا " ، وقوله " لِتحْمِلهُمْ " علة لـ " أتَوْكَ ".

وقوله : " لا أجدُ " هي المتعديةُ لواحدٍ ؛ لأنَّها من " الوُجْد " ، و " مَا " يجوز أن تكون موصولةً ، أو موصوفةً.

فصل قال أبُو العباس المقرىء : ورد لفظ التَّولّي في القرآن على أربعة أوجه : الأول : بمعنى الانصراف ، قال تعالى : ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ [التوبة : ٩٢] ومثله قوله تعالى ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص : ٢٤] أي : انصرف.

الثاني : بمعنى : " أبَى " ، قال تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ [المائدة : ٤٩] أي : أبَوْا أن يؤمنوا ؛ ومثله قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾ [النساء : ٨٩].

الثالث : بمعنى : " أعرض " قال تعالى ﴿وَمَن تَوَلَّى فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [النساء : ٨٠].

الرابع : الإعراض عن الإقبال ، قال تعالى ﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال : ١٥].

قوله : ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ في محلِّ نصبٍ على الحال من فاعل " تولَّوا ".

قال الزمخشريُّ " تفيضُ من الدَّمع ، كقولك : تفيض دمعاً ".

وقد تقدَّم الكلام على هذا في المائدة مستوفًى عند قوله ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة : ٨٣] وأنَّهُ جعل " من الدَّمع " تمييزاً ، و " مِنْ " مزيدة وتقدَّم الرَّد عليه في ذلك هناك.

١٧٣

." (١)

"قوله : " حَزَناً " في نصبه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّهُ مفعولٌ من أجله ، والعاملُ فيه " تَفِيضُ " قاله أبو حيان.

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٦٤

لا يقال : إنَّ الفاعل هنا قد اختلف ، فإنَّ الفيض مسند للأعين ، والحزنَ صادرٌ من أصحاب الأعين ، وإذا اختلف الفاعل وجب جرُّه بالحرف ؛ لأنَّا نقول : إنَّ الحزنَ يُسندُ للأعين أيضاً مجازاً ، يقال : عين حزينةٌ وسخينةٌ ، وعين مسرورةٌ وقريرة ، في ضد ذلك.

ويجوز أن يكون النَّاصب له " تولَّوا " ، وحينئذٍ يتَّحدُ فاعلا العلَّةِ والمعلولِ حقيقةً.

الثاني : أنَّهُ في محلِّ نصبٍ على الحال ، أي : تولَّوا حزينين ، أو تفيض أعينهم حزينةً ، على ما تقدَّم من المجاز.

الثالث : أنه مصدر ناصبُه مقدرٌ من لفظه ، أي : يحزنون حزناً ، قاله أبو البقاء.

وهذه الجملةُ التي قدَّرها ناصبة لهذا المصدر هي أيضاً في محلِّ نصبٍ على الحال ، إمَّا من فاعل " تولَّوا " ، وإمَّا من فاعل " تَفِيضُ ".

قوله : " أَلاَّ يَجِدُوا " فيه وجهان : أحدهما : أنَّهُ مفعولٌ من أجله ، والعامل فيه " حزناً " إن أعربناه مفعولاً له ، أو حالاً.

وأمَّا إذا أعربناه مصدراً فلا ؛ لأنَّ المصدر لا يعملُ إذا كان مؤكداً لعامله.

وعلى القول بأنَّ " حَزَناً " مفعول من أجله ، يكون " ألاَّ يَجِدُوا " علة العلة يعني أن يكون علَّل فيض الدَّمع بالحزن ، وعلَّل الحزن بعدم وجدان النَّفقة ، وهو واضحٌ وقد تقدَّم نظيرُ ذلك في قوله : ﴿جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة : ٣٨].

الثاني : أنه متعلق بـ " تَفِيضُ ".

قال أبو حيان : ولا يجوز ذلك على إعرابه " حَزَناً " مفعولاً له والعاملُ فيه " تفيضُ " ، إذ العاملُ لا يقتضي اثنين من المفعول له إلاَّ بالعطفِ ، أو البدلِ.

فصل قال المفسِّرون : هم سبعة نفر سموا البكائين ، معقل بن يسار ، وصخر بن خنساء وعبدالله بن كعب الأنصاري ، وعلية بن زيد الأنصاري ، وسالم بن عمير ، وثعلبة بن غنمة ، وعبد الله بن معقل المزني ، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله : إنَّ الله ندبنا للخروج معك ، فاحملنا.

واختلفوا في قوله " لِتحْمِلهُم " قال ابنُ عبَّاس : سألوه أن يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا معه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا أجِدُ ما أحملكُم عليهِ " فتولَّوا وهم يبكُون

١٧٤

وقال الحسنُ : " نزلت في أبي موسى الأشعري ، وأصحابه ، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه

، ووافق ذلك منه غضباً فقال : " والله لا أحْملكُمْ ولا أجِدُ ما أحْملُكُم عليْهِ " فتولّوا يبكون ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاهم ذوداً.

فقال أبو موسى : ألست حلفت يا رسول الله ؟ فقال : " أما إنّي إن شاء الله لا أحْلِفُ فأرَى غيرَها خيراً منها ، إلاَّ أتَيْتُ الذي هُو خَيْرٌ وكفَّرتُ عنْ يَمِيني ".

ولمَّا قال تعالى : ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ قال في هذه الآية : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف : " وهُمْ أغنِيَاءُ ".

قوله : "...

رضُوا " فيه وجهان : أحدهما : أنَّهُ مستأنفٌ ، كأنَّهُ قال قائلٌ : ما بالهم استأذنوا في القعودِ ، وهُم قادرُون على الجهادِ ؟ فأجيب بقوله : ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ ، وإليه مال الزمخشريُّ.

١٧٥

والثاني : أنَّه في محلِّ نصب على الحالِ ، و " قَدْ " مقدَّرةٌ في قول.

وتقدَّم الكلام في : " الخَوالفِ ".

" وطبعَ اللهُ على قُلوبِهِمْ " قوله : " وطبعَ " نسقٌ على " رَضُوا " تنبيهاً على أنَّ السَّبب في تخلُّفهم رضاهم بقُعُودهم ، وطبعُ الله على قلوبهم ، وقوله : " إنَّما السَّبيلُ على " فأتَى بـ " عَلَى " ، وإن كان قد يصلُ بـ " إلَى " ؛ لأن ّ " عَلَى " تدلُّ على الاستعلاء ، وقلة منعة من تدخل عليه ، نحو : لي سبيل عليك ، ولا سبيل لي عليك ، بخلاف " إلى " فإذا قلت : لا سبيل عليك ، فهو مُغايرٌ لقولك : لا سبيل إليك ، ومن مجيء " إلَى " معه قوله : [الطويل] ٢٨٣٣ - ألاَ ليْتَ شِعْرِي هَلْ إلى أمِّ سالمٍ

سبيلٌ ؟ فأمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فلا صَبْرَا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ١٧٠

وقول الآخر : [البسيط] ٢٨٣٤ - هَلء مِنْ سبيلٍ إلى خَمْرٍ فأشْربهَا

أمْ مِنْ سبيلٍ إلى نصْرِ بنِ حجَّاجِ

". (١)

"أظهرهما : أنَّها نسق على " قُربات " ، وهو ظاهرُ كلام الزمخشري ، فإنَّه قال : " والمعنى أنَّ ما ينفقه سببٌ لحصول القربات عند اللهِ وصلوات الرسول ، لأنَّهُ كان يدعو للمتصدِّقين بالخيرِ ، كقوله : "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٦٥

اللَّهُمَّ صلِّ على ألِ أبِي أوْفَى " والثاني – وجوَّزهُ ابنُ عطية ولم يذكر أبُو البقاءِ غيره – : أنها منسوقةٌ على " ما يُنفقُ " ، أي : ويتَّخذ بالأعمال الصَّالحة صلوات الرسول قربة.

قوله : ﴿أَلا اا إِنَّهَا قُرْبَةٌ﴾ الضمير في " إنَّها " قيل : عائدٌ على " صَلواتِ ".

وقيل : على النَّفقات أي : المفهومة من " يُنفِقُون ".

وقرأ ورشٌ " قُرُبَة " بضمِّ القاف والرَّاء ، والباقون بسكونها ، فقيل : لغتان.

وقيل : الأصلُ السكون ، والضَّم إتباع.

وقد تقدَّم الخلاف بين أهل التصريف ، هل يجوزُ تثقيل " فُعْل " إلى " فُعُل " ؟ وأنَّ بعضهم جعل " يُسُرا ، عُسُرا " بضمِّ السين فرعين على سكونها ، وقيل : الأصلُ " قُرُبة " بالضَّمِّ ، والسكون تخفيف ، نحو : كتب ورسل ، وهذا أجْرَى على لغة العرب ، إذ مبناها الهرب من الثِّقل إلى الخفة.

وفي استئناف هذه الجملة وتصدُّرها بحرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثباتِ الأمر وتمكُّنه شهادةٌ من الله بصحة ما اعتقده من إنفاقه.

قال معناه الزمخشريُّ ، قال : وكذلك سيدخلهم وما في السِّين من تحقيقِ الوعدِ.

ثم قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لسيِّآتهم " رَّحِيمٌ " بهم حيث وفقهم لهذه الطَّاعات.

قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾ الآية.

" وَالسَّابقُون " فيه وجهان : أظهرهما : أنَّه مبتدأ ، وفي خبره ثلاثة أوجه : أظهرها : أنَّه الجملة الدعائية من قوله : ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾.

والثاني : أنَّ الخبر قوله : " الأوَّلون " ، والمعنى : والسَّابقون إلى الهجرة الأوَّلُون من أهل هذه المِلَّةِ ، أو السابقون إلى الجنَّة الأولون من أهل الهجرة.

الثالث : أنَّ الخبر قوله : ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ والمعنى فيه الإعلام بأنَّ السابقين من هذه الأمَّةِ من المهاجرين والأنصار ، ذكر ذلك أبو البقاءِ.

وفي الوجهين الأخيرين تكلُّفٌ.

الثاني من وجهي " السَّابقين " : أن يكون نسقاً على " مَنْ يُؤمِنُ باللهِ " ، أي : ومنهم السابقون ، وفيه بعدٌ ، والجمهور على جرِّ " الأنْصارِ " نسقاً على " المُهاجِرينَ " يعني أنَّ السابقين من هذين الجنسين.

وقرأ جماعة كثيرة أجلاَّء : عمرُ بنُ الخطَّابِ ، وقتادةُ ، والحسنُ ، وسلامُ ، وسعيدُ

١٨٤

ابنُ أبي سعيد ، وعيسى الكوفيُّ ، وطلحة ، ويعقوب " والأنصارُ " برفعها ، وفيها وجهان : أحدهما : أنَّه مبتدأ ، وخبره " رضِيَ الله عنهُم ".

والثاني : عطفه على " السَّابقُون " ، وقد تقدَّم ما فيه ، فيُحكم عليه بحكمه.

قوله : " بإِحْسانٍ " متعلقٌ بمحذوف , لأنَّه حالٌ من فاعل " اتَّبَعُوهُم ".

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يرى أن الواو ساقطة من قوله : " وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم " ويقول : إنَّ الموصول صفةٌ لمن قبله ، حتى قال له زيدُ بنُ ثابتٍ : إنَّها بالواو ، فقال : ائتوني بأبيّ ، فأتوه به ، فقال له : تصديق ذلك في كتاب اللهِ في أول الجمعة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة : ٢] ، وأوسط الحشر ﴿وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر : ١٠] وآخر الأنفال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ﴾ [الأنفال : ٧٥].

وروي أنَّهُ سمع رجلاً يقرؤها بالواو ، فقال : من أقْرأكَ ؟ فقال : أبيّ ، فدعاه ، فقال : أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنَّك لتبيع القرظ بالبقيع ، قال : صَدقْتَ ، وإن شئت قل : شهدنَا وغبْتُم ، ونصَرْنَا وخذلْتُم ، وآوَيْنَا وطَرَدْتم ، ومن ثمَّ عمرُ : لقد كنتُ أر ا نا رُفِعْنَا رفعة ، لا يبلغُها أحدٌ بعدنا.

فصل لمَّا ذكر فضائل الأعراب الذين يتَّخذُونَ ما ينفقُون قربات عند الله ، وما أعد لهم ، بين أنَّ فوق منزلتهم منازل أعلَى وأعظم منها ، وهي منازلُ السَّابقين الأولين.

واختلفوا فيهم ، فقال ابنُ عبَّاس ، وسعيدُ بنُ المسيب ، وقتادة ، وابن سيرين ، وجماعة : هم الذين صلُّوا إلى القبلتين ، وقال عطاءُ بن أبي رباح : هم الذين شهدوا معه بيعة الرضوان ، وكانت بيعة الرضوان بالحديبية.

وقال أبو مسلم : من تقدم موته بعد الإسلام من الشهداء وغيرهم.

وقال ابنُ الخطيبِ : " والصحيحُ عندي أنَّهم السَّابقون في الهجرة ، والنصرة ، لكونه وصفهم بكونهم مهاجرين وأنصاراً ".

واختلفوا هل يتناولُ جميع الصحابة الذين سبقوا إلى الهجرة ، والنصرة أم يتناول بعضهم ؟ فقال قومٌ : إنَّه يتناول الذين سبقوا في الهجرة والنصرة وعلى هذا ، فلا يتناول إلا قدماء الصحابة ، لأنَّ كلمة " مِنْ " للتَّبعيض.

١٨٥

." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٧٠

"والأخرى عذاب القبر.

وعن ابن عبَّاسٍ : الأولى إقامة الحدود عليهم ، والأخرى عذاب القبر.

وقال ابنُ إسحاق : هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام ، ودخولهم فيه من غير حسبة ، ثم عذاب القبر.

وقيل : أحدهما ضرب الملائكة وجوههم ، وأدبارهم عند قبض أرواحهم ، ثم عذاب القبر ، وقيل : الأولى إحراق مسجدهم مسجد الضّرار ، والأخرى إحراقهم بنار جهنَّم ثُمَّ يردُّون إلى عذابٍ عظيم أي : عذاب جهنم يخلدون فيه وقال الحسنُ : الأولى أخذ الزكاة من أموالهم ، وعذاب القبر.

قوله تعالى : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية.

" وآخرون " نسقٌ على " مُنافِقُون " أي : وممَّن حولكم آخرون ، أو من أهلِ المدينة آخرون.

ويجوزُ أن يكون مبتدأ ، و " اعترفُوا " صفته ، والخبر قوله : " خلطُوا ".

قوله : " وآخَرَ " نسقٌ على " عَمَلاً ".

قال الزمخشريُّ : " فإن قلت : قد جُعِلَ كُلُّ واحد منهما مخلُوطاً ، فما المخلُوط به ؟ قلتُ : كلُّ واحدٍ مخلوطٌ ومخلوطٌ به ؛ لأنَّ المعنى : خلط كل واحدٍ منهما بالآخر ، كقولك : خلَطْتُ الماءَ واللَّبن ، تريدُ : خلطتُ كُلَّ واحدٍ منهما بصاحبه.

وفيه ما ليس في قولك : خلطتْ الماءَ باللَّبَنِ ؛ لأنَّك جعلت الماء مَخْلُوطاً ، واللَّبنَ مخلوطاً به ، وإذا قلته بالواو جعلتَ الماءَ واللَّبنَ مخلوطين ، ومخلوطاً بهما ، كأنَّك قلت : خلطتُ الماءَ باللبن ، واللبن بالماءِ ".

ثمَّ قال " ويجوزُ أن يكون من قولهم : بِعْتُ الشَّاة : شاةً ودرهماً ، بمعنى : شاة بدرهم ".

قال شهابُ الدِّينِ : " لا يريدُ أنَّ الواو بمعنى الباءِ ، وإنَّما هذا تفسيرُ معنى " وقال أبُو البقاءِ : " ولو كان بالباءِ جاز أن تقول : خلطتُ الحنطة والشعير ، وخلطت الحنطةَ بالشَّعير ".

قوله : " عَسَى اللَّهُ " يجوزُ أن تكون الجملةُ مستأنفةً ، ويجوزُ أن تكون في محلِّ رفع خبراً لـ " آخرون " ويكون قوله " خلطُوا " في محلِّ نصب على الحالِ ، و " قَدْ " معه مقدَّرةٌ ، أي : قد خلطوا.

فتلخَّص في : " آخرُونَ " أنَّهُ معطوف على " مُنافِقُون " ، أو مبتدأ مخبر عنه بـ " خَلطُوا " ، أو بالجملة الرجائية.

فصل قيل : إنَّهم قوم من المنافقين ، تابُوا عن النِّفاقِ ؛ لأنَّهُ عطف على قوله ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ

١٩١

الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ والعطفُ يوهم التَّشريكَ ، إلاَّ أنَّهُ تعالى وفقهم للتوبة.

وقيل : إنَّهُم قوم من المسلمين تخلَّفوا عن غزوة تبُوك ، كسلاً ، لا نفاقاً ، ثم نَدِمُوا على ما فعلوا وتابوا.

وروي أنهم كانوا ثلاثة : أبو لبابة مروان بن عبد المنذر ، وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام.

وروى عطية عن ابن عباس : كانوا خمسة ، أحدهم أبو لبابة.

وقال سعيد بن جبير : كانوا ثمانية.

وقال قتادةُ والضحاك : كانوا سبعة.

وقالو جميعاً أحدهم أبو لبابة.

وقال قومٌ : نزلت في أبي لبابة خاصة ، وروي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس : أنهم كانوا عشرة ، فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم لمَّا بلغهم ما نزل في المتخلفين ، فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد ، فقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل المسجد وصلى ركعتين ، وكانت عادته كُلَّما قدم من سفرٍ ، فرآهم موثقين ، فسأل عنهم ؛ فقالوا : هؤلاء تخلَّفُوا عنك ، فعاهدُوا الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطلقهم ويرضى عنهم ، فقال : " وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم " ؛ فنزلت هذه الآية فأطلقهم وعذرهم ، فقالوا : يا رسُول الله هذه أموالنا التي خلَّفتنا عنك ، فتصدق بها عنَّا وطهرنا ، فقال : " ما أمرتُ أن آخذَ مِنْ أموالكُم شيئاً " ؛ فنزل قوله : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة : ١٠٣] الآية.

والاعترافُ : عبارة عن الإقرار بالشَّيءِ عن معرفةٍ ، ومعناه : أنَّهُم أقَرُّوا بذنبهم.

والعمل الصَّالح : هو توبتهم واعترافهم بذنبهم وربطهم أنفسهم.

والعمل السيّيء : هو تخلُّفهم.

وقيل : العمل الصَّالح : خروجهم مع الرسُول – عليه الصلاة والسلام – إلى سائر الغزوات ، والعمل السيّيء : تخلفهم عن غزوة تبوك.

فصل قالوا : إنَّ الكلام ينزلُ على عرف النَّاسِ ، فالسُّلطانُ إذا التمس المحتاج منه شيئاً ؛ فإنه لا يجيب إلاَّ بالتَّرجي بـ " لعل ، أو عسى " ، تنبيهاً على أنَّه ليس لأحد أن يلزمني شيئاً ؛ بل كل ما أفعله فإنما أفعله على سبيل التفضّل ، فهذا المعنى هو فائدة ذكر " عَسَى ".

والاعتراف بمجرَّدِهِ لا يكون توبة ، إلاَّ إذا اقترن به النَّدم على الماضي ، والعزم على تركه في المستقبل.

فصل دلَّت هذه الآيةُ على عدم القولِ بالإحباط ، وأنَّ الطَّاعة تبقى موجبة للمدح

١٩٢
." (١)

"قوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ﴾ الآية.

لمَّا بينَّ أنَّه اشترى من المؤمنين أنفسهم ، بيَّن ههنا أنَّ أولئك المؤمنين هم الموصوفون بهذه الصفات.

وقال جماعةٌ : الآية الأولى مستقلة بنفسها ، يقع تحت تلك المبايعة كل مُوحّد قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وإنْ لم يتصف بهذه الصفات في هذه الآية.

قوله : " التَّائِبُونَ " فيه خمسةُ أوجه : أحدها : أنَّهُ مبتدأ ، وخبره " الْعَابِدُونَ " وما بعده أوصاف ، أو أخبار متعددة عند من يرى ذلك.

الثاني : أنَّ الخبر قوله " الآمِرُونَ ".

الثالث : أنَّ الخبر محذوفٌ ، أي : التَّائِبُون الموصوفون بهذه الأوصاف من أهل الجنة ، أي من لم يجاهد غير معاندٍ ، ولا قاصد لترك الجهادِ فله الجنَّةُ ، قال الزجاجُ : وهو حسن ، كأنه وعد الجنَّة لجميع المؤمنين ، كقوله : ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [النساء : ٩٥] ويؤيده قوله : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وهذا عند من يرى أنَّ هذه الآية منقطعةٌ ممَّا قبلها وليست شرطاً في المجاهدةِ.

وأمَّا من زعم أنَّها شرطٌ في المجاهدة ، كالضَّحاك وغيره فيكون إعراب التَّائبين خبر مبتدأ محذوف ، أي : هم التائبون ، وهذا من باب قطع النُّعُوتِ ، وذلك أنَّ هذه الأوصاف عند هؤلاء القائلين من صفات المؤمنين في قوله تعالى : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويؤيِّدُ ذلك قراءة أبيّ ، وابن مسعود ، والأعمش " التَّائبينَ " بالياءِ ، ويجوزُ أن تكون هذه القراءةُ على القطع أيضاً ؛ فيكون منصوباً بفعل مقدر ، وقد صرَّح الزمخشري ، وابنُ عطية بأنَّ التائبين في هذه القراءةِ نعتٌ للمؤمنين.

الخامس : أنَّ " التَّائبُونَ " بدلٌ من الضمير المتصل في " يُقاتِلُونَ ".

ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقاً فلم يقل : التَّائبُون من كذا لله ، ولا العابدون لله لفهم ذلك ، إلاَّ صفتي الأمر والنَّهي ، مبالغةً في ذلك.

ولم يأتِ بعاطفٍ بين هذه الأوصاف ، لمناسبتها لبعضها ، إلاَّ في صفتي الأمر والنَّهي ، لتبايُن ما بينهما ، فإنَّ الأمر طلبُ فعلٍ ، والنَّهْيَ طلبُ تركٍ ، أو كفٍّ.

وكذا " الحَافِظُونَ " عطفه وذكر متعلقه وأتى بترتيب هذه الصفاتِ في الذِّكْر على أحسنِ نظمٍ ، وهو ظاهرٌ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٧٤

بالتأمل ، فإنَّهُ قدَّم التوبة أولاً ، ثم ثنَّى بالعبادة إلى آخرها.
وقيل : إنَّما دخلت الواوُ ؛ لأنها " واوُ " الثمانية ، كقولهم : ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] وقوله : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر : ٧٣] لمَّا كان للجنَّة ثمانية أبواب أتى معها بالواو.
قال بعض النَّحويين : هي لغة فصيحةٌ لبعض العربِ ، يقولون إذا عدُّوا : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، تسعة ، عشرة.
قال القرطبيُّ : " وهي لغة قريش " وقال أبو البقاءِ : " إنَّما دخلت " الواو " في الصفة الثامنة ، إيذاناً بأنَّ
٢١٨
السبعة عندهم عدد تام ، ولذلك قالوا : سبع في ثمانية ، أي : سبع أذرع في ثمانية أشبارٍ ، وإنَّما دلَّت الواوُ على ذلك لأنَّ الواو تُؤذن بأنَّ ما بعدها غير ما قبلها ، ولذلك دخلت في باب **عطفِ النَّسق** ".
وهذا قولٌ ضعيفٌ جدّاً ، لا تحقيقَ له.
فصل في تفسير هذه الصفات قوله " التَّائِبُونَ " قال ابنُ عبَّاسٍ : التَّائِبُونَ من الشِّرْكِ وقال الحسنُ : من الشِّرك والنفاق.
وقيل : التائبون الراجعون عن الحالة المذمومة قال القرطبيُّ : " الراجع إلى الطَّاعة أفضل من الراجع عن المعصية ، لجمعه بين الأمرين " وقال الأصوليُّون : التَّائبُونَ من كلِّ معصيةٍ ، لأنَّها صيغة عموم محلاة بالألف واللام فتتناول الكل ، فالتخصيص تحكم.
و " العَابِدُونَ " قال ابنُ عباسٍ " الذين يؤدُّون العبادة ا لواجبة عليهم " وقال غيره : المطيعون الذين أخلصُوا العبادة لله تعالى وقال الحسنُ " هم الذين عبدُوا الله في السَّراء والضَّراء " وقال قتادةُ " قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم " الْحَامِدُونَ " الذين يحمدون الله على كُلِّ حال في السّراء والضّراء.
قال عليه الصلاة والسلام : " أوَّلُ مَنْ يُدعَى إلى الجنَّةِ يوْمَ القيامةِ الذين يَحمدُونَ الله فِي السَّراءِ والضَّراءِ ".
" السَّائِحُونَ " قال ابنُ مسعودٍ : الصائمون.
وقال ابن عباس " ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام " وقال عليه الصلاة والسلام : " سياحةُ أمتي الصيامُ ".
" وعن الحسن " أنَّ هذا صوم الفرض " وقيل : هم الذين يديمون الصيام.
قال سفيانُ بنُ عيينة " إنَّما سُميَ الصَّائمُ سائحاً ، لتركه اللذات كلها ، من المطعم والمشرب والنكاح "

وقال عطاءٌ : " السَّائحون هم الغزاةُ في سبيل الله " وهو قول مسلم.

وقال عكرمةُ : " هم طلبة

٢١٩

". (١)

"أنه فعل بهم ذلك ليتخلَّصُوا من العقاب المؤبد ، ويفُوزُوا بالثَّواب المؤبد.

فإن قيل : لمَّا قال : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ **فهذا النَّسق يوجب** أن يقال : رءوف رحيم بالمؤمنين ، فلم ترك **هذا النسق وقال** : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فالجواب : أنَّ هذا يفيد الحصر ، أي : لا رأفة ولا رحمة إلا بالمؤمنين.

فأما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمة ، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التَّغليظِ ، كأنَّهُ يقول : إنّي وإن بالغت في التَّغليظِ في هذه السُّورة ، إلاَّ أنَّ ذلك التَّغليظ على الكُفَّارِ والمنافقين ، وأما رحمتي ، ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين.

قوله تعالى : ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يعني : المشركين والمنافقين ، أي : أعرضوا عنك وقيل : تولوا عن طاعة الله وتصديق الرَّسُولِ - عليه الصلاة والسلام - وقيل : تولوا عن قبول التكاليف الشاقة الmذكورة في هذه السُّورة.

وقيل : تولوا عن نصرتك في الجهاد.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا اا إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ﴾ والمرادُ : أنَّه لا يدخل في قلب الرسول حزن ولا أسف ؛ لأنَّ الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء.

" عليْهِ توكَّلتُ " أي : لا أتوكل إلاَّ عليه : ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

فإن قيل : العرشُ غير محسوس ، فلا يعرف وجوده إلاَّ بعد ثُبوتِ الشريعةِ ، فكيف يمكنُ ذكره في معرض شرح عظمة الله تعالى ؟ .

فالجواب : وجود العرش أمرٌ مشهورٌ ، والكفار سمعوه من اليهود والنصارى وأيضاً لا يبعد أنَّهُم كانوا قد سمعُوهُ من أسلافهم.

وقرأ الجمهور بجرِّ الميم من " العَظيمِ " صفة للعرش.

وقرأ ابنُ محيصنٍ برفعها نعتاً للرب ورويت هذه قراءة عن ابن كثير.

قال أبو بكر الأصم : " وهذه القراءة أعجبُ إليَّ ؛ لأنَّ جعل " العظيم " صفة لله تعالى أولى من جعله

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٦٩٢

صفة للعرش " وأيضاً قال " فإن جعلناه صفة للعرش ، كان المراد من كونه عظيماً كبر جثته وعظم حجمه واتساع جوانبه على ما ذكر في الأخبار وإن جعلناه صفة لله تعالى كان المرادُ من العظمة وجوب التقديس عن الحجمية والأجزاء والأبعاض ، وكمال العلم والقدرة ، وكونه منزَّهاً عن أن يتمثل في الأوهام ، أو اتصل إليه الأفهام ".

فصل روي عن أبيّ بن كعب والحسن قالا : آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة : ١٢٨] إلى آخرها.

وقال أبي بن كعب : " هما

٢٤٩

أحدث الآيات بالله عهداً " وفي رواية : " أقرب القرآنِ من السَّماءِ عهداً " وهو قول سعيد بن جبير.

وقيل : آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٨١].

قال القرطبي " يحتمل أن يكون قول أبيّ : أقرب القرآن من السماء عهداً بعد قوله " وَاتَّقُواْ يَوْماً " والله أعلمُ.

ونقل عن حذيفة أنَّهُ قال : أنتم تسمُّون هذه السورة بالتوبة وهي سورة العذاب ، ما تركت أحداً إلاَّ نالتْ منه ".

قال ابنُ الخطيبِ : " وهذه الرواية يجب تكذيبها ؛ لأنَّا لو جوزنا ذلك ؛ لكان ذلك دليلاً على تطرُّق الزيادة والنقصان إلى القرآن وهو باطلٌ ".

وروت عائشة قالت : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : " إنَّه ما نزل عليَّ القرآنُ إلاَّ آيةً آيةً وحَرْفاً حَرْفاً ما خلا سُورة براءة ، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١] فإنَّما نزلتَا عليَّ ومعهما سَبْعُونَ ألف صف مِنَ الملائكةِ كُلُّهُم يقُولُ : يا مُحمدَّدُ استوصِ بنسبةِ اللهِ خَيْراً ".

٢٥٠

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٤٢." (١)

"أحدهما : أن تكون " مَنْ " مبتدأ أيضاً ، و " أنْ " في محلِّ رفعٍ ، بدلاً منها بدل اشتمال ، و " أحَقُّ " خبرٌ على ما كان.

والثاني : أن يكون " أنْ يُتَّبَع " في محلِّ رفعٍ بالابتداء ، و " أحَقُّ " خبره مقدَّمٌ عليه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧١٠

وهذه الجملة خبر لـ " مَنْ يَهْدِي " ، فتحصَّل في المسألة ثلاثة أوجُه.

قوله : ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّى ﴾ : **نسقٌ على** " أفَمَنْ " ، وجاء هنا على الأفصح ، مِنْ حيث إنَّهُ قد فصل بين " أمْ " وما عُطفتْ عليه بالخبر ، كقولك : أزَيْدٌ قائمٌ أم عمرو ، ومثله : ﴿أَذالِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ [الفرقان : ١٥] ، وهذا بخلاف قوله – تعالى – : ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠٩] وسيأتي هذا في موضعه ، وقرأ أبو بكر عن عاصم : بكسر ياء " يهدِّي " وهائه ، وحفص بكسر الهاء دون الياء ، فأما كسر الهاء ؛ فلالتقاء الساكنين ، وذلك أنَّ أصله " يَهْتَدِي " ، فلمَّا قُصِدَ إدغامُه سكنتِ التاء ، والهاءُ قبلها ساكنة ، فكسرت الهاءُ لالتقاء الساكنين ، وأبو بكر أتبع الياء للهاء في الكسر ، وقال أبو حاتم : في قراءة حفصٍ " هي لغة سُفْلَى مُضَرَ ".

ونقل عن سيبويه : أنَّه لا يجيز " يِهْدِي " ، ويجيز " تِهْدِي ، وإهْدِي " ، قال : " لأنَّ الكسرة تثقلُ في الياء " ، يعني : يُجيز كسر حرفِ المضارعة من هذا النَّحو ، نحو : تِهْدِي ونِهْدِي وإهْدِي ، إذ لا ثقل في ذلك ، ولم يجزهُ في الياء ؛ لثقل الحركة المجانسةِ لها عليها ، وهذا فيه غضٌّ من قراءة أبي بكرٍ ، لكنه قد تواتر قراءة ، فهو مقبولٌ ، وقرأ أبو عمرو وقالون ، عن نافع : بفتح الياء ، واختلاس فتحة الهاء ، وتشديد الدَّال ، وذلك أنَّهُمَا لمَّا ثقَّلا الفتحة للإدغام ، اختلسا الفتحة ؛ تنبيهاً على أنَّ الهاءَ ليس أصلها الحركة ، بل السُّكون ، وقرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وورش : بإكمال فتحة الهاء على أصل النقل ، وقد رُوي عن أبي عمرو ، وقالوا : اختلاسُ كسرةِ الهاءِ ، على أصل التقاء الساكنين ، والاختلاسُ للتنبيه على أنَّ أصل الهاءِ السُّكون كما تقدَّم ، وقرأ أهلُ المدينة – خلا ورشاً – بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدَّال ، وهذه القراءةُ استشكلها جماعةٌ من حيث الجمع بين السَّاكنين ، قال المبرد : " مَنْ رَامَ هذا ، لا بد أن يحرك حركة خفيَّة " قال أبو

٣٢٥

جعفر النَّحاس : لا يقدر أحدٌ أن ينطقَ به.

قال شهاب الدِّين : " وقد قال في التيسير : " والنَّصُّ عن قالون بالإسكان " ، قلت : ولا بعد في ذلك ؛ فقد تقدَّم أنَّ بعض القُرَّاء يَقْرَأ ﴿نِعْمَّا﴾ [النساء : ٥٨] و ﴿لاَ تَعْدُواْ﴾ [النساء : ١٥٤] بالجمع بين الساكنين ، وتقدَّمت لك قراءاتٌ كثيرة ، في قوله ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [البقرة : ٢٠] ، وسيأتي مثل هذا في ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ [يس : ٤٩].

وقرأ الأخوان " يَهْدِي " بفتح الياء ، وسكون الهاء ، وتخفيف الدال ، من هدى يَهْدي ، وفيه قولان :

أحدهما : أنَّ " هَدَى " بمعنى : اهتدى.
والثاني : أنَّه متعدٍّ ، ومفعوله محذوفٌ كما تقدَّم ، وتقدم في قول الكسائي ، والفرَّاء في ذلك ، وردُّ المبرد عليهما.
وقال ابن عطيَّة : " والذي أقول : قراءةُ حمزة ، والكسائيُّ ؛ تحتمل أن يكون المعنى : أمْ مَنْ لا يهدي أحداً ، إلاَّ أنْ يهدي ذلك الأحدُ بهداية الله ، وأمَّا على غيرها من القراءات التي مقتضاها : أمْ مَنْ لا يهتدي ، إلاَّ أنْ يُهْدَى.
فيتجه المعنى على ما تقدَّم " ، ثم قال : " وقيل : تمَّ الكلامُ عند قوله : " أمْ مَنْ لا يَهَدِّي " ، أيك لا يهدِّي غيره " ، ثم قال : " إلاَّ أنَّ يَهْدَى : استثناءٌ منقطع ، أي : لكنه يحتاجُ إلى أن يُهْدَى ، كما تقول : فلانُ لا يسمع غيره ، إلاَّ أنْ يسمع ، أي : لكنَّه يحتاجُ إلى أن يسمع ".
انتهى ، ويجوز أن يكون استثناءً متصلاً ؛ لأنَّه إذ ذاك يكون فيهم قابليَّةُ الهداية ، بخلافِ الأصنام ، ويجوز أن يكون استثناء من تمامِ المفعول له ، أي : لا يهدي لشيءٍ من الأشياء ، إلاَّ لأجْل أن يُهْدَى بغيره.
قوله : " فَمَا لَكُمْ " : مبتدأ وخبر ، ومعنى الاستفهام هنا : الإنكارُ والتعجُّبُ ، أي : أيُّ شيءٍ لكم في اتِّخاذ هؤلاء ؛ إذا كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم ، فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم ؟ وقد تقدَّم : أنَّ بعض النحويين نصَّ على أنَّ مثل هذا التركيب ، لا يتمُّ إلاَّ بحالٍ بعده ، نحو : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثر : ٤٩] ، ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ﴾ [المائدة : ٨٤] إلى غير ذلك ، وهنا لا يمكن أن تقدَّر الجملةُ بعد هذا التركيب حالاً ؛ لأنَّها استفهاميَّة ، والاستفهاميَّة لا تقع حالاً.
وقوله : ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ : استفهامٌ آخر ، أي : كيْفَ تحكمُونَ بالباطل ، وتجعلُون لله أنْداداً ، وشُركاء ؟ .
٣٢٧
." (١)

"عند حلمه ، أي : غاب ، وقوم مُعزَّبُون ، أي : عَزبتْ عنهم إبلُهُم " وفي الحديث : " مَنْ قرأ القرآن في أربعين يوماً ، فقد عزَّب " ، أي : فقد بعُد عهدُه بالختمة ، وقال قريباً منه الهرويُّ ، فإنَّه قال : " أي : بعد عهده بما ابتدأ منه ، وأبْطَأ في تلاوته ، وفي حديث أم معبد : " والشَّاءُ عازبٌ حيال ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧٥٦

قال : والعَازِبُ : البعيدُ الذهابِ في المَرْعَى ، والحَائِلُ : التي ضربها الفَحْلُ ، فلمْ تَحْمل لِجُدوبَةِ السَّنة ، وفي الحديث أيضاً : " أصْبَحْنَا بأرضٍ عزوبَةٍ صَحْراءَ " ، أي : بعيدةِ المرعى.

ويقال للمالِ الغائب : عازِب ، وللحاضر : عاهن ، والمعنى في الآية : وما يَبْعُد ، أو ما يَخْفَى ، أو ما يغيبُ عن ربِّك.

و " مِن مِّثْقَالِ " فاعل ، و " مِنْ " : مزيدةٌ فيه ، أي : ما يبعد عنه مثقالُ ، والمثقالُ هنا : اسمٌ لا صفةٌ ، والمعنيُّ به الوزنُ ، أي : وزن ذرَّة ، ومِثقال الشَّيءِ : ما يُساويهِ في الثِّقل ، والمعنى : ما يساوي ذرَّة ، والذرُّ : صغارُ النَّملِ واحدها ذرَّة ، وهي تكون خفيفة الوزن جدّاً.

فإن قيل : لِمَ قدَّم الله ذكر الأرض هنا على ذكر السماء ، مع أنَّهُ قال في سبأ : ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ : ٣] ؟ فالجواب : حقُّ السَّماءِ أن تقدَّم على الأرض ، إلاَّ أنه - تعالى - لمَّا ذكر في هذه الآية شهادته على أحوال أهل الأرض وأعمالهم ، ثم وصل بذلك قوله : لا يعزُب عنه ؛ ناسب أن تقدم الأرض على السَّماء في هذا الموضع.

قوله : ﴿وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذالِكَ وَلا اا أَكْبَرَ﴾ قرأ حمزة : برفع راء " أصغر " و " أكبر " ، والباقون : بفتحها.

فأما الفتحُ ففيه وجهان : أحدهما : - وعليه أكثر المعربين - أنَّهُ جرٌّ ، وإنما كان بالفتحةِ ؛ لأنَّه لا ينصرف للوزن والوصف ، والجرُّ لأجْلِ عطفه على المجرور ، وهو : إمَّا " مِثْقَالُ " ، أو " ذَرَّةٍ ".

وأمَّا الوجه الثاني : فهو أنَّ " لا " نافيةٌ للجنس ، و " أصْغَرَ " و " أكْبَرَ " اسمها ، فهما مبنيَّان على الفتح.

وأمَّا الرَّفْعُ فمن وجهين : أشهرهما عند المعربين : العطفُ على محلِّ " مثقال " إذ هو مرفوعٌ بالفاعليَّة ، و " مِنْ " مزيدة فيه ؛ كقولك : " مَا قَامَ مِنْ رجُلٍ ولا امرأةٍ " بجرِّ " امرأة " ورفعها.

٣٦٤

والثاني : أنَّهُ مبتدأ ، قال الزمخشري : والوجهُ النَّصْبُ على نفي الجنس ، والرَّفعُ على الابتداء ليكون كلاماً برأسه ، وفي العطف على محلِّ " مثقالُ ذرَّةٍ " ، أو على لفظ " مِثقال ذرَّةٍ " فتحاً في موضع الجرِّ ؛ لامتناع الصَّرف إشكالٌ ؛ لأنَّ قولك : " لا يعزُب عنه شيءٌ إلاَّ في كتاب " مشكل ؛ لأنَّه يلزم منه أن يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجاً عن علم الله ، ويصير التقدير : إلا في كتاب مبينٍ فيعزبُ ، وهو باطلٌ ، وهذان الوجهان اختيار الزَّجَّاج.

وقد يزول هذا الإشكالُ بما ذكره أبو البقاءِ : وهو أن يكون " إلاَّ في كتابٍ " استثناءً منقطعاً ، قال : " إلاَّ في كتابٍ ؛ أي : إلاَّ هو في كتابٍ ، والاستثناءُ منقطع ".

قال ابن الخطيب : " أجاب بعضُ المحقِّقين من وجهين : أحدهما : أن الاستثناء منقطع.
والآخر : أن العُزُوب عبارةٌ عن مطلق البعد ، والمخلوقات قسمان : أحدهما : قسمٌ أوجده الله ابتداءً من غير واسطةٍ ، كالملائكةِ ، والسمواتِ ، والأرضِ.
وقسمُ أوجدهُ بواسطةِ القسم الأوَّلِ ، مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد ، وهذا قد يتباعدُ في سلسلة العِلِّية والمعلُوليَّة عن مرتبة وجود واجب الوجود ، فالمعنى : لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقالُ ذرَّة في الأرض ، ولا في السماء ، إلا وهو في كتاب مبين كتبه الله ، وأثبت فيه صور تلك المعلومات ".
قال شهاب الديِن : " فقد آل الأمرُ إلى أنَّهُ جعله استثناء مفرَّغاً ، وهو حالٌ من " أصْغَرَ " و " أكبر " ، وهو في قوَّة الاستثناء المتَّصل ، ولا يقال في هذا : إنَّه متَّصلٌ ولا منقطع إذ المُفرَّغُ لا يقال فيه ذلك.
وقال الجرجانيُّ : " إلاَّ " بمعنى : " الواو " ، والتقدير : " وما يعزُب عن ربِّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السَّماء ولا أصْغر من ذلك ولا أكبر " وههنا تمَّ الكلام وانقطع ، ثم ابتدأ بقوله : ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أي : وهو في كتاب مبين ، والعربُ تضعُ " إلاَّ " موضع **واو النَّسق** ؛ كقوله : ﴿إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ [النساء : ١٤٨] ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [البقرة : ١٥٠].
وهذا الذي قاله الجرجانيُّ ضعيفٌ جداً ، وقد تقدَّم الكلامُ في هذه المسألة في البقرة ، وأنَّهُ شيءٌ قال به الأخفش ، ولم يثبُتْ ذلك بدليلٍ صحيح.
وقال أبو شامة : ويزيل الإشكال أن تُقدَّر قبل قوله : " إلاَّ في كتاب " " ليس شيء من ذلك إلاَّ في كتاب " وكذا تقدر في آية الأنعام [الأنعام : ٥٩].
ولم يقرأ في سبأ إلا بالرفع ، وهو يقوي قول من يقول : إنَّه معطوفٌ على " مِثْقَال " ،
٣٦٥
". (١)

"ويُبَيِّنه أن " مثال " فيها بالرَّفع ؛ إذ ليس قبله حرفُ جرٍّ.
وقد تقدَّم الكلامُ على نظير هذه المسألة في سورة الأنعام ، في قوله : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ [الأنعام : ٥٩] إلى قوله : ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام : ٥٩] وأنَّ صاحب النَّظم الجرجانيَّ أحال الكلام فيها على الكلامِ في هذه السورة ، وأنَّ أبا البقاء قال : " لوْ جعَلْنَاهُ كذا ، لفسد المعنى ".
وتقدَّم بيانُ فساده ، والجواب عنه هناك ، فالتفت إيله [الأنعام : ٥٩].

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧٨٣

قوله : ﴿أَلا اا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ﴾ الآية.

اختلفوا فيمن يستحقُّ هذا الاسم.

فقال بعضهم : هم الذين ذكرهم اللهُ في كتابه ، بقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

وقال قوم : هم المتحابُّون في الله ، لما روى أبو مالك الأشعري ، قال : كنتُ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : " إنَّ للهِ عباداً لَيْسُوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطُهُم النبيون والشُّهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامةِ " ، قال : وفي ناحية المسجدِ أعربي ، فجثا على ركبتيه ، ورمى بيديه ، ثم قال : حدِّثنا يا رسول الله عنهم ، قال : فرأيتُ في وجهِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم البشر ؛ فقال : " هُم عبادٌ من عبادِ اللهِ ، من بلدانٍ شتَّى ، وقبائل شتَّى لَمْ يكُنْ بينهُمْ أرحامٌ يتواصلون بها ، ولا دُنْيَا يتباذلُون بها ، يتحابُّون برُوحِ اللهِ ، يجعل الله وجُوههُم نُوراً ، ويجعل لهم منابر من لؤلؤٍ قدَّام الرحمن ، يفزع الناسُ ولا يفزعُون ، ويخافُ النَّاسُ ولا يخافُون ".

قال أبو بكر الأصم : أولياء الله : هم الذين تولَّى الله هدايتهم بالبرهان وتولَّوْا القيامَ بحق العُبُوديَّةِ لله ، والدَّعوة إليه.

واعلم : أنَّ تركيب الواو ، واللاَّم ، والياءِ يدل على معنى القرب ، فوليُّ كلِّ شيء هو الذي كون قريباً منه ، والقُر ْب من الله - تعالى - بالمكان والجهة محالٌ ؛ فالقرب منه إنَّما يكونُ ، إذا كان القلبُ مُسْتَغْرقاً في نُور معرفة الله - تعالى - ، فإنْ رأى ، رأى دلائلَ قُدْرَةِ الله ، وإن سمع ، سمع آيات الله ، وإن نطقَ ، نطقَ بالثناء على الله ، وإن تحرَّك ، تحرَّك في خدمة الله ، وإن اجتهد ، اجتهد في طاعةِ الله ، فهنالك يكون في غاية القرب من الله ؛ فحينئذ يكون وليّاً.

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ في محلِّه أوجهٌ : أحدها : أنَّه مرفوعٌ خبر مبتدأ مضمر ، أي : هم الذي آمنوا ، أو خبر ثان لـ " إنَّ " ن أو مبتدأ ، والخبر الجملةُ منق وله : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ ، أو على النَّعْت على موضع " أوْلِيَاء "

٣٦٦

لأنَّ موضعه رفعٌ بالابتداء قبل دخول " إنَّ " ، أو بدل من الموضع أيضاً ، ذكرهما مكِّي ، وهذان الوجهان على مذهب الكوفيين ؛ لأنَّهم يجرُون التَّوابع كلَّها مجرى **عطف النَّسق في** اعتبار المحلِّ.

وقيل : محله الجرُّ بدلاً من الهاءِ ، والميم في " عليهم ".

وقيل : منصوبُ المحلِّ نعتاً لـ " أولياء " ، أو بدلاً منهم على اللفظِ ، أو على إضمار فعلٍ لائقٍ وهو "

أمدحُ " ، فقد تحصَّل فيه تسعةُ أوجهٍ : الرفعُ من خمسة ، والجرُّ من وجه واحد ، والنَّصبُ من ثلاثة ، وإذا لم تجعل الجملة من قوله : " لهُمُ البُشْرَى " خبراً لـ " الَّذين " جاز فيها الاستئنافُ ، وأن تكون خبراً ثانياً لـ " إنَّ " أو ثالثاً.

قوله : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ روى عبادة بن الصَّامت ، قال : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله – تعالى – : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ قال : هي الرُّؤيا الصَّالحةُ ، يراها المسلمُ أو تُرى لهُ.

وقال – عليه الصلاة والسلام – : " الرُّؤيا الصَّالحة جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءاً من النُّبوَّةِ.

" وقيل : البُشْرَى في الدّنيا هي : الثَّناءُ الحسن ، وفي الآخرة : الجنَّة ؛ لما روى أبو ذرٍّ ، قال : قلت يا رسُول الله : الرَّجل يعمل لنفسه ، ويحبُّه الناس ، قال : تلك عاجلُ بُشْرَى المؤمِن.

وقال الزهريُّ ، وقتادة : هي نزول الملائكة بالبشارة من الله – تعالى عند

٣٦٧

." (١)

"وقرأ العامَّةُ : " وشُرَكَاءَكُم " نصباً وفيه أوجه : أحدها : أنَّه معطوفٌ على " أمركُم " بتقدير حذف مضافٍ ، أي : وأمر شركائكم ؛ كقوله : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] ، ودلَّ على ذلك ما تقدَّم من أنَّ " أجمع " للمعاني.

الثاني : أنَّه عطفٌ عليه من غير تقدير حذف مضافٍ ، قيل : لأنَّه يقال أيضاً : أجمعت شركائي.

الثالث : أنَّه منصوبٌ بإضمار فعلٍ لائق ، واجمعُوا شركاءكم بوصل الهمزة ، وقيل : تقديره : وادعوا ، وكذلك هي في مصحف أبيّ " وادعوا " فأضمر فعلاً لائقاً ؛ كقوله – تعالى – : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾ [الحشر : ٩] ، أي : واعتقدوا الإيمان.

ومثله قول الآخر : [الرجز] ٢٩١٥ – عَلفتُهَا تِبْناً ومَاءً بَارِداً

حتَّى شَتَتْ همَّالةً عَيْنَاهَا

أي : وسقيتها ماءً ؛ وكقوله : [مجزوء الكامل] ٢٩١٦ – يا لَيْتَ زَوْجَكش قَدْ غَدَا

مُتَقَلِّداً سيْفاً ورُمْحَا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٧٤

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٧٨٤

وقول الآخر : [الوافر] ٢٩١٧ - إذَا مَا الغَانِيَاتُ يَرَزْنَ يَوْماً

وزجَّجْنَ الحَواجِبَ والعُيُونَا

يريد : ومُعْتَقِلاً رمحاً ، وكحَّلنَ العُيُونا ، وقد تقدَّم أنَّ في هذه الأماكن غير هذا التخريج.

الرابع : أنه مفعولٌ معه ، أي : " مع شُركائكم ".

قال الفارسيُّ : وقد يُنْصَب الشُّرَكاء بواو " مع " ، كما قالوا : جاء البرد والطَّيالسة ، ولم يذكر الزَّمخشريُّ غير قول أبي علي.

قال الزَّجَّاج : " معناه : فأجمعُوا أمركم مع شُركائِكُم ، فلما ترك انتصب ".

قال أبو حيَّان : " وينبغي أن يكون هذا التخريجُ على أنَّه مفعولٌ معه من الفاعل ، وهو الضمير في " فأجْمِعُوا " لا من المفعول الذي هو " أمْرَكُمْ " وذلك 'لى أشهر الاستعمالين ؛ لأنَّه يقال : " أجمع الشركاءُ أمرهم " ولا يقال : " جمع الشركاء أمرهم " إلا قليلاً ".

قال شهاب الدين : يعني : أنَّهُ إذا جعلناه مفعولاً معه من الفاعل ، كان جائزاً بلا خلافٍ ، وذلك لأنَّ من النَّحويين من اشترط في صحَّة نصب المفعول معه : أن يصلح عطفُه على ما قبله ، فإنْ لَمْ يصلح عطفه ، لم يصحَّ نصبُه مفعولاً معه ، فلو جعلناه من

٣٧٧

المفعول لم يجز على المشهور ، إذ لا يصلح عطفه على ما قبله ؛ إذ لا يقال : أجمعت شركائي ، بل جمعت.

وقرأ الزهري ، والأعمش ، والأعرج ، والجحدري ، وأبو رجاء ، ويعقوب ، والأصمعي عن نافع : " فاجْمَعُوا " بوصل الألف ، وفتح الميم من جمع يجْمَعُ ، و " شُرَكاءَكُمْ " على هذه القراءةِ يتضح نصبه نسقاً على ما قبله ، ويجوز فيه ما تقدَّم في القراءة الأولى من الأوجه.

قال صاحبُ اللوامح : أجمعت الأمر : أي : جعلته جميعاً ، وجمعتُ الأموال جمعاً ، فكان الإجماع في الأحداث ، والجمعُ في الأعيان ، وقد يستعمل كلُّ واحدٍ مكان الآخر ، وفي التنزيل : ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ [طه : ٦٠] وقد اختلف القراء في قوله : ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾ [طه : ٦٤].

فقرأ الستَّة : بقطع الهمزة ، جعلوه من " أجْمع " وهو موافق لما قيل : إنَّ " أجْمَع " في المعاني.

وقرأ أبو عمرو وحدهُ " فاجْمَعُوا " بوصل الألف ، وقد اتفقوا على قوله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [طه : ٦٠] ، فإنَّه من الثلاثي ، مع أنَّه متسلِّطٌ على معنًى ، لا عينٍ.

ومنهم من جعل للثلاثي معنى غير معنى الرُّباعي ؛ فقال في قراءة أبي عمرو : من جمع يَجْمع ضد فرَّق يفرق ، وجعل قراءة الباقين من : أجمع أمرهُ إذا أحكمه وعزم عليه ، ومنه قول الشاعر : [الرجز] ٢٩١٨ -

يَا ليتَتْ شِعْرِي والمُنَى لا تَنْفَعُ

هَلْ أغْدُونْ يوماً وأمْرِي مُجْمَع ؟

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٧٤

وقيل : المعنى : فاجمعوا على كيدكم ؛ فحذف حرف الجرِّ.

وقرأ الحسن ، والسلمي ، وعيسى بن عمر ، وابن أبي إسحاق ، وسلام ، ويعقوب : " وشُرَكاؤُكُمْ " رفعاً ، وفيه تخريجان : أحدهما : **أنَّه نسقٌ على** الضَّمير المرفوع بـ " أجْمِعُوا " قبله ، وجاز ذلك ؛ إذ الفصل بالمفعول سوَّغ العطف.

والثاني : أنه مبتدأ محذوف الخبر ، تقديره : وشُركاؤُكُم فليُجْمِعُوا أمرهم ، وشذَّتْ

٣٧٨

فرقةٌ فقرأت : " وشُرَكائِكُمْ " بالخفضِ ، ووُجِّهَتْ على حذف المضاف ، وإبقاء المضاف إليه مجرُوراً على حاله ؛ كقول الشاعر : ٢٩١٩ - أكُلَّ امرِىءٍ تَحْسِبِينَ امْرَءًا

ونَارٍ توقَّدُ باللَّيْل نَارَا

أي : وكُلَّ نار ، فتقدير الآية : وأمر شركائكم ؛ فحذف الأمر ، وأبقى ما بعده على حاله ، ومن رأى برأي الكوفيين جوَّزَ عطفه على الضَّمير في " أمركم " من غير تأويل ، وقد تقدَّم ما فيه من المذاهب ، أعني : العطف على الضَّمير المجرور من غير إعادة الجارِّ في سُورة البقرة.

قوله : " غُمَّةً " يقال : غمٌّ وغُمَّةٌ ، نحو كَرْبٌ وكُربةٌ.

قال أبو الهيثم : هو من قولهم : غمَّ علينا الهلالُ ، فهو مغمومٌ إذا التمسَ ، فلم يُرَ ؛ قال طرفةُ بن العبد : [الطويل] ٢٩٢٠ - لعَمْرُكَ ما أمْرِي عليَّ بغُمَّةٍ

نَهَارِي ولا لَيْلِي عليَّ بِسرمَدِ

". (١)

"وفي مصحف أبيّ ، وعبد الله - وقرأ كذلك - فَهَلاَّ ، وهي نصٌّ في التحضيض وزعم عليُّ بنُ عيسى ، والنَّحَّاس أنَّ لولا تأتي بمعنى ما النَّافية ، وحملا على ذلك هذه الآية أي : ما كانت قرية نقله ابنُ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٧٩٠

قاسم ، وهو منقولٌ أيضاً عن الهرويّ ، وكانت هنا تامة و " آمنت " صفة لـ " قرية " ، وفنفعها نسق على الصِّفة.

قوله : " إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ " فيه وجهان : أحدهما : أنَّهُ استثناء منقطع ، وإليه ذهب سيبويه ، والكسائي ، والأخفش ، والفراء ، ولذلك أدخلهُ سيبويه في باب " ما لا يكون فيه إلاَّ النصب لانقطاعه " وإنما كان منقطعاً ؛ لأنَّ ما بعد " إلاَّ " لا يندرجُ تحت لفظ " قرية ".

والثاني : أنَّه متصلٌ.

قال الزمخشري : " استثناءٌ من القرى ، لأنَّ المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس ، ويجُوزُ أن يكون مُتَّصِلاً ، والجملةُ في معنى النَّفي كأنَّه قيل : ما آمنت قريةٌ من القرى الهالكة إلاَّ قوم يونس ".

وقال ابنُ عطيَّة : هو بحسب اللفظ استثناءٌ منقطعٌ ، وكذلك رسمه النَّحويون ، وهو بحسب المعنى متصلٌ لأنَّ تقديره : ما آمن أهل قريةٍ إلاَّ قوم يونس.

قال شهاب الدين : " وتقدير هذا المضاف هو الذي صحَّح كونه استثناء مُتَّصلاً " ، وكذلك قال أبو البقاء ومكي وابن عطية وغيرهم.

وأمَّا الزَّمخشري فإنَّ ظاهر عبارته أنَّ المُصَحِّحَ لكونه متصلاً كونُ الكلام في معنى النَّفي ، وليس كذلك بل المسوّغ كون القرى يُرادُ بها أهاليها من باب إطلاق المحلِّ على الحال ، وهو أحدُ الأوجه المذكورة في قوله ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢].

وقرأ فرقة : " إلاَّ قومُ " بالرَّفع.

قال الزمخشريُّ : وقُرىء بالرفع على البدل ، روي ذلك عن الجرمي ، والكسائي.

وقال المهدويُّ : " والرَّفْعُ على البدل من قَرْيَة ".

فظاهر هاتين العبارتين أنَّها قراءةٌ منقولةٌ ، وظاهرُ قول مكِّي ، وأبي البقاء أنَّها ليست قراءة ، وإنَّما ذلك من الجائز ، وجعلا الرَّفع على وجهٍ آخر غير البدلِ ، وهو كون " إلاَّ " بمعنى " غير " في وقوعها صفةً.

قال مكي " ويجوزُ الرَّفعُ على أن تجعل إلا بمعنى " غير " صفة للأَهْلِ المحذوفين في المعنى ، ثم يُعْرَب ما بعد إلاَّ بإعراب " غير " لو ظهرت في موضع " إلاَّ ".

وقال أبو البقاء – وأظنه أخذه منه – : ولو كان قد قُرىء بالرَّفع لكانت إلاَّ فيه بمنزلة غير فيكون صفة ، وقد تقدم أن في نون يونس ثلاث لغات وقرئ بها.

فصل قال البغويُّ : المعنى فلم تكن قرية ؛ لأن في الاستفهام ضرباً من الجَحْدِ ؛ أي : أهل
٤١٤
." (١)

"والمعنى : إذا أذقناه نعمة بعد بلاء أصابه : ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ زالت الشَّدائدُ عنِّي ، إنَّهُ لفرحٌ فخورٌ أشر بطر ، والفرح : لذَّة في القلب بنيل المشتهى.

والفخرُ : هو التطاول على الناس بتعديد المناقب ، وذلك منهيٌّ عنه.

فصل اعلم أنَّ أحوال الدنيا أبداً في التَّغير والزَّوال ، والتحوُّل والانتقال ، فإمَّا أن يتحوَّل الإنسانُ من النِّعمة إلى المِحْنةِ أو العكس.

فأمَّا الأوَّلُ : فهو المراد بقوله عز وجل : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود : ٩] أي أنه حال زوال تلك النعمة يصير يَئُوساً ؛ لأنَّ الكافر يعتقدُ أنَّ السبب في حصول تلك النِّعمة سببٌ اتفاقي ، ثُمَّ إنه يستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة أخرى ، فلا جرم يسبعد تلك النعمة فيقع في اليأسِ.

وأمَّا المسلمُ ، فيعتقد أنَ تلك النِّعمة إنَّما حصلت من فضل الله وإحسانه ، فلا ييأس ، بل يقول لعلَّه يؤخِّرها إلى ما هو أحسن ، وأكمل ممَّا كانت ، وأمَّا الإنسان يكونُ كفوراً حال تلك النعمة ، فإنَّ الكافر لمَّا اعتقد أنَّ حصولها كان على سبيل الاتفاق ، أو أنَّهُ حصلها بجدِّه واجتهاده ، فحينئذٍ لا يشتغل بشكرِ الله على تلك النِّعمة والمسلم يشكر الله تعالى.

والحاصلُ أنَّ الكافر يكون عند زوال النِّعمة يئوساً وعند حصولها كفوراً.

وأمَّا انتقال الإنسان من المحنة إلى النِّعمة ، فالكافرُ يكون فرحاً فخوراً ؛ لأنَّ منتهى طبع الكافر هو الفوزُ بهذه السَّعادات الدُّنيوية ، وهو منكرٌ للسعادات الأخرويَّة.

قوله : " لفرحٌ " قرأ الجمهو بكسر الرَّاءِ ، وهو قياسُ اسم الفاعل من " فَعِلَ " اللأَّزم بكسر العين نحو : أشِرَ فهو أشِرٌ ، وبَطِرَ فهو بَطِرٌ ، وقرئ شاذاً " لَفَرُحٌ " بضمِّ الرَّاء نحو : يَقِظٌ ويَقُظٌ ، وندِس وندُس.

قوله : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّهُ منصوبٌ على الاستثناء المتَّصل ، إذا المرادُ به جنس الإنسان لا واحدٌ بعينه.

والثاني : أنَّهُ منقطعٌ ، إذ المراد بالإنسان شخصٌ معينٌ ، وهو على هذين الوجهين منصوبُ المحلِّ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٢٨١٢

والثالث : أنه مبتدأ ، والخبر الجملة من قوله : ﴿أُوْلَـائِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ وهو منقطعٌ أيضاً.

والمعنى : أنَّ هؤلاء لا يكُونُون عند البلاء من الصَّابرين وعند الرَّاحةِ والخير من الشَّاكرين.

قال الفراء : هو استثناءٌ منقطع معناه : لكن الذين صبروا وعملوا الصَّالحات ؛ فإنَّهم إن يأتهم شدة صبروا ، وإن نالوا نعمة شكروا.

٤٤٥

ثم قال : ﴿أُوْلَـائِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ﴾ يجوزُ أن يكون " مَغْفِرةٌ " مبتدأ ، و " لهُم " الخبرُ ، والجملة خبر " أولئكَ " ، ويجوز أن يكون " لَهُم " خبر " أولئكَ " و " مَغْفِرَةٌ " فاعلٌ بالاستقرار.

فجمع لهم بين شيئين : أحدهما : زوال العقاب بقوله : " لَهُم مَغْفرةٌ " والثاني : الفوز بالثَّواب بقوله " وأجْرٌ كبيرٌ ".

قوله : " فَلَعَلَّكَ " الأحسنُ أن تكون على بابها من التَّرجِّي بالنسبة إلى المخاطب.

وقيل : هي للاستفهام كقوله - صلوات الله وسلامه عليه - " لعلَّنا أعْجلنَاكَ ".

فإن قيل : " فَلعَلَّك "كلمة شك فما فائدتها ؟ .

فالجوابُ : أنَّ المراد منها الزَّجرُ ، والعرب تقول للرجلُ إذا أرادوا إبعاده عن أمر : لعلك تقدر أن تفعل كذا مع أنَّهُ لا شك فيه ، ويقول لولده : لعلك تقصر فيما أمرتك ، ويريد توكيد الأمر فمعناه لا تترك.

وقوله : " وضَائِقٌ " نسقٌ على " تَارِكٌ " ، وعدل عن " ضيِّق " وإن كان أكثر من " ضائق ".

قال الزمخشريُّ : ليدُلَّ على أنَّهُ ضيِّق عارضٌ غيرُ ثابتٍ ، ومثله سيدِّ وجواد - تريد السِّيادة والجود الثَّابتين المستقرين - فإذا أردت الحدوث قلت : سائِدٌ وجائِدٌ.

قال أبُو حيَّان : وليس هذا الحكمُ مختصّاص بهذه الألفاظ ؛ بل كلُّ ما بني من الثلاثي للثبوتِ والاستقرارِ على غير فاعل رُدَّ إليه إذا أريد به معنى الحدوث تقول : حَاسِن وثَاقِل وسامِن في : " حَسُن وثقُلَ وسمُن " ؛ وأنشد قول الشاعر : [الطويل] ٢٩٤٦ - بمَنْزِلَةٍ أمَّا اللَّئِيمُ فسَامِنٌ

بهَا وكِرامُ النَّاسِ بادٍ شُحُوبُهَا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٤٤

وقيل : إنَّما عدل عن " ضيِّق " إلى " ضَائِقٌ " ليناسب وزن " تَارِكٌ ".

والهاءُ في " به " تعود على " بعض ".

وقيل : على " ما ".

وقيل : على التَّكذيب و " صَدْرُكَ " مبتدأ مؤخَّرٌ ، والجملةُ خبرٌ عن الكاف في " لعَلَّكَ " ؛ فيكون قد أخبر بخبرين : أحدهما : مفرد ، والثاني : جملة عطفت على مفردٍ ، إذ هي بمعناه ، فهو نظير : " إنَّ زيداً قائمٌ ، وأبوه منطلقٌ ".

قوله : " أن يقُولُوا " في محلِّ نصبٍ أو جرٍّ على الخلاف المشهور في " أنَّ " بعد حذف حرف الجرِّ أو المضاف ، تقديره : كراهة أو مخافة أن يقولوا ، أو لئلاَّ يقولوا ، أو بأن يقولوا.

٤٤٧

." (١)

"والتوبة ، ويونس وهود ، فقوله عز وجل : ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ الإشارة إلى هذه السور وهذا فيه

٤٤٨

إشكال ، لأنَّ هذه السُّورة مكية ، وبعض السُّور المتقدمة مدنية ، فكيف يمكنُ أن يكون المراد هذه العشر عند نزول هذا الكلام ؟ فالأولى أن يقال التحدي وقع بمطلق السور.

فإن قيل : قد قال في سورة يونس ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس : ٣٨] وقد عجزوا عنهُ.

فكيف قال ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ فهو كرجل يقول لآخر : أعطني درهماً ؛ فيعجز ، فيقول : أعطني عشرة ؟ .

فالجوابُ : قد قيل : نزلت سورة هودٍ أولاً ، وأنكر المبردُ هذا وقال : بل سورة يونس أولاً ، وقال : ومعنى قوله في سورة يونس : ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس : ٣٨] أي : مثله في الإخبار عن الغيب ، والأحكام ، والوعد والوعيد ، فعجزوا ، فقال لهم في سورة هودٍ : إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الإخبار ، والأحكام ، والوعد ، والوعيد (فأتوا بعشر سور مثله) من غير وعْدٍ ووعيدٍ ، وإنما هي مجرد بلاغة.

فصل اختلفوا في الوجه الذي كان القرآن لأجله معجزاً ، فقيل : هو الفصاحةُ وقيل : الأسلوب ، وقيل : عدم التناقض ، وقيل : اشتمالهُ على الإخبار عن الغيوبِ ، والمختار عند الأكثرين أن القرآن معجز من جهة الفصاحة ، واستدلُّوا بهذه الآية ، لأنَّهُ لو كان إعجازه هو كثرة العلوم ، أو الإخابر عن الغيوب ، أو عدم التناقض لم يكن لقوله : " مفترياتٍ " معنى ، أمَّا إذا كان وجه الإعجاز هو الفصاحة صحَّ ذلك ؛ لأنَّ فصاحة الفصيح تظهر بالكلام ، سواء كان الكلام صدقاً أو كذباً ، ثم إنه لمَّا قرر وجه التحدِّي قال :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٣٠

﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ واستعينوا بمن استطعتم ﴿وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ يا أصحاب محمد ، وقيل : لفظه جمع والمراد به الرسول - صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه وحده - والمرادُ بقوله : ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ أي : الكفار ، يحتمل أنَّ من يدعونه من دون الله لمْ يَسْتَجِيبُوا.

قوله : ﴿فَاعْلَمُوا اْ أَنَّمَآ أُنزِلِ﴾ " ما " يجوز أن تكون كافة مهيئة ، وفي " أنزِلَ " ضميرٌ يعودُ على ﴿مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ [هود : ١٢] ، و " بعلْم " حال أي : ملتبساً بعلمه ، ويجوز أن تكون موصولة اسمية أو حرفية اسماً لـ " أنّ " والخبرُ الجارُّ تقديره : فاعلموا أن تنزيله ، أو أن الذي أنزل ملتبسٌ بعلمٍ.

وقرأ زيد بن علي " نزَّل " بفتح النون والزاي المشددة ، وفاعل " نزَّل " ضميرُ الله تعالى ، و ﴿وَأَن لاَّ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ﴾ نسقٌ على " أنَّ " قبلها ، ولكن هذه مخففةٌ فاسمها محذوفٌ ، وجملة النَّفي خبرها.

٤٤٩

". (١)

"قال ابنُ الخطيب : " وروي عن ابن مسعودٍ أنه قال : لم يستطع نوحٌ أن يحمل الأسد حتَّى ألقيت عليه الحمى ، وذلك أنَّ نُوحاً - عليه الصلاة والسلام - قال : يا ربِّ فمن أين أطعم الأسد ، إذا حملته ؟ قال الله - تعالى - : " فسوف أشغله عن الطعام فسلَّط الله عليه الحمى " وأمثال هذه الكلمات الأولى تركها ، فإنَّ حاجة الفيل إلى الطَّعام أكثر ، وليست به حُمَّى ".

وروى زيد بن أسلم عن أبيه مرسلاً أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لمَّا حمل نوح في السفينة من كُلِّ زوجين اثنين ، قال أصحابه : وكيف يطمئن ، أو تطمئن المواشي ، ومعنا الأسد ، فسلَّط الله عليه الحمى ، فكانت أوَّلُ حمى نزلت الأرض ، ثم شكوا الفأرة فقالوا : الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى الأسدِ ، فعطس الأسد فخرجت الهرة ؛ فتخبأت الفأرة منها.

قوله : " وأهْلَك " نسقٌ على " اثْنَيْنِ " في قراءة م ن أضاف "كُل " لـ " زَوْجَيْنِ " ، وعلى " زَوْجَيْنِ " في قراءة من نوَّن "كُل " وقوله : " إلاَّ من سبقَ " استثناءٌ متصل في موجب ، فهو واجب النَّصْبِ على المشهُور.

وقوله : " وَمَنْ آمَنَ " مفعول به نسقاً على مفعول " احْمِلْ ".

فصل روي أنَّ نوحاً - عليه الصلاة السلام - قال يا رب : كيف أحملُ من كلِّ زوجين اثنين ؟ فحشر الله - تعالى - إليه السباع والطير ، فجعل يضربُ بيده في كل جنس فيقع الذَّكرُ في يده اليمنى والأنثى في يده

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٣٢

اليسرى ، فيجعلهما في السفينة.
والمراد بأهله : ولده وعياله ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بالهلاك يعني : امرأته واعلة وابنه كنعان.
" ومَنْ آمَنَ " يعنى : واحمل من آمن بك ، قال تعالى : ﴿وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.
قال قتادةُ بنين سام وحام ويافث ونساؤهم.
وقال الأعمشُ : كانوا سبعة : نوحٌ وثلاثة بنين له وثلاثُ كنائن وقال ابن إسحاق : كانوا عشرة سوى نسائهم ، نوح وبنوه : سام وحام ويافث ، وستة أناس ممن كان به ، وأزواجهم جميعاً.
٤٨٧
وقال مقاتل : كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأةً ، وبنيه الثلاث ونساءهُم.
فجميعهم ثمانية وسبعون ، نصفهم رجال ، ونصف نساء.
وعن ابن عباسٍ : كان في سفينة نوح عليه السلام ثمانون رجلاً ، أحدهم جرهم ، يقال : إنَّ في ناحية " المَوْصِلِ " قريةً ، يقال لها : قريةُ الثَّمانين ، سمِّيت بذلك ؛ لأنَّهم لما خرجوا من السَّفينة بنوها ، فسُمِّيت بهم.
قال مقاتلٌ : حمل نوحٌ معه جسد آدم ، فجعله معترضاً بني الرِّجال والنِّساء.
وقال الحسنُ : لم يحمل نوحٌ في السفينة إلاَّ ما يلد ويبيض فأما ما يتولَّد من الطين ؛ فالحشرات ، والبقِّ ، والبعوض ؛ فلم يحمل منه.
ثم قال تعالى ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ يعني : حكم الله عليه بالهلاك ، وهو ابنه ، وزوجته ، وكانا كافرين ، فأما ابنه فهو يام ، وتسميه أهل الكتاب : كنعان ، فهو الذي انعزل عنه ، أما امرأةُ نوحٍ ، فهي أمّ أولاده كلهم : حام ، وسام ، ويافث ، وهو أدرك ؛ انعزل ، وغرق ، وعابر ، وقد مات قبل الطوفان ، فقيل مع من غرق وكانت خمس سبق عليها القول بكفرها ، وعند أهل الكتاب أنها كانت في السفينة فيحتمل أنها ماتت بعد ذلك.
فإن قيل : الإنسان أشرف من سائر الحيواناتِ ، فما الفائدة من ذكر الحيوانات ؟ فالجوابُ : أنَّ الإنسانَ عاقلٌ وهو لعقله كالمضطر إلى دفع أسباب الهلاكِ عن نفسه ، فلا حاجة إلى المبالغة في التَّرغيب فيه ، بخلاف السَّعْي في تخليص سائر الحيوانات ؛ فلهذا وقع الابتداء به.
فإن قيل : الذين دخلوا السَّفينة كانوا جماعة فلم لم يقل قليلون كما في قوله : ﴿إِنَّ هؤلاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء : ٥٤] ؟ فالجواب : كلا اللفظين جائز ، والتقدير - ههنا - : وما آمن معه إلا نفر قليل.

فصل احتجوا بقوله ﴿إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ في إثبات الفضاءِ السَّابق والقدر الوجب ، لأنَّ قوله ﴿سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ يدلُّ على أنَّ من سبق عليه القول ومن آمَنَ لا يغيِّرُ عن حاله ، فهو كقوله – عليه الصلاة والسلام – : " السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه ".

٤٨٩

." (١)

"ويجوز أن يتعلَّق بالاستقرار الذي تعلَّق به " لَكَ " ، والباء بمعنى " في " ، أي ما ليس لك به علمٌ. وفيه نظرٌ.

ثم قال : ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يعني أن تدعو بهلاك الكفار ، ثم تسأل نجاة كافر ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ وهذا إخبار بما في المستقبل وهو العزم على الترك.

قوله : ﴿وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي﴾ لم تمنع " لا " من عمل الجازم كما لم تمنعْ من عمل الجارِّ في نحو : " جِئْتُ بلا زادٍ " قال أبو البقاء : " لأنَّها كالجزء من الفعل وهي غيرُ عاملةٍ في النَّفْي ، وهي تنفي ما في المستقبل ، وليس كذلك " مَا " فإنَّها تنفي ما في الحالِ ؛ فلذلك لمْ يَجُزْ أن تدخُل " إنْ " عليها ".

قوله : ﴿قِيلَ يا نُوحُ﴾ الخلافُ المتقدم في قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ﴾ [البقرة : ١٣ و ٩١] وشبهه عائدٌ هنا ، أي : في كونِ القائم مقام الفاعلِ الجملة المحكيةَ أو ضمير مصدرِ الفعل.

قوله : " بِسَلاَمٍ " حالٌ من فالع " اهْبِطْ " أي : مُلْتَبساً بسلامٍ.

و " مِنا " صفةٌ لـ : " سَلام " فيتعلق بمحذوفٍ أو هو متعلقٌ بنفس " سلام " ، وابتداءُ الغاية مجازٌ ، وكذلك " عَلَيْكَ " يجوز أن يكون صفة لـ " بَرَكات " أو متعلقاً بها.

ومعنى " اهْبِطْ " انزل من السفينة ، وعدهُ عند الخروج بالسَّلامة أولاً ، ثم بالبركةِ ثانياً.

٥٠٢

والبركة : ثبوت الخير ومنه بروك البعير ، ومنه البركةُ لثبوت الماء فيها ، ومنه ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الأعراف : ٥٤] أي : ثبت تعظيمه وقيل : البركةُ ههنا هي أنَّ الله – تعالى – جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة ، ثم لمَّا بشَّرهُ بالسَّلامة والبركةِ شرح بعده حال أولئك الذين كانوا معه فقال : ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قيل : المرادُ الذين معه ، وذرياتهم ، وقيل : ذريَّة من معهُ.

قوله ﴿مِّمَّن مَّعَكَ﴾ يجوز في " مَنْ " أن تكون لابتداء الغاية ، أي : ناشئة من الذين معك ، وهم الأمم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٥٤

المؤمنون إلى آخر الدَّهْر ، ويجوز أن تكون " مِنْ " لبيان الجنس ، فيراد الأمم الذين كانُوا معه في السفينة ؛ لأنَّهم كانوا جماعاتٍ.

وقُرِىء " اهْبُط " بضمِّ الباءِ ، وقد تقدَّم أول البقرة ، وقرأ الكسائيُّ – فيما نُقِل عنه – " وبركة " بالتوحيد.

قوله : " وأمم " يجوزُ أن يكون مبتدأ ، و " سَنُمَتِّعُهُمْ " خبره ، وفي مسوغ الابتداء وجهان : أحدهما : الوصفُ التقديري ، إذ التقديرُ : وأممٌ منهم ، أي : ممَّن معك كقولهم : " السَّمْن منوان بدرهم " ف " مَنَوان " مبتدأٌ وصفَ بـ " منه " تقديراً.

والثاني : أنَّ المسوّغ لذلك التفصيلُ نحو : " النَّاسُ رجلان : رجلٌ أهَنْتُ ، وآخرُ أكْرَمْتُ " ومنه قول امرىء القيس : [الطويل] ٢٩٧٩ – إذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفهِا انحَرفَتْ لهُ

بِشِقٍّ وشِقٍّ عندنَا لَمْ يُحَوَّلِ

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٠٠

ويجوز أن يكون مرفوعاً بالفاعلية عطفاً على الضَّمير المستتر في " اهْبِطْ " وأغنى الفصل عن التأكيد بالضَّمير المنفصل ، قاله أبو البقاء.

قال أبو حيَّان : وهذا التقديرُ والمعنى لا يصلحان ، لأنَّ الذين كانُوا مع نوح في السَّفينةِ إنَّما كانُوا مُؤمنين ؛ لقوله : ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ ولم يكُونُوا كُفَّاراً ومؤمنين ، فيكون الكفار مأمورين بالهبوطِ ، إلاَّ إنْ قُدِّرَ أنَّ من المؤمنين من يكفر بعد الهبوطِ ، وأخبر عنهم بالحال اليت يؤولُون إليها فيمكن على بُعْدٍ.

وقد تقدَّم أنَّ مثل ذلك لا يجُوزُ ، في قوله ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة : ٣٥] لأمرٍ صناعي ، و " سَنُمَتِّعُهُمْ " على هذا صفةٌ لـ " أمم " ، والواوُ يجوز أن تكون للحال قال الأخفشُ : كما تقولُ : كلَّمْتُ زيداً وعمرٌو جالس " ويجُوزُ أن تكون لمجرَّدِ النَّسَق.

واعلم أنَّهُ سبحانه أخبر بأنَّ الأمم النَّاشئة الذين كانوا مع نوحٍ لا بدَّ وأن ينقسمُوا إلى مؤمنٍ وكافرٍ.

ثم قال : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ﴾ وقد تقدَّم الكلامُ فيها عند قوله ﴿ذالِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ﴾ [آل عمران : ٤٤] في آل عمران.

و " تلك " في محلِّ رفع على الابتداء ، و ﴿مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ﴾ الخبر ، و " نُوحِيهَا إلَيْكَ " خبر ثان.

٥٠٣

." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٨٦٣

"أمرتَ بها على جادَّة الحقّ غير عادلٍ منها.

وإمَّا على الحالِ من ضميرِ ذلك المصدر.

واستفعل هنا للطَّلب ، كأنه قيل : اطلب الإقامة على الدِّين ، كما تقول : استغفر أي : اطلب الغفران.

قوله : ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ في " مَنْ " وجهان ، أحدهما : أنَّهُ منصوب على المفعول به ، كذا ذكره أبو البقاء ويصير المعنى : استقم مصاحباً لمنْ تاب مُصاحباً لك ، وفي هذا المعنى نقوٌّ عن ظاهر اللفظ.

والثاني : أنَّهُ مرفوعٌ **فإنَّه نسقٌ على** المستتر في " اسْتَقمْ " ، وأغنى الفصلُ الجارِّ عن تأكيده بضميرٍ منفصل في صحَّةِ العطف ، وقد تقدَّم هذا البحث في قوله : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة : ٢٥] ، وأنّ الصحيح أنَّهُ من عطف الجمل لا من عطف المفرادات ، ولذلك قدَّرهُ الزمخشريُّ فاستقم أنتَ ، وليستقم من تاب مَعَكَ ، فقدَّر الرافع له فعلاً لائقاً برفعه الظَّاهر.

وقال الواحدي : محلها ابتداء تقديره : ومن تَابَ معكَ فلْيَستقِمْ فصل معنى الآية : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ على دين ربِّك ، والعمل به ، والدُّعاء إليه ، كما أمرت ، ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ أي : مَنْ معك فليَسْتَقِيمُوا ، قال عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه - : الاستقامةُ أن تَسْتَقِيمَ على الأمْرِ والنَّهْي ، ولا تروغ روغان الثَّعلب.

روى هشام بن عُروة عن أبيه عن سفيان بن عبدِ الله الثَّقفي - رضي الله عنه - قال : " قلتُ يا رسُول الله قُلْ لي فِي الإسلامِ قَوْلاً لا أسْألُ عنهُ أحداً بعدك ، قال : " قُلْ آمنْتُ باللَّهِ ثم اسْتُقِمْ ".

فصل هذه الآية أصلٌ عظيم في الشَّريعة ، وذلك أنَّ القرآن لمَّا ورد بترتيب الوضوء في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيه ، لقوله : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ ، ولمَّا " ورد الأمرُ في الزَّكاةِ بأداء الإبل من الإبل ، والبقرِ من البقرِ وجب اعتبارها ، وكذا الىول في كل ما ورد أمرُ الله به.

قال ابنُ الخطيبِ : وعندي أنه لا يجوزُ تخصيص النصِّ بالقياسِ ؛ لأنَّهُ لمَّا دلَّ عموم النَّص على حكم وجب العمل بمقتضاه ، لقوله تعالى - : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ فالعملُ بالقياسِ انحراف عنه.

٥٨٩

ثم قال : ﴿وَلاَ تَطْغَوْاْ﴾ أي : لا تجوزوا أمري ولا تعصوني وقيل : لا تغلُوا فتزيدُوا على أمرت ونهيت والطُّغيان : تجاوز الحدَّ.

وقيل : لا تطغوا في القرآن فتحلُّوا حرامهُ وتحرِّمُوا حلالهُ وقال ابنُ عبَّاس - رضي الله عنهما - : " تواضعوا لله ولا تتكبروا على أحد " ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ العامَّة " تَعْمَلُونَ " بالتَّاء " جرياً على الخطابِ

المتقدم.

وقرأ الحسن والأعمش وعيسى الثقفيُّ بياء الغيبة ، وهو التفاتٌ من خطابٍ لغيبةٍ عكس ما تقدَّم في ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا اْ﴾ قرأ العامَّةُ بفتح التَّاءِ والكاف ، والماضي من هذا " رَكِن " بكسر العين ك " عَلِمَ ، وهذه الفصحى ، كذا قال الأزهريُّ وقال غيره : " وهي لغةُ قريش " وقرأ أبو عمرو في رواية : " تِرْكَنُوا " بكسر حرف المضارعة وقد تقدَّم ذلك في قوله : " نَسْتعِينُ ".

وقرأ قتادةُ ، وطلحةُ ، والأشهب ، ورويت عن أبي عمرو " تَرْكُنُوا " بضمِّ العين وهو مضارع " رَكَنَ " بفتحها ك : قَتَلَ يَقْتُل ، وقال بعضهم : هو من التَّداخُلِ ، يعني من نطق ب " رَكَنَ " بكسر العين قال : " يَرْكُن " بضمها ، وكان من حقِّه أن يفتحَ ، فلمذَا ضمّ علمنا أنه استغنى بلغةِ غيره في المضارع عن لغته ، وأمَّا في هذه القراءةِ فلا ضرورة بنا إلى ادِّعاءِ التَّداخُل ، بل ندَّعي أنَّ من فتح الكاف أخذه من : " رَكِنض " بالكسرِ ، ومن ضمَّها أخذه من " رَكَنَ " بالفتح ، ولذلك قال الراغبُ : " والصحيحُ أن يقال : رَكِنَ يَرْكَنُ ورَكَنَ يَرْكُنُ بالكسر في الماضي مع الفتح في المضارع ، وبالفتح في الماضي مع الضمِّ في المضارع " وشذَّ أيضاً قولهم : رَكَن يَرْكَن بالفتح فيهما ، وهو التداخل ؛ فتحصَّل من هذا أنَّه قال : " رَكِنَ " بكسر العين وهي اللغة العالية كا تقدَّم ، و " رَكَنَ " بفتحها ، وهي لغة قيس وتميم ، وزاد الكسائيُّ : " ونَجْد " وفي المضارع ثلاثٌ : الفتحُ ، والكسرُ ، والضمُّ.

وقرأ ابنُ أبي عبلة : " تُرْكَنُوا " مبنياً للمفعول من : أرْكَنَهُ إذا أمالهُ ، فهو من باب " لا أرَيَنَّكَ ههنا " و ﴿فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ الأعراف : ٢] وقد تقدم.

والرُّكُونُ : المَيْلِ ، ومنه الرُّكْنُ للاستنادِ إليه.

قوله : ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ منصوبٌ بإضمار " أنْ " في جوابِ النهي.

وقرأ ابنُ وثاب وعلقمةُ ، والأعمشُ في آخرين " فَتِمَسَّكُمُ " بكسر التَّاءِ.

قوله : ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ هذه الجملةُ يجوزُ أن تكون حاليةً ، أي : تَمَسَّكم حال انتفاءِ ناصركم.

٥٩٠

." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩١٤

"ويجوز أن تكون مستأنفة و " مِنْ أولياءَ " " مِنْ " فيه زائدةٌ ، إمَّا في الفاعل ، وإمَّا في المبتدأ ، لأنَّ الجارَّ إذا اعتمد على أشياءَ - أحدها النَّفيُ - رفع الفاعل.

قوله : ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ العامَّةُ على ثبوتِ نُون الرَّفعِ ؛ لأنه مرفوع ، إذ هو من باب عطف الجمل ، عطف جملة فعلية على جملة اسميةَ.

وقرأ زيد بن علي - رضي الله عنهما - بحذف نون الرفع ، عطفه على " تمسَّكُم " ، والجملةُ على ما تقدَّم من الحاليةِ أو الاستئناف ، فتكون معترضةً ، وأتى بـ " ثمَّ " تنبيهاً على تباعد الرُّتْبَة.

فصل معنى الآية : قال ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - : " ولا تميلُوا ".

والرُّكُونُ : هو المحبَّة والميل بالقلب.

وقال أبو العاليةِ : لا ترضوا بأعمالهم.

وقال السدي : لا تداهِنُوا الظَّلمة.

وعن كرمة : لا تطيعوهم وقيل لاتسكنوا إلى الذين ظلمُوا " فتَمسَّكُم " ، فتصيبكم " النَّارُ وما لَكُم من دُونِ الله من أولياءَ " أي : ليس لكم أولياء ولا أعوان يخلصونكم من عذاب الله ، ثُمَّ لا تجدُوا من ينصركُمْ.

قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَي النَّهَارِ﴾ الآية.

لمَّا أمره بالاستقامة أردفهُ بالأمر بالصَّلاة ، وذلك يدلُّ على أنَّ أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة.

قوله : ﴿طَرَفَي النَّهَارِ﴾ ظرفٌ لـ " أقِم " ويضعف أن يكون ظرفاً للصلاة ، كأنه قيل : أي أقم الصَّلاة الواقعة في هذين الوقتين ، والطرف ، وإن لم يكن ظرفاً ، ولكنَّه لمَّا أضيف إلى كلها على الظرف لمَّا أضيفت إليه ، وإن كانت ليست موضوعة للظَّرفية.

وقرأ العامَّةُ " زُلَفاً " بضمِّ الزاي ، وفتح اللام ، وهي جمعُ " زُلْفة " بسكون اللام ، نحو : غُرَف في جمع غُرفة ، وظُلَم في جمع ظُلمه.

وقرأ أبو جعفر وابنُ أبي إسحاق بضمها ، وفي هذه القراءةِ ثلاثةُ أوجه :

٥٩١

أحدهما : أنَّهُ جمع " زُلْفَة " أيضاً ، والضَّمُّ للإتباع ، كما قالوا : بسْرة وبُسُر بضم السين إتباعاً لضمَّة الباء.

الثاني : أنَّهُ اسمٌ مفرد على هذه الزِّنةِ ك : عُنُق.

الثالث : أنه جمعُ " زَلِيف " قال أبو البقاءِ : " وقد نُطِق به " ، يعني أنَّهم قالوا زَليف ، و " فعيل " يجمعُ على " فُعُل " نحو : رَغِيف ورغف ، وقَضِيب وقضُب.

وقرأ مجاهدٌ وابنُ محيصنٍ بإسكان اللاَّم وفيها وجهان : أحدهما : أنَّهُ يحتمل أن تكون هذه القراءةُ مخفَّفةً من ضمِّ العين فيكون فهيا ما تقدَّم.

والثاني : أنَّهُ سكونُ أصلٍ من باب اسم الجنس نحو : بُسْرة وبُسْ من غير إتباع.

وقرأ مجاهد وابن محيصنٍ وأيضاً في رواية : " وزُلْفَى " بزنة : " حُبْلَى " جعلوها على صفةِ الواحدة المؤنثة اعتباراً بالمعنى ؛ لأنَّ المعنى على المنزلة الزُّلفى ، أو الساعة الزُّلْفَى ، أي : القريبة.

وقد قيل : إنَّه يجوز أن يكون أبدلا التنوين ألفاً ثم أجرياص الوصل مجرى الوقف فإنَّهُما يقرآن بسكون اللاَّم وهو محتملٌ.

وفي انتصاب : " زُلَفاً " وجهان : أظهرهم : **أنه نسقٌ على** " طَرفي " فينتصب الظَّرف ، إذ المراد بها ساعات الليل القريبة.

والثاني : أن ينتصب انتصابَ المفعول به نسقاً على الصَّلاة.

قال الزمخشريُّ - بعد أن ذكر القراءات المتقدمة - : وهو ما يقرب من آخر النَّهار ومن الليل ، وقيل : زُلَفاً من الليل وقُرْباً من الليل ، وحقُّها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة ، أي : أقم الصلاة طرفي النَّهار ، وأقم زُلفاً من اللَّيل على معنى صلوات تقرَّبُ بها إلى الله تعالى في بعض الليل.

والزُّلفةُ : أول ساعات الليل ، قاله ثعلبُ.

وقال الأخفش وابنُ قتيبة : " الزلف : ساعات الليل وآناؤه ، وكلُّ ساعة منه زلفة " فلم يخصصاه بأوَّلِ الليلِ ؛ وقال العداد : [الرجز] ٣٠٣٩ - ناجٍ طواهُ الأيْنُ مم ًّ وجَفَا

طَيَّ اللَّيَالِي زُلَفاً فزُلَفَا

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٥٧٥

سماوةَ الهلالِ حَتَّى احقوْقَفَا

٥٩٢

". (١)

"مصدر سَمِنَ يَسْمَنُ فهو سَمِينٌ ، فالاسمُ والمصدر ، جاءا على غير قاسٍ ؛ إذا قياسهما " سَمَن " بفتح الميم . فهو سَمِن بسكرها ؛ نحو فَرِحَ فرحاً فهو فرح.

قال الزمخشريُّ : " فإن قلتَ : هل من فوقٍ بين إيقاع سمانٍ صفة للتمييز : وهو بقراتٍ دون المُميَّزِ : سَبْعَ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩١٥

بقرات سماناً ؟ قلتُ : إذا أوقعتها صفة لـ " بقَراتٍ " ، فقد قصدت إلى أن تميّز السبع بنوعٍ من البقرات ، وهو السِّمان منهم ، لا بِجِنْسهِنَّ ، ولو وصفت السبع بها ، لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقراتِ لا بنوع منها ، ثم رجعت فوصفت المُميَّز بالجنس بالسمن.

فإن قلت : هلا قيل : " سبع عجافٍ " على الإضافة.

قلت : التمييز موضوع الجنسِ ، والعجافُ وصفٌ لا يقع البيان به وحده ، فإن قلت : فقد يقولون : ثلاثة فرسانٍ ، وخمسة أصحابٍ ، لبيانٍ ؛ قلتُ : الفارسُ ، والصاحبُ ، والرَّاكب ، ونحوها صفاتٌ جرت مجرى الأسماءِ ؛ فأخذت حكمها ، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها ، ألا تراك ألا تقول : عندي ثلاثةً ضخامٌ ولا أربعةٌ غلاظٌ.

فإن قلت : ذلك مما يشكل ، وما نحنُ بسبيله لا إشكال فيه ، ألا ترى أنه لم يقل : وبقرات سبع عجاف ؛ لوقوع العلم بأن المراد البقرات قلت : ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل ، وقد وقع الاستغناء عن قولك : سبع عجاف عمَّا تقترحهُ من التمييز بالوصف " انتهى.

وهي أسئلةٌ وأجوبةٌ حسنة ، وتحقيق السؤال الأول وجوابه : أنه يلزمُ من وصفِ التَّمييز بشيء وصف المميز به ، ولا يلزم من وصف المميز وصف التمييز بذلك الشيء ؛ بيانه : أنك إذا قلت : " عندي أربعة رجالٍ حسانٍ " بالجر ، كان معناه : أربعةٌ من الرجال الحسانِ ؛ فيلزُم حسنُ الإربعةِ ؛ لأنهم بعض الرجالِ الحسانِ ، وإذا قلت : عندي أربعة رجالٍ حسانٌ برفع حسان كان معناه : أربعةٌ من الرجال حسان ، وليس فيه دلالة على وصف الرجال بالحسن.

وتحقيق الثاني وجوابه : أنَّ أسماء العدد لا تضافُ إلى الأوصاف إلا في ضرورة وإنما يجاء بها تابعة لأسماء [العدد] ؛ فيقال : عندي ثلاثةٌ قُرشيُّونَ ، ولا يقال ثلاثة قرشيِّين بالإضافة إلا في شعرٍ ، ثم أعترض بثلاثةٍ فرسانٍ ، وأجاب بجريانِ ذلك مجرى الأسماء.

وتحقيقُ الثالث : أنه إنَّما امتنع " ثلاثةُ ضخامٍ " ونحوه ؛ لأنه لا يعلم موصوفه ، بخلاف الآية الكريمة ، فإنَّ الموصوف معلومٌ ، ولذلك لم يصرح به.

١١٣

وأجاب عن ذلك : بأنَّ الأصل عدم إضافةِ العددِ إلى الصِّفة كما تقدم ، فلا يترك هذا الأصل مع الاستغناء عنه بالفرع.

وبالجملةِ : ففي هذه العبارةِ قلقٌ ، هذا مُلخَّصُهَا.

ولم يذكر أبو حيَّان نصه ولا اعترض عليه ، بل لخَّص بعض معانيه ، وتركهُ على إشكاله.

فصل في اشتقاق " عجاف " جمعُ عجفاء : عِجَاف والقياس : عُجْف ؛ نحو : حَمْرَاء ، وحُمْر ؛ حملاً له على سمانٍ ؛ ںأنَّه نقيضُه ، ومن دأبهم حملُ النظير على النظيرِ ، والنَّقيضِ على النقيض ، قاله الزمخشريُّ ، والعَجَفُ : شدةُ الهزالِ الذي ليس بعده هزال ؛ قال : [الكامل] ٣١٠٦. عَمْرُو الَّذي هَشَمَ الثَّريدَ لقَوْمِهِ ورِجَالُ مَكَّة مُسْنِتُونَ عِجَافُ

جزء : ١١ رقم الصفحة : ١١٢

قال الليث : العَجَفُ : ذهابُ السِّمن ، والفِعْلُ : عجف يَعجفُ ، والذَّكرُ : أعْجفُ ، والأنثى : عَجْفاء ، والجمع عِجَافٌ في الذكران والإناث.

وليس في كلام العربِ : أفْعَلُ ، وفعلاء ، وجمعها على : فِعَالٍ غَيْر أعْجفُ ، وعِجَاف ، هي شاذة حملوها على لفظ سمانٍ ، وعجافٍ ؛ لأنهما نقيضان ، ومن عادتهم حملُ النَّظيرِ على النظير ، والنَّقيضِ على النَّقيضِ.

وقال الرَّاغب : هو من قولهم : نَصْلٌ أعجفُ ، أي : رقيقٌ.

وعَجَفَتْ نفسي عن الطَّعام وعن فلانٍ : إذا نبت عنهما ، وأعْجفَ الرَّجل أي : صارتْ [إيله] عِجَاف اً.

" وأخَرَ يَابِساتٍ " ، قوله : " وأخَرَ " نسقٌ على قوله " سَبْعَ " لا على " سُنْبُلاتٍ " ويكون قد حذف اسم العددِ ، من قوله : " وأخَرَ يَابِساتٍ " والتقدير : سَبْعاً أخَرَ ، وإنما حذف ؛ لأنَّ التقسيم في البقرات نقيضُ التَّقسيم في السنبلات.

قال الزمخشريُّ : " فإن قلت : هل في الآية دليلٌ على أنَّ السنبلات اليابسة كانت كالخُضرِ ؟ قلت : الكلامُ منبيٌّ على انصبابه إلى هذا العددِ في البقراتِ السِّمان والعجافِ ، والسنبلات الخضرِ ، فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ، ويكون قوله : " وأخَرَ يَابسَاتٍ " بمعنى : وسبعاً أخر " انتهى.

وإنَّما لم يَجُز عطفُ أخر على التمييز ، وهو " سُنْبُلاتٍ " ، فيكون أخر مجروراً لا

١١٤

(١) ".

"قوله تعالى : " ذَلِكَ " خبرُ مبتدإٍ مضمرٍ ، أي : الأمرُ ذلك ، و " لِيَعْلَمَ " ، متعلقٌ بضميرٍ ، أي : أظهر ذلك ؛ ليعلم ، أو مبتدأ ، وخبره محذوفٌ ، أي : ذلك الذي صرَّحتُ به عن براءته ، أمرٌ من الله لا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩٧٨

بُدَّ منه ، و " لِيَعْلَمَ " متعلقُ بذلك الخبر ، أو يكون " ذَلِكَ " مفعولاً لفعلٍ مقدَّرٍ يتعلق به هذا الجار أيضاً ، أي : فعل الله ذلك ، أو فعلته أنا بتيسير الله.

قوله : " بِالغَيْبِ " يجوز أن تكون الباءُ ظرفية قال الزمخشريُّ : أي مكان الغيب ، وهو الخفاء ، والاستتارُ وراء الأبابِ السبعة المغلقةِ ، ويجوز أن تكون الباءُ للحالِ ، إمَّا من الفاعل ، على معنى : وأنا غائبٌ عنه خفي عن عينه.

وإمَّا من المعفولِ على معنى : وهو غائب عني خفي عن عيني.

" وأنَّ اللهَ " **نسقٌ على** " أنّي " ، أي : ليعلم الأمرينِ ، وهذا من كلام يوسف ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وبه بدأ الزمخشري ، كالمختار له.

وقال غيره : إنه من كلام امرأة العزيزِ ، وهو الظَّاهرُ.

فإن قلنا : هو من كلام يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمتى قالهُ ؟ .

وروى عطاءٌ ، عن ابن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهم ـ : أنَّ يوسف لما دخل على الملك ، قال " ذلكَ " ، وإنما ذكره بلفظِ الغيبة تعظيماً للملك عن الخطاب.

قال ابنُ الخطيب : " والأولى أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إنما قال ذلك عند عود الرسول إليه ، لأنَّ ذكر هذا الكلام في حضرةِ الملك ، سوء أدبٍ ".

فإن قيل : هذه الخيانة لو وقعت ، كانت في حقّ العزيزِ ، فكيف قال : ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ أَنّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ؟ .

فالجوابُ : قيل : المرادُ ذلك ليعلم الملك أنّي لم أخنِ العزيز بالغيبِ ، فتكون الهاءُ في " أخُنْهُ " تعود على العزيز.

وقيل : إنَّه إذا خان وزيره ، فقد خانه من بعض الوجوه.

وقيل : إن الشرابي لما رجع إلى يوسف ـ عليه السلام ـ وهو في السجن ـ ، قال : ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ﴾ ، العزيزُ ﴿أَنّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾.

ثم ختم الكلام بقوله : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ، ولعلَّ المراد منه : أني لو كنت خائناً ، لما خلَّصني الله من هذه الورطةِ ، وحيث خلصني منها ، ظهر أنّي كنت بريئاً مما نسبوني إليه.

وإن قلنا : إن قوله : ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ أَنّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ كلام امرأة العزيز ، فالمعنى : أني

١٢٩

ولو أدخلت الذنب عليه عند حضوره ، لكنني لم أدخل الذنب عليه عند غيبته ؛ لأني لم أقلْ فيه وهو في السجن خلاف الحقّ ، ثم إنها بالغت في تأكيد هذا القول وقالت : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ، أيك لما أقدمتُ على الكيدِ ، والمكرِ ، لا جرم افتضحْتُ ؛ فإنه لمَّا كان بريئاً ، لاجرم أظهره الله ، عز وعلا ..

قال صاحبُ هذا القولِ : الي يدلُّ على صحَّتهِ : أنَّ يوسف . صلوات الله وسلامه عليه . ما كان حاضراً في ذلك الملجلس حتَّى يقال : لمَّا ذكرتِ المرأةُ قولها : ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، ففي تلك الحالة قال يوسف : ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ، بل يحتاج فيه إلى أن يرجع الرسول عن ذلك المجلس إلى السجن ، ويذكر تلك الحكاية.

ثم إنَّ يوسف يقول ابتداء : ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ومثلُ هذا الوصل بين الكلامين الأجنبيين ، ما جاء ألبتة في نثر ولا نظم ؛ فعلمنا أن هذا من تمام كلام المرأة.

قال القرطبي : وهو متصلٌ بقولِ امرأة العزيز : " الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ " أي : أقررتُ بالصدقِ ؛ ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بالكذب عليه ، ولم أذكره بسوءٍ ، وهو غائبٌ ، بل صدقتُ ، وزجرت عنه الخيانة ، ثم قالت : " ومَا أبرِّىءُ نَفسِي " ؛ بل أنا روادته وعلى هذا هي كانت مقرة بالصانع ؛ ولهذا قالت : ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقيل : ﴿ذالِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ، مِنْ قولِ العزيز ، وإنِّي لم أغفل عن مجازاته على أمانته.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ معناه : إنَّ الله لا يهدي الخائنين بكيدهم.

فصل دلَّت هذه الآية على طهارةِ يوسف . صلوات الله وسلامه عليه . من الذنب من وجوه : الأول : أن الملك لما أرسل إلى يوسف . صلوات الله وسلامه عليه . وطلبه ، فلو كان يوسف متهماً بفعلٍ قبيحٍ ، وقد كان صدر منه ذنبٌ ، وفحشٌ ؛ لاستحال بحسب العرفِ العادةِ ، أن يطلب من الملك أن يفحص عن تلك الواقعة ، وكان ذلك سعياً منه في فضيحةِ نفسه ، وفي حمل الأعداءِ على أن يبالغوا في إظهار عيوبه.

والثاني : أنَّ النسوة شهدن في المرة الأولى بطهارته ، ونزاهته , ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف : ٣١] ، وفي المرة الثانية : ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُواءٍ﴾.

١٣٠." (١)

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٩٨٦

"إن الكفار كلهم مغفور لهم ؛ لأنَّ الله ـ تعالى ـ أخَّر عقابهم إلى الآخرة.

وعن الثاني : أنَّ الله تمدَّح بهذا ، التَّمدُّح إنما يصحل بالتفضيل ، أما أداء الواجب ، فلا تمدح فيه ، وعندكم يجب غفران الصغائر.

وعن الثالث : أن ظاهر الآية يقتضي حصول المغفرة ؛ فسقطت الأسئلةُ.

قوله : ﴿عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ حال من " النَّاسِ " والعامل فيها ، قال أبو البقاءِ " مَغْفرةٍ " يعني : أنه هو العامل في صاحبها.

قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا اا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية شلما بين ـ تعالى أنَّهم طعنوا في النبوة بسبب طعنهم في الحشر والنشر ثم طعنوا في النبوَّة أيضاً بسبب طعنهم في صحَّة ما ينذرهم به من نزول العذابِ ، بين أيضاً أنهم طعنوا في نبوَّته ، وطلبوا منه المعجزة.

والسَّببُ في كونهم أنكروا كون القرآن معجزة : أنهم قالوا هذا كتابٌ مثلُ سائر ا‍ل‍كتب ، وإتيان الإنسان بتصنيف معين لا يكون معجزاً ، وإنَّما يكون المعجز مثل معجزات موسى.

واعلم أنَّ من الناس من زعم أنَّهُ لم يظهر معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن ، قالوا : لأن هذا الكلام إنَّما يصحُّ إذا طعنوا في كونِ القرآنِ معجزاً ولم يظهر معجزاً غيره ؛ لأنه لو ظهر معجزة مغيره لم يحسن أن يقال : ﴿لَوْلا اا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وهذا يدلُّ على أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما كان له معجزة سوى القرآنِ.

والجواب : عنه من وجهين : الأول : لعلَّ المراد منه طلب معجزات سوى المعجزات التي شاهدوها من حينين الجزع ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وإشباع الخلق الكثير الطعام القليل ؛ فطلبوا منه معجزاتن قاهرة غير هذه ، مثل : فلقِ البَحْرِ لموسى ، وقلب العصا ثُعْبَاناً.

فإن قيل : فما السبب في أنَّ ا لله منعهم ، وما أعطاهم ؟ .

فالجواب : أن الله ـ تعالى ـ لما أظهر المعجزة الواحدة ، فقد تَمَّ الغرض ، فيكون طلب الثاني تحكماً ، وظهور القرآن معجزةم ، فما كان من ذلك حاجة إلى معجزات آخر.

وأيضاً : فلعلَّه ـ تعالى ـ علم أنَّهم يصرُّون على العناد بعد ظهور المعجزة الملتمسة وكونهم يصيرون حينئذٍ يستوجبون عذاب الاستئصال ، فلهذا السبب ما أعطاهم ملطوبهنم ، وقد بين الله ـ تعالى ـ ذلك بقوله : ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال : ٢٣] فبيَّن أنَّه لم يعطهم مطلوبهم ، لعلمه أنَّهم لا ينتفعون به.

وأيضاً : ففتح هذا الباب يفضي إلى ما لا نهاية له ، وهو أنَّه كلَّما أتى بمعجزة جاء آخر ، وطلب معجزة أخرى ، وذلك يوجب سقوط دعوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وهو باطلٌ.

٢٥٦

والوجه الثاني : لعلَّ الكفار قالا ذلك قبل مشاهدة سائر المعجزات.

ثم قال : " إن ما أنْتَ منذرٌ " مخوف.

قوله : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّ هذا الكلام مستأنف مستقبل من مبتدأ ، وخبر.

والثاني : أنَّ " لكُلِّ قَوْمٍ " متعلقٌ - " هَادٍ " ، و " هاد " نسق على " مُنْذِرٌ " ، أي : إنَّما أنت منذرٌ وهادٍ لكل قوم ، وفي هذا الوجه الفصل بين حرف العطف ، والمعطوف بالجار وفيه خلاف تقدم.

ولما ذكر أبو حيان هذا الوجه ، لم يذكر هذا الإشكال ، ومن عادته ذكره ردًّا به على الزمخشري.

الثالث : أنَّ " هادٍ " خبر مبتدأ محذوفٍ ، تقديره : إنَّما أنت منذرٌ ، وهو لكلِّ قوم هادٍ ، ف " لكُلِّ " متعلقٌ به أيضاً.

ووقف ابن كثير على " هَادٍ " [الرعد : ٣٣] [الزمر : ٢٣ ، ٣٦] و " واقٍ " حيث وقعا ، وعلى " والٍ " نا و " باقٍ " [النحل : ٩٦] [الرعد : ٣٤ ، ٣٧] في النحل بإثبات الياء ، وحذفها الباقون.

ونقل ابن مجاهد عنه : أنه يقف بالياء في جميع الي اءات.

ونقل عن ورش : أنَّه خير في الوقف بين الياء ، وحذفها.

والباب : هو كل منقوصٍ منونٍ غير منصرف ، واتفق القراء على التوحيد في " هَادٍ ".

فصل إذا جعلنا " ولكُلِّ قوم هادٍ " كلاماً مستأنفاً ، فالمعنى : أنَّ الله - تعالى - خصَّ كلَّ قوم بنبيٍّ ، ومعجزة تلائمهم ، فَلمَّا كان الغالب في زمن موسى - عليه السلام - السحر ؛ جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقتهم ، ولما كان الغلب في زمن عيسى - عليه الصلاة والسلام - الطب ، جعل معجزته ما كان من تلك الطريقة ، وهي إحياء الموتى ، وإبراء الأكمة ، والأبرص ، ولما كان الغالبُ في زمان محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة ، والبلاغة جعل معجزته ما كان لائقاً بذلك الزمان ، وهو فصاحة القرآن ، فلمَّا لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع أنَّها أليق بطبائهم ، فبأن لا يؤمنون بباقي المعجزات أولى ، هذا تقرير القاضي ، وبه ينتظم الكلام.

٢٥٧

." (١)

"وقَدَرُهَا ومِقْدَارُها ؟ أي : كم بلغ في القدر وما يكون مساوياً لها في الوزن فهو قَدرُوهَا ".

والمَعنى : بدقرها ، من الماء فإن صغر الوادي قل الماء ، وإن اتَّسع الوادي كثر الماء.

و " احْتَمَلَ " بمعنى حَمَلَ فافتعل بمعنى المجرَّد ، وإنَّما نكَّر الأودية ، وعرف السيل ؛ لأنَّ المطر ينزلُ في البقاع على المناوبة ، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض ، وعرف السي ؛ لأنه قد فهم من الفعل قبله ، وهو قوله : " فَسَالَتْ " ، وهو لو نُكِّر لكان نكرة ، فلمَّا أعيد أعيد بلفظ التَّعريف نحو " رَأْتَ رجُلاً فأكْرَمْتُ الرَّجُلَ ".

والزَّبدُ : وضرُ الغليان وخبثه ؛ قال النابغة : [البسيط] ٣١٧٦. فَمَا الفُرَاتُ إذا هَبَّ الرِّياحُ لَهُ

تَرْمِي غَوارِبهُ العِبْرَيْنِ بالزَّبدِ

جزء : ١١ رقم الصفحة : ٢٨٢

وقيل : هو ما يحمله السِّيل من غثاءٍ ونحوه ، وما يرمى به ضَفَّتاه من الحباب ، وقيل : هو ما يطرحه الوادي إذا [سال] ماؤه ، وارتفعت أمواجه ، وهي عباراتٌ متقاربةٌ.

والزَّبدُ : المستخرج من اللَّبن.

قيل : هو مشتقٌّ من هذه لمشابهته إيَّاه في اللون ، ويقال : زبدته زبداً ، أي : أعطيته مالاً كالزَّبدِ يضرب به المثل في الكثرةِ ، وفي الحديث : " غُفِرتْ ذُنوبهُ ، ولوْ كَانتْ مِثْلَ زَبدِ البَحْرِ ".

وقوله تعالى : " رَابِياً " قال الزجاج : طافياً عالياً فوق الماءِ ".

وقال غيره : زائداً بسب انتفاخه ، يقال : رَبَا يربُوا إذا زاد.

قوله ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ هذا الجار خير مقدم ، و " زَبدٌ " مبتدأ ، و " مثْلُهُ " صفة المبتدأ ، والتقدير : ومن الجواهر التي هي كالنُّحاسِ ، والذهب ، والفضة زبد ، أي : خبثن مثله ، أي : " مِثْل زبدِ الماءِ ".

و " مِنْ " في قوله : ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ تحتمل وجهين : [أحدهما] : أن تكون لابتداء الغاية ، أي : ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماءِ.

والثاني : أنَّها للتبعيض بمعنى : وبعض زبد ، هذا مثل آخر.

فالأول : ضرب المثل بالزَّبد الحاصل من المثال ، ووجه المماثلة : أنَّ كلاًّ منهما ناشيء من الأكدار.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٠٥١

وقرأ الأخوان ، وحفص : " يُوقدُون " بالياء من تحت ، أي : النَّاس ، والباقون بالتاء من فوق على الخطاب ، و " عَلَيْهِ " متعلق بـ : " تُوقِدُونَ ".

٢٨٨

وأمَّا " فِي النَّار " ففيه وجهان : أحدهما : أنَّه متعلق بـ " تُوقِدُونَ " وهو قول الفارسي ، والحوفي ، وأبي البقاء.

والثاني : أنه متعلقٌ بمحذوف ، أي : كائناً ، أو ثابتاً ، قاله مكيٌّ ، وغيره ومنعوا تعلُّقه بـ " يُوقِدُونَ " ؛ لأنهم زعموا أنَّه لا يوقد على الشَّيء إلا وهو في النَّار ، وتعليق حرف الجر بـ " تُقِدُونَ " يقتضي تخصيص حال من حال أخرى ، وهذ غيرُ لازمٍ.

قال أبو علي رحمه الله تعالى : وقد يُوقَدُ على الشَّيء ، وِإن لم يكن في النَّار ، كقوله تعالى : ﴿فَأَوْقِدْ لِي يا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص : ٢٨] فالطينُ لم يكن [فيها] ، وإنَّما يصيبه لهبها ، وأيضاً : فقد يكون ذلك على سبيل التَّوكيد ، كقوله تعالى : ﴿وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام : ٣٨].

والمراد بالحيلةِ : الذهب ، والفضة ، والمتاع : كل ما يتمتع به.

قوله : " ابْتِغاءَ حِليَةٍ " فيه وجهان : أظهرهما : أنه مفعول من أجله.

والثاني : أنه مصدر في موضع الحالِ ، أي : مبتغين حلية ، و " حِليَةٍ " مفعولٌ [في] المعنى ، " أوْ مَتاعٍ " **نسق على** " حِيلْيةٍ ".

فالحِليَةُ : ما تتزين به.

والمتَاعُ : ما يقضون به حوائجهم كالمساحي من الحديد ونحوها.

قوله : " جُفَاءً " حالٌ ، والجفاء : قال ابن الأنباري : المتفرق ، يقال : جفأتِ الرّح السَّحاب ، أي : قطعته وفرقته ، وقال الفراء : الجفاءُ : الرَّمي ، والاطراحُ.

يقال : جَفَا الوادي ، أي : غُثَاءه يجفوهُ : جفاءً ، إذا رماه ، والجفاء اسم للمجتمع منه [المنضمّ] بعضه إلى بعض ، ويقال : جفَأتِ القِدرُ بزُبْدِهَا تَجْفَأ ، وحفاءُ السَّيل : زبده ، وأجْفَأ وأجْفَلَ وباللام قرأ رؤبة بن العجاج.

قال أبو حاتم : لا يقرأ بقراءة رؤبة ؛ لأنَّه كان يأكل الفأر ، يعني أنه أعرابي جاف وقد تقدم ثناء الزمخشري عليه أوَّل البقرة ، وذكروا فصاحته ، وقد وجَّهوا قراءته بأنها من أجفأت الرّح الغيم ، أي : فرقته قطعاً ، فهي في المعنى كقراءة العامة بالهمزة.

وفي همزة " جَفَأ " وجهان : أظهرهما : أنها أصل لثبوتها في تصاريف هذه المادة.
والثاني : أنه بدل من واو ، وكأنه مختار أبي البقاء.
وفيه نظر ؛ لأن مادة " جَفَا يَجْفُو " لا يليقُ معناها ، والأصل : عدم الاشتراك.
فصل المعنى : أنَّ الباقي الصَّافي من هذه الجواهر مثل الحق ، والزَّبد الذي لا ينتفعُ به
٢٨٩
." (١)

"الثاني : أنه متعد لواحد ، وهو " وعْدِهِ " ، وأمَّا " رُسلهُ " فمنصوب بالمصدر فإنَّه ينحلْ بحرف مصدريّ ، وفعل تقديره : مخلف ما وعد رسله ، فـ " ما " مصدريَّة لا بمعنى الذي ؟ وقرأت جماعة : ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ بنصب : " وَعْدهُ " وجر : رسُلهِ " فصلاً بالمفعول بين المتضايفين ، هي كقراءة ابن عامرٍ : ﴿قَتْلُ أوْلادَهُمْ شُكرائِهِمْ).
قال الزمخشري ـ مجرأة منه ـ : " وهذه في الضعف [كقراءة] (قَتْلُ أوْلادَهُمْ شُركائِهِمْ).
ثم قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ غالب لأهل المكر ، ذو انتقام لأوليائه منهم.
قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ [لما بين أنه عزيز ذو انتقام ، بين وقت انتقامه ، فقال : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾] ويجوز في " يَوْمَ " عدة أوجه : أحدها : أن ينتصب منصوباً بـ " انتقام " أي : يقع انتقامه في ذلك اليوم.
الثاني : أن ينتصب بـ " اذكُر ".
الثالث : أن ينتصب بما يتلخص من معنى عزيز ذو انتقام.
الرابع : أن يكون بدلاً من : " يَوْمَ يَأتِيهِمْ ".
٤١٤
الخامس : أن ينتصب بـ : " مُخْلِفَ ".
السادس : أن ينتصب بـ " وَعْدِهِ " ، و " إنَّ " وما بعدها اعتراض.
ومنع أبو البقاء هذه الآخرين ، قال : " لأن ما قبل " إنَّ " لا يعمل فيما بعدها ".
وهذا غير مانع ؛ لأنه كما تقدَّم اعتراض ، فلا يبالى به فاصلاً.
فصل التَّبديلُ يحتمل وجهين : الأول : أن تكون الذَّات باقية ، وتبدل الصفة بصفة أخرى ، كما تقول :

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٣٠٧١

بدلت الحلقة خاتماً ، إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل آخر ، منه قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَـائِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان : ٧٠] ، ويقال : بدلّلتُ قَمِيصِي جُبَّة ، إذا قلبت عَيْنَهُ فجعلتهُ جُبَّةٌ ، وقال الشاعر : [الطويل] ٣٢٤٧. فـَمَا النَّاسُ بالنَّاسِ الذينَ عَرَفْتهُمْ
ولا الدَّارُ بالدَّارِ الَّتي أنْتَ تَعْلَمُ
الثاني : أنْ تُفني الذات ، وتحدث ذاتاً أخرى ، كقولك : بدَّلتُ الدَّراهمَ دنَانِيرَ ومنه قوله تعالى : ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ : ١٦].
وإذا عرفت أن اللفظ محتمل للوجهين ففي الآية قولان : الأول : قال ابن عباس . رضي الله عنهما . : هي تلك الأرض ، إلاَّ أنها تغير صفتها فتسيرُ عنها جبالها ، وتفجر أنهارها ، وتسوى ، فلا ﴿تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا اا أَمْتاً﴾ [طه : ١٠٧] وقال صلى الله عليه وسلم : " تُبدَّلُ الأرضُ غيكر الأرْضِ ، فيَبْسُطهَا ، ويمُدُّهَا مدَّ الأدِيم [العكاظي] لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً " وتبدل السموات باتثارِ كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها ؛ وخسوف قمرها ، وكونها تكن تارة كالمهل ، وتارة كالدهان.
والقول الثاني : تبديل الذات.
قال ابن مسعود ـ رضي الله عه . : تبدل بأرض كالفضَّة البيضاء النَّقية ، لم يسفك فيها د مٌ ، ولم يعمل عليها خطيئة.
٤١٥
والقائلون بالقول الأول هم الذين يقولون عند قيام القيامةِ : لا يعدم الله الذوات والأجسام ، وإنَّما يعدم صفاتها.
وقيل : المراد من تبديل الأرض والسموات : هو أنَّ الله . تعالى ، يجعل الأرض جهنم ، ويجعل السموات الجنة بدليل قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين : ٧] وقوله . عزَّ وجلَّ . ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين : ١٨].
وقالت عائشة . رضي الله عنها . : سألتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم : ٤٨] أيْنَ تكُون النَّاس يَوْمئذٍ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " على الصِّراطِ ".
وروى ثوبانُ . رضي الله عنه . أن حبْراً من اليهودِ سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيْنَ تكُونُ النَّاسُ يَومَ تُبدَّلُ الأرضُ غير الأرْضِ ؟ قال : " هُمْ في الظُّلمةِ دون الجِسْرِ ".

قوله " والسَّمواتِ " تقديره : وتبدل السموات غير السموات.

وقرىء : " نُبَدِّلُ " بالنون : " الأرض " نصباً " والسَّمواتِ " **نسق عليه**.

قوله " وبَرَزُوا " فيه وجهان : أحدهما : أنها حملةٌ مستأنفة ، أي : يبرزون ، كذا قدَّره أبو البقاءِ ، يعنى أنه ماض يراد به الاستقبال ، والأحسن أنه مثل ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الأعراف : ٥٠] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف : ٤٤] ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر : ٢] ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل : ١] لتحقُّق ذلك.

والثاني : أنها حال من " الأرض " ، و " قَدْ " معها مرادة ، قاله أبو البقاءِ ويكون الضمير في : " بَرَزُوا " للخلق دلّ عليه السِّياق ، والرَّابط بين الحال , وصاحبها الواو.

وقرأ زيد بن علي " وبُرِّزُوا " بضم الباء ، وكسر الرَّاء مشددة عل التَّكثير في الفعل ومفعوله ، وتقدَّم الكلام في معنى البروز عند قوله تعالى ﴿وَبَرَزُواْ للَّهِ جَمِيعاً﴾ [إبراهيم : ٢١] ، وإنما ذكر " الوَاحدِ القهَّارِ " هنا ؛ لأنَّ الملك إذا كان لمالك واحد غالبٍ لا يغلبُ ،

٤١٦

". (١)

"أحدهما : هو فعلٌ ماضٍ ، و " أمَداً " مفعوله.

و " لما لبثُوا " نعتُ له ، قدِّم ، فصار حالاً ، أو مفعولاً له ، أي : لأجل لبثهم ، وقيل : اللام زائدة و " ما " بمعنى " الذي " و " أمداً " مفعول " لَبِثُوا " وهو خطأ ، وإنما الوجه أن يكون تمييزاً ، والتقدير : لما لبثوهُ.

والوجه الثاني : هو اسم ، و " أمداً " منصوب بفعلٍ دلَّ عليه الاسم انتهى ، فهذا تصريح بأنَّ " أمَداً " حال جعله " أحْصَى " اسماً ، ليس بتمييز بل مفعول به بفعل مقدر ، وأنه جعله تمييزاً عن طلبثُوا " كما رأيت.

ثم قال أبو حيَّان : " وأمَّا قوله " وإمَّا أن ينصب بـ " لبثُوا " فلا يسدُّ عليه المعنى ، أي : لا يكون معناه سديداً ، فقد ذهب الطبريُّ إلى أنه منصوب بـ " لبِثوا " قال ابن عطيَّة : " وهو غير متَّجهٍ " انتهى ، وقد يتَّجه : وذلك أنَّ الأمد هو الغاية ، ويكون عبارة عن المدَّة من حيث إنَّ المدَّة غايةً هي أمد المدَّة على الحقيقة ، و " ما " بمعنى " الذي " و " أمداً " منصوب على إسقاط الحرف ، وتقديره : لما لبثوا من أمدٍ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣١٣٢

، أي : من مدة ، ويصير " مِنْ أمدٍ " تفسيراً لما أبهم من لفظ " ما " كقوله : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة : ١٠٦] ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر : ٢] ولمَّا سقط الحرف ، وصل إليه الفعل ".

قال شهاب الدين : يكفيه أنَّ مثل ابن عطيَّة جعله غير متَّجهٍ ، وعلى تقدير ذلك ، فلا نسلِّم أن الطبري عنى نصبه بـ " لَبِثُوا " مفعولاً به ، بل يجوز أن يكون عنى نصبه تمييزاً ؛ كما قاله أبو البقاء.

ثم قال : وأمَّا قوله : فإنْ زَعَمْتَ إلى آخره ، فنقول : لا يحتاج إلى ذلك ؛ لأنَّ لقائل ذلك أن يذهب مذهب الكوفيين في أنَّه ينصب " القَوانِسَ " بنفس " أضْرَبُ " ولذلك جعل بعض النحاة أنَّ " أعْلَمُ " ناصب لـ " مَنْ " في قوله : ﴿أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ [الأنعام : ١١٧] ، وذلك لأنَّ أفعل مضمَّن لمعنى المصدر ؛ إذ التقدير : " يزيدُ ضَرْبنَا القَوانِسَ على ضَرْبِ غَيْرنا ".

قال شهاب الدين : هذا مذهبٌ مرجوحٌ ، وأفعل التفضيل ضعيف ، ولذلك قصر عن الصفةِ المشبهة باسم الفاعل ؛ حيث لم يؤنَّث ، ولم يثنَّ ، ولم يجمع.

وإذا جعلنا " أحْصَى " اسماً فجوَّز أبو حيان في " اي " أن تكون الموصولة ، و " أحْصَى " خبر لمبتدأ محذوف ، هو عائدها ، وأنَّ الضمة للبناء على مذهب سيبويه لوجود شرط البناء ، وهو إضافتها لفظاً ، وحذف صدر صلتها ، وهذا إنما يكون على جعل العلم بمعنى العرفان ؛ لأنَّه ليس في الكلام إلا مفعولٌ واحدٌ ، وتقدير آخر لا حاجة إليه ، إلا أنَّ في إسناد " عَلِمَ " بمعنى عرف إلى الله تعالى إشكالاً تقدَّم تحريره في الأنفالِ وغيرها ، وإذا جعلناه فعلاً ، امتنع أن تكون موصولة ؛ إذ لا وجه لبنائها حينئذ ، وهو حسن.

٤٣٥

فصل في المراد بالحزبين روى عطاءٌ عن ابن عبَّاس أنَّ المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك ، فأصحاب الكهف حزبٌ ، والملوك حزبٌ.

وقال مجاهدٌ : " الحزبين " من قوم الفتية ؛ لأنَّهم لما انتبهوا ، اختلفوا في أنَّهم كم ناموا ؛ لقوله تعالى : ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف : ١٩].

وكأنَّ الذين قالوا : " ربُّكُمْ أعلم بِمَا لَبِثْتُم " هم الذين علمُوا بطول مكثهم.

وقال الفراء : هم طائفتان من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدَّة لبثهم.

وقولهم : ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُواْ﴾ أي : أ ؛ فظ لما مكثُوا في كهفهم نياماً ﴿أَمَدًا﴾ أي : غاية.

وقال مجاهد : عدداً.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٤٢٩

قوله : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [أي : نقص عليك نبأهم] على وجه الصدق.

قوله : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ شبَّان ﴿آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إيماناً وبصيرة.

وقوله : ﴿آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ : فيه التفاتٌ من التكلم إلى الغيبة ؛ إذ لو جاء على نسقِ الكلامِ ، لقيل : إنَّهم فتيةٌ آمنوا بنا ، وقوله : " وَزِدْنَاهُم " التفات من هذه الغيبة إلى التكلم أيضاً.

ومعنى قوله : " ورَبَطْنَا " وشددنا " عَلَى قُلوبِهِمْ " بالصَّبْر والتثبت ، وقوَّيناهم بنور الإيمان ، حتَّى صبروا على هجران ديار قومهم ، ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش ،

٤٣٦

(١) ".

"تدوُمُ ، وهي اللغةُ الغاليةُ ، ودمتَ تدامُ ؛ كخِفْتَ تخَافُ ، وتقدم نظيرُ هذا في مَاتَ يَمُوتُ ومَاتَ يَمَاتُ.

قوله تعالى : ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي﴾ : العامَّةُ على فتح الباء ، وفيه تأويلان : أحدهما : أنه منصوبٌ نسقاً على " مباركاً " أي : وجعلني برَّا.

والثاني : أنَّه منصوبٌ بإضمارِ فعلٍ ، واختير هذا على الأوَّلِ ؛ لأنَّ فيه فصلاً كثيراً بجملةِ الوصيَّةِ ومتعلَّقها.

قال الزمخشريُّ : جعل ذاتهُ برَّا ؛ لفَرْط برِّه ، ونصبه بفعل في معنى " أوْصَانِي " وهو " كَلَّفَنِي " لأنَّ أوْصَانِي بالصَّلاة ، وكلَّفَنِي بها واحدٌ.

وقُرِئَ " برَّا " بكسر الباء : إمَّا على حذفِ مضافٍ ، وإمَّا على المبالغة في جعله نفس المصدر ، وقد تقدَّم في البقرة : أنه يجوز أن يكون وصفاً على فعلٍ ، وحكى الزَّهْراوِيُّ ، وأبو البقاء أنه قُرِئَ بكسر الباء ، والراء ، وتوجيهه : أنه نسقٌ على " الصَّلاة " أي : وأوصاني بالصَّلاة وبالزَّكَاة ، وبالبرِّ ، أو البرّ.

فصل فيما يشير إليه قوله " وبرَّا بوالدتي " قوله : ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي﴾ إشارةٌ إلى تنزيه أمِّه عن الزِّنا ؛ إذ لو كانت زانيةٌ ، لما كان الرسُول المعصومُ مأمُوراً بتعظيمها وبرِّها ؛ لأنه تأكَّد حقَّها عليه ؛ لتمحض إذ حقها لا والد له سواها.

قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ يدلُّ على أنَّ فعل العبد مخلوقٌ لله تعالى ؛ لأنَّه لما أخبر أنه تعالى ، جعله برَّا ، وما جعله جبَّاراً ، إنما يحسن لو أنَّ الله تعالى جعل غيره جبَّاراً ، وجعله [غير] برٍّ بأمِّه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٤٠١

؛ فإن الله تعالى ، لو فعل ذلك بكلِّ أحدٍ ، لم يكُن لعيسى مزيَّةٌ تخصيصٍ بذلك ، ومعلومٌ أنه – صلواتُ الله عليه وسلامهُ – إنما ذكر ذلك في معرضِ التخصيصِ ، ومعنى قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً﴾ أي ما جعلني جبَّاراً متكبرِّاً ، بل أنا خاضعٌ لأمِّي ، متواضعٌ لها ، ولو كنتُ جبَّاراً متكبِّراً ، بل أنا خاضعٌ لأمِّي ، متواضعٌ لها ، ولو كنتُ جبَّاراً ، كنتُ عاصياً شقياً.

قال بعضُ العلماء : لا تجد العاق إلا جباراً شقياً ، وتلا : ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ ولا تجد سيّئ الملكة إلا مختالاً فخُوراً ، وقرأ : ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [النساء : ٣٦].

قوله تعالى : ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ﴾ : الألف واللام في " السَّلام " للعهدِ ؛ لأنه قد تقدم لفظه في قوله – عزَّ وجلَّ – : ﴿وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ﴾ [الآية : ١٥] فهو كقوله : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً

٦٠

." (١)

"قال شهاب الدين : يعني : أن هذا البيتَ صعبُ الإعراب ، وإذ قد ذكر ذلك فلنذكر ما ورد في هذا البيت من الروايات ، وما قاله الناس في ذلك على حسب ما يليق بهذا الموضوع ، فأقول وبالله الحول : روي هذا البيت بثلاث روايات كل واحدة لا تخلو من ضرورة.

الأولى : (لَمْ يَدَع) بفتح الياء والدال ، ونصب مُسْحَت وفي هذه خمسة أوجه : الأول : أن معنى (لَمْ يَدْعُ مِنَ المَالِ مُسْحَتاً) لم يبق إلا مُسْحَتٌ ، فلما كان هذا في قوة الفاعل عطف عليه قوله : (أو مُجَلَّفُ) (بالرفع) ، وبهذا البيت استشهد الزمخشري على قراءة أبَيّ والأعمش ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [البقرة : ٢٤٩] (برفع قليل) وقد تقدم.

الثاني : أنه مرفوع بفعل مقدر دل عليه (لَمْ يَدَع) والتقدير : أو بقي مُجَلَّف.

الثالث : أن (مُجَلَّف) مبتدأ وخبره مضمر ، تقديره : أو مُجَلَّفٌ كذلك وهو تخريج الفراء.

٢٩٢

الرابع : أنه معطوف على الضمير المستتر في " مُسْحَتاً " وكان من حق هذا أن يفصل بينهما بتأكيد ما إلا أنَّ القائل بذلك وهو الكسائي لا يشترط ، وأيضاً " فهو جائز (في الضرورة) عند الكل.

الخامس : أن يكون (مُجَلَّفُ) مصدراً بزنة اسم المفعول ، كقوله تعالى : ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ : ٧] أي

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٠٣

تجليف وتمزيق ، وعلى هذا **فهو نسق على** " عَضُّ زَمَانٍ " إذ التقدير : رَمَتْ بِنَا هُمُومُ المُنَى وعَضَّ زَمَانٍ أو تجليفٍ فهو فاعل لعطفه على الفاعل ، وهو قول الفارسي ، وهو أحسنها.

الرواية الثانية : فتح الياء وكسر الدال ورفع مُسْحَت ، وتخريجها واضح ، وهو أن يكون من ودع في بيته يدع فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق ، فيرتفع " مُسْحَت ، وتخريجها واضح ، وهو أن يكون من ودع في بيته يدع فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق ، فيرتفع " مُسْحَتٌ " بالفاعلية ، ويرفع (مُجَلَّفٌ) بالعطف عليه ولا بد حينئذ من ضمير محذوف تقديره : من أجله أو بسببه ليرتبط الكلام.

٢٩٣

الرواية الثالثة : (يُدَع) بضم الياء وفتح الدال على ما يسمَّ فاعله و (مُسْحضتٌ) بالرفع لقيامه مقام الفاعل و (مُجَلَّف) عطف عليه ، وكان من حق الواو أن لا تحذف بل تثبت ، لأنها لم تقع بين ياء وكسرة ، وإنما حذفت حملاً للمبني للمفعول على المبني للفاعل.

وفي البيت كلام أطول من هذا تركته اختصاراً ، وهذا لبُّه ، وقد ذكرته في البقرة ، وفسرت معناه ولغته ، وصلته بما قبله فعليك بالالتفات إليه.

قوله : ﴿فَتَنَازَعُوا اْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي : تفاوَضُوا وتشاوَرُوا واستقروا على شيء واحد.

وقال مقاتل : اختلفوا فيما بينهم.

قال محمد بن إسحاق ووهب : لما قال لهم موسى ﴿لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ قال بعضهم لبعض : ما هذا بقول ساحر.

قال بعض المفسرين إن فرعون وقومه دخلوا مع السحرة وحدهم ، أي تناظروا وتشاوروا في أمر موسى سرًّا من فرعون.

قال الكلبي : قالوا سرًّا إن غَلَبَنَا موسى اتبعناه.

وهو قول ابن عباس.

قوله : ﴿وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى ﴾ أي المناجاة يكون مصدراً واسماً ، أي : أسروا النحوى من فرعون.

قال ابن عباس : إنَّ نجواهُم إن غلبنا موسى اتبعناه.

وقال قتادة : إنْ كانَ ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء وإن كان من السماء فله أمر.

وقال السدي : نجواهم هو قولهم : ﴿قَالُوا اْ إِنْ هَاذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [طه : ٦٣].

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٢٩٠
قوله : " إنْ هَذَانِ " اختلف القراء في هذه الآية فقرأ بن كثير وحده : " إنْ
٢٩٤
هَذَانِ " بتخفيف " إنْ " والألف وتشديد النون.
وحفص كذلك إلا أنه خفف نون " هذانِ " وقرأ أبو عمر " إنَّ " بالتشديد " هَذَيْنِ " بالياء وتخفيف النون.
والباقون كذلك إلا أنهم قرءوا " هذانِ " بالألف.
فأما القراءة الأولى ، وهي قراءة ابن كثير وحفص فأوضح القراءات معنًى ولفظاً وخطاً ، وذلك أنهما جعلا (إن) المخففة من الثقيلة فأهملت ، ولما أهملت كما هو الأفصح من وجهها خيف التباسها بالنافية فجيء باللام فارقةً في الخبر ، فـ " هَذَانِ " مبتدأ ، و " لَسَاحِرَانِ " خبره ، ووافقت خط المصحف ، فإن الرسم " هَذَانِ " مبتدأ ، و " لَسَاحِرَانِ " خبره ، ووافقت خط المصحف ، فإن الرسم " هَذَانِ " دون ألف ولا ياء (وسيأتي بيان ذلك).
وأما تشديد نون " هَذَانِّ " فعلى ما تقدم في سورة النساء متقناً ، وأما الكوفيون فيزعمون أنَّ " أنْ " نافية (بمعنى (ما)) واللام (إلاّ) وهو خلاف مشهور ، وقد وافق تخريجهم هنا قراءة بعضهم ﴿مَا هَذَانِ إلاَّ ساَحِرَانِ﴾.
وأما قراءة أبي عمرو فواضحة من حيث الإعراب والمعنى ، أما الإعراب فـ " هَذَيْنِ " اسم " إنَّ " وعلامة نصبه الياء ، و " لَسَاحِرَانِ " خبرها ، ودخلت اللام توكيداً ، وأما من حيث المعنى فإنهم أثبتوا لهما السحر بطريق تأكيدي من طرفيه ، ولكنهم استشكلوها
٢٩٥
." (١)

"المكلّفين أنفسهم ، ذكرَ " الوجوه " وأراد أصحاب الوجوه ، لأن قوله " وَعَنَتْ " من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كقوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية : ٨ ، ٩] وخص الوجوه بالذكر ، لأن الخضوع بها يبين ، وفيها يظهر.
وتقدم تفسير " الحَيُّ القَيُّومُ " وروى أبو أمامة الباهليّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " اطلبوا اسمَ الله الأعظم في هذه السُّور الثلاث البَقَرة وآل عمران ، وطه " قال الراوي : فوجدنا المشترك في

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٧٧

السور الثلاث ﴿اللَّهُ لاَ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة : ٢٥٥ ، آل عمران : ٢].

قوله : " وَقَدْ خَابَ " يجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة ، وأن تكون حالاً ، ويجوز أن يكون اعتراضاً.

قال الزمخشري : " وَقَدْ خَابَ " وما بعده اعتراض كقولك خَابُوا وخَسِرُوا ، وكل من ظلم فهو خائِبٌ خَاسِر.

ومر ا ده بالاعتراض هنا أنَّه خصَّ الوجوه بوجوه العصاة حتى تكون الجملة قد دخلت بين العُصَاة وبين ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ فَهذَا عنده قسيم " وَعَنَتْ الوُجُوهُ " فلهذا كان اعتراضاً.

وأما ابن عطية فجعل " الوُجُوهُ " عامة ، فلذلك جعل ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً﴾ معادلاً بقوله ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ إلى آخره.

فصل قال ابن عباس : " خَابَ " خَسِر من أشْرَكَ بالله.

والظُّلْمُ : الشِّرك قال الله تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣] والمراد بالخيبة : الحِرمان ، أي : حُرِم الثواب مَنْ حَمَل ظُلْماً ، أي ظلم ولم يتب.

ثم قال : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ (وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾) أي : ومَنْ يَعمل شيئاً مِنَ الصَّالِحَاتِ ، والمراد به الفرائض وكان عمله مقروناً

٣٩٥

بالإيمان ، نظيره قوله : ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ [طه : ٧٥].

قوله : " وَهُوَ مُؤْمِنٌ " جملة حالية.

" فَلاَ يَخَافُ " قرأ بن كثير (بجزمه) على النهي ، والمعنى : أَمِنَ ، والنهي عن الخوف أمر بالأمن.

والباقون : برفعه على النفي والاستئناف ، أي : فهو لا يخاف.

والهضم : النقصُ تقول العرب : هَضَمَتْ لزيدٍ مِنْ حَقِّي أي : نقصتُ منه ، ومنه : هَضِيمُ الكَشْحَيْن أي : ضامُرُها ، ومن ذلك أيضاً ، " طَلْعُهَا هَضِيمٌ " أي : دقيق متراكب كأنَّ بعضه يظلم بعضاً فينتقصه حقه.

ورَجلٌ هضيمٌ أي مظلوم.

وهضمته واهتضمته وتَهَّضمتُه عليه بمعنى ، قال المتوكل الليثي : ٣٦٩٤ - إنَّ الأذلَّةَ واللِّئَامَ لمِعْشَرٍ مَوْلاَهُم المُتَهَضَّم المَظْلُومُ

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٨٨

قيل : والظلم والهضم متقاربتان وفرَّق القاضي الماوردي بينهما فقال : الظلم من جميع الحق ، والهضم منع بعضه.

والظلمُ هنا هو أن يعاقب لا على جريمةٍ

٦٣٩

أو يمنع من الثواب على الطاعة.

والهضم هو أن ينقص من ثوابه.

وقال أبو مسلم : الظلم أن ينقص من الثواب ، والهضم أن لا يوفي حقه.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٨٨

قوله : " وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ " **نسق على** "كَذَلِكَ نَقُصُّ " قال الزمخشري " ومثل ذلك الإنزال وكما أَنْزَلْنَا عليك هؤلاء الآيات أنزلنا القرآن كلَّه على هذه الوتيرة.

وقال غيره : والمَعْنَى كما قدَّرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذَّرْنَا هؤلاء أمرها ، ﴿أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ لتفهمه العرب فيقفوا على إعجازه ونظمه ، وخروفه عن الكلام البشري.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي : كرَّرْنَاهُ وفصَّلْنَاهُ.

قوله : " مِنَ الوَعِيدِ " صفة لمَفْعُولٍ محذوف ، أي : صرَّفنا في القرآن وعيداً من الوعيد ، والمراد به الجنس.

ويجوز أن تكون " مِنَ " مزيدة على رأي الأخفش في المفعول به ، والتقدير : وصرَّفنا فيه الوعيد " لَعَلَّهُمْ يَتَّقُون " أي يجتنبون الشرك.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ أي : يجدد لهم القرآن عبرة وعظة.

وقرأ الحسن : " أَوْ يُحْدِثْ "كالجماعة إلا أنه سكَّن لام الفعل وعبد الله والحسن أيضاً في رواية ومجاهد وأبو حيوة " نُحْدِثْ " بالنون ، وتسكين اللام أيضاً.

(وخُرِّجَ علَى) إجراء الوصل مجرى الوقف ، أو على تسكين الفعل استثقالاً للحركة ، كقول امرئ القيس :

٣٩٧

٣٦٩٥ - فَاليَوْمَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ

وقول جرير :

٣٦٩٦ - أَوْ نَهْرُ تِيرَى فَلاَ تَعْرِفُكُمُ العَرَبُ

". [1]

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٠٨

"قال : نعم ، قم فاخرج ، فقام يمشي حتى خرج منها.

قال له نمروذ : من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال : ذاك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني ، فقال له نمروذ : إني مقرِب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك ، وإنّي ذابح له أربعة آلاف بقرة ، فقال إبراهيم – عليه السلام – لا يقبل الله نمنك ما دمت على دينك هذا ، قال نمروذ : لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها ثم كف عن إبراهيم.

روي أن إبراهيم – عليه السلام – ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة.

وإنما اختاروا المعاقبة بالنار ، لأنها أقوى العقوبات.

وقيل : روي أن هاران أبا لوط قال لهم : إن النار لا تحرقه ، لأنه سحر العقوبات.

وقيل : روي أن هاران أبا لوط قال لهم : إن النار لا نحرقه ، لأنه سحر النار ، وبكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته ، ففعلوا ، فطارت شرارة في لحية أبي لوط فأحرقته.

قوله : " بَرْداً " أي : ذات برد.

والظاهر في " سَلاَماً " **أنه نسق على** " بَرْداً " فيكن خبراً عن "كوني ".

وجوّز بعضهم أن ينتصب على المصدر المقصود به التحية في العرف وقد رُدَّ هذا بأنه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه أولى ، نحو قول إبراهيم : " سَلاَمٌ " ، وهذا غير لازم ، لأنه لا يجوز أن يأتي القرآن على الفصيح والأفصح ، ويدل على ذلك أنه جاء مقصوداً ، والمقصود به التحية نحو قول الملائكة : " قَالُوا سَلاَماً ".

وقوله " عَلَى إِبْرَاهِيمَ " متعلق بنفس إن قصد به النحية.

ويجوز أن يكون صفة فيتعلق بمحذوف ، وعلى هذا فيحتمل أن يكون قد حذف صفة الأول لدلالة صفة الثاني عليه تقديره : كوني برداً عيله وسلاماً عليه.

فصل قال أبو مسلم الأصفهاني في تفسير قولنا " قُلْنَا يَا نَارُ " المعنى : أنه سبحانه وتعالى

٥٤٠

جعل النار برداً وسلاماً لا أنَّ هناك كلاماً كقوله : ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] أي : يكونه.

واحتج عليه بأن النار جماد فلا يجوز خطابه.

والأكثرون على انه وجد ذلك القول ، ثم هؤلاء قولان : أحدهما : قال السُّديّ : القائل هو جبريل.

والثاني : قول الأكثرين إنَّ القائل هو الله تعالى ، وهو الأقرب الأليق بالظاهر.

وقوله : النار جماد فلا يكون في خطابها فائدة.

فالجواب : لِمَ لا يجوز أن يكون المقصود من ذلك الأمر مصلحة عائدة إلى الملائكة.

فصل اختلفوا في كيفية برد النار.

فقيل : إن الله تعالى أزال ما فيها من الحرارة والإحراق ، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق ، والله على كل شيء قدير.

وقيل : إنه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول النار إليه كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة ، وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة ، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار.

وقيل : إنه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أثر النار إليه.

قال المحققون : والأول أولى ، لأنَّ ظاهر قوله : ﴿يا نَارُ كُونِي بَرْداً﴾ أي نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تاثرها.

فإن قيل : النارُ إن بقيت كما كانت ، والحرارة جزء من مسمى النار ، وامتنع كون النار باردة ، فإذن يجب أن يقال : المراد من النار الجسم الذي هو أحد أجاء مسمى النار ، وذلك مجاز فلم كان مجازكم أولى.

فالجواب : أن المجاز الذي ذكرناهخ يبقى معه حصول البرد وفي الذيب ذكرتم لا يبقى ذلك ، فكان مجازنا أولى.

فصل معنى كون النار سلاماً على إبراهيم : أنَّ البرد إذا أفرط أهلك كالحر فلا بُدّ من الاعتدال ، وهو من وجوه :

٥٤١

". (١)

"والثاني : أنه نسق على الضمير في " يُسَبِّحْنَ " ، ولم يؤكد ولم يفصل ، وهو موافق لمذهب الكوفيين.

فصل قال ابن عباس : (كان يفهم) تسبيح الحجر والشجر.

وقال وهب : كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ، وكذلك الطير.

وقال قتادة : " يُسَبِّحْنَ " أي : يصلين مع إذا صلى.

وقيل : كان داود إذا فتر سمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٥٥

وقال بعض المفسرين : إنه يحتمل أن يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ﴾ [الإسراء : ٤٤] وتخصيص داود – عليه السلام – بذلك إنما كان بسبب أنه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقيناً وتعظيماً.

وقالت المعتزلة : لو حصل الكرم في الجبل لحصل إما بفعله أو بفعل الله فيه ، والأول محال ، لأن بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة ، وما لا يكون حياً قادراً عاقلاً يستحيل مه الفعل.

والثاني محال ، لأن المتكلم عندهم من كان فاعلاً للكلام لا من كان محلاً للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله لكان المتكلم هو الله لا الجبال.

فثبت أنَّه لا يمكن إجراؤه على ظاهره ، فعند هذا قالوا : معنى قوله : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ﴾ قوله : ﴿يا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ : ١٠] أي : تصرفي معه وسيري بأمره.

ومعنى " يُسَبِّحْنَ " من السبح الذي هو السباحة خرج اللفظ فيه على التكثير ولو أفرد لقيل : اسبحي ، فلما كثر قيل سبحي معه ، أي : سيري وهو كقوله : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحَاً طَوِيلاً﴾ [المزمل : ٧] أي : تصرفاً ومذهباً ، إذا ثبت هذا فنقول : إن سيرها هو التسبيح لدلالته على قدرة الله.

واعلم أنّ مدار هذا القول على أن بنية الجبال لا تقبل الحياة ، وأن المتكلم من فعل الكلام ، وكلاهما ممنوع ، وأما

٥٥٨

" الطّيْر " فلا امتناع أن يصدر عنها الكلام ، ولكن أجمعت الأمة على أنّ المكلفين إمَّا الجن والإنس والملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف بل يكن حاله كحال الطفل في ان يُؤْمر ويُنْهَى.

وإن لم يكن مكلفاً فصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق.

وأيضاً فيه دلالة على قدرة الله وعلى تنزيهه عمّا لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال.

وقدم الجبال على الطير ، لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز ، لأنها جماد والطير حيوان.

ثم قال : " وَكُنَّا فَاعِلِينَ " أي : قادرين على أنْ نفعل وإنْ كان عجباً عندكم وقيل : نفعل ذلك بالأنبياء – عليهم السلام – .

الإنعام الثاني قوله : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ الجمهور على فتح اللاتم من " لَبُوسٍ " وهو الشيء المعد للبس قال الشاعر : ٣٧٣٠ – أَلْبَسُ لكُلِّ حَالَةٍ لَبُوْسَهَا

إِمَّا نَعِيْمَهَا وَإِمَّا بُؤسَهَا

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٥٥٠

والمراد باللبوس هنا الدرع لأنها لا تلبس ، وهي في اللغة اسم لكل ما يلبس.

ويستعمل في الأسلحة كلها ، وهو بمعنى الملبوس كالحلوب والركوب.

وقرئ " لُبُوس " بضم اللام ، وحينئذ إما أنْ يكون جمع لُبْس المصدر الواقع موقع المفعول ، وإما أنْ لا يكون واقعاً موقعه ، والأول أقرب.

و " لَكُمْ " يجز أن يتعلق بـ " عَلَّمْنَاه " ، وأن يتعلق بـ " صَنْعَةَ " قاله أبو البقاء ، وفيه بُعْد.

وأن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ " لَبُوس ".

قال قتادة : أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وإنما كانت صفائح.

قوله : " لِتُحْصِنَكُم ".

هذه لام كي ، وفي متعلقها أوجه : أحدها : أن تتعلق بـ " عَلَّمْنَاهُ " ، وهذا ظاهر على القولين الآخرين وأما على

٥٥٩

." (١)

"والرفع بإضمار مبتدأ.

والجعل يجوز أن يتعدى لاثنين بمعنى صيّر ، وأن يتعدى لواحد.

والعامة على رفع " سواء ".

وقرأ حفص عن عاصم بالنصب هنا ، وفي الجاثية " سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ " وافقه على الذي في الجاثية الأخوان وسيأتي توجيهه.

فأما على قراءة الرفع ، فإن قلنا : إنَّ " جَعَلَ " بمعنى (صير) كان في المفعول الثاني ثلاثة أوجه : أظهرها : أن الجملة من قوله : ﴿سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ هي المفعول الثاني ، ثم الأحسن في رفع " سَوَاءٌ " أن يكون خبراً مقدماً ، و " العاكف " ، والبادي مبتدأ مؤخر ، وإنما وَحَّد الخبر وإن كان المبتدأ اثنين ، لأنَّ " سَوَاءٌ " في الأصل مصدر وصف به ، وقد تقدم أول البقرة.

وأجاز بعضهم أن يكون " سَوَاءٌ " مبتدأ ، وما بعده الخبر ، وفيه ضعف أو منع من حيث الابتداء بالنكرة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٦٦٢

من غير مسوّغ ، ولأنه متى اجتمع معرفة ونكرة جعلت المعرفة المبتدأ.

وعلى هذا الوجه أعني كون الجملة مفعولاً ثانياً فقوله : " للنَّاس " يجوز فيه وجهان : أحدهما : أن يتعلق بالجعل ، أي : جعلناه لأجل الناس كذا.

والثاني : أن يتعلق بمحذوف على أنه حالٌ من مفعول " جَعَلْنَاهُ " ، ولم يذكر أبو البقاء فيه على هذا الوجه غير ذلك ، وليس معناه متضحاً.

الوجه الثاني : أنَّ " لِلنَّاسِ " هو المفعول الثاني ، والجملة من قوله : " سَوَاءٌ العَاكِفُ " في محل نصب على الحال ، إما من الموصول وإما من عائده وبهذا الوجه بدأ أبو البقاء ، وفيه نظر ؛ لأنه جعل هذه الجملة التي هي محطّ الفائدة فضلة.

٥٨

الوجه الثالث : أن المفعول الثاني محذوف.

قال ابن عطية : المعنى الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبداً.

فتقدير ابن عطية هذا مرشد لهذا الوجه.

إلا أن أبا حيان قال : ولا يحتاج إلى هذا التقدير إلا إن كان أراد تفسير المعنى لا الإعراب فيسوغ ؛ لأن الجملة في موضع المفعول الثاني ، فلا يحتاج إلى هذا التقدير وإن جعلناها متعدية لواحد كان قوله : " لِلنَّاسِ " متعلقاً بالجعل على الغلبة وجوَّز فيه أبو البقاء وجهين آخرين : أحدهما : أنه حال من مفعول " جَعَلْنَاهُ ".

والثاني : أنه مفعول تعدى إليه بحرف الجر.

وهذا الثاني لا يتعقل كيف يكون " لِلنَّاسِ " مفعولاً عدي إليه الفعل بالحرف هذا ما لا يعقل ، فإن أراد أنه مفعول من أجله فهي عبارة بعيدة من عبارة النحاة.

وأما على قراءة حفص فإن قلنا : " جَعَلَ " يتعدى لاثنين كان " سواء " مفعولاً ثانياً.

وإن قلنا : يتعدى لواحد كان حالاً من هاء " جَعَلْنَاهُ " وعلى التقديرين ف " العَاكِفُ " مرفوع به على الفاعلية ؛ لأنه مصدر وصف به ، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق ، تقديره : جعلناه مستوياً فيه العاكف ، ويدل عليه قولهم : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ سَوَاءٍ هُوَ وَالعَدَمُ ، فهو تأكيد للضمير المستتر فيه ، **والعدم نسق على** الضمير المستتر ؛ ولذلك ارتفع ، ويروى : سَوَاءٍ وَالعَدَمُ ؛ بدون تأكيد وهو شاذ وقرأ الأعمش وجماعة " سَوَاء " نصباً " العَاكِف " جرًّا ، وفيه وجهان : أحدهما : أنه بدل من الناس بدل تفصيل.

٥٩

والثاني : أنه عطف بيان ، فهذا أراد ابن عطية بقوله : عطفاً على الناس.

ويمتنع في هذه القراءة رفع " سَوَاءٌ " لفساده صناعة ومعنى ، ولذلك قال أبو البقاء : و " سَوَاء " على هذا نصب لا غير.

وأثبت ابن كثير ياء " وَالبَادِي " وقفاً ووصلاً.

وأثبتها أبو عمرو وورش وصلاً وحذفاها وقفاً.

وحذفها الباقون وصلاً ووقفاً ، وهي محذوفة في الإمام.

فصل معنى الكلام : ويصدون عن المسجد الحرام الذي جعلناه للناس قبلة لصلاتهم ومنسكاً ومتعبداً كما قال : " وُضِعَ لِلنَّاسِ " وتقدم الكلام على معنى " سَوَاء " باختلاف القراءة.

وأراد بـ " العَاكِف " المقيم فيه ، و " البَادِي " الطارئ من البدو ، وهو النازع إليه من غربته.

وقال بعضهم : يدخل في " العَاكِف " الغريب إذا جاور ولزمه كالبعيد وإن لم يكن من أهله.

واختلفوا في معنى " سَوَاء " فقال ابن عباس في بعض الروايات : إنهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها ، فليس أحدهما أحق بالنزول الذي يكون فيه من الآخر إلا أن يكون أحدهما سبق إلى المنزل ، وهو قول قتادة وسعيد بن جبير ، ومن مذهب هؤلاء تحريم كراء دور مكة وبيعها ، واستدلوا بالآية والخبر أما الآية فهذه ، قالوا : إن أرض مكة لا تملك ، فإنها لو ملكت لم يستو العاكف فيها والباد ، فلما استويا ثبت أن سبيلها سبيل المساجد.

وأما الخبر فقوله عليه السلام : " مكة مناخ لمن سبق إليه "

٦٠

." (١)

"أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى بيتاً ، وقد كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم ، فأجابه كل من يحج من أصلاب الآباء وأرحام الأمّهات لبيك اللهم لبيك.

قال ابن عباس : فأول من أجابه أهلُ اليَمَن فهم أكثر الناس حجاً.

وقال مجاهد : من أجاب مرّة حجّ مرّة ومن أجاب مرتين أو أكثر فيحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار.

قال ابن عباس : لما أمر الله إبراهيم بالأذان تواضعت له الجبال وخفضت وارتفعت له القرى.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٧٠٩

وقال الحسن وأكثر المعتزلة : إنّ المأمور بالأذان هو محمد - عليه السلام - واحتجوا بأن ما جاء في القرآن وأمكن حَمْله على أن محمداً هو المخاطب فهو أولى وقد بينا أن قوله : " وَإِذْ بَوَّأْنَا " ، أي : واذكر يا محمد إذ بوأنا ، فهو في حكم المذكور ، فلما قال : " وَأَذِّنْ " فإليه يرجع الخطاب.

قال الجبائي : أمر محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن يفعل ذلك في حجة الوداع.

قالوا : إنه ابتداء فرض الحج من الله تعالى للرسول ، وفي قوله : " يَأْتُوكَ " دلالة على أن المراد أن يحج فيقتدى به.

وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُم الحجَّ فحُجُّوا ".

قوله : " رِجَالاً " نصب على الحال ، وهو جمع راجل نحو : صاحب وصِحَاب ، وتاجر وتجار ، وقائم وقيام.

وقرأ عكرمة والحسن وأبو مجلز " رُجَّالاً " بضم الراء وتشديد الجيم.

وروي عنهم تخفيفها ، وافقهم ابن أبي إسحاق على التخفيف ، وجعفر بن محمد ومجاهد على التشديد ، ورويت عن ابن عباس أيضاً.

فالمخفف اسم جمع كظؤار ، والمشدد جمع تكسير كصائم وصوام.

وروي عن عكرمة أيضاً " رُجَالَى "

٧١

كنُعَامى بألف التأنيث.

وكذلك عن ابن عباس وعطاء إلا أنهما شددا الجيم.

قوله : ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ نسق على " رجالاً " ، فيكون حالاً أي : مشاة وركباناً.

والضمور : الهزال ، ضَمَر يضْمُر ضُمُوراً ، والمعنى أن الناقة صارت ضامرة لطول سفرها.

قوله : " يأتين ".

النون ضمير " كُلِّ ضَامِر " حملاً على المعنى ، إذ المعنى : على ضوامر ، ف " يَأْتِينَ " صفة ل " ضامر " ، وأتى بضمير الجمع حَملاً على المعنى ، أي جماعة الإبل ، وقد تقدم في أول الكتاب أن "كل إذا أضيفت إلى نكرة لم يراع معناها إلا في قليل ، كقوله : ٣٧٥٩ - جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ

فَتَرَكْتُ كُلَّ حَديقَة كَالدِّرْهَمِ

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٦٤
وهذه الآية ترده ، فإن " كلّ " فيها مضافة لنكرة وقد روعي معناها ، وكان بعضهم أجاب عن بيت زهير بأنه إنما جاز ذلك ؛ لأنه في جملتين ، قيل له : فهذه الآية جملة واحدة ، لأن " يأتين " صفة لـ " ضَامِر ".
وجوَّز أبو حيان أن يكون الضمير يشمل " رجالاً " و " كل ضامر " قال : على معنى الجماعات والرفاق.
قال شهاب الدين : فعلى هذا
٧٢
يجوز أن يقال عنده : الرجال يأتين ، ولا ينفعه كونه اجتمع مع الرجال هنا " كل ضامر " ، فيقال جاز ذلك لما اجتمع معه ما يجوز فيه ذلك إذ يلزم منه تغليب غير العاقل على العاقل وهو ممنوع.
وقال البغوي : وإنما جمع " يَأْتِين " لمكان " كُلّ " وأراد النوق.
وقرأ ابن مسعود والضحاك وابن أبي عبلة " يَأْتون " تغليباً للعقلاء الذكور.
وعلى هذا فيحتمل أن يكون قوله : ﴿على كل ضامر﴾ حالاً أيضاً ، ويكون " يأتون " مستأنفاً متعلق به من كل فج أي يأتونك رجالاً وركباناً ثم قال : ﴿يأتون من كل فج﴾ وأن يتعلق بقوله " يأتون " أي يأتون على كل ضامر من كل فجّ ، و " يأتون " مستأنف أيضاً ، فلا يجوز أن يكون صفة لـ " رجالاً " ولـ " ضامر " لاختلاف الموصوف في الإعراب ؛ لأن أحدهما منصوب والآخر مجرور ، ولو قلت : رأيت زيداً ومررت بعمرو العاقلين.
على النعت لم يجز بل على القطع.
وقد جوَّز ذلك الزمخشري فقال : وقرئ " يَأْتُون " صفة للرجال والركبان وهو مردود بما ذكرنا.
والفج : الطريق بين الجبلين ، ثم يستعمل في سائر الطرق اتساعاً.
والعميق : البعيد سفلاً ، يقال : بئر عميقة معيقة ، فيجوز أن يكون مقلوباً إلا أنه أقل من الأول ، قال :
٣٧٦٠ - إِذَا الخَيْلُ جَاءَتْ مِنْ فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ
يَمُدُّ بِهَا فِي السَّيْرِ أَشْعَثُ شَاحِبُ
وقرأ ابن مسعود : " مَعِيقٌ " ويقال : عمق وعمق بكسر العين وضمها عمقاً بفتح الفاء قال الليث : عميق (ومعيق ، والعميق في الطريق أكثر.
وقال الفراء : عميق لغة الحجاز) ومعيق لغة تميم وأعمقت البئر وأمعقتها وعَمُقَت ومَعُقَت عماقة ومعاقة وإعماقاً وإمعاقاً قال رؤبة :

٣٧٦١ - وَقَاتِمِ الأَعْمَاقِ خَاوِي المُخْتَرقْ

." (١)

"قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية.

هذه جملة من مبتدأ وخبر ، إما على حذف مضاف ، أي : ذو نور السموات والمراد بالنور : عَدْلُهُ ، ويؤيد هذا قوله : " مَثَلُ نُورِهِ " وأضاف النور لهذين الظرفين إما دلالة على سَعَةِ إِشْرَاقِهِ ، وَفشُوّ إضاءته حتى تضيء له السمواتُ والأرضُ ، وإمَّا لإرادة أهل السموات والأرض ، وأنهم يَسْتَضِيئُونَ به.

ويجوز أن يُبَالَغَ في العبادة على سبيل المدح كقولهم : فلان شَمْسُ البلادِ وقمرُها قال النابغة : ٣٨٣١ - فإِنَّك شَمْسٌ والمُلُوكُ كَوَاكِبٌ

إذَا ظَهَرتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وقال (آخر) :

٣٨٣٢ - قَمَرُ القَبَائِلِ خَالِدُ بن يزيد

ويجوز أن يكون المصدر واقعاً اسم الفاعل ، أي : مُنَوِّرُ السَّمواتِ.

ويؤيد هذا الوجهَ قراءة أمير المؤمنين وزيد بن علي وأبي جعفر وعبد العزيز المكي : " نَوَّرَ " فعلاً ماضي اً ، وفاعله ضمير الباري تعالى ، " السموات " مفعوله ، وكَسْرُهُ نَصْبٌ ، و " الأَرْضُ " **بالنصب نَسَقٌ عليه**.

وفَسَّرَهُ الحسنُ فقال : " اللَّهُ مُنوِّرُ السَّمواتِ ".

٣٨٠

فصل قال ابن عباس : هادي أهل السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة ينجون.

وقال الضحاك : منوِّر السموات والأرض ، يقال : نوّر الله السماء بالملائكة ونوّر الأرض بالأنبياء.

وقال مجاهد : مدبر الأمور في السموات والأرض.

وقال أبي بن كعب والحسن وأبو العالية : مزَيّن السموات والأرض ، زين السماء بالشمس والقمر والنجوم ، وزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين.

وقيل : بالنبات والأشجار.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٧١٣

وقيل : معناه : الأنوار كلها منه ، كما يقال : فلان رحمة ، أي : منه الرحمة.

وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح ، كقول القائل : ٣٨٣٣ - إذا سارَ عبدُ اللَّهِ من مَرْوَ لَيْلَةً

فقد سارَ منها نوُرُها وجمالُها

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٣٨٠

قوله : ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ مبتدأ وخبر ، وهذه الجملة إيضاحٌ وتفسيرٌ لِمَا قبلها ، فلا محلَّ لها ، وثمَّ مُضَاف محذوف ، أي : كَمَثَلِ مِشْكَاةٍ.

قال الزمخشري : أي : صفةُ نُورِهِ العجيبةُ الشأنِ في الإضاءة "كَمِشْكَاةٍ " أي : كصفة (مشكاة).

واختلفوا في الضمير في " نُورِهِ " : فقيل : هو الله تعالى ، أي : مثل نور الله - عزَّ وجلَّ - في قلب المؤمن ، وهو النور الذي يهتدى به ، كما قال : ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر : ٢٢].

وكان ابن مسعود يقرأ " مَثَلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ المُؤْمِن " وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : " مثل نوره الذي أعطى المؤمن " وعلى هذا المراد بالنور : الإيمان ، والآيات البيّنات.

وقيل : يعود على المؤمنين أو المؤمن ، أو من آمن به ، أي مثل نور قلب المؤمن.

وكان أبيّ يقرأ بهذه الألفاظ كلها ، وأعاد الضمير على ما قرأ به.

والمراد بالنور : الإيمان

٣٨١

والقرآن لقوله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة : ١٥] يعني : القرآن.

وقال سعيد بن جبير والضحاك : الضمير يعود على محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يتقدم لهذه الأشياء ذِكْر.

وأما عوده على المؤمنين في قراءة أبيّ ، ففيه إشكال من حيث الإفراد.

قال مكّيٌّ : يُوقَف على الأرض في هذه الأقوال الثلاثة.

وقيل : أراد بـ " النور " الطاعة ، سمى طاعة الله نوراً ، وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلاً.

فصل واختلفوا في هذا التشبيه : (هل هو) تشبيه مركب ، أي : أنه قصد تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء ، بل قصد تشبيه هُدَاهُ وإتْقَانهُ صُنْعَتَهُ في كل مخلوق على الجملة بهذه الجملة من النور الذي يتخذونه ، وهو أبلغ صفات النور عندكم أو تشبيه غير مركب ، أي : قصد مقابلة جزء بجزء.

ويترتب الكلام فيه بحسب الأقوال في الضمير في " نورِهِ ".

و " المِشْكَاةُ " : الكُوَّةُ غير النَّافِذة.
وهل هي عربية أم حبشيّة مُعَرَّبَةٌ ؟ خلاف.
قال مجاهد : " هي القنديل ".
وقيل : هي الحديدةُ أو الرَّصاصةُ التي يُوضع فيها الذُّبالُ ، وهو الفتيل ، ويكون في جوف الزجاجة.
وقيل : هي العمود الذي يوضع على رأسه المصباح.
وقيل : ما يعلق منه القنديل من الحديدة.
وأمال " المِشْكَاة " الدُّوري عن الكسائي لِتقدُّم الكسر وإن
٣٨٢
." (١)

"قال الزمخشري : وقد جعل بعضهم " بِقِيعَاة " بتاء مدوَّرة ك " رجل عِزْهَاةٍ ".
فظاهر هذا أنه جعل هذا بناء مستقلاً ليس جمعاً ولا إشباعاً.
قوله : " يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ " جملة في محل الجر صفة لـ " سَرَابٍ " أيضاً ، وحَسُنَ ذلك لتقدم الجار على الجملة ، هذا إن جعلنا الجارَّ صفةً والضمائر المرفوعة في " جَاءَهُ " ، وفي " لَمْ يَجِدْهُ " وفي " وَجَدَ " ، والضمائر في " عِنْدَهُ " وفي " وَفَّاهُ " وفي " حِسَابَهُ "كلها ترجع إلى " الظَّمْآن " لأن المراد به الكافر المذكور أولاً ، وهذا قول الزمخشري وهو حسن.
وقيل : بل الضميران في " جَاءَهُ " و " وَجَدَ " عائدان على " الظَّمْآن " ، والباقية عائدة على الكافر.
وإنما أفرد الضمير على هذا وإن تقدمه جمع ، وهو قوله : " وَالَّذِينَ كَفَرُوا " حَمْلاً على المعنى ؛ إذ المعنى : كلُّ واحدٍ من الكفار.
والأول أولى لاتِّساق الضمائر.
وقرأ أبو جعفر ، ورُوِيَتْ عن نافع : " الظَّمَانُ " بإلقاء حركة الهمزة على الميم.
فصل قال الزجاج : " (الظَّمْآن) قد تخفف همزته ، وهو الشديد العطش ، ثم وجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر إن كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواباً مع أنه يعتقد أن له ثواباً عليه ، وإن كان من أفعال الإثم فهو يستحق عليه العقاب مع أنه يعتقد أنه ثواباً ، فكيف كان فهو يعتقد أن له ثواباً عند الله تعالى ، فإذا وافى عرصة القيامة ولم يجد الثواب ، بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه ، فيشبه

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٨٣١

حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته إلى الشراب ويتعلق قلبه به ، ويرجو به النجاة ، فإذا جاءه وأيس مما

٤٠١

كان يرجوه عظم ذلك عليه ".

قال مجاهد : " السراب : عمل الكافر وإتيانه إياه موته ومفارقة الدنيا ".

فإن قيل : قوله : ﴿حَتَّى إِذَا جَآءَهُ﴾ يدل على كونه شيئاً ، وقوله : ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ مناقض له ؟

فالجواب من وجوه : الأول : معناه : لم يجد شيئاً نافعاً ، كما يقال : فلان ما عمل شيئاً ، وإن كان قد اجتهد.

الثاني : " إذا جَاءَهُ " أي : جاء موضع السراب لم يجد السراب ، لأن السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كأنه ضباب وهباء ، فإذا قرب منه رق وانتشر وصار كالهواء.

قوله : ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ أي : وجد عقاب الله عنده الذي توعد به الكافر.

وقيل : وجد الله عنده ، أي : عند عمله ، أي وجد الله بالمرصاد.

وقيل : قدم على الله " فَوَفَّاهُ حِسَابه " أي : جزاء عمله.

قيل : نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام.

قوله : ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات ، فلا يشق عليه الحساب.

وقال بعض المتكلمين : " معناه : لا تشغله محاسبة أحد عن آخر كنحن ، ولو كان يتكلم بآلة كما تقول مشبهة لما صح ذلك ".

قوله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ هذا مثل آخر ضربة الله تعالى لأعمال الكفار ، وفي هذا العطف أوجه : أحدها : **أنه نسقٌ على** "كَسَرَابٍ " على حذف مضاف واحد ، تقديره : أو كَذِي ظُلُمَاتٍ ، ودل على هذا المضاف قوله : ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ فالكناية تعود إلى المضاف المحذوف.

وهو قول أبي علي.

٤٠٢

الثاني : أنه على حذف مضافين ، تقديره : أو كَأَعْمَالٍ ذِي ظُلُمَاتٍ فَيُقَدَّر " ذي " ليصح عود الضمير إليه في قوله : ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ ويقدر " أَعْمَال " ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة ، إذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمة.

الثالث : أنه لا حاجة إلى حذف البتَّة ، والمعنى : أنه شَبَّهَ أعمالَ الكُفَّارِ في حَيْلُولَتِهَا بين القلب وما يهتدي به بالظلمة.

وأما الضميران في " أَخْرَجَ يَدَهُ " فيعودان على محذوف دلَّ عليه المعنى ، أي : إذا أخرج يده من فيها و " أَوْ " هنا للتنويع لا للشك.

وقيل : بل هي للتخيير ، أي : " شَبهُوا أعمالهم بهذا أو بهذا.

وقرأ سفيان بن حسين : " أوَ كَظُلُمَاتٍ " بفتح الواو ، جعلها عاطفة دخلت عليها همزة الاستفهام التي معناها التقرير ، وقد تقدم ذلك في قوله : ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى ﴾ [الأعراف : ٩٨].

قوله : ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ : " في بَحْر " صفة لـ " ظُلُمَاتٍ " فيتعلق بمحذوف.

واللُّجِيُّ : منسوبٌ إلى " اللُّجِّ " وهو مُعْظَمُ البحر قاله الزمخشري.

وقال غيره : منسوب إلى اللُّجَّةِ بالتاء ، وهي أيضاً معظمه.

فاللُّجّيّ : هو العميق الكثير الماء ، وفيه لغتان : كسر اللام ، وضمها.

قوله : " يَغْشَاه موجٌ " صفة أخرى لـ " بَحْرٍ " هذا إذا أعدنا الضمير في " يَغْشَاهُ " على " بَحْرٍ " وهو الظاهر.

وإن قدَّرنا مضافاً محذوفاً ، أي : " أَو كَذِي ظُلُمَاتٍ " كما فعل

٤٠٣

". (١)

"قوله : ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ فيه لطيفة وهي أن الإنسان له جسم وروح ، فالأجسام أجزاءها في الأرض والأرواح في السماء فقوله : ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ إشارة إلى علمه بالأرواح ، وقوله : ﴿وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ إشارة إلى عمله بالأجسم فإذا علم الروح والأجسام قدر على جمعها فلا اسبعاد في الإعادة.

قوله : " وَلاَ أَصْغَرُ " العامة على رفع " أصْغَر وأَكْبَر " وفيه وجهان : أحدهما : الابتداء ، والخبر قوله " إلاَّ فِي كِتَابٍ ".

والثاني : **النَّسَق على** " مِثْقَالِ " وعلى هذا فيكون : " إلاَّ فِي كِتَابٍ " تأكيداً للنفي في : " لاَ يَعْزُبُ " كأنه قال لكنه في كتاب مبين وقرأ قتادة والأعمش ورويت عن أبي عمرو ونافع أيضاً بفتح الراءين.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٣٨٣٩

وفيها وجهان : أحدهما : أنها " لا " التبرئة وبني اسمها معها , والخبر قوله : " إلاَّ فِي كِتَابٍ ".

والثاني : **النسق على** " ذَرَّةٍ " وتقدم في يونس أن حمزة قرأ بفتح رَاءِ " أَصْغَرَ " وأَكْبَر " وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك.

قال الزمخشري : فإن قلتَ : هَلاَّ جَازَ عطفُ : " وَلاَ أصْغَر " على " مِثْقَالِ " وعطف " وَلاَ أَكْبَر " على ذرة ؟ قُلْتُ : يأبي ذلك حرف الاستثناء إلا اا إذا جعلت الغيب اسماً للخفيات قبل أن تكتب في اللوح المحفوظ لأنها إثبات في اللوح نوع من البُرُوزِ عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يُزَال عنه إلا مسطوراً في اللوح.

قال أبو حيان : ولاَ يُحْتَاج إلى هذا التأويلِ إذ جعلنا الكتاب ليس اللوح

٧

المحفوظ ، وقرأ زيد بن علي بخفض راء أصغر وأكبر وهي مشكلة جداً ، وخرجت على أنهما في نية الإضافة ، إذ الأصل : " ولا اصغره ولا أكبره " وما لا ينصرف إذا أضيف انجر في موضع الجر ثم حذف المضاف إليه ونوي معناه فترك المضاف بحاله وله نظائر كقولهم :

٤١٠٢ - بَيْنَ ذِرَاعِيْ وَجَبْهَةِ الأَسَدِ

٤١٠٣ - يَا تَيْمَ تَيْم عَدِيّ

على خلاف.

وقد يفرق بأن هناك ما يدل على المحذفو لفظاً بخلافِ هنا.

وقد ردّ بعضهم هذا التخريج لوجود " من " ؛ لأنَّ " أفعل " متى أضيف لم يجامع " مِنْ " وأجيب عن ذلك بوجهين : أحدهما : أن (مِنْ) ليست متعقة " بأفعل " بل محذوف على سبيل البيان ؛ لأنه لما حذف المضاف إليه أبهم المضاف فبين " بمن " ومجروها أي أعني من ذلك.

والثاني : أنه مع تقديره للمضاف إليه نوي طرحه ، فلذلك أتى " بِمن " ويدل على ذلك أنه قد ورد التصريح بالإضافة مع وجود " من " قال الشاعر : ٤١٠٤ - نَحْنُ بِغَرْسِ الوَدِيّ أعْلَمُنَا

مِنَّا بِرَكْضِ الجِيادِ في السُّدَفِ

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٣

٨

وخرج على هذين الوجهين إلى التعليق بمحذوف وإما نية طرح المضاف إليه وهذا كما احتاجوا إلى تأويل

الجمع بين " أل " ومن في أفعل كقوله : ٤١٠٥ - ولَسْتُ بالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى
....
وهذه توجيهات شذوذ ويكفي فيها مثل ذلك.
فصل قوله : ﴿وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ﴾ إشارة إلى أن مثقال لم يذكر للتحديد بل الأصغر منه لا يعزب.
فإن قيل : فأيُّ حاجة إلى ذلك الأكبر وإنَّ من علم الأصغر من الذرة لا بدّ وأن يعلم الأكبر ؟ فالجواب : لما كان الله تعالى أراد بينان إثبات الأمور في الكتاب فلو اقتصر على الأصغر لتوهم متوهمٌ أنه يثبت الصغائر لكونها محل النّسيان وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فقال الإثبات في الكبائر ليس كذلك فإن الأكبر فيه أيضاً مكتوب ثم لما بين علمه بالصغائر والكبائر ذكر أن جميع ذلك وإثباته للجزاء فقال : ﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾.
قوله : " لِيَجْزِيَ " فيه أوجه : أحدهما : أنه متعلق (بلا) وقال أبو البقاء و (يعزب) بمعنى لا يعزب أي يُحْصِي ذلك ليجزي.
وهو حس أو بقوله : " ليأتِيَنَّكُمْ " أو بالعامل في قوله : " إلاَّ فِي كَتَابٍ " اي إلا استقر ذلك " في كتاب مبين " لِيَجْزِيَ.
٩
." (١)

"قُدْرَتِنَا ، أو مُحِيطاً بِهِمْ فَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ حَيْثُ كَانُوا فإنَّ أرضي وسمائي محيطةٌ بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادرُ عليهم.
قوله : " إنْ نَشَأ " قرأ الأخَوانِ يَشَا يَخْسِفْ يُسْقِطْ بالياء في الثلاثة ، والباقون بنون العظمة فيها ، وهم واضِحَتَان ، وأدغم الكسائي قال الفارسي : وذلك لا يجوز لأن الباء أضعف في الصوت من الفاء فلا يدغم فيها وإن كان الباء يدغم فيها نحو : اضْرِب فُلاَناً كما تدغم الباء في الميم كقولك : اضْرِب مالكاً وإن كانت الميم لا تدغم في الباء نحو : اضْمُمْ بكراً ؛ لأن الباء انحطت عن الميم يفقد الغُنَّةِ ، وقلا الزمخشري : وليست بالقوية ، وهذا لا ينبغي لأنها تواترت.
فصل لما ذكر الدليل بكونه عالم الغيب وكونه جازياً على السّيئات والحسنات ذكر دليلاً آخر فيه التهديد والتوحيد فأما دليل التوحيد فذكره السماء والأرض فإنهما يدلان على الوحدانية كما تقدم مراراً ويدلان على

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٥٧

الحشر والإعادة لأنهما يدلان على كمال القدرة بقوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى ﴾ [يس : ٨١] وأما التهديد فقوله : ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ أي نجعل عين نافعهم ضارهم بالحق والكشف ثم قال : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ﴾ أي : فيما يرون من السماء والأرض آية تدل على قدرتنا على البعث ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيب﴾ تائب

١٩

راجع الله بقلبه.

ثم إنه تعالى لما ذكر من ينيب من عباده ذكر منهم من أناب وأصاب ومن جملتهم دَاوُد كما قال تعالى عنه : ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [ص : ٢٤].

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٤

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ فقوله : " مِنّا " إشارة إلى بيان فضل داود لأن قوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ منّا فضلاً﴾ مستقبل بالمفهوم وتام كما يقول القائل : آتَى الملك زيداً خلعةً ، فإذا قال القائل : آتاه منه خلعَةً يفيد أنه كان من خاصِّ ما يكون له فكذلك إيتاء الله الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض ، ونطيره قوله تعالى : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة : ٢١] فإنَّ رحمه الله واسعةٌ تصلُ إلى كل أحد لكن رحمته في الآخرة على المؤمنين رحمه من عنده لخواصِّه ، والمراد بالفضل النبوة والكتاب ، وقيل : الملك ، وقيل : جمعي ما أوتِيَ من حُسْن الصوت وتَلْيين الحديد وغير ذلك مما خُصَّ به.

قوله : " يَا جِبَالُ " محكيّ بقول مضمر ، ثم إن شئت قدرته مصدراً ويكون بدلاً من " فضلاً " على جهة تفسيره به كأنه قيل : آتيناهُ فضلاً قولَنَا يَا جبالُ ، وإن شئت جعلته مستأنفاً.

قوله : " أَوِّبي " العامة على فتح الهمزة ، وتشديد الواو ، أمراً من التَّأويب وهو

٢٠

التَّرجيع ، وقيل : التسبيح بلغة الحَبَشَة ، وقال القُتَيْبِيُّ : أصله من التأويل في السير وهو أن يسير النهار كله ، وينزل ليلاً كأنه قال : أدْأَبِي النَّهار كُلَّهُ بالتسبيح معه ، وقال وهب : نوحي معه ، وقيل : سيري معه ، وقيل : سيري معه ، والتضعيف يُحتمل أن يكون للتكثير ، واختار أبو حيان أن يكون للتعدي قال : لأنهم فَسَّروه برجع مع التسبيح ، ولا دليل فيه لأنه دليل معنى.

وقرأ ابنُ عباس والحَسَنُ وقتادةُ وابنُ أبي إسحاق : أُوبِي بضم الهمزة أمراً من آبَ يَؤُوبُ أي ارجع معه

بالتسبيح.

قوله : " والطير " العامة على نصبه وفيه أوجه : أحدهما : أنه عطف على محل جبال لأنه منصوب تقديراً.

الثاني : أنه مفعول معه قاله الزجاج.

ورد عليه بأنه قبله لفظ " معه " ولا يقتضي العامل أكثرَ من مفعول معه واحد إلا بالبدل أو العطف لا يقال : جَاءَ زَيْدٌ مَعَ بَكْرٍ مَعَ عَمْرٍو قال شهاب الدين : وخلافهم في تَقَصِّيه حالين يقتضي مجيئه هنا.

الثالث : أنه عطف على " فضلاً " ، ولا بدّ من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلاً وتَسْبِيح الطير.

٢١

الرابع : أنه منصوب بإضمار فعل أي سَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ.

قاله أبو عمرو ، وقرأ السُّلَميُّ والأعرجُ ويعقوبُ وأبو نوفل وأبو يَحْيَى وعاصمٌ - في رواية - والطَّيْرُ بالرفع ، وفيه أوجه : **النسق على** لفظ " الجبال " وأنشد : ٤١١٤ - أَلاَ يَا زَيْدُ وَالضَّحَّاكُ سِيرَا

فَقَدْ جوزتُمَا خَمَرَ الطَّرِيق

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٢٠

". (١)

"إلا بعلمه﴾ كمال علمه.

ثم بين نفوذ إرادته بقوله : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ فبين أنه هو القادرُ العليم المريد والأصنام لا قدرة لها (ولا علم) ولا إرادة فكيف يستحق شيء منها العبادة.

ثم قال : ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي الخلق من التراب.

ويحتمل أن يكون المراد إن التعمير والنقصان على الله يسير.

ويحتمل أن يكون المراد : إن العمل بما تحمله الأنثى يسير والكل على الله يسير.

والأول أشبه لأن استعمال اليسير في الفعل أليق.

قوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ يعني العذب والملح ثم ذكرهما فقال : ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ طيب " سَائِغٌ شَرَابُهُ " جائز في الحلق هنيء " وَهَذا مِلْحٌ أجَاجٌ " شديد الملوحة.

وقال الضحالك : هو المُرُّ.

قوله : ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُ﴾ يجوز أن يكون متبدأ وخبراً ، والجملة خبر ثانٍ و أن يكون " سائغٌ " خبراً و "

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٦١

شرابه " فاعلاً به لأنه اعتمد وقرأ عيسى – ويوى عن أبي عمرو وعاصم – سَيِّغٌ مثل سيِّد وميِّت وعن عيسى بتخفيف يائه كما يخفف هَيِّن ومَيِّت.

وقرأ طلحة وأبو نُهَيْك ملحٌ بفتح الميم وكسر اللام ، فقيل : هو مقصور من مَالِحٍ ومالِح لغَيَّة شاذة.

قويل : مَلِح بالفَتْح والكسر لُغَةٌ في مِلْحٍ ، بالكسر والسكون.

فصل قال أكثر المفسرين : إن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن فالإيمان لا يُشَبَّه بالكفر كما لا يشبه البحر العَذْبُ الفراتُ بالبحر المَلِح الأجاج ثم على هذا فقوله : ﴿وَهَـاذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً﴾ فالبيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين لأن الأجاجَ يشارك الفُرَاتَ في خير ونفع إذ اللحمُ

١١٥

الطريُّ يوجد فيهما والحِلْية تؤخذ منها والفُلْكُ تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر.

وهذا **على نَسَقِ قوله** تعالى : ﴿أُوْلَـائِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وقوله : ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ﴾ [البقرة : ٧٤] قال ابن الخطيب : والأظهر أن المراد من ذكر دليل آخر على قدرة الله تعالى وذلك من حيث إن البحرين يَسْتَوِيَانِ في الصورة ويختلفان في الماء ، فإن أحدهما فُراتٌ والآخر مِلْح أُجَاج ولولا ذلك بإيجاب مُوجِب لما اختلفت المستويان ثم إنهما بعد اختلافهما يوجد منهما أمور متشابهة فإن اللحم الطريَّ يوجد فيهما والحِلْية تؤخذ منهما ومن يوجد من المتشابهين اختلافاً ومن المختلفين اشتباهاً لا يكون إلا قادراً مختاراً فقوله : ﴿مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ إشارة إلى أن عدم استوئهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته.

فصل قال أهل اللغة : لا يقال لماء البحر إذا كان فيه مُلُوحَةٌ مالحٌ وإنما يقال له : مِلْح.

وقد يذكر في بعض كتب الفقه يَصِيرُ بها ماءُ البَحْرِ مَالِحاً.

ويؤاخذ قائله (به) وهو أصح مما يذهب إليه القوم وذلك لأن الماء العذب إذا ألقي فيه مِلْح حتى مَلَحَ لا يقالُ له إلا مالح.

وماء مِلْحٌ يقال للماء الذي صار من أصل خِلْقَتِهِ كذلك لأن المَالِحَ شيء فيه مِلْحٌ ظاهر في الذَّوْق والماء الملح ليس ماءً ومِلْحاً بخلاف الطعام المالح فالماء العذب المُلْقَى فيه المِلْح ما فيه ملح ظاهر في الذَّوْق بخلاف (ما هو مِلْحٌ ظاهر في الذَّوْقِ بخلاف) ما هو من أصل خلقته كذلك (فلما) قال الفقيه : الملحُ أجزاء أرضيَّة سَبِخَة يصير بها ماءُ البَحْرِ مالحاً راعى فيه الأصل فإنه جعله ماءً جاوره مِلْحٌ.

وأهل اللغة حيث قالوا في البحر ماؤه مِلْحٌ جعلوه كذلك من أصل الخلقة والأجَاجُ المُرُّ كما تقدم.
قوله : ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحماً طَرِيّاً﴾ من الطَّيْر والسَّمَك من العَذْب والملح جميعاً " وتَسْتَخرِجُونَ حِلْيَةً " يعني من الملح دون العذب " تَلْبَسُونَهَا " من اللُّؤْلُؤ والمَرجَان.
وقيل : نسب اللؤلؤ إليهما لأنه قد يكون في البحر الأجاج (عيون) عذبة تمتزج بالملح فيكون
١١٦
". (١)

"والمفعول محذوف أي أصاب جنوده أي حيث وَجَّهَهُمْ وَجَعَلَهُمْ يَصُوبُونَ صَوْبَ المطر ، و " الشياطين " نسقٌ على " الريح " و " كل بناء " بدل من " الشياطين " كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية.
روي أن سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - أمر الجانَّ فبنت له إصْطَخْرَ ، فكانت فيها قرار مملكة النزل قيدماً ، وبنت هل الجان أيضاً " تَدْمُر " وبين المقدس وباب جبرون وباب البريد الذين بدمشق على أحد الأقوال ، وبنوا له ثلاثة قصور باليمن غدان وشالخين وينون ومدينة صنعاء.
قوله : " وغواص " نسق على " بناء " أي يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ.
وألا بصيغة المبالغة لأنه في معرض الامتنان.
قوله : ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطف على " كُلَّ " فهو داخل في حكم البدل وتقدم شرح " مُقَرَّنِينَ في الأصْفَادِ " آخِرَ سورة إبراهيم.
٤٢٤
فصل قال ابن الخطيب : دلت هذه الآية على أن الشياطين لها قولة عظيمة قدروا ب ه ا على بناء تلك الأبنية العطيمة التي لا يقدر عليها البَشَر ، وقدروا على الغوص في البحار واستخراد الآلئ وقيدهم سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - .
ولقائل أن يوقل : هذه الشياطين إما أن تكون أجسادهُم كثيفةً أو لطيفةً ؛ فإن كانت كثيفة وجب أن يراهم من كان شديد الحاسّة ؛ إذْ لو جاز أن لا نراهم مع كثافة أجْسادهم فليَجُزْ أن تكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة ولا نراها ولا نسمعها وذلك وذلك دخول في السَّفْسَطَةِ وإن كانت أجسادهم لطيفةً فمثل ها يمتنع أن يكون موصوفاً بالقوة الشديدة ، ويلزم أيضاً أن تتفرق أجسادُهُمْ وأن تَتَمزَّق بالرِّياح العاصفة القوية وأن يموتوا (في الحال) وذلك يمنع وصفهم بالقوة وأيضاً فالجِنّ والشياطين وإن كانوا موصوفين بهذه القوة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٩٧

والشدة فِلَمَ لا يقتلون العُلَمَاء والزُّهَّاد في زماننا هذا ولِمَ لا يُخَرِّبُون ديار الناس مع أن المسلمين يبالغون في إظهار لعنتهم وعدواتهم وحيث لم يحس بشَيْءٍ مِنْ ذلكَ عَلِمْنَا أن القولَ بإثبات الجنِّ ضعيفٌ.

قال ابن الخطيب : واعلم أن أصحابنا يجوزون أن تكون أجسادهم كثيفة مع أنا لا نراهم وأيضاً لا يبعد أن تكون أجسادهم لطيفة بمعنى عدم الكون ولكنها صُلبة بمعنى أنها لا تقل التفرق.

وأما الجُبَّائيّ فقد سلم أنها كانت كثيفة الأجسام ، وزعم أن الناس كانوا يشاهدونَهُمْ في زمن سُلَيْمَان - عليه (الصلاة و) السلام - ثم إنه لما توفي سليمان - عليه (الصلاة و) السلام - أمات الله أولئك الجنَّ والشياطين وخلق أنواعاً أخر من الجن والشياطين تكون أجسادهم في غاية الرِّقَّة ، ولا يكون لهم شيء من القوة ، والموجود في زماننا من الجن والشياطين ليس إلا من هذا الجنس - والله أعلم - .

قوله : ﴿هَذَا عَطَآؤُنا﴾ أي قلنا له : هذَا عَطاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ، قال ابن عباس : أعطِ من شئت وامنع من شئت.

قوله : " بغير حساب " فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه متعلق " بعَطَاؤُنَا " أي أعطيناك بغَيْر حساب ولا تقدير.

وهو دلالة على كثرة الإعطاء.

٤٢٥

الثاني : أنه حال من " عَطَاؤُنَا " أي في حال كونه غَيْر مُحَاسَبٍ عليه لأن جَمٌّ كثيرٌ يعسر عَلى الحُسَّابَ ضَبطُهُ.

الثالث : أنه متعلق " بامْنُنْ " أو " أَمْسِكْ " ، ويجوز أن يكون حالاً من فاعلهما أي غير محاسَبٍ عليه.

فصل قال المفسرون : معناه لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما (أَ) مْسَكْتَ ، قال الحسن : ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة إلا سليمان ، فإنه (إنْ) أعْطى أجر إن لم يعط لم يكن عليه تبعة.

وقال مقاتل : هذا في أمر الشياطين عين خل من شئت منهم وأمْسِكْ من شئت (منهم) في وثَاقِك لا تبعة عليك فيما تتعطاه.

قوله : ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ نسقاً على اسم " إنَّ " هو " لَزُلْفَى " وقرأ الحسنُ وابنُ أبي عَبْلَةَ برفعه على الابتداء ، وخبره مضمر ، لدلالة ما تقدم عليه ، ويقفان على (لَزُلْفَى) ويَبْتدَئانِ بـ " حُسْنَ مَآب " ؛ أي وحسن مآب له أيضاً.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٤١٢

قوله : (تعالى) : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ كقول " (وَاذكر) عَبدنا دَاوُدَ " وفيه الثلاثة الأوجه ، و " إِذْ نَادَى " بدل منه بدل اشتمال أي بأني ، وقوله : ﴿أَنِّي﴾ جاء به على حكاية كلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحكه لقال : " إِنَّه مَسَّهُ " لأن غائب.

٤٢٦

." (١)

"جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٣٤

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...

﴾ الآيات.

لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم سلاه أيضاً بذكر قصة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنه مع قوته ومعجزته بعثه إلى فِرْعَوْنَ وهامانَ وقارونَ فكذبوه ، وقالوا : ساحر كذاب ، فلما جاءهم بالحق من عندنا أي بتلك الآيات الباهرة والسلطان المبين وهو المعجزات القاهرة قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ، قال قتادة : هذا غير القتل الأول ؛ لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الوِلْدَانِ فلما بعث موسى دعا بالقتل عليهم لئلا ينشأوا على دين موسى فيقوَى بهم ، وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات فلهذا أمر بقتل الأبناء واسْتَحْيُوا نِساءهم ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ثم قال : ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ أي وما مكر فرعون وقومه واحتيال ه م إلا في ضلال.

قوله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ أي وقال فرعون لِمَلئِهِ ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ فتح ابن كثير ياء " ذروني " وسكنها الباقون.

وإنما قال فرعون ذلك ؛ لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى وفي منعهم من قتله احتمالان : الأول : أنهم منعوه من قتله لوجوه : الأول : لعله كان فيه من يعتقد بقلبه كون موسى صادقاً فيتحيل في منع فرعون من قتله.

وثانيهما : قال الحسن : إن أصحابه قالوا له : لا تقتله فإنما هو ساحر ضعيف ولا

٣٦

يمكن أن يغلب سَحَرَتَنَا وإن قَتَلْتَهُ أدخلتَ الشبهةَ على الناس ويقولوا : إنه كان محقاً وعجزا عن جوابه فقتلوه.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٣٢٤

وثالثها : أنهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لأجل أن يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب أولئك الأقوام ؛ لأن من شأن الأمراء أن يشغلوا قلب ملكِهِم بخصمٍ خارجي حتى يصيروا آمنين من قلب ذلك الملك.

الاحتمال الثاني : أن أحداً ما منع فرع من قتل موسى وأنه كان يريد قتله ، إلا إنه كان خائفاً من أنه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرات تمنعه من قتله فيفتضح إلا أنه قا ذروني أقتل موسى وغرضه منه إخفاء خوفه.

قوله : " ولْيَدْعُ رَبَّهُ " أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله فيمنعه منا ؛ ذكر ذلك استهزاءًا.

قوله ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ قرأ الكوفيون ويعقوبُ (أو أن) بأو التي للإبهام ومعناه أنه لابد من وقوع أحد الأمرين والباقون **بواو النسق على** تسلط الخوف من التبديل وظهور الفاسد معاً.

وفتح نافع وابن كثير وابو عمرو الياء من " إِنّي أخاف " ؛ وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص " يُظْهِر " بضم الياء وكسر الهاء من أظهر ، وفاعله ضمير موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ " الفَسَادَ " نصباً على المفعول به والباقون بفتح الياء وا،هاء من ظَهَرَ الفسادُ ، " الفَسَادُ " رفعاً ، وزيد بن علي يُظْهَرُ مبنياً للمفعول الفَسَاد مرفوع لقيامه مقام الفاعل ومجاهد " يَظَّهَّر " بتشديد الظاء والهاء ، وأصلها يَتَظَهَّر من تَظَهَّر بتشديد الهاء فأدغم التاء في الظاء ، " الفسادُ " رفع على الفاعلية.

فصل ذكر فرعونُ النسبَ الموجبَ لقتل موسى وهو أن المُوجِبَ لقتله إما فساد الدين أو فساد الدنيا ، أما فساد الدين فلأن القوم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو دينهم الذي كانوا عليه ، فلما كان موسى ساعياً في إفساده اعتقدوا أنه ساع في إفساد الدين الحق ، وأما فساد الدنيا فهو أنه لا بد وأن يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سبباً لوقوع الخصومات وإثارة الفتن ، ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبّهم لأمالهم لا جَرَمَ بدأ فرعونُ بذكر الدين فقال : ﴿إني أخاف أن يبدل

٣٧

". (١)

"قوله تعالى : ﴿فَمَآ أُوتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى : ٣٦] الآية لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها ؛ لأن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٣٩٥

المانع من قبول الدليل هو الرغبة في الدنيا ، فقال : " وَمَا أوتِيتُمْ " " ما " شرطية ، وهي في محل نصب مفعولاً ثانياً " لأوتِيتُمْ " والأول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل ، وإنما قدم الثاني ؛ لأن له صدر الكلام ، وقوله : " مِنْ شَيْءٍ " بيان لما الشرطية لما فيها من الإيهام.

وقوله " فَمَتَاعُ " الفاء جواب الشرط و " متاع " خبر مبتدأ مضمر أي فهو متاع ، وقوله " فَمَتَاعُ " الفاء جواب الشرط و " متاع " خبر خبرها ، و " لِلَّذِينَ " يتعلق " بَأَبْقَى " .

٢٠٨

فصل المعنى : وما أوتيتم من شيء من رياش الدنيا فمتاع الحياة الدنيا ليس من زاد المعاد ، وسماه متاعاً تنبيهاً على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيهاً على انقراضه ، وأما الآخرة فإنها خير وأبقى والباقي خير من الخَسِيس الفاني.

ثم بين أن هذه الخيرية إنما تحصل لمن كان موصوفاً بصفات منها أن يكون من المؤمنين فقال ﴿لِلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وهذا يدل على من زعم أن الطاعةت توجب اثواب ؛ لأنه متكل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الآية.

الصفة الثانية : قوله : " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ " **نسقٌ الى** " الذين " الأولى.

وقال أبو البقاء : " الذين يجتنبون " في موضع جر بدلاً من " الَّذِينَ آمَنُوا " ويجوز أن يكون في محل نصب بإضمار " أعْنِي " أو في موضع رفع على تقدير " هُمْ " وهذا وَهَمٌ منه في التلاوة كأنه اعتقد أن القرآن : وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون فبنى عليه الثَّلاثة الأوجه وهو بناء فاسد.

قوله : " كَبَائِرَ الإِثْمِ " قرأ الأخوان هنا وفي النجم : " كَبِيرَ الإِثْمِ : بالإفراد ، والباقون كَبَائِرَ بالجمع في السورتين ، والمفرد هنا في معنى الجمع والرسم الكريم يحتمل القراءتين.

فصل تقدم معنى كبائر الإثم في سورة النساء.

قال ابن الخطيب : نقل الزمخشري عن ابن عباس : أن كبير الإثم هو الشرك ، وهو عندي ضعيف لأن شرط الإيمان مذكور وهو يغني عن عدم الشرك ، وقيل : كبائر الإثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات. وأما

٢٠٩

الفواحش فقال السدي : يعني الزنا.

وقال مقاتل : ما يوجب الوحدَّ.

قوله : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ﴾ : إذا " منصوبة بيغفرون ، و " يَغْفِرُونَ " خير لهم والجملة بأسرها عطف على الصلة وهي " يجتنبون " ، والتقدير : والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف اسمية على فعلية.

ويجوز أن يكون " هم " توكيد للفاعل في قوله : " غضبوا " ، وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط.

وقال أبو البقاء : هم مبتدأ ، ويغفرون الخبر ، والجملة جواب إذا.

قال شهاب الدين : وهذا غير صحيح ، لأنه لو كان جواباً لإذا لاقترن بالفاء ، تقول : إذا جاء زيدٌ فعمرو منطلق ، ولا يجوز : عمرو ينطلق.

وقيل : (هم) مرفوع بفعل مقدر يفسره " يغفرون " بعده ولما حذف الفعل انفصل الضمير.

ولم يستبعده أبو حيان ، وقال : ينبغي أن يجوز ذلك في مذهب سيبويه ، لأنه أجازه في الأداة الجازمة تقول : إنْ يَنْطَلِقْ زَيْدٌ ينطلق تقديره : ينطلق زيد ينطلق فينطلق واقع جواباً ومع ذلك فسَّر الفعل فكذلك هذا.

وأيضاً فذلك جائز في فعل الشرط بعدها نحو : إذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ فليجز في جوابها أيضاً.

فصل وإذا ما غضبوا هم يغفرون يَحْلِمُونَ ويَكْظِمُونَ الغيظ ، وخص الغضب بلفظ الغفران ؛ لأن الغضب على طبع النار واستيلاؤه شديد ومقاومته صعبة ، فلهذا خصه الله تعالى بهذا اللفظ.

قوله (تعالى) : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ أي أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته.

وقال ابن الخطيب : المراد منه تمام الانقياد.

فإن قيل : أليس أنه لما حصل الإيمان فيه شرطاً فقد دخل في الإيمان إجابة الله ؟ ! والجواب : أن يحصل هذا على الرضا بضاء الله من صميم القلب وأن لا يكون في

٢١٠

." (١)

"قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ﴾ فيقال لهم : أَلْيسَ هَذا بالْحَقِ قَالُوا بَلَى فقوله : أليس هذا معمول لقول مضمر هو حال كما تقدم في نظيره.

والمقصود من هذا الاستفهام التهكم والتوبيخ على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده.

فيقال لهم ﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٤٧١

قوله تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ الفاء في قوله " فَاصْبِر " عاطفة هذه الجملة على ما تقدم ، والسببية فيها ظاهرة.

واعلم أنه تعالى لما قرر المَطَالِبَ الثّلاثَة وهي التوحيد والنبوة وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذلك لأن كانوا يؤذونه ويُوجِسُون صدره فقال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ﴾ أي أُولو الجِدِّ والصَّبْر والثَّبَات وقال ابن عباس ـ (رضي الله عنهما) ـ أولو الحَزْم.

قوله : ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ يجوز أن تكون من تبعيضية ، وعلى هذا فالرُّسُلُ أَولُو عَزْم وَغيرُ أُولِي عَزْمٍ.

ويجوز أن يكون للبيان فكلهم على هذا أُولو عَزْم.

قال ابن زيد : كُلّ الرُّسُلِ كانوا أولى عزم ولم يبعث الله نبياً إلا كان ذَا عَزْم وحَزْمٍ ، ورأي وكمال عقل.

وإنما دخلت مِنْ للتَّجْنِيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت (أكسية) من الخَزِّ وأَرْدِيَةً من البزّ.

وقيل : الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يُونُسَ لعجلة كانت منه ، ألا ترى أنه قيل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم : ٤٨] وقيل هم نُجَبَاء الرسل ، وهم المذكورون في سورة الأنعام ، وهم ثَمَانِيَةَ عَشَرَ لقوله بعد ذكرهم : " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ فبهداهُم اقْتَدِهْ ".

وقال الكلبي : هم الذين أمروا بالجهاد ، وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل : هم ستة : نوحٌ وهودٌ ، وصالحٌ ، ولوطُ ، وشعيبٌ ،

٤٢٠

ومُوسَى ، وهم المذكورون على النَّسقِ في سورة الأعْراف والشُّعَرَاءِ.

وقال مقاتل : هم ستة ، نوح صبر على أذى قومه ، كانوا يضربونه حتى يُغْشَى عَلَيْه ، وإبراهيم صَبَرَ على النار وذبْح الوَلَد ، وإسحاق صبر على الذبح ، ويعقوب ، صبر على فَقْد ولده ، وذَهَابِ بصره ، ويوسفُ صبر في الجُبِّ والسِّجْن ، وأيوبُ صبر على الضُرِّ.

وقال ابن عباس وقتادة : هم نوح ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى أصحاب الشرائع ، فهم مع مُحَمَّد خمسة.

وقال البغوي : ذكرهم الله على التخصيص في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب : ٧] وفي قوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾ [الشورى : ١٣] الآية روي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لعائشة : يا عائشةُ إن الله لم يرض لاولي العزم إلا بالصّبر على مكروهها ، والصبر على محبوبها لم يرضَ إلا ان كلفني ما كلفهم قال : ﴿فاصبر كما

صبر أولو العزم من الرسل﴾ ، وإني والله لا بدّ لي من طاعة ، والله لأصبرنَّ كما صَبَرُوا وأَجْهَدَنَّ ولا قوة إلا بالله.

قوله : ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ العذاب فإنه نازل بهم.

قيل : إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضجر من قومه بعضَ الضَّجَر ، وأحبَّ أن ينزل الله العذاب بمن أبى من قومه ، فأمر بالصبر ، وترك الاستعجال.

ثم أخبر أن ذلك العذاب إذ أنزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوا اْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ إذا عاينوا العذاب صار طُول لَبْثِهِمْ في الدنيا والبْرزَخ كأنه ساعةٌ من النهار ، أو كان لم يكن لهول ما عاينوا ، لأن ما مضى وإن كان طويلاً صار كأنه لم يكن ، قال الشاعر : ٤٤٦١.كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ إذَا مَضَى

كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ إذَا أَتَى

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤١٤

واعلم أنه تم الكلام ههنا.

قوله : " بلاغ " العامة على رفعه.

وفيه وجْهَان : أحدهما : أنه خبر مبتدأ محذوف ، فقدره بعضهم : تلكَ الساعةُ بلاغٌ ، لدلالة قوله : ﴿إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾.

وقيل : تقديره هذا أي القرآن والشرع بلاغٌ من الله إليكم.

والثاني : أنه مبتدأ والخبر قله " لَهُمْ " الواقع بعد قوله ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل﴾ أي لهم بلاغ

٤٢١

فيوقف على " ولا تستعجل ".

وهو ضعيف جداً ، للفصل بالجملة التشبيهية ، ولأن الظاهر تَعَلُّق " لهم " بالاسْتِعْجَالِ فهو يشبه الهيئة والقطع.

وقرأ زيد بن علي والحسن وعيسى " بلاغاً " نصباً على المصدر أي بلّغ بلاغاً.

ويؤيده قراءة ابن مِجْلَزِ " بَلِّغْ " أمراً.

وقرأ أيضاً " بَلَّغَ " فعلاً ماضياً.

ويؤخذ من كلام مَكِّيِّ أنه يجوز نصبه نعتاً " لِسَاعَةِ " فإنه قال : " ولو قرىء بلاغاً بالنصب على المصدر

، أو على النعت لساعة جاز ".
وكأنه لو لم يطلع على ذلك قراءة.
وقرأ الحسن أيضاً : بَلاَغٍ بالجر ، ويُخَرّج على الوصف لـ " نَهَار " على حذف مضاف أي من نهارٍ ذي بلاغ ، أو وصف الزمان بالبلاغ مبالغةً.
والبلاغ بمعنى التَّبْلِيغ.
قوله : " فهل يهلك " العام على بنائه للمفعول.
وابن محيصن يَهْلِكُ ـ بفتح الياء وكسر اللام ـ مبنياً للفاعل.
وعنه أيضاً فتح اللام وهي لغةٌ والماضي هَلِكَ ، بالكسر.
قال ابن جني : "كُلٌّ مَرْغُوبٌ عَنْهَا ".
وزيد بن ثابت : بضم الياء وكسر اللام ، فالفاعل هو الله تعالى.
﴿الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
نصباً على المفعول به.
وقرىء : " تَهْلِكُ " بالنو وكسر اللام ونب " الْقَوْم ".
فصل المعنى فهل يهلك بالعذاب إذا نزل إلاّ القَوْم الفاسقون الخارجون عن أمر الله قال الزجاج : تأويله لا يَهْلِكُ مع رحمة الله وفضْلِهِ إلاَّ القَوْم الفاسقون ، ولهذا قال
٤٢٢
قومٌ : مَا فِي الرَّجَاءِ لِرَحْمَةِ الله أقْوَى مِنْ هذه الآية.
روى أبيّ بن كعب (ـ رضي الله عنه) ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " مَنْ قَرَأَ سُورَة الأَحْقَافِ أُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ رَمْلٍ فِي الدُّنْيَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ومُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ ورُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ " (اللَّهُمَّ تَوفَّنَا مُسْلِمِينَ).
٤٢٣
جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤١٤." (١)
"بتقدير الله ، كما أنه كف أيهديهم عنكم بالفرار ، وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم.
روى ثابتٌ عن أنس بن مالك ـ (رضي الله عنه) ـ أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هُبَطُوا على رسول الله ـ

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ ، ص/٤٥٦٠

صلى الله عليه وسلم ـ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غِرَّةَ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه فأخذهم سلْماً فاستحياهم فأنزل الله : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

قال عبدالله بن مُغَفَّل المُزَنيّ : كنا مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله تعالى " في القرآن " ، وعلى ظهره غُصْنٌ من أغصان الشجرة فرفعته عن ظهرِهِ ، وعلي بن أبي طالب ـ (رضي الله عنه) ـ بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فنادَوْا في وجوهنا فدعى عليهم نبي الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جئتم في عهد (أحد) أو هل جَعَلَ لكم أحد أمناً ؟ قالوا : اللَّهم لا فَخَلَّى سبيلهم.

فأنزل الله هذه الآية.

قوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾ قرأ أبو عمرو يَعْلَمُونَ بالياء وقرأ الآخرون بالتاء من فوق قرأ الغيبة فهو رجوع إلى قوله : " أَيْدِيَهُمْ " وَ " عَنْهُمْ ".

ومن قرأ بالخطاب فهو رجوع إلى قوله : أَيْدِيَكُمْ " و " عَنكُم " ، والمعنى أن الله يرى فيه من المصلحة وإنْ كُنْتُمْ لا ترون ذلك.

ثم بين ذلك بقوله تعالى : ﴿مُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وهذا أشارة إلى أن الكف لم يكن الأمر (فيهم) لأنهم كفروا وصدوكم وأحصروا وكل ذلك يقتضي قتَالَهُم ، فلا يقع لأحد أن الفريقين اتفقوا واصطلحوا ، ولم يكن بينهما خلاف ولا نزاع بـلا الاختلافُ والنزاعُ باقٍ مستمر ؛ لأنهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادُوا كفراً وعداوةً ، وإنما ذلك للرجال المؤمنينَ والنِّساء المؤمنات.

قوله : " وَالهَدْيَ " العامة على نصبه ، والمشهور **أنه نسق على** الضمير المنصوب في

٥٠١

" صَدُّوكُمْ " وقيل : نصب على المعية.

وفيه ضعف ، لإمكان العطف.

وقرأ أبو عمرو ـ في رواية ـ بجره عطفاً على " المَسْجِدِ الحَرَامِ ".

ولا بد من حذف مضاف ، أي وعَنْ نَحْرِ الهَدْي ، وقرىء برفعه على أنه مرفوع بفعل مقدر لم يسم فاعله أي وصُدَّ الهَدْيُ.

والعامة على فتح الهاء وسكون الدال ، وروي عن أبي عمرو وعاصم وغيرهما كسر الدال وتشديد الياء.
وحكى ابن خالويه ثلاث لغات الهَدْي وهي الشهيرة لغة قريش ، والهَدِيّ والهَدَا.
قوله : " مَعْكُوفاً " حال من الهدى أي محبوساً ، يقال : عَكَفْتُ الرَّجُلَ عن حاجته.
وأنكر الفارس تعدية " عكف " بنفسه , وأثبتها ابن سِيدَهْ والأزهريّ وغيرُهُمَا.
وهو ظاهر القرآن لبناء اسم مفعول منه.
قوله : ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ فيه أوجه : أحدها : أنه على إسقاط الخافض ، أي " عَنْ " أو " مِنْ أن " وحينئذ يجوز في هذا الجار المقدر أن يتعلق . " صَدُّوكُمْ " وأن يتعلق بـ " مَعْكُوفاً " أي محبوساً عن بلوغ مَحِلِّهِ.
الثاني : أنه مفعول من أجله ، وحينئذ يجوز أن يكون علة للصد ، والتقدير : صدوا الهدي كراهة أن يبلغ محله وأن يكون علة لـ " مَعْكُوفاً " أي لأجل أن يبلغ محله ، ويكون الحبس من المسلِمِينَ.
الثالث : أنه بدل من " الهدي " بدل اشتمال أي صدوا بلوغ الهدي محله.
(فصل معنى الآية ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى كفار مكة " وَصَدُّوكُمْ " منعوكم ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ

٥٠٢

." (١)

"الْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا فيه " وَالهَدْيَ " أي وصدوا الهدي وهي البُدْنُ التي ساقها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وكانت سبعينَ بدنةً " مَعْكُوفاً " محبوساً ، يقال : عَكَفَهُ عَكْفاً إذا حبسه ، وعُكُوفاً ، كما يقال : رَجَعَ رَجْعاً ورُجُوعاً ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ مَنْحَرَهُ ، وحيث يحِلّ نحرُه يعني الحرم.
ثم قال : ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ يعني المستضعفين بمكة).
قوله : ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ صفة للصِّنْفين ، وغلب الذكور ، وقوله : ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ يجوز أن يكون بطلاً من " رجال ونساء " ، وغلب الذكور . كما تقدم . وأن يكون بدلاً من مفعول تَعْلَمُوهُمْ ، فالتقدير على الأول : ولولا وطءُ رجالٍ ونساءٍ غيرِ معلومين ، وتقدير الثاني : لم تَعْلَمُوا وَطْأَهُمْ ، والخبر محذوف تقديره : ولولا نساء ورجال موجودون أو بالحَضْرَةِ.
(وأما جواب " لولا " ففيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه محذوف ، لدلالة جواب " لو " عليه.
والثاني : أنه مذكور وهو " لَعَذَّبْنَا " وجواب " لو " هو المحذوف فحذف من الأول لدلالة الثاني ، ومن الثاني لدلالة الأول.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٥٩٥

والثالث : أن " لعذبنا " جوابهما معاً.

وهو بعيد إن أراد حقيقة ذلك.

وقال الزمخشري قريباً من هذا فإنه قال : ويجوز أن يكون : " لَوْ تَزَيَّلُوا " كالتكرير لِلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ لمرجعهما إلى معنى واحد ، ويكون " لَعَذَّبْنَا " هو الجواب.

ومنع أبو حيان مرجعهما لمعنى واحد ، قال : لأن ما تعلق به الأَوَّل غيرُ ما تعلَّق به الثاني).

فصل المعنى " لم تعلموهم " لم تَعْرِفُوهُم ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ بالقتل وتُوقعوا بهم.

﴿فَتُصِيبَكمْ مِّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ﴾.

قال ابن زيد إثم ذلك لأنكم ربما تقتلوهم فيلزمكم الكفَّار ، وهي دليل الإثم ، لأن الله تعالى أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدِّيَةِ ؛ قال تعالى : ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾

٥٠٣

[النساء : ٩٢].

وقال ابن إسحاق : غُرم الدية.

وقيل : إن المشركين يعيبوكم ويقولون قتلوا أهل دينهم وفعلوا بإخوانهم ما فعلوا بأعدائهم والمَعَرَّةُ السُّبَّة يقول لولا أن تطئوا رجالاً مؤمنينَ ونساءً مؤمناتٍ لا تعلموهم فيلزمكم به كفارة ويلحقكم به سُبَّة لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك.

قوله : " فَتُصِيبَكُمْ " نَسَقٌ على ﴿فَتُصِيبَكمْ﴾ وقوله ﴿أَن تَطَئُوهُمْ﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لـ " مَعَرَّة " وأن يكون حالاً من مفعول " تُصيبُكُمْ " وقال أبو البقاء : مِنَ الضمير المجرور يعني في " منهم ".

ولا يظهر معناه.

أو أن يتعلق " بتصيبكم " أو أن يتعلق " بتطئوهم " ؛ أي تطئوهم بغير علم.

(فإن قيل : هذا تكرار ، لأنه إن قلنا : هو بدل عن الضمير يكون التقدير : لم تعلموا أن تَطَئُوهُمْ بغير علم فيلزم تكرار بغَيرِ عِلْمٍ لحصوله بقوله : لَمْ تَعْلَمُوهُمْ ؟ .

فالجواب : أن يقال : قوله : " بِغَيْرِ عِلْمٍ " هو في موضعه أي فتصيبكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم من (الذي) يعرّكم ويعيبُ عليكم ، يعني إن وَطَأْتُمُوهُمْ غير عالمين يعركم (مَسبَّة) الكفار " بغير علم " أي بجهل لأنهم

لا يعلمون أنكم معذورون فيه.

أو يقال تقديره : لم تعلموا أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم فيكون الوطء الذي يحصل بغير علم معذورين فيه.

أو نقول : المعرَّة قسمان : أحدهما : ما يحصل من القتل العمد والعدوان ممن هو غير عالم بحال المحِلّ. والثاني : ما حصل من القتل خطأ وهو عند عندم العلم فقال : تصبيكم منهم معرة بغير علم لا التي تكون عند العلم).

والوَطْءُ هنا عبارة عن القَتْلِ والدَّوْسِ ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " اللَّهُمَ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ "

وأنشدوا : ٤٤٩٥. وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ

وَطْءَ المُقَيَّدِ ثَابِتَ الهَرَمِ

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٥٠٠

٥٠٤

." (١)

"خفْيةً في عسكره وقال : انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تَرَ ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ، ففعل ذلك خال ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم يَرَ منه إلا الطاعة والخَيْرَ وانصرف إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخبره فنزل ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ يعني الوليد بن عقبة " بِنَبأ " بخبر ، ﴿فَتَبَيَّنُوا اْ أَن تُصِيببُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ﴾ كيلا تصيبوا بالقتل والقتال قوماً بجالهة ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من إصابتكم بالخَطَأ ، " نَادِمينَ ".

قال ابن الخطيب : وهذا ضعيف ، لأن الله تعالى لم يقل : إني أنزلتها لكذا والنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم ينقل عنه أنه قال : وردت الآية لبيان ذلك حسب ، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو م ثل تاريخ نزول الآية ، ومما يصدِّق ذلك ويؤكده أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد ، بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ ، والمخطىء لا يسمَّى فاسقاً ، وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الإيمان ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون : ٦] وقوله تعالى : ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف : ٥٠] وقوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوا اْ أَن يَخْرُجُواُ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٥٩٦

[السجدة : ٢٠] إلى غير ذلك ؟ !.

فصل دلت الآية على أن خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل أما في المسألة الأولى فلأنه علل الأمر بالتوقف بكونه فاسقاً ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب على النسق فائدة وأما في المسألة الثانية فلوجهين : أحدهما : أنه أمر بالتبين وقيل قوله كان الحاكم مأموراً بالتبين ، فلم يفد قوله الفاسق شيئاً ، ثم إنَّ الله تعالى أمر بالتبين في الخبر والنبأ وباب الشهادة أضيق من باب الخبر.

الثاني : أنه تعالى قال : ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ﴾ ، والجهل فو الخطأ ؛ لأن المجتهد إذا أخطأ لا يسمى جاهلاً فالذي يبني الحكم على قول الفاسق إن لم يصف جاهلاً فلا يجوز البناءُ على قَوْلِهِ.

قوله : " أَنْ تُصِيبُوا " مفعول له كقوله : أَنْ تَحْبَطَ ".

قال ابن الخطيب : معناه على

٥٣١

مذهب الكوفيين لِئَلاّ تُصِيبُوا ، و على مذهب البصريين كَرَاهَةَ أَنْ تُصِبُوا.

قال : ويحتمل أن يكون المراد فتبينوا واتقوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، فقوله : " بِجَهَالةٍ " في تقدير حال أي تُصيبوهُمْ جَهلينَ ، ثم حقق ذلك بقوله : ﴿فتبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

وهذا بيان ، لأن الجاهل لا بد وأن ينقدم على فِعْلِهِ.

وقوله : " تصبحوا " معناه تصيبوا.

قال النحاة : أصبح يستعمل على ثلاثة أوجه : أحدها : بمعنى دخول الإنسان في الصباح.

والثاني : بمعنى كان الأمر وقت الصباح كما يقال : أصبحَ المريضُ اليومَ خَيْراً مما كان يريد كونه في وقت الصبح على حالةِ خير.

الثالث : بمعنى صار كقوله : " أَصْبَحَ زَيدٌ غَنَياً " أي صار من غير إرادة وقتٍ دونَ وقتٍ.

وهذا هو المراد من الآية.

وكذلك " أمسى وأَضْحَى ".

قال ابن الخطيب : والصيرورة قد تكون من ابتداء أمرٍ وَتدُومُ وقد تكون في آخر الأمر بمعنى آل الأمر إليه ، وقد تكون متسوطة ؛ فمثال الأول قوللك : صَارَ الطِّفْل فاهِماً حَدُّهُ.

ومثال الثالث قولك : صَار زيدٌ عالماً إذا لم ترد أخذه فيهِ ولا بلوغه ونهايته بل كونه ملتبساً به.

وإذا علم هذا فنقول : أصلُ استعمال أصبح فيما يصير الشيء بالغاً في الوصف نهايته وأصل أضحى

التوسط ، لا يقال : أهل الاستعمال لا يفرقون بين الأمور ويستعملون الألفاظ الثلاثة بمعنى واحداً ، لأنَّا نقول : إذا تقارَبتِ المعاني جاز الاستعمال ، وجواز الاستعمال لا ينافي الأصل ، وكثير من الألفاظ أصله معنى واستعمل استعمالاً شائعاً فيما يشاركه.

وإذا علم هذا فقوله تعالى " فَتُصْبِحُوا " أي فتَصِيروا آخذين في الندم ثم تِسْتَدِيمُونَهُ ، وكذلك في قوله : ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران : ١٠٣] أي أخذتم في الأخوَّة وأنتم فهيا زائدونَ مستمرُّون.

قوله : " نَادِمينَ " الندم هَمٌّ دائم ، والنون والدال والميم في تقلبها لا تَنْفَكُّ عن معنى الدوام كقول القائل : أدْمَنَ في الشُّرْب ومُدْمِنٌ أي أقام ومنه : المَدِينَةُ.

٥٣٢

". (١)

"وقال عطاء عن ابن عباس – (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ –) : يريد اختلاف الأَلْسنة والصور والألوان والطبائع.

وقال ابن الزُّبَيْر : يريد سبيل البول والغائط يَأْكُلُ ويَشْرَبُ من مَدْخَلٍ واحد ويَخْرج من سِبِيلَيْنِ.

وقوله : أفلا تبصرون " قال مقاتل : أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث ؟ قوله : " وفي أنفسكم " نَسَقٌ على (مَا) " في الأرض " فهو خبر عن " آيات " أيضاً ، والتقدير : وفي الأرض وفي أنفسكم آيات.

وقال أبو البقاء : وَمَنْ رَفَعَ بالظرف جعل ضمير " الآيات " في الظرف.

يعني من يرفع الفاعل بالظرف مطلقاً أي وإن لم يعتمد يرفع بهذا الجار فاعلاً هو ضمير " آيات ".

وجوز بعضُهم أن يتعلق بـ " يُبْصِرُونَ ".

وهو فاسدٌ ؛ لأن الاستفهام والفاء يمنعان جَوَازَهُ.

وقرأ قتادة : " آية " بالإفراد ، وقوله : " فِي أَنْفُسِكُمْ " يُحْتَمَلُ أن يكون المراد فِيكُمْ ، يقال : الحجارة في نفسها صُلْبَة ، ولا يراد بها النفس التي هي مَنْبعُ الحياة والحِسّ والحَرَكَات.

ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات وقوله : " أَفَلاَ تُبْصِرُونَ " بالاستفهام إشارة إلى ظهورها.

قوله : ﴿وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي سبب رزقكم.

وقرأ حُمَيْدٌ وابنُ مُحَيْصن : رازِقُكُمْ اسم فاعل ، والله تعالى متعالٍ عَنِ الجِهّةِ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٠٧

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : يعني بالرزق : المطر ؛ لأنه سبب الأَرزاق.

وقيل : في السماء رزقكم مكتوب ، وقيل : تقدير الأرزاق كلها من السماء ، ولولاه لما حصل في الأرض حبَّة قُوتٍ.

٧٥

قوله : " وَمَا تُوعَدُونَ " قال عطاء : من الثَّوَاب والعِقَاب ، وقال مجاهد : من الخَيْر والشَّرِّ.

وقال الضحاك : وما توعدون من الجَنَّة والنار فيكون المعنى على هذا : وما توعدون لحقّ ، كقوله : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات : 5] فإن قلنا : المراد بقوله : " وما توعدون " الجنة فهو من الوعد ، وإن قيل : المراد العذاب فيكون الخطاب مع الكفار.

قوله : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ الضمير إما للقرآن ، وإما " للدِّين " ، وإما " الْيَوْم " في قوله : ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات : ٦] و " يَوْمَ هُمْ " و " يَوْم الدِّينِ " ، وإما للنبيّ - صلى الله عليه وسلم - ودخلت الفاء بمعنى إنَّ ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم واليمين أو للعطف على قوله : " والذَّاريات " مع إعادة المقسم عليه لوقوع الفَصْل.

وأقسم أولاً بالمخلوقات وههنا بربها تَرَقِّياً من الأدنى إلى الأعلى.

قوله : " مِثْلَ مَا " قرأ الأخوانِ وأبو بكر مِثْلُ بالرفع ، وفيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه خبر ثانٍ مستقلٌّ كالأَول.

الثاني : أنه مع ما قبله خبرٌ واحد ، كقولك : هَذَا حُلْوٌ حَامِضٌ نقلهما أبو البقاء.

والثالث : أنه نعت لحَقٍ و " ما " مزيدة على الأوجه الثلاثة و " أَنَّكُمْ " مضاف إليه ، أي لَحَقٌّ مِثْلُ نُطْقِكُم ، ولا يضر تقدير إضافتها لمعرفة ، لأنها لا تتعرف بذلك لإبْهَامِهَا.

والباقون بالنصب ، وفيه أوجه : أشهرها : أنه نعت " لحَقّ " أيضاً كما في القراءة الأولى ، وإنما بني الاسم لإضافته إلى غير متمكن ، كما بناه الآخر في قوله :

٧٦

٤٥٢٢ - فَتَدَاعَى مِنْخَرَاهُ بِدَمٍ

مِثْلَ مَا أَثْمَرَ حُمَّاضُ الجَبَلْ

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٧٤

بفتح " مثل " مع أنها نعت لِ " دَمٍ " وكما بنيت " غَيْرُ " في قوله - (رحمةُ الله عليه) - : ٤٥٢٣ - لَمْ

يَمْنَع الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ

حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ

" غير " فاعل يمنع ، فبناها على الفتح لإضافتها إلى " أَنْ نَطَقَتْ " وقد تقدم في قراءة : ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام : ٩٤] بالفتح ما يُغْنِي عن تقرير مِثْلِ هذا.

الثاني : أن " مِثْلَ " ركّب مع " ما " حتى صارا شيئاً واحداً ، قال المازني : ومثله : وَيْحَمَا ، وهَيَّمَا وَأَيْنَمَا ، وأنشد لحُمَيْد بن ثَوْر - (رحمة اللَّهِ عليه رَحْمةً واسعةً -) : ٤٥٢٤ - أَلاَ هَيَّمَا مِمَّا لَقِيتُ وَهَيَّمَا

وَوَيْحاً لِمَنْ لَمْ يَدْرِ مَا هُنَّ وَيْحَمَا

قال : فلولا البناء لكان منوناً.

وأنشد أيضاً :

٧٧

٤٥٢٥ - ....

فَأَكْرِمْ بِنَا أباً وَأَكْرِمْ بِنَا ابْنَمَا

وهو الذي ذهب إليه بعض النحويين وأنشد : ٤٥٢٦ - أَثَوْرَ مَا أَصِيدُكُمْ أَمْ ثَوْرَيْنْ

أَمْ هَذِه الْجَمَّاءُ ذَاتُ القَرنَيْنْ

." (١)

"فإن قيل : كيف قال : سميتموها أنتم مع أن هذه الأسماء موضوعة قبلنا ؟ فالجواب : أن كل من نطق بهذه الألفاظ فهو كالمُبْتَدِئ الواضع ؛ لأن الواضع الأول لهذه الأسماء لما لم يكن واضعاً بدليل نقلي أو عقلي لم يجب اتباعه ولا يجوز فصار هو كالمبتدئ ؛ إذ لا مُقْتدى لَهُ.

فإن قيل : الأسماء لا تسمَّى وإنما يسمى بها فكيف قال : أسماء سميتموها ؟ فالجواب من وجهين : الأول : أن التسمية وضع الاسم فكأنه قال : أسماء وضعتموها ، فاستعمل سَمَّيْتُمُوهَا استعمال وضَعْتُمُوهَا.

الثاني : لو قال : أسماءٌ سمَّيْتُم بها لكان هناك غير الاسم شيء يتعلّق به الباء في قولك بها ؛ لأن قول القائل : سميت به يستدعي دخُولاً آخر ، تقول : سميتُ بزيدٍ ابني أو عبدي أو غير ذلك فيكون قد جعل للأصنام اعتباراً.

فإن قيل : هذا باطل بقوله تعالى : ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران : ٣٦] حيث لم يقل : وَ إنّي

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٦٥٧

سَمَّيْتُهَا بِمَرْيَمَ ولم يكن ما ذكرت مقصوداً وإلا لكانت مريم غير ملتفت إليها كما قلت في الأصنام.

فالجواب : بَيْنَهما بونٌ عظيم ؛ لأن هناك قال : سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ فذكر المفعولين فاعتبر حقيقة مريم بقوله : سميتها واسمها بقوله : مريم ، وأما ههنا فقال : ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ﴾ موضوعة فلم تعتبر الحقيقة ههنا واعتبرها في مريم.

قوله : ﴿مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ أي حجة بما يقولون : إنها آلهة.

واستعملت الباء في قوله (بِهَا) كقولك : ارْتَحَلَ فلاَنٌ بأهله ومَتَاعِهِ أي ارتحل ومعه الأهل والمتاع.

كذلك ههنا قوله : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ هذا رجوع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال : إن يتَّبعون إلاّ الظَّنَّ في قولهم : إنها آلهة.

قرأها العامة على الغيبة التفاتاً من خطابهم إلى الغيبة عنهم تحقيراً لهم ، كأنه قطع الكلام معهم وقال لنبيِّه : إنهم لا يتبعون إلا الظن فلا يلتفت إلى قولهم.

ويحتمل أن يكون المراد غيرهم ، وفيه وجهان : الأول : أن يكون المراد آباءهم كأنه تعالى قال : سَمَّيْتُمُوهَا أنتم وآباؤكم فكأنهم قالوا : هذه الأسماء لم نضعها نحن ، وإنَّما تلقيناها من آبائنا فقال : وسمَّاها آباؤكم وما يتبعون إلاَّ الظَّنَّ.

١٨٦

فإن قيل : كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضي.

فالجواب : وبصيغة المستقبل أيضاً كأنه يفرض الزمان (بعد) زمان الكلام كقوله تعالى : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف : ١٨].

الثاني : أن يكون المراد عامة الكفار.

وقرأ عبدُ الله وابنُ عباس وطلحةُ وعيسى بن عُمَر وابنُ وثاب : بالخطاب.

وهو حسن موافقٌ.

فإن قيل : كيف ذمهم على اتِّباع الظَّنِّ ونحن مأمورون باتباعه في الفقه ، وقال – عليه الصلاة والسلام – حكاية عن الله تعالى أنه قال : " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي ؟ " فالجواب : أن الظن خلاف العلم وقد استعمل مجازاً مكان العلم والعلم مكانه وأصل العلم الظهور ومنه العَالِم.

وحروف العلم في تَقَالِيبِها فيها معنى الظهور منها لَمَعَ البَرْقُ إذا ظَهَرَ ، ولَمَعَ الغَزَالُ إذا عَدا ، وكذلك عَلِمت.

والظن إذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه بئرٌ ظنونٌ لا يدري أفيه ماءٌ أم لا ؛ لخفاء الأمر فيه ودينٌ ظَنُونٌ.

يخفى الأمر فيه فنقول : يجوز بناء الأمر على الظن عند العجز عن درك اليقين ، وأما الاعتقاد فليس كذلك ، لأن اليقين لم يتعذّر علينا.

وإلى هذا أشار بقوله : ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ أي اتبعوا الظن وقد أمكنهم الأخذ باليقين.

وفي العمل يمتنع ذلك أيضاً.

والله أعلم.

قوله : ﴿وَمَا تَهْوَى **الأَنفُسُ﴾ نسق على** (الظّن) و " ما " مصدرية ، أو بمعنى الذي.

والمراد بما تهوى الأنفس هو ما زين لهم الشيطان.

قوله : ﴿وَلَقَدْ جَآءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ يجوز أن يكون حالاً من فاعل (يَتَّبِعُونَ) أي يَتَّبَعُون الظنَّ وهوى النفس في حالٍ تُنافي ذلك وهي مجيء الهدى من عند ربهم.

ويجوز أن يكون اعتراضاً فإن قوله : " أمْ للإِنْسَانِ " متصل بقوله : ﴿وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ ، وهي أم المنقطعة ، فتقدر ببل والهَمْزَة على الصَّحِيح.

قال الزمخشري : ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنى.

١٨٧

فصل المعنى ولقد جاءهم من ربهم البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة وأن العبادة لا تصلح إلاَّ للَّهِ الواحد القهار.

﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴾ أيظن أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام.

ويحتمل أن يكون معناه : هل للإنسان أن يعبد بالتمني والاشتهاء ما تهوى نَفْسُهُ.

قوله ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ والأُولَى ﴾ أي ليس كما ظن وتمنى بل لله الآخرة والأولى لا يملك فيها أحدٌ شَيْئاً إلاَّ بإذنه.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١٧٧

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٧٠٥

"أبواب تأويلات الفلاسفةِ في أمر المعاد فإنهم يقولون في قوله : ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الحج : ٢٣] ليس هناك أنهار ولا أشجار ، وإنما هو مثل للّذة والسعادة ويقولون في قوله تعالى : ﴿ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ﴾ [الحج : ٧٧] وليس هناك ركوع ولا سجود وإنما هو مثل للتعظيم ، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع ، وفساد الدينِ ، وأما من قال : إنه لا يصار إلى التأويل ، إلا عند قيام الدليل على أنه لا يجوز حمله على ظاهره ، فهذا قولُ كُلِّ أحد من المتكلمين ، فأين الدقائق التي استند هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطةِ علم البيان ، ثم إن قال بعد أن حكى القول بأن المراد بالساق جهنم ، أو ساق العرش ، أو ساق ملك عظيم إن اللفظ لا يدل إلا على ساق ، وأما أي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه ، ثم ذكر حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم " أَنَّهُ تعالى يتَمثَّلُ للـخَلْق يَوْمَ القِيامةِ حِيْنَ يَمُرُّ المُسْلمُونَ فيقول : مَنْ تَعْبُدُونَ ؟ فيقولون : نَعْبُدُ اللَّهَ فيُشْهدُهمْ مرَّتينِ ، أو ثلاثاً ، ثُمَّ يقُولَ : هَلْ تَعْرفُون ربَّكُمْ ؟ فيقولون : لَوْ عرَّفنَا نَفسَهُ عرفْناهُ ، فعِنْدَ ذلِكَ يُكْشَفُ عن سَاقٍ فَلا يَبْقَى مُؤمِنٌ إلاَّ خَرَّ للَّه ساجِداً ، ويَبْقَى المُنافِقُونَ ظُهُورهُمْ كالطَّبَقِ الوَاحدِ ، كأنَّما فيهَا السَّفافِيدُ " قال : واعلم أن هذا القول باطل لوجوه : أحدها : أن الدلائل دلت على أن كل جسم متناهي وكل متناهٍ محدث ، وأنّ كلَّ جسم ممكن وكل ممكن محدث.

وثانيها : أنه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق أن يعرف أنها ساق مخصوصة معهودة عنده ، وهي ساق الرحمن ، أما إذا أجملت ففائدة التنكير : الدلالة على التعظيم ، كأنه قال : يوم يكشف عن شدة ، وأي شدة لا يمكن وصفها.

وثالثها : أن التعريف لا يحصل بالـكشف عن الساق ، وإنما يحصل بكشف الوجه ، ثم حكى قول أبي مسلم : بأنه لا يمكن حمله على يوم القيامة ؛ لأنه تعالى قال في وصفه : ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ ويوم القيامة ليس فيها تعبد ، ولا تكليف ، بل المراد منه إما آخر أيام الرجل في دنياه ، كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان : ٢٢] وقوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام : ١٥٨] الآية لأنه الوقت الذي لا تنفع نفساً إيمانها ، وإما حال المرض والهرم والعجز ، ثم إنه يرى الناس يدعون إلى

٣٠٢

الصلاة إذا حضرت أوقاتها ، وهو لا يستطيع الصلاة ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ مما بهم الآن من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت ، أو من العجز والهرم ، ونظير هذه الآية

﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة : ٨٣].

قم قال : واعلم أنه لا نزاع في أنه يمكن حمل اللفظ على ما قال أبو مسلم ، ثم قال : فأما قوله : " إنه لا يمكن حمله على يوم القيامة بسبب أن الأمر بالسجود حاصل في الدنيا والتكاليف زائلة يوم القيامة ".

فجوابه : أن ذلك لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلت : إن ذلك غير جائزٍ.

قوله ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ معافون أصحاء.

قال إبراهيم التيمي : أي : يدعون بالأذان ، والإقامة ، فيأبون.

وقال سعيد بن جبيرٍ : كانوا يسمعون حيّ على الفلاح ، فلا يجيبون ، وهم سالمون أصحاء.

وقال كعبُ الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات.

وقيل : أي : بالتكليف الموجه عليهم في الشرع.

قوله : ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَاذَا الْحَدِيثِ﴾ ، أي : فدعني والمكذبين بالقرآن وخلّ بيني وبينهم.

وقال الزجاجُ : لا تشغل بالك به كِلْهُ إليّ ، فإني أكفيك أمره.

و " مَنْ " منصوب إما نسقاً على ضمير المتكلم ، أو مفعول معه ، وهو مرجوح ؛ **لأمكان النسق من** غير ضعف ، وتقدم إعراب ما بعده.

فصل في مناسبة الآية لما قبلها لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف مما عنده ، وفي قدرته من القهر ، يقال : ذَرْني وغياه أي كِلْهُ إليّ ، فأنا أكفيكه.

قال السديُّ : والمراد بالحديث القرآن.

وقيل : يوم القيامةِ ، وهذا تسلية للنبيّ صلى الله عليه وسلم.

قوله : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ، أي : سنأخذهم على غفلة ، وهم لا يعرفون ، فعذبوا يوم بدر.

٣٠٣

". (١)

"قال شهاب الدين : " قد أطلق " ابن مالك أن الجملة المنفية سواء كانت اسمية ، أم فعليه تنفى بـ " ما " ، أو " لا " ، أو " إن " بمعنى : " ما " ، وهذا هو الظاهر ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٠١٣

وباقي السبعة : ترفعه ، على الابتداء وخبره الجملة من قوله " لا إله إلا الله " ، أو على خبر ابتداء مضمر ، أي : " هُو ربُّ " ، وهذا أحسن لارتباط الكلام بعضه ببعض.

وقرأ زيد بن علي : " ربَّ " بالنصب على المدح.

وقرأ العامة : " المشْرِق والمَغْرِب " موحدين.

وعبد الله وابن عباس : " المشَارِق والمغَارِب ".

ويجوز أن ينصب " ربَّ " في قراءة زيد من وجهين : أحدهما : أنه بدل من " اسم ربِّك " ، أو بيان له ، أو نعت له ، قاله أبو البقاء ، وهذا يجيء على أن الاسم هو المسمى.

والثاني : أنه منصوب على الاشتغال بفعل مقدر ، أي : فاتخذ ربَّ المشرق فاتخذه ومنا بينها اعتراض.

والمعنى : أن من علم أن هرب المشارق ، والمغارب انقطع بعمله إليه " واتَّخذهُ وَكِيْلاً " ، أي : قائماً

وقيل : كفيلاً بما وعدك.

٤٦٨

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٤٥٩

قوله : ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ ، أي : من الأذى ، والسب ، والاستهزاء ، ولا تجزع من قولهم ، ولا تمتنع من دعائهم ، وفوض الأمر إليّ ، فإني إذا كنت وكيلاً لك ، أقوم بإصلاح أمرك أحسن من قيامك بأمور نفسك ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ ، والهجر : ترك المخالطةِ ، أي : لا تتعرض لهم ، ولا تشتغل بمكافأتهم فإن ذلك ترك للدعاء إلى الله تعالى ، وكان هذا قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد ذلك بقتالهم.

قال قتادة وغيره ، نسختها آية القتال.

وقال أبو الدرداء : إنا لنكشر في وجوه [أقوام] ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم.

قال ابن الخطيب : وقيل وهو الأصح إنّها محكمة.

قوله : ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.

يجوز نصب " المُكذَّبِيْنَ " على المعية ، وهو الظاهر ، ويجوز على النسق وهو أوفق للصناعة.

والمعنى : ارض بي لعقابهم ، نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين.

وقال مقاتل : نزلت في المطعمين يوم بدر ، وهم عشرة تقدم ذكرهم في الأنفال.

وقال يحيى بن سلام : إنهم بنو المغيرة.

وقال سعيد بن جبير : أخبرت أنهم اثنا عشرة رجلاً ، " أولي النعمة " أي : أولي الغنى ، والترفه واللذة في

الدنيا ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ يعني إلى مدة آجالهم ، قالت عائشة – رضي الله عنها – : لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيراً حتى وقعت وقعة بدر.

وقيل : " ومَهِّلهُمْ قَلِيلاً " مدة الدنيا.

قوله : " أوْلِي النَّعمَةِ " ، نعت للمكذبين.

و " النعمة " – بالفتح – : التنعم ، وبالكسر ، الإنعام ، وبالضم : المسرَّةُ ، يقال : نِعْمة ونُعْمة عين.

٤٦٩

وقوله : " قَلِيلاً " ، نعت لمصدر ، أي : تمهيلاً ، أو لظرف زمان محذوف ، أي : زماناً قليلاً.

قوله : ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيماً﴾ ، جمع نكل ، وفيه قولان : أشهرهما : أنه القيد.

وقيل : الغل ؛ وقالت الخنساء : [المتقارب].

٤٩٢٩ – دَعَاكَ فقطَّعْتَ أنْكالَهُ

وقَدْ كُنَّ مِنْ قَبْلُ لا تُقطَعُ

قال الحسن ومجاهد وغيرهما : الأنكال : القيود ، واحدها : نكل ، وهو ما منع الإنسان من الحركة ، وقيل : سمي نكلاً ، لأنه ينكل به.

قال الشعبي : أترون أن الله جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا – لا والله – ولكنهم إذا أراد أن يرتفعوا اشتعلت بهم.

وقال الكلبيُّ : الأنكال : الأغلال.

وقال مقاتل : الأنكال : أنواع العذاب الشديد.

وقال عليه الصلاة والسلام : " إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّكلَ على النَّكلِ " – قال الجوهريُّ : بالتحريك – قيل : وما النكل ؟ قال : " الرجل القوي المجرب على الفرس القوي المجرب " – ذكره الماورديُّ ، قال : ومن ذلك سمي القَيْدُ نِكلاً لقوته وكذلك الغُلّ وكل عذاب قوي.

قال ابن الأثير : " النَّكَلُ – بالحريك – من التنكيل ، وهو المنع ، والتنحية عما يريد يقال : رجل نَكَلٌ ونِكْلٌ ، كشبه وشبهٌ ، أي : ينكل به أعداؤه ، وقد نكل الأمر ينكل ، ونكل ينكل : إذا امتنع ، ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الإقدام عليها ".

والجحيم : النار المؤجَّجَةُ.

﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾.

" الغُصَّةُ " : الشجى ، وهو ما ينشب في الحلق فلا ينساغ ، ويقال : " غَصِصتُ " - بالكسر - فأنت غَاصٌّ وغصَّان ، قال : [الرمل]

٤٧٠

٤٩٣٠ - لَو بِغيْرِ المَاءِ حَلْقِي شَرِقٌ

كُنْتُ كالغَصَّانِ بالمَاءِ اعتِصَارِي

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٤٦٩

." (١)

"حاجة إلى ادعاء الحذف مع صحة الكلام وبراعته دون تقدير ذلك المحذوف.

قال شهاب الدين : جعل أحد الضمائر لشيء ، والآخر لشيء آخر لا يمنع صحة ذلك مع ما يميز عود كل واحد إلى ما يليق به ، وكذلك تقدير المحذوف غير ممنوع أيضاً ؟ وإن كان الأحسن أن تتفق الضمائر وألاَّ يقدر محذوف ، والزمخشري إنما ذكر ذلك على سبيل التجويز لا على سبيل أنه مساوٍ أو أولى ، فيرد عليه ما ذكره.

الخامس : أنه حال من مفعول " لقَّاهم ".

السادس : أنه حال من مفعول " جزاهم ".

ذكرهما مكي.

وعلى هذه الأوجه : التي انتصب فيها على الحال يرتفع به " ثياب " على الفاعلية ، ولا يضر إضافته إلى معرفة في وقوعه حالاً ؛ لأن الإضافة لفظية كقوله تعالى : ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف : ٢٤] فأنّث " عارضاً " ولم يؤنث عالياً لأن مرفوعه غير حقيقي التأنيث.

السابع : أن ينتصب " عاليهم " على الظرف ، ويرتفع " ثياب " به علىى جهة الفاعلية ، وهذا ماشٍ على قول الأخفش والكوفيين حيث يعملون الظرف وعديله ، وإن لم يعتمد ؟ كما تقدم ذلك في الصفّ.

وإذا رفع " عاليهم " بالابتداء ، و " ثياب " على أنه فاعل به ، كان منفرداً على بابه لوقوعه موقع الفعل ، وإذا جعل خبراً مقدماً كان مفرداً لا يراد به الجمع ، فيكون كقوله تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ﴾ [الأنعام : ٤٥] أي أدبار.

قاله مكي.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥٠٩٠

وقرأ ابن مسعود وزيدُ بن علي : " عاليتهم " مؤنثاً بالتاء مرفوعاً.

والأعمش وأبان عن عاصم كذلك ، إلا أنه منصوب.

وقد عرف الرفع والنصب مما تقدم.

وقرأت عائشة - رضي الله عنهما - " عَلَيَتْهُم " فعلاً ماضياً متصلاً بتاء التأنيث الساكنة ، و " ثياب " فاعل به ، وهي مقوية للأوجه المذكورة في رفع " ثياب " بالصفة في قراءة الباقين كما تقدم تفصيله.

وقرأ ابن سيرين ومجاهد ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة وخلائق : جاراً ومجروراً.

وإعرابه كإعراب " عاليهم " ظرفاً في جواز كونه خبراً مقدماً ، أو حالاً مما تقدم وارتفاع " ثياب " به على التفصيل المذكور.

٤٣

فصل في الضمير في عاليهم قال ابن الخطيب : والضمير في " عاليهم " إما للولدان أو للأبرار.

فكأنهم يلبسُون عدة من الثياب ، فيكون الذي يعلو أفضلها ، ولهذا قال تعالى " عاليهم " أي فوق حجالهم المضروبة عليه ثيابُ سندسٍ ، والمعنى : أن حجالهم من الحرير والديباج.

قوله تعالى : ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾.

قرأ العامة : بإضافة الثياب لما بعدها.

وأبو حيوة وابن أبي عبلة : " ثِيَابٌ " منونة ، ﴿سُندُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ برفع الجميع ف " سُنْدُسٌ " نعت ل " ثِيَابٌ " ؛ لأن " السندس " نوع ، و " خُضْرٌ " نعت ل " سُنْدُسٌ " يكون أخضر وغير أخضر ، كما أن الثياب تكون سندساً وغيره ، و " إسْتَبْرَقٌ " نسق على ما قبله ، أي : وثياب إستبرق.

واعلم أن القراءة السبعة في " خُضْرٌ " ، و " إسْتَبْرَقٌ " على أربع مراتب.

الأولى : رفعهما ، لنافع وحفص فقط.

الثانية : خفضهما ، الأخوين فقط.

الثالثة : رفع الأول ، وخفض الثاني ، لأبي عمرو وابن عامر فقط.

الرابعة : عكسه ، لابن كثير وأبي بكر فقط.

وأما القراءة الثانية : فيكون جر " خضر " على النعت ل " سندس ".

ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع ، فقال مكي : هو اسم جمع.

وقيل : هو جمع " سندسة " ك " تمر وتمرة " ووصف اسم الجنس بالجمع يصح ، قال تعالى ﴿وَيُنْشِىءُ

السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد : ١٢] ، و ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر : ٢٠] ، و ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ﴾ [يس : ٨٠] وإذا كانوا قد وصفوا المحل لكونه مراداً به الجنس بالجمع في قولهم : " أهلك الناسَ الدينارُ الحمرُ والدِّرهمُ البيضُ " ، وفي التنزيل : ﴿أَوِ

٤٤

" (١).

"الطِّفْلِ الَّذِينَ﴾ [النور : ٣١] فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى ، وجر " إستبرق " نسقاً على " سندس " ، لأن المعنى ثياب من سندس ، وثياب من إستبرق.

وما القراءة الثالثة : فرفع " خضر " نعتاً لـ " ثياب " وجر " إستبرق " نسقاً على سندس أي : ثياب خضر من سندس ، ومن إستبرق ، فعلى هذا يكون الإستبرق أيضاً أخضر.

وأما القراءة الرابعة : فجر " خضر " على أنه نعت لـ " سندس " ورفع " إستبرق " على النسق على " ثياب " بحذف مضاف ، أي : وثياب استبرق.

وتقدم الكلام على مادة السندس والإستبرق في سورة الكهف.

وقرأ ابن محيصن : " وإستبرق " بفتح القاف ، ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة ، فبعضهم ينقل عنه أنه قطعها ، وبعضهم ينقل أنه وصلها.

قال الزمخشري : " وقرئ : " وإستبرق " نصباً في موضع الجر على منع الصرف ، لأنه أعجمي ، وهو غلط ؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف ، تقول الإستبرق ، إلا أنه يزعم ابن محيصن أنه قد جعل علماً لهذا الضرب من الثياب ، وقرأ : " واستبرقَ " بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى بـ " استفعل من البريق ، وهو ليس بصحيح - أيضاً - لأنه معرب مشهور تعريبه وأصله استبره ".

وقال أبو حيان : ودل قوله : إلا أن يزعم ابن محيصن ، وقوله بعد : وقرئ " واستبرق " بوصل الألف والفتح ، أنّ قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف ؟ والمنقول عنه في كتب القراءات : أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف.

قال شهاب الدين : قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي ، فإنه قال : وقد قرأ ابن محيصن بغير صرف ؟ وهو وهم إن جعله اسماً ؛ لأنه نكرة منصرفة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥١٥٤

وقيل : بل جعله فعلاً ماضياً من " برق " فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى.

وقيل : إنه في الأصل فعل ماض على " استفعل " من " برق " ، فهو عربي من البريق ، فلما سمِّي به قطعت ألفه ؛ لأنه ليس من أصل الأسماء أن يدخلها ألف الوصل ، وإنما دخلت معتلة مغيرة عن أصلها ، معدودة ، لا يقاس عليها ؛ انتهى ، فدل قوله " قطعت ألفه " إلى آخره ، أنه قرأ بقطع الهمزة وفتح القاف ، ودل قوله أولاً : وقيل : بل جعله فعلاً ماضياً من " برق " ، أنه قرأ بوصل الألف ، لأنه لا يتصور أن يحكم عليه بالفعلية غير منقول إلى

٤٥

الأسماء ، ويترك ألفه ألف قطعٍ ألبتة ، وهذا جهل باللغة ، فيكون قد رُوِيَ عنه قراءتا قطع الألف ووصلها ، فظهر أن الزمخشري لم ينفرد بالنقل عن ابن محيصن بقطع الهمزة.

وقال أبو حاتم في قراءة ابن محيصن : لا يجوز ، والصواب : أنه اسم جنس لا ينبغي أن يحمل ضميراً ويؤيد ذلك دخول لام المعرفة عليه ، والصواب قطع الألف ؟ وإجراؤه على قراءة الجماعةِ.

قال أبو حيان : نقول : إن ابن محيصن قارئٌ جليلٌ مشهورٌ بمعرفة العربية ، وقد أخذ عن أكابر العلماء ، فيتطلب لقراءته وجه ، وذلك أنه يجعل " استفعل " من البريق ؟ تقول : برق واستبرق ، ك " عجب واسْتجَبَ " ، ولما كان قوله : " خضر " يدل على الخضرة ، وهي لون ذلك السُّنْدس ، وكانت الخضرة مما يكون فيها لشدتها دُهمة وغبش ، أخبر أن في ذلك بريقاً وحسناً يزيل غبشيته ، ف " استبرق " فعل ماض ، والضمير فيه عائد على السُّندس ، أو على الأخضر الدالّ عليه خضر ، وهاذ التخريج أولى من تلحين من يعرف بالعربية ، وتوهيم ضابط ثقة.

وهذا هو الذي ذكره مكي.

وهذه القراءة قد تقدمت في سورة الكهف.

قوله تعالى : ﴿وَحُلُّوا اْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ عطف على " ويَطُوفُ " عطف ماضياً لفظاً مستقبلاً معنى ، وأبرزه بلفظ الماضي لتحققه.

وقال الزمخشري بعد سؤال وجواب من حيث المعنى : وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران : سِوَار من ذهب وسوار من فضة.

وناقشه أبو حيان في قوله : " بالمِعْصَم " ، فقال : قوله : " بالمعصم " إما أن يكون مفعول " أحسن " وإما أن يكون بلاً منه ، وقد فصل بينهما بالجار والمجرون فإن كان الأول فلا يجوز ؛ لأنه لم يعهد زيادة

الباء في مفعول " أفعل " التعجب ، لا تقول : ما أحسن بزيد ، تريد : ك أحسن زيداً ، وإن كان الثاني ففي هذا الفصل خلافٌ ، والمنقول عن بعضهم أنه لا يجوز ، والمولد منا إذا تكلم ينبغي أن يتحرز في كلامه فيما فيه خلافٌ.

قال شهاب الدين : وأي غرض له في تتبع كلام هذا الرجل حتى في الشيء اليسير على أن الصحيح جوازه ، وهو المسموع من العرب نثراً ، قال عمرو بن معديكرب : لله درَّ بني مجاشع ما أكثر في الهيجاء لقاءها ، وأثبت في المكرمات بقاءها ، وأحسن في اللُّزْباتِ عطاءها ، والتشاغل بغير هذا أولى.

فصل في المراد بالأساور قال هنا : " أساور من فضة " وفي سورة " فاطر " : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾

٤٦

". (١)

"والثاني : أنه منصوب على الظرف واقعاً خبراً لـ " هذا " على أن يشار به لما تقدم من الوعيد ، كأنه قال : هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وقد تقدم آخر المائدة ما يشبه هذا في قوله تعالى : " هذا يَوْم يَنفَع " إلا أن النصب هناك متواتر.

قوله : ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ﴾ العامة : على عدم تسمية الفاعل.

وحكى الأهوازي عن زيد بن علي : " ولا يَأذَنُ " سمى الفاعل ، وهو الله تعالى.

وقوله : فيعتذرون ".

في رفعه وجهان : أحدهامك أنه مستأنف ، أي فهم يعتذرون.

قال أبو البقاء : ويكون المعنى : أنهم لا ينطقون نطقاً ينفعهم ، أو ينطقون نطقاً في بعض المواقف ولا ينطقون في بعضها.

والثاني : أنه معطوف على " يؤذن " فيكون منفياً ، ولو نصب لكان متسبباً عنه.

وقال ابن عطيَّة : ولم ينصب في جواب النَّفْي لتشابه رءوس الآي ، والوجهان جائزان ".

فظهر من كلامه أنهما بمعنى واحد ، وليس كذلك بل المرفوع له معنى غير معنى المنصوب ، وإلى هذا ذهب الأعلم إلى أن الفعل قد يرتفع ويكون معناه النصب ، ورد عليه ابن عصفور.

قال الفرَّاء في قوله : " وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ " : **الفاء نسق ،** أي عطف على " يؤذن " ، وأجيز ذلك

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥١٥٥

، لأن آخر الكلام بالنون ، ولو قال : فيعتذروا ، لم يوافق الآيات ، وقد قال : ﴿لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر : ٣٦] ، بالنصب ، وكل صواب ، ومثله : ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ﴾ [البقرة : ٢٤٥] ، بالرفع والنصب.

فصل في تخويف الكفار هذا نوع آخر من نواع تخويف الكفار ، لأن الله – تعالى – بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا بع من القبائح ، ولا لهم قدرة على رفع العذاب عن أنفسهم ، واعلم أن يوم القيامة له مواطن ومواقيت ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يعتذرون.

روى عكرمة : أن ابن عباس – رضي الله عنها – سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ﴾ و ﴿فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ [طه : ١٠٨] ، وقد قال تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الطور : ٢٥].

فقال له : إن الله – تعالى – يقول : ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ

٨٣

كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج : ٤٧] فإن لكل مقدار من هذه الأيام لوناً من هذه الألوان.

وقال الحسن : فيه إضمار ، أي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة ، ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد ، فكأنه ما نطق ، كما يقال لمن ذكر كلاماً غير مفيد : ما قلت شيئاً ، وقيل : إن هذا وقت جوابهم : ﴿اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨].

قال الفراء : أراد بقوله : " لا ينطقون " تلك الساعة ، وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه ، كما تقول : آتيك يوم يقدم فلان ، والمعنى : ساعة يقدم ، وليس باليوم كله ؛ لأن القدوم إنما يكون في وقت يسير ولا يمتد في كل اليوم.

وأجاب ابن الخطيب : بأن قوله تعالى ﴿لاَ يَنطِقُونَ﴾ لفظ مطلق ، والمطلق لا يفيد العموم لا في الأنواع ، ولا في الأوقات ، بدليل أنك تقول : فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير ، وتارة تقول : فلان لا ينطق شيئاً ألبتة ، فهذا يدل على أن مفهوم " لا ينطق " مشترك بين الدائم والمؤقت ، وإذا كان كذلك فمفهوم " لا ينطق " يكفي في صدقه عدم النطق ببعض الأشياء ، وفي بعض الأوقات ، وذلك لا ينافي حصول النطق بشيء آخر في وقت آخر ، فيكتفى في صدق قوله : " لا يَنطقُونَ " أنهم لا ينطقون بعذر وعلة في وقت واحد ، وهو وقت السؤال.

فإن قيل : لو حلف لا ينطق في هذا اليوم حنث في قطعه في جزء منه.

قلنا : ذلك لعرف الإيمان بحثنا في عرف اللفظ من حيث هو.
قال ابن الخطيب : فإن قيل : قوله : " ولا يُؤذنُ لهُم فيَعتَذِرُونَ " يوهم أن لهم عذراً ، وقد منعوا من ذكره ، فهم لا يؤذن لهم في ذكر ذلك العذر الفاسد.
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٨٢
قوله تعالى : ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ﴾.
هذا نوع آخر من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم ، أي : يقال لهم : هذا الوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ، فيتبين المحق من المبطل.
٨٤
﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾.
قال ابن عباس : جمع الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبله.
﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ أي : حيلة في الخلاص من العذاب " فَكِيدُونِ " أي " فاحتالوا لأنفسكم وفاء ، ولن تجدوا ذلك.
وقيل : فإن كان لكم كيد أي إن قدرتم على حرب " فَكِيدُونِ " أي : حاربوني رواه الضحاك عن ابن عباس أيضاً ، قال : يريد كنتم في الدنيا تحاربون محمداً وتحاربوني ، فاليوم حاربوني.
وقيل : إنكم كنتم في الدنيا تعملون المعاصي ، وقد عجزتم الآن عنها ، وءن الدفع عن أنفسكم.
وقيل : إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود - عليه الصلاة والسلام - : ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾ [هود : ٥٥].
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٨٤
." (١)

"تخصَّه بالغلظةِ ، وأمَّا كونه مأذوناً لهُ في تأديب أصحابه ، لكن هنا لمَّا أوهم تقديمَ الأغنياء على الفقراءِ ، وكان ذلك ككا يوهمُ ترجيح الدنيا على الدِّين ، فلهذا السبب عوتب.
فصل فيمن استدل بالآية على جواز صدور الذنوب من الأنبياء قال ابن الخطيب : تمسَّك القائلون بصدورِ الذنب عن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بهذه الآية.
وقالوا : لمَّا عُوتبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دلَّ على أنَّه كان معصية.

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٥١٧٣

قال ابن الخطيب : وهذا بعيد لما ذكرنا في الجواب عن الأول ، وأيضاً : فإن هذا من باب الاحتياط وترك الأفضل.

قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ ؛ الظاهر أنه أجرى التَّرجي مجرى الاستفهام ، لما بينهما من معنى الطَّلب في التَّعليق ، لأن المعنى منصب على تسليط الدارية على التَّرجي ، إذ التقدير : لا يدري ما هو مترجّى منه التركيب ، أو التذكر.

وقيل : الوقف على " يَدْرِي " ، والابتداء بما بعده على معنى : وما يطلعك على أمره ، وعاقبة حاله ، ثم ابتدأ ، فقال : " لعلَّه يزكَّى ".

فصل في تحرير الضمير في قوله : " لعله " قيل : الضمير في " لعلَّهُ " للكافر ، يعني : لعل إذا طمعت في أن يتزكَّى بالإسلام.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾ أي : قبول الحق ، " وما يدريك " أنَّ ما طمعت فيه كائن ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ﴾ [الأنعام : ٥٢].

وقوله : ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف : ٢٨].

قوله : ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ﴾.

قرأ عاصم : " فتنفعه " بالنصب.

والباقون : بالرفع.

فمن رفع ، فهو نسق على قوله : " أو يذَّكرُ ".

ومن نصب ، فعلى جواب التَّرجي كقوله في " المؤمن " : ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر : ٣٧] ، وهو مذهب كوفي وقد تقدم الكلام عليه.

١٥٥

وقال ابن عطية : في جواب التمني ؛ لأنَّ قوله تعالى : ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ في حكم قوله : ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾.

قال أبو حيان : " وهذا ليس تمنياً إنما هو ترجٍّ ".

قال شهاب الدين : إنما يريد التَّمني المفهوم من الكلام ، ويدلُّ له ما قاله أبو البقاء : " وبالنصب على جواب التمني في المعنى " ، وإلاَّ فالفرق بين التمنّي والترجّي لا يجهله ابن عطية.

وقال مكي : " من نصبه جعله جواب " لَعلَّ " بالفاء ؛ لأنَّه غير موجب ، فأشبه التَّمني والاستفهام ، وهو غير معروف عند البصريين " وقرأ عاصمٌ في رواية الأعرج : " أو يذْكُر " – بسكون الذال ، وتخفيف الكاف

مضمومة – مضارع " ذكر " ، والمعنى : أو يتَّعظ بما يقوله : " فتنفعه الذكرى " أي : العِظَةُ.

قوله : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴾ قال عطاء : يريد عن الإيمان ، وقال الكلبي : استغنى عن الله ، وقال بعضهم : استغنى أثرى ؛ وهو فاسد ههنا ؛ لأن إقبال النبي – عليه الصلاة والسلام – لم يكن لثروتهم ومالهم حتى يقال له أما منم اثرى ، فأنت تقبل عليه ، ولأنه قال : ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى ﴾ ولم يقل وهو فقير معدم ، ومن قال : أما من استغنى بماله فهو صحيح ، لأن المعنى أنه استغنى عن الإيمان والقرآن بما لَهُ من المال.

وقوله تعالى : ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ تقدمت فيه قراءتا التثقيل والتخفيف.

قال الزجاج : أي : أنت تقبل عليه وتتعرض له وتميل إليه ، يقال تصدى فلان لفلان ، يتصدّد إذا تعرض له ، والصل فيه تصدد يتصدّد من الصدد ، وهو ما استقبلك وصار قبالتك فأبدل أحد الأمثال حرف علة مثل : تظنيت وقصيت ، وتقضى البازي قال الشاعر : ٥١٠٧ب – تَصدَّى لِوضَّاحٍ كأنَّ جَبينَه

سِرَاجُ الدُّجَى يُجْبَى إليه الأساور

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٥٢

وقيل : هو من الصدى ، وهو الصوت المسموع في الأماكن الخالية والأجرام الصلبة.

وقيل : من الصدى وهو العطش ، والمعنى على التعرض ، ويتمحّل لذلك إذا قلنا أصله من الصوت أو العطش.

وقرأ أبو جعفر " تُصْدي " بضم التاء وتخفيف الصاد.

أي يصديك حرصك على إسلامه.

١٥٦

." (١)

"بضميرها ، أو بالألف واللام ومن هنا قيل : " لَنْ يَغْلِبَ عُسرٌ يُسرَيْنِ ".

وقال الزمخشريُّ أيضاً فإن قلت : " إن " مَعَ " للصحبة ، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر ؟ قلت : أراد أن الله – تعالى – يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب ، فقرب اليسر المترقب ، حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية ، وتقوية للقلوب.

وقال أيضاً فإن قلت : فما معنى هذا التنكير ؟ .

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٢٠٤

قلت : التفخيم كأنه قيل : إنّ مع العسر يسراً عظيماً ، وأي يسر ، وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة.

فإن قلت : فإذا أثبت في قراءته غير مكرر فلم قال : والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر ، حتى يدخل عليه ، إنه لن يغلب عسر يسرين ؟ .

قلت : كأنه قصد اليسرين ، وأما في قوله : " يُسْراً " من معنى التفخيم ، فتأوله بيسر الدَّارين ، وذلك يسران في الحقيقة.

فصل في تعلق هذه الآية بما قبلها تعلق هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فعيَّره المشركون بفقره ، حتى قالوا له : نجمع لك مالاً ، فاغتنم لذلك ، وظن أنهم إنما رغبوا عن الإسلام لكونه فقيراً حقيراً عندهم ، فعدد الله – تعالى – عليه منته بقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ، أي : ما كنت فيه من أمر الجاهلية ، ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل في قلبه ما حصل فيه من التأذي ، بكونهم عيَّروه بالفقر ، فقال تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ فعطفه بالفاء أي : لا يحزنك ما عيروك به في الفقر ، فإن ذلك يسراً عاجلاً في الدنيا فأنجز له ما وعده ، فلم يمت ، حتى فتح عليه " الحجاز " ، و " اليمن " ووسع عليه ذات يده ، حتَّى كان يعطي الرجل المائتين من الإبل ، ويهب الهبات السنية ، وترك لأهله قوت سنته ، وهذا وإن كان خاصاً بالنبي – عليه الصلاة والسلام – فقد يدخل فيه بعض أمته صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى ، ثم ابتدأ فصلاً آخر من أمر الآخرة ، فقال : ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ فهذا شيء آخر ، والدليل على ابتدائه ، تعديه من فاء ، وواو ، وغيرهما من **حروف النسق** **التي** تدخل على العطف ، فهذا عام لجميع للمؤمنين ، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ للمؤمنين يسراً في الآخرة لا محالة ، وربما اجتمع يسرُ الدنيا ، ويسرُ الآخرة.

٤٠٢

قوله : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾.

العامة : على فتح الراء : من " فَرَغْتَ " ، وهي الشهيرة.

وقرأها أبو السمال : مكسورة ، وهي لغة فيه.

قال الزمخشري : " وليست بالفضيحة ".

وقال الزمخشري أيضاً : " فإن قلت : كيف تعلق قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ بما قبله ؟ .

قلت : لما عدد عليه نعمه السالفة ، ووعوده الآنفة ، بعثه على الشكر ، والاجتهاد في العبادة ، والنصب فيها ".

وعن ابن عباس : فإذا فرغت من صلاتك ، فانصب في الدعاء.
العامة : على فتح الصَّاد ساكنة الباء ، أمراً من النَّصْب بسكون الصاد.
قال شهاب الدين : ولا أظن الأولى إلا تصحيفاً ، ولا الثانية إلا تحريفاً ، فإنها تروى عن الإمامية وتفسيرها : فإذا فرغت من النبوة فانصب الخليفة.
وقال ابن عطية : وهي قراءة شاذةٌ ، لم تثبت عن عالم.
قال الزمخشريُّ : ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة ، أنه قرأ : " فانْصِبْ " – بكسر الصاد – أي : فانصب علياً للإمامة ، ولو صح هذا للرافضيِّ ، لصحَّ للناصبي أن يقرأ هكذا ، ويجعله أمراً بالنصب الذي هنو بغض علي ، وعداوته.
قال ابن مسعود : " إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب ، أي : استغفِرْ لذَنْبِكَ وللمُؤمنينَ والمُؤْمِنَات ".
٤٠٣
وقال الحسنُ وقتادة : " فإذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربِّك ".
قوله : ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.
قرأ الجمهور : " فارْغَبْ " أمر من " رغبَ " ثلاثياً.
وقرأ زيد بن علي ، وابن أبي عبلة : " فَرَغِّبْ " بتشديد الغين ، أمر من " رَغَّبَ " بتشديد الغين أي : فرغب الناس إلى طلب ما عنده.
عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مَنْ قَرَأَ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني " والله تعالى أعلم.
٤٠٤
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٣٩٦." (١)

"قال: وليس قوله: ﴿أم تريدون﴾ [البقرة: ١٠٨] على الشك؛ ولكنه قاله ليقبح له صنيعهم. واستشهد لقوله ذلك ببيت الأخطل:
[البحر الكامل]

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٥٣٠٦

وقال بعض نحويي الكوفيين: إن شئت جعلت قوله: ﴿أم تريدون﴾ [البقرة: ١٠٨] استفهاما على كلام قد سبقه، كما قال جل ثناؤه: ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه﴾ [السجدة: ٢] فجاءت «أم» وليس قبلها استفهام. فكان ذلك عنده دليلا على أنه استفهام مبتدأ على كلام سبقه. وقال قائل هذه المقالة: «أم» في المعنى تكون ردا على الاستفهام على جهتين، إحداهما: أن تعرف معنى «أي» ، والأخرى أن يستفهم بها، ويكون على جهة النسق، والذي ينوى به الابتداء؛ إلا أنه ابتداء متصل بكلام، فلو ابتدأت كلاما ليس قبله كلام ثم استفهمت لم يكن إلا بالألف أو بـ «هل» . قال: وإن شئت قلت في قوله: ﴿أم تريدون﴾ البقرة: ١٠٨] قبله استفهام، فرد عليه وهو في قوله: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ١٠٦] . والصواب من القول في ذلك عندي على ما جاءت به الآثار التي ذكرناها عن أهل التأويل أنه استفهام مبتدأ بمعنى: أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم؟ وإنما جاز أن يستفهم القوم بـ «أم» وإن كانت «أم» أحد شروطها أن تكون نسقا." (١)

"وقد حدثني المثنى، قال: حدثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن ابن عيينة، عن صاحب، له يذكر عن بعض العلماء، قال: «إن ﷺالله أعطاكم الدنيا قرضا وسألكموها قرضا، فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم ضاعف لكم ما بين الحسنة إلى العشر إلى السبعمائة إلى أكثر من ذلك، وإن أخذها منكم وأنتم كارهون فصبرتم وأحسنتم كانت لكم الصلاة والرحمة وأوجب لكم الهدى» وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: (فيضاعفه) بالألف ورفعه، بمعنى: الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه **له، نسق** «يضاعف» على قوله «يقرض» .." (٢)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ [البقرة: ٢٧١] اختلف القراء في قراءة ذلك. فروي عن ابن عباس أنه كان يقرؤه: (وتكفر عنكم) بالتاء، ومن قرأه كذلك، فإنه يعني به: وتكفر الصدقات عنكم من سيئاتكم، وقرأ آخرون: ﴿ويكفر عنكم﴾ [البقرة: ٢٧١] بالياء بمعنى: ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر في الآية من سيئاتكم، وقرأ ذلك بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة: (ونكفر عنكم) بالنون وجزم الحرف، يعني: وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم من سيئاتكم، بمعنى مجازاة الله عز وجل مخفي الصدقة بتكفير بعض سيئاته بصدقته التي أخفاها. وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ: (ونكفر عنكم) بالنون وجزم الحرف، على معنى الخبر من الله عن نفسه أنه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤١٢/٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٣١/٤

يجازى المخفي صدقته من التطوع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيئاته، وإذا قرئ كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء في قوله: ﴿فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٧١] لأن الفاء هنالك حلت محل جواب الجزاء. فإن قال لنا قائل: وكيف اخترت الجزم **على النسق على** موضع الفاء، وتركت." (١)

"اختيار نسقه على ما بعد الفاء، وقد علمت أن الأفصح من الكلام **في النسق على** جواب الجزاء الرفع، وإنما الجزم تجويز؟ قيل: اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه أن التكفير أعني تكفير الله من سيئات المصدق لا محالة داخل فيما وعد الله المصدق أن يجازيه به على صدقته؛ لأن ذلك إذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة، ولو رفع كان قد يحتمل أن يكون داخلا فيما وعده الله أن يجازيه به، وأن يكون خبرا مستأنفا أنه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم؛ لأن ما بعد الفاء في جواب الجزاء استئناف، فالمعطوف على الخبر المستأنف في حكم المعطوف عليه في أنه غير داخل في الجزاء، ولذلك من العلة اخترنا جزم (نكفر) عطفا به على موضع الفاء من قوله: ﴿فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٧١] وقراءته بالنون. فإن قال قائل: وما وجه دخول «من» في قوله: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ [البقرة: ٢٧١] ؟ قيل: وجه دخولها في ذلك بمعنى: ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها؛ ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلوا على وعده ما وعد على الصدقات التي يخفيها المتصدق فيجترئوا على حدوده ومعاصيه. وقال بعض نحويي البصرة: معنى «من» الإسقاط من هذا الموضع، ويتأول معنى ذلك: ونكفر عنكم سيئاتكم." (٢)

"كما: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿ﷺأم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ [البقرة: ٢١٤] «وتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة أبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صدق ذلك منكم الإيمان بي والصبر على ما أصابكم في» ونصب ﴿ويعلم الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٢] على الصرف، والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق، وفي أوله ما لا يحسن إعادته مع حرف النسق، فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف؛ لأنه مصروف عن معنى الأول، ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام، وذلك كقولهم: لا يسعني شيء ويضيق عنك؛ لأن «لا» التي مع «يسعني» لا يحسن إعادتها مع قوله: «ويضيق عنك» ، فلذلك نصب، والقراء في هذا الحرف على النصب؛ وقد

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٧/٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٨/٥

روي عن الحسن أنه كان يقرأ: (ويعلم الصابرين) فيكسر الميم من «يعلم» ؛ لأنه كان ينوي جزمها على العطف به على قوله: ﴿ولما يعلم الله﴾ [آل عمران: ١٤٢]." (١)

"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن واصل مولى أبي عيينة، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي بن كعب، " ﷺأنه كان يقرأ: (من الذين استحق عليهم الأوليان) وأما أولى القراءات بالصواب في قوله: ﴿الأوليان﴾ [المائدة: ١٠٧] عندي، فقراءة من -[٩٨]- قرأ: ﴿الأوليان﴾ [المائدة: ١٠٧] بصحة معناها، وذلك لأن معنى: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الإثم، ثم حذف (الإثم) وأقيم مقامه (الأوليان) ، لأنهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم وعثر عليهما بالخيانة منهما فيما كان ائتمنهما عليه الميت، كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم، وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل. ومن ذلك ما قد ذكرنا في تأويل هذه القصة، وهو قوله: ﴿شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان﴾ [المائدة: ١٠٦] ، ومعناه: أن يشهد اثنان، وكما قال: ﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا﴾ [المائدة: ١٠٦] ، فقال: ﴿به﴾ [المائدة: ١٠٦] ، فعاد بالهاء على اسم (الله) ، وإنما المعنى: لا نشتري بقسمنا بالله، فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر، والمراد به: لا نشتري بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم. وكذلك اجتزئ بذكر الأوليين من ذكر الإثم الذي استحقه الخائنان لخيانتهما إياها، إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته، وذلك قوله: ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثما﴾ [المائدة: ١٠٧] ، وأما الذين قرءوا ذلك: (الأولين) ، فإنهم قصدوا في معناه إلى الترجمة به عن (الذين) ، فأخرجوا ذلك على وجه الجمع، إذ كان (الذين) جمعا وخفضا، إذ كان (الذين) -[٩٩]- مخفوضا. وذلك وجه من التأويل، غير أنه إنما يقال للشيء أول، إذا كان له آخر هو له أول، وليس للذين استحق عليهم الإثم آخرهم له أول، بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا إثما قبل إيمانهم، فهم إلى أن يكونوا إذ كانت أيمانهم آخرا أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أولين وأيمانهم آخرة لأولى قبلها. وأما القراءة التي حكيت عن الحسن، فقراءة عن قراءة الحجة من القراء شاذة، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب. واختلف أهل العربية في الرافع لقوله: ﴿الأوليان﴾ [المائدة: ١٠٧] إذا قرئ كذلك، فقال بعض نحويي البصرة: يزعم أنه رفع ذلك بدلا من (آخران) في قوله: ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾ [المائدة: ١٠٧] ، وقال: إنما جاز أن يبدل الأوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة،

---

(١) تفسير الطبري = جام ع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٩٢/٦

لأنه حين قال: ﴿يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ [المائدة: ١٠٧] كان كأنه قد حدهما حتى صارا كالمعرفة في المعنى، فقال: (الأوليان) ، فأجرى المعرفة عليهما بدلا. قال: ومثل هذا مما يجري على المعنى كثير واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز:

[البحر الرجز]

علي يوم يملك الأمورا ... صوم شهور وجبت نذورا

وبادنا مقلدا منحورا

-[١٠٠]- قال: فجعله (علي واجب) ، لأنه في المعنى قد أوجب. وكان بعض نحويي الكوفة ينكر ذلك ويقول: لا يجوز أن يكون (الأوليان) بدلا من (آخران) من أجل أنه **قد نسق** (فيقسمان) على (يقومان) في قوله: ﴿فآخران يقومان﴾ [المائدة: ١٠٧] ، فلم يتم الخبر عند من قال: لا يجوز الإبدال قبل إتمام الخبر، كما قال: غير جائز (مررت برجل قام زيد وقعد) ، وزيد بدل من رجل. والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: (الأوليان) مرفوعان بما لم يسم فاعله، وهو قوله: (استحق عليهم) ، وإنهما موضع الخبر عنهما، فعمل فيهما ما كان عاملا في الخبر عنهما، وذلك أن معنى الكلام: فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الإثم بالخيانة، فوضع (الأوليان) موضع (الإثم) كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: ١٩] ، ومعناه: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر؟ وكما قال: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة: ٩٣] ، وكما قال بعض الهذليين:

[البحر الوافر]

يمشي بيننا حانوت خمر ... من الخرس الصراصرة القطاط

وهو يعني صاحب حانوت خمر، فأقام الحانوت مقامه لأنه معلوم أن -[١٠١]- الحانوت لا يمشي، ولكن لما كان معلوما عنده أنه لا يخفى على سامعه ما قصد إليه من معناه حذف الصاحب واجتزأ بذكر الحانوت منه، فكذلك قوله: (من الذين استحق عليهم الأوليان) ، إنما هو من الذين استحق فيهم خيانتهما، فحذفت (الخيانة) وأقيم (المختانان) مقامها، فعمل فيهما ما كان يعمل في المحذوف ولو ظهر. وأما قوله: ﴿عليهم﴾ [المائدة: ١٠٧] في هذا الموضع، فإن معناها: فيهم، كما قال تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ [البقرة: ١٠٢] ، يعني: في ملك سليمان، وكما قال: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] ف (في) توضع موضع (على) ، و (على) في موضع (في) ، كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها

في الكلام، ومنه قول الشاعر:

[البحر الوافر]

متى ما تنكروها تعرفوها ... على أقطارها علق نفيث

وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى: (﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان﴾ [المائدة: ١٠٧]) أنهما رجلان آخران من المسلمين، أو رجلان أعدل من المقسمين الأولين." (١)

"الأرض من بعدهم، ذلك لمن خاف مقامي، وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤] يقول عز ذكره: وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا إليهم حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وفراق عبادة الآلهة والأوثان: ﴿لنخرجنكم من أرضنا﴾ [إبراهيم: ١٣] يعنون: من بلادنا، فنطردكم عنها ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف: ٨٨] يعنون: إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام، وأدخلت في قوله: ﴿لتعودن﴾ [الأعراف: ٨٨] لام، وهو في معنى شرط، كأنه جواب لليمين. وإنما معنى الكلام: لنخرجنكم من أرضنا أو تعودن في ملتنا، ومعنى «أو» ههنا معنى «إلا» أو معنى «حتى» كما يقال في الكلام: لأضربنك أو تقر لي، فمن العرب من يجعل ما بعد «أو» في مثل هذا الموضع عطفا على ما قبله جزما جزموه، وإن كان نصبا نصبوه، وإن كان فيه لام جعلوا فيه لاما، إذ كانت «أو» **حرف نسق ومنهم** من ينصب «ما» بعد «أو» بكل حال، ليعلم بنصبه أنه عن الأول منقطع عما قبله، كما قال امرؤ القيس:

[البحر الطويل]

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له: لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فنصب «نموت فنعذرا» وقد رفع «نحاول» ، لأنه أراد معنى: إلا أن نموت، أو حتى نموت، ومنه قول الآخر:

[البحر البسيط]

لا أستطيع نزوعا عن مودتها ... أو يصنع الحب بي غير الذي صنعا." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٩٧/٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦١٢/١٣

"وكانت عامة قراء الكوفيين يقرءونه: ﴿وإن الله﴾ [آل عمران: ٦٢] بكسر إن **بمعنى النسق على** قوله: ﴿فإنما يقول له﴾ [البقرة: ١١٧] وذكر عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤه: «فإنما يقول له كن فيكون إن الله ربي وربكم» بغير واو. قال أبو جعفر: والقراءة التي نختار في ذلك: الكسر على الابتداء. وإذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع، وقد يجوز أن يكون عطفا على «إن» التي مع قوله ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب﴾ [مريم: ٣٠] ، ﴿وإن الله ربي وربكم﴾ [مريم: ٣٦] ولو قال قائل ممن قرأ ذلك نصبا: نصب على العطف على الكتاب، بمعنى: أتاني الكتاب، وأتاني أن الله ربي وربكم، كان وجها حسنا. ومعنى الكلام: وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد، فإياه فاعبدوا دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (١)

"قبلها حرف من **حروف النسق ،** كالواو ، والفاء ، وثم. وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله: «ثم ليقضوا» خاصة ، من أجل أن الوقوف على (ثم) دون (ليقضوا) حسن، وغير جائز الوقوف على الواو والفاء وهذا الذي اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس، غير أن أكثر القراء على تسكينها. وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي، أن التسكين في لام (ليقضوا) والكسر قراءتان مشهورتان ، ولغتان سائرتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. غير أن الكسر فيها خاصة أقيس، لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة، لأن من قرأ: ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ [الحديد: ٦] ، فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء، ويحركها في قوله: ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ [القصص: ٦١] فذلك الواجب عليه أن يفعل في قوله: (ثم ليقضوا تفثهم) فيحرك اللام إلى الكسر مع (ثم) وإن سكنها في قوله: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ [الحج: ٢٩] . وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي ، والحسن البصري تحريكها مع (ثم) والواو، وهي لغة مشهورة، غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها، وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها، فالقراءة بها أعجب إلي من كسرها." (٢)

"وقد: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق، قال: قالت عائشة: " ﷺمن زعم أنه يخبر الناس بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ ". واختلف أهل العربية في وجه رفع الله، فقال بعض البصريين: هو كما تقول: إلا قليل منهم. وفي حرف ابن مسعود: قليلا بدلا من الأول، لأنك

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٤٠/١٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٣٣/١٦

نفيته عنه وجعلته للآخر. وقال بعض الكوفيين: إن شئت أن تتوهم في «من» المجهول، فتكون معطوفة على: قل لا يعلم أحد الغيب إلا الله. قال: ويجوز أن تكون «من» -[١٠٦]- معرفة، ونزل ما بعد «إلا» عليه، فيكون عطفا ولا يكون بدلا، لأن الأول منفي، والثاني مثبت، فيكون **في النسق كما** تقول: قام زيد إلا عمرو، فيكون الثاني عطفا على الأول، والتأويل جحد، ولا يكون أن يكون الخبر جحدا، أو الجحد خبرا. قال: وكذلك ﴿ما فعلوه إلا قليل﴾ [النساء: ٦٦] وقليلا؛ من نصب فعلى الاستثناء في عبادتكم إياه، ومن رفع فعلى العطف، ولا يكون بدلا.." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ﷺخلقكم من نفس واحدة﴾ [النساء: ١] «يعني آدم، ثم خلق منها زوجها حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه» فإن قال قائل: وكيف قيل: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها؟ وإنما خلق ولد آدم من آدم وزوجته، ولا شك أن الوالدين قبل الولد، فإن في ذلك أقوالا: أحدها: أن يقال: قيل ذلك لأنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن -[١٦٢]- الله لما خلق آدم مسح ظهره، فأخرج كل نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة، ثم أسكنه بعد ذلك الجنة، وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه» ، فهذا قول والآخر: أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين، فيرد الأول منهما في المعنى بثم، إذا كان من خبر المتكلم، كما يقال: قد بلغني ما كان منك اليوم، ثم ما كان منك أمس أعجب، **فذلك نسق من** خبر المتكلم والوجه الآخر: أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدها، كأنه قيل: خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها، فيكون في واحدة معنى: خلقها وحدها، كما قال الراجز:

[البحر الرجز]

أعددته للخصم ذي التعدي ... كوحته منك بدون الجهد

بمعنى: الذي إذا تعدى كوحته، ومعنى: كوحته: غلبته والقول الذي يقوله أهل العلم أولى بالصواب، وهو القول الأول الذي ذكرت أنه يقال: إن الله أخرج ذرية آدم من صلبه قبل أن يخلق حواء، وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية."
(٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٥/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٦١/٢٠

"ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مجالد، عن الشعبي، قال: " ﷺالأشد: الحلم إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات " وقد بينا فيما مضى الأشد جمع شد، وأنه تناهي قوته واستوائه وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم، لأن المرء لا يبلغ في حال حلمه كمال قواه، ونهاية شدته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه، كما قال جل -[١٤٠]- ثناؤه: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه﴾ [المزمل: ٢٠] ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلا من مال أو كله، ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكذلك ذلك في قوله: ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ [الأحقاف: ١٥] لا شك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة." (١)

"إذا ما الغانيات برزن يوما ... وزججن الحواجب والعيونا

فنصب العيون لاتباعها الحواجب، وهي لا تزجج، وإنما تكحل، فأضمر لها الكحل، كذلك يضمر في الموضع الذي لا يحسن فيه آمنا صدقنا وآمنا وشهدنا. قال: وبقول النصب قوله: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ فينبغي لمن كسر أن يحذف أن من لو لأن أن إذا خففت لم تكن حكاية. ألا ترى أنك تقول: أقول لو فعلت لفعلت، ولا تدخل أن. وأما الذين كسروها كلهم وهم في ذلك يقولون: وإن لو استقاموا فكأنهم أضمروا يمينا مع لو وقطعوها عن النسق على أول الكلام، فقالوا: والله إن لو استقاموا؛ قال: والعرب تدخل أن في هذا الموضع مع اليمين وتحذفها، قال الشاعر:

[البحر الطويل]

فأقسم لو شيء أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

قالوا: وأنشدنا آخر:

[البحر الوافر]

أما والله أن لو كنت حرا ... وما بالحر أنت ولا العتيق

وأدخل أن من كسرها كلها، ونصب ﴿وأن المساجد لله﴾ [الجن: ١٨] فإنه خص." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٣٩/٢١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣١٩/٢٣

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾ [الإنسان: ١٥] يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ [الإنسان: ١٤] وقربت منهم ظلال أشجارها. ولنصب ﴿دانية﴾ [الأنعام: ٩٩] أوجه: أحدها: العطف به على قوله: ﴿متكئين فيها﴾ [الكهف: ٣١] . والثاني: العطف به على موضع قوله: ﴿لا يرون فيها شمسا﴾ [الإنسان: ١٣] لأن موضعه نصب، وذلك أن معناه: متكئين فيها على الأرائك، غير رائين فيها شمسا. والثالث: نصبه على المدح، كأنه قيل: متكئين فيها على الأرائك، ودانية بعد عليهم ظلالها، كما يقال: عند فلان جارية جميلة، وشابة بعد طرية، تضمر مع هذه الواو فعلا ناصبا للشابة، إذا أريد به المدح، ولم يرد به النسق؛ وأنثت دانية لأن الظلال جمع. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله بالتذكير: «ودانيا عليهم ظلالها» وإنما ذكر لأنه فعل متقدم، وهي في قراءة فيما بلغني: «ودان» رفع على الاستئناف.." (١)

"وقرأ ابن السماك العدوي: ساكنة الواو **على النسق و** (كلما) نصب على الظرف. عاهدوا عهدا يعني اليهود.

قال ابن عباس: لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ الله عليهم وما عهد إليهم فيه.

قال مالك بن الصيف: إن الله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق فأنزل الله تعالى هذه الآية يوضحه قراءة أبي رجاء العطاردي: أوكلما عوهدوا عهدا لعنهم الله، دليل هذا التأويل قوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب «١» الآية.

وقال بعضهم: هو أن اليهود تعاهدوا لئن خرج محمد ليؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب، وننفيهم من بلادهم، فلما بعث نقضوا العهد وكفروا به دليله ونظيره قوله عز وجل ولما جاءهم رسول من عند الله «٢» .

وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل قريظة والنضير دليله قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم «٣» .

نبذه أي رفضه وفي قول عبد الله: نقضه.

فريق منهم طوائف من اليهود.

بل أكثرهم لا يؤمنون فأصل النبذ الرمي والرفض له، وأنشد الزجاج:

نظرت إلى عنوانه فنبذته ... كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٥٥٣/٢٣

وهذا مثل من يستخف بالشيء ولا يعمل به، تقول العرب: أجعل هذا خلف ظهرك، ودبر اذنك، وتحت قدمك: أي أتركه واعرض عنه قال الله تعالى: واتخذتموه وراءكم ظهريا «٤» ، وأنشد الفراء:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهر ولا يعبأ علي جوابها

قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرءونه ولكن نبذوا العمل به:

وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ.

واتبعوا يعني اليهود.

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: ١٠١.

(٣) سورة الأنفال: ٥٦.

(٤) سورة هود: ٩٢.." [١]

"قال العلماء في معنى هذا الحديث: لأنه عرف العسر ونكر اليسر، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسما معرفة ثم أعادته فهو هو، وإذا نكرته ثم كررته فهما اثنان، وقال الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب كتاب (النظم) وهو يكلم الناس في

قوله (عليه السلام) : «لن يغلب عسر يسرين»

[١٧٧] : فلم يحصل غير قولهم: إن العسر معرفة واليسر نكرة مكررة، فوجب أن يكون [عسر] واحد ويسران، وهذا قول مدخول [إذ] لا يجب على هذا التدريج إذا قال الرجل: إن مع الفارس سيفا إن مع الفارس سيفا أن يكون الفارس واحدا والسيف اثنين، ولا يصح هذا في نظم العربية.

فمجاز

قوله: «لن يغلب عسر يسرين»

إن الله بعث نبيه (عليه السلام) مقلا مخففا فعيره المشركون لفقره، حتى قالوا أنجمع لك مالا؟ فاغتم، فظن أنهم كذبوه لفقره، فعزاه الله سبحانه وتعالى وعدد عليه نعماءه ووعده الغنى فقال: ألم نشرح لك صدرك إلى قوله ذكرك، فهذا ذكر امتنانه عليه، ثم ابتدأ ما وعده من الغنى ليسلبه مما خامر قلبه، فقال فإن مع العسر

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٢/١

يسرا، والدليل عليه دخول الفاء في قوله (فإن) ولا يدخل الفاء أبدا إلا في عطف أو جواب.

ومجازه: لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا، ثم أنجزه ما وعده وفتح عليه القرى العربية، ووسع ذات يده، حتى يهب المائتين من الإبل، ثم ابتدأ فضلا آخر من الآخرة فقال تأسية له: إن مع العسر يسرا، والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو **وحروف النسق فهذا** عام لجميع المؤمنين، ومجازه: إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسرا في الآخرة لا محالة،

فقوله: «لن يغلب عسر يسرين»

! أي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعد الله المؤمنين في الدنيا، واليسر الذي وعدهم في الآخرة، إنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة فدائم غير زايل اي لا يجمعهما في الغلبة،

كقوله (عليه السلام) «شهرا عيد لا ينقصان»

اي لا يجتمعان في النقصان.

وقال أبو بكر الوراق: مع [أختها] بالدنيا جزاء الجنة، قال القاسم: [بردا هذه السعادة من أسحار] «١» الدنيا إلى رضوان العقبى، وقراءة العامة بتخفيف السينين، وقرأ أبو جعفر وعيسى، بضمهما، وفي حرف عبد الله: إن مع العسر يسرا، مرة واحدة غير مكررة.

أخبرني أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد الرمجاري وأبو الحسن علي بن محمد ابن محمد البغدادي قالا: حدثنا محمد بن يعقوب الأصم قال: حدثنا أحمد بن شيبان الرملي قال: حدثنا عبد الله بن ميمون القداح قال: حدثنا شهاب بن خراش، عن عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس قال: أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة، أهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر، ثم أردفني

---

(١) كذا في المخطوط. [.....]."(١)

"وقال آخرون: المستحب الإفطار لما

روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى إذا بلغ كراع الغميم فصام الناس، فبلغه إن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح ماء وشرب بعد العصر والناس ينظرون فأفطر بعض الناس وصام بعضهم فبلغه إن الناس صاموا فقال: «أولئك العصاة» [٥١] «١» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٣٤/١٠

عاصم الأحول عن [بريد] العجلي عن أنس بن مالك قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنا الصائم ومنا المفطر فنزلنا في يوم حار واتخذنا ظلالا فسقط الصوام وقام المفطرون فسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر» [٥٢] «٢» .

وروى شعبة عن معلى عن يوسف بن الحكم قال: سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال: أرأيت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك ألم يغضبك؟

قال: نعم، قال: فإنها صدقة من الله عز وجل تصدق بها عليكم، وحد الاسفار التي يجوز فيها الإفطار ستة عشر فرسخا فصاعدا.

يريد الله بكم اليسر حين أرخص في الأسفار للمريض والمسافر.

ولا يريد بكم العسر وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع: العسر واليسر مثقلين في جميع القرآن.

وقرأ الباقون: بتخفيفهما وهما لغتان جيدتان ولا حجة للقدرية في هذه الآية لأنها مبنية على أول الكلام في إيجاب الصيام فهي خاص في الاحكام لأهل الإسلام.

ولتكملوا العدة قرأ أبو بكر وورويش: بتشديد الميم.

وقرأ الباقون بالتخفيف وهو الاختيار لقوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم «٣» والواو في قوله ولتكملوا واو النسق واللام لام كي تقديره: ويريد لتكملوا العدة.

وقال الزجاج: معناه فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة.

وقال عطاء: ولتكملوا عدة أيام الشهر.

وقال سائر المفسرين: ولتكملوا عدة ما أفطرتم في مرضكم وسفركم إذا برأتم وأقمتم وقضيتموها.

ولتكبروا الله ولتعظموا الله.

---

(١) سنن الترمذي: ٢/ ١٠٦، وسنن النسائي: ٤/ ١٧٧.

(٢) المجموع للنووي: ٦/ ٢٦٤، وصحيح البخاري: ٣/ ٢٢٤.

(٣) سورة المائدة: ٣.." (١)

"فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. رفعهما أبو جعفر وابن عامر وابن محيصن والحسن وعاصم ويعقوب وأختاره أبو حاتم، ونصبها ابن عباس، وجزمها الباقون فالجزم على النسق والرفع على الابتداء أي

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢/٧٣

فهو يغفر، والنصب على الصرف، وقيل: على إضمار (أن) الخفيفة.

وروى طاوس عن ابن عباس: فيغفر لمن يشاء. الذنب العظيم ويعذب من يشاء.

على الذنب الصغير لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون «١» .

والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه. الآية.

روى طلحة بن مصرف عن مرة عن عبد الله قال: لما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى، فأعطى لنا الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك [بالله] من أمته شيئا إلا المقحمات «٢» .

وعن علقمة بن قيس عن عقبة بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنزل الله عز وجل آيتين من كنوز العرش كتبهما الرحمن عز وجل قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من [يقولها] بعد العشاء الآخرة مرتين أجزأتا عنه قيام الليل: آمن الرسول. إلى آخر السورة» .

وروى أبو قلابة عن أبي الأشعث الهمداني عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل فيه آيتين فختم بهما سورة البقرة، فلا يقرآن في دار فيقربها شيطان ثلاث ليال» «٣» .

وروى عبد الرحمن عند ابن زيد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفياه» [٢١٤] «٤» .

موسى بن حذيفة عن ابن المنكدر قال: حدثنا حديثا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: «في آخر سورة البقرة آيات أنهن قرآن وأنهن دعاء وأنهن يرضين الرحمن»

«٥»

وفي الحديث: أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن بيت ثابت بن أويس بن شماس يزهر الليلة كالمصابيح، قال: «لعله يقرأ سورة البقرة» ، فسئل ثابت فقال: قرأت سورة البقرة.

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه،

قيل: إن هذه الآية نزلت حين شق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوعدهم الله عز وجل به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم، فشكوا ذلك إلى

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٣.

(٢) مسند أحمد: ١/ ٣٨٧، والمقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار.

(٣) مسند أحمد: ٤/ ٢٧٤.

(٤) مسند أحمد: ٤/ ١٢١.

(٥) تفسير مجمع البيان: ٢/ ٢٣١.." [١]

"إن الذين يكسبون الإثم سيجزون في الآخرة بما كانوا يقترفون بما يكسبون في الآخرة ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه فاقد [التسمية] ولم يدرك ذكاته أو ذبح لغير الله وإنه يعني الأكل لفسق وإن الشياطين ليوحون ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم. وذلك

إن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال:

الله قتلها. وقالوا: فتزعم إن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال عكرمة: معناه ولي الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون إلى أوليائهم من مشركي قريش وكانوا أولياءهم في الجاهلية وذلك أن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلى مشركي قريش. وكانت بينهم مكاتبة. إن محمدا وأصحابه يزعمون إنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون إن ما ذبحوا فهو حلال، وما ذبحه الله فهو حرام ولا يأكلونه، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله تعالى هذه الآية وإن أطعتموهم في أكل الميتة إنكم لمشركون قوله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه هو ألف الاستفهام والتقدير دخلت على **واو النسق فبقيت** على فتحها يعني أومن كان كافرا ميتا بالضلالة فهديناه واجتبيناه بالإيمان وجعلنا له نورا يستضيء به ويمشي به في الناس على قصد السبيل ومنهج الطريق.

قال ابن زيد: يعني بهذا النور الإسلام نيابة قوله يخرجهم من الظلمات إلى النور.

وقال قتادة: هذا المؤمن معه من الله نورا وبينة يعمل بها ويأخذ وإليها ينتهي كتاب الله كمن مثله في الظلمات.

قال بعضهم: المثل زائد تقديره كمن في الظلمات.

وقال بعضهم: معناه كن أو شبه بشيء كان يشبهه من في الظلمات من ظلمة الكفر والجهل والضلالة والمسير.

ليس بخارج منها لا يبصر شيئا ولا يعرف طريقا كالذي ضل طريقه في ظلمة الليل فهو لا يجد مخرجا ولا

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٠٣/٢

يهتدي طريقا.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما.

فقال ابن عباس: أومن كان [ميتا] فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس. يريد حمزة بن عبد المطلب كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها. أبو جهل، وذلك

إن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بالحجارة وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وهو راجع من قنصه وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع كعبد مسكين يقول: يا با يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف أبانا.." (١)

"وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن وأهل مكة والشام: قتلوا، مشددا على التكثير والباقون بالتخفيف بغير علم وحرموا ما رزقهم الله يعني البحيرة والسائبة والوصيلة والحام افتراء على الله حين قالوا: إن الله أمرهم بها وقد ضلوا وما كانوا مهتدين

وهو الذي أنشأ اخترع وابتدع جنات بساتين.

معروشات وغير معروشات مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات قال ابن عباس:

معروشات ما انبسط على وجه الأرض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ وغيرها، وغير معروشات ما كان على ساق مثل النخيل وسائر الأشجار وما كان على نسق، ومثل [البروج] ، وقال الضحاك: معروشات وغير معروشات الكرم خاصة منها ما عرش ومنها ما لم يعرش.

وروي عن ابن عباس أيضا أن المعروشات ما عرش الناس «١» ، وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار «٢» .

يدل عليه قراءة علي (مغروسات وغير مغروسات) بالغين والسين. (والنخل) يعني وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله ثمره وطعمه الحامض والمر والحلو والجيد والرديء وارتفع معنى الأكل [ومختلفا نعته] إلا أنه لما تقدم النعت على الاسم وولي منصوبا نصب، كما تقول: عندي طباخا غلام وأنشد:

الشر منتشر لقاك [من مرض] ... والصالحات عليها مغلقا باب

والزيتون والرمان متشابها في المنظر وغير متشابه في الطعم مثل الرمانتين لونهما

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨٦/٤

(١) أي رفع أغصانه.

(٢) تفسير الطبري: ٨/ ٦٩.." [(١)]

"حروف تحوي معاني كثيرة، وقيل: الله بها خلقه على مراده كله من ذلك، وموضعه رفع بالابتداء وكتاب خبره كأنه قال: (المص) حروف كتاب أنزل إليك، وقيل: كتاب خبر ابتدأ في هذا كتاب.

وقيل رفع على التقديم والتأخير، يعني أنزل كتاب إليك وهو القرآن فلا يكن في صدرك حرج منه قال أبو العالية: ضيق، وقال مجاهد: تنك، وقال الضحاك: إثم، وقال مقاتل: فلا يكن في قلبك شك في القرآن. إنه من الله، وقيل: معناه لا أطبق قلبك بإنذار من أرسلتك بإنذاره وإبلاغ من أمرتك بإبلاغه إياه وذكرى للمؤمنين أي عظة لهم وموعظة، وموضعه رفع مردود على الكتاب.

وقيل: هو نصب على المصدر تقديره ويذكر ذكرى. ويجوز أن يكون في موضع الخفض على معنى لتنذر في موضع خفض، والمعنى الإنذار والذكرى، وأما ذكرى فمصدر فيه ألف التأنيث [بمنزلة] دعوت دعوى ورجعت رجعي إلا أنه اسم في موضع المصدر.

اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أي قل لهم: اتبءوا ولا تتبعوا من دونه أولياء.

قرأ العامة بالعين من الاتباع، وروى عاصم الجحدري عن أبي [الشيخ] ومالك بن دينار «ولا تبتغوا» بالغين المعجمة أي لا تطلبوا قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها بالعذاب وموضع (كم) الرفع بالابتداء وخبره في (أهلكناها) وإن شئت نصبته برجوع الهاء، فجاءها بأسنا عذابنا بياتا ليلا [كما يأت بالعساكر] أو هم قائلون يعني نهارا في وقت [القائلة] وقائلون نائمون ظهيرة، ومعنى الآية: (أو هم قائلون) يعني: إن من هذه القرى ما أهلكت ليلا ومنها ما أهلكت نهارا وإنما حذفوها [لاستثقالهم] نسقا على نسق، هذا قول الفراء، وجعل [الزجاج] بمعنى أو [التحير] والإباحة تقديره: جاءهم بأسنا مرة ليلا ومرة نهارا فما كان دعواهم أي قولهم ودعاؤهم مثل قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم «١» قال الشاعر:

وإن مذلت رجلي دعوتك أشتفي ... بدعواك من مذل بها فتهون «٢»

مذل رجله إذا خدرت إذ جاءهم بأسنا عذابنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين مسيئين آثمين ولأمره مخالفين أقروا على أنفسهم.

روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم. قال: قلت: كيف يكون ذلك؟

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٩٧/٤

فقرأ هذه الآية: فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا الآية [١٧١] «٣» .

---

(١) سورة الأنبياء: ١٥
. (٢) لسان العرب: ١١/ ٦٢١
. (٣) مسند أحمد ٤/ ٢٦٠، وليس فيه ذكر الآية
.." (١)

"يدل عليه ما

روى قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبرئيل بالبراق ... »
وذكر حديث المعراج [١٦] «١» .
وقال الآخرون: عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم من دار أم هاني بنت أبي طالب أخت علي (رضي الله عنه) وزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي.
وقالوا: معنى قوله من المسجد الحرام من الحرم، لأن الحرم كله مسجد.
يدل عليه ما
روى الكلبي عن أبي صالح عن باذان عن أم هاني بنت أبي طالب أنها كانت تقول: ما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى في بيتي العشاء الآخرة فصليت معه، ثم قمت فنمت وتركته في مصلاه فلم انتبه حتى أنبهني لصلاة الغداة، قال:
«قومي يا أم هاني أحدثك العجب» [١٧] .
فقلت: كل حديثك العجب بأبي أنت وأمي فقام وصلى الغداة فصليت معه فلما انصرف قال: «يا أم هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بعد نومك ثم أتاني جبرئيل وأنا في مصلاي هذا فقال: يا محمد أخرج فخرجت إلى الباب فإذا بملك راكب على دابة فقال لي:
اركب فركبت فسارت بي إلى بيت المقدس، فإذا أتيت على واد طالت يدا الدابة وقصرت رجلاها، فإذا أتيت على عقبة طالت رجلاها وقصرت يداها حتى إذا انتهيت إلى بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما تروني» «٢» .

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢١٥/٤

قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة.

إلى المسجد الأقصى يعني بيت المقدس، سمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار الذي باركنا حوله بالماء والأنهار والأشجار والثمار.

وقال مجاهد: سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء، وفيه مهبط الملائكة والوحي، وهو الصخرة، ومنه يحشر الناس يوم القيامة.

لنريه من آياتنا عجائب أمرنا إنه هو السميع البصير.

وأما حديث المسرى، فاقتصرت به على الأخبار المأثورة المشهورة دون المناكير والأحاديث الواهية الأسانيد وجمعتها **على نسق واحد** مختصر، ليكون أعلى في الاستماع وأدنى إلى الانتفاع، وهو ما روى الزهري عن ابن سلمة بن عبد الرحمن قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) راجع الدر المنثور: ٤/ ١٥٧، وتاريخ بغداد: ١١/ ٢٥٧. [.....]

(٢) مجمع الزوائد: ١/ ٧٧، والمعجم الأوسط: ٤/ ١٦٥.." [١]

"يضل من تولاه ويهديه إلى عذاب السعير وتأويل الآية: قضي على الشيطان أنه يضل أتباعه ويدعوهم إلى النار.

ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال عز من قائل يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل ووالد البشر من تراب ثم ذريته من نطفة وهو المني وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ثم من علقة وهي الدم العبيط الجامد وجمعها علق ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما تمضغ مخلقة وغير مخلقة.

قال ابن عباس وقتادة: تامة الخلق وغير تامة.

وقال مجاهد: مصورة وغير مصورة يعني السقط.

قال عبد الله بن مسعود: إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله عز وجل ملكا فقال: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجتها الأرحام دما وإن قال: مخلقة قال: يا رب فما صفة هذه النطفة؟ أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقي أم سعيد؟ فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦/٥٥

النطفة، فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها.

لنبين لكم كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريفنا أطوار خلقكم.

ونقر روي عن عاصم بفتح الراء على النسق، غيره: بالرفع على معنى ونحن نقر (في الأرحام) ما نشاء فلا تمجه ولا تسقطه إلى أجل مسمى وقت خروجها من الرحم تام الخلق والمدة ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم طفلا صغارا ولم يقل أطفالا لأن العرب تسمي الجمع باسم الواحد.

قال الشاعر:

إن العواذل ليس لي بأمير

ولم يقل أمراء.

وقال ابن جريج «١» : تشبيها باسم المصدر مثل: عدل وزور، وقيل: تشبيها بالخصم والضيف.

ثم لتبلغوا أشدكم كمال عقولكم ونهاية قواكم.

ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد ومنكم من يعمر حتى يرد إلى أرذل العمر وهو الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا.

ثم بين دلالة أخرى للبعث فقال تعالى وترى الأرض هامدة يابسة دارسة الأثر من الزرع والنبات كهمود النار.

---

(١) في النسخة الثانية: ابن جرير.." (١)

"وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر وهو قوله هم، على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه الى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه الى مؤنث، كقول الأعشى:

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم «١»

وقال العجاج:

لما رأى متن السماء أبعدت.

وقيل: لما كان الخضوع وهو المتعارف من بني آدم أخرج الأعناق مخرج بني آدم كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين «٢» وقوله سبحانه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم «٣» ومنه قول الشاعر:

تمززتها والديك يدعو صباحه ... إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا «٤»

وقيل: إنما قال خاضعين «٥» فعبر بالأعناق عن جميع الأبدان، والعرب تعبر ببعض الشيء عن كله كقوله

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨/٧

بما قدمت يداك «٦» وقوله ألزمناه طائره في عنقه «٧» ونحوهما.

قال مجاهد: أراد بالأعناق هاهنا الرؤساء والكبراء، وقيل: أراد بالأعناق الجماعات والطوائف من الناس، يقال: جاء القوم عنقا أي طوائف وعصبا كقول الشاعر:

ان العراق وأهله عنق ... إليك فهيت هيتا «٨»

وقرأ ابن أبي عبلة: فظلت أعناقهم لها خاضعة.

وما يأتيهم من ذكر أي وعظ وتذكير من الرحمن محدث في الوحي والتنزيل إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنبؤا أخبار وعواقب وجزاء ما كانوا به يستهزؤن وهذا وعيد لهم أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج لون وصنف من النبات مما يأكل الناس والأنعام كريم حسن يكرم على الناس، يقال: نخلة كريمة إذا طاب حملها وناقة كريمة إذا كثر لبنها.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا الحسن بن محمد بن

---

(١) تفسير القرطبي: ٩/ ١٣٢.

(٢) سورة يوسف: ٤.

(٣) سورة النمل: ١٨.

(٤) لسان العرب: ٦/ ٣٥٥.

(٥) في النسخة الثانية زيادة: لأجل رؤوس الآي ليكون **على نسق واحد**، وقيل: أراد: فظلوا خاضعين.

(٦) سورة الحج: ١٠.

(٧) سورة الإسراء: ١٣.

(٨) لسان العرب: ١٠/ ٣٧٢. [.....]."[١]

"قرأه العامة: بالهاء.

وقرأ ابن عامر: منكم بالكاف. وكذلك هو في مصاحفهم.

وآثارا في الأرض فلم ينفعهم ذلك حين أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يعني من عذاب الله من واق ينفعهم ويدفع عنهم ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٥٨/٧

جاءهم بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه.

قال قتادة: هذا قتل غير القتل الأول، لأن فرعون كان أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث إليه موسى أعاد القتل عليهم.

واستحيوا نساءهم ليصدوهم بقتل الأبناء واستحياء النساء عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم إلا في ضلال وقال فرعون لملائه ذروني أقتل موسى وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا إني أخاف أن يبدل يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحر أو أن.

قرأ أبو عمر وأهل المدينة وأهل الشام وأهل مكة: وأن بغير ألف، وكذلك هي في مصاحف أهل الحرمين والشام.

وقرأ الكوفيون وبعض البصريين: (أو أن) بالألف، وكذلك هي في مصاحف أهل العراق.

وقال أبو عبيد: وبها يقرأ للزيادة التي فيها، ولأن (أو) ربما كانت في تأويل الواو، ولا تكون الواو في معنى أو.

يظهر في الأرض الفساد.

قرأ أهل المدينة والبصرة: (يظهر) بضم الياء وكسر الهاء، و (الفساد) بنصب الدال على التعدية.

ومثله روى حفص عن عاصم وهي اختيار أبي عبيد قال لقومه: يبدل دينكم، فكذلك يظهر ليكون الفعلان **على نسق واحد**.

وقرأ الآخرون: بفتح الياء والهاء ورفع الدال على اللزوم، وهي اختيار أبي حاتم. والفساد انتقاص الأمر، وأراد فرعون به تبديل الدين وعبادة غيره.

وقال موسى لما توعده فرعون بالقتل: إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه اختلفوا في هذا المؤمن.." (١)

"والصواب. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم، ولم يتخذ الله رسولا، إلا كان ذا عزم، وهو اختيار علي بن مهدي الطبري، قال: وإنما دخلت (من) للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال: اشتريت أكسية من الخز، وأردية من البز. حكاها شيخنا أبو القاسم بن حبيب عنه.

وقال بعضهم: كل الأنبياء (عليهم السلام) أولوا عزم، إلا يونس، ألا ترى إن نبينا صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يكون مثله، لخفة وعجلة ظهرت منه حين ولى من قومه مغاضبا، فابتلاه الله بثلاث:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٧٢/٨

سلط عليه العمالقة حتى أغاروا على أهله وماله، وسلط الذئب على ولده فأكلهم، وسلط الحوت عليه حتى ابتلعه.

سمعت أبا منصور الجمشاذي يحكيها، عن أبي بكر الرازي، عن أبي القاسم الحكيم.

وقيل: هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر، وهو اختيار الحسين بن الفضل، قال: لقوله في عقبه: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده «١» .

وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالقتال، فأظهروا المكاشفة، وجاهدوا الكفرة بالبراءة، وجاهدوهم. أخبرنا ابن منجويه الدينوري، عن أبي علي حبش المقري، قال: قال بعض أهل العلم: أولوا العزم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله تعالى إلى الأنبياء (عليهم السلام) : «إني مرسل عذابي على عصاة بني إسرائيل» ، فشق ذلك عليهم، فأوحى الله تعالى إليهم أن اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجيتكم وأنزلت ببني إسرائيل. فتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل، فأنجى الله بني إسرائيل وأنزل بأولئك العذاب، وذلك إنه سلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلد رأسه ووجهه، ومنهم من رفع على الخشب، ومنهم من أحرق بالنار، وقيل هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى.

وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراب «٢» والشعراء. وقيل أصحاب الشرائع، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وسلم.

وقال مقاتل: أولوا العزم ستة: نوح صبر على أذى قومه فكانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر في البئر وفي السجن، وأيوب صبر على ضره.

---

(١) سورة الأنعام: ٩٠.

(٢) كذا في المخطوط.." (١)

"وأصل المور الاختلاف والاضطراب، قال رؤبة:

مسودة الأعضاد من وشم العرق ... مائرة الضبعين مصلات العنق

أي مضطربة العضدين.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٢٥

وتسيير الجبال سيرا فتزول عن أماكنها وتصير هباء منبثا.

فويل يومئذ للمكذبين وإنما أدخل الفاء في قوله فويل لأن في الكلام معنى المجاراة مجازه: إذا كان هذا فويل يومئذ للمكذبين.

الذين هم في خوض باطل يلعبون غافلين جاهلين ساهين لاهين.

يوم يدعون يدفعون إلى نار جهنم دعا دفعا ويزعجون إليها إزعاجا، وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم إلى أعناقهم ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم، وتجافى أقفيتهم حتى يردوا النار.

وقرأ أبو رجاء العطاردي يوم يدعون إلى النار دعاء بالتخفيف من الدعاء. قالوا: فإذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة:

هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون. اصلوها ادخلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين ذوي «١» فاكهة كثيرة، وفكهين: معجبين ناعمين.

بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ثم يقال لهم: كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة قد صف بعضها إلى بعض، وقوبل بعضها ببعض وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم قرأ أبو عمرو «وأتبعناهم» بالنون والألف «ذرياتهم» بالألف فيهما، وكسر التائين لقوله: ألحقنا ... وما ألتناهم ليكون الكلام **على نسق واحد**، وقرأ الآخرون واتبعتهم بالتاء من غير ألف ثم اختلفوا في قوله: ذريتهم، وقرأ أهل المدينة الأولى بغير ألف وضم التاء، والثانية بالألف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام بالألف فيهما وكسر تاء الثانية، وهو اختيار يعقوب وأبي حاتم، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما وفتح تاء الثانية، وهو اختيار أبي عبيد.

واختلف المفسرون في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم التي بلغت الإيمان بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان، وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس. فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة

---

(١) في المخطوط: ذوو.." [١]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٢٧/٩

"اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات.
قرأ ابن كثير وعاصم برواية أبي بكر والمفضل بتخفيف الصادين من التصديق مجازه: إن المؤمنين والمؤمنات.
وقرأ الباقون: بتشديدهما بمعنى أن المتصدقين والمتصدقات، فأدغم التاء في الصاد كالمزمل والمدثر، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتبارا لقراءة أبي: (إن المتصدقين والمتصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا) بالصدقة والنفقة في سبيله.
قال الحسن: كل ما في القرآن من القرض الحسن فهو التطوع وإنما عطف بالفعل على الاسم لأنه في تقدير الفعل، مجازه: إن الذين صدقوا وأقرضوا يضاعف لهم أمثالها.
قراءة العامة: بالألف وفتح العين. وقرأ الأعمش: (يضاعفه) بكسر العين وزيادة هاء.
وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو جعفر (يضعف) بالتشديد.
ولهم أجر كريم وهو الجنة والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون واحدهم: صديق وهو الكثير الصدق.
قال الضحاك: هم ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد وحمزة بن عبد المطلب، تاسعهم عمر بن الخطاب ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نبيه.
والشهداء عند ربهم اختلف العلماء في نظم هذه الآية وحكمها، فقال قوم: تمام الكلام عند قوله: الصديقون ثم ابتدأ فقال: والشهداء وأراد بهم شهداء المؤمنين خاصة، والواو فيه واو الاستئناء، وهذا قول ابن عباس ومسروق وجماعة من العلماء. وقال الآخرون:
هي متصلة بما قبلها، والواو فيه واو النسق.
ثم اختلفوا في معناها، فقال الضحاك: نزلت في قوم مخصوصين من المؤمنين، وكانوا كلهم شهداء، وقد مر ذكرهم.
وقال غيره: نزلت في المؤمنين المخلصين كلهم.
أخبرني عبد الله بن حامد- إجازة- قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله المزني قال: حدثنا عبد الله ابن غنام النخعي قال: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا عبيد بن سعيد، عن شعبة، عن أبي." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٢٤٣

"ولا يحسن أن يعطف من فتح على ﴿أنه (استمع﴾ لأنه ليس كله يحسن فيه ذلك المعنى. لو قلت " وأوحى إلي أنا ظننا " وأوحي إلي) أنه كان (يقول سفيهنا) لم يحسن شيء من ذلك لأنه مما حكى الله جل ذكره لنا من قول الجن، لا يجوز أن يعطف كلام الجن على ما أوحي إلى النبي A، لأنه لي منه. وعلة من كسر الجميع وفتح ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ وهو [أبو عمرو] وابن كثير، لأ، ه ليس من قول الجن فيحمل على الحكاية، فحمله على العطف على قوله: ﴿أنه استمع﴾، فهو في موضع رفع عطف على المفعول الذي لم يسم فاعله وهو ﴿أنه استمع﴾.

فأما علة (من) فتح " أن " في قوله ﴿وألو استقاموا﴾ وأجماعهم على ذلك فلأنها بعد يمين مقدرة فانقطعت عن النسق، والتقدير: والله أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا.

وكان سبب استماع الجن للقرآن (ما) قال ابن عباس، قال: " انطلق." (١)

"﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب يريد: إنهن أحق بالإرضاع من غيرهن إذا أردن ذلك ﴿حولين﴾ سنتين ﴿كاملين﴾ تامين وهذا تحديد لقطع التنازع بين الزوجين إذا اشتجرا في مدة الرضاع يدل على هذا قوله ﴿لمن أراد﴾ أي: هذا التقرير والبيان ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ﴿وعلى المولود له﴾ أي: الأب ﴿رزقهن وكسوتهن﴾ رزق الوالدات ولباسهن قال المفسرون: وعلى الزوج رزق المرأة المطلقة وكسوتها إذا أرضعت الولد ﴿بالمعروف﴾ بما يعرفون أنه عدل على قدر الإمكان وهو معنى قوله: ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها﴾ لا تلزم نفس إلا ما يسعها ﴿لا تضار والدة بولدها﴾ لا ينزع الولد منها إلى غيرها بعد أن رضيت بإرضاعه وألفها الصبي ولا تلقيه هي إلى أبيه بعدما عرفها تضاره بذلك وهو قوله: ﴿ولا مولود له بولده﴾ ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ **هذا نسق على** قوله: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن﴾ بمعنى: على وارث الصبي - الذي لو مات الصبي وله مال ورثه - مثل الذي كان على أبيه في حياته وأراد بالوارث من كان من عصبته كائنا من كان من الرجال ﴿فإن أرادا﴾ يعني: الأبوين ﴿فصالا﴾ فطاما للولد ﴿عن تراض منهما﴾ قبل الحولين ﴿وتشاور﴾ بينهما ﴿فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ مراضع غير الوالدة ﴿فلا جناح عليكم﴾ فلا إثم عليكم ﴿إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ أي: إذا سلمتم إلى الأم أجرتها بمقدار ما أرضعت." (٢)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٧٥٦/١٢

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١٧٢

"﴿قل هل أنبئكم﴾ أخبركم جواب لقول اليهود: ما نعرف أهل دين شرا منكم فقال الله: ﴿هل أنبئكم﴾ أخبركم ﴿بشر من﴾ ذلكم المسلمون الذين طعنتم عليهم ﴿مثوبة﴾ جزاء وثوابا ﴿عند الله من لعنه الله﴾ أي: هو من لعنه الله: أبعده عن رحمته ﴿وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ يعني: أصحاب السبت ﴿وعبد **الطاغوت**﴾ **نسق على** ﴿لعنه الله﴾ وعبد الطاغوت أطاع الشيطان فيما سوله له ﴿أولئك شر مكانا﴾ لأن مكانهم سقر ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ قصد الطريق وهو دين الحنيفية فلما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود وقالوا: يا إخوان القردة والخنازير فسكتوا وافتضحوا." (١)

"﴿ومن خزي يومئذ﴾ أي: نجيناهم من العذاب الذي أهلك قومه ومن الخزي الذي لزمهم وبقي العار فيهم مأثورا عنهم فالواو في **﴿ومن﴾ نسق على** محذوف وهو العذاب." (٢)

"وبدأ العمل في الكتاب منذ ست سنوات، وكان عملا متواصلا لا ينفك البتة، مما جعل اللجنة المشكلة تبذل جهودا متواصلة لإخراجه وطباعته، ومحاولة توحيد عمل المحققين، والسعي لتوحيد الإخراج، ليكون الكتاب كله **على نسق متقارب**.

وقد أخذت اللجنة العلمية على عاتقها تطبيق ملحوظات الفاحصين على جميع الرسائل، من خلال المراجعين الذين كلفوا بالمراجعة والتصحيح والتدقيق، كما قررت اللجنة أن تدون أسماء الباحثين على الأجزاء التي حققوها، وبذلت خطوات علمية وعملية حيث قامت اللجان بمقابلة النص كاملا على إحدى النسخ الخطية للتأكد من خلوه من الأسقاط، والالتزام برسم المصحف، والضبط بالشكل للمشكل من الكلمات، أو ما يستدعي السياق ضبطه، ورفع الإبهام عن النص، والتخلص من تراجم المشهورين، ومحاولة عدم تكرار التخريج للنصوص، وعدم تكرار توثيق الشواهد ما أمكن، إلا ما دعت الحاجة إلى تكراره، وبعد هذا كله الإشراف على الفهرسة العلمية الكاملة لهذا الكتاب.

هذا جهد استمر من منتصف عام ١٤٢٥ هـ، حتى الآن، وبعد جهود متواصلة، ومتابعة متلاحقة خرج هذا العمل الذي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون عملا صالحا مقبولا، وأن يجزي الباحثين أصحاب الرسائل كل خير.

وأخيرا أشكر الله سبحانه وتعالى على ما أعان ويسر وتمم، وأثني بالشكر والعرفان لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس

---

(١) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٣٢٦

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٢٦

الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام، وصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية على ما أولوه للعلم والمعرفة من عناية ورعاية واهتمام، وما قدموه وما يقدمونه للجامعات السعودية من جهود مباركة.

- و -." [1]

"وذكر صلته بكتاب الحجة بصفة خاصة حينما قال: وذكرت وجوه القراءات السبع التي اجتمع عليها أهل الأمصار دون تسمية القراء، واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، الذي رواه لنا سعيد بن محمد الحيري عنه .. (١).

ولقد اعتمد الواحدي اعتمادا كبيرا على كتاب "الحجة" في توجيه القراءات، ونقل عنه وأطال، ولعله اكتفى بتلك الإحالة التي ذكرها في المقدمة حين قال: .. واعتمدت في أكثرها على كتاب أبي على الحسن بن أحمد الفارسي ... ولهذا لم يعز له إلا قليلا مع أنه في أكثر المواضع ينقل كلام أبي علي بنصه، وقد يتصرف فيه تصرفا يسيرا.

على أنه مما ينبغي ذكره أن أبا علي لما أطال في كتابه على **هذا النسق جعل** الكتاب صعب العبارة، لا يستطيع الإفادة منه إلا القليل. ذكر هذا تلميذه ابن جني حينما قال: "وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب "الحجة في قراءة السبعة" فأغمضه وأطال حتى منع كثيرا -ممن يدعي العربية فضلا عن القرأة- منه، وأجفاهم عنه" (٢).

وبنقل الواحدي عن الحجة وإطالته في ذلك، وقع في كتابه شيء من الغموض وصعوبة العبارة، تلاحظ ذلك وأنت تقرأ في حجج القراءات عند الواحدي أو في بعض المباحث اللغوية والنحوية.

وأمثلة ما نقله عن "الحجة" كثيرة ففي كل موضع تكلم فيه عن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) "المحتسب" ١/ ٢٣٦، وانظر مقدمة المحققين على كتاب "الحجة" ص ٢٦، طبعة دار المأمون.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٠١/١

"فذكر أقوالا مأثورة ثم قال: قال صاحب النظم: الهاء كناية عن الاستهزاء ودل عليه الفعل؛ كقولهم: من كذب كان شرا له، والفعل يدل على المصدر؛ كقوله: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧] أي: الشكر، فأضمره لدلالة الفعل عليه.

نقل معنى "الغريب": عند قوله تعالى: ﴿وقضينا إليه﴾ [الحجر: ٦٦] قال: وقال صاحب النظم: أي: فرغنا منه؛ كقوله: ﴿ثم اقضوا إلي﴾ [يونس: ٧١] وقد مر.

إزالة الإشكال النحوي عن الآية وبيان معناها: عند قوله تعالى: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ [الحجر: ٩٠] قال: قال صاحب "النظم" المعنى: إني أنذرتكم ما أنزلناه على المقتسمين، وتكون الكاف زائدة.

اختيار الوقف وتوجيهه: عند قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ [النحل: ٥] بين أن الوقف إما على ﴿خلقها﴾، وإما على ﴿خلقها لكم﴾، ثم ذكر اختيار صاحب "النظم"، فقال: قال صاحب النظم: أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله: ﴿خلقها﴾؛ لقوله في النسق على ما قبلها: ﴿ولكم فيها جمال﴾ [النحل: ٦].

نقل اللطائف البلاغية: عند قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ [النحل: ٣٣] قال: قال صاحب النظم: إنهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالله، كيف ينتظرون أمره؟! ولن لما كان امتناعهم من الدخول في الإيمان موجبا عليهم إتيان أمر الله والملائكة بما قدر عليهم من العذاب، وكان عاقبة أمرهم إلى ذلك، أضيف ذلك إليهم على المجاز والسعة، وجعل مجيء ذلك انتظارا منهم له؛ فكأنه -عز وجل- قال: هل يكون مدة إقامتهم على كفرهم إلى مقدار إيقاعي بهم وإنزالي العذاب." (١)

"وغير الواو، منه قوله (١) -عز وجل-: ﴿حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾ [غافر: ١ - ٣]،وجاء بعض بالواو وبعض بغير الواو، ومنه قول الخرنق:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الحزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر (٢)

وإنما يفعل ذلك لالتباس الكلام بعضه ببعض.

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿التائبون﴾ إلى قوله: ﴿الساجدون﴾ مبتدأ يقتضي جوابا، وجاء بهذا (٣) النظم منسوقا بعضه على بعض بلا واو العطف، ثم أجاب هذا المبتدأ بقوله: ﴿الآمرون بالمعروف والناهون عن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٣٨/١

المنكر﴾ فلما كان الفصل الأول مبتدأ جعل له نظما غير نظم الجواب، ونظم **الجواب نسق بواو** العطف فرقا بينهما، ولولا هذا الفرق لما امتاز

---

(١) في (ى) زيادة نصها: (قوله: والناهون) وقوله ... إلخ).

(٢) انظر: "ديوان الخرنق" ص ٢٩، و"أوضح المسالك" ١/ ١٠، و"كتاب سيبويه" ١/ ٢٠٢.

لا يعدن: أي لا يهلكن. سم العداة: أي هم كالسم لعدوهم.

آفة الجزر: أي هم آفة للإبل التي تجزر لكثرة ما ينحرون منها. والمعترك: موضع ازدحام الناس في المعركة.

ومعقد الإزار: موضع عقده، والإزار: ما يستر النصف الأسفل من البدن، وطيبها كناية عن العفة والبعد عن الفاحشة.

قال ابن هشام بعد ذكر البيتين: يجوز فيه رفع (النازلين) و (الطيبين) على الإتباع لـ (قومي) أو على القطع بإضمار (هم)، ونصبها بإضمار (أمدح) و (أذكر) ورفع الأول ونصب الثاني على ما ذكرنا، وعكسه على القطع فيهما. أوضح المسالك ٣/ ١٢.

(٣) في (ى): (هذا).." [١]

"وقوله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم﴾، قال صاحب النظم: قول: ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ معرفة منهم بالذنب وإضمار للتوبة وطلب لها، والله -عز وجل- يقبل النية الصالحة، فلما كان هذا نيتهم أضمر الله -عز وجل- في الكلام أنه قبل ذلك منهم ورحمهم، **ثم نسق بـ** (ثم) على هذا الإضمار، على تأويل: حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وعلموا (١) ألا ملجأ من الله إلا إليه رحمهم، ثم تاب عليهم) انتهى كلامه، وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ إعادة للتوكيد؛ لأن ذكر التوبة على هؤلاء قد مضى في قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾، قال ابن عباس: (يريد: ازداد لهم رضا وعصمة) (٢)، وقد ذكرنا نظير هذا في الآية الأولى.

ومعنى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ أي لطف لهم (٣) في التوبة ووفقهم لها، وهذا دليل على أنه ما (٤) لم يرد الله تعالى توبة العبد ولم يوفقه لها لا يمكنه ذلك.

وقال ابن الأنباري: (معناه: ثم تاب عليهم ليدوموا على التوبة، ولا يراجعوا ما يبطلها، قال: ويجوز أن يكون المعنى: ثم تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة (٥) ويتوفر عليهم ثوابها، وهذان لا يقعان إلا بعد توبة الله عليهم)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧٢/١١

.(٦)

---

(١) في (ج): (واعملوا).

(٢) ذكره الرازي في "تفسيره" ١٦/ ٢١٦.

(٣) في (ى): (بهم)، وما في (م) و (ح) موافق لما في "الوسيط" ٢/ ٥٣٣.

(٤) ساقط من (ى).

(٥) في (ح): (في التوبة).

(٦) "تفسير الرازي" ١٦/ ٢١٩ بلا نسبة.." [(١)]

"و (مع) تقتضي المصاحبة، والمعنى على (١) أنهم أمروا بأن يكونوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في الشدة والرخاء، قاله أبو إسحاق (٢).

١٢٠ - وقوله تعالى: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب﴾ قال ابن عباس: (يعني مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار) (٣)، ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾، قال: يريد لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحر والمشقة (٤)، يحرضهم ويحضهم على الجهاد، يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر: أي ترفعت عنه

---

(١) في (ح): (علم)، وسقطت الكلمة من (ى)، وما أثبته من (م) موافق لما في "الوسيط" ٢/ ٥٣٣ ونص العبارة في "المصدر السابق": (.. وكونوا مع الصادقين) **على نسق الكلام** يدل على أنهم أمروا ... إلخ.

أقول: وقد ذكر الزجاج قولا آخر في الآية فقال: (يجوز أن يكون ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل)، وذكر هذا القول أيضا ابن جرير ١١/ ٦٣ تفسيرا لقراءة ابن مسعود (وكونوا من الصادقين) لكنه لم يرتض هذا المعنى محتجا بأنه مخالف للقراءة الموافقة لرسم المصحف، واحتجاجه هذا فيه نظر؛ لأن (مع) في لغة العرب للصحبة اللائقة، ولا تستلزم المخالطة والممازجة، بل تختلف باختلاف مصحوبها، فكون الله تعالى مع المتقين لون، وكون عقل الإنسان معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره معه لون .. وهكذا، فإذا علم هذا كان المعنى اللائق بقوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ كونوا منهم؛ لأن الإنسان لا

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٦/١١

يمكن أن يكون مع مجموعة جمعهم الصدق إلا إذا كان صادقا موافقا لهم في الخصلة الي جمعتهم. والله أعلم.

وانظر مبحث المعية في " مختصر الصواعق المرسلة" ٢/ ٢٦٥، و"لسان العرب" (معع) ٧/ ٤٢٣٤، و"البحر المحيط" ٥/ ١١١.

(٢) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤٧٥.

(٣) انظر: "زاد المسير" ٣/ ٥١٥، و"الوسيط" ٢/ ٥٣٤.

(٤) انظر المصدرين السابقين، نفس الموضع.." [1]

"واجبة بهذه الحال.

وإذا كان كان آخر الكلام منقطعا من الأول لم يؤد (١) إلى هذا النوع من الفساد، فكأنه قال: لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض لا صغيرا ولا كبيرا، وانقطع الكلام هاهنا ثم استأنف خبرا آخر بقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ [أي: وهو أيضا في كتاب مبين] (٢)، والعرب تضع (إلا) موضع **واو النسق كثيرا** على معنى الابتداء، كقوله تعالى: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون (١٠) إلا من ظلم﴾ [النمل: ١٠، ١١] يعني ومن ظلم، وقوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا﴾ (٣) [البقرة: ١٥٠] يعني: والذين ظلموا (٤). وهذا مذهب أبي عبيدة في تلك الآية (٥)، وقد ذكرنا في سورة البقرة ما احتج به من الأبيات (٦)، فقد ثبت أن (إلا) بمعنى **واو النسق تستعمل**، فقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ معنى (إلا) هاهنا: واو النسق، وأضمر بعده (هو)، والعرب تضمر

---

(١) في (خ) و (ز): (يرد).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) وقد كتب نساخ (ح) و (ز) و (ى) و (ص) الآية هكذا: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وأسقط ناسخ (م) لفظ (للناس) ولا توجد آية بأحد هذين اللفظين، وفي قول الله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ [النساء: ١٦٥]، ودلالة السياق تدل على أن المؤلف أراد آية سورة البقرة وعندها ذكر أبو عبيدة مذهبه.

(٤) انظر قول أبي علي الجرجاني في "تفسير الرازي" ١٧/ ١٢٤، "الدر المصون" ٦/ ٢٣١ مختصرا،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١/٨٨

وقال الرازي: هذا الوجه في غاية التعسف. اهـ. وقال السمين الحلبي: هذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدا، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح.

(٥) انظر: "مجاز القرآن" ١/ ٦٠، وانظر أيضا: "معاني القرآن" للأخفش ١/ ١٦٢ فهو يجيز أن تكون (إلا) بمنزلة الواو.

(٦) انظر النسخة الأزهرية ١/ ٩٧ أ.." [١]

"قال: وقد قيل: إن (ثم) هاهنا زائدة، **وحروف النسق قد** تزاد في أضعاف الكلام مثل قوله: (كالأعمى والأصم والبصير (١) والسميع) (٢) [هود: ٢٤].

وقد ذكرنا هذا في الواو التي تكرر (٣) في النعوت، نحو قوله:

إلى الملك القرم وابن الهمام (٤)

وكقوله تعالى: ﴿إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾ [الزمر: ٧٣]، وزيادة الفاء ذكرناها أيضا في مواضع، ومنها [قوله: ﴿إن الذين فتنوا﴾ إلى قوله: ﴿فلهم﴾ (٥) [البروج: ١٠] فالفاء زيادة (٦)، وكذلك قوله: ﴿والذين كفروا

---

(١) في (م): (والسميع البصير)، وهو خطأ.

(٢) وانظر زيادة (ثم) في "الصاحبي" ص ١٥٢.

(٣) في (ى): (تكون).

(٤) صدر بيت، وعجزه:

وليث الكتيبة في المزدحم

وهو مجهول القائل، وانظره بلا نسبة في: أبيات النحو في تفسير "البحر المحيط" ١/ ٢٠٢، "الإنصاف" ص ٤٧٦، "خزانة الأدب" ٥/ ١٠٧، "شرح أبيات معاني القرآن" ص ٣١٠، "شرح قطر الندى" ص ٢٩٥، "الكشاف" ١/ ١٣٣، ولم ينسبه محب الدين في "تنزيل الآيات على الشواهد" (ملحق بالكشاف) ٤/ ٥١٢. والقرم: الفحل المكرم الذي لا يحمل عليه، ويطلق على السيد من الناس، والكتيبة: الجيش، والمزدحم: المراد به هنا المعركة؛ لأنها موضع المزاحمة والمدافعة. انظر تنزيل الآيات، الموضع السابق، "لسان العرب" (قرم).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٤٦/١١

(٥) لم يذكر في هذا الموضع زيادة الفاء.

(٦) في (م): (زائدة). وقد سبق بيان مراد النحويين بالزيادة وأضيف هنا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية حول الموضوع بعد بيانه وجود الزيادة في "كلام العرب"، ونصه: فليس في القرآن من هذا شيء، ولا يذكر فيه لفظا زائدا (كذا) إلا لمعنى زائد، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد، وما يجيء من =." [1]

"وأنشد (١):

يظن سعيد وابن عمرو بأنني ... إذا سامني ذلا أكون به أرضى

فنسق ابن عمرو على سعيد في المعنى، وهذا أعرب من الأول، إذا (٢) **نسق نعتا** (٣) على اسم، ونسق النعت [على النعت] (٤) أبعد من اللبس.

وقوله تعالى: ﴿مثلا﴾ نصب على التفسير، ﴿أفلا تذكرون﴾ قال ابن عباس (٥): أفلا تتعظون يا أهل مكة.

٢٥ - قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني﴾ ويقرأ بكسر الألف، فمن فتح (٦) حمل على أرسلنا، أي أرسلناه بأني لكم نذير، وكان الوجه بأنه لهم نذير، ولكنه على الرجوع من الغيبة إلى خطاب (٧) نوح قومه كما قال: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ [الأعراف: ١٤٥] ثم قال: ﴿فخذها

= آتينا موسى الكتاب الفرقان، أي الفارق بين الحلال والحرام، زيدت الواو كما تزاد في النعوت، فيقال: فلان حسن طويل وسخي. ولعل هذا القول هو المناسب لإيراده هنا.

(١) البيت من الطويل، ولم ينسبه الواحدي، وهو بـ‌لا نسبة في "زاد المسير" ٤/ ٧٨، والمخاطب بهذا البيت هو سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

(٢) كذا في النسخ ولعله (إذ).

(٣) ساقط من (ب).

(٤) ساقط من (ب).

(٥) "تنوير المقباس" /١٣٩، البغوي ٤/ ١٧٠.

(٦) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي، انظر: "السبعة" ٣٣٢، "التبصرة" ٥/ ٥٣٧، "الكشف عن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٩/١١

وجوه القراءات السبع" لمكي ١/ ٥٢٥، "الحجة" ٤/ ٣١٥، الثعلبي ٧/ ٣٨ ب.

(٧) في (ي): (الخطاب).." [1]

"(في الدار زيد). الثاني مما ذكره أبو إسحاق أنه مرفوع بالفعل الذي يعمل في (١) ﴿من وراء﴾؛ كأنه قال: ويثبت لها من وراء إسحاق يعقوب، وقرأ ابن عامر وحمزة ﴿يعقوب﴾ (٢) بفتح الباء، قال [الفراء (٣): من قرأ ذلك نوى به الخفض يريد: ومن وراء] (٤) إسحاق بيعقوب قال: ولايجوز هذا إلا بإظهار الباء.

قال أبو بكر (٥): من قال: إن (يعقوب) على قراءة حمزة في موضع خفض بالباء فقد غلط عند الفراء (٦) وسيبويه (٧)؛ لأن **واو النسق لا** يفصل بينها وبين المنسوق بالصفات ولا غيرها، فلا يقال: مررت بأخيك ومن بعده أبيك؛ لأن الواو مع الأب بمنزلة الشيء الواحد فلا تدخل بينهما الصفة، ولا يجوز أن يضمر بعد الواو في الآية تبشير آخر معه باء؛ لأنه لا يصلح ضمير شيئين على هذه الشريطة، ولا تعمل الباء مضمرة إذا كانت صلة لفعل يتصل به ضمير، كما لا تعمل إلا مظهرة حتى يظهر الفعل معها، ألا ترى أن الذي يقول مررت أبيك لا يضمر الباء هاهنا ويخفض بها، فامتناعها هناك من أن تظهر وتعمل كامتناعها هاهنا، قال: والصحيح في

---

(١) ساقط من (ي).

(٢) قرأ حفص وابن عامر وحمزة بفتح الباء، والباقون بالرفع، انظر: "السبعة" ص ٣٣٨، "إتحاف" ٢٥٨، "الكشف" ١/ ٥٣٤، "الحجة" ٤/ ٣٦٤.

(٣) "معاني القرآن" ٢/ ٢٢.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٥) "تهذيب اللغة" (عقب) ٣/ ٢٥٠٨، "اللسان" (عقب) ٥/ ٣٠٣٠.

(٦) "معاني القرآن" ٢/ ٢٢.

(٧) "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ١٠١، وانظر: "الكتاب" ١/ ٤٨ - ٤٩.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٩٠/١١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٠/١١

"[وقوله تعالى: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم] (١) موثقا من الله﴾ أي في حفظكم الأخ ورده إلى أبيه، وذكرنا الكلام في قوله: ﴿موثقا من الله﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ وذكر الفراء (٣) والزجاج (٤) وابن الأنباري في "ما" ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكون المعنى ومن قبل تفريطكم في يوسف أي: وقع وظهر تفريطكم، فـ"ما" يكون موضعها رفعا، وتكون مع الفعل بمنزلة المصدر.

الثاني: أن يكون "ما" في موضع نصب نسق على المعنى: ﴿ألم تعلموا أن أباكم﴾، ومن قبل تفريطكم في يوسف.

الثالث: أن تكون لغوا لا موضع لها من الإعراب، وتلخيصها: ومن قبل فرطتم في يوسف (٥)، وذكرنا معنى التفريط في قوله: ﴿وهم لا يفرطون﴾ (٦).

= فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم إلا ما ذكرت، وقد قال أهل التأويل: لم يكن لشمعون على إخوته رياسة وسؤدد، فيعلم بذلك أنه عني بقوله ﴿قال كبيرهم﴾ فـإذا كان ذلك كذلك، فلم يبق إلا الوجه الآخر وهو الكبر في السن، وقد قال الذين ذكرنا جميعا: "روبيل كان أكبر القوم سنا" فصح بذلك القول الذي اخترناه. اهـ" واستظهر هذا القول ابن عطية ٨/ ٤٣.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ب.

(٢) عند قوله تعالى: ﴿حتى تؤتون موثقا من الله﴾ ٦٧.

(٣) "معاني القرآن" ٢/ ٥٣.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٢٤.

(٥) قال الزجاج وهو أجود الأوجه. "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٢٤.

(٦) الأنعام: ٦١، وقد قال هنالك: (ومعني التفريط: تقدمة العجز) تفسير البسيط، تحقيق: د. الفايز ص ٢٦٠.." (١)

"واحد (١)، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد بلسان سعد (٢) بن بكر بن هوازن؛ وهي من أفصح العرب؛ وهي لغة يفهمها جميع العرب.

وقوله تعالى: ﴿فيضل الله من يشاء﴾ قال ابن عباس: جعل المشيئة إليه وحده لا شريك له (٣)، قال أبو

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢/٢٠٤

بكر: رفع ﴿فيضل الله من يشاء﴾ بعد التبيين بإيثاره الباطل (٤)، ﴿ويهدي من يشاء﴾: باتباع الحق.

قال الفراء: وإذا رأيت الفعل منصوبا وبعده فعل **قد نسق** (٥) عليه فإن كان (٦) يشاكل (٧) معنى الفعل الذي قبله نسقته (٨) عليه، وإن رأيته غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعته؛ نحو قوله: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله﴾ [التوبة: ٣٢] فيأبى في موضع رفع لا يجوز

---

(١) لم أقف على مصدره. وورد مختصرا بلا نسبة في "تفسير القرطبي" ٩/ ٣٤٠.

(٢) بنو سعد بن بكر: هم بطن من هوازن بن منصور، من العدنانية، وهم أظآره - صلى الله عليه وسلم - عندهم استرضع من حليمة السعدية. انظر: "جمهرة أنساب العرب" ص ٢٦٥، و"نهاية الأرب" ص ٢٦٨.

(٣) ورد في تفسيره "الوسيط" تحقيق سيسي ١/ ٣٠٤، بنصه.

(٤) يعني أن ﴿فيضل﴾ مرفوع على الاستئناف ومقطوع من الأول؛ لأنه لو عطف على قوله ﴿ليبين لهم﴾ لأوهم أن إرسال الرسل لإرادة الإضلال، وهو خلاف المراد من الآية، وجوز الزجاج النصب على وجه بعيد على أن اللام لام العاقبة؛ لأنه لما آل أمرهم إلى الضلال مع بيان الرسول لهم صار كأنه إنما أرسل لذلك. انظر: "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٥٤، و"مشكل إعراب القرآن" ١/ ٤٤٥، و"البيان في غريب إعراب القرآن" ٢/ ٥٤، و"الإملاء" ٢/ ٦٦.

(٥) في (د): (سبق)، والنسق في اصطلاح النحويين هو: العطف. انظر: "المعجم المفصل في النحو العربي" ٢/ ١١٣.

(٦) (كان) ساقطة من (د).

(٧) المقصود بالمشاكلة: المماثلة. انظر. "اللسان" (شكل) ٤/ ٢٣١٠.

(٨) في (د): (سبقته).." [1]

"حاله وصفته، والثاني: أنه ذكر فاحش ما ارتكب من تضييع حق نعمة الله بالخصومة في الكفر به (١).

٥ - قوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها﴾، يعني الإبل والبقر والغنم، وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿لكم فيها دفء﴾، ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿لكم﴾ ثم يبتدئ فيقول: ﴿فيها دف﴾.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٠٠/٢١

قال صاحب النظم: أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله: ﴿خلقها﴾؛ لقوله في النسق على ما قبلها: ﴿ولكم فيها جمال﴾ (٢).

وأما الدفء، فقال الفراء وجميع أهل اللغة: هو ما انتفع به من أوبارها وأشعارها وأصوافها، أراد ما يلبسون منها ويبتنون (٣)، فالدفء عند أهل اللغة: ما يستدفأ به من الأكسية والأبنية (٤)، قال الأصمعي: ويكون الدفء السخونة، يقال: اقعد في دفء هذا الحائط، أي في كنه (٥)، وقال الفراء في المصادر: يقال للرجل: دفيت فأنت تدفأ دفأ، ساكنة الفاء مفتوحة الدال، ودفآء بالكسر والمد، وزاد غيره دفاءة ودفاء.

---

(١) ورد بنحوه في "تفسير الماوردي" ٣/ ١٧٩، عن الحسن، والطوسي ٦/ ٣٦١.

(٢) أي أنه نسق ﴿ولكم فيها جمال﴾ على ﴿لكم فيها دفء﴾، ولو وقف على ﴿خلقها لكم﴾ لتعذر هذا العطف. وقد نقل الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٧، والخازن ٣/ ١٠٦، قول صاحب النظم، وعزياه للواحدي -رحمه الله-.

(٣) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٩٦، مختصرا، وورد بنصه في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٢٠٣ (دفأ)، وهذا يؤكد نقله من التهذيب لا المعاني، وانظر: (دفأ) في "مقاييس اللغة" ٢/ ٢٨٧، و"الصحاح" ١/ ٥٠، و"اللسان" ٣/ ١٣٩٣.

(٤) انظر: (دفأ) في "المحيط في اللغة" ٩/ ٣٦٩، و"مقاييس اللغة" ٢/ ٢٨٧، و"الصحاح" ١/ ٥٠، و"اللسان" ٣/ ١٣٩٣، و"عمدة الحفاظ" ٢/ ١٣.

(٥) ورد في "تهذيب اللغة" (دفأ) ٣/ ١٢٠ بنصه، وانظر: "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ٢٢٧.." [1]

"وقال السدي: من وقع السلاح فيكم (١). ووقع السلاح حرب.

وقال ابن عباس: من السيف والسهم والرمح (٢). وعلى هذا التقدير: من آلة بأسكم. فحذف المضاف.

وقوله تعالى: ﴿فهل أنتم شاكرون﴾ يريد فهل أنتم يا معشر أهل (٣) مكة ﴿شاكرون﴾ يعني بطاعة الرسول وتصديقه.

٨١ - قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح﴾ قال أبو إسحاق: الريح نسق على الجبال. المعنى: وسخرنا لسليمان الريح (٤).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣/١٣

وقوله تعالى: ﴿عاصفة﴾ أي شديدة الهبوب (٥). قال ابن عباس: إن أمر الريح أن تعصف عصفت وإذا أراد أن ترخي أرخت. وذلك قوله في سورة ص ﴿رخاء حيث أصاب﴾ [ص: ٣٦] والمعنى: أنها كانت تشتد (٦) إذا أراد، وتلين إذا أراد (٧).

---

(١) ذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٥/ ٦٥٠.

(٢) ذكره الماوردي في "النكت والعيون" ٣/ ٤٦٠، والقرطبي ١١/ ٣٢٠ عن ابن عباس بلفظ: من سلاحكم. وانظر: "تنوير المقباس" ص ٢٠٣.

(٣) في (د)، (ع): (يا معشر قريش).

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٤٠٠ مع اختلاف بعض الألفاظ. ويجوز أن ينصب (الريح) بفعل مقدر. انظر: "إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٦٧، "الإملاء" للعكبري ٢/ ١٣٥ - ١٣٦، "الدر المصون" ٨/ ١٨٧.

(٥) الطبري ١٧/ ٥٥، و"الكشف والبيان" للثعلبي ٣/ ٣٤ ب.

(٦) تشتد: ساقطة من (ع).

(٧) هذا أحد الوجوه في التوفيق بين قوله تعالى في آية الأنبياء واصفا الريح المسخرة لسليمان بأنها (عاصفة) وفي سورة ص (رخاء). وعلى ذلك فالريح تكون عاصفة تارة ورخاء تارة بحسب اختلاف مقصد سليمان منها. وهناك وجهان آخران في =." [(١)]

"ونحو هذا قال الكسائي (١) قال: والعرب تدخل الواو في جواب (حتى إذا) (٢) و (لما) و (حين) و (ساعة) و (يوم) و (الواو) (٣) و (الفاء) و (ثم)، ومعناها الطرح فتقول: لما فعلت كذا وحين فعلت كذا، وأقبل (٤) يفعل أو ثم أقبل، والمراد أقبل يفعل، ومعنى (ثم) والواو الطرح.

قال أبو إسحاق: والواو عند البصريين لا يجوز أن تدخل ويكون معناها الطرح، وجواب (حتى إذا) [مضمر في الآية] (٥) لأن قوله: ﴿يا ويلنا

= وقال في ٢/ ٦٤٩: وذهب أصحابنا إلى أن حذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في المعنى من إظهاره. وذكر ابن جني الجواب عن الآيتين اللتين استشهد بهما الفراء فقال ٢/ ٦٤٦ - ٦٤٧ عن قوله ﴿فلما أسلما وتله للجبين (١٠٣) وناديناه﴾: وتأويل ذلك عندنا على معنى: فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤٤/١٥

يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أدرك ثوابنا ونال المنزلة الرفيعة عندنا .. وكذلك قوله -عز وجل-: ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها﴾ تقديره: صادفوا الثواب الذي وعدوه. أهـ.

وأما البيت الذي استشهد به الفراء فقد قال أبو عبيدة كما في "شرح القصائد السبع" لابن الأنباري ص ٥٥: (وانتحى): (نسق على (أجزنا) وجواب فلما أجزنا: (هصرت بفودي رأسها). أهـ.

وانظر أيضا: "الكتاب" لسيبويه ٣/ ١٠٣، "الإنصاف في مسائل الخلاف" للأنباري ٢/ ٤٥٦ - ٤٦٢، "شرح المفصل" لابن يعيش ٩/ ١٥٠، "رصف المباني" للمالقي ص ٤٨٧ - ٤٨٨، "الجنى الداني" للمرادي ص ١٦٤ - ١٦٦، "مغني اللبيب" لابن هشام ٢/ ٤١٧.

(١) ذكر النحاس في "إعراب القرآن" ٣/ ٨٠، والقرطبي ١١/ ٣٤٢ عن الكسائي أن الواو في هذه الآية زائدة.

(٢) في (أ): (إذ).

(٣) في (أ): (الواو).

(٤) في (أ): (قيل).

(٥) ساقط من (أ). وفي (أ) عوضا منه: (أنتم).." [(١)]

"أحدهما: أن يكون فيه إضمار على تأويل: ثم نخرجكم طفلا، ثم نعمركم (١) لتبلغوا أشدكم (٢).

والوجه الآخر: أن تكون "ثم" في قوله ﴿ثم لتبلغوا﴾ مقحمة (٣) [كما تقحم الواو؛ لأنها من **حروف النسق** **ومعناه**: ثم نخرجكم طفلا لتبلغوا أشدكم (٤)] (٥).

قال ابن عباس: يريد ثماني عشرة سنة (٦).

قال الزجاج: وتأويله الكمال والقوة والتمييز وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين (٧). وهذا مما قد تقدم القول فيه.

قوله تعالى: ﴿ومنكم من يتوفى﴾ قال ابن عباس: يريد من قبل ذلك. يعني من قبل بلوغ الأشد (٨).

﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي: أخسه وأدونه، وهو الخرف،

---

(١) في (ظ): (نقمكم).

(٢) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٠ هذا الوجه، ولم ينسبه لأحد.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠٢/١٥

(٣) في (أ): (مفخمة، تفخم).

(٤) ذكر القرطبي ١٢/ ١٢ هذا الوجه، وصدره بقوله: وقيل.

وهذا الوجه الذي ذكره الواحدي عن صاحب النظم -مردود؛ قال أبو حيان في البحر ٥/ ١١٠: وغير ثابت من "لسان العرب" زيادة "ثم".

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ).

(٦) ذكر ابن الجوزي في "زاد المسير" ٣/ ١٤٩ عند قوله تعالى ﴿حتى يبلغ أشده﴾ [الأنعام: ١٥٣] عن ابن عباس -من رواية أبي صالح- أنه قال: ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة.

ثم ذكر قولا آخر أنه: ثماني عشرة سنة، وعزاه لسعيد بن جبير ومقاتل.

(٧) "معاني القرآن" للز جاج ٣/ ٤١٣.

(٨) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٠٨ ولم ينسبه لأحد.." [1]

"بأرزاق عباده (١).

وقال مقاتل: باستخراج النبات من الأرض (٢).

﴿خبير﴾ قال ابيت عباس: خبير بما في قلوب العباد من القنوط (٣). يعني عند تأخر المطر.

وقال غيره: خبير بما يحدث من ذلك الماء ومن ذلك النبت (٤) (٥).

٦٤ - قوله تعالى: ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ قال مقاتل: عبيده وفي ملكه (٦).

﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن عباده ﴿الحميد﴾ إلى أوليائه وأهل طاعته. قاله ابن عباس.

٦٥ - قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد البهائم التي تركب وتؤكل (٧).

قوله: ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾ "الفلك" **بالنصب نسق على** "ما"

---

(١) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ٦٢، والقرطبي ١٢/ ٩٢. وذكره البغوي ٥/ ٣٩٧ من غير نسبة.

(٢) "تفسير مقاتل" ٢/ ٢٧ ب.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٥/٢٦٩

(٣) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ٦٢، والقرطبي ١٢/ ٩٢.

(٤) في (أ): (النبات)، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما عند الطبري.

(٥) هذا قول الطبري ١٧/ ١٩٦.

(٦) "تفسير مقاتل" ٢/ ٢٧ ب.

(٧) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٨، وابن الجوزي ٥/ ٤٤٨ من غير نسبة.

قال ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره" ٣/ ٢٣٣: أي من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال: ﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه﴾ [الجاثية: ١٣].." [(١)]

"مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم (١)

كأنه قال: تسفيها الرياح (٢)، وترك من الرياح النواسم.

وقول آخر:

لما رأى متن السماء انقدت (٣)

= فيما أعلم، فإنه أضاف الأعناق إليهم، يريد: الرقاب، ثم جعل الخبر عنهم؛ لأن خضوعهم بخضوع الأعناق. و"معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٧٧، و"معاني القرآن" للأخفش ٢/ ٦٤٤. و"مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٨٣. و"معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٨٢. قال السمرقندي ٢/ ٤٧٠: "لأن الكلام انصرف إلى المعنى فكأنه قال: هم لها خاضعون. وليس فيها: لأجل رؤوس الآي"، وقد ذكره الثعلبي ٨/ ١٠٧ ب. قال البغوي ٦/ ١٠٦: وقيل: إنما قال: ﴿خاضعين﴾ على وفاق رؤوس الآي، ليكون **على نسق واحد**. ولم ينسبه.

وذكر هذا القول ابن عطية ١١/ ٩٠، فقال: الإضافة إلى من يعقل أفادت حكمه لمن لا يعقل، كما تفيد الإضافة إلى المؤنث تأنيث علامة المذكر.

(١) البيت لذي الرمة، ديوانه ٢٦٦، بلفظ: رويدا، بدل: مشين. وأنشده سيبويه، "الكتاب" ١/ ٥٢، ونسبه لذي الرمة، وفي الحاشية: جعل النساء في اهتزازهن حين يمشين بمنزلة الرماح تستخفها الريح فتزعزعها. وأنشده المبرد، "المقتضب" ٤/ ١٩٧، والزجاج، "معاني القرآن" ٤/ ٨٣، ولم ينسباه. ولم أجد هذا البيت عند الفراء، ولا الأخفش، ولم أجده عند ابن جرير، ولا الثعلبي.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٧/١٥

(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٨٣، وفيه: تسفهتها الرياح.

(٣) أنشده الأخفش في "معاني القرآن" ٢/ ٦٤٤، ولم ينسبه. وفي الحاشية: لم تفد المراجع شيئا في القول والقائل؟. ولم أجده عند الفراء. ونسبه ابن جرير ١٩/ ٦٠، للعجاج، وفيه: أبعدت، بدل: انقدت. وفي الحاشية: لم أجد البيت في "ديوان العجاج"؟ والمتن الظهر، والشاهد في هذا الرجز أنه أنث الفعل: أبعدت، بالتاء، مع أن الضمير فيه راجع إلى المتن، وهو مذكر، لكن لما أضيف المتن إلى السماء وهي مؤنثة فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء وتناسى المتن، فأنث لذلك. وأنشده الثعلبي ٨/ ١٠٧ ب، منسوبا للعجاج. والبيت في ديوان العجاج ص ٢١٩، =." [١]

"قوله تعالى: ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ قال صاحب النظم: هذا استفهام، ومعناه: النفي والإنكار على معنى: فلا هادي لمن أضل الله، يدل على ذلك قوله **في النسق عليه**: ﴿وما لهم من ناصرين﴾.

٣٠ - قال مقاتل: ثم قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: إن لم يوحد كفار مكة ربهم فوحد أنت ربك، وهو قوله: ﴿فأقم وجهك﴾ فالمعنى: فأخلص دينك (١). ونحوه قال سعيد بن جبير. وقال غيره: سدد عملك (٢).

والوجه في اللغة: ما يتوجه إليه، وعمل الإنسان ودينه مما يتوجه إليه الإنسان لتسديده وإقامته. وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ [البقرة: ١١٢] (٣).

قوله: ﴿للدين حنيفا﴾ معناه على التقديم والتأخير، أي: حنيفا للدين، أي: مائلا إلى الطاعة، مستقيما عليها لا ترجع عنها.

قال أبو إسحاق: والحنيف الذي يميل إلى الشيء فلا يرجع عنه (٤).

قوله: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ قال عكرمة ومجاهد:

---

(١) "تفسير مقاتل" ٧٩ أ.

(٢) ذكره الماوردي عن الكلبي. "النكت والعيون" ٤/ ٣١١.

(٣) قال الواحدي في تفسير هذه الآية: معنى قوله: ﴿أسلم وجهه لله﴾ أي: بذل وجهه له في السجود، وعلى هذا أسلم بمعنى: سلم .. قال ابن الأنباري: والمسلم على هذا هو المخلص لله العبادة .. وقال قوم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/١٧

من أهل المعاني: ﴿أسلم وجهه﴾ أي: أسلم نفسه وجميع بدنه لأمر الله، والعرب تستعمل الوجه وهم يريدون نفس الشيء إلا أنهم يذكرونه باللفظ الأشرف كما قال: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] وقال جماعة: الوجه قد يقع صلة في الكلام؛ فقوله: ﴿أسلم وجهه﴾ أي: انقاد هو لله. ومثله: ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله﴾ [آل عمران: ٢٠].

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ١٨٤، وفيه: كالحنف في الرجل، وهو ميلها إلى خارجها خلقة، لا يملك الأحنف أن يرد حنفه.." [١]

"أي: هو الله. وقال صاحب النظم: هذا محمول على أنه لما أمر بقوله: ﴿من يرزقكم﴾ بعد الأمر قل لهم ذلك، فقالوا له: فمن يرزقنا، فأجابهم الله بقوله: ﴿قل الله﴾ وتم الكلام، ثم أمره بأن يخبرهم أنهم على الضلال بعبادة غير الله بقوله: ﴿وإنا أو إياكم﴾ الآية، على تقدير: ثم قل: وإنا أو إياكم.

روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: الألف صلة للكلام يريد ألف أو (١). وشرح صاحب النظم هذا فقال: أو هاهنا بمنزلة واو النسق، وتأويلهما مبتدآن مجموعان لها جوابان مجموعان، فيرد إلى كل واحد منهما ما يقتضي، وهو أن يكون الهدى لقوله: ﴿وإنا﴾، والضلال لقوله: ﴿إياكم﴾، قلنا في أشباهه مثل قوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ [القصص: ٧٣] فابتغاء الفضل بالنهار والسكون بالليل، ومنه قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدي ... [ذكراها] (٢) العناب والحشف البالي (٣(

وهذا الذي ذكره صاحب النظم، هو معنى قول أبي عبيدة قال: معناه

---

(١) لم أقف عليه منسوبا لابن عباس، وقد ذكره المؤلف في "الوسيط" ٣/ ٤٩٤، ولم ينسبه لأحد.

(٢) هكذا في النسخ! وهو خطأ، والصواب: وكرها.

(٣) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس في "ديوانه" ص ٣٨، "الكامل" ٢/ ٧٤٠، "شرح شواهد المغني" ١/ ٣٤٢، ٢/ ٥٩٥، ٨١٩.

يقول: كأن قلوب الطير رطبا: العناب، ويابسا: الحشف البالي. انظر: "شرح ديوان امرئ القيس" ١٦٦.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥١/١٨

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٢/١٨

"إنا لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين (١). وهو معنى قول مقاتل: نحن وأنتم أمر واحد أن أحد الفريقين لعلى هدى، يعني: النبي نفسه وأصحابه، وإنكم لفي ضلال مبين، يعني: كفار مكة (٢). وعلى هذا القول يجب أن يكون أو في، قوله: ﴿وإنا أو إياكم﴾ وقوله: ﴿أو في ضلال﴾ يعني واو النسق، وهو مذهب المفسرين. قال الفراء: (معنى " أو" معنى الواو عند المفسرين، والعربية على غير ذلك، لا تكون "أو" بمنزلة الواو كما تقول: خذ درهما أو اثنين، فله (٣) أن يأخذ واحدا أو اثنين، وليس له أن يأخذ الثلاثة، وفي قول من لا يبصر العربية ويجعل "أو" بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ الثلاثة؛ لأنه في قولهم بمنزلة: خذ درهما واثنين.

والمعنى في ﴿وإنا أو إياكم﴾: إنا لضالون أو مهتدون، وهو تعالى يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضال، وأنت تقول في الكلام للرجل: والله إن أحدنا لكاذب، نكذبته كذبا غير مكشوف، وهو في القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف، كقولك لمن قال فلان وهو كاذب في ذلك قل: إن شاء الله، أو قل: فيما أظن، فتكذبه بأحسن من صريح التكذيب) (٤). ونحو هذا قال الكسائي والأخفش والمبرد، قالوا: ليس معنى أو هاهنا الشك، وقد يتكلم بمثل هذا من لا يشك، كقول القائل: أنا اختار كذا ويختار ابن (٥) كذا وأحدنا مخطئ،

---

(١) "مجاز القرآن" ٢/ ١٤٨.

(٢) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٩ ب.

(٣) في (ب): (قيله).

(٤) "معاني القرآن" ٢/ ٣٦٢.

(٥) هكذا في النسخ! ولعل الصواب: فلان.." [1]

"وهذا قول قطرب واختيار أبي قتيبة فقال: (أو ربما كانت بمعنى **واو النسق كقوله**: ﴿عذرا أو نذرا﴾ [المرسلات: ٦] وقوله: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه: ٤٤]، وقوله: ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا﴾ [طه: ١١٣]. قال: وهذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق. قال: ونحو هذا قال: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾ [النحل: ٧٧]، وقوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (١) [النجم: ٩]. وقال: وبعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل في هاتين الآيتين وفي قوله: ﴿أو يزيدون﴾ على مذهب التدارك، وليس

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٣/١٨

كما تأولوا، وإنما هي في جميع هذه المواضع بمعنى واحد: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾، ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾، ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، وأنشد بيت ابن الأحمر الذي أنشده أبو عبيدة، وقال: هذا البيت يوضح لك معنى الواو؛ لأنه أراد شهرين ونصف شهر ثالث) (٢).

وقال الفراء: أو هاهنا بمعنى بل كذلك جاء في التفسير مع صحته في العربية (٣). وهذا الذي قاله الفراء قول مقاتل (٤) والكلبي (٥). وأنكر البصريون القولين (٦) جميعا.

---

(١) في (أ): (وكان)، وهو خطأ.

(٢) "تأويل المشكل" ص ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥.

(٣) "معاني القرآن" ٢/ ٣٩٣.

(٤) "تفسير مقاتل" ١١٤ أ.

(٥) لم أقف على هذا القول عن الكلبي وهو قول يروى عن ابن عباس. انظر: "الماوردي" ٥/ ٦٩، "القرطبي" ١٥/ ١٣٢.

(٦) في (أ): (القول).." [1]

"المشاورة في وصفه، لوجوب كونه عالما لا يخفى عليه شيء.

وقوله تعالى: ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾. قال الفراء (١): أراد: فقالوا فحذف فاء النسق كقول الشاعر:

لما رأيت نبطا أنصارا

شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لهم من النصارى جارا (٢)

أي: فكنت لهم. واختلفوا (٣) في قول الملائكة: (أتجعل فيها) على أي وجه حصل منهم هذا: فروي أن الذين قالوا هذا عشرة آلاف من الملائكة، فأرسل الله (٤) عليهم نارا فأحرقتهم (٥).

وقال بعض أهل المعاني: فيه إضمار واختصار، معناه: أتجعل فيها من يفسد فيها [ويسفك الدماء؟ أم تجعل فيها من لا يفسد فيها] (٦) ولا يسفك الدماء؟ كقوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ [الزمر:٩]، يعني

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١٥/١٩

= ففيها تساهل، وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جرير أحسن. "تفسير ابن كثير" ١/ ٧٥. عبارة الحسن وقتادة: إني فاعل، انظر: "تفسير الطبري" ١/ ٢٠٥.

(١) أنظر: "معاني القرآن" للفراء ١/ ٤٤، وانظر: "تفسير الثعلبي" ١/ ٦٠ ب.

(٢) أنشد الفراء الرجز ونسبه لبعض الأعراب "معاني القرآن" ١/ ٤٤، وأورده "الطبري" في "تفسيره" ١/ ٣١٨، والثعلبي ١/ ٦٠ ب، وهو في "الزاهر" ١/ ٢٢٥، "تفسير الماوردي" ١/ ١٣٢، "تفسير القرطبي" ١/ ٣٦٩، "الدر المصون" ١/ ٤٠٧.

(٣) في (ب): (فاختلوا).

(٤) لفظ الجلالة غير موجود في (ب).

(٥) هذا الكلام ورد في رواية منكرة غريبة أخرجها ابن أبي حاتم في "تفسيره" عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه. قال المحقق: (منكر غريب)، "تفسير ابن أبي حاتم" ١/ ٧٨. وذكرها ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وقال: (إسرائيلي منكر)، "تفسير ابن كثير" ١/ ٧٦.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).." [١]

"يقول العرب: إن لي عليك مالا وعلى أخيك، ما ينصبون الثاني ويرفعونه (١)، فيكون قوله "آيات" على هذا الوجه مرتفعا بالظرف على قول من رأى الرفع بالظرف، أو بالابتداء في قول من لم ير الرفع بالظرف، وقرأ حمزة والكسائي (آيات) وكذلك ﴿وتصريف الرياح آيات﴾ كسرا فيها وهو في موضع نصب على النسق على أن قوله ﴿إن في السماوات﴾ على معنى وإن في خلقكم آيات، ويقوي هذه القراءة أنها في قراءة عبد الله وأبي "لآيات" ودخول اللام يدل على أن الكلام محمول على (أن)، وإذا كان محمولا عليها حسن النصب على ما قرأ حمزة، وصار كل موضع من ذلك كأن (أن) مذكورة فيه بدخول اللام؛ لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر (أن) أو على اسمها، ولا اختلاف في جواز هذه القراءة وحسنها في قوله: ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات﴾، ﴿وتصريف الرياح آيات﴾: فإن فيه عطفا على عاملين مختلفين، وذلك أنه عطف بحرف واحد وهو الواو في قوله (واختلاف الليل) على عاملين أحدهما: الجار الذي هو في قوله: ﴿وفي خلقكم﴾ والآخر: "إن" في قوله: ﴿إن في السماوات والأرض﴾ بعطف آيات على (إن) بهذه الواو وحدها، وسيبويه وكثير من النحويين لا يجيزونه، ووجه جواز ذلك هاهنا أن يقدر (في وأن) في قوله:

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/ ٣٢٤

٥ - ﴿واختلاف الليل﴾ كأنه قيل: وأن في اختلاف الليل، و (إن) فإن كانت محذوفة من اللفظ فهو في حكم المثبت فيه، وذلك أن ذكره قد تقدم في قوله: ﴿إن في السماوات والأرض﴾ بعطف آيات فأما الجار فقد تقدم ذكره في قوله (في السموات .. وفي خلقكم) فلما تقدم ذكره في هذين، قدر فيه

---

(١) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٤٥. بلفظ (الرفع على الاستئناف فيما بعد أن).." [١]

"وقال الفراء: الأشبه بالصواب ثلاث وثلاثون؛ لأن الأربعين أقرب في النسق إلى ثلاث وثلاثين منها إلى ثمان عشرة، ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله، فيكون أحسن من قولك: أخذت أقل المال أو كله، ومثله قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ [المزمل: ٢٠] فبعض ذا قريب من بعض، فهذا سبيل كلام العرب (١).

قوله: ﴿قال رب أوزعني﴾ قال ابن عباس: دعا ربه فقال: اللهم ألهمني (٢) ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي﴾ يريد: هديتني وجعلتني مؤمنا صديقا، لا أشرك بك شيئا.

قوله تعالى: ﴿وعلى والدي﴾ عن علي أنه قال: هذه الآية في أبي بكر أسلم أبواه جميعا، ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده (٣).

قال المفسرون: ووالداه أبو قحافة عثمان بن عمرو، وأم الخير بنت صخر بن عمرو (٤).

وقوله: ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي﴾ قال ابن عباس: فأجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم: بلال، وعامر بن فهيرة، ولم يدع شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه.

---

(١) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٥٢.

(٢) انظر: "تفسير البغوي" ٧/ ٢٥، و"ابن كثير" ٦/ ٢٨٢ فقد ذكرا المعني من غير نسبة.

(٣) أخرج ذلك الثعلبي في "تفسيره" عن علي ١٠/ ١١٠ ب، وذكره البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٥٧، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٣٧٨، من غير نسبة، ونسبه القرطبي لعلي. انظر: ١٦/ ١٩٤، وكذلك نسبه

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٣/٢٠

في "الوسيط" لعلي. انظر: ٤/ ١٠٧.

(٤) ذكر ذلك البغوي في تفسيره ٧/ ٢٥٧، والقرطبي في "الجامع" ١٦/ ١٩٤.." [1]

"رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم أعتقهم فأنزل الله هذه الآية (١)، ثم ذكر سبب منعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك العام عن دخول مكة في قوله:

٢٥ - ﴿هم الذين كفروا﴾ يعني: كفار مكة ﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ قال ابن عباس ومقاتل: أن تحلوا من عمرتكم وتطوفوا به (٢) ﴿والهدي﴾ منصوب ... ... (٣) المعنى وصدوا الهدي.

وقال ابن عباس: يعني البدن التي ساقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان قد ساق معه سبعين بدنة (٤)، بدنة بين عشرة، وبقرة بين سبعة، وقال مقاتل: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أهدى عام الحديبية مائة بدنة (٥).

قوله تعالى: (معكوفا) قال المفسرون: محبوسا، والعكف: الحبس، يقال: عكفه يعكفه عكفا، إذا حبسه، وعكفت القوم عن كذا،

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب (٤٦) قول الله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم﴾ ٢/ ١٤٤٢ رقم ١٨٠٨. وأخرجه الطبري ٣١/ ٩٤، البغوي ٧/ ٣١٣.

(٢) انظر: "تفسير البغوي" ٧/ ٣٢٠، "زاد المسير" ٧/ ٤٤٠، "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ٢٨٣، "تفسير مقاتل" ٤/ ٧٥.

(٣) غير واضحة في الأصل عليها آثار مسح، لكن في "معاني القرآن" للزجاج عبارة مطابقة للصورة الموجودة وهي: الهدي منصوب سبق على الكاف والميم المعنى وصدوا الهدي، انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٢٧، وقال في "الدر المصون" ٦/ ١٦٣، ﴿والهدي﴾ العامة على نصبه والمشهور **أنه نسق على** الضمير المنصوب في ﴿صدوكم﴾ وقيل: نصب على المعية، وفيه ضعف لإمكان العطف.

(٤) أخرج الطبري ١٣/ ٩٥ - ٩٦ عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة أن هديه كان سبعين بدنة، وأخرجه عنهما أيضا البغوي ٧/ ٣١٣.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/ ١٨٠

(٥) انظر: "تفسير مقاتل" ٤/ ٧٥ وقد أشار إلى القول: بأنها سبعين بدنة، كما أشار السمرقندي ٣/ ٢٥٧ إلى القولين جميعا.." [١]

"الكافرون﴾ وقال في سورة ص: ﴿وقال الكافرون﴾ [ص: ٤] بالواو وهاهنا بالفاء. ذكر صاحب النظم أن في سورة (ص) قراءة: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون﴾ [ص: ٤] خبران:

أحدهما قوله: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ فهذا خبر تام.

ثم نسق عليه خبر آخر فقال: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ أخبر عنهم بالعجب وبقولهم: ﴿هذا ساحر كذاب﴾. وفي هذه السورة عطف بالفاء؛ لأن الآية كلها خبر واحد، والعجب سبب لقولهم: ﴿هذا شيء عجيب﴾ لأنهم عجبوا فقالوا: هذا شيء عجيب، كما تقول: قام فمر. جعلت القيام سببا للمرور. ولو قلت: قام ومر. كنت قد أخبرت عنه بشيئين ولم تجعل الأول سببا للثاني، يدل على أن الآية في هذه السورة خبر واحد. قوله: ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ فهذا من جنس قوله: ﴿وعجبوا﴾ وقال في سورة ص: ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ وهذا ليس من جنس عجبوا (١).

٣ - قوله تعالى: ﴿أإذا متنا﴾ قال أبو إسحاق: أي أنبعث إذا متنا وكنا ترابا. ولو لم يكن (٢) لإذا متعلق، لم يكن في الكلام فائدة (٣).

قوله تعالى: ﴿ذلك رجع بعيد﴾ الرجع معناه الرد. قال الله تعالى: ﴿فإن رجعك الله إلى طائفة منهم﴾ [التوبة: ٨٣] وقد مر (٤).

---

(١) انظر: "التفسير الكبير" ٢٨/ ١٥١.

(٢) (ك): (ولم لم يكن) والصواب ما أثبته.

(٣) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٤٢.

(٤) قال: معنى الرجع تصيير الشيء إلى المكان الذي كان فيه. يقأل رجعته رجعا كقولك: ر ددته. ردا.." [٢]

"**ثم نسق على** هذا خبرا آخر مؤكدا له من غير حرف عطف وهو قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد محمدا -صلى الله عليه وسلم- (١). ﴿علمه البيان﴾ قال: يريد أفصح الكلام، يعني

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٣١٣/٢٠

[٢] التفسير البسيط الواحدي ٣٧٩/٢٠

القرآن.

والآيتان بهذا التفسير تأكيد لما قبلهما، وهذا قول ابن كيسان في الإنسان أنه محمد -صلى الله عليه وسلم- إلا أنه قال في البيان أنه بيان ما كان وما يكون؛ لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان ينبئ عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين (٢).

وقال الكلبي وقتادة: الإنسان آدم -عليه السلام- علمه أسماء كل شيء، وهذا قول مقاتل (٣).

وقال آخرون: الإنسان اسم لجنس الناس جميعا، ومعنى ﴿علمه البيان﴾ النطق والتمييز، والكتابة والخط، والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له، وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به، وجعله مميزا حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان، وهذا قول أبي العالية، ومرة، وابن زيد (٤)، والحسن، والقرظي، والسدي، ويمان بن رباب. (٥)

٥ - وقوله تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ ذكرنا معنى الحسبان

---

(١) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٥٢

(٢) انظر: "الكشف والبيان" ١٢/ ٣٣ ب، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٦٧، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٥٢، و"فتح القدير" ٥/ ١٣١.

(٣) انظر: "نفسير مقاتل" ١٣٤ ب، و"جامع البيان" ٢٣/ ٦٧، والثعلبي ١٢/ ٣٣ ب.

(٤) (ك): (وبرة بن زيد) وهو خطأ.

(٥) انظر: "الكشف والبيان" ١٢/ ٣٣ ب، و"معالم التنزيل" ٤/ ٢٦٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٥٢ - ١٥٣، ورجحه الرازي والألوسي وغيرهما، انظر: "التفسير الكبير" ٢٩/ ٨٥، و"روح المعاني" ٢٧/ ٣٩.." [١]

"وهذا القول قريب من قول أبي علي.

قوله تعالى: ﴿فيه بأس شديد﴾ قال أبو إسحاق: يمتنع به ويحارب (١) به، وهو قول المفسرين: فيه قتال شديد، قاله عطاء والكلبي (٢).

وقال مقاتل: بأس شديد للحرب (٣)، والمعنى: أنه يتخذ منه آلتان للحرب: آلة الدفع، وآلة الضرب، وقد

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٤/٢١

جمعهما مجاهد في قوله: جنة وسلاح (٤).

قوله تعالى: ﴿ومنافع للناس﴾ قال المقاتلان والكلبي: ما ينتفعون به في معايشهم مثل السكاكين والفأس والمبرد (٥).

وقال عطاء عن ابن عباس: لأن كل شيء خلقه الله من حجر أو شجر لا يصلح إلا بالحديد (٦).

وقال أبو إسحاق: يستعملونه في أدواتهم وما ينتفعون به (٧).

قال صاحب النظم قوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ كل هذا معترض بين قوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ وقوله تعالى: ﴿وليعلم الله﴾؛ لأن قوله: ﴿وليعلم الله﴾ لا يتصل بإنزال الحديد وهو نسق على قوله: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ (٨).

______

(١) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ١٢٩.

(٢) انظر؛ "تنوير المقباس" ٥/ ٣٦٤، و"معالم التنزيل" ٤/ ٣٠٠، وعبارتهما (قوة شديدة).

(٣) انظر: "تفسير مقاتل" ١٤٢ أ.

(٤) انظر: "تفسير مجاهد" ٢/ ٦٥٨، و"جامع البيان" ٢٧/ ١٣٧.

(٥) في (ك): (المد)، وانظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٣٦٤.

(٦) لم أجده.

(٧) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ١٢٦.

(٨) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٢٦١، و"الدر المصون" ١/ ٢٥٣.." [1]

"وقوله: ﴿رسولا منهم﴾ قال ابن عباس: يريد محمد -صلى الله عليه وسلم- نسبه نسبهم وهو من جنسهم (١) كما قال: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال أهل المعاني: وكان هو -صلى الله عليه وسلم- أميا مثل أولئك الأمة الذين بعث فيهم، وكانت البشارة به قد تقدمت بأنه النبي الأمي، وكونه بهذه الصفة أبعد من توهم الاستعانة على ما أتى به من الحكمة بالكتابة، وكانت حاله مشاكلة لحال الذين بعث فيهم، وذلك أقرب إلى صدقه (٢).

قوله تعالى: ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ مفسر في سورة البقرة (٣).

______

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣١٢/٢١

قوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ أي: ما كانوا من قبل بعثه فيهم إلا في ضلال بين، وهو الشرك، كانوا يعبدون الأوثان من الحجارة.

٣ - قوله تعالى: ﴿وآخرين **منهم﴾ نسق على** قوله: ﴿في الأميين﴾ المعنى: وبعث في آخرين منهم ﴿لما يلحقوا بهم﴾ قال المفسرون: يعني الأعاجم، وكل من دخل في الإسلام وصدق النبي من العجم. هذا قول ابن عباس، ومجاهد (٤).

---

(١) انظر: "تنوير المقباس" ٦/ ٦٨، و"التفسير الكبير" ٣/ ٣٠.

(٢) انظر: "التفسير الكبير" ٣/ ٣٠.

(٣) عند تفسيره الآية (١٢٩) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد، وسعيد بن منصور، وغيرهم عن مجاهد. انظر: "جامع البيان" ٢٨/ ٦٢، و"الدر" ٦/ ٢١٥، وفي "صحيح البخاري" وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- فأنزلت عليه سورة الجمعة =." [1]

"امتناع من عذابه (١) ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾، **وهذا نسق على** قوله: ﴿أم أمنتم من في السماء﴾، ﴿أمن هذا الذي هو جند لكم﴾، ولفظ الجند يوحد، ولذلك قال (٢) ﴿هذا الذي هو﴾ وهو استفهام إنكار. أي: لا جند لكم ﴿ينصركم﴾ يمنعكم من عذاب الله. قال ابن عباس ينصركم مني إن أردت عذابكم (٣).

ثم ذكر أن ما هم فيه غرور فقال: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾، أي: من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم، ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾، أي: من الذي يرزقكم من آلهتكم المطر إن أمسكه الله عنكم، قاله مقاتل (٤).

ثم قال: ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ أي: ليسوا يعتبرون ولا يتفكرون، لجوا في طغيانهم وتماديهم وتباعدهم عن الإيمان (٥).

ثم ضرب مثلا فقال: ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى﴾ (٦)،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١/٤٤٦

(١) (ك): (عذابه قوله تعالى).

(٢) (س): (قيل).

(٣) انظر: "تنوير المقباس" ٦/ ١١٠، و"معالم التنزيل" ٤/ ٣٧٢، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٨/ ٢١٨.

(٤) (س): (قاله مقاتل) زيادة وانظر: "تفسير مقاتل" ١٦٢ أ.

قلت: حمل الآية على عموم الرزق من إعطاء ومنع وخلق ورزق ونصر وغير ذلك أولى، وما ذكره مقاتل من باب التمثيل أخذا من قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢]، والله أعلم.

(٥) لج: اللجاج: التمادي والعناد في تعاطي الفعل. "المفردات" (٤٤٧) (لج).

(٦) (أهدى) ساقطة من (س).." [1]

"وقد يكون الطبق بمعنى الشدة، قال الفراء: العرب تقول: وقع في بنات طبق (١) إذا وقع في الأمر الشديد (٢).

وقال الأصمعي: يقال: جاء بإحدى بنات طبق، وهي الداهية، وأصلها من الحيات (٣). (يقال للحية: أم طبق لحسها (٤) لترحيها (٥) وتحويها (٦)) (٧).

وقوله: ﴿عن طبق﴾ "عن" بمعنى: بعد (٨).

قال أبو علي: ومثل ما فسروا من "أن" بمعنى "عن" بمعنى "بعد" قول الأعشى:

سادوا (٩) وألقى رهطه سادة ... وكابرا سادوك عن كابر (١٠)

---

(١) بنات طبق: بياض في: ع.

ويراد ببنت طبق سلحفاة تزعم العرب أنها تبيض تسعة وتسعين بيضة كلها سلاحف، وتبيض بيضة تنقف عن أسود. يضرب للرجل يأتي بالأمر العظيم.

"مجمع الأمثال" ١/ ٢٩٣، رقم: ٨٦٥.

(٢) "معاني القرآن" ٣/ ٢٥٢ بنصه

(٣) "تهذيب اللغة" ٩/ ٥.

(٤) غير مقروءة في النسختين.

(٥) في (أ): لتوحيها.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٢/٥٩

(٦) تحويها: الحوي استدارة كل شيء كحوى الحية وكحوى بعض النجوم إذا رأيتها في نسق واحد مستدير. "تهذيب اللغة" ٥/ ٢٩٢: مادة: (حوى).

(٧) ما بين القوسين نقل عن "تهذيب اللغة" ٩/ ٦: مادة: (طبق) بزيادة لحسها.

(٨) انظر كتاب معاني الحروف: للرماني: ٩٥

(٩) في (أ): ساد.

(١٠) ورد البيت في "ديوانه" دار صادر: ٩٣، برواية: "وألفى قومه" بدلا من: "رهطه".." [١]

"على يده، وهذا وعد من الله بأن يحلها له، حتى تكون بها (١) حلا (٢).

وهذا اعتراض بين القسم وما نسق عليه، وهو قوله (تعالى) (٣):

٣ - ﴿ووالد وما ولد﴾ (هذا الذي ذكرنا قول عامة أهل التفسير) (٤).

قال الحسن: ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ أي أنت مقيم فيه (٥)، وهو محلك، ومعناه التنبيه على شرفه، بشرف من حل فيه من الرسول الداعي إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له؛ المبشر بالثواب، والمنذر بالعقاب.

وذكر المبرد هذا القول، فقال: ويقال: حل: تأويله حال؛ أي ساكن (٦).

وذكر قولا آخر: وهو أن المعنى أن الكفار من أهل مكة يحرمون أن يقتلوا بها صيدا، أو (٧) يعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك.

وهذا يروى عن شرحبيل بن سعد (٨).

---

(١) في (أ): (ما).

(٢) من قوله: (فوعد نبيه ..) إلى: (بها حلا) عزاه ابن الجوزي إلى المفسرين في: "زاد المسير" ٨/ ٢٥٠ - ٢٥١، وانظر: "فتح القدير" ٥/ ٤٤٣.

(٣) ساقط من: (ع).

(٤) ما بين القوسين ساقط من: (أ).

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد بمثله من غير عزو في: "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٦١، و"لباب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٣/٣٧٢

التأويل" ٤/ ٢٧٩.

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٧) في (أ): (و).

(٨) ورد قوله في: "الكشف والبيان" ١٣/ ٩٥ ب، "معالم التنزيل" ٤/ ٤٨٨، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٨٣، "الكشاف" ٥/ ٢١٢، و"التفسير الكبير" ٣١/ ١٨٠، =." [١]

"فيها، وكذلك كل شيء.

وقال الكلبي: يقول ألم يلين قلبك للإسلام؟ ثم ذكر أن جبريل غسل قلبه بماء زمزم، وأنقاه مما كان فيه من المعاصي، وملأه علما وإيمانا (١).

وعلى هذا معنى شرح صدره: أنقاه مما كان فيه من حظ الشيطان، وخليصه للإيمان، والإسلام، والحق، والتوحيد، حتى لا يكون فيه للشيطان نصيب. وذكرنا في سورة الضحى سبب نزول هذه السورة.

وقوله: ﴿ألم نشرح﴾ استفهام معناه التقرير، أي قد فعلنا ذلك (٢)، يدل على هذا قوله **في النسق عليه**:

٢ - ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ قال المبرد: هذا محمول على معنى "ألم نشرح" لاعلى لفظه، لأنك لا تقول: ألم وضعنا، ولكن معنى: "ألم نشرح" قد شرحنا، فحمل الثاني على معنى الأول، لا على ظاهر اللفظ؛ لأنه لو كان معطوفا على ظاهره لوجب أن يقال: ونضع عنك وزرك (٣)، و (نحو) (٤) هذا قال (٥) صاحب النظم.

---

(١) ورد معنى قوله في: "بحر العلوم" ٣/ ٤٨٩، وقد ورد حديث صحيح في معنى قوله، راجع ذلك في: "صحيح البخاري" ٢/ ٤٢٢ - ٤٢٤: ح: ٣٢٠٧: كتاب بدء الخلق: باب ٦ ج ٣: ٦٣ ح ٣٨٨٧: كتاب مناقب الأنصار: باب ٤٢، و"صحيح مسلم" ١/ ١٤٩ - ١٥٠ ح: ٢٦٤: كتاب الإيمان: باب ٧٤، وغيرهما.

(٢) قال السمين الحلبي: الاستفهام إذا دخل على النفي قرره، فصار المعنى: قد شرحنا، ولذلك عطف عليه الماضي. "الدر المصون": ٦/ ٥٤٠.

(٣) "التفسير الكبير" ٣٢/ ٤، ونحو منه ذكر في: "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ١٠٥، و"فتح القدير"

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٤/١٠

٥/ ٤٦١.

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) في (أ): (ذكر).." [1]

"ثم ابتدأ فصل آخر فقال: ﴿إن مع العسر يسرا﴾ والدليل على ابتدائه (١): تعريه (٢) من فاء، أو واو، أو غيرهما من حروف النسق، وهو وعد عام لجميع المؤمنين؛ لأنه يعني بذلك أن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسرا في الآخرة لا محالة، وربما اجتمع له اليسران: يسر الدنيا، وهو ما ذكر في الآية الأولى، ويسر (في) (٣) الآخرة، وهو ما ذكر في الآية الثانية) (٤).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "لن يغلب عسر يسرين" أي يسر الدنيا والآخرة (٥)، والمعنى: لن يجمعهما في الغلبة، إنما يغلب أحدهما إن غلب، وهو يسر الدنيا، فأما يسر الآخرة للمؤمنين فلا محالة كائن، ولا يغلبه شيء، والعسرة بين يسرين: إما (٦) فرح في الدنيا، وإما ثواب الآخرة (٧). وهذا هو الصحيح في معنى الآية.

وهو أن اليسرين: أحدهما في الدنيا، والثاني في الآخرة، إما هذا، وإما ذاك، وربما اجتمعتا، ويدل على صحة هذا ما ذكر محمد بن إسماعيل

---

(١) في (أ): (ابتلائه).

(٢) في (أ): (تعرية بواو).

(٣) ما بين القوسين ساقط من: (ع).

(٤) ما بين القوسين من قول الجرجاني، انظر: "الكشف والبيان" ١٣/ ١١٤ ب، ١١٥ أ، نقله الإمام الواحدي عن "الكشف" بتصرف، وانظر أيضا بنحوه في "زاد المسير" ٨/ ٢٧٢، و"التفسير الكبير" ٣٢/ ٦، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ١٠٨، و"لباب التأويل" ٤/ ٣٨٩.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (أ): (أنها).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢٣/٢٤

(٧) وهذا المعنى ورد بمعناه عن الثعلبي في "الكشف والبيان" ١٣/ ١١٥ أ، وانظر. و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٠٣، و"زاد المسير" ٨/ ٢٧٣.." [١]

"٣١، ٣٢]. والفاء حسنة مثل قوله: ﴿فقال الملأ الذين كفروا﴾ [هود: ٢٧، المؤمنون: ٢٤]، ولوكان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفاء، من ذلك (١): قمت ففعلت، لا يقولون: قمت فعلت، ولا قلت قال (٢)، حتى يقولوا: قلت (٣) فقال وقمت فقام، أو قلت (٤) وقال، **لأنها نسق وليست** باستفهام يوقف عليه، قال: وأنشدني بعض العرب:

لما رأيت نبطا أنصارا ... شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لها من النصارى جارا (٥)

[لم يقل: فكنت، ولا وكنت] (٦).

٦٨ - وقوله تعالى: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ الآية إنما سألوا ما هي، لأنهم لم (٧) يعلموا أن بقرة يحيا بضرب بعضها ميت، قاله (٨) الزجاج (٩).

---

(١) (ذلك) ساقط من (ب).

(٢) زيادة لازمة من "معاني القرآن" للفراء ١/ ٤٤.

(٣) قوله: (حتى يقولوا قلت) ساقط من (ب).

(٤) قوله: (أو قلت وقال) ليست في "معاني القرآن" للفراء ١/ ٤٤.

(٥) سبق هذا الرجز. انظر تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها﴾. وبه ينتهي ما نقله من كلام الفراء. انظر: "المعاني" ١/ ٤٣، ٤٤، "تفسير الطبري" ١/ ٣٣٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٧) في (ب): (ما علموا).

(٨) في (ب)، (ج): (قال).

---

[١] التفسير البسيط الواحدي ٢٤/١٣٤

(٩) "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٢٢. والحقيقة أن هذا السؤال تعنت منهم لسوء أخلاقهم مع نبي الله وجفائهم. انظر: "تفسير الطبري" ١/ ٢٤٠، "تفسير الثعلبي" ١/ ٨٢ أ، "تفسير ابن كثير" ١/ ١١٧.." [١]

"جميعا حرفا واحدا (١).

وقال الكسائي: حرفان من الاستثناء لا يقعان (٢) أكثر ما يقعان إلا مع الجحد، وهما: لكن وبل، والعرب تجعلهما مثل واو النسق (٣).

وقال المبرد: لكن من حروف العطف، وهي الاستدراك بعد النفي، ولا يجوز أن يدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة، نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت (٤).

وأما اختلاف القراء في تشديد (لكن) في بعض المواضع وتخفيفها في بعض، فلا معنى للمصير إلى التبعيض في هذه المواضع ونظائرها إلا بأن تترجح عند أحد من القراء بعض الروايات على بعض، فيصير إليه (٥).

ومعنى الآية: ولكن الشياطين كفروا بالله يعلمون الناس السحر. يريد: ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر. ويجوز أن يكون (يعلمون) في فعل اليهود الذين عنوا بقوله: ﴿واتبعوا﴾ (٦).

وسمي السحر سحرا؛ لخفاء سببه. ومنه: السحر وهو الغذاء، كقول لبيد (٧):

ونسحر بالطعام وبالشراب (٨)

---

(١) نقل كلام الفراء صاحب "اللسان" ٧/ ٤٠٧٠، وقد ناقش أبو علي في "الحجة" ٢/ ١٧٩ ذلك وبين أن القياس لا يوجب هذا الذي ذكره الفراء من تشديدها مع الواو وتخفيفها مع عدمها.

(٢) في (ش): (لا تقعان).

(٣) نقل كلام الكسائي صاحب "اللسان" ٧/ ٤٠٧٠.

(٤) "المقتضب" للمبرد ١/ ١٢.

(٥) ينظر: "الحجة" ٢/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٦) ينظر: "تفسير الطبري" ١/ ٤٥١ - ٤٥٢، "معاني للقرآن" للزجاج ١/ ١٨٣، "تفسير الثعلبي" ١/ ١٠٦٢، "البيان" لابن الأنباري ١/ ١١٤، "التفسير الكبير" للرازي ٣/ ٢٠٥.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/١٤

(٧) هو: أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك العامر، تقدمت ترجمته [البقرة: ٢].

(٨) وشطره الأول: =." [١]

"وذلك أن حاله خفية في التنمية (١)، والسحر: الرئة، لأنها مما تخفى وليس مما يظهر. وسحر الليل: قبل ظهور الصبح.

وقال المحققون من أهل اللغة: معنى السحر: الإزالة وصرف الشيء عن وجهه (٢)، تقول العرب: ما سحرك عن كذا، أي: ما صرفك عنه. ومنه: قوله تعالى: ﴿فأنى تسحرون﴾ [المؤمنون: ٨٩]، أي: تصرفون، ويقال: سحره، أي: أزاله عن البغض إلى الحب، وكأن الساحر بما أرى الباطل في صورة الحق فقد سحر الشيء عن وجهه، أي: صرفه (٣).

وقوله تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين﴾ موضع (ما) **نصب، نسق على** السحر، وجائز أن يكون نسقا على ما في قوله: ﴿ما تتلوا الشياطين﴾ (٤).

ومعنى: ﴿أنزل على الملكين﴾: أي: علما وألهما وقذف في قلوبهما

= أرانا موضعين لأمر غيب

وفي رواية: لحتم غيب، وهو لامرئ القيس في "ديوانه" ص ٤٣، "تهذيب اللغة" ٢/ ١٦٤١، "لسان العرب" ٤/ ١٩٥٢، ونسبه المؤلف وكثير من أهل التفسير كالرازي في "تفسيره" ٣/ ٢٠٥ إلى لبيد.

(١) نقل الأزهري في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٦٤١: أن معنى ونسحر بالطعام، أي نعلل به قال الرازي في "تفسيره" ٣/ ٢٠٥: قيل فيه (أي: البيت) وجهان: أحدهما أنا نعلل ونخدع كالمسحور. والآخر: نغذى، وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء.

(٢) ينظر كلام الأزهري في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٦٤١، ونقله صاحب "اللسان" ٤/ ١٩٥٢٥.

(٣) ينظر: "تهذيب اللغة" ٢/ ١٦٤١، "مقاييس اللغة" ٣/ ١٣٨، "المفردات" للراغب ٣٣١، ٣٣٢، "التفسير الكبير"٣/ ٢٠٥، "تفسير القرطبي" ٢/ ٣٨، "اللسان" ٤/ ١٩٥٢.

(٤) ينظر: "تفسير الثعلبي" ١/ ١٠٦٢وصحح الأول، "تفسير الطبري" ١/ ٤٥٤ - ٤٥٥ "إعراب مشكل القرآن" ١/ ١٠٦، "التبيان" للعكبري ١/ ٨٠.." [٢]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٩٣/٣

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٩٤/٣

"عاطفة بعد الاستفهام، كقولك: أخرج زيد (١) أم عمرو؟ وأزيد عندك أم عمرو؟، فيكون معنى الكلام: أيهما عندك؟، ولا تكاد تكون عاطفة إلا بعد الاستفهام (٢).

قال الفراء: ويجوز أن يستفهم بها، فتكون (٣) على جهة النسق في ظاهر اللفظ، وفي المعنى تكون استفهاما مبتدأ به، منقطعا مما قبله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الم (١) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢) أم يقولون افتراه﴾ [السجدة:١ - ٣]. فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام، وهي دليل على أنها استفهام مبتدأ على كلام قد سبقه (٤)، وتقديره: بل أتقولون افتراه، فلو لم يتقدمه كلام لم يجز أن تستفهم مبتدئا كلامك بـ (أم)، ولا يكون إلا بالألف أو بهل، فأم استفهام متوسط والمتقدم يكون بالألف أو بهل (٥).

فأما قوله ﴿أم تريدون﴾ فيجوز فيه الوجهان جميعا، إن شئت قلت قبله استفهام رد عليه، وهو قوله: ﴿ألم تعلم أن الله﴾ (٦).

فإن قيل: كيف يرد (أم تريدون) عليه والأول خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والثاني خطاب للجماعة؟ قيل: الله تعالى رجع في الخطاب من التوحيد إلى الجمع، وما خوطب به عليه السلام فقد خوطب به أمته، فيكتفى به من أمته، كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ [الطلاق: ١]، فوحد ثم جمع،

---

(١) في (ش): (زيدا).

(٢) ينظر: "مغني اللبيب" ١/ ٤٢، "البحر المحيط" ١/ ٣٤٦.

(٣) في (أ)، (م): (فيكون).

(٤) كذا في "معاني القرآن" للفراء ١/ ٧١.

(٥) من قوله: (فأم استفهام) ... ساقط من (ش).

(٦) كذا في "معاني القرآن" للفراء ١/ ٧١.." [١]

"وكل أخ مفارقه أخوه ... لعمر أبيك إلا الفرقدان (١)

فقال: أراد: والفرقدان أيضا يفترقان.

وما أنشده الأخفش (٢):

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٢٣٦

وأرى لها دارا بأغدرة السيـ ... ـدان لم يدرس لها رسم

إلا رمادا خامدا دفعت ... عنه الرياح خوالد سحم (٣)

أراد: أرى دارا ورمادا (٤).

وهذا القول عند الفراء خطأ (٥)؛ لأن (إلا) (٦) لا يخرج عن الاستثناء إلى النسق حتى يتقدمها عدد لا يصلح أن يستثنى منه، فتجري مجرى الواو إذا بطل فيها معنى الاستثناء، بيانه: قولك: لي على فلان ألف إلا عشرة إلا

---

(١) البيت. نسب لعمرو بن معدي كرب، ينظر: "ديوانه" ص١٧٨، "الكتاب" ٢/ ٣٣٤، "المؤتلف والمختلف" ص ١٥١، ولعمرو أو لحضرمي في "خزانة الأدب" ٣/ ٤٢١. وهو بلا نسبة في "تفسير الثعلبي" ١/ ١٢٥٥، "لسان العرب" ٦/ ٣٤٠٢ "فرقد". والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان.

(٢) ينظر: "معاني القرآن" للأخفش ١/ ١٥٢.

(٣) البيت للمخبل السعدي، ينظر: "ديوانه" ص ٣١٢، "تفسير الثعلبي" ١/ ١٢٥٦، "لسان العرب" ٢/ ١٢٢٥ (خلد)، "المفضليات" ص ١١٣ - ١١٤. والأغدرة: جمع غدير، السيدان: أرض لبني سعد. الخوالد: البواقي وعنى بها: الأثافي. سحم: ذات لون يضرب إلى السواد.

(٤) سقط من (ش).

(٥) ينظر: "معاني القرآن" للفراء ١/ ٨٩، وخطأه أيضا الطبري في "تفسيره" ٢/ ٣٣ - ٣٤، وقال في "البحر المحيط" ١/ ٤٤٢: وإثبات إلا بمعنى الواو، لا يقوم عليه دليل، والاستثناء سائغ فيما ادعى فيه أن إلا بمعنى الواو، وكان أبو عبيدة يضعف في النحو، ثم نقل تخطئة الزجاج لهذا القول.

(٦) كتبت في (ش): (لئلا).." [1]

"السابقة؛ كأنه قال: ويحذركم الله نفسه في ذلك اليوم (١).

قال أبو بكر: ولا يجوز أن يكون (اليوم) منصوبا بـ ﴿ويحذركم﴾، المذكور في هذه الآية، لأن واو النسق (٢) لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

قال: ويجوز أن يكون (اليوم) متصلا بـ ﴿قدير﴾ (٣) منصوبا به، والتأويل: (والله على كل شيء قدير في هذا اليوم).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣/٤١٣

وخص هذا [اليوم] (٤)، وإن كان غيره من الأيام بمنزلته في قدرة الله تعالى؛ تفضيلا له؛ لعظم شأنه؛ كقوله: ﴿مالك يوم الدين﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿ما عملت من خير محضرا﴾. يريد: بيان ما عملت؛ بما يرى من صحائف الحسنات. ويجوز أن يكون المعنى: جزاء ما عملت؛ بما يرى من الثواب.

وقوله تعالى: ﴿وما عملت من سوء﴾. الأظهر: أن تجعل ﴿ما﴾ ههنا بمنزلة (الذي)، فيكون معطوفا على ﴿ما﴾ الأولى، ويكون ﴿عملت﴾ صلة لها. ويصلح أن تكون بمعنى: الجزاء فتكون مستأنفة. وكان الأجود؛ إذا

---

(١) ضعف أبو حيان نصب ﴿يوم﴾ بـ ﴿المصير﴾، وبـ ﴿ويحذركم﴾ في الآية التي قبلها؛ وذلك لأن الفاصل قد طال بين العامل والمعمول، ويضاف إليه في النصب بـ ﴿ويحذركم﴾، أن التحذير موجود، واليوم موعود، فلا يلتقيان، فلا يصح عمل الفعل هنا. انظر: "البحر المحيط" ٢/ ٤٢٦، "التبيان" للعكبري: ١/ ٢٥٢.

(٢) أي: واو العطف.

(٣) في (ج): (تقديره). ويعني بـ ﴿قدير﴾ الواردة في قوله تعالى: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ آية: ٢٩.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ج)، (د).

(٥) وقيل إن ﴿يوم﴾ في آية سورة آل عمران، منصوب بفعل مضمر، هو (اذكر) أو (اتقوا)، وقال الزمخشري: إن ناصبه هو فعل ﴿تود﴾ الآتي بعده. وحول هذه الوجوه نقاش، انظره في "تفسير الطبري" ٣/ ٢٣١، "الكشاف" ١/ ٤٢٣، "الفريد في إعراب القرآن المجيد" ١/ ٥٦٠، "البحر المحيط" ٢/ ٤٢٦، "الدر المصون" ١/ ١١٤.." [1]

"يبشرك بهذا الولد، وجيها في الدنيا والآخرة. والفراء (١) يسمي هذا قطعا، كأنه: كان (٢) عيسى بن مريم الوجيه، قطع منه التعريف (٣).

وقوله تعالى: ﴿ومن المقربين﴾. أي: إلى ثواب الله وكرامته.

٤٦ - قوله تعالى: ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ موضع ﴿ويكلم﴾ منصوب؛ في التأويل بالنسق (٤) على

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧٨/٥

(وجيه)، كأنه قال: (وجيها، ومكلما الناس)، ولا ينكر وضع (٥) المستقبل موضع الحال. ومثله قوله: ﴿فهب لي من لدنك وليا يرثني﴾ [مريم: ٥ - ٦]، في قراءة من رفع (٦). وهذا أحد ما يضارع به الفعل المستقبل الاسم.

وأنشد النحويون على هذا:

---

(١) في "معاني القرآن" ١/ ٢١٣.

(٢) في (ج): (قال). وكذا في "الدر المصون" ٣/ ١٧٩، حيث نقل عبارة الواحدي هذه.

(٣) وقد علق السمين على قول الفراء هذا، بعد أن نقله عن الواحدي، بقوله: (فظاهر هذا يوذن بأن (وجيها) من صفة عيسى في الأصل، فقطع عنه، والحال وصف في المعنى). "الدر المصون" ٣/ ١٧٩. وانظر ما سبق من تعليق على إعراب قوله تعالى ﴿قائما بالقسط﴾ من آية ١٨ من سورة آل عمران.

(٤) النسق، هو عطف اللفظ **على نسق الأول** وطريقته. ويسمى في النحو بـ (عطف النسق)، وهو: التابع الذي يتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف. انظر: "معجم المصطلحات النحوية" د. اللبدي: ٢٢٤.

(٥) (ولا ينكر وضع): ساقط من (ج).

(٦) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: ﴿يرثنى ويرث﴾ برفعهما. والتقدير: (وليا وارثا)، على أن (يرثني) صفة لـ (وليا). قال مكي: (وهو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه، ويقوي الرفع: أن (وليا) رأس آية، فاستغنى الكلام عن الجواب). "الكشف" ٢/ ٨٤. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: (يرثني ويرث) بجزمهما؛ على أنها جواب للأمر، والتقدير: (هب لي من لدنك وليا فإنك إن وهبته لي ورثني). انظر: "الحجة" لابن خالويه: ٢٣٤، "حجة القراءات" لابن زنجلة: ٤٣٨.." [(١)]

"النبوة والقول للناس: ﴿كونوا عبادا لي﴾.

وقال صاحب النظم: ﴿ما كان لبشر﴾: نفي، والنفي واقع غير موقعه؛ لأن التأويل ما كان لبشر يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة. وقوله تعالى (١): ﴿يؤتيه الله﴾ (٢) صفة للنكرة (٣)؛ على تأويل: (ما كان لبشر يكون بهذه الحال، أن يقول للناس: كونوا عبادا لي من دون الله).

فالمنفي (٤): قوله: (أن يقول الناس). فلما (٥) وقع ﴿أن﴾ في غير **موقعه، نسق** (٦) عليه بـ ﴿ثم﴾. ففي

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٢٥٩

الآية تقديم حرف حقه أن يؤخر، ومثله من تقديم ما وجب أن يؤخر في النظم: قوله تعالى (٧): ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم (٨)﴾ [الفتح: ٢٥]، التأويل: ولولا أن تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم؛ أي: لم تعرفوهم.

وقوله تعالى: ﴿كونوا عبادا لي﴾. قال ابن عباس (٩): هذه لغة

= مصدر: (أتى يأتي)، ومن مصادره أيضا: (أتيا، وأتيا، وإتيا، ومأتاة). أما قوله تعالى: ﴿يؤتيه﴾، فهو من: (آتاه، يؤتيه)؛ أي: أعطاه، يعطيه. والمصدر: إيتاء. انظر: "تهذيب اللغة" ١/ ١١٥ (أتى)، والسان: ١/ ٢١ (أتي).

(١) (تعالى): ساقطة من: (ج).

(٢) في (ب): ﴿يقول للناس﴾.

(٣) (صفة للنكرة): ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): (والمنفي).

(٥) في (ب): (وإنما).

(٦) أي: عطف. وحروف النسق، هي: حروف العطف.

(٧) (تعالى): ساقطة من: (ج).

(٨) (أن تطؤوهم): ساقطة من: (ج).

(٩) قوله في "تفسير الثعلبي" ٣/ ٦٥ أ.." [(١)]

"يذكر عند قوله: ﴿وليقولوا درست﴾ [الأنعام: ١٠٥].

٨٠ - قوله تعالى: ﴿ولا يأمركم﴾. الآية. أكثر القراء على رفع ﴿ولا يأمركم﴾ (١).

قال سيبويه (٢): ﴿ولا يأمركم﴾: منقطعة مما قبلها؛ لأن المعنى: ولا (٣) يأمركم الله.

وقال ابن جريج (٤)، وجماعة (٥): ولا يأمركم محمد. ومما يدل على الانقطاع من الأول: ما روي عن ابن مسعود، أنه قرأ: (ولن يأمركم) (٦).

قال الفراء (٧): فهذا دليل على انقطاعها من النسق، وأنها مستأنفة؛ فلما وقعت (لا) موقع (لن) رفعت،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٧٩/٥

كما قال: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا

---

(١) القراءة برفع الراء، هي لابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، والكسائي، وأبي جعفر، وعاصم برواية الأعشى والبرجمي عن أبي بكر. وكان أبو عمرو يختلس حركة الراء تخفيفا. والقراءة بالفتح، لعاصم برواية حفص وحماد ويحيى عن أبي بكر، وهي كذلك قراءة ابن عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف. انظر: "السبعة" ٢١٣، "المبسوط" لابن مهران: ١٤٥ - ١٤٦، "حجة القراءات" ١٦٨، "الإقناع" ٦٢١، "إتحاف فضلاء البشر" ١٧٧).

(٢) في "الكتاب" ٣/ ٥٢.

(٣) من قوله: (ولا ..) إلى (.. ابن جريج وجماعة): ساقط من: (ج).

(٤) قوله في "تفسير الطبري" ٣/ ٣٢٩.

(٥) لم أقف على المراد بهم. وقد وردت هذه العبارة بنصها في "تفسير الثعلبي" ٣/ ٦٦ أ. قال: (وقال ابن جريج وجماعة).

(٦) ذكر هذه القراءة: الطبري في "تفسيره" ٣/ ٣٢٩، والفارسي في "الحجة" ٣/ ٥٨، والثعلبي في "تفسيره" ٣/ ٦٦ أ. وقال الطبري: عن سند هذه القراءة: (فذلك خبر غير صحيح سنده). "تفسيره" ٣/ ٣٢٩.

(٧) في "معاني القرآن" له: ١/ ٢٢٥. نقله عنه بنصه.." [١]

"قال الفراء (١): ومعنى (الصرف): أن يجتمع فعلان ببعض **حروف النسق** (٢)، وفي أوله ما لا يحسن إعادته في **حروف النسق** (٣)، فتنصب الذي بعد حرف العطف، لأنه مصروف عن معنى الأول. وذلك يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام. كقولهم: (لا يسعني مكان، ويضيق عنك) بفتح (ويضيق)، لأن (لا) التي مع (يسعني)، لا يحسن أن يذكرها مع (يضيق عنك) (٤).

وقال ابن الأنباري (٥): قوله تعالى: ﴿ويعلم الصابرين﴾ معناه:

= شرح جمل الزجاجي" ١/ ٢٣٢، و"المغني" لابن هشام ٤٧٢، و"شرح شذور الذهب" ٢٩٦، ٣٦٠، و"شرح ابن عقيل" ٤/ ١٥، و"خزانة الأدب" ٨/ ٥٦٤ وقد ذكر البيت، والاختلاف في قائله.

والشاهد في البيت: نصب الفعل المضارع (وتأتي) بعد الواو في جواب النهي. وهي الواو التي يسميها

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٣٨٦

الكوفيون: واو الصرف. أما عند البصريين: فالنصب بـ (أن) المضمرة وجوبا، بعد واو المعية التي تقتضي الجمع.

انظر: "شرح ابن عقيل" ٤/ ١٤ والمصادر النحوية السابقة.

(١) في "معاني القرآن" له ١/ ٢٣٥. نقله عنه بالمعنى. وعبارة المؤلف قريبة جدا من عبارة الطبري في "تفسيره" ٧/ ٢٤٧، وقد يكون المؤلف نقل قول الفراء عن الطبري. وعبارة الفراء في المعاني أوضح وأجلى.

(٢) في المعاني: بالواو، أو (ثم)، أو الفاء، أو (أو).

(٣) في المعاني: (وفي أوله جحد، أو استفهام، ثم ترى ذلك الجحد، أو الاستفهام، ممتنعا أن يكرر في العطف، فذلك الصرف ..).

(٤) انظر -لبيان معنى الصرف-: "تفسير البسيط" فقد تناول هذه المسألة عند تفسير آية ٤٢ من سورة البقرة، و"معاني القرآن"، للفراء: ١/ ٣٣ - ٣٤، و"تفسير الطبري" ١/ ٢٥٥، ٤/ ١٠٨، و"الإنصاف" ٥٥٥ - ٥٥٦.

(٥) لم أقف على مصدر قوله.." [1]

"ضلال مبين. ومثله قوله: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ (١) [البقرة: ١٩٨].

١٦٥ - قوله تعالى: ﴿أولما أصابتكم مصيبة﴾ الآية.

الواو في ﴿أولما﴾، لعطف جملة على جملة. ودخل ألف الاستفهام على **واو النسق** (٢)؛ لأن له صدر الكلام.

قال الزجاج (٣): ومثله من الكلام قول القائل: (تكلم فلان بكذا وكذا) فيقول مجيبا له: (أو هو ممن يقول ذلك؟).

والمعنى: أو حين أصابتكم مصيبة. ويعنى بالمصيبة: ما أصابتهم يوم أحد.

وقوله تعالى: ﴿قد أصبتم مثليها﴾.

هو من صفة النكرة (٤). ومعناه: قد أصبتم مثليها يوم بدر؛ وذلك [أن] (٥) المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين، [وقتل المسلمون منهم يوم بدر، سبعين] (٦) وأسروا سبعين. هذا قول أكثر المفسرين: ابن

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٣/٦

(١) هذا رأي الكوفيين، ومنهم: الفراء، أن (إن) -هنا- نافية، بمعنى (ما)، واللام بمعنى: (إلا)، بينما مذهب أهل البصرة أن (إن) هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين (إن) النافية.

انظر: المصادر السابقة، و"الفريد في إعراب القرآن المجيد" ١/ ٦٥٦، و"الجنى الداني" ٢٠٩، و"المغني" لابن هشام ٣٠٦.

(٢) النسق، هو: العطف.

(٣) في "معاني القرآن" له ١/ ٤٨٧. نقله عنه بتصرف يسير.

(٤) أي: في موضع رفع؛ صفة لـ (مصيبة).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ج).." [1]

"وقال صاحب النظم (١): الواو في هذا الفصل بمنزلة (أو)؛ لأنه لما كانت (أو) بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة (أو) (٢).

ولا تدل هذه الآية على إباحة التسع (٣)؛ لأن الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات وأبلغها، وليس من شأن الخطيب البليغ أن يفرق العدد في مثل هذه الحال، يقول: أعط زيدا درهمين وثلاثة وأربعة؛ لأنه يصير أعيا كلام (٤).

وقوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾، أي: في الأربع، بالحب والجماع (٥).

---

(١) أي مصنف كتاب "نظم القرآن" وهو أبو علي الجرجاني.

(٢) انظر: الطبري ٤/ ٢٣٨، "الكشف والبيان" للثعلبي ٤/ ٦ ب، "معالم التنزيل" ٢/ ١٦١، "غرائب التفسير" ١/ ٢٨٢، واستبعد أبو حيان أن تكون أو بمنزلة الواو، لأن أو لأحد الشيئين أو الأشياء، والواو لمطلق الجمع فيأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها على طريق الجمع. انظر: "البحر" ٣/ ١٦٣. وما ذكره المؤلف حول الواو هنا أقوال متقاربة من حيث المعنى.

(٣) يشير المؤلف إلى بطلان رأي الشيعة الرافضة في ذلك. وانظر: "معاني القرآن" للزجاج ٢/ ١٠، والبغوي ٢/ ١٦١، والقرطبي ٥/ ١٧، و"البحر المحيط" ٣/ ١٦٣، وابن كثير ١/ ٤٨٨.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/١٥١

(٤) من "معاني القرآن" للزجاج ٢/ ١٠ بتصرف. وانظر: "غرائب التفسير" للكرماني ١/ ٢٨٢.

(٥) هذا رأي الضحاك كما عند الطبري ٤/ ٢٣٩، والفراء في "معاني القرآن" ١/ ٢٥٥. انظر: القرطبي ٥/ ٢٠. والظاهر أن العدل إنما هو بالنفقة والقسمة ونحوهما، وليس الزوج مطالبا بالعدل في الأمور القلبية والنفسية كالحب، ويدل على ذلك أن الله -عز وجل- يقول: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ [النساء: ١٢٩]، قال الطبري ٥/ ٣١٣ في معناه: لن تطيقوا أيها الرجال أن تسووا بين نسائكم وأزواجكم في حبهن بقلوبكم حتى تعدلوا بينهن في ذلك، فلا يكون في قلوبكم لبعضهن من المحبة إلا مثل ما لصواحبها؛ لأن ذلك مما لا تملكونه وليس إليكم.=." [١]

"وقيل: معناه ما أردنا بالترافع إلى عمر إلا إحسانا وتوفيقا (١). فيكون هذا كما ذكرنا في الوجه الأول.

ونظم الآية على هذا المعنى أن قوله: ﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة﴾ فصل منسوق على ما قبله من قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون﴾ و ﴿ألم تر﴾ معناه ههنا تعجيب، و (كيف) أيضا استفهام معناه التعجيب، كما تقول في الكلام: كيف رأيت فلانا فعل كذا وكذا، إذا أردت أن تعجب المخاطب من فعله. والله تعالى عجب نبيه مما قد هم المنافقون (٢) من التحاكم إلى الطاغوت، **ثم نسق عليه** خبرا آخر عجبه مما كان منهم عند قتل صاحبهم، وتهتك أستارهم بظهور نفاقهم.

والتقدير: ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك كيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم جآؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا. إلا أن الفاء دخلت في أول (كيف) **لأنه نسق على** ما قبله ومعطوف. وكذلك دخلت ثم في قوله: ﴿ثم جآءوك﴾ للنسق. وهذا الوجه ذكره الحسن بن يحيى الجرجاني (٣).

والطريقة الأولى أعجب إلي وأقوى في نفسي؛ لأنه ليس يظهر وجه دخول الفاء في (فكيف) ودخول ثم في قوله: ﴿ثم جآءوك﴾ على ما ذكره صاحب النظم، وعلى ما ذكره المتعجب منه مجيئهم حالفين، ولا يحسن

---

(١) "الكشف والبيان" ٤/ ٨٢ ب، وانظر: "النكت والعيون" ١/ ٥٠٢، "زاد المسير" ٢/ ١٢١.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٣٠٨

(٢) هكذا جاءت هذه العبارة. والمراد: مما قد هم به المنافقون. وقد تكون "به" ساقطة من النسخ.

(٣) صاحب كتاب "نظم القرآن".." [١]

"قال الزجاج: يعني: أنهم لعلمهم وثبوتهم وبصيرتهم في علمهم آمنوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم - (١).

وقوله تعالى: ﴿والمؤمنون﴾ قال ابن عباس: والمؤمنون من أصحاب محمد عليه السلام (٢).

وقوله تعالى: ﴿والمقيمين الصلاة﴾ اختلفوا في وجه نصب المقيمين:

فقال أبو زيد: هو نسق على الهاء والميم في (منهم)، المعنى: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين (٣).

قال الزجاج: وهذا عند النحويين رديء؛ لأنه لا ينسق الظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في اضطرار (٤).

وذهب بعضهم إلى أن هذا وهم من الكتاب.

روي ذلك عن عائشة (٥) رضي الله عنها، وأبان (٦) بن عثمان (٧).

= بهامش المصحف ص ١٠٣، و"الدر المنثور" ٢/ ٤٣٤.

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٣٠.

(٢) انظر: "تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١٠٣.

(٣) انظر: "معاني الزجاج" ٢/ ١٣٠، و"إعراب القرآن" للنحاس ١/ ٤٧٠، ٤٧١، و"الكشف والبيان" ٤/ ١٤٣ أ.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٣١.

(٥) أخرج الأثر عنها: الطبري ٦/ ٢٥، وانظر: "الكشف والبيان" ٤/ ١٤٣ أ.

(٦) هو أبو سعيد أو أبو عبد الله أبان بن عثمان بن عفان الأموي، من كبار الثقات التابعين. مات رحمه الله سنة ١٠٥هـ انظر: "تاريخ الثقات" ١/ ١٩٩، و"سير أعلام النبلاء" ٤/ ٣٥١، و"التقريب" ص ٨٧ رقم (١٤١).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٥٥٤

(٧) أخرجه الطبري ٦/ ٢٥، وانظر: "الكشف والبيان" ٤/ ١٤٣/ أ.

ومثل هذا القول لا يثبت عن الصحابة، وقد رده المحققون من العلماء كما سيأتي قريبا.." (١)

"قال الزجاج: الشرعة والمنهاج جميعا: الطريق، والطريق ههنا: الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أتى به بألفاظ تؤكد بها القصة والأمر. قال: وقال بعضهم: الشرعة: الدين والمنهاج: الطريق (١).

وقال ابن الأنباري: الشرعة: ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق الواضح كله المستمر، **فصح النسق للمخالفة** بينهما (٢).

وهذا قول محمد بن يزيد. حكاه الزجاج عنه (٣).

وأما التفسير: فقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿شرعة ومنهاجا﴾: سبيلا وسنة (٤)، وروي: سنة وسبيلا (٥).

وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك في تفسير الشرعة والمنهاج (٦).

وأما معنى الآية فقال قتادة في قوله: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة﴾ الخطاب للأمم الثلاث، أمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد (عليهم

= والعيون" ٢/ ٤٥.

وقد ذكر أبو حيان في "البحر المحيط" ٣/ ٥٠٣ عن مجاهد أنه قال: الشرعة والمنهاج دين محمد - صلى الله عليه وسلم -.

(١) قول الزجاج في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٨٥٧، وانظر: "بحر العلوم" ١/ ٤٤١، ولم أجد في "معاني القرآن" له شيئا من ذلك.

(٢) انظر: "زاد المسير" ٢/ ٣٧٢، "البحر المحيط" ٣/ ٥٠٣، "الدر المصون" ٤/ ٢٩٣.

(٣) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٨٥٧ (شرع)، وانظر: "معاني النحاس" ٢/ ٩١٩، "زاد المسير" ٢/ ٣٧٢، "البحر المحيط" ٣/ ٥٠٣، "الدر المصون" ٤/ ٢٩٣.

(٤) "تفسيره" ص ١٨١، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٦/ ٢٧٠ - ٢٧١ من طرق، وانظر: "النكت والعيون" ٢/ ٤٥.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/١٩٠

(٥) أخرج هذه الرواية الطبري في "تفسيره" ٦/ ٢٧٠ - ٢٧١ من طرق.

(٦) انظر: الطبري في "تفسيره" ٦/ ٢٧١ - ٢٧٢، وانظر: "النكت والعيون" ٢/ ٤٥.." [1]

"(القردة) أصحاب السبت وبـ (الخنازير) كفار مائدة عيسى (١)، وروى الوالبي عن ابن عباس أن المسخين من أصحاب السبت؛ لأن شبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير (٢)، وقوله تعالى: ﴿وعبد الطاغوت﴾، قال الفراء: تأويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت (٣)، فعلى هذا الموصول محذوف، وذلك لا يجوز عند البصريين، وقال الزجاج: (**عبد) نسق على** (لعنه الله)، المعنى: من لعنه الله وعبد الطاغوت (٤).

قال ابن الأنباري: وتأخره بعد القردة والخنازير لا يزيله عن معناه المعروف له، والعرب تقول: قد جعل منكم زيد من بني (٥) الدور، واتخذ الأموال والعقار، وعلم فنون العلم، فيردون "علم" على الفعل الملاصق لمن وإن تطاول الكلام.

وقال أبو علي: قوله (عبد الطاغوت) عطف على مثال الماضي الذي في الصلة وهو قوله: (لعنه الله وغضب عليه)، وأفرد الضمير في (عبد) وإن كان المعنى على الكثرة؛ لأن الكلام محمول على لفظ (من) دون معناه (٦)، قال ابن عباس في قوله: (وعبد الطاغوت): "يريد كفرهم بالله، وطاعنهم للشيطان، وهو الطاغوت" (٧)، قال الزجاج: تأويل (عبد الطاغوت) أطاعة

---

(١) انظر: "تفسير البغوي" ٣/ ٧٥، "زاد المسير" ٢/ ٣٨٧.

(٢) "تفسير البغوي" ٣/ ٧٥، انظر: "زاد المسير" ٢/ ٣٨٧.

(٣) "معاني القرآن" ١/ ٣١٤.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٨٩.

(٥) في (ج)، (ش): (بنا).

(٦) الحجة ٣/ ٢٣٨.

(٧) انظر: "تفسير البغوي" ٣/ ٧٥.." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/٤١٠

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٧/٤٤٦

"للنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إن كذبوك (١).

٦٩ – قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾، قد مضى تفسير هذه الآية مشروحا مستقصى في البقرة (٢).

وقوله تعالى: ﴿والصابئون﴾، اختلفوا في وجه ارتفاعه، فقال الكسائي: **هو نسق على** ما في ﴿هادوا﴾ كأنه قيل: هادوا هم والصابئون (٣)، قال الزجاج: وهذا خطأ من جهتين: إحداهما أن الصابىء على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية، وليس كذلك، فإن الصابىء غير اليهودي، وإن جعل ﴿هادوا﴾ بمعنى: تابوا، من قوله: ﴿إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف: ١٥٦] لا من اليهودية، ويكون المعنى: تابوا هم والصابئون، فالتفسير قد جاء بغير ذلك، لأن معنى ﴿الذين آمنوا﴾ في هذه الآية إنما هو إيمان بأفواههم، لأنه يعني به المنافقون؛ لأنه وصف الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ثم ذكر اليهود والنصارى فقال: من آمن منهم بالله فله كذا، فجعلهم يهودا ونصارى، فلو كانوا مؤمنين لم يحتج أن يقال: (من آمن منهم فلهم أجرهم) (٤)، وهذا قول الفراء (٥) والزجاج في الإنكار عليه، وقال الفراء: ارتفع الصابئون بالنسق على الذين، **وإنما نسق على** المنصوب بالمرفوع؛ لأن (إن) ضعيفة العمل، وضعفه أنه يقع على

---

(١) انظر: "تفسير الطبري" ٦/ ٣١٠، "بحر العلوم" ١/ ٤٤٩، "تفسير البغوي" ٣/ ٨١.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾ الآية (٦٢) البقرة.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٩٤.

(٤) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٩٤ بتصرف.

(٥) انظر: "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٩٢، ١٩٣." [1]

"رفع أنتم بالنسق على النون والألف، إذ لم يتبين عمل (إن) فيهما، ولو نصب لقال: وإياكم. وقال آخر:

يا ليتني وأنت بالميس ... ببلدة ليس بها أنيس (١)

رفع (أنت) **وهو نسق على** الياء إذ لم يتبين فيها الإعراب، وقال آخر:

يا ليتنا وهما نخلوا بمنزلة ... حتى يرى بعضنا بعضا ويأتلف (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/٤٧٢

وأنشدوا أيضا لضابىء البرجمي (٣) على هذا المذهب:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب (٤)

هذا كله مذهب الكوفيين، وأنكر البصريون جميع ذلك، أما قول الكسائي فقد ذكرنا وجه بطلانه، وأما قول الفراء: نصب (إن) ضعيف، لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر "فقال أبو إسحاق: هذا غلط، لأن (إن) قد عملت عملين: النصب والرفع، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع؛ لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب (إن) ضعيفا وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو قولك: إن أمامك زيدا، وإن عندك عمروا، قال الله تعالى: ﴿إن فيها قوما جبارين﴾ [المائدة: ٢٢] ونصب (إن) من أقوى المنصوبات (٥)، ومذهب الخليل وسيبويه في هذا التقديم والتأخير، ويكون

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) هو ضابئ بن الحارث بن أرطأة التميمي البرجمي شاعر جاهلي أدرك الإسلام ، حبسه عثمان - رضي الله عنه - حتى مات نحو سنة ٣٠ هـ "الأعلام" ٣/ ٢١٢.

(٤) البيت في الكتاب ١/ ٧٥، "الإنصاف" لابن الأنباري ص ٨٥.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ١٩٣.." [١]

"وقد شرح ابن الأنباري هذا فقال: (العرب قد تجرى اسما على الخفض ثم تعطف عليه منصوبا، وكذلك يقدمون المنصوب ثم يعطفون عليه المخفوض في باب فاعل، فيقولون: هو ضارب عبد الله في الدار ومحمدا، وهو ضارب عبد الله في الدار ومحمد، إذا نصبوا بعد الخفض قدروا أن المعطوف عليه منصوب وأن الفاعل منون، وذلك أن قولنا: هو ضارب عبد الله يجري مجرى ضارب عبد الله، وإذا خفضوا بعد النصب قدروا أن المنصوب مخفوض وأن الاسم المبني على فاعل لا تنوين فيه، وأنشد:

فنبينا نحن ننظره أتانا ... معلق شكوة وزناد راع

فحمل على تأويل النصب أراد: معلقا شكوة، وقال امرئ القيس:

فظل طهاة اللحم [من بين] (١) منضج ... صفيف شواء أو قدير معجل (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٧/٤٧٤

فخفض القدير **وهو نسق على** الصفيف تقديرا أن الصفيف مخفوض، كأنه قال: من بين منضج صفيف (٣).

(١) في (ش): (ما بين)، وهي رواية للبيت.

(٢) الشاهد في "ديوانه" ص ١٢٠، و"معاني الفراء" ١/ ٣٤٦، و"جمهرة اللغة" ٢/ ٩٢٩، و"الاشتقاق" ص ٢٣٣، و"اللسان" ٤/ ٢٤٦٣، مادة (صفف)، والطهاة: الطباخون، وصفيف شواء: شرائح لحم مشوي، وقدير، أي: مطبوخ في قدر، انظر: "شرح المعلقات" للنحاس ١/ ٤١.

(٣) انظر: "شرح القصائد السبع" لابن الأنباري ص ٩٧ - ٩٨، وفي "معاني الفراء" ١/ ٣٤٦، و"الجمل" للزجاجي ص ٨٤ - ٨٥، نحوه، وقال مكي في "المشكل" ١/ ٢٦٣: (﴿والشمس والقمر﴾ انتصبا عطفا على موضع (الليل) لأنه في موضع نصب وقيل: على تقدير وجعل. وأما على قراءة ﴿وجعل الليل﴾ فهو عطف على اللفظ والمعنى) ا. هـ. وانظر: "البيان" ١/ ٣٣٢، و"التبيان" ١/ ٣٤٩ و"الفريد" ٢/ ١٩٨، و"الدر المصون" ٥/ ٦١.." [١]

"معروشات﴾ ما قام على ساق وبسق (١)، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار) (٢).

وقوله تعالى: ﴿والنخل والزرع﴾ فسر ابن عباس: (الزرع هاهنا بجميع الحبوب التي تقتات، ﴿مختلفا أكله﴾ قال: يريد بكل شيء منها طعم غير طعم الآخر) (٣)، والأكل كل ما أكل، وهاهنا المراد به: ثمر النخل والزرع، ومضى القول في الأكل عند قوله تعالى: ﴿فآتت أكلها ضعفين﴾ [البقرة: ٢٦٥] وانتصب (مختلفا) على الحال (٤) أي: أنشأه في حال اختلاف أكله.

(١) بسق، بالفتح: طال، وارتفع. انظر: "اللسان" ١/ ٢٨٤ (بسق)، وجاء الأثر عند البغوي في "تفسيره" ٣/ ١٩٥، وفيه (ونسق) بالنون بدل الباء، والنسق: ما كان على طريقة نظام واحد. انظر: "اللسان" ١٠/ ٧/ ٤٤١٢ (نسق).

(٢) ذكره الثعلبي في "الكشف" ١٨٥ أ، والقرطبي ٧/ ٩٨، والخازن ٢/ ١٩٠، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٢٣٦، وأخرج الطبري في "تفسيره" ٨/ ٥٢، بسند جيد عن ابن عباس قال: (﴿معروشات﴾ مسموكات)، وفي رواية (﴿معروشات﴾: ما عرش الناس ﴿وغير معروشات﴾: ما خرج في البر والجبال من الثمرات) اهـ.

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/ ٣١١

والظاهر أن المراد بالمعروشات: ما كانت مرفوعة على ما يحملها من دعائم كأشجار العنب وغيرها، وغير المعروشات هي المتروكة على وجه الأرض لم تعرش. وهو اختيار أبي عبيدة في "مجاز القرآن" ١/ ٢٠٧، وأبي حيان في "البحر" ٤/ ٢٣٦، والدكتور فريد مصطفى سلمان في "تفسير آيات الأحكام من سورتي الأنعام والأعراف" ص ٨٥ - ٨٦.

(٣) ذكره الرازي في "تفسيره" ١٣/ ٢١٢، وانظر: "تفسير الخازن" ٢/ ١٩٠، و"البحر المحيط" ٤/ ٢٣٤.

(٤) حال مقدرة؛ لأن النخل والزرع وقت خروجهما لا أكل فيه، حتى يقال فيه متفق أو مختلف. انظر: "إعراب النحاس" ١/ ٥٨٥، و"المشكل" ١/ ٢٧٤، و"غرائب التفسير" ١/ ٣٨٩، و"البيان" ١/ ٣٤٥، و"التبيان" ٣٦١، و"الفريد" ٢/ ٢٣٩ ، و"الدر المصون" ٥/ ١٨٧.." [١]

"١٤٢ - قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾ الآية معناها: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا؛ لأن قوله: ﴿ومن **الأنعام﴾ نسق علي** قوله: ﴿وهو الذي أنشأ جنات﴾ [الأنعام: ١٤١] قاله (١) الفراء (٢) وأبو إسحاق (٣).

وأما الحمولة، فقال الفراء: (الحمولة: ما أطاق العمل والحمل، والفرش: الصغار) (٤).

وقال ابن السكيت: (قال أبو زيد: الحمولة: ما احتمل عليه الحي من بعير أو حمار أو غيره كانت عليها أحمال أو لم تكن، وأنكر أبو الهيثم ما قاله أبو زيد، وقال: الحمولة من الإبل التي تحمل الأحمال على ظهرها، فأما الحمر والبغال فلا تدخل في الحمولة) (٥)، وقال الليث: (الحمولة: الإبل التي تحمل الأثقال) (٦)، وقال النابغة:

= ٢/ ٣٣٦، وانظر: "القرطبي" ٧/ ١١٠، وابن كثير ٢/ ٢٠٤، و"تفسير آيات الأحكام من سورتي الأنعام والأعراف" للدكتور: فريد مصطفى سلمان ص ٩٩ - ١٠١.

(١) في (ش): (قال)، وهو تحريف.

(٢) "معاني الفراء" ١/ ٣٥٩.

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٢٩٨، وقال النحاس في "إعراب القرآن" ١/ ٥٨٦، ومكي في "المشكل" ١/ ٢٧٤ - ٢٧٥ (قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾ نصب على العصف على (جنات)، أي: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا) ا. هـ.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي 8/٤٧٢

(٤) "معاني الفراء" ١/ ٣٥٩.

(٥) "تهذيب اللغة" ١/ ٩٢٥ مادة (حمل)، وفيه قال أبو الهيثم: (الحمولة من الإبل: التى تحمل الأحمال على ظهورها، بفتح الحاء: والحمولة: بضم الحاء: هي الأحمال التي تحمل عليها، واحدها حمل وأحمال وحمول وحمولة. فأما الحمر والبغال فلا تدخل في الحمولة) ا. هـ.

(٦) "تهذيب اللغة" ١/ ٩٢٥، وفيه ضبط: الحمولة، بالفتح، وقال: (والحمول، =." [(١)]

"وقوله تعالى: ﴿أو فسقا أهل لغير الله **به﴾ نسق على** (١) ﴿أو لحم خنزير﴾ قال ابن عباس: (يريد: كل ما ذبح على النصب) (٢).

قال الزجاج: (فسمى ما ذكر عليه غير اسم (٣) الله فسقا) (٤)، وهذا من المفعول الذي يسمى بالمصدر، والمراد: ما يفسق به عن الدين، أي: يخرج أكله عن الدين (٥).

فإن (٦) قيل: المحرمات [من المطعومات] (٧) أكثر مما ذكر في هذه الآية فما وجهها؟ والجواب عنه من وجوه أحدها: أن المعنى: لا أجد

---

(١) انظر: "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ٥٨٨، و"المشكل" لمكي ١/ ٢٧٦، وقال الزجاج في "معانيه" ٢/ ٣٠٠: (هو عطف على ﴿لحم خنزير﴾ المعنى: ﴿إلا أن يكون﴾ المأكول ﴿ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير﴾ (أو فسقا)) اهـ.

(٢) ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٣٣، وأخرج الطبري في "تفسيره" ٨/ ٦٩، عند قوله تعالى: ﴿وما أهل به لغير الله﴾ [البقرة: ١٧٣] بسند جيد، عن ابن عباس قال: (ما أهل بـه للطواغيت يعني: ما ذبح لغير الله من أهل الكفر غير اليهود والنصارى) اهـ.

(٣) في (ش): (فسمى ما ذكر عليه اسم غير الله فسق).

(٤) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٠٠، وزاد فيه (أي: خروجا عن الدين). وقال ابن القيم كما في "بدائع التفسير" ٢/ ١٨٥: (الضمير في قوله (فإنه) دن كان عوده إلى الثلاثة المذكورة باعتبار لفظ المحرم، فإنه يترجح اختصاص لحم الخنزير به لثلاثة أوجه. أحدها: قربه منه. والثاني: تذكيره دون قوله: (فإنه رجس). والثالث: أنه أتى بالفاء وإن تنبيها على علة التحريم لتزجر النفوس عنه، ويقابل هذه العلة ما في طباع بعض الناس من استلذاذه واستطابته، فنفى عنه ذلك، وأخبر أنه رجس، وهذا لا يحتاج إليه في الميتة والدم؛ لأن كونهما

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/٤٨٤

رجسا أمر مستقر معلوم عندهم ..) اهـ.

(٥) انظر: "الدر المصون" ٥/ ١٩٨.

(٦) في (ش): (قال قيل)، وهو تحريف.

(٧) لفظ: (من المطعومات) ساقط من (أ).." (١)

"مجرى كان) (١).

وقال الزجاج: (يقال (٢): بات بياتا حسنا وبيتة حسنة والمصدر من الأصل بات بيتا وأصل تسمية البيت من أنه يصلح للمبيت) (٣).

وقد ذكر هذا الحرف (٤) في قوله تعالى: ﴿إذ يبيتون﴾ [النساء: ١٠٨] و ﴿بيت طائفة منهم﴾ [النساء: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿أو هم قائلون﴾ (٥). قال الفراء: (وفيه واو مضمرة. المعنى: أهلكناها ﴿فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون﴾ فاستثقلوا (٦) نسقا على أثر نسق، ولو قيل كان صوابا).

قال ابن الأنباري: (أضمرت واو الحال لوضوح معناها؛ كما تقول العرب: لقيت عبد الله مسرعا أو (٧) هو يركض، ولا يضرنك ظالما أو (٨) أنت مظلوم، يريدون (أو وأنت) فيحذفون الواو عند أمنهم اللبس؛ لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن (أو) حرف عطف والواو كذلك استثقلوا جمعا بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني) (٩).

---

(١) "تهذيب اللغة" ١/ ٢٥٠.

(٢) لفظ: (يقال) ساقط من (أ).

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣١٧، وانظر "الزاهر" ١/ ٤٤٣.

(٤) انظر: "البسيط" نسخة جستربتي ٢/ ١٢ ب و ٢٢ ب.

(٥) في "معاني الفراء" ٤/ ٣٧٢: ﴿بياتا أو هم قائلون﴾.

(٦) لفظ: (فاستثقلوا) ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (إذ هو)، وهو تحريف.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/٤٩٩

(٨) في (ب): (وأنت).
(٩) ذكره السمين في "الدر" ٥/ ٢٥٢.." [١]

"٢٩ - قوله تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾، قال ابن عباس: (بلا إله إلا الله) (١)، ونحوه قال الضحاك (بالتوحيد) (٢).
وقال عطاء (٣) والسدي (٤): (بالعدل).
قال الزجاج: (هذا رد لقولهم: ﴿والله أمرنا بها﴾ في الآية الأولى) (٥).
وقوله تعالى: ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾، قال أبو علي الجرجاني: (نسق الأمر على الخبر (٦)، وجاز ذلك لأن قوله ﴿قل أمر ربي﴾ قول؛ لأن الأمر لا يكون إلا كلاما، والكلام قول فكأنه قال: قل يقول ربي أقسطوا ﴿وأقيموا وجوهكم﴾) (٧) ﴿عند كل مسجد﴾، أي: وجهوا

---

(١) "تنوير المقباس" ٢/ ٨٨، وذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٨٩ أ، والواحدي في "الوسيط" ١/ ١٧٢، والبغوي ٣/ ٢٢٣، والرازي ١٤/ ٥٧، والقرطبي ٧/ ١٨٨، و"الخازن" ٢/ ٢٢٢.
(٢) ذكره الثعلبي ١٨٩ أ، والواحدي ١/ ١٧٢، والبغوي ٣/ ٢٢٣.
(٣) ذكره الرازي في "تفسيره" ١٤/ ٥٧، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٢٨٧.
(٤) أخرجه الطبري في "تفسيره" ٨/ ١٥٥ بسند جيد عن مجاهد والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٦٢ بسند ضعيف عن ابن عباس، وقال: (روي عن مجاهد والسدي وقتادة مثل ذلك) وهو قول الطبري والزجاج في "معانيه" ٢/ ٣٣٠، والنحاس ٣/ ٢٥، والمعاني متقاربة، فالقسط العدل والحق والاستقامة فيحمل ما ذى على التمثيل. انظر: "تفسير ابن عطية" ٥/ ٤٧٨، وابن كثير ٢/ ١٣٣.
(٥) انظر: "معاني الزجاج" ٢/ ٣٣٠، و"الفتاوى" ١٥/ ٨ - ٩، و"بدائع التفسير" ٢/ ٢٠٣ - ٢٠٤.
(٦) ذكره السمين في "الدر" ٥/ ٢٩٦ - ٢٩٧ عن الجرجاني صاحب النظم، وفيه: (نسق الأمر على الجر) بدل لفظ (الخبر)، والأمر ﴿وأقيموا﴾ والجر ﴿بالقسط﴾.
(٧) في "الدر المصون": (أقسطوا وأقيموا) يعني أنه عطف على المعنى) اهـ. واختار أبو حيان في "البحر"

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٧/٩

٤/ ٢٨٧، والسمين في "الدر" ٥/ ٢٩٥ - ٢٩٧، أنه معطوف على الأمر المقدر الذي ينحل إليه المصدر وهو ﴿بالقسط﴾ وذلك أن القسط =." [1]

"فنوقع بهم ما يشبه النسيان بأن لا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة) (١).

وقوله تعالى: ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾. قال الزجاج: (أي: كجحدهم (٢)، ﴿وما﴾ في موضع **جر نسق على** ﴿كما﴾ (٣) و (ما) في قوله ﴿كما نسوا﴾ وقوله: ﴿وما كانوا﴾ بمعنى المصدر، والتقدير: ننساهم نسيانا كنسيانهم يومهم هذا ولكونهم جاحدين بآياتنا، قاله أبو علي (٤).

قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ [الأعراف:٥٢]، قال ابن عباس: (يريد: الذي جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم -، ﴿فصلناه﴾ يريد: بيناه) (٥)، والتفصيل تبيين المعاني بإظهارها مما يلتبس بها، فالتفصيل كالتبيين (٦).

---

(١) ذكره الرازي ١٤/ ٩٣، و"الخازن" ٢/ ٢٣٥، وقال ابن كثير في تفسير الآية ٢/ ٢٤٥: (أي: يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا ينساه .. وإنما قال تعالى هذا من باب المقابلة) اهـ. ملخصا.

(٢) في (ب): (أي ولجحدهم).

(٣) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤١.

(٤) "الحجة" لأبي علي ٣/ ٦٠ و٦/ ٢١٦ - ٢١٧ و٢١٩، وهو قول الأكثر. انظر: "الإيضاح" لابن الأنباري ٢/ ٦٥٧، و"إعراب النحاس" ١/ ٦١٥، و"المشكل" ١/ ٢٩٣، و"البيان" ١/ ٣٦٤، و"الفريد" ٢/ ٣٠٩، و"الدر المصون" ٥/ ٣٣٦.

(٥) "تنوير المقباس" ٢/ ٩٩، وهو قول عامة المفسرين. انظر: الطبري ٨/ ٢٠٣، والسمرقندي ١/ ٥٤٤ - ٥٤٥، والبغوي ٣/ ٢٣٥، وابن عطية ٥/ ٥٢٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٠٩.

(٦) التفصيل - التبيين، وأصل الفصل القطع والقضاء وإبانة الشيء عن الآخر. انظر: "العين" ٧/ ١٢٦، و"الجمهرة" ٢/ ٨٩١، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢٧٩٥، و"الصحاح" ٥/ ١٧٩٠، و"مقاييس اللغة" ٤/ ٥٠٥، و"المفردات" ص ٦٣٩، و"اللسان" ٦/ ٣٤٢٢ (فصل).." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨٩/٩

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٦٢/٩

"قال الزجاج: (﴿يوم﴾ نصب بقوله ﴿يقول﴾ (١). قال: [و] (٢) ﴿الذين نسوه﴾ معناه (٣) أنهم صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسي، وجائز أن يكون ﴿نسوه﴾ تركوا (٤) العمل له والإيمان له) (٥)، وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ [الأعراف:٥١].

وقوله تعالى: ﴿أو **نرد﴾ نسق على** قوله: ﴿فهل لنا من شفعاء﴾، كأنه قيل: هل يشفع لنا شافع، أو هل نرد ﴿فنعمل﴾، منصوب على جواب الاستفهام [بالفاء (٦)] (٧)، ومعنى: ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ نوحد الله قاله ابن عباس (٨).

= هو مجيء حقيقته ورؤيتها عيانا ومنه تأويل الرؤيا وهو حقيقتها الخارجية التي ضربت للرائي في عالم المثال) اهـ.

(١) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤١، وانظر: "إعراب النحاس" ١/ ٦١٦، و"المشكل" ١/ ٢٩٣، و"البيان" ١/ ٣٦٤، و"التبيان" ص ٣٧٨، و"الفريد" ٢/ ٣١٠، و"الدر المصون" ٥/ ٣٣٧ وكلهم على أنه منصوب على الظرف والعامل فيه ﴿يقول﴾.

(٢) لفظ: (الواو) ساقط من (ب).

(٣) في (ب): (معنا)، وهو تحريف.

(٤) في (ب): (تركوه العمل)، وهو تحريف.

(٥) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤١ - ٣٤٢، وانظر: الطبري ٨/ ٢٠٤، و"معاني النحاس" ٣/ ٤٢، والسمرقندي ١/ ٥٤٥، والماوردي ٢/ ٢٢٩.

(٦) لفظ: (بالفاء) ساقط من (ب).

(٧) هذا قول الزجاج في "معانيه" ٢/ ٣٤٢ وهو المشهور، وقول الجمهور: (فتكون جملة ﴿أو نرد﴾ معطوفة على جملة ﴿فهل لنا من شفعاء﴾ داخلة معها في حكم الاستفهام. انظر: "معاني الفراء" ١/ ٣٨٠، والأخفش ٢/ ٣٠٠، و"تفسير الطبري" ١٢/ ٢٠٥، و"إعراب النحاس" ١/ ٦١٦، و"المشكل" ١/ ٢٩٣، و"البيان" ١/ ٣٦٤، و"التبيان" ص ٣٧٨، و"الفريد" ٢/ ٣١٠، و"البحر" ٤/ ٣٠٦، و"الدر المصون" ٥/ ٣٣٧.

(٨) "تنوير المقباس" ٢/ ٩٩ وفيه: (فنؤمن ونعمل غير الذي كنا نعمل في الشرك) اهـ.." [1]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/١٦٥

"وقوله: وهم راكعون قال ابن عباس: يعني: صلاة التطوع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر تشريفا له.

قوله جل جلاله: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٦] يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار، ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة: ٥٦] معنى الحزب في اللغة: الجماعة، وحزب الرجل: أصحابه الذين معه على رأيه، والمؤمنون حزب الله، والكافرون حزب الشيطان.

قال الحسن: حزب الله: جند الله.

وقال أبو روق: أولياء الله.

ومعنى هم الغالبون: أنهم غلبوا اليهود فقتلوا قريظة، وأجلوا بني النضير من ديارهم، وغلبوهم عليها، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله والذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا﴾ [المائدة: ٥٧] قال ابن عباس: كان رجال من اليهود آمنوا ثم نافقوا، وكان ناس من المسلمين يودونهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ومعنى اتخاذهم الدين هزو ولعبا: تلاعبهم بالدين وإظهارهم ذلك باللسان واستبطانهم الكفر.

وقوله: والكفار يعني: كفار مكة، وهو نسق على قوله: ﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [المائدة: ٥٧] يعني اليهود.

ومن نصب: كان نسقا على قوله: ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا﴾ [المائدة: ٥٧] كأنه قال: ولا تتخذوا الكفار ﴿أولياء واتقوا." [١]

"إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم الأموال، وهذا معنى قول الحسن: لفسقكم نقمتم علينا.

قوله جل جلاله: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله﴾ [المائدة: ٦٠] يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لليهود: هل أخبركم بشر مما نقمتم من إيماننا ثوابا وجزاء: ﴿من لعنه الله﴾ [المائدة: ٦٠] أي: هو من لعنه الله، وغضب عليه يعني: اليهود ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ [المائدة: ٦٠] يعني ب القردة: أصحاب السبت، وبالخنازير: كفار مائدة عيسى.

وقال الوالبي عن ابن عباس: إن المسخين من أصحاب السبت، لأن شبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٢٠٢

خنازير.

وقوله: وعبد الطاغوت: قال الزجاج: عبد نسق على لعنه الله لأن المعنى: لعنه الله وعبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سول له.

وقرأ حمزة وعبد بضم الباء، الطاغوت بالكسر على تأويل: وجعل منهم عبد الطاغوت، وأراد بالعبد: العبد، فضمت الباء للمبالغة، قال أوس بن حجر:

أبني لبينى إن أمكمو ... أمة وإن أباكمو عبد

أراد: عبدا، فضم الباء.." (١)

"على كل قلب بالتنوين.

قال الزجاج: الوجه الإضافة، لأن المتكبر هو الإنسان.

قال: ويجوز أن تقول: قلب متكبر، أي: صاحبه متكبر.

وإذا وصف القلب بالتكبر، كان صاحبه في المعنى متكبرا.

ولما وعظه المؤمن من أهل فرعون وأقاربه، وزجره عن قتل موسى، قال فرعون لوزيره: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ﴿٣٦﴾ أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب ﴿٣٧﴾ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴿٣٨﴾ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴿٣٩﴾ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴿٤٠﴾ ﴾ [غافر: ٣٦-٤٠] .

﴿يا هامان ابن لي صرحا﴾ [غافر: ٣٦] قصرا مشيدا بالآجر، ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ [غافر: ٣٦] يعني: الطرق من سماء إلى سماء.

﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ [غافر: ٣٧] بالرفع نسق على قوله: أبلغ الأسباب أي: لعلي أبلغ ولعلي أطلع، ومن نصب جعله جوابا للفعل بالفاء على معنى: إني إذا بلغت اطلعت، ﴿وإني لأظنه كاذبا﴾ [غافر: ٣٧] أي: فيما يقول من أن له ربا في السماء، وما قال موسى له ذلك قط، ولكنه لما قال له: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] ، قال موسى: ﴿رب السموات والأرض﴾ [الشعراء: ٢٤] ظن فرعون باعتقاده

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٢٠٤

الباطل أنه لما لم يره في الأرض، أنه في السماء، فرام الصعود إلى السماء، لرؤية إله موسى، وكذلك ومثل ما وصفنا، ﴿زين لفرعون سوء عمله وصد عن." (١)

"وأنها فانية فتركها، وأن الآخرة باقية فيها، وكذلك كل شيء، ومعنى هذا الاستفهام التقرير أي: قد فعلنا ذلك، يدل على هذا قوله **في النسق عليه**: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ [الشرح: ٢] قال ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، ومقاتل: حططنا عنك إثمك الذي سلف منك في الجاهلية.

وهذا كقوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح: ٢] وقد مر.

ثم وصف ذلك الوزر بقوله: ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ [الشرح: ٣] قال المفسرون: أثقل ظهرك.

قال الزجاج: أثقله حتى سمع له نقيض، أي: صوت.

وهذا مثل معناه: أنه لو كان حملا يحمل، لسمع نقيض ظهره، قال قتادة: كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب قد أثقلته، فغفرها الله له.

وقوم يذهبون إلى أن هذا تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها، سهل الله ذلك عليه حتى تيسرت به، وذكر منته عليه بذلك.

وقوله: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤] قال عطاء، عن ابن عباس: يريد الأذان والإقامة، والتشهد، والخطبة على المنابر يوم الجمعة، ويوم الفطر، ويوم النحر، ويوم عرفة، وأيام التشريق، وخطبة النكاح، وفي كل موطن، وعلى الدنانير والدراهم، وكلمة الشهادة، ولو أن رجلا عبد الله وصدقه في كل شيء، ولم يشهد أن محمدا رسول الله، لم ينتفع بشيء، وكان كافرا.

وقال الحسن في هذه الآية: ألا ترى أن الله تعالى لا يذكر في موضع إلا ذكر معه نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقال قتادة: رفع ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي به: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.

١٣٨٧ - أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك، نا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله، نا يحيى بن كثير، نا ابن لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ورفعنا لك." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٣/٤

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥١٦/٤

"بأسرهم» (١).

أما المصطلحات فأكثرها بصرية، وهذا غير مستغرب لدى علماء القرن الخامس وما بعده، ولكنه استعمل أيضا كثيرا من مصطلحات الكوفيين، كالكناية (٢)، والعماد (٣)، والصرف (٤)، والقطع (٥)، والتفسير (٦)، والنعت (٧)، والنسق (٨)، والجحد (٩). وربما استعمل المصطلحين للتعبير عن الشيء الواحد في مواضع مختلفة، كاستعمال الضمير مكان الكناية (١٠)، والصفة مكان النعت (١١)، والعطف **مكان النسق** (١٢).

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه ٢/ ٢٥٤، وينظر: واو العطف وأثره في اختلاف الأصوليين والفقهاء ١٦٠ - ١٦٥ (ضمن مجلة كلية العلوم الإسلامية).

(٢) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ١٤، و ٥١، و ٨٦.

(٣) ينظر: درج الدرر ٩٨.

(٤) ينظر: درج الدرر ٤٩.

(٥) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ٢٩، و ١٠٤، و ١٣١.

(٦) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ٨٨، و ١٠٣،١٥٤.

(٧) ينظر أمثـرة على ذلك في درج الدرر ٣٠، و ٥٢، و ٩٨.

(٨) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ١٣٠، و ٥٨٠، و ٥٩٨.

(٩) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ١٦، و ٣٦٨، و ٧٥١.

(١٠) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ١١، و ١٣، و ١٧، و ٣٩،٢٩٩.

(١١) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ٨٢، و ٨٣، و ٢٨٥، و ٣١٢، و ٤٢٥.

(١٢) ينظر أمثلة على ذلك في درج الدرر ١٣، و ١٨، و ٢٩٩، و ٣١٣، و ٣٢٤.." [١]

"﴿آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ [آل عمران:٦٨].

و (النصير): الناصر، على طريق المبالغة، كالشهيد والقعيد (١).

١٠٨ - ﴿أم تريدون:﴾ اختلف في سبب نزولها، قيل (٢): إنها نزلت حيث قالوا: ﴿لن نؤمن لك حتى

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٩/١

تفجر لنا من الأرض ينبوعا﴾ (٩٠). . . ﴿حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه﴾ [الإسراء: ٩٠ – ٩٣]، وهذا بعيد؛ لأن ظاهر الخطاب ههنا للمؤمنين دون الكافرين.

وقيل: سأل (٣) النبي صلى الله عليه وسلم قوم ممن حدث إسلامهم أن يتخذوا عيدا (٤) عند شجرة أنواط كما كانت الكفار تتخذ، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن تريدون مني إلا كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام:

﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ [الأعراف:١٣٨]) (٥)، وهذا أقرب إلى الصواب.

ويحتمل أنهم كانوا يقولون: (راعنا) متابعة لليهود، ويظنون أنه أحسن للخطاب، ويستدلون بكون اليهود أعرف بخطاب الأنبياء منهم لقراءتهم الكتب، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأعلمهم قبح موافقة اليهود، وما يؤدون إليه من الكفر والضلال، إذ هم الذين (٦) قالوا:

﴿أرنا الله [جهرة]﴾ (٧) [النساء:١٥٣]، و ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ [الأعراف:١٣٨]، ﴿فاذهب أنت وربك [فقاتلا]﴾ (٨) [المائدة:٢٤]، و ﴿آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾ [الأحزاب:٦٩].

و (أم) ههنا بمعنى (بل)، كقولك: إنها لإبل أم شاء (٩). والدليل على أنه منقطع لم يسبقه في بابه استفهام فيكون بمعنى (أو) (١٠) على جهة النسق. إلا أن بين (بل) وبين (أم) فرقا (١١)؛ لأن ما يلي (بل) يقع مقطوعا به (١٢)، وما يلي (أم) يقع موهوما (١٣). ويحتمل أن المراد بقوله (١٤): ﴿ألم تعلم:﴾

---

(١) ينظر: مجمع البيان ١/ ٣٤٣، والتفسير الكبير ٣/ ٢٣٤، والبحر المحيط ١/ ٥١٥.

(٢) ينظر: تفسير الطبري ١/ ٦٧٦، ومجمع البيان ١/ ٣٤٤، والتفسير الكبير ٣/ ٢٣٥.

(٣) مكررة في ب.

(٤) في الأصل وك وع: عبدا.

(٥) ينظر: سنن الترمذي ٤/ ٤٧٥، والسنة لابن أبي عاصم ١/ ٣٧، والسنن الكبرى للنسائي ٦/ ٣٤٦.

(٦) ساقطة من ب.

(٧) من ب.

(٨) من ب.

(٩) ينظر: إعراب القرآن ١/ ٢٥٥، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٤٠٣، ومجمع البيان ١/ ٣٤٤.

(١٠) مكررة في الأصل وك وب. وينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٧٢.

(١١) في الأصل وك وع: فرق، وفي ب: فريق، والصواب ما أثبت.

(١٢) ساقطة من ك.

(١٣) في ب: وهو ما.

(١٤) في الآية السابقة.." [1]

"٥١ - ﴿إذ راودتن:﴾ أسند إليهن قبل اعترافهن؛ لأنهن كن قد تعاون وتظاهرن في المراودة ولذلك اختار (١) السجن، وكان الأمر قد فشا (٢) في البلد واستفاض، ولكن لا يعلمون هل مال إليهن يوسف أم لا؟ وهل أطاع بعضهن أم لا؟، فكان السؤال لاستبانة هذا المستتر، فبرأنه و ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء.﴾

و ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق:﴾ ظهر وتبين الحق، (٣) أي: حقيقة الأمر، أو حقيقة الأمر ذلك، أي: توقفي في السجن، ومطالبتي بالسوء (٤).

٥٢ - إنما كان ليعلم الملك ﴿أني لم أخنه بالغيب﴾ بتحريف الغيب الذي أوحاه الله إلي في تأويل رؤياه، كما لم أخن العزيز، أو ليعلم العزيز أني لم أخنه في امرأته فظهر الغيب.

وقيل: إنه من كلام المرأة، أي (٥): أعترف (٦) بالمراودة، ليعلم يوسف أني لم أخنه (١٦٧ ظ) بظهر الغيب في الافتراء عليه، (٧) إلا أنه يشكل بقوله: ﴿وأن الله﴾ بفتح الهمزة، فإنه معطوف على المعلوم الأول، وذلك لا يكون إلا من يوسف.

٥٣ - ﴿وما أبرئ نفسي:﴾ أراد التنبيه على توفيق الله وعصمته، ونفي الرياء (٨) والعجب. (٩)

﴿إلا ما رحم ربي:﴾ استثناء منقطع، (١٠) أي: لكن من رحم ربي، فهو المعصوم. وقيل: استثناء متصل تقديره: إلا رحمة من ربي. (١١) وقيل: هو كلام المرأة برأت يوسف [ولم تبرئ (١٢) نفسها] (١٣). (١٤)

---

(١) ك: اختيار.

(٢) ع: شفا.

---

[1] درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٢٣/١

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢١٨، وتفسير الوسيط ٢/ ٦١٧، وتفسير الماوردي ٣/ ٤٧.

(٤) ك وع وأ: السؤال.

(٥) ع: التي.

(٦) ك وع وأ: اعتراف.

(٧) ينظر: المحرر الوجيز ٧/ ٥٣٧، والتفسير الكبير ٦/ ٤٦٨، والدر المصون ٤/ ١٩٣، وفتح القدير ٣/ ٤٨.

(٨) ك: الرءيا، وفي أ: الزنا.

(٩) ينظر: تفسير الخازن ٢/ ٥٣٤، واللباب في علوم الكتاب ١١/ ١٣٢.

(١٠) ينظر: المحرر الوجيز ٨/ ٢، والبحر المحيط ٦/ ٢٩٠، واللباب في علوم الكتاب ١١/ ١٣٣، وقال ابن عطية: وهو قول الجمهور.

(١١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١١/ ١٣٢، وحاشية زاده ٥/ ٤٧، وفتح البيان ٦/ ٣٥٤،.

(١٢) ك: تبرر.

(١٣) سواد في الأصل.

(١٤) ينظر: التفسير الكبير ٦/ ٤٧٠، وتفسير الخازن ٢/ ٥٣٤، وقال زاده: هذا كلام لا يحسن صدوره إلا ممن يحترز عن المعاصي فلذلك لم يرض أن يكون من كلام المرأة، ثم ذكر هذا على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التي استفرغت جهدها في المعصية. ينظر: حاشية زاده ٥/ ٤٨. وقال ابن القيم مصوبا هذا الرأي: إن الضمائر كلها **في نسق واحد**. ينظر: بدائع التفسير ٢/ ٤٤٧.." [١]

"الشياطين، أتى الشام فخالط أهل هذه الأشربة وجفا، فكتب إليه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، فلما جاءه الكتاب رجع عن فعله وتاب، ثم قال: صدق الله، ونصح لي عمر، ثم أقبل على طريقة حسنة. (١)

٣ - ﴿غافر الذنب:﴾ وغيره (٢)، يجوز أن يكون بدلا (٣)، ويجوز أن يكون صفة (٤)؛ لأن التنكير متمحض فيه؛ لكونه مضافا إلى معرفة، فكأنه قيل: الغافر للذنب، القابل للتوب، الشديد عقابه. وعن

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/١٣٥

الأخفش: أن التوب جمع التوبة (٥). وهذا محمول على أن التوب فعل عام، وهو المصدر، والتوبة فعل مرة.

٤ - ﴿ما يجادل في آيات الله:﴾ اتصالها من حيث قوله: ﴿شديد العقاب﴾ [غافر:٣].
﴿ما يجادل في آيات الله:﴾ تسمية آيات القرآن شعرا وسحرا وسجعا، وأساطير الأولين، وأنها (٦) خالقة أو مخلوقة. (٧)

٧ - ﴿الذين يحملون العرش:﴾ اتصالها من حيث قوله: ﴿قابل التوب﴾ [غافر:٣].
وذكر الكلبي: أن ابتداء استغفار الملائكة للمؤمنين، إنما كان من لدن أمر هاروت وماروت. (٢٨٨ و)

١٠ - ﴿ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم:﴾ يوم القيامة إذا رأوا العذاب، ولاموا أنفسهم ومقتوها. (٨)

١١ - ﴿اثنتين:﴾ أي: مرتين على ما سبق. (٩)

١٢ - ﴿ذلكم:﴾ إشارة إلى البداء (١٠).

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد ٥٦٣، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٤١٦).
(٢) يريد بذلك والله أعلم: وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول [غافر:٣]، كلها على نسق واحد.
(٣) ينظر: معاني القرآن للأخفش ٥٧٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٠، واللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٨.
(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٠، واللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٨.
(٥) معاني القرآن للأخفش ٥٧٢.
(٦) ع: وأنها.
(٧) ينظر: تأويلات أهل السنة ٤/ ٣٢٩.
(٨) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٨٥ عن قتادة، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٦، وتفسير البغوي ٧/ ١٤٢.

(٩) سبق في سورة البقرة آية ٢٨.

(١٠) هكذا في الأصول المخطوطة، ولعل الصواب: البلاء.." [١]

"قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ بإباحة الفطر في المرض والسفر ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ قرأ أبو جعفر: العسر واليسر ونحوهما بضم السين، وقرأ الآخرون بالسكون. وقال الشعبي: ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان ذلك أحبهما إلى الله عز وجل ﴿ولتكملوا العدة﴾ قرأ أبو بكر بتشديد الميم وقرأ الآخرون بالتخفيف، وهو الاختيار لقوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم" (٣-المائدة) والواو في قوله تعالى: ولتكملوا العدة واو النسق، واللام لام كي، تقديره: ويريد لكي تكملوا العدة، أي لتكملوا عدة أيام الشهر بقضاء ما أفطرتم في مرضكم وسفركم، وقال عطاء: ﴿ولتكملوا العدة﴾ أي عدد أيام الشهر.

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أخبرنا أبو العباس الأصم أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين" (١) .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أخبرنا حاجب ابن أحمد الطوسي أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقدموا الشهر بصوم يوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوما كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا ثلاثين ثم أفطروا" (٢) .

﴿ولتكبروا الله﴾ ولتعظموا الله ﴿على ما هداكم﴾ أرشدكم إلى ما رضي به من صوم شهر رمضان وخصكم به دون سائر أهل الملل.

قال ابن عباس: هو تكبيرات ليلة الفطر. وروي عن الشافعي وعن ابن المسيب وعروة وأبي سلمة أنهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بالتكبير، وشبه ليلة النحر بها إلا من كان حاجا فذكره التلبية.

﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه، وقد وردت أخبار في فضل شهر رمضان وثواب الصائمين.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسني المروزي أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سراج الطحان أخبرنا أبو أحمد محمد بن قريش بن سليمان أخبرنا علي بن عبد العزيز المكي أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدثني إسماعيل بن جعفر عن أبي سهل نافع بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٥٣٩/٢

وسلم قال: "إذا

---

(١) رواه البخاري: في الصوم - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الهلال فصوموا ... ٤ / ١١٩. وفي الطلاق. ومسلم: في الصيام - باب جوب صوم رمضان لرؤية الهلال برقم (١٠٨٠) ٢ / ٧٥٩. والمصنف في شرح السنة: ٦ / ٢٢٨، والشافعي في المسند: ١ / ٢٧٢.

(٢) المصنف في شرح السنة: ٦ / ٢٣٧ وهو ملفق من حديثين عند البخاري ومسلم (انظر: البخاري في الصوم) ٤ / ١١٩، ١٢٧، ١٢٨ ومسلم: في الصيام: برقم (١٠٨٢، ١١٨٨) ٢ / ٧٦٢، ٧٦٥.." [١]

"وقال بعضهم ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ يعني ما في قلوبكم مما عزمتم عليه ﴿أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ ولا تبدوه وأنتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فأما ما حدثت به أنفسكم مما لم تعزموا عليه فإن ذلك مما لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يؤاخذكم به، دليله قوله تعالى "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم" (٢٢٥-البقرة) .

وقال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان: أيؤاخذ العبد بالهمة قال: إذا كان عزما أخذ بها، وقيل معنى المحاسبة الإخبار والتعريف، ومعنى الآية: وإن تبدوا ما في أنفسكم فتعملوا به أو تخفوه مما أضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويجزيكم به ويعرفكم إياه، ثم يغفر للمؤمنين إظهارا لفضله، ويعذب الكافرين إظهارا لعدله، وهذا معنى قول الضحاك، ويروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، يدل عليه أنه قال: يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم به، والمحاسبة غير المؤاخذة والدليل عليه ما أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي، أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، أنا عيسى بن أحمد العسقلاني، أنا يزيد بن هارون، أنا همام بن يحيى ٥٢/أعن قتادة عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذا بيد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فأتاه رجل فقال: كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول: أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب ثم يقول أي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال فإني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين" (١) (١٨-هود) .

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٠١/١

قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ رفع الراء والياء أبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب وجزمهما الآخرون، فالرفع على الابتداء والجزم على النسق، روى طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير، "لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله على كل شيء قدير" (٢٣٠-الأنبياء) . قوله تعالى: ﴿آمن الرسول﴾ أي صدق ﴿بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله﴾ يعني كل واحد منهم، ولذلك وحد الفعل ﴿وملائكته وكتبه ورسله﴾ قرأ حمزة والكسائي: كتابه، على الواحد يعني القرآن، وقيل معناه الجمع وإن ذكر بلفظ التوحيد كقوله تعالى: "فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب" (٢١٣-البقرة) وقرأ الآخرون وكتبه بالجمع كقوله تعالى: "وملائكته وكتبه ورسله" (١٣٦-النساء) ، ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت

---

(١) رواه البخاري: في المظالم-باب: قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ٥\ ٩٦.." (١)

"بأصحابهم من جدع الآذان والأنوف وقطع المذاكير، قالوا: لئن أدالنا الله تعالى منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا، ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الآية (١) وذلك لعلمه فيهم بأن كثيرا منهم يسلمون. فقوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ أي: ليس إليك، فاللام بمعنى "إلى" كقوله تعالى: " ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان " (سورة آل عمران -١٩٣) أي: إلى الإيمان: قوله تعالى: ﴿أو يتوب عليهم﴾ (قال بعضهم: معناه حتى يتوب عليهم) (٢) أو: إلى أن يتوب عليهم، وقيل: هو نسق على قوله "ليقطع طرفا" وقوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ اعتراض بين نظم الكلام ونظم الآية (٣) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء، بل الأمر أمري في ذلك كله.

ثم قال: ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (١٣٠) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (١٣١) ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ أراد به ما كانوا يفعلونه عند حلول أجل الدين من

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٥٦/١

زيادة المال وتأخير الطلب، ﴿واتقوا الله﴾ في أمر الربا فلا تأكلوه، ﴿لعلكم تفلحون﴾
ثم خوفهم فقال: ﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾
﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (١٣٢) ﴾

---

(١) انظر: الطبري: ٧ / ١٩٨.
(٢) زيادة من "ب".
(٣) في "ب" جاءت العبارة هكذا: اعتراض بين اللام ونظم الآية.." [١]

"﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (٨٩) إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (٩٠) ﴾

قوله تعالى: ﴿ودوا﴾ تمنوا، يعني أولئك الذين رجعوا عن الدين تمنوا ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ في الكفر، وقوله ﴿فتكونون﴾ لم يرد به جواب التمني لأن جواب التمني بالفاء منصوب، إنما أراد النسق، أي: ودوا لو تكفرون وودوا لو تكونون سواء، مثل قوله "ودوا لو تدهن فيدهنون" (القلم -٩) أي: ودوا لو تدهن وودوا لو تدهنون، ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ منع من موالاتهم، ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ معكم.

قال عكرمة: هي هجرة أخرى، والهجرة على ثلاثة أوجه: هجرة المؤمنين في أول الإسلام، وهي قوله تعالى " للفقراء المهاجرين " (الحشر -٨) وقوله: "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله" (النساء -١٠٠) ، ونحوهما من الآيات، وهجرة المنافقين: وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا [كما حكى ها هنا] (١) منع من موالاتهم حتى يهاجروا في سبيل الله، وهجرة سائر المؤمنين وهي ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه" (٢) .

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن التوحيد والهجرة، ﴿فخذوهم﴾ أي: خذوهم أسارى، ومنه يقال للأسير أخيذ، ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ في الحل والحرم، ﴿ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا﴾ ثم استثنى طائفة منهم فقال:

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٣/٢

﴿إلا الذين يصلون إلى قوم﴾ وهذا الاستثناء يرجع إلى القتل لا إلى الموالاة، لأن موالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال، ومعنى ﴿يصلون﴾ أي: ينتسبون إليهم ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحلف والجوار، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريدون ويلجأون إلى قوم، ﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾ أي: عهد، وهم الأسلميون، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الأسلمي قبل خروجه إلى مكة على أن لا يعينه ولا يعين عليه، ومن وصل إلى هلال من قومه وغيرهم ولجأ إليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال،.

---

(١) ساقط من (ب) .

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده،: ١ / ٥٧ وفي الرقاق، والمصنف في شرح السنة: ١ / ٢٧.." [(١)]

"وقال عثمان: إن في المصحف لحنا ستقيمه العرب بألسنتها، فقيل له: ألا تغيره؟ فقال: دعوه فإنه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا (١) .

وعامة الصحابة وأهل العلم على أنه صحيح، واختلفوا فيه، قيل: هو نصب على المدح، وقيل: نصب بإضمار فعل تقديره: أعني المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة، وقيل: موضعه خفض.

واختلفوا في وجهه، فقال بعضهم: معناه لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة، وقيل: معناه يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة، ثم قوله: ﴿والمؤتون الزكاة﴾ رجوع **إلى النسق الأول**، ﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ قرأ حمزة سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون.

---

(١) قال ابن الأنباري في كتابه "الرد على من خالف مصحف عثمان": "الأحاديث المروية عن عثمان في ذلك لا تقوم بها حجة، لأنها منقطعة غير متصلة، وما يشهد عقل بأن عثمان، وهو إمام الأمة الذي هو إمام الناس في وقته وقدوتهم يجمعهم على المصحف الذي هو الإمام فيتبين فيه خللا، ويشاهد في خطه زللا فلا يصلحه! كلا والله ما يتوهم عليه هذا ذو إنصاف وتمييز، ولا يعتقد أنه أخر الخطأ في الكتاب ليصلحه من بعده، وسبيل الجائين من بعده: البناء على رسمه، والوقوف عند حكمه. ومن زعم أن عثمان أراد بقوله: "أرى فيه لحنا. . ": أرى في خطه لحنا إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف الألفاظ وإفساد الإعراب فقد أبطل ولم يصب، لأن الخط منبئ عن النطق، فمن

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢/٢٦٠

لحن في كتبه، فهو لاحن في نطقه. ولم يكن عثمان ليؤخر فسادا في هجاء ألفاظ القرآن من جهة كتب ولا نطق، ومعلوم أنه كان مواصلا لدرس القرآن، متقنا لألفاظه، موافقا على ما رسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي". انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢ / ٣٢٢.." (١)

"﴿تلك﴾ أي: هذه الآيات، ﴿آيات الكتاب المبين﴾

﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣) إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين (٤) ﴾

﴿لعلك باخع نفسك﴾ قاتل نفسك، ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ أي: إن لم يؤمنوا، وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك، وكان يحرص على إيمانهم، فأنزل الله هذه الآية. ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ قال قتادة: لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها، فلا يلوي أحد منهم عنقه إلى معصية الله. وقال ابن جريج: معناه: لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره، لا يعمل أحد منهم بعده معصية. وقوله عز وجل: ﴿خاضعين﴾ ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق، وفيه أقاويل: أحدها: أراد أصحاب الأعناق، فحذف الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فجعل الفعل أولا للأعناق، ثم جعل خاضعين للرجال. وقال الأخفش: رد الخضوع على المضمر الذي أضاف الأعناق إليه. وقال قوم: ذكر الصفة لمجاورتها المذكر، وهو قوله "هم" على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى مؤنث. وقيل: أراد فظلوا خاضعين فعبر بالعنق عن جميع البدن، كقوله: "ذلك بما قدمت يداك" (الحج-١٠) و"ألزمناه طائره في عنقه" (الإسراء-١٣) . وقال مجاهد: أراد بالأعناق الرؤساء والكبراء، أي: فظلت كبراؤهم خاضعين. وقيل: أراد بالأعناق الجماعات، يقال: جاء القوم عنقا عنقا، أي: جماعات وطوائف. وقيل: إنما قال خاضعين على وفاق رؤوس الآي ليكون على نسق واحد (١) .

---

(١) قال أبو جعفر الطبري (١٩ / ٦٢) : "وأولى الأقوال في ذلك وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك: أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء. وأن يكون قوله "خاضعين" مذكرا، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فيكون ذلك نظير قو جرير: أرى مر السنين أخذن مني ... كما أخذ السرار من الهلال

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣١٠/٢

وذلك أن قوله: مر، لو أسقط من الكلام لأدى ما بقي من الكلام عنه لم يفسد سقوطه معنى الكلام عما كان به قبل سقوطه، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله: "فظلت أعناقهم"، لأدى ما بقي من الكلام عنها، وذلك أن الرجال إذا ذلوا، فقد ذلت رقابهم، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا"..". [1]

"﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (٢٦) ﴾

﴿ذلك﴾ أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم، ﴿بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ قال قتادة: هذا غير القتل الأول، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى –عليه السلام–أعاد القتل عليهم، فمعناه أعيدوا عليهم القتل (١) ﴿واستحيوا نساءهم﴾ ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته، ﴿وما كيد الكافرين﴾ وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم، ﴿إلا في ضلال﴾ أي: يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل.

﴿وقال فرعون﴾ لملئه، ﴿ذروني أقتل موسى﴾ وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك ﴿وليدع ربه﴾ أي: وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا، ﴿إني أخاف أن يبدل﴾ يغير، ﴿دينكم﴾ الذي أنتم عليه، ﴿أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ قرأ يعقوب وأهل الكوفة "أو أن يظهر " وقرأ الآخرون "وأن يظهر " وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص "يظهر" بضم الياء وكسر الهاء على التعدية، ﴿الفساد﴾ نصب لقوله: "أن يبدل دينكم" حتى يكون الفعلان **على نسق واحد**، وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم، "الفساد" رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره.

---

(١) ذكره القرطبي: ١٥ / ٣٠٥.." [2]

"وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون **على النسق في** سورة الأعراف والشعراء.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/١٠٦

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٧/١٤٥

وقال مقاتل: هم ستة: نوح، صبر على أذى قومه، وإبراهيم، صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب، صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف، صبر على البئر والسجن، وأيوب، صبر على الضر.

وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع، فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة.

قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم" (الأحزاب-٧) ، وفي قوله تعالى: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا" (الشورى-١٣)
.

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، حدثنا أبو ذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا محمد بن الحجاج، أخبرنا السري بن حيان، أخبرنا عباد بن عباد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها، والصبر على مجهودها، ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم، وقال: "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" وإني والله لا بد لي من طاعته، والله لأصبرن كما صبروا، وأجهدن كما جهدوا، ولا قوة إلا بالله" (١) .

قوله تعالى: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال.

ثم أخبر عن قرب العذاب فقال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير: ٤ / ١٧٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٤٥٤ للديلمي في مسند الفردوس، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضغيف، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٢٤٨ وقد عزاه الأرناؤوط لأبي الشيخ في "أخلاق النبي" ص (٢٩٣) وقال: "نقله من كتاب التفسير لشيخه ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف، لجهالة السري بن حيان وضعف مجالد بن سعيد".." [١]

"﴿كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (١٩) متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين (٢٠) والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٧٢/٧

رهين (٢١) ﴾

﴿كلوا واشربوا هنيئا﴾ مأمون العاقبة من التخمة والسقم، ﴿بما كنتم تعملون﴾ .

﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ .

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾ قرأ أبو عمرو: "وأتبعناهم"، بقطع الألف على التعظيم، "ذرياتهم"، بالألف وكسر التاء فيهما لقوله: "ألحقنا بهم" "وما ألتناهم"، ليكون الكلام **على نسق واحد**.

وقرأ الآخرون: "واتبعتهم" بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة.

ثم اختلفوا في "ذريتهم": قرأ أهل المدينة الأولى (١) بغير ألف وضم التاء، والثانية بالألف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالألف وكسر التاء في الثانية، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الأولى ونصبها في الثانية.

واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، يعني: أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعا لأحد الأبوين ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ المؤمنين [في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم] (٢) تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم. وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم. وهو قول الضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا، فذلك قوله: ﴿وما ألتناهم﴾ قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها أي ما نقصناهم يعني الآباء ﴿من عملهم من شيء﴾ .

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) ما بين القوسين ساقط من "أ"." (١)

"﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٩) ﴾

﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون إن المصدقين والمصدقات﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨٨/٧

قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من "التصديق" أي: المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ بالصدقة والنفقة في سبيل الله عز وجل ﴿يضاعف لهم﴾ ذلك القرض ﴿ولهم أجر كريم﴾ ثواب حسن وهو الجنة. ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ والصديق: الكثيرالصدق، قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية.

قال الضحاك: هم ثمانية نفر من هذه الأمة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته. ﴿والشهداء عند ربهم﴾ اختلفوا في نظم هذه الآية، منهم من قال: هي متصلة بما قبلها، و"الواو" واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين. قال الضحاك: هم الذين سميناهم. قال." (١)

"وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض. فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة. بيان ذلك أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال. فكان تقريرا لجهة التحدي، وشدا من أعضاده. ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله، لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين، ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة.

وقيل لبعض العلماء:

فيم لذتك؟ فقال: في حجة تتبختر اتضاحا، وفي شبهة تتضاءل افتضاحا. ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ثم لم تخل كل واحدة من الأربع، بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السرى، من نكتة ذات جزالة. ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه. وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة. وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف. وفي الرابعة الحذف. ووضع المصدر الذي هو «هدى» موضع الوصف الذي هو «هاد» وإيراده منكرا. والإيجاز في ذكر المتقين.

زادنا الله اطلاعا على أسرار كلامه، وتبيينا لنكت تنزيله، وتوفيقا للعمل بما فيه.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٨/٨

[سورة البقرة (٢) : آية ٣]

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣)

الذين يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو مدح منصوب، أو مرفوع بتقدير: أعنى الذين يؤمنون، أو هم الذين يؤمنون. وإما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه ب (أولئك على هدى) . فإذا كان موصولا، كان الوقف على المتقين حسنا غير تام. وإذا كان مقتطعا، كان وقفا تاما. فإن قلت: ما هذه الصفة، أواردة بيانا وكشفا للمتقين؟

أم مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها؟ أم جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا؟ قلت: يحتمل أن ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات. أما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الإيمان الذي هو أساس الحسنات ومنصبها، وذكر الصلاة والصدقة لأن هاتين أما العبادات البدنية والمالية، وهما العيار على غيرهما. ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة؟ وسمى الزكاة قنطرة." (١)

"أنا أحيي وأميت يريد أعفو عن القتل «١» وأقتل. وكان الاعتراض عتيدا ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه، ولكن انتقل إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء.

وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة إلى حجة. وقرئ (فبهت الذي كفر أى فغلب إبراهيم الكافر. وقرأ أبو حيوة: فبهت، بوزن قرب. وقيل: كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمروذ، ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له: من ربك الذي تدعو إليه؟ فقال: ربى الذي يحيى ويميت. أو كالذي معناه: أو أرأيت مثل الذي مر «٢» فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب. ويجوز أن يحمل على المعنى دون اللفظ، كأنه قيل: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية. والمار كان كافرا «٣» بالبعث، وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك

---

(١) . قوله «يريد أعفو عن القتل» في الصحاح عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه. وفيه: أعفنى من الخروج معك اى دعني منه. (ع)

(٢) . قال محمود: «معناه أو أرأيت مثل الذي مر ... الخ» قال أحمد: ومثل هذا النظم يحذف منه فعل

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٧/١

الرؤية كثيرا، كقوله:

قال لها كلا أسرعي ... كاليوم مطلوبا ولا طالبا

يريد لم أر كاليوم فحذف الفعل وحرف النفي. والظاهر حمل الآية على الوجه الأول لوجود نظيره، والله أعلم.

(٣) . (عاد كلامه) قال والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك واحد. وقيل: كان مؤمنا وهو عزير أو الخضر، وأراد أن يعاين الأحياء كما طلبه إبراهيم. وقوله يوما، بناه على الظن. روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال- قيل النظر إلى الشمس- يوما، ثم التفت فرأى بقية منها فقال: أو بعض يوم، انتهى كلامه. قال أحمد: أما استدلال الزمخشري على أن المار كان كافرا بانتظامه مع نمروذ في سلك واحد، فمعارض بأنه نظمت قصته مع قصة إبراهيم عليه السلام في نسق واحد، فليس الاستدلال على كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ، أولى من الاستدلال على إيمانه بانتظامها أيضا مع قصة إبراهيم، إلا أن يقول إن قصة هذا المار معطوفة على قصة نمروذ عطف تشريك في الفعل، منطوقا به في الأولى ومحذوفا من الثانية، مدلولا عليه بذكره أولا، ولا كذلك عطف قصة إبراهيم فإنها مصدرة بالواو التي لا تدخل في كثير من أحوالها للتشريك، ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التي يعلم تعاطفها لذلك الغرض، ولا كذلك عطفها في قصة نمروذ، فانه بأو التي لا تستعمل إلا مشركة، إذ عطف التحسين اللفظي خاص بالواو فنقول: إذا انتهى الترجيح إلى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المار وقصة إبراهيم من التناسب المعنوي، لأن طلبتهما واحدة، إذ المار سأل معاينة الأحياء، وكذلك طلبة إبراهيم ثم التناسب المعنوي أرجح من التعلق بأمور لفظية ترد إلى أنحاء مختلفة ويؤيد القول بأن المار كان مؤمنا تحريه في قوله تعالى: (يوما أو بعض يوم) فان ظاهره الاحتراز من التحريف في القول حتى لا يعبر عن جل اليوم باليوم حذرا من إبهام طلبته لجملة اليوم. ومثل هذا التحري لا يصدر عن معطل، والله أعلم.

ولا يقال إنما صدر منه هذا التحري بعد أن حيي وآمن، لأنا نقول إنما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات، يدل عليه قوله تعالى: (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) وأما التحري المذكور فكان أول القصة قبل الايمان وما قدرت هذا السؤال إلا لنكتة يذكرها الزمخشري الآن تشعر بايراده على الترجيح المذكور. ثم هذه الجرأة التي نقلها الزمخشري في خلال كلامه من أنه إنما قال: أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فاستدرك الأمر، فيها نظر دقيق لم أقف عليه لأحد ممن أورد

الحكاية في تفسيره. وذلك أن الأمر إذا كان على ما تضمنته، وكلام المار المذكور بنى أولا على الجزم بأنه لبث يوما ثم جزم آخرا أن لبثه إنما كان بعض يوم لرؤية بقية من الشمس، وكان مقتضى التعبير عن حاله أن يقول: بل بعض يوم، مضربا عن جزمه الأول إلى جزمه الثاني، لأن «أو» إنما تدخل في الخبر إذا انبنى أوله على الجزم ثم عرض في آخره شك، ولا جزم بالنقيض، فالحكاية المذكورة توجب أن يكون الموضع ل «بل» لا ل «أو» إذ موضع «بل» جزم بنقيض الأول، فإذا استقر ذلك فالظاهر من حال المار أنه كان أولا جازما ثم شك لا غير اتباعا لمقتضى الآية، وعدولا عن الحكاية التي لا تثبت إلا بإسناد قاطع، فيضطر إلى تأويل، فتأمل هذا النظر فانه من لطيف النكت، والله الموفق.." [1]

"وقرأ أبي بن كعب «إلا من كان يهوديا» ، وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم أمنية، وقد قطعوا قبل بقوله فتمنوا الموت [البقرة: ٩٤، الجمعة: ٦] ، وأمر محمد صلى الله عليه وسلم بدعائهم إلى إظهار البرهان، وقيل: إن الهاء في هاتوا أصلية من هاتا يهاتي، وأميت تصريف هذه اللفظة كله إلا الأمر منه وقيل: هي عوض من همزة آتى، وقيل: ها تنبيه، وألزمت همزة آتى الحذف، والبرهان الدليل الذي يوقع اليقين، قال الطبري: طلب الدليل هنا يقضي بإثبات النظر ويرد على من ينفيه، وقول اليهود لن نفي حسنت بعده بلى، إذ هي رد بالإيجاب في جواب النفي، حرف مرتجل لذلك، وقيل: هي «بل» زيدت عليها الياء لتزيلها على **حد النسق الذي** في «بل» ، وأسلم معناه استسلم وخضع ودان، ومنه قول زيد ابن عمرو بن نفيل: [المتقارب] .

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا

وخص الوجه بالذكر لكونه أشرف ما يرى من الإنسان وموضع الحواس وفيه يظهر العز والذل، ولذلك يقال وجه الأمر أي معظمه وأشرفه، قال الأعشى: [السريع] :

وأول الحكم على وجهه ... ليس قضائي بالهوى الجائر

ويصح أن يكون الوجه في هذه الآية المقصد، وهو محسن جملة في موضع الحال، وعاد الضمير في «له» على لفظ من، وكذلك في قوله أجره، وعاد في عليهم على المعنى، وكذلك في يحزنون، وقرأ ابن محيصن «فلا خوف» دون تنوين في الفاء المرفوعة، فقيل: ذلك تخفيف، وقيل:

المراد فلا الخوف فحذفت الألف واللام، والخوف هو لما يتوقع، والحزن هو لما قد وقع.

وقوله تعالى: وقالت اليهود الآية، معناه ادعى كل فريق أنه أحق برحمة الله من الآخر.

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٠٦/١

وسبب الآية أن نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبي صلى الله عليه وسلم فتسابوا، وكفر اليهود بعيسى وبملته وبالإنجيل، وكفر النصارى بموسى وبالتوراة.

قال القاضي أبو محمد: وفي هذا من فعلهم كفر كل طائفة بكتابها، لأن الإنجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة، والتوراة تتضمن التبشير بعيسى وصحة نبوته، وكلاهما تضمن صدق محمد صلى الله عليه وسلم، فعنفهم الله تعالى على كذبهم، وفي كتبهم خلاف ما قالوا.

وفي قوله تعالى: وهم يتلون الكتاب تنبيه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم على ملازمة القرآن والوقوف عند حدوده، كما قال الحر بن قيس في عمر بن الخطاب، وكان وقافا عند كتاب الله، والكتاب الذي يتلونه قيل: التوراة والإنجيل، فالألف واللام للجنس، وقيل: التوراة لأن النصارى تمتثلها، فالألف واللام للعهد.." (١)

"فإن شدة الحر من فيح جهنم، وإن النار اشتكت إلى ربها» ، الحديث بكماله، فإما أنه نار على حقيقته وإلا فهو نفسها يوجد عنه كاثرها، قال السدي: الإعصار الريح، والنار السموم، وقال ابن عباس ريح فيها سموم شديدة، وقال ابن مسعود إن السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءا من النار.

قال القاضي أبو محمد: يريد من نار الآخرة، وقال الحسن بن أبي الحسن إعصار فيه نار ريح فيها صر، برد، وقاله الضحاك، وفي المثل: إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا، والريح إعصار لأنها تعصر السحاب، والسحاب معصرات إما أنها حوامل فهي كالمعصر من النساء وهي التي هي عرضة للحمل وإما لأنها تنعصر بالرياح، وبهذا فسر عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي، وحكى ابن سيده أن المعصرات فسرها قوم بالرياح لا بالسحاب، وقال الزجاج: الإعصار الريح الشديدة تصعد من الأرض إلى السماء وهي التي يقال لها الزوبعة، قال المهدوي: قيل لها إعصار لأنها تلتف كالثوب إذا عصر.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، والإشارة بذلك إلى هذه الأمثال المبينة، ولعلكم ترج في حق البشر، أي إذا تأمل من يبين له هذا البيان رجي له التفكر وكان أهلا له. وقال ابن عباس تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها وإقبال الآخرة وبقائها.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٦٧]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٩٨/١

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد (٢٦٧)

هذا الخطاب هو لجميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه صيغة أمر من الإنفاق، واختلف المتأولون هل المراد بهذا الإنفاق، الزكاة المفروضة أو التطوع، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبيدة السلماني ومحمد بن سيرين: هي في الزكاة المفروضة. نهى الناس عن إنفاق الرديء فيها بدل الجيد، وأما التطوع فكما للمرء أن يتطوع بقليل فكذلك له أن يتطوع بنازل في القدر، ودرهم زائف خير من تمرة، فالأمر على هذا القول للوجوب، والظاهر من قول البراء بن عازب والحسن بن أبي الحسن وقتادة، أن الآية في التطوع، وروى البراء بن عازب، وعطاء بن أبي رباح ما معناه أن الأنصار كانوا أيام الجداد يعلقون أقناء التمر في حبل بين أسطوانتين في المسجد فيأكل من ذلك فقراء المهاجرين فعلق رجل حشفا فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بئسما علق هذا، فنزلت الآية.

قال القاضي أبو محمد: والأمر على هذا القول على الندب، وكذلك ندبوا إلى أن لا يتطوعوا إلا بجيد مختار، والآية تعم الوجهين، لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الندب، وهؤلاء كلهم وجمهور المتأولين قالوا معنى من طيبات من جيد ومختار ما كسبتم، وجعلوا الخبيث بمعنى الرديء والرذالة، وقال ابن زيد معناه: من حلال ما كسبتم، قال: وقوله: ولا تيمموا الخبيث أي الحرام.

قال القاضي أبو محمد: وقول ابن زيد ليس بالقوي من **جهة نسق الآية** لا من معناه في نفسه، وقوله:." (١)

"أسود ويوم مظلم ويوم ذو كواكب ونحو هذا يريدون به الشدة، قال قتادة: المعنى من كرب البر والبحر، وقاله الزجاج وتدعونه في موضع الحال وتضرعا نصب على المصدر والعامل فيه تدعونه، والتضرع صفة بادية على الإنسان، وخفية معناه الاختفاء والسر، **فكأن نسق القول**: تدعونه جهرا وسرا هذه العبارة بمعان زائدة، وقرأ الجميع غير عاصم: «وخفية» بضم الخاء، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر «وخفية» بكسر الخاء، وقرأ الأعمش: «وخيفة» من الخوف وقرأ الحجازيون وأهل الشام: «أنجيتنا» ، وقرأ الكوفيون «أنجانا» على ذكر الغائب، وأمال حمزة والكسائي الجيم، ومن الشاكرين أي على الحقيقة، والشكر على الحقيقة يتضمن الإيمان، وحكى الطبري في قوله ظلمات أنه ضلال الطرق في الظلمات ونحوه المهدوي أنه ظلام الليل والغيم والبحر.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/ ٣٦١

قال القاضي أبو محمد: وهذا التخصيص كله لا وجه له وإنما هو لفظ عام لأنواع الشدائد في المعنى، وخص لفظ «الظلمات» بالذكر لما تقرر في النفوس من هول الظلمة، وقوله تعالى: قل الله ينجيكم الآية: سبق في المجادلة إلى الجواب، إذ لا محيد عنه، ومن كل كرب لفظ عام أيضا ليتضح العموم الذي في الظلمات، ويصح أن يتأول من قوله ومن كل كرب تخصيص الظلمات قبل، ونص عليها لهولها، وعطف في هذا الموضع ب ثم للمهلة التي تبين قبح فعلهم، أي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققكم به أنتم تشركون.

قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٦٥ الى ٦٧]

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون (٦٥) وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل (٦٦) لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون (٦٧)

هذا إخبار يتضمن الوعيد، والأظهر **من نسق الآيات** أن هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري، وقال أبي بن كعب وأبو العالية وجماعة معهما: هي للمؤمنين وهم المراد، قال أبي بن كعب: هي أربع خلال وكلهن عذاب وكلهن واقع قبل يوم القيامة فمضت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة، ثم لبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض، واثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم، وقال الحسن بن أبي الحسن: بعضها للكفار وبعضها للمؤمنين بعث العذاب من فوق وتحت للكفار وسائرها للمؤمنين، وهذا الاختلاف إنما هو بحسب ما يظهر من أن الآية تتناول معانيها المشركين والمؤمنين، وروي من حديث جابر وخالد الخزاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال أعوذ بوجهك فلما نزلت أو من تحت أرجلكم قال: أعوذ بوجهك فلما نزلت أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذه أهون أو هذه أيسر، فاحتج بهذا من قال إنها نزلت في المؤمنين، وقال الطبري: وغير ممتنع أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ لأمته من هذه الأشياء التي توعد بها الكفار، وهون الثالثة لأنها بالمعنى هي التي دعا بها فمنع حسب حديث." (١)

"موضع نصب بالاستثناء ويصح أن يكون في موضع رفع كما يجوز الوجهان في قولك ما في الدار أحد إلا حمارا وإلا حمار والنصب أوجه ومن على هذه التأويلات للشافع ويحتمل أن تكون للمشفوع فيه.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٣٠٢

وقوله تعالى: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم قالت فرقة يريد الملائكة، وقالت فرقة يريد خلقه أجمع، وقد تقدم القول في ترتيب «ما بين اليد وما خلف» في غير موضع على أن جماعة من المفسرين قالوا في هذه الآية ما خلفهم الدنيا وما بين أيديهم أمر الآخرة والثواب والعقاب، وهذا بأن نفرضها حالة وقوف حتى نجعلها كالأجرام وأما إن قدرناها **في نسق الزمان** فالأمر على العكس بحكم ما بيناه قبل. وعنت معناه ذلت، والعاني الأسير ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في أمر النساء: «هن عوان عندكم» وهذه حالة الناس يوم القيامة. وقال طلق بن حبيب: أراد سجود الناس على الوجوه والآراب السبعة.

قال القاضي أبو محمد: وإن كان روي هذا أن الناس يوم القيامة سجودا وجعل هذه الآية إخبارا فهو مستقيم وإن كان أراد سجود الدنيا فإنه **أفسد نسق الآية**، والقيوم بناء مبالغة من قيامه عز وجل على كل شيء بما يجب فيه، وخاب معناه لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه، والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم فخيبة المشرك على الإطلاق، وخيبة المعاصي مقيدة بوقت وحد في العقوبة.

قوله عز وجل:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١١٢ الى ١١٤]

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما (١١٢) وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا (١١٣) فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما (١١٤)

قوله تعالى: ومن يعمل من الصالحات عادل لقوله من حمل ظلما [طه: ١١١] ، وفي قوله من الصالحات تيسير في الشرع لأنها من التي للتبعيض، و «الظلم» أعم من «الهضم» وهما يتقاربان في المعنى ويتداخلان، ولكن من حيث تناسقا في هذه الآية ذهب قوم إلى تخصيص كل واحد منهما بمعنى، فقالوا «الظلم» أن تعظم عليه سيئاته وتكثر أكثر مما يجب، و «الهضم» أن ينقض حسناته ويبخسها، وكلهم قرأ فلا يخاف ظلما على الخبر، غير ابن كثير فإنه قرأ «فلا يخف» على النهي، ثم قال تعالى:

وكذلك أنزلناه أي كما قدرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هؤلاء أمرنا وأنزلناه قرآنا عربيا وتوعدنا فيه بأنواع من الوعيد لعلهم بحسب توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من أليم عقابه، هذا تأويل فرقة في قوله أو يحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه أو يكسبهم شرفا ويبقي عليهم إيمانهم ذكرا صالحا في الغابرين، وقرأ الحسن البصري «أو

يحدث» ساكنة الثاء، وقرأ مجاهد «أو نحدث» بالنون وسكون الثاء ولا وجه للجزم إلا على أن يسكن حرف الإعراب استثقالا لحركته، وهذا نحو قول جرير ولا يعرفكم العرب. وقوله فتعالى الله الملك الحق ختم للقول لأنه لما قدم صفة سلطانه يوم القيامة وعظم قدرته وذلة عبيده وحسن تلطفه." (١)

"قال الفقيه الإمام القاضي: والتأويل الأول أجرى **مع نسق الآيات**، ثم أمر تعالى نبيه بالإسناد إلى أمر الله تعالى وأن يجعله حسبه شهيدا وحاكما بينه وبينهم بعلمه وتحصيله جميع أمورهم، وقوله بالباطل، يريد بالأصنام والأوثان وما يتبع أمرها من المعتقدات، والباطل، هو أن يفعل فعل يراد به أمر ما، وذلك الأمر لا يكون عن ذلك الفعل، والأصنام أريد بأمرها الأكمل والأنجح في زعم عبادها وليس الأكمل والأنجح إلا رفضها فهي إذا باطل، وباقي الآية بين.

قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٥٣ الى ٥٥]

ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (٥٥)

قوله ويستعجلونك بالعذاب يراد به كفار قريش في قولهم ائتنا بما تعدنا، وغير ذلك من استدعائهم على جهة التعجيز والتكذيب عذاب الله الذي يتوعدهم محمد صلى الله عليه وسلم به، ثم أخبر تعالى أنه يأتيهم بغتة أي فجأة وهذا هو عذاب الدنيا وهو الذي ظهر يوم بدر في السنين السبع.

ثم ذكر تعالى أن تأخره إنما هو حسب الأجل المقدور السابق، وقال المفسرون عن الضحاك: أن «الأجل المسمى» في هذه الآية الآجال..

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا ضعيف يرده النظر، والآجال لا محالة أجل مسمى ولكن ليس هذا موضعها، ثم توعدهم تبارك وتعالى بعد عذاب الآخرة في قوله يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، كرر فعلهم وقبحه، وأخبر أن وراءهم إحاطة جهنم بهم وقال عكرمة فيما حكى الطبري إن جهنم هاهنا أراد بها البحر.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا ضعيف، وقوله تعالى: يوم يغشاهم ظرف يعمل فيه قوله «محيطة» ،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٦٥

ويغشاهم معناه يغطيهم من كل جهة من جهاتهم، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي «ويقول» أي ويقول الله، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «ونقول» بالنون، فإما أن تكون نون العظمة أو نون جماعة الملائكة، وقرأ ابن مسعود «ويقال» بياء وألف وهي قراءة ابن أبي عبلة، وقوله تعالى: ذوقوا توبيخ، وتشبيه مس العذاب بالذوق، ومنه قوله ذق إنك أنت العزيز الكريم [الدخان: ٤٩] ، ومنه قول أبي سفيان: ذق عقق ونحو هذا كثير، وقوله تعالى: ما كنتم تعملون أي بما في أعمالكم من اكتسابكم.

قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٥٦ الى ٥٩]

يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (٥٦) كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٥٩)." [1]

"«فرغ» بالفاء المضمومة والراء المشددة غير منقوطة والغين المنقوطة من التفريغ، قال أبو حاتم رواها عن الحسن نحو من عشرة أنفس وهي قراءة أبي مجلز.

وقرأ مطر الوراق عن الحسن «فزع» على بناء الفعل للفاعل وهي قراءة مجاهد والحسن أيضا «فرغ» بالراء غير منقوطة مخففة من الفراغ، قال أبو حاتم وما أظن الثقات رووها عن الحسن على وجوه إلا لصعوبة المعنى عليه فاختلفت ألفاظ فيه، قرأ عيسى بن عمر «حتى إذا افرنقع» وهي قراءة ابن مسعود ومعنى هذا كله وقع فراغها من الفزع والخوف، ومن قرأ شيئا من هذا على بناء الفعل للمفعول فقوله عز وجل عن قلوبهم في موضع رفع، ومن قرأ على بناء الفعل للفاعل فقوله عن قلوبهم في موضع نصب، وافرنقع معناه تفرق، وقوله ماذا يجوز أن تكون «ما» في موضع نصب ب قال ويصح أن تكون في موضع رفع بمعنى أي شيء قال، والنصب في قوله الحق على نحوه في قوله ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا [النحل: ٣٠] لأنهم حققوا أن ثم ما أنزل، وحققوا هنا أن ثم ما قيل، وقولهم وهو العلي الكبير تمجيد وتحميد.

قوله عز وجل:

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٤ الى ٢٧]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٢٣/٤

قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (٢٤) قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦) قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧)

أمر الله تعالى نبيه على جهة الاحتجاج وإقامة الدليل على أن الرزاق لهم من السماوات والأرض من هو ثم أمره أن يقتضب الاحتجاج بأن يأتي جواب السؤال إذ هم في بهتة ووجمة من السؤال، وإذ لا جواب لهم ولا لمفطور إلا بأن يقول هو الله، وهذه السبيل في كل سؤال جوابه في غاية الوضوح، لأن المحتج يريد أن يقتضب ويتجاوز إلى حجة أخرى يوردها، ونظائر هذا في القرآن كثير وقوله تعالى: وإنا أو إياكم تلطف في الدعوة والمحاورة، والمعنى كما تقول لمن خالفك في مسألة أحدنا يخطىء، أي تثبت وتنبه، والمفهوم من كلامك أن مخالفك هو المخطئ، وكذلك هذا معناه لعلى هدى أو في ضلال مبين فلينتبه، والمقصد أن الضلال في حيز المخاطبين وحذف أحد الخبرين لدلالة الباقي عليه، وقال أبو عبيدة أو في الآية بمعنى واو النسق، والتقدير «وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» وهما خبران غير مبتدأين.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا القول غير متجه واللفظ لا يساعده وإن كان المعنى على كل قول يقتضي أن الهدى في حيز المؤمنين والضلال في حيز الكافرين، وقوله تعالى: قل لا تسئلون عما أجرمنا الآية مهادنة ومتاركة منسوخة بآية السيف، وقوله عز وجل قل يجمع بيننا الآية إخبار بالبعث من." [1]

"وللعرب في اجتماعهم على رد أمره، ولا يتجه أن يكون العبد نوحا إلا على تحامل في **تأويل نسق الآية**، وقال ابن جبير: معنى الآية، إنما قول الجن لقومهم يحكون، والعبد محمد صلى الله عليه وسلم. والضمير في كادوا لأصحابه الذين يطوعون له ويقتدون به في الصلاة، فهم عليه لبد. واللبد الجماعات شبهت بالشيء المتلبد بعضه فوق بعض، ومنه قول عبد بن مناف بن ربع: [البسيط]

صافوا بستة أبيات وأربعة ... حتى كأن عليهم جانيا لبدا

يريد الجراد سماه جانيا لأنه يجني كل شيء، ويروى جابيا بالباء لأنه يجبي الأشياء بأكله، وقرأ جمهور السبعة وابن عباس: «لبدا» بكسر اللام جمع لبدة، وقال ابن عباس: أعوانا. وقرأ ابن عامر بخلاف عنه وابن مجاهد وابن محيصن: «لبدا» بضم اللام وتخفيف الباء المفتوحة وهو جمع أيضا. وروي عن الجحدري: «لبدا» بضم اللام والباء. وقرأ أبو رجاء: «لبدا» بكسر اللام، وهو جمع لا بد فإن قدرنا الضمير للجن فتقصفهم عليه لاستماع الذكر، وهذا تأويل الحسن وقتادة وأدعوا معناه أعبده، وقرأ جمهور السبعة وعلي بن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٤١٩

أبي طالب: «قال إنما» ، وهذه قراءة تؤيد أن العبد نوح، وقرأ عاصم وحمزة بخلاف عنه: «قال إنما» وهذه تؤيد بأنه محمد عليه السلام وإن كان الاحتمال باقيا من كليهما. واختلف القراء في فتح الياء من ربي وفي سكونها. ثم أمر تعالى محمدا نبيه عليه السلام بالتبري من القدرة وأنه لا يملك لأحد ضرا ولا رشدا، بل الأمر كله لله. وقرأ الأعرج «رشدا» بضم الراء والشين، وقرأ أبي بن كعب «لكم غيا ولا رشدا» . وقولهم من دونه أي من عند سواه. و «الملتحد» : الملجأ الذي يمال إليه ويركن، ومنه الإلحاد الميل، ومنه اللحد الذي يمال به إلى أحد شقي القبر.

قوله عز وجل:

[سورة الجن (٧٢) : الآيات ٢٣ الى ٢٨]

إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا (٢٣) حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا (٢٤) قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا (٢٥) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧)

ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨)

اختلف الناس في تأويل قوله إلا بلاغا: فقال الحسن ما معناه أنه استثناء منقطع، والمعنى لن يجيرني من الله أحد إلا بلاغا، فإني إن بلغت رحمني بذلك، والإجارة: للبلاغ مستعارة إذ هو سبب إجارة الله تعالى ورحمته، وقال بعض النحاة على هذا المعنى هو استثناء متصل. والمعنى لن أجد ملتحدا إلا بلاغا، أي شيئا أميل إليه وأعتصم به إلا أن أبلغ وأطيع، فيجبرني الله. وقال قتادة: التقدير لا أملك إلا بلاغا إليكم، فأما الإيمان أو الكفر فلا أملكه. وقال بعض المتأولين إلا بتقدير الانفصال، و «إن»." (١)

"وخلقة الإنسان من أعظم العبر حتى أنه ليس في المخلوقات التي لدينا أكثر عبرا منه في عقله وإدراكه ورباطات بدنه وعظامه، والعلق جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم، والإنسان هنا: اسم الجنس، ويمشي الذهن معه إلى جميع الحيوان، وليست الإشارة إلى آدم، لأنه مخلوق من طين، ولم يكن ذلك متقررا عند الكفار المخاطبين بهذه الآية، فلذلك ترك أصل الخلقة وسيق لهم الفرع الذي هم به مقرون تقريبا لأفهامهم، ثم قال تعالى: اقرأ وربك الأكرم على جهة التأنيس، كأنه يقول: امض لما أمرت به

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٣٨٤

وربك ليس كهذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص، فهو ينصرك ويظهرك، ثم عدد تعالى نعمة الكتاب بالقلم على الناس وهي موضع عبرة وأعظم منفعة في المخاطبات وتخليد المعارف، وقوله تعالى: علم الإنسان ما لم يعلم قيل: المراد محمد عليه السلام، وقيل: اسم الجنس وهو الأظهر، وعدد نعمته اكتساب المعارف بعد جهله بها، وقوله تعالى: كلا إن الإنسان ليطغى الآية نزلت بعد مدة من شأن أبي جهل بن هشام، وذلك أنه طغى لغناه ولكثرة من يغشى ناديه من الناس، فناصب رسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة ونهاه عن الصلاة في المسجد، ويروى أنه قال: لئن رأيت محمدا يسجد عند الكعبة لأطأن على عنقه، فيروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه القول وانتهره وتوعده، فقال أبو جهل: أيتوعدني، وما والي بالوادي أعظم نديا مني، ويروى أيضا أنه جاء والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، ثم كع عنه وانصرف، فقيل له: ما هذا؟ فقال:

لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار، وهول وأجنحة، ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو دنا مني لأخذته الملائكة عيانا» ، فهذه السورة من قوله: كلا إلى آخرها نزلت في أبي جهل، وكلا:

هي رد على أقوال أبي جهل وأفعاله، ويتجه أن تكون بمعنى: حقا، فهي تثبيت لما بعدها من القول والطغيان: تجاوز الحدود الجميلة، والغني: مطغ إلا من عصم الله والضمير في رآه للإنسان المذكور، كأنه قال: أن رأى نفسه غنيا، وهي رؤية قلب تقرب من العلم، ولذلك جاز أن يعمل فعل الفاعل في نفسه، كما تقول: وجدتني وظننتني ولا يجوز أن تقول: ضربتني، وقرأ الجمهور: «أن رآه» ، بالمد على وزن رعاه، واختلفوا في الإمالة وتركها، وقرأ ابن كثير من طريق قنبل: «أن رأه» ، على وزن رعه، على حذف لام الفعل وذلك تخفيف، ثم حقر غنى هذا الإنسان وما له بقوله: إن إلى ربك الرجعى

أي الحشر والبعث يوم القيامة، والرجعى

: مصدر كالرجوع، وهو على وزن: العقبى ونحوه، وفي هذا الخبر: وعيد للطاغين من الناس، ثم صرح بذكر الناهي لمحمد عليه السلام، ولم يختلف أحد من المفسرين في أن الناهي: أبو جهل، وأن العبد المصلي محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى:

أرأيت توقيف وهو فعل لا يتعدى إلى مفعولين على حد الرؤية من العلم بل يقتصر به، وقوله تعالى: ألم يعلم بأن الله يرى إكمال للتوبيخ والوعيد بحسب التوقيفات الثلاث يصلح مع كل واحد منهما فجاء بها في نسق ثم جاء بالوعيد الكافي لجميعها اختصارا واقتضابا، ومع كل تقرير من الثلاثة تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها، وقوله: ألم يعلم دال عليها مغن، وقوله تعالى: إن كان يعني العبد المصلي، وقوله: إن

كذب وتولى، يعني الإنسان الذي ينهى، ونسب الرؤية إلى الله تعالى بمعنى يدرك أعمال الجميع بإدراك: سماه رؤية، والله منزه عن الجارحة وغير ذلك من المماثلات المحدثات، ثم توعد تعالى." (١)

"[سورة البقرة (٢) : آية ١٩١]

واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (١٩١)

قوله تعالى: واقتلوهم حيث ثقفتموهم. أي: وجدتموهم. يقال: ثقفته أثقفه: إذا وجدته. قال القاضي أبو يعلى: قوله تعالى: واقتلوهم حيث ثقفتموهم، عام في جميع المشركين، إلا من كان بمكة، فانهم أمروا باخراجهم منها، إلا من قاتلهم فإنهم أمروا بقتالهم، يدل على ذلك قوله **في نسق الآية**:

ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، وكانوا قد آذوا المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكأنهم أخرجوهم. فأما الفتنة، ففيها قولان: أحدهما: أنها الشرك، قاله ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وقتادة في آخرين. والثاني: أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان، قاله مجاهد. فيكون معنى الكلام على القول الأول: شرك القوم أعظم من قتلكم إياهم في الحرم. وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل محقا. قوله تعالى: ولا تقاتلوهم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم) ، بحذف الألف فيهن. وقد اتفق الكل على قوله: فاقتلوهم، فاحتج من قرأ بالألف بقوله: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، واحتج من حذف الألف بقوله: فاقتلوهم.

فصل: واختلف العلماء في قوله: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، هل هو منسوخ أم لا؟ فذهب مجاهد في جماعة من الفقهاء إلى أنه محكم وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل.

(٧٧) ويدل على ذلك الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه خطب يوم فتح مكة، فقال: «يا أيها الناس! إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والارض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي.

وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ثم عادت حراما إلى يوم القيامة» .

فبين صلى الله عليه وسلم أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعون دفعا، وهذا أمر مستمر الحكم غير منسوخ، وقد

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٠٢/٥

ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، فأمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال. وذهب الربيع بن أنس، وابن زيد، إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، وزعم مقاتل إلى أنه منسوخ بقوله تعالى: واقتلوهم حيث ثقفتموهم. والقول الأول أصح. قوله تعالى: فإن قاتلوكم فاقتلوهم، قال مقاتل: أي: فقاتلوهم.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٩٢]

فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم (١٩٢)

قوله تعالى: فإن انتهوا. فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه: فإن انتهوا عن شركهم وقتالكم.

ـــــــــــــــــــ

صحيح. أخرجه البخاري ١١٢٠ و ٢٤٣٤ و ٦٨٨٠ ومسلم ١٣٥٥ و ٤٤٨ وأبو داود ٢٠١٧ و ٤٥٠٥ والترمذي ١٤٠٥ و ٢٦٦٧ والبيهقي ٨/ ٥٣ وقال الترمذي: حسن صحيح وابن ماجة مختصرا ٢٦٢٤ وابن حبان ٣٧١٥ وأحمد مطولا ومفرقا ٢/ ٢٣٨ والبيهقي في «السنن» ٨/ ٥٢ من طرق عن أبي هريرة.."

(١)

"قوله تعالى: لقد من الله على المؤمنين أي: أنعم عليهم. و «أنفسهم» : جماعتهم، وقيل: نسبهم. وقرأ الضحاك، وأبو الجوزاء: (من أنفسهم) بفتح الفاء. وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال: أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة. والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، قاله الزجاج. والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم، قاله أبو سليمان الدمشقي. والرابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم، قاله الماوردي. وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان: أحدهما: أنها خاصة للعرب. روي عن عائشة والجمهور. والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنى أنه ليس بملك، ولا من غير بني آدم، وهذا اختيار الزجاج. وقد سبق في (البقرة) بيان باقي الآية.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٦٥]

أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير (١٦٥)

قوله تعالى: أولما أصابتكم مصيبة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما كان يوم أحد، عوقبوا بما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/١٥٥

صنعوا يوم بدر، من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فنزلت هذه الآية إلى قوله تعالى قل هو من عند أنفسكم قال: بأخذكم الفداء.

قوله تعالى أولما قال الزجاج: هذه واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام، فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا فيقول المجيب له: أو هو ممن يقول ذلك؟ فأما «المصيبة» فما أصابهم يوم أحد، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر، لأنهم قتل منهم سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة، إلا أن الزجاج قال: قد أصبتم يوم أحد مثلها، ويوم بدر مثلها، فجعل المثلين في اليومين.

قوله تعالى: أنى هذا، قال ابن عباس: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون؟

قوله تعالى: قل هو من عند أنفسكم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب.

(٢٣٥) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارى، وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشائرنا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدتهم، فقتل منهم يوم أحد سبعون، عدد أسارى بدر، فعلى هذا يكون المعنى: قل هو بأخذكم الفداء، واختياركم القتل لأنفسكم.

والثاني: أنه جرى ذلك بمعصية الرماة يوم أحد، وتركهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن عباس،

ضعيف. أخرجه الترمذي ١٥٦٧ والنسائي في «الكبرى» ٨٦٦٢ من حديث علي، وهو حديث ضعيف، ويأتي في سورة الأنفال باستيفاء، وقال الترمذي: حسن غريب.." (١)

"وأبي، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والجحدري: «والمقيمون الصلاة» بالواو. وقال الزجاج: قول من قال إنه خطأ، بعيد جدا، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة، والقدوة، فكيف يتركون في كتاب الله شيئا يصلحه غيرهم؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم. وقال الأنباري: حديث عثمان لا يصح، لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئا فاسدا، ليصلحه من بعده. والثاني: **أنه نسق على** «ما» والمعنى يؤمنون بما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٣٤٤

أنزل إليك، وبالمقيمين الصلاة، فقيل: هم الملائكة، وقيل: الأنبياء. والثالث: **أنه نسق على** الهاء والميم من قوله منهم فالمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أنزل إليك. قال الزجاج: وهذا رديء عند النحويين، لا ينسق بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في الشعر. والرابع: أنه منصوب على المدح، فالمعنى: اذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة. وأنشدوا:

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر «١»

وهذا على معنى: اذكر النازلين، وهم الطيبون، ومن هذا قولك: مررت بزيد الكريم، إن أردت أن تخلصه من غيره. فالخفض هو الكلام، وإن أردت المدح والثناء، فإن شئت نصبت، فقلت: بزيد الكريم، كأنك قلت: اذكر الكريم، وإن شئت رفعت على معنى: هو الكريم. وتقول: جاءني قومك المطعمين في المحل، والمغيثون في الشدائد على معنى: اذكر المطعمين، وهم المغيثون، وهذا القول اختيار الخليل، وسيبويه. فهذه الأقوال حكاها الزجاج، واختار هذا القول.

[سورة النساء (٤) : آية ١٦٣]

إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١٦٣)

قوله تعالى: إنا أوحينا إليك قال ابن عباس: قال عدي بن زيد، وسكين: يا محمد ما نعلم الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فنزلت هذه الآية. وقد ذكرنا في «آل عمران» معنى الوحي، وذكرنا نوحا هنالك. وإسحاق: أعجمي، وإن وافق لفظ العربي، يقال: أسحقه الله يسحقه إسحاقا، ويعقوب: أعجمي. فأما اليعقوب، وهو ذكر الحجل وهي القبج «٢» فعربي، كذلك قرأته على شيخنا أبي

---

(١) البيتان للخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعي وابنها علقمة، وأخويها حسان وشرحبيل، ومن قتل معه من قومه. كما في «الخزانة» ٢/ ٣٠١. والآفة: العلة. والجزر: جمع جزور، وهي الناقة التي تنحر. والطيبون معاقد الأزر: من عادة العرب إذا وصفوا الرجل بطهارة الإزار وطيبه فهو إشارة وكناية عن عفة الفرج.

(٢) في «اللسان» : القبج: الكروان، معرب، وهو بالفارسية كبج، والقاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب.." [١]

"يا ليت بعلك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا «١»

والمعنى: وحاملا رمحا. وقال الآخر.

علفتها تبنا وماء باردا «٢» والمعنى: وسقيتها ماء باردا. وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز الجر على الإتباع، والمعنى:

الغسل، نحو قولهم: جحر ضب خرب. وقال ابن الأنباري: لما تأخرت الأرجل بعد الرؤوس، نسقت عليها للقرب والجوار، وهي في **المعنى نسق على** الوجوه كقولهم: جحر ضب خرب، ويجوز أن تكون منسوقة عليها، لأن العرب تسمي الغسل مسحا، لأن الغسل لا يكون إلا بمسح. وقال أبو علي: من جر فحجته أنه وجد في الكلام عاملين: أحدهما: الغسل، والآخر: الباء الجارة، ووجه العاملين إذا اجتمعا: أن يحمل الكلام على الأقرب منهما دون الأبعد، وهو «الباء» هاهنا، وقد قامت الدلالة على أن المراد بالمسح: الغسل من وجهين «٣» :

---

(١) البيت غير منسوب في «مشكل القرآن» : ١٦٥ و «الكامل» ١/ ٢٨٩ و «اللسان» مادة: قلد. ونسبه في حواشي ابن القوطية على «الكامل» ١٨٩ لعبد الله بن الزبعرى. ويروى الشطر الأول منه «ورأيت زوجك في الوغى» وفي «اللسان» : تقلد الأمر: احتمله.

(٢) هو صدر بيت وعجزه: حتى شتت همالة عيناها. وهو في «الخزانة» ١/ ٤٩٩ وشرح «شواهد المغني» ٣١٤.

قال العيني: ٤/ ١٨١ أنشده الأصمعي وغيره، ولم أر أحدا عزاه إلى قائله.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٢/ ٣٥: ومن أحسن ما يستدل به على أن المسح يطلق على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي ١/ ٧٥ عن النزال بن سبرة يحدث عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتى حضرت صلاة العصر، ثم أتي بكوز من ماء فأخذ منه حفنة واحدة فمسح بها وجهه ويديه ورأسه ورجليه، ثم قام فشرب فضلته، وهو قائم، ثم قال: إن أناسا يكرهون الشرب قائما، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت، وقال: «هذا وضوء من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٩٨/١

لم يحدث» . والأحاديث التي جاءت بالغسل كثيرة. ففي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته:

«أسبغوا الوضوء، ويل للأعقاب من النار» . وروى مسلم عن عمر بن الخطاب «أن رجلا توضأ فترك موضع ظفر على قدم، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» قال ابن كثير: وإسناده جيد قوي صحيح.

وقال الإمام الموفق رحمه الله في «المغني» : وغسل الرجلين واجب في قول أكثر أهل العلم، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين. وروي عن علي أنه مسح على نعليه وقدميه، وحكي عن ابن عباس أنه قال: ما أجد في كتاب الله إلا غسلتين ومسحتين. وحكي عن الشعبي أنه قال: الوضوء مغسولان وممسوحان، فالممسوحان يسقطان في التيمم. ولم نعلم من فقهاء المسلمين من يقول بالمسح على الرجلين غير ما ذكرنا إلا ما حكي عن ابن جرير أنه قال: هو مخير بين المسح والغسل، واحتج بظاهر الآية. وما روي عن ابن عباس. ولنا أن عبد الله بن زيد، وعثمان، حكيا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا: فغسل قدميه. وفي حديث عثمان: ثم غسل كلتا رجليه ثلاثا، متفق عليهما. وعن علي أنه حكى وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثا ثلاثا. فإن قيل: فعطفه على الرأس دليل على أنه أراد حقيقة المسح. قلنا: قد افترقا من وجوه: أحدها: أن الممسوح في الرأس شعر يشق غسله، والرجلين أشبه بالمغسولات. والثاني: أنهما محدودان بحد ينتهي إليه، فأشبها اليدين. والثالث: أنهما معرضتان للخبث لكونهما يوطأ بهما على الأرض بخلاف الرأس. وأما حديث أوس في أن النبي صلى الله عليه وسلم: فإنما أراد الغسل الخفيف وكذلك ابن عباس، ولذلك قال: أخذ ملء كفه من ماء فرش على قدميه، والمسح يكون بالبلل لا برش الماء.." (١)

"قوله تعالى: فاحكم بينهم يشير إلى اليهود بما أنزل الله إليك في القرآن ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق. قاله أبو سليمان: المعنى: فترجع عما جاءك. قال ابن عباس: لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن. قوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قال مجاهد: الشرعة: السنة، والمنهاج: الطريق.

وقال ابن قتيبة: الشرعة والشريعة واحد، والمنهاج: الطريق الواضح. فان قيل: **كيف نسق** «المنهاج» على «الشرعة» وكلاهما بمعنى واحد؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن بينهما فرقا من وجهين: أحدهما: أن «الشرعة»

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٢٢/١

ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، قاله المبرد. والثاني: أن «الشرعة» الطريق الذي ربما كان واضحا، وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحا، ذكره ابن الأنباري. فلما وقع الاختلاف بين الشرعة والمنهاج، **حسن نسق أحدهما** على الآخر. والثاني: أن الشرعة والمنهاج بمعنى واحد، **وإنما نسق أحدهما** على الآخر لاختلاف اللفظين. قال الحطيئة:

ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبعد

فنسق البعد على النأي لما خالفه في اللفظ، وإن كان موافقا له في المعنى، ذكره ابن الأنباري.

وأجاب عنه أرباب القول الأول، فقالوا: «النأي» كل ما قل بعده أو كثر كأنه المفارقة، والبعد إنما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقته.

وللمفسرين في معنى الكلام قولان: أحدهما: لكل ملة جعلنا شرعة ومنهاجا، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل القرآن شريعة، هذا قول الأكثرين. قال قتادة: الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وعيسى، وأمة محمد، فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره، التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل. والثاني: أن المعنى: لكل من دخل في دين محمد جعلنا القرآن شرعة ومنهاجا، هذا قول مجاهد.

قوله تعالى: ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة فيه قولان: أحدهما: لجمعكم على الحق.

والثاني: لجعلكم على ملة واحدة ولكن ليبلوكم أي: ليختبركم في ما آتاكم من الكتاب، وبين لكم من الملل.

فإن قيل: إذا كان المعنى بقوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة: نبينا محمدا مع سائر الأنبياء قبله، فمن المخاطب بقوله تعالى: ليبلوكم؟ فالجواب: أنه خطاب لنبينا، والمراد به سائر الأنبياء والأمم. قال ابن جرير: والعرب من شأنها إذا خاطبت غائبا، فأرادت الخبر عنه أن تغلب المخاطب، فتخرج الخبر عنهما على وجه الخطاب.

قوله تعالى: فاستبقوا الخيرات قال ابن عباس، والضحاك: هو خطاب لأمة محمد عليه السلام. قال مقاتل: و «الخيرات» : الأعمال الصالحة: إلى الله مرجعكم في الآخرة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الدين. قال ابن جرير: قد بين ذلك في الدنيا بالأدلة والحجج، وغدا يبينه بالمجازاة.." (١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٥٥٥

"فأثت أعاليه وآدت أصوله ... ومال بقنيان من البسر أحمرا «١»
ويجتمعون جميعا، فيقولون: «قنو» و «قنو» ولا يقولون: «قني» ولا «قني» وكلب تقول: «ومال بقنيان»
. قلت: هذا البيت لامرئ القيس رواه أبو سعيد السكري: «ومال بقنوان» مكسورة القاف مع الواو، ففيه
أربع لغات: قنوان، وقنوان، وقنيان، وقنيان و «أثت» : كثرت ومنه: شعر أثيث.
و «آدت» : اشتدت. وقال ابن قتيبة: القنوان: عذوق النخل، واحدها: قنو، جمع على لفظ تثنية ومثله:
صنو وصنوان في التثنية، وصنوان في الجميع. وقال الزجاج: قنوان: جمع قنو، وإذا ثنيته فهما قنوان، بكسر
النون. ودانية، أي: قريبة المتناول، ولم يقل: «ومنها قنوان بعيدة» لأن في الكلام دليلا أن البعيدة السحيقة
قد كانت غير سحيقة، فاجتزئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة كقوله تعالى:
سرابيل تقيكم الحر «٢» . وقال ابن عباس: القنوان الدانية: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض.
قوله تعالى: وجنات من أعناب قال الزجاج: هو نسق على قوله: «خضرا» والزيتون والرمان المعنى: وأخرجنا
منه شجر الزيتون والرمان وقد روى أبو زيد عن المفضل: «وجنات» بالرفع.
قوله تعالى: مشتبها وغير متشابه فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مشتبها في المنظر وغير متشابه في الطعم، رواه
أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: مشتبها ورقه، مختلفا ثمره، قاله قتادة، وهو في معنى الأول. والثالث:
منه ما يشبه بعضه بعضا، ومنه ما يخالف. قال الزجاج: وإنما قرن الزيتون بالرمان، لأنهما شجرتان تعرف
العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره. قال الشاعر.
بورك الميت الغريب كما بو ... رك نضح الرمان والزيتون «٣»
ومعناه: أن البركة في ورقه اشتماله على عوده كله.
قوله تعالى: انظروا إلى ثمره قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم:
انظروا إلى ثمره، وكلوا من ثمره، وليأكلوا من ثمره: بالفتح في ذلك. وقرأ حمزة.
والكسائي، وخلف: بالضم فيهن. قال الزجاج: يقال: ثمرة، ثمر، وثمار، وثمر فمن قرأ: «إلى ثمره» بالضم
أراد جمع الجمع. وقال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: هذا، وهو أن يكون الثمر جمع ثمار، والثاني:
أن تكون الثمر جمع ثمرة، وكذلك: أكمة، وأكم، وخشبة وخشب. قال الفراء:
يقول: انظروا إليه أول ما يعقد، وانظروا إلى ينعه، وهو نضجه وبلوغه. وأهل الحجاز يقولون: ينع، بفتح
الياء، وبعض أهل نجد يضمونها. قال ابن قتيبة: يقال: ينعت الثمر، وأينعت: إذا أدركت، وهو الينع والينع.
وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، والأعمش، وابن محصن: «وينعه» بضم الياء. قال الزجاج: الينع: النضج.

قال الشاعر:

---

(١) البيت لامرئ القيس. ديوانه ٦٧. «اللسان» قنا. وقوله: أثت أعاليه: عظمت والتفت من ثقل حملها. وقوله:
آدت أي تثنت ومالت.
(٢) سورة النحل: ٨١.
(٣) البيت منسوب إلى أبي طالب بن عبد المطلب «اللسان» نضح.." [1]

"إطعام من حضر من الفقراء، فذلك يكون يوم الحصاد وإن قلنا: إنه الزكاة، فقد ذكرت عنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الأمر بالإيتاء محمول على النخيل، لأن صدقتها تجب يوم الحصاد. فأما الزروع، فالأمر بالإيتاء منها محمول على وجوب الإخراج إلا أنه لا يمكن ذلك عند الحصاد فيؤخر إلى زمان التنقية، ذكره بعض السلف. والثاني: أن اليوم ظرف للحق، لا للايتاء فكأنه قال: وآتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التنقية. والثالث: أن فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب فيه بنفس خروجه وبلوغه، إنما يجب يوم حصوله في يد صاحبه. وقد كان يجوز أن يتوهم أن الحق يلزم بنفس نباته قبل قطعه، فأفادت الآية أن الوجوب فيما يحصل في اليد، دون ما يتلف، ذكر الجوابين القاضي أبو يعلى.

وفي قوله تعالى: ولا تسرفوا ستة أقوال «١» : أحدها: أنه تجاوز المفروض في الزكاة إلى حد يجحف به، قاله أبو العالية، وابن جريج. وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة، ثم قسمها في يوم واحد، فأمسى ولم يترك لأهله شيئا، فكره الله تعالى له ذلك، فنزلت: ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. والثاني: أن الإسراف: يمنع الصدقة الواجبة! قاله سعيد بن المسيب. والثالث: أنه الإنفاق في المعصية، قاله مجاهد، والزهري. والرابع: أنه إشراك الآلهة في الحرث والأنعام، قاله عطية، وابن السائب. والخامس: أنه خطاب للسلطان لئلا يأخذ فوق الواجب من الصدقة، قاله ابن زيد. والسادس: أنه الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة، قاله ابن بحر.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٤٢]

ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (١٤٢)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٦٠/٢

قوله تعالى: ومن الأنعام حمولة **هذا نسق على** ما قبله والمعنى: أنشأ جنات وأنشأ حمولة وفرشا. وفي ذلك خمسة أقوال: أحدها: أن الحمولة: ما حمل من الإبل، والفرش: صغارها، قاله ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وابن قتيبة. والثاني: أن الحمولة: ما انتفعت بظهورها، والفرش: الراعية، رواه الضحاك عن ابن عباس. والثالث: أن الحمولة: الإبل: والخيل، والبغال، والحمير، وكل شيء يحمل عليه. والفرش: الغنم: رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والرابع:

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ٥/ ٣٧١: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى بقوله: ولا تسرفوا عن جميع معاني «الإسراف» ولم يخصص منها معنى دون معنى وإذ كان ذلك كذلك، وكان «الإسراف» في كلام العرب: الإخطاء بإصابة الحق في العطية، إما بتجاوز حده في الزيادة، وإما بتقصير عن حده الواجب، كان معلوما أن المفرق ماله مباراة، والباذل له للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوزه حد الله إلى ما ليس له. وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه. وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله وألزمه منها، وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه. كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون، داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله: ولا تسرفوا في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذا كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده. فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الأمور والحكم بها على العام، بل عامة آي القرآن كذلك، فكذلك قوله ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ا. هـ.." [١]

"بعظم، ولا على عظم، قاله ابن جريج. وفي قوله تعالى: إلا ما حملت ظهورهما ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما علق بالظهر من الشحوم، قاله ابن عباس. والثاني: الألية، قاله أبو صالح، والسدي.

والثالث: ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما، قاله قتادة. فأما الحوايا، فللمفسرين فيها أقوال تتقارب معانيها. قال ابن عباس، والحسن، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن قتيبة: هي المباعر. وقال ابن زيد: هي بنات اللبن، وهي المرابض التي تكون فيها الأمعاء. وقال الفراء: الحوايا:

هي المباعر، وبنات اللبن، وقال الاصمعي: هي بنات اللبن، واحدها: حاوياء، وحاوية، وحوية. قال الشاعر:

أقتلهم ولا أرى معاويه ... الجاحظ العين العظيم الحاويه «١»

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٨٥

وقال الآخر:

كأن نقيق الحب في حاويائه ... فحيح الأفاعي أو نقيق العقارب «٢»

وقال أبو عبيدة: الحوايا اسم لجميع ما تحوى من البطن، أي: ما استدار منها. وقال الزجاج: الحوايا: اسم لجميع ما تحوى من الأمعاء، أي: استدار. وقال ابن جرير الطبري: الحوايا: ما تحوى من البطن. فاجتمع واستدار، وهي بنات اللبن، وهي المباعر، وتسمى: المرابض، وفيها الأمعاء.

قوله تعالى: أو ما اختلط بعظم فيه قولان: أحدهما: أنه شحم البطن والألية، لأنهما على عظم، قاله السدي. والثاني: كل شحم في القوائم، والجنب، والرأس. والعينين، والأذنين، فهو مما اختلط بعظم، قاله ابن جريج. واتفقوا على أن ما حملت ظهورهما حلال، بالاستثناء من التحريم. فأما ما حملت الحوايا، أو ما اختلط بعظم، ففيه قولان: أحدهما: أنه داخل في الاستثناء، فهو مباح والمعنى: وأبيح لهم ما حملت الحوايا من الشحم وما اختلط بعظم، وهذا قول الأكثرين. والثاني: **أنه نسق على** ما حرم، لا على الاستثناء فالمعنى: حرمنا عليهم شحومهما، أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم، إلا ما حملت الظهور، فانه غير محرم، قاله الزجاج. فأما «أو »المذكورة هاهنا، فهي بمعنى الواو، كقوله تعالى آثما أو كفورا.

قوله تعالى: ذلك جزيناهم أي: ذلك التحريم عقوبة لهم على بغيهم. وفي بغيهم قولان:

أحدهما: أنه قتلهم الأنبياء، وأكلهم الربا. والثاني: أنه تحريم ما أحل لهم.

[سورة الأنعام (٦) : آية ١٤٧]

فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (١٤٧)

قوله تعالى: فإن كذبوك.

(٥٦١) قال ابن عباس: لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين: «هذا ما أوحي إلي أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود» ، قالوا: فانك لم تصب، فنزلت هذه الآية.

لم أقف على إسناده، وتفرد المصنف بذكره دليل وهنه.

---

(١) البيت منسوب لعلي رضي الله عنه «اللسان» حوي.

(٢) البيت منسوب إلى جرير وهو في ديوانه: ٨٣ «واللسان» حوى.." [1]

"الزجاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلا عليه. وقوله تعالى: فجاءها بأسنا محمول على لفظ القرية والمعنى: فجاءهم بأسنا غفلة وهم غير متوقعين له إما ليلا وهم نائمون، أو نهارا وهم قائلون. قال ابن قتيبة: بأسنا: عذابنا، وبياتا: ليلا. وقائلون: من القائلة نصف النهار. فان قيل: إنما أتاها البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدم الهلاك؟ فعنه ثلاثة أجوبة: أحدها: أن الهلاك والبأس يقعان معا، كما تقول: أعطيتني فأحسنت وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معا، قاله الفراء. والثاني: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها، وكان بأسنا قد جاءها، فأضمر الكون، كما أضمر في قوله: واتبعوا ما تتلوا الشياطين «١» ، أي: ما كانت الشياطين تتلوه، وقوله تعالى: إن يسرق «٢» ، أي: إن يكن سرق. والثالث: أن في الآية تقديما وتأخيرا، تقديره:

وكم من قرية جاءها بأسنا بياتا، أو ہم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: إني متوفيك ورافعك إلي «٣» أي: رافعك ومتوفيك، ذكرهما ابن الانباري.

قوله تعالى: أو هم قائلون قال الفراء: فيه واو مضمرة والمعنى: فجاءها بأسنا بياتا، أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقا على نسق.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٥]

فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين (٥)

قوله تعالى: فما كان دعواهم قال اللغويون: الدعوى ها هنا بمعنى الدعاء والقول. والمعنى:

ما كان قولهم وتداعيهم إذ جاءهم العذاب إلا الاعتراف بالظلم. قال ابن الانباري: وللدعوى في الكلام موضعان: أحدهما: الإدعاء. والثاني: القول والدعاء. قال الشاعر:

إذا مذلت رجلي دعوتك أشتفي ... بدعواك من مذل بها فيهون «٤»

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٦ الى ٧]

فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين (٦) فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين (٧)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٨٩/٢

قوله تعالى: فلنسئلن الذين أرسل إليهم يعني: الأمم يسألون: هل بلغكم الرسل وماذا أجبتم؟ ويسأل الرسل: هل بلغتم، وماذا أجبتم؟. فلنقصن عليهم أي: فلنخبرنهم بما عملوا بعلم منا وما كنا غائبين عن الرسل والأمم. وقال ابن عباس: يوضع الكتاب، فيتكلم بما كانوا يعملون.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٨ الى ٩]

والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٩)

قوله تعالى: والوزن يومئذ الحق أي: العدل. وإنما قال: «موازينه» لأن «من» في معنى جميع، يدل عليه قوله: فأولئك. وفي معنى يظلمون قولان: أحدهما: يجحدون. والثاني: يكافرون.

قال الفراء: والمراد بموازينه: وزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك ويريدون: حذاء دارك. قال الشاعر:

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة يوسف: ٧٧.

(٣) سورة آل عمران: ٥٥.

(٤) البيت لكثير عزة، ديوانه ٢/ ٢٤٥. «اللسان» : مذل. ومذلت رجله مذلا بفتح وسكون وأمذلت: خدرت.." [1]

"والمكاء، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية.

قوله تعالى: فاليوم ننساهم قال الزجاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا. و **«ما» نسق على** «كما» في موضع جر. والمعنى: وكجحدهم. قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: فاليوم نتركهم في النار على علم منا ترك ناس غافل كما استعملوا في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٥٢]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/١٠٢

ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢)
قوله تعالى: ولقد جئناهم بكتاب يعني القرآن. فصلناه أي: بيناه بايضاح الحق من الباطل.
وقيل: فصلناه فصولا مرة بتعريف الحلال، ومرة بتعريف الحرام، ومرة بالوعد، ومرة بالوعيد، ومرة بحديث الأمم. وفي قوله تعالى: على علم قولان: أحدهما: على علم منا بما فصلناه. والثاني: على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه. وقرأ ابن السميفع، وابن محيصن، وعاصم، والجحدري، ومعاذ القارئ: «فضلناه» بضاد معجمة.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٥٣]
هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣)
قوله تعالى: هل ينظرون إلا تأويله قال ابن عباس: تصديق ما وعدوا في القرآن. يوم يأتي تأويله وهو يوم القيامة يقول الذين نسوه أي: تركوه من قبل في الدنيا قد جاءت رسل ربنا بالحق أي بالبعث بعد الموت.
قوله تعالى: أو نرد قال الزجاج: المعنى: أو هل نرد. وقوله.
فنعمل منصوب على جواب الفاء للاستفهام.

[سورة الأعراف (٧) : آية ٥٤]
إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)
قوله تعالى: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه يوم السبت.
(٥٨٥) روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فقال:

الصحيح موقوف. أخرجه مسلم ٢٧٨٩ وأحمد والنسائي في «الكبرى» ١١٠١٠ وابن حبان ٦١٦١ والطبري في «التاريخ» ١/ ٢٣ و ٢٥ والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٨٣٨٣ وعلقه الإمام البخاري في «تاريخه» ١/ ٤١٣- ٤١٤ من طريق أيوب وقال: وقال بعضهم عن أبي هريرة، عن كعب، وهو أصح.

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٩٩: هذا الحديث من غرائب «صحيح مسلم» وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري. وغير واحد من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعله مرفوعا، وذكره أيضا في «تفسيره» ٣/ ٤٢٢، وقال: وفيه استيعاب اﻟأيام السبعة، والله تعالى قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا." (١)

"تقولوا، ومثله: أن تميد بكم «١» . وفي قوله تعالى: إنا كنا عن هذا قولان: أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار. والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق. قال المفسرون: وهذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار: إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي صلى الله عليه وسلم الصادق. وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٣]

أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣)

قوله تعالى: أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاتبعنا منهاجهم على جهل منا بآلهيتك أفتهلكنا بما فعل المبطلون في دعواهم أن معك إلها، فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ أذكرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم. وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذر، وركب فيهم عقولا وأفهاما عرفوا بها ما عرض عليهم. وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفا، ومعنى إشهادهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين. ولما عرفوا ذلك ودعاهم كل ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته، كما قال: شاهدين على أنفسهم بالكفر «٢» يريدهم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفرة، كما يقول الرجل: قد شهدت جوارحي بصدقك، أي: قد عرفته. ومن هذا الباب قوله تعالى: شهد الله «٣» أي: بين وأعلم وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٤]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٢٦/٢

وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤)

قوله تعالى: وكذلك نفصل الآيات أي: وكما بينا في أخذ الميثاق الآيات، ليتدبرها العباد فيعملوا بموجبها ولعلهم يرجعون أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

[سورة الأعراف (٧) : آية ١٧٥]

واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥)

قوله تعالى: واتل عليهم قال الزجاج: **هذا نسق على** ما قبله، والمعنى: أتل عليهم إذ أخذ ربك، واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا وفيه ستة أقوال «٤» :

(٥٩١) أحدها: أنه رجل من بني إسرائيل يقال له: بلعم بن أبر، قاله ابن مسعود. وقال ابن

ورد عن جماعة من الصحابة والتابعين. فقد أخرجه الطبري ١٥٣٩٢- ١٥٣٩٦ و ١٥٣٩٩ من طرق عن ابن مسعود وأخرجه برقم ١٥٣٩٨ و ١٥٤٠١ عن ابن عباس. وأخرجه برقم ١٥٤٠٣ و ١٥٤٠٤ عن مجاهد.

وأخرجه ١٥٤٠٨ عن عكرمة، وله شواهد. وهذا القول هو أرجح الأقوال.

---

(١) سورة لقمان: ١٠.

(٢) سورة التوبة: ١٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٩.

(٤) قال الطبري في «تفسيره» ٦/ ١٢٢: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته، وهي «الآيات» ، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم» وجائز أن يكون «أمية» اه.." (١)

"والقصص تثنى فيه، فعلى هذا القول، المراد بالسبع: سبعة أسباع القرآن، ويكون في الكلام إضمار، تقديره: وهي القرآن العظيم.

فأما قوله تعالى: من المثاني ففي «من» قولان: أحدهما: أنها للتبعيض، فيكون المعنى: آتيناك سبعا من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٦٨/٢

جملة الآيات التي يثنى بها على الله تعالى، وآتيناك القرآن. والثاني: أنها للصفة، فيكون السبع هي المثاني، ومنه قوله تعالى: فاجتنبوا الرجس من الأوثان «١» لا أن بعضها رجس، ذكر الوجهين الزجاج، وقد ذكرنا عن ابن الأنباري قريبا من هذا المعنى.

قوله تعالى: والقرآن العظيم يعني: العظيم القدر، لأنه كلام الله تعالى، ووحيه، وفي المراد به ها هنا قولان:

أحدهما: أنه جميع القرآن. قاله ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

والثاني: أنه الفاتحة أيضا، قاله أبو هريرة، وقد روينا فيه حديثا في أول تفسير (الفاتحة) . قال ابن الأنباري: فعلى القول الأول، يكون **قد نسق الكل** على البعض، كما يقول العربي: رأيت جدار الدار والدار، وإنما يصلح هذا، لأن الزيادة التي في الثاني من كثرة العدد أشبه بها ما يغاير الأول، فجوز ذلك عطفه عليه. وعلى القول **الثاني، نسق الشيء** على نفسه لما زيد عليه معنى المدح والثناء، كما قالوا:

روي ذلك عن عمر، وابن الخطاب، يعنون بابن الخطاب: الفاضل العالم الرفيع المنزلة، فلما دخلته زيادة، أشبه ما يغاير الأول فعطف عليه.

ولما ذكر الله تعالى منته عليه بالقرآن، نهاه عن النظر إلى الدنيا ليستغني بما آتاه من القرآن عن الدنيا، فقال: لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي: أصنافا من اليهود والمشركين، والمعنى: أنه نهاه عن الرغبة في الدنيا، وفي قوله: ولا تحزن عليهم قولان:

أحدهما: لا تحزن عليهم إن لم يؤمنوا. والثاني: لا تحزن بما أنعمت عليهم في الدنيا.

قوله تعالى: واخفض جناحك للمؤمنين أي: ألن جانبك لهم، وخفض الجناح، عبارة عن السكون وترك التعصب والإباء، قال ابن عباس: ارفق بهم ولا تغلظ عليهم.

قوله تعالى: وقل إني أنا النذير المبين حرك ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع.

وذكر بعض المفسرين أن معناها منسوخ بآية السيف.

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٩٠ الى ٩٣]

كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن عضين (٩١) فو ربك لنسئلنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣)

قوله تعالى: كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) في هذه الكاف قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقوله تعالى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أن المعنى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني، كما أنزلنا الكتاب على المقتسمين، قاله مقاتل.
والثاني: أن المعنى: ولقد شرفناك وكرمناك بالسبع المثاني، كما شرفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكاف بمعنى «مثل» و «ما» بمعنى «الذي» ذكره ابن الأنباري. والثاني: أنها

______

(١) سورة الحج: ٣٠.." (١)

"أولئك هم الصديقون ثم ابتدأ فقال عز وجل والشهداء عند ربهم هذا قول ابن عباس، ومسروق، والفراء في آخرين. والثاني: أنها على نظمها، والواو في «والشهداء» واو النسق، ثم في معناها قولان:
أحدهما: أن كل مؤمن صديق شهيد، قاله ابن مسعود ومجاهد. والثاني: أنها نزلت في قوم مخصوصين، وهم ثمانية نفر سبقوا إلى الإسلام: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، قاله الضحاك. وفي الشهداء قولان: أحدهما: أنه جمع شاهد. ثم فيهم قولان:
أحدهما: أنهم الأنبياء خاصة، قاله ابن عباس. والثاني: أنهم الشاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان بالله، قاله مجاهد. والقول الثاني: أنه جمع شهيد، قاله الضحاك، ومقاتل.

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ٢٠ الى ٢١]

اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (٢٠) سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١)
قوله عز وجل: اعلموا أنما الحياة الدنيا يعني: الحياة في هذه الدار لعب ولهو أي: غرور تنقضي عن قليل.
وذهب بعض المفسرين «١» إلى أن المشار بهذا إلى حال الكافر في دنياه، لأن حياته تنقضي على لهو ولعب وتزيين الدنيا، وتفاخر يفاخر قرناءه وجيرانه، ويكاثرهم بالأموال والأولاد، فيجمع من غير حله، ويتطاول على أولياء الله بماله، وخدمه، وولده، فيفنى عمره في هذه الأشياء، ولا يلتفت إلى العمل للآخرة. ثم بين لهذه الحياة شبها، فقال: كمثل غيث يعني: مطرا أعجب الكفار وهم الزراع، وسموا كفارا، لأن الزارع إذا ألقى البذر في الأرض كفره، أي: غطاه نباته أي ما نبت من ذلك الغيث ثم يهيج أي ييبس فتراه مصفرا

______

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٤٣/٢

بعد خضرته وريه ثم يكون حطاما أي ينحطم، وينكسر بعد يبسه. وشرح هذا المثل قد تقدم في يونس عند قوله عز وجل إنما مثل الحياة الدنيا «٢» ، وفي الكهف عند قوله عز وجل: واضرب لهم مثل الحياة الدنيا «٣» . قوله عز وجل: وفي الآخرة عذاب شديد أي: لأعداء الله ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه وأهل طاعته. وما

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٣٧٠: هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة، ثم تكتهل، ثم تكون عجوزا شوهاء، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضا طريا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخا كبيرا ضعيف القوى قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير، كما قال تعالى: الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير الروم: ٥٤ ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخبر، فقال:

وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أي: وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان.

(٢) يونس: ٢٤.

(٣) الكهف: ٤٥.." [1]

"على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: قوله عز وجل تسمى سلسبيلا قيل: هو اسم أعجمي نكرة، فلذلك يصرف. وقيل: هو اسم معرفة، إلا أنه أجري، لأنه رأس آية. وعن مجاهد قال: حديدة الجرية. وقيل: سلسبيل: سلس ماؤها، مستفيد لهم. وقال ابن الأنباري: السلسبيل صفة الماء، لسلسه وسهولة مدخله في الحلق. يقال: شراب سلسل، وسلسال، وسلسبيل. وحكى الماوردي: أن عليا عليه السلام قال: المعنى: سل سبيلا إليها، ولا يصح.

قوله عز وجل: ويطوف عليهم ولدان مخلدون قد سبق بيانه «١» إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا أي: في بياض اللؤلؤ وحسنه، واللؤلؤ إذا انتثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوما. وإنما شبهوا باللؤلؤ المنثور، لانتشارهم في الخدمة. ولو كانوا صفا لشبهوه بالمنظوم. قوله: وإذا رأيت ثم يعني:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٣٦/٤

الجنة رأيت نعيما لا يوصف وملكا كبيرا أي: عظيما واسعا لا يريدون شيئا إلا قدروا عليه، ولا يدخل عليهم ملك إلا باستئذان.

قوله عز وجل: عاليهم قرأ أهل المدينة، وحمزة، والمفضل عن عاصم بإسكان الياء، وكسر الهاء. وقرأ الباقون بفتح الياء، إلا أن الجعفي عن أبي بكر قرأ «عاليتهم» بزيادة تاء مضمومة. وقرأ أنس بن مالك، ومجاهد وقتادة «عليهم» بفتح اللام، وإسكان الياء من غير تاء، ولا ألف.

قال الزجاج: فأما تفسير إعراب «عاليهم» بإسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون الخبر ثياب سندس وأما «عاليهم» بفتح الياء، فنصبه على الحال من شيئين، أحدهما من الهاء والميم، والمعنى: يطوف على الأبرار ولدان مخلدون عالي الأبرار ثياب سندس، لأنه قد وصف أحوالهم في الجنة، فيكون المعنى: يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالا من الولدان.

المعنى: إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب. وأما «عاليهم» فقد قرئت بالرفع وبالنصب، وهما وجهان جيدان في العربية، إلا أنهما يخالفان المصحف، فلا أرى القراءة بهما، وتفسيرها كتفسير «عاليهم» .

قوله عز وجل: ثياب سندس خضر قرأ ابن عامر، وأبو عمرو، «خضر» رفعا «وإستبرق» خفضا.

وقرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم «خضر» خفضا «وإستبرق» رفعا. وقرأ نافع، وحفص عن عاصم «خضر وإستبرق» كلاهما بالرفع. وقرأ حمزة، والكسائي «خضر وإستبرق» كلاهما بالخفض. قال الزجاج: من قرأ خضر بالرفع، فهو نعت الثياب، ولفظ الثياب لفظ الجمع، من قرأ «خضر» فهو من نعت السندس، والسندس في المعنى راجع إلى الثياب. ومن قرأ «وإستبرق» رفعا **فهو نسق على** «ثياب» والمعنى: عليهم إستبرق. ومن خفض عطفه على السندس، فيكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين وقد بينا في الكهف «٢» معنى السندس، والإستبرق والأساور.

قوله عز وجل: وسقاهم ربهم شرابا طهورا فيه قولان: أحدهما: لا يحدثون ولا يبولون عن شرب خمر الجنة. قاله عطية. والثاني: لأن خمر الجنة طاهرة، وليست بنجسة كخمر الدنيا، قاله الفراء: وقال أبو قلابة: يؤتون بعد الطعام بالشراب الطهور فيشربون فتضمر بذلك بطونهم، ويفيض من

---

(١) الواقعة: ١٧.

(٢) الكهف: ٣١.." [1]

"الله عنه يقول: سمعت الشيخ أبا القاسم الأنصاري يقول: حضر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير الميهني مع الأستاذ أبي القاسم القشيري فقال الأستاذ القشيري: المحققون قالوا ما رأينا شيئا إلا ورأينا الله بعده، فقال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير: ذاك مقام المريدين أما المحققون فإنهم ما رأوا شيئا إلا وكانوا قد رأوا الله قبله، قلت: وتحقيق الكلام أن الانتقال من المخلوق إلى الخالق إشارة إلى برهان الآن، والنزول من الخالق إلى المخلوق برهان اللم، ومعلوم أن برهان اللم أشرف، وإذا ثبت هذا فمن أضمر الفعل أولا فكأنه انتقل من رؤية فعله إلى رؤية وجوب الاستعانة باسم الله/ ومن قال: (باسم الله) ثم أضمر الفعل ثانيا فكأنه رأى وجوب الاستعانة بالله ثم نزل منه إلى أحوال نفسه.

المسألة الثانية: إضمار الفعل أولى أم إضمار الاسم، قال الشيخ أبو بكر **الرازي: نسق تلاوة** القرآن يدل على أن المضمر هو الفعل، وهو الأمر، لأنه تعالى قال: إياك نعبد وإياك نستعين [الفاتحة: ٤] والتقدير قولوا إياك نعبد وإياك نستعين، فكذلك قوله: بسم الله الرحمن الرحيم التقدير قولوا بسم الله، وأقول: لقائل أن يقول: بل إضمار الاسم أولى، لأنا إذا قلنا تقدير الكلام بسم الله ابتداء كل شيء كان هذا إخبارا عن كونه مبدأ في ذاته لجميع الحوادث وخالقا لجميع الكائنات، سواء قاله قائل أو لم يقله، وسواء ذكره ذاكر أو لم يذكره، ولا شك أن هذا الاحتمال أولى، وتمام الكلام فيه يجيء في بيان أن الأولى أن يقال قولوا الحمد لله أو الأولى أن يقال الحمد لله، لأنه إخبار عن كونه في نفسه مستحقا للحمد سواء قاله قائل أو لم يقله.

المسألة الثالثة: الجر يحصل بشيئين: أحدهما: بالحرف كما في قوله: «باسم» والثاني: بالإضافة كما في «الله» من قوله: «باسم الله» وأما الجر الحاصل في لفظ «الرحمن الرحيم» فإنما حصل لكون الوصف تابعا للموصوف في الإعراب، فههنا أبحاث: أحدها: أن حروف الجر لم اقتضت الجر؟ وثانيها: أن الإضافة لم اقتضت الجر؟ وثالثها: أن اقتضاء الحرف أقوى أو اقتضاء الإضافة، ورابعها: أن الإضافة على كم قسم تقع، قالوا إضافة الشيء إلى نفسه محال، فبقي أن تقع الإضافة بين الجزء والكل، أو بين الشيء والخارج عن ذات الشيء المنفصل عنه، أما القسم الأول فنحو «باب حديد، وخاتم ذهب» لأن ذلك الباب بعض الحديد وذلك الخاتم بعض الذهب، وأما القسم الثاني فكقولك: «غلام زيد» فإن المضاف إليه مغاير

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٣٨٠

للمضاف بالكلية، وأما أقسام النسب والإضافات فكأنها خارجة عن الضبط والتعديد، فإن أنواع النسب غير متناهية.

المسألة الرابعة: كون الاسم اسما للشيء نسبة بين اللفظة المخصوصة التي هي الاسم وبين الذات المخصوصة التي هي المسمى، وتلك النسبة معناها أن الناس اصطلحوا على جعل تلك اللفظة المخصوصة معرفة لذلك الشيء المخصوص، فكأنهم قالوا متى سمعتم هذه اللفظة منا فافهموا أنا أردنا بها ذلك المعنى الفلاني، فلما حصلت هذه النسبة بين الاسم وبين المسمى لا جرم صحت إضافة الاسم إلى المسمى، فهذا هو المراد من إضافة الاسم إلى الله تعالى.

المسألة الخامسة: قال أبو عبيد: ذكر الاسم في قوله: «بسم الله» صلة زائدة، والتقدير بالله قال، وإنما ذكر لفظة الاسم: إما للتبرك، وإما ليكون فرقا بينه وبين القسم، وأقول/ والمراد من قوله: «بسم الله» قوله: ابدءوا بسم الله، وكلام أبي عبيد ضعيف، لأنا لما أمرنا بالابتداء فهذا الأمر إنما يتناول فعلا من أفعالنا، وذلك الفعل هو لفظنا وقولنا، فوجب أن يكون المراد ابدأ بذكر الله، والمراد ابدأ ببسم الله، وأيضا فالفائدة فيه أنه كما." (١)

"يكذب فهو ظاهر لأن الكذب جهة صرف لا جهة دعاء، فإذا خلا عن معارض الحاجة بقي ضارا محضا فيمتنع صدور الكذب عنه، وأما أصحابنا فدليلهم أنه لو كان كاذبا لكان كذبه قديما، ولو كان كذبه قديما لامتنع زوال كذبه لامتناع العدم على القديم، ولو امتنع زوال كذبه قديما لامتنع كونه صادقا، لأن وجود أحد الضدين يمنع وجود الضد الآخر، فلو كان كاذبا لامتنع أن يصدق لكنه غير ممتنع، لا نا نعلم بالضرورة أن كل من علم شيئا فإنه لا يمتنع عليه أن يحكم عليه بحكم مطابق/ للمحكوم عليه، والعلم بهذه الصحة ضروري، فإذا كان إمكان الصدق قائما كان امتناع الكذب حاصلا لا محالة، فثبت أنه لا بد من القطع بكونه تعالى صادقا.

المسألة السابعة: استدلت المعتزلة بهذه الآية على أن كلام الله تعالى محدث، قالوا لأنه تعالى وصفه بكونه حديثا في هذه الآية وفي قوله تعالى: الله نزل أحسن الحديث [الزمر: ٢٣] والحديث هو الحادث أو المحدث، وجوابنا عنه: إنكما إنما تحكمون بحدوث الكلام الذي هو الحرف والصوت ونحن لا ننازع في حدوثه، إنما الذي ندعي قدمه شيء آخر غير هذه الحروف والأصوات، والآية لا تدل على حدوث ذلك الشيء البتة بالاتفاق منا ومنكم، فأما منا فظاهر، وأما منكم فإنكم تنكرون وجود كلام سوى هذه الحروف

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١/١٠٠

والأصوات، فكيف يمكنكم أن تقولوا بدلالة هذه الآية على حدوثه والله أعلم.

[سورة النساء (٤) : آية ٨٨]

فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (٨٨)

[في قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين] اعلم أن هذا نوع آخر من أحوال المنافقين ذكره الله تعالى، وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوها: الأول: أنها نزلت في قوم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وآله مسلمين فأقاموا بالمدينة ما شاء الله، ثم قالوا يا رسول الله: نريد أن نخرج إلى الصحراء فائذن لنا فيه، فأذن لهم، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فتكلم المؤمنون فيهم، فقال بعضهم:

لو كانوا مسلمين مثلنا لبقوا معنا وصبروا كما صبرنا وقال قوم: هم مسلمون، وليس لنا أن ننسبهم إلى الكفر إلى أن يظهر أمرهم، فبين الله تعالى نفاقهم في هذه الآية. الثاني: نزلت الآية في قوم أظهروا الإسلام بمكة، وكانوا يعينون المشركين على المسلمين فاختلف المسلمون فيهم وتشاجروا، فنزلت الآية وهو قول ابن عباس وقتادة. الثالث: نزلت الآية في الذين تخلفوا يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: لو نعلم قتالا لا تبعناكم، فاختلف أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، فمنهم فرقة يقولون كفروا، وآخرون قالوا: لم يكفروا، فنزلت هذه الآية وهو قول زيد بن ثابت، ومنهم من طعن في هذا الوجه وقال: **في/ نسق الآية** ما يقدح فيه، وإنهم من أهل مكة، وهو قوله تعالى: فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله [النساء: ٨٩] الرابع: نزلت الآية في قوم ضلوا وأخذوا أموال المسلمين وانطلقوا بها إلى اليمامة فاختلف المسلمون فيهم، فنزلت الآية وهو قول عكرمة. الخامس: هم العرنيون الذين أغاروا وقتلوا يسارا مولى الرسول صلى الله عليه وسلم. السادس: قال ابن زيد:

نزلت في أهل الإفك.

المسألة الثانية: في معنى الآية وجهان: الأول: أن «فئتين» نصب على الحال كقولك: مالك قائما، أي

مالك في حال القيام، وهذا قول سيبويه. الثاني: أنه نصب على خبر كان، والتقدير: مالكم صرتم في المنافقين." (١)

"السؤال الأول: كيف يكون كذلك، وقد كلفهم في هذه السورة بأنواع من التكاليف الشاقة التي لا يقدر على تحملها إلا الموفق من عند الله تعالى؟

قلنا: قد ضربنا لهذا المعنى مثل الطبيب الحاذق والأب المشفق، والمعنى: أنه إنما فعل بهم ذلك ليتخلصوا من العقاب المؤبد، ويفوزوا بالثواب المؤبد.

السؤال الثاني: لما قال: عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم **فهذا النسق يوجب** أن يقال: رؤوف رحيم بالمؤمنين، فلم ترك **هذا النسق وقال**: بالمؤمنين رؤف رحيم.

الجواب: أن قوله: بالمؤمنين رؤف رحيم يفيد الحصر بمعنى أنه لا رأفة ولا رحمة له إلا بالمؤمنين. فأما الكافرون فليس له عليهم رأفة ورحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين. وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط، فلهذه الدقيقة عدل على ذلك النسق.

[سورة التوبة (٩) : آية ١٢٩]

فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (١٢٩)

أما قوله: فإن تولوا يريد المشركين والمنافقين. ثم قيل: تولوا أي أعرضوا عنك. وقيل: تولوا عن طاعة الله تعالى وتصديق الرسول عليه الصلاة والسلام. وقيل: تولوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة، وقيل: تولوا عن نصرتك في الجهاد. واعلم أن/ المقصود من هذه الآية بيان أن الكفار لو أعرضوا ولم يقبلوا هذه التكاليف، لم يدخل في قلب الرسول حزن ولا أسف، لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء، وفي إيصاله إلى مقامات الآلاء والنعماء لا إله إلا هو وإذا كان لا إله إلا هو وجب أن يكون لا مبدئ لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات إلا هو، وإذا كان هو الذي أرسلني بهذه الرسالة، وأمرني بهذا التبليغ كانت النصرة عليه والمعونة مرتقبة منه.

ثم قال: عليه توكلت وهو يفيد الحصر أي لا أتوكل إلا عليه وهو رب العرش العظيم، والسبب في تخصيصه بالذكر أنه كلما كانت الآثار أعظم وأكرم، كان ظهور جلالة المؤثر في العقل والخاطر أعظم، ولما كان

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٨/١٠

أعظم الأجسام هو العرض كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه.

فإن قالوا: العرش غير محسوس فلا يعرف وجوده إلا بعد ثبوت الشريعة فكيف يمكن ذكره في معرض شرح عظمة الله تعالى؟

قلنا: وجود العرش أمر مشهور والكفار سمعوه من اليهود والنصارى، ولا يبعد أيضا أنهم كانوا قد سمعوه من أسلافهم ومن الناس من قرأ قوله: العظيم بالرفع ليكون صفة للرب سبحانه. قال أبو بكر: وهذه القراءة أعجب، لأن جعل العظيم صفة لله تعالى أولى من جعله صفة للعرش، وأيضا فإن جعلناه صفة للعرش، كان المراد من كونه عظيما كبر جرمه وعظم حجمه واتساع جوانبه على ما هو مذكور في الأخبار، وإن جعلناه صفة لله سبحانه، كان المراد من العظمة وجوب الوجود والتقديس عن الحجمية والأجزاء والأبعاض، وكمال العلم والقدرة، وكونه منزها عن أن يتمثل في الأوهام أو تصل إليه الأفهام. وقال الحسن: هاتان الآيتان آخر ما." (١)

"منه الرد على من يقول: إنه تعالى غير عالم بالجزئيات، وهو المراد من قوله: إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون [الجاثية: ٢٩] .

والوجه الثاني: في الجواب أن نجعل كلمة (إلا) في قوله: إلا في كتاب مبين استثناء منقطعا لكن بمعنى هو في كتاب مبين، وذكر أبو علي الجرجاني صاحب «النظم» عنه جوابا آخر فقال: قوله: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر هاهنا تم الكلام وانقطع ثم وقع الابتداء بكلام آخر، وهو قوله: إلا في كتاب مبين أي وهو أيضا في كتاب مبين. قال: والعرب تضع «إلا» موضع «واو النسق» كثيرا على معنى الابتداء، كقوله تعالى: لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم [النمل: ١٠] يعني ومن ظلم. وقوله: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا [البقرة: ١٥٠] يعني والذين ظلموا، وهذا الوجه في غاية التعسف.

وأجاب صاحب «الكشاف» : بوجه رابع فقال: الإشكال إنما جاء إذا عطفنا قوله: ولا أصغر من ذلك ولا أكبر على قوله: من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إما بحسب الظاهر أو بحسب المحل، لكنا لا نقول ذلك، بل نقول: الوجه في القراءة بالنصب في قوله: ولا أصغر من ذلك الحمل/ على نفي الجنس وفي القراءة بالرفع الحمل على الابتداء، وخبره قوله: في كتاب مبين وهذا الوجه اختيار الزجاج.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٩/١٦

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٦٢ الى ٦٤]

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)

[في قوله تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون] اعلم أنا بينا أن قوله تعالى: وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن [يونس: ٦١] مما يقوي قلوب المطيعين، ومما يكسر قلوب الفاسقين فأتبعه الله تعالى بشرح أحوال المخلصين الصادقين الصديقين وهو المذكور في هذه الآية. وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنا نحتاج في تفسير هذه الآية إلى أن نبين أن الولي من هو؟ ثم نبين تفسير نفي الخوف والحزن عنه فنقول: أما إن الوحي من هو؟ فيدل عليه القرآن والخبر والأثر والمعقول. أما القرآن، فهو قوله في هذه الآية: الذين آمنوا وكانوا يتقون فقوله: آمنوا إشارة إلى كمال حال القوة النظرية وقوله: وكانوا يتقون إشارة إلى كمال حال القوة العملية. وفيه قيام آخر، وهو أن يحمل الإيمان على مجموع الاعتقاد والعمل، ثم نصف الولي بأنه كان متقيا في الكل. أما التقوى في موقف العلم فلأن جلال الله أعلى من أن يحيط به عقل البشر، فالصديق إذا وصف الله سبحانه بصفة من صفات الجلال، فهو يقدس الله عن أن يكون كماله وجلاله مقتصرا على ذلك المقدار الذي عرفه ووصفه به، وإذا عبد الله تعالى فهو يقدس الله تعالى عن أن تكون الخدمة اللائقة بكبريائه متقدرة بذلك المقدار فثبت أنه أبدا يكون في مقام الخوف والتقوى. وأما الأخبار فكثيرة

روى عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» ثم قرأ هذه الآية،

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم»

قال أهل التحقيق: السبب." (١)

"أنه يستحيل أن يكون هدى في إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة، فثبت أن المطلق لا يفيد العموم.

السؤال الرابع: الهدى هو الذي بلغ في البيان والوضوح إلى حيث بين غيره، والقرآن ليس كذلك، فإن المفسرين ما يذكرون آية إلا وذكروا فيها أقوالا كثيرة متعارضة، وما يكون كذلك لا يكون مبينا في نفسه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٥/١٧

فضلا عن أن يكون مبينا لغيره، فكيف يكون هدى؟ قلنا: من تكلم في التفسير بحيث يورد الأقوال المتعارضة، ولا يرجح واحدا منها على الباقي يتوجه عليه هو هذا السؤال، وأما نحن فقد رجحنا واحدا على البواقي بالدليل فلا يتوجه علينا هذا السؤال.

المسألة الرابعة: قال صاحب «الكشاف» : محل هدى للمتقين الرفع، لأنه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع لا ريب فيه ل ذلك، أو مبتدأ إذا جعل الظرف المتقدم خبرا عنه، ويجوز أن ينصب على الحال، والعامل فيه الإشارة، أو الظرف، والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذا المجال صفحا، وأن يقال: إن قوله: الم جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، وذلك الكتاب جملة ثانية، ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض، والثانية متحدة بالأولى وهلم جرا إلى الثالثة، والرابعة.

بيانه: أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال/ فكان تقرير الجهة التحدي، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة بكماله ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله، ثم لم يخل كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق من نكتة، ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر- الذي هو هدى- موضع الوصف الذي هو هاد، وإيراده منكرا.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣]

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣)

اعلم أن فيه مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» : الذين يؤمنون إما موصول بالمتقين على أنه صفة مجرورة، أو منصوب أو مدح مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون، أو هم الذين، وإما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه ب أولئك على هدى فإذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام، وإذا كان منقطعا كان وقفا تاما.

المسألة الثانية: قال بعضهم: الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يحتمل أن يكون كالتفسير لكونهم متقين، وذلك لأن المتقي هو الذي يكون فاعلا للحسنات وتاركا للسيئات، أما الفعل

فإما أن يكون فعل القلب- وهو قوله: الذين يؤمنون- وإما أن يكون فعل الجوارح، وأساسه الصلاة والزكاة والصدقة، لأن العبادة إما أن تكون بدنية وأجلها الصلاة، أو مالية، وأجلها الزكاة، ولهذا سمى الرسول عليه السلام: «الصلاة عماد الدين، والزكاة قنطرة الإسلام»
وأما الترك فهو داخل في الصلاة لقوله تعالى: إن." (١)

"أما قوله تعالى: فنجيناه وأهله من الكرب العظيم فالمراد بالأهل هاهنا أهل دينه، وفي تفسير الكرب وجوه: أحدها: أنه العذاب النازل بالكفار وهو الغرق وهو قول أكثر المفسرين. وثانيها: أنه تكذيب قومه إياه وما لقي منهم من الأذى. وثالثها: أنه مجموع الأمرين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وهو الأقرب لأنه عليه السلام كان قد دعاهم إلى الله تعالى مدة طويلة وكان قد ينال منهم كل مكروه، وكان الغم يتزايد بسبب ذلك وعند إعلام الله تعالى إياه أنه يغرقهم وأمره باتخاذ الفلك كان أيضا على غم وخوف من حيث لم يعلم من الذي يتخلص/ من الغرق ومن الذي يغرق فأزال الله تعالى عنه الكرب العظيم بأن خلصه من جميع ذلك وخلص جميع من آمن به معه.

أما قوله تعالى: ونصرناه من القوم فقراءة أبي بن كعب ونصرناه على القوم ثم قال المبرد: تقديره ونصرناه من مكروه القوم، وقال تعالى: فمن ينصرنا من بأس الله [غافر: ٢٩] أي يعصمنا من عذابه، قال أبو عبيدة: من بمعنى على. وقال صاحب «الكشاف» : إنه نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق: اللهم انصرهم منه، أي اجعلهم منتصرين منه.

أما قوله تعالى: إنهم كانوا قوم سوء فالمعنى أنهم كانوا قوم سوء لأجل ردهم عليه وتكذيبهم له فأغرقناهم أجمعين، فبين ذلك الوجه الذي به خلصه منهم.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٧٨ الى ٨٢]

وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠) ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين (٨١) ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين (٨٢)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦٩/٢

القصة الخامسة، قصة داود وسليمان عليهما السلام

[في قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إلى قوله آتينا حكما وعلما] اعلم أن قوله تعالى: وداود وسليمان وأيوب وزكريا وذا النون، **كله نسق على** ما تقدم من قوله: ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل [الأنبياء: ٥١] ومن قوله: ولوطا آتيناه حكما وعلما [الأنبياء: ٧٤] واعلم أن المقصود ذكر نعم الله تعالى على داود وسليمان فذكر أولا النعمة المشتركة بينهما، ثم ذكر ما يختص به كل/ واحد منهما من النعم. أما النعمة المشتركة فهي القصة المذكورة وهي قصة الحكومة، ووجه النعمة فيها أن الله تعالى زينهما بالعلم. والفهم في قوله: وكلا آتينا حكما وعلما ثم في هذا تنبيه على أن العلم أفضل الكمالات وأعظمها، وذلك لأن الله تعالى قدم ذكره هاهنا على سائر النعم الجليلة مثل تسخير الجبال والطير والريح والجن. وإذا كان العلم مقدما على أمثال هذه الأشياء فما ظنك بغيرها وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن السكيت النفش أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع، وهذا قول جمهور المفسرين، وعن الحسن أنه يجوز ذلك ليلا ونهارا.." [(١)]

"وجهين: **أحدهما: النسق على** الريح، وأن يكون المعنى: ولسليمان الريح وله من يغوصون له من الشياطين، ويجوز أن يكون رفعا على الابتداء ويكون له هو الخبر.

المسألة الثالثة: يحتمل أن يكون من يغوص منهم هو الذي يعمل سائر الأعمال، ويحتمل أنهم فرقة أخرى ويكون الكل داخلين في لفظة من وإن كان الأول هو الأقرب.

المسألة الرابعة: ليس في الظاهر إلا أنه سخرهم، لكنه

قد روي أنه تعالى سخر كفارهم دون المؤمنين

وهو الأقرب من وجهين: أحدهما: إطلاق لفظ الشياطين. والثاني: قوله: وكنا لهم حافظين فإن المؤمن إذا سخر في أمر لا يجب أن يحفظ لئلا يفسد، وإنما يجب ذلك في الكافر.

المسألة الخامسة: في تفسير قوله: وكنا لهم حافظين وجوه: أحدها: أنه تعالى وكل بهم جمعا من الملائكة أو جمعا من مؤمني الجن. وثانيها: سخرهم الله تعالى بأن حبب إليهم طاعته وخوفهم من مخالفته.

وثالثها: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد وسلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء، فإن قيل وعن أي شيء كانوا محفوظين قلنا فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه تعالى كان يحفظهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوه. وثانيها

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٣/٢٢

قال الكلبي كان يحفظهم من أن يهيجوا أحدا في زمانه. وثالثها: كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا فكان دأبهم أنهم يعملون بالنهار ثم يفسدونه في الليل.

المسألة السادسة: سأل الجبائي نفسه، وقال: كيف يتهيأ لهم هذه الأعمال وأجسامهم رقيقة لا يقدرون على عمل الثقيل، وإنما يمكنهم الوسوسة؟ وأجاب بأنه سبحانه كثف أجسامهم خاصة وقواهم وزاد في عظمهم ليكون ذلك معجزا لسليمان عليه السلام، فلما مات سليمان ردهم الله إلى الخلقة الأولى لأنه لو بقاهم على الخلقة الثانية لصار شبهة على الناس، ولو ادعى متنبى النبوة وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل فلذا ردهم إلى خلقتهم الأولى، واعلم أن هذا الكلام ساقط من وجوه: أحدها: لم قلت إن الجن من الأجسام، ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز ويكون الجن منهم؟ فإن قلت: لو كان الأمر كذلك لكان مثلا للباري تعالى، قلت: هذا ضعيف لأن الاشتراك في اللوازم الثبوتية لا يدل على الاشتراك في الملزومات فكيف اللوازم السلبية، سلمنا أنه جسم، لكن لا يجوز حصول القدرة على هذه الأعمال الشاقة في الجسم اللطيف، وكلامه بناء على البنية شرط وليس في يده إلا الاستقراء الضعيف. سلمنا أنه لا بد من تكثيف أجسامهم لكن لم قلت بأنه لا بد من ردها إلى الخلقة الأولى بعد موت سليمان عليه السلام، فإن قال: لئلا يفضي إلى التلبيس/ قلنا التلبيس غير لازم، لأن المتنبي إذا جعل ذلك معجزة لنفسه فللمدعي أن يقول: لم لا يجوز أن يقال إن قوة أجسادهم كانت معجزة لنبي آخر قبلك، ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبي من الاستدلال به، واعلم أن أجسام هذا العالم إما كثيفة أو لطيفة، أما الكثيف فأكثف الأجسام الحجارة والحديد وقد جعلهما الله تعالى معجزة لداود عليه السلام، فأنطق الحجر ولين الحديد وكل واحد منهما كما يدل على التوحيد والنبوة يدل على صحة الحشر، لأنه لما قدر على إحياء الحجارة فأي بعد في إحياء العظام الرميمة، وإذا قدر على أن يجعل في إصبع داود عليه السلام قوة النار مع كون الإصبع في نهاية اللطافة، فأي بعد في أن يجعل التراب اليابس جسما حيوانيا، وألطف الأشياء في هذا العالم الهواء والنار، وقد جعلهما الله معجزة لسليمان عليه السلام، أما الهواء فقوله تعالى: فسخرنا له الريح وأما النار فلأن الشياطين مخلوقون منها وقد سخرهم الله تعالى فكان يأمرهم." (١)

"المسألة السادسة: قال الزمخشري المكر لا يتعدى فبم انتصاب السيئات؟ وقال بأن معناه الذين يمكرون المكرات السيئات فهو وصف مصدر محذوف، ويحتمل أن يقال استعمل المكر استعمال العمل فعداه تعديته كما قال: الذين يعملون السيئات [العنكبوت: ٤] وفي قوله: الذين يعملون السيئات يحتمل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٠/٢٢

ما ذكرناه أن يكون السيئات وصفا لمصدر تقديره الذين يعملون العملات السيئات، وعلى هذا فيكون هذا في مقابلة قوله:
والعمل الصالح يرفعه إشارة إلى بقائه وارتقائه ومكر أولئك أي العمل السيء وهو يبور إشارة إلى فنائه. ثم قال تعالى:

[سورة فاطر (٣٥) : آية ١١]
والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (١١)
قد ذكرنا مرارا أن الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصور منحصرة في قسمين دلائل الآفاق ودلائل الأنفس، كما قال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم [فصلت: ٥٣] فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات وما يرسل منها من الملائكة والأرض وما يرسل فيها من الرياح شرع/ في دلائل الأنفس، وقد ذكرنا تفسيره مرارا وذكرنا ما قيل من أن قوله: من تراب إشارة إلى خلق آدم ثم من نطفة إشارة خلق أولاده، وبينا أن الكلام غير محتاج إلى هذا التأويل بل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم كلهم من تراب ومن نطفة لأن كلهم من نطفة والنطفة من غذاء، والغذاء بالآخرة ينتهي إلى الماء والتراب، فهو من تراب صار نطفة.
وقوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع إشارة إلى كمال العلم، فإن ما في الأرحام قبل الانخلاق بل بعده ما دام في البطن لا يعلم حاله أحد، كيف والأم الحاملة لا تعلم منه شيئا، فلما ذكر بقوله: خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه كمال علمه ثم بين نفوذ إرادته بقوله: وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب فبين أنه هو القادر العالم المريد والأصنام لا قدرة لها ولا علم ولا إرادة، فكيف يستحق شيء منها العبادة، وقوله: إن ذلك على الله يسير أي الخلق من التراب ويحتمل أن يكون المراد التعمير والنقصان على الله يسير، ويحتمل أن يكون المراد أن العلم بما تحمله الأنثى يسير والكل على الله يسير والأول أشبه فإن اليسير استعماله في الفعل أليق. ثم قال تعالى:

[سورة فاطر (٣٥) : آية ١٢]
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢)

قال أكثر المفسرين: إن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع كما لا يشبه البحران العذب الفرات والملح الأجاج. ثم على هذا، فقوله: ومن كل تأكلون لحما طريا لبيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين لأن الأجاج يشارك الفرات في خير ونفع إذ اللحم الطري يوجد فيهما والحلية توجد منهما والفلك تجري فيهما، ولا نفع في الكفر والكافر، وهذا **على نسق قوله** تعالى: أولئك كالأنعام بل هم أضل [الأعراف: ١٧٩] وقوله: كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار [البقرة: ٧٤] والأظهر أن." (١)

"جوابه فقتلوه الثالث: لعلهم كانوا يحتالون في منعه من قتله، لأجل أن يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب أولئك الأقوام، فإن من شأن الأمراء أن يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا آمنين من شر ذلك الملك.

والاحتمال الثاني: أن أحدا ما منع فرعون من قتل موسى وأنه كان يريد أن يقتله إلا أنه كان خائفا من أنه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة تمنعه عن قتله فيفتضح إلا أنه لوقاحته قال: ذروني أقتل موسى وغرضه منه أنه إنما امتنع عن قتله رعاية لقلوب أصحابه وغرضه منه إخفاء خوفه.

أما قوله وليدع ربه فإنما ذكره على سبيل الاستهزاء يعني أني أقتله فليقل لربه حتى يخلصه مني.

وأما قوله إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد ففيه مسائل:

المسألة الأولى: فتح ابن كثير الياء من قوله ذروني وفتح نافع وابن كثير وأبو عمرو/ الياء من إني أخاف وأيضا قرأ نافع وابن عمرو وأن يظهر بالواو وبحذف أو، يعني أنه يجمع بين تبديل الدين وبين إظهار المفاسد، والذين قرءوا بصيغة أو فمعناه أنه لا بد من وقوع أحد الأمرين وقرئ يظهر بضم الياء وكسر الهاء والفساد بالنصب على التعدية، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بلفظ أو يظهر بفتح الياء والهاء والفساد بالرفع، أما وجه القراءة الأولى فهو أنه أسند الفعل إلى موسى في قوله يبدل فكذلك في يظهر ليكون الكلام **على نسق واحد**، وأما وجه القراءة الثانية فهو أنه إذا بدل الدين فقد ظهر الفساد الحاصل بسبب ذلك التبديل.

المسألة الثانية: المقصود من هذا الكلام بيان السبب الموجب لقتله وهو أن وجوده يوجب إما فساد الدين أو فساد الدنيا، أما فساد الدين فلأن القوم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو الذي كانوا عليه، فلما كان موسى

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٧/٢٦

ساعيا في إفساده كان في اعتقادهم أنه ساع في إفساد الدين الحق وأما فساد الدنيا فهو أنه لا بد وأن يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات وإثارة الفتن، ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال: إني أخاف أن يبدل دينكم ثم أتبعه بذكر فساد الدنيا فقال: أو أن يظهر في الأرض الفساد.

واعلم أنه تعالى لما حكى عن فرعون هذا الكلام حكى بعده ما ذكره موسى عليه السلام فحكى عنه أنه قال: إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: قرأ نافع وأبو بكر وحمزة والكسائي عذت بإدغام الذال في التاء والباقون بالإظهار.

المسألة الثانية: المعنى أنه لم يأت في دفع شره إلا بأن استعاذ بالله، واعتمد على فضل الله لا جرم صانه الله عن كل بلية وأوصله إلى كل أمنية، وعلم أن هذه الكلمات التي ذكرها موسى عليه السلام تشتمل على فوائد:

الفائدة الأولى: أن لفظة إني تدل على التأكيد فهذا يدل على أن الطريق المؤكد المعتبر في دفع الشرور والآفات عن النفس الاعتماد على الله والتوكل على عصمة الله تعالى.

الفائدة الثانية: أنه قال: إني عذت بربي وربكم فكما أن عند القراءة يقول المسلم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فالله تعالى يصون دينه وإخلاصه عن وساوس شياطين الجن، فكذلك عند توجه الآفات." (١)

"ثم قال المدة التي فيها تتم خلقة الجنين تنقسم إلى أقسام فأولها: أن الرحم إذا اشتملت على المني ولم تقذفه إلى الخارج استدار المني على نفسه منحصرا إلى ذاته وصار كالكرة، ولما كان من شأن المني أن يفسده الحركات، لا جرم يثخن في هذا الوقت وبالحري أن خلق المني من مادة تجف/ بالحر إذا كان الغرض منه تكون الحيوان واستحصاف أجزائه ويصير المني زبدا في اليوم السادس وثانيها: ظهور النقط الثلاثة الدموية فيه إحداها: في الوسط وهو الموضع الذي إذا تمت خلقته كان قلبا والثاني: فوق وهو الدماغ والثالث: على اليمين وهو الكبد، ثم إن تلك النقط تتباعد ويظهر فيما بينها خيوط حمر، وذلك يحصل بعد ثلاثة أيام أخرى فيكون المجموع تسعة أيام وثالثها: أن تنفذ الدموية في الجميع فيصير علقة وذلك بعد ستة أيام أخرى حتى يصير المجموع خمسة عشر يوما ورابعها: أن يصير لحما وقد تميزت الأعضاء الثلاثة، وامتدت رطوبة النخاع، وذلك إنما يتم باثني عشر يوما فيكون المجموع سبعة وعشرين يوما وخامسها: أن ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف عن الضلوع والبطن يميز الحسن في بعض ويخفى في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧/٥٠٧

بعض وذلك يتم في تسعة أيام أخرى فيكون المجموع ستة وثلاثين يوما وسادسها: أن يتم انفصال هذه الأعضاء بعضها عن بعض ويصير بحيث يظهر ذلك الحس ظهورا بينا، وذلك يتم في أربعة أيام أخرى فيكون المجموع أربعين يوما وقد يتأخر إلى خمسة وأربعين يوما قال والأقل هو الثلاثون، فصارت هذه التجارب الطبية مطابقة لما أخبر عنه الصادق المصدوق

في قوله صلى الله عليه وسلم: «يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما»

قال أصحاب التجارب إن السقط بعد الأربعين إذا شق عنه السلالة ووضع في الماء البارد ظهر شيء صغير متميز الأطراف.

المسألة الثالثة: هذه الآية دلت على أقل الحمل وعلى أكثر مدة الرضاع، أما إنها تدل على أقل مدة الحمل فقد بيناه، وأما إنه، تدل على أكثر مدة الرضاع فلقوله تعالى: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة

[البقرة: ٢٣٣] والفقهاء ربطوا بهذين الضابطين أحكاما كثيرة في الفقه، وأيضا فإذا ثبت أن أقل مدة الحمل هو الأشهر الستة، فبتقدير أن تأتي المرأة بالولد في هذه الأشهر يبقى جانبها مصونا عن تهمة الزنا والفاحشة وبتقدير أن يكون أكثر مدة الرضاع ما ذكرناه، فإذا حصل الرضاع بعد هذه المدة لا يترتب عليها أحكام الرضاع فتبقى المرأة مستورة عن الأجانب، وعند هذا يظهر أن المقصود من تقدير أقل الحمل ستة أشهر وتقدير أكثر الرضاع حولين كاملين السعي في دفع المضار والفواحش وأنواع التهمة عن المرأة، فسبحان من له تحت كل كلمة من هذا الكتاب الكريم أسرار عجيبة ونفائس لطيفة، تعجز العقول عن الإحاطة بكمالها.

وروى الواحدي في «البسيط» عن عكرمة أنه قال إذا حملت تسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا، وإذا حملت ستة أشهر أرضعته أربعة وعشرين شهرا، والصحيح ما قدمناه.

ثم قال تعالى: حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اختلف المفسرون في تفسير الأشد، قال ابن عباس في رواية عطاء يريد ثماني عشرة سنة والأكثرون من المفسرين على أنه ثلاثة وثلاثون سنة، واحتج الفراء عليه/ بأن قال إن الأربعين أقرب **في النسق إلى** ثلاث وثلاثين منها إلى ثمانية عشر، ألا ترى أنك تقول أخذت عامة المال أو كله، فيكون

أحسن من قولك أخذت أقل المال أو كله، ومثله قوله تعالى: إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه." [1]

"[سورة الملك (٦٧) : آية ٢٠]

أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور (٢٠)

اعلم أنه الكافرين كانوا يمتنعون عن الإيمان، ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان تعويلهم على شيئين أحدهما: القوة التي كانت حاصلة لهم بسبب مالهم وجندهم والثاني: أنهم كانوا يقولون: هذه الأوثان، توصل إلينا جميع الخيرات، وتدفع عنا كل الآفات وقد أبطل الله عليهم كل واحد من هذين الوجهين، أما الأول فبقوله: أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن **وهذا نسق على** قوله: أم أمنتم من في السماء [الملك: ١٧] والمعنى أم من يشار إليه من المجموع، ويقال: هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله إن أرسل عذابه عليكم، ثم قال: إن الكافرون إلا في غرور أي من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم.

[سورة الملك (٦٧) : آية ٢١]

أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور (٢١)

أما الثاني فهو قوله: أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه.

والمعنى: من الذي يرزقكم من آلهتكم إن أمسك الله الرزق عنكم، وهذا أيضا مما لا ينكره ذو عقل، وهذا أنه تعالى لو أمسك أسباب الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق سواه فعند وضوح هذا الأمر قال تعالى: بل لجوا في عتو ونفور والمراد أصروا وتشددوا مع وضوح الحق، في عتو أي في تمرد وتكبر ونفور، أي تباعد عن الحق وإعراض عنه فالعتو بسبب حرصهم على الدنيا وهو إشارة إلى فساد القوة العملية، والنفور بسبب جهلهم، وهذا إشارة إلى فساد القوة النظرية.

واعلم أنه تعالى لما وصفهم بالعتو والنفور، نبه على ما يدل على قبح هذين الوصفين. فقال تعالى:

[سورة الملك (٦٧) : آية ٢٢]

أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم (٢٢)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦/٢٨

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال الواحدي: أكب مطاوع كبه، يقال: كببته فأكب ونظيره قشعت/ الريح السحاب فأقشع، قال صاحب «الكشاف» : ليس الأمر كذلك، و (جاء) «١» شيء من بناء أفعل مطاوعا، بل قولك: أكب معناه دخل في الكب وصار ذا كب، وكذلك أقشع السحاب دخل في القشع، وأنفض أي دخل في النفض، وهو نفض الوعاء فصار عبارة عن الفقر وألام دخل في اللوم، وأما مطاوع كب وقشع فهو انكب وانقشع.

المسألة الثانية: ذكروا في تفسير قوله: يمشي مكبا على وجهه وجوها: أحدها: معناه أن الذي يمشي في مكان غير مستو بل فيه ارتفاع وانخفاض فيعثر كل ساعة ويخر على وجهه مكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا أي قائما سالما من العثور والخرور وثانيها: أن المتعسف الذي يمشي هكذا وهكذا على الجهالة والحيرة لا يكون كمن يمشي إلى جهة معلومة مع العلم واليقين وثالثها: أن الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق فيتعسف ولا يزال ينكب على وجهه لا يكون كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المعلوم، ثم اختلفوا

---

(١) ففي الكشاف للزمخشري (لا) ٤/ ١٣٩ ط. دار الفكر.." [1]

"[سورة العلق (٩٦) : آية ٥]

علم الإنسان ما لم يعلم (٥)

فيحتمل أن يكون المراد علمه بالقلم وعلمه أيضا غير ذلك ولم يذكر واو النسق، وقد يجري مثل هذا في الكلام تقول: أكرمتك أحسنت إليك ملكتك الأموال وليتك الولايات، ويحتمل أن يكون المراد من اللفظين واحدا ويكون المعنى: علم الإنسان بالقلم ما لم يعلمه، فيكون قوله: علم الإنسان ما لم يعلم بيانا لقوله: علم بالقلم [العلق: ٤] .

[سورة العلق (٩٦) : آية ٦]

كلا إن الإنسان ليطغى (٦)

وفيه مسائل:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٩٤/٣٠

المسألة الأولى: أكثر المفسرين على أن المراد من الإنسان هاهنا إنسان واحد وهو أبو جهل، ثم منهم من قال: نزلت السورة من هاهنا إلى آخرها في أبي جهل. وقيل: نزلت من قوله: أرأيت الذي ينهى عبدا [العلق: ٩] إلى آخر السورة في أبي جهل.

قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ فزجره النبي صلى الله عليه وسلم، فقال/ أبو جهل: والله إنك لتعلم أني أكثر أهل الوادي ناديا، فأنزل الله تعالى: فليدع ناديه سندع الزبانية [العلق: ١٧، ١٨]

قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله، فكأنه تعالى لما عرفه أنه مخلوق من علق فلا يليق به التكبر، فهو عند ذلك ازداد طغيانا وتعززا بماله ورئاسته في مكة. ويروى أنه قال: ليس بمكة أكرم مني. ولعله لعنه الله قال ذلك ردا لقوله: وربك الأكرم [العلق: ٣] ثم القائلون بهذا القول منهم من زعم أنه ليست هذه السورة من أوائل ما نزل ومنهم من قال: يحتمل أن يكون خمس آيات من أول السورة نزلت أولا، ثم نزلت البقية بعد ذلك في شأن أبي جهل، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك إلى أول السورة، لأن تأليف الآيات إنما كان يأمر الله تعالى، ألا ترى أن قوله تعالى:

واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله [البقرة: ٢٨١] آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم إلى ما نزل قبله بزمان طويل القول الثاني: أن المراد من الإنسان المذكور في هذه الآية جملة الإنسان، والقول الأول وإن كان أظهر بحسب الروايات، إلا أن هذا القول أقرب بحسب الظاهر، لأنه تعالى بين أن الله سبحانه مع أنه خلقه من علقة، وأنعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها، إذ أغناه، وزاد في النعمة عليه فإنه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس، وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة، ثم إنه تعالى أكد هذا الزجر بقوله: إن إلى ربك الرجعى

[العلق: ٨] أي إلى حيث لا مالك سواه، فتقع المحاسبة على ما كان منه من العمل والمؤاخذة بحسب ذلك.

المسألة الثانية: قوله: كلا فيه وجوه أحدها: أنه ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه وثانيها: قال مقاتل: كلا لا يعلم الإنسان أن الله هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل، وذلك لأنه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر، ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه

الأحوال ولا يتأمل فيها وثالثها: ذكر الجرجاني صاحب «النظم» أن كلا هاهنا بمعنى حقا لأنه ليس قبله ولا بعده شيء." (١)

"المساكين، ثم على **هذا النسق وثالثها**: أن ذا القربى مسكين، وله صفة زائدة تخصه لأن شدة الحاجة فيه تغمه وتؤذي قلبه، ودفع الضرر عن النفس مقدم على دفع الضرر عن الغير، فلذلك بدأ الله تعالى بذي القربى، ثم باليتامى، وأخر المساكين لأن الغم الحاصل بسبب عجز الصغار عن الطعام والشراب أشد من الغم الحاصل بسبب عجز الكبار عن تحصيلهما فأما ابن السبيل فقد يكون غنيا، وقد تشتد حاجته في الوقت، والسائل قد يكون غنيا ويظهر شدة الحاجة وأخر المكاتب لأن إزالة الرق ليست في محل الحاجة الشديدة.

القول الثاني: أن المراد بإيتاء الماء ما

روي أنه عليه الصلاة والسلام عند ذكره للإبل قال: «إن فيها حقا»

هو إطراق فحلها وإعارة ذلولها، وهذا بعيد لأن الحاجة إلى إطراق الفحل أمر لا يختص به ابن السبيل والسائل والمكاتب.

القول الثالث: أن إيتاء المال إلى هؤلاء كان واجبا، ثم إنه صار منسوخا بالزكاة، وهذا/ أيض ا ضعيف لأنه تعالى جمع في هذه الآية بين هذا الإيتاء وبين الزكاة.

المسألة الثالثة: أما ذوو القربى فمن الناس من حمل ذلك على المذكور في آية النفل والغنيمة والأكثرون من المفسرين على ذوي القربى للمعطين، وهو الصحيح لأنهم به أخص، ونظيره قوله تعالى: ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى [النور: ٢٢] واعلم أن ذوي القربى هم الذين يقربون منه بولادة الأبوين أو بولادة الجدين، فلا وجه لقصر ذلك على ذوي الرحم المحرم على ما حكي عن قوم لأن المحرمية حكم شرعي أما القرابة فهي لفظة لغوية موضوعة للقرابة في النسب وإن كان من يختص بذلك يتفاضل ويتفاوت في القرب والبعد، أما اليتامى ففي الناس من حمله على ذوي اليتامى، قال: لأنه لا يحسن من المتصدق أن يدفع المال إلى اليتيم الذي لا يميز ولا يعرف وجوه منافعه، فإنه متى فعل ذلك يكون مخطئا بل إذا كان اليتيم مراهقا عارفا بمواقع حظه، وتكون الصدقة من باب ما يؤكل ويلبس ولا يخفى على اليتيم وجه الانتفاع به جاز دفعها إليه، هذا كله على قول من قال: اليتيم هو الذي لا أب له مع الصغر، وعند أصحابنا هذا الاسم قد يقع على الصغر وعلى البالغ والحجة فيه قوله تعالى:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٩/٣٢

وآتوا اليتامى أموالهم [النساء: ٢٠] ومعلوم أنهم لا يؤتون المال إلا إذا بلغوا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى:

يتيم أبي طالب بعد بلوغه، فعلى هذا إن كان اليتيم بالغا دفع المال إليه، وإلا فيدفع إلى وليه، وأما المساكين ففيه خلاف سنذكره إن شاء الله تعالى في سورة التوبة والذي نقوله هنا: إن المساكين أهل الحاجة، ثم هم ضربان منهم من يكف عن السؤال وهو المراد هاهنا، ومنهم من يسأل وينبسط وهو المراد بقوله: والسائلين وإنما فرق تعالى بينهما من حيث يظهر على المسكين المسكنة مما يظهر من حاله، وليس كذلك السائل لأنه بمسألته يعرف فقره وحاجته، وأما ابن السبيل فروي عن مجاهد أنه المسافر، وعن قتادة أنه الضيف لأنه إنما وصل إليك من السبيل، والأول أشبه لأن السبيل للطريق وجعل المسافر ابنا له للزومه إياه كما يقال لطير الماء: ابن الماء ويقال للرجل الذي أتت عليه السنون: ابن الأيام. وللشجعان: بنو الحرب. وللناس: بنو الزمان. قال ذو الرمة:

وردت عشاء والثريا كأنها ... على قمة الرأس ابن ماء ملحق

وأما قوله: والسائلين فعنى به الطالبين، ومن جعل الآية في غير الزكاة أدخل في هذه الآية المسلم." (١)

"القول الأول: إن هذه الآية تقتضي أن لا يكون القصاص مشروعا إلا بين الحرين وبين العبدين وبين الأنثيين.

واحتجوا عليه بوجوه الأول: أن الألف واللام في قوله: الحر تفيد العموم فقوله: الحر بالحر يفيد أن يقتل كل حر بالحر، فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا لا بالحر وذلك ينافي إيجاب أن يكون كل حر مقتولا بالحر الثاني: أن الباء من حروف الجر فيكون متعلقا لا محالة بفعل، فيكون التقدير: الحر يقتل بالحر والمبتدأ لا يكون أعم من الخبر، بل إما أن يكون مساويا له أو أخص منه، وعلى التقديرين فهذا يقتضي أن يكون كل حر مقتولا بالحر وذلك ينافي كون حر مقتولا بالعبد الثالث: وهو أنه تعالى أوجب في أول الآية رعاية المماثلة وهو قوله: كتب عليكم القصاص في القتلى فلما ذكر عقيبه قوله: الحر بالحر والعبد بالعبد دل ذلك على أن رعاية التسوية في الحرية والعبدية معتبرة، لأن قوله: الحر بالحر والعبد بالعبد خرج مخرج التفسير لقوله: كتب عليكم القصاص في القتلى وإيجاب القصاص على الحر بقتل العبد إهمال لرعاية التسوية في هذا المعنى، فوجب أن لا يكون مشروعا فإن احتج الخصم بقوله تعالى: وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس [المائدة: ٤٥] فجوابنا أن الترجيح معنا لوجهين أحدهما: أن قوله: وكتبنا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢١٧/٥

عليهم فيها أن النفس بالنفس شرع لمن قبلنا، والآية التي تمسكنا بها شرع لنا ولا شك أن شرعنا أقوى في الدلالة من شرع من قبلنا وثانيهما: أن الآية التي تمسكنا بها مشتملة على أحكام النفوس على التفصيل والتخصيص، ولا شك أن الخاص مقدم على العام، ثم قال أصحاب هذا القول مقتضى ظاهر هذه الآية أن لا يقتل العبد إلا بالعبد، وأن لا تقتل الأنثى إلا بالأنثى، إلا أنا خالفنا هذا الظاهر لدلالة الاجتماع، وللمعنى المستنبط **من نسق هذه** الآية، وذلك المعنى غير موجود في قتل الحر بالعبد، فوجب أن يبقى هاهنا على ظاهر اللفظ، أما الإجماع فظاهر، وأما المعنى المستنبط فهو أنه لما قتل العبد بالعبد فلأن يقتل بالحر وهو فوقه كان أولى، بخلاف الحر فإنه لما قتل بالحر لا يلزم أن يقتل بالعبد الذي هو دونه، وكذا القول في قتل الأنثى بالذكر، فأما قتل الذكر بالأنثى فليس فيه إلا الإجماع والله أعلم.

القول الثاني: أن قوله تعالى: الحر بالحر لا يفيد الحصر البتة، بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير أن يكون فيه دلالة على سائر الأقسام، واحتجوا عليه بوجهين الأول: أن قوله: والأنثى بالأنثى يقتضي قصاص المرأة الحرة بالمرأة الرقيقة، فلو كان قوله: الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك لوقع التناقض الثاني: أن قوله تعالى: كتب عليكم القصاص في القتلى جملة تامة مستقلة بنفسها وقوله: الحر بالحر تخصيص لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر وإذا تقدم/ ذكر الجملة المستقلة كان تخصيص بعض الجزئيات بالذكر لا يمتنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات بل ذلك التخصيص يمكن أن يكون لفوائد سوى نفي الحكم عن سائر الصور، ثم اختلفوا في تلك الفائدة فذكروا فيها وجهين الأول: وهو الذي عليه الأكثرون أن تلك الفائدة بيان إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية على ما روينا في سبب نزول هذه الآية أنهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل، ففائدة التخصيص زجرهم عن ذلك.

واعلم أن للقائلين بالقول الأول أن يقولوا قوله تعالى: كتب عليكم القصاص في القتلى هذا يمنع من جواز قتل الحر بالعبد لأن القصاص عبارة عن المساواة، وقتل الحر بالعبد لم يحصل فيه رعاية المساواة لأنه." (١)

"ثم قال: لا تضار والدة بولدها وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع والباقون بالفتح، أما الرفع فقال الكسائي والفراء **إنه نسق على** قوله: لا تكلف قال علي بن عيسى: هذا غلط **لأن النسق بلا** إنما هو إخراج الثاني مما دخل فيه الأول نحو: ضربت زيدا لا عمرا فأما أن يقال: يقوم زيد لا يقعد عمرو، فهو غير

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٤/٥

جائز على النسق، بل الصواب أنه مرفوع على الاستئناف في النهي كما يقال: لا يضرب زيد لا تقتل عمرا وأما النصب فعلى النهي، والأصل لا تضار فأدغمت/ الراء الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين، يقال:
يضارر رجل زيدا، وذلك لأن أصل الكلمة التضعيف، فأدغمت إحدى الراءين في الأخرى، فصار لا تضار، كما تقول: لا تردد ثم تدغم فتقول: لا ترد بالفتح قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه [المائدة: ٥٤] وقرأ الحسن: لا تضار بالكسر وهو جائز في اللغة، وقرأ أبان عن عاصم (لا تضارر) مطهرة الراء مكسورة على أن الفعل لها.
المسألة الثانية: قوله: لا تضار يحتمل وجهين كلاهما جائز في اللغة، وإنما احتمل الوجهين نظرا لحال الإدغام الواقع في تضار أحدهما: أن يكون أصله لا تضار بكسر الراء الأولى، وعلى هذا الوجه تكون المرأة هي الفاعلة للضرار والثاني: أن يكون أصله لا تضارر بفتح الراء الأولى فتكون المرأة هي المفعولة بها الضرار، وعلى الوجه الأول يكون المعنى: لا تفعل الأم الضرار بالأب بسبب إيصال الضرار إلى الولد، وذلك بأن تمتنع المرأة من إرضاعه مع أن الأب ما امتنع عليها في النفقة من الرزق والكسوة، فتلقي الولد عليه، وعلى الوجه الثاني معناه: لا تضارر، أي لا يفعل الأب الضرار بالأم فينزع الولد منها مع رغبتها في إمساكها وشدة محبتها له، وقوله: ولا مولود له بولده أي: ولا تفعل الأم الضرار بالأب بأن تلقي الولد عليه، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو أن يغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد.
فإن قيل: لم قال تضار والفعل لواحد؟.
قلنا لوجوه أحدها: أن معناه المبالغة، فإن إيذاء من يؤذيك أقوى من إيذاء من لا يؤذيك والثاني: لا يضار الأم والأب بأن لا ترضع الأم أو يمنعها الأب وينزعه منها والثالث: أن المقصود لكل واحد منهما بإضرار الولد إضرار الآخر، فكان ذلك في الحقيقة مضارة.
المسألة الثالثة: قوله: لا تضار والدة بولدها وإن كان خبرا في الظاهر، لكن المراد منه النهي، وهو يتناول إساءتها إلى الولد بترك الرضاع، وترك التعهد والحفظ.
وقوله: ولا مولود له بولده يتناول كل المضار، وذلك بأن يمنع الوالدة أن ترضعه وهي به أرأف وقد يكون بأن يضيق عليها النفقة والكسوة أو بأن يسيء العشرة فيحملها ذلك على إضرارها بالولد، فكل ذلك داخل في هذا النهي والله أعلم.
أما قوله تعالى: وعلى الوارث مثل ذلك فاعلم أنه لما تقدم ذكر الولد وذكر الوالد وذكر الوالدات احتمل في

الوارث أن يكون مضافا إلى واحد من هؤلاء، والعلماء لم يدعوا وجها يمكن القول به إلا وقال به بعضهم.." (١)

"وأما القيد الثاني: وهو قوله ربنا ففيه فوائد أولها: ربيتني حين ما لم أذكرك بالتوحيد، فكيف يليق بكرمك أن لا تربيني عند ما أفنيت عمري في توحيدك وثانيها: ربيتني حين كنت معدوما، ولو لم تربني في ذلك الوقت لما تضررت به، لأني كنت أبقى حينئذ في العدم، وأما الآن فلو لم تربني وقعت في الضرر الشديد، فأسألك أن لا تهملي وثالثها: ربيتني في الماضي فاجعل لي في الماضي شفيعي إليك في أن تربيني في المستقبل ورابعها: ربيتني في الماضي فإتمام المعروف خير من ابتدائه، فتمم هذه التربية بفضلك ورحمتك.

ثم قال الله تعالى: وإليك المصير وفيه فائدتان إحداهما: بيان أنهم كما أقروا بالمبدأ فكذلك أقروا بالمعاد، لأن الإيمان بالمبدأ أصل الإيمان بالمعاد، فإن من أقر أن الله عالم بالجزئيات، وقادر على كل الممكنات، لا بد وأن يقر بالمعاد والثانية: بيان أن العبد متى علم أنه لا بد من المصير إليه، والذهاب إلى حيث لا حكم إلا حكم الله، ولا يستطيع أحد أن يشفع إلا بإذن الله، كان إخلاصه في الطاعات أتم، واحترازه عن السيئات أكمل، وهاهنا آخر ما شرح الله تعالى من إيمان المؤمنين.

[سورة البقرة (٢) : آية ٢٨٦]

لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (٢٨٦)

قوله تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا/ إن نسينا أو أخطأنا اعلم أن في الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله ويحتمل أن يكون حكاية عن الرسول والمؤمنين على نسق الكلام في قوله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير [البقرة: ٢٨٥] وقالوا لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ويؤيد ذلك ما أردفه من قوله ربنا لا تؤاخذنا فكأنه تعالى حكى عنهم طريقتهم في التمسك بالإيمان والعمل الصالح وحكى عنهم في جملة ذلك أنهم وصفوا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٢/٦

ربهم بأنه لا يكلف نفسا إلا وسعها.

المسألة الثانية: في كيفية النظم: إن قلنا إن هذا من كلام المؤمنين فوجه النظم أنهم لما قالوا سمعنا وأطعنا فكأنهم قالوا: كيف لا نسمع ولا نطيع، وأنه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا، فإذا كان هو تعالى بحكم الرحمة الإلهية لا يطالبنا إلا بالشيء السهل الهين، فكذلك نحن بحكم العبودية وجب أن نكون سامعين مطيعين، وإن قلنا: إن هذا من كلام الله تعالى فوجه النظم أنهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم قالوا بعده غفرانك ربنا دل ذلك على أن قولهم غفرانك طلبا للمغفرة فيما يصدر عنهم من وجوه التقصير منهم على سبيل العمد فلما كان قولهم: غفرانك طلبا للمغفرة في ذلك التقصير، لا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك وقال: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها والمعنى أنكم إذا سمعتم وأطعتم، وما تعمدتم التقصير، فعند ذلك لو وقع منكم نوع تقصير على سبيل السهو والغفلة فلا تكونوا خائفين منه فإن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وبالجملة فهذا إجابة لهم في دعائهم في قولهم غفرانك ربنا.." (١)

"وأما ما دل على أنه بكليته متشابه، فهو قوله تعالى: كتابا متشابها مثاني [الزمر: ٢٣] والمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا [النساء: ٨٢] أي لكان بعضه واردا على نقيض الآخر، **ولتفاوت نسق الكلام** في الفصاحة والركاكة.

وأما ما دل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه، فهو هذه الآية التي نحن في تفسيرها، ولا بد لنا من تفسير المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة، ثم من تفسيرهما في عرف الشريعة: أما المحكم فالعرب تقول:

حاكمت وحكمت وأحكمت بمعنى رددت، ومنعت، والحاكم يمنع الظالم عن الظلم وحكمة اللجام التي هي تمنع الفرس عن الاضطراب، وفي حديث النخعي: أحكم اليتيم كما تحكم ولدك أي امنعه عن الفساد، وقال جرير: أحكموا سفهاءكم، أي امنعوهم، وبناء محكم أي وثيق يمنع من تعرض له، وسميت الحكمة حكمة لأنها تمنع عما لا ينبغي، وأما المتشابه فهو أن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز، قال الله تعالى: إن البقر تشابه علينا [البقرة: ٧٠] وقال في وصف ثمار الجنة وأتوا به متشابها [البقرة:

٢٥] أي متفق المنظر مختلف الطعوم، وقال الله تعالى: تشابهت قلوبهم [البقرة: ١١٨] ومنه يقال: اشتبه

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٥/٧

علي الأمران إذا لم يفرق بينهما، ويقال لأصحاب المخاريق: أصحاب الشبه،
وقال عليه السلام: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات» وفي رواية/ أخرى مشتبهات.
ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهتدي الإنسان إليه بالمتشابه، إطلاقا لاسم السبب على المسبب، ونظيره المشكل سمي بذلك، لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشابهه، ثم يقال لكل ما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل، ويحتمل أن يقال: إنه الذي لا يعرف أن الحق ثبوته أو عدمه، وكان الحكم بثبوته مساويا للحكم بعدمه في العقل والذهن، ومشابها له، وغير متميز أحدهما عن الآخر بمزيد رجحان، فلا جرم سمي غير المعلوم بأنه متشابه، فهذا تحقيق القول في المحكم والمتشابه بحسب أصل اللغة، فنقول:
الناس قد أكثروا من الوجوه في تفسير المحكم والمتشابه، ونحن نذكر الوجه الملخص الذي عليه أكثر المحققين، ثم نذكر عقيبه أقوال الناس فيه فنقول:
اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى، فإما أن يكون محتملا لغير ذلك المعنى، وإما أن لا يكون فإذا كان اللفظ موضوعا لمعنى ولا يكون محتملا لغيره فهذا هو النص، وأما إن كان محتملا لغيره فلا يخلو إما أن يكون احتماله لأحدهما راجحا على الآخر، وإما أن لا يكون كذلك بل يكون احتماله لهما على السواء، فإن كان احتماله لأحدهما راجحا على الآخر سمي ذلك اللفظ بالنسبة إلى الراجح ظاهرا، وبالنسبة إلى المرجوح مؤولا، وأما إن كان احتماله لهما على السوية كان اللفظ بالنسبة إليهما معا مشتركا، وبالنسبة إلى كل واحد منهما على التعيين مجملا، فقد خرج من التقسيم الذي ذكرناه أن اللفظ إما أن يكون نصا، أو ظاهرا، أو مؤولا، أو مشتركا، أو مجملا، أما النص والظاهر فيشتركان في حصول الترجيح، إلا أن النص راجح مانع من الغير، والظاهر راجح غير مانع من الغير، فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم.." (١)
"المسألة الأولى: أما عذاب الكافر في الدنيا فهو من وجهين أحدهما: القتل والسبي وما شاكله، حتى لو ترك الكفر لم يحسن إيقاعه به، فذلك داخل في عذاب الدنيا والثاني: ما يلحق الكافر من الأمراض والمصائب، وقد اختلفوا في أن ذلك هل هو عقاب أم لا؟ قال بعضهم: إنه عقاب في حق الكافر، وإذا وقع مثله للمؤمن فإنه لا يكون عقابا بل يكون ابتلاء وامتحانا، وقال الحسن: إن مثل هذا إذا وقع للكافر لا يكون عقابا بل يكون أيضا ابتلاء وامتحانا، ويكون جاريا مجرى الحدود التي تقام على النائب، فإنها لا تكون عقابا بل امتحانا، والدليل عليه أنه تعالى يعد الكل بالصبر عليها والرضا بها والتسليم لها وما هذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٨/٧

حاله لا يكون عقابا.

فإن قيل: فقد سلمتم في الوجه الأول أنه عذاب للكافر على كفره، وهذا على خلاف قوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة [النحل: ٦١] وكلمة (لو) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره، فوجب أن لا توجد المؤاخذة في الدنيا، وأيضا قال تعالى: اليوم تجزى كل نفس بما كسبت [غافر: ١٧] وذلك يقتضي حصول المجازاة في ذلك اليوم، لا في الدنيا، قلنا: الآية الدالة على حصول العقاب في الدنيا خاصة، والآيات التي ذكرتموها عامة، والخاص مقدم على العام.

المسألة الثانية: لقائل أن يقول وصف العذاب بالشدة، يقتضي أن يكون عقاب الكافر في الدنيا أشد، ولسنا نجد الأمر كذلك، فإن الأمر تارة يكون على الكفار وأخرى على المسلمين، ولا نجد بين الناس تفاوتا.

قلنا: بل التفاوت موجود في الدنيا، لأن الآية في بيان أمر اليهود الذين كذبوا بعيسى عليه السلام، ونرى الذلة والمسكنة لازمة لهم، فزال الإشكال.

المسألة الثالثة: وصف تعالى هذا العذاب بأنه ليس لهم من ينصرهم ويدفع ذلك العذاب عنهم.

فإن قيل: أليس قد يمتنع على الأئمة والمؤمنين قتل الكفار بسبب العهد وعقد الذمة.

قلنا: المانع هو العهد، ولذلك إذا زال العهد حل قتله.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٥٧]

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين (٥٧)

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ حفص عن عاصم فيوفيهم بالياء، يعني فيوفيهم الله، والباقون بالنون حملا على ما تقدم من قوله فأحكم، ... فأعذبهم وهو الأولى **لأنه نسق الكلام**.

المسألة الثانية: ذكر الذين آمنوا، ثم وصفهم بأنهم عملوا الصالحات، وذلك يدل على أن العمل الصالح خارج عن مسمى الإيمان، وقد تقدم ذكر هذه الدلالة مرارا.

المسألة الثالثة: احتج من قال بأن العمل علة للجزاء بقوله فيوفيهم أجورهم فشبههم في عبادتهم لأجل طلب الثواب بالمستأجر، والكلام فيه أيضا قد تقدم والله أعلم.

المسألة الرابعة: المعتزلة احتجوا بقوله والله لا يحب الظالمين على أنه تعالى لا يريد الكفر والمعاصي، قالوا: لأن مريد الشيء لا بد وأن يكون محبا له، إذا كان ذلك الشيء من الأفعال وإنما تخالف المحبة الإرادة

إذا علقتا بالأشخاص، فقد يقال: أحب زيدا، ولا يقال: أريده، وأما إذا علقتا بالأفعال: فمعناهما واحد إذا استعملتا." (١)

"الوجه الثاني: في بيان أن هذه الأسماء غير منصرفة أن فيها عدلين لأنها معدولة عن أصولها كما بيناه، وأيضا أنها معدولة عن تكررها فإنك لا تريد بقولك: مثنى ثنتين فقط، بل ثنتين ثنتين، فإذا قلت: جاءني اثنان أو ثلاثة كان غرضك الإخبار عن مجيء هذا العدد فقط، أما إذا قلت: جاءني القوم مثنى أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين، فثبت أنه حصل في هذه الألفاظ نوعان من العدد فوجب أن يمنع من الصرف، وذلك لأنه إذا اجتمع في الاسم سببان أوجب ذلك منع الصرف، لأنه يصير لأجل ذلك نائبا من جهتين فيصير مشابها للفعل فيمتنع صرفه، وكذا إذا حصل فيه العدل من جهتين فوجب أن يمنع صرفه والله أعلم.

المسألة الخامسة: قال أهل التحقيق: فانكحوا ما طاب لكم من النساء لا يتناول العبيد وذلك لأن الخطاب إنما يتناول إنسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها، والعبد ليس كذلك بدليل أنه لا يتمكن من النكاح إلا بإذن مولاه، ويدل عليه القرآن والخبر، أما القرآن فقوله تعالى: ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء [النحل: ٧٥] فقوله: لا يقدر على شيء ينفي كونه مستقلا بالنكاح، وأما الخبر

فقوله عليه الصلاة والسلام: «أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه فهو عاهر»

فثبت بما ذكرناه أن/ هذه الآية لا يندرج فيها العبد.

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: ذهب أكثر الفقهاء إلى أن نكاح الأربع مشروع للأحرار دون العبيد، وقال مالك: يحل للعبد أن يتزوج بالأربع وتمسك بظاهر هذه الآية.

والجواب الذي يعتمد عليه: أن الشافعي احتج على أن هذه الآية مختصة بالأحرار بوجهين آخرين سوى ما ذكرناه: الأول: أنه تعالى قال بعد هذه الآية: فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون إلا للأحرار، والثاني: أنه تعالى قال: فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا [النساء: ٤] والعبد لا يأكل ما طابت عنه نفس امرأته من المهر، بل يكون لسيده قال مالك: إذا ورد عمومان مستقلان، فدخول التقييد في الأخير لا يوجب دخوله في السابق.

أجاب الشافعي رضي الله عنه بأن هذه الخطابات في هذه الآيات وردت متوالية **على نسق واحد** فلما عرف في بعضها اختصاصها بالأحرار عرف أن الكل كذلك، ومن الفقهاء من علم أن ظاهر هذه الآية

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٤١/٨

متناول للعبيد إلا أنهم خصصوا هذا العموم بالقياس، قالوا: أجمعنا على أن للرق تأثيرا في نقصان حقوق النكاح، كالطلاق والعدة، ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب أن يحصل للعبد نصف ما للحر، والجواب الأول أولى وأقوى والله أعلم.

المسألة السادسة: ذهب قوم سدى إلى أنه يجوز التزوج بأي عدد أريد، واحتجوا بالقرآن والخبر، أما القرآن فقد تمسكوا بهذه الآية من ثلاثة أوجه: الأول: أن قوله: فانكحوا ما طاب لكم من النساء إطلاق في جميع الأعداد بدليل أنه لا عدد إلا ويصح استثناؤه منه، وحكم الاستثناء إخراج ما لوراه لكان داخلا. والثاني: أن قوله: مثنى وثلاث ورباع لا يصلح تخصيصا لذلك العموم، لأن تخصيص بعض الأعداد بالذكر لا ينفي ثبوت الحكم في الباقي، بل نقول: إن ذكر هذه الأعداد يدل على رفع الحرج والحجر مطلقا، فإن الإنسان إذا قال لولده: افعل ما شئت اذهب إلى السوق وإلى المدينة وإلى البستان، كان تنصيصا في تفويض زمام الخيرة إليه مطلقا، ورفع الحجر والحرج عنه مطلقا، ولا يكون ذلك تخصيصا للإذن بتلك الأشياء المذكورة، بل كان إذنا في المذكور وغيره فكذا هاهنا، وأيضا فذكر جميع الأعداد متعذر، فإذا ذكر بعض الأعداد بعد قوله:." (١)

"وفلان إذا تباعدت القرابة، وحمل فلان على فلان، ثم كل عنه إذا تباعد. فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه. الثاني: يقال: كل الرجل يكل كلا وكلالة إذا أعيا وذهبت قوته، ثم جعلوا هذا اللفظ استعارة من القرابة الحاصلة لا من جهة الولادة، وذلك لأنا بينا أن هذه القرابة حاصلة بواسطة الغير فيكون فيها ضعف، وبهذا يظهر أنه يبعد إدخال الوالدين في الكلالة لأن انتسابهما إلى الميت بغير واسطة. الثالث: الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة، ومنه الإكليل لإحاطته/ بالرأس، ومنه الكل لإحاطته بما يدخل فيه، ويقال تكلل السحاب إذا صار محيطا بالجوانب، إذا عرفت هذا فنقول: من عدا الوالد والولد إنما سموا بالكلالة، لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان وكالإكليل المحيط برأسه: أما قرية الولادة فليست كذلك فإن فيها يتفرع البعض عن البعض:

ويتولد البعض من البعض، كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد، ولهذا قال الشاعر:

نسب تتابع كابرا عن كابر ... كالرمح أنبوبا على أنبوب

فأما القرابة المغايرة لقرابة الولادة، وهي كالإخوة والأخوات والأعمام والعمات، فإنما يحصل لنسبهم اتصال وإحاطة بالمنسوب إليه، فثبت بهذه الوجوه الاشتقاقية أن الكلالة عبارة عمن عدا الوالدين والولد.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٧/٩

الحجة الثانية: أنه تعالى ما ذكر لفظ الكلالة في كتابه إلا مرتين، في هذه السورة: أحدهما: في هذه الآية: والثاني: في آخر السورة وهو قوله: قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك [النساء: ١٧٦] واحتج عمر بن الخطاب بهذه الآية على أن الكلالة من لا ولد له فقط، قال: لأن المذكور هاهنا في تفسير الكلالة: هو أنه ليس له ولد، إلا أنا نقول: هذه الآية تدل على أن الكلالة من لا ولد له ولا والد. وذلك لأن الله تعالى حكم بتوريث الإخوة والأخوات حال كون الميت كلالة، ولا شك أن الإخوة والأخوات لا يرثون حال وجود الأبوين، فوجب أن لا يكون الميت كلالة حال وجود الأبوين.

الحجة الثانية: أنه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم أتبعها بذكر الكلالة، وهذا الترتيب يقتضي أن تكون الكلالة من عدا الوالدين والولد.

الحجة الرابعة: قول الفرزدق:

ورثتم قناة الملك لا عن كلالة ... عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

دل هذا البيت على أنهم ما ورثوا الملك عن الكلالة، ودل على أنهم ورثوها عن آبائهم، وهذا يوجب أن لا يكون الأب داخلا في الكلالة والله أعلم.

المسألة الثانية: الكلالة قد تجعل وصفا للوارث وللمورث، فإذا جعلناها وصفا للوارث فالمراد من سوى الأولاد والوالدين، وإذا جعلناها وصفا للمورث، فالمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والأولاد، أما بيان أن هذا اللفظ مستعمل في الوارث فالدليل عليه ما

روى جابر قال: مرضت مرضا أشفيت منه على الموت فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إني رجل لا يرثني إلا كلالة،

وأراد به أنه ليس له والد ولا ولد، وأما أنه مستعمل في المورث فالبيت الذي/ رويناه عن الفرزدق، فإن معناه أنكم ما ورثتم الملك عن الأعمام، بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو هاهنا مورث لا وارث، إذا عرفت هذا فنقول: المراد من الكلالة في هذه الآية الميت، الذي لا يخلف الوالدين والولد، لأن هذا الوصف إنما كان معتبرا في الميت الذي هو المورث لا في الوارث الذي لا يختلف حاله بسب أن له ولدا أو والدا أم لا.." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٢٢/٩

"وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كأنه قال: ولكونه عالما بكنه الأشياء كلها، خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع، واستدلال بأن من كان فعله على **هذا النسق العجيب**، والترتيب الأنيق كان عليما، فإن إتقان الأفعال وإحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع، لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم، وإزاحة لما يختلج في صدورهم من أن الأبدان بعد ما تبددت، وتفتتت أجزاؤها، واتصلت بما يشاكلها، كيف تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها، ولا ينضم إليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان، ونظيره قوله تعالى: وهو بكل خلق عليم.

واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات، وقد برهن عليها في هاتين الآيتين: أما الأولى فهي: أن مواد الأبدان قابلة للجمع والحياة وأشار إلى البرهان عليها بقوله: وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم فإن تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها، وما بالذات يأبى أن يزول ويتغير. وأما الثانية والثالثة: فإنه عز وجل عالم بها وبمواقعها، قادر على جمعها وإحيائها، وأشار إلى وجه إثباتهما بأنه تعالى قادر على إبدائها وإبداء ما هو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على إعادتهم وإحيائهم، وأنه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعي فيه مصالحهم وسد حاجاتهم.

وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته. وقد سكن نافع وأبو عمرو والكسائي: الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣٠]

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠)

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم، فإن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود له، إنعام يعم ذريته. وإذ: ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه أخرى، كما وضع إذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى، ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل كحيث في المكان، وبنيتا تشبيها لهما بالموصولات، واستعملتا للتعليل والمجازاة، ومحلهما النصب أبدا بالظرفية فإنهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه، وأما قوله تعالى: واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ونحوه، فعلى تأويل: اذكر الحادث إذ كان كذا، فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه، وعامله في الآية قالوا، أو أذكر على التأويل المذكور لأنه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا، أو مضمر دل عليه مضمون

الآية المتقدمة، مثل وبدأ خلقكم إذ قال، وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة. وعن معمر أنه مزيد. والملائكة جمع ملأك على الأصل كالشمائل جمع شمأل، والتاء لتأنيث الجمع، وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي: الرسالة، لأنهم وسائط بين الله تعالى، وبين الناس، فهم رسل الله. أو كالرسل إليهم. واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها. فذهب أكثر المسلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك. وقالت طائفة من النصارى: هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان. وزعم الحكماء أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة، منقسمة إلى قسمين: قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره، كما وصفهم في محكم تنزيله فقال تعالى: يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون. وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الإلهي لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات أمرا، فمنهم سماوية، ومنهم أرضية، على تفصيل أثبته في كتاب الطوالع.

والمقول لهم: الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص، وقيل ملائكة الأرض، وقيل إبليس ومن." (١)

"ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت، أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم.

[سورة هود (١١) : آية ٨٧]

قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد (٨٧)

قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام، أجابوا به آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والإشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي، وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه. وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر. وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الإفراد والمعنى: أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك، فحذف المضاف لأن الرجل لا يؤمر بفعل غيره. أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا عطف على ما أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا.

وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء. وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك. إنك لأنت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٦٧/١

بضد ذلك، أو عللوا إنكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك.

[سورة هود (١١) : آية ٨٨]

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨)

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة. ورزقني منه رزقا حسنا إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال، وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه، وأخالفه في أمره ونهيه. وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء، والضمير في منه لله أي من عنده وبإعانته بلا كد مني في تحصيله. وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به دونكم، فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه، يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه، وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح، فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه، ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن: وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله تعالى، وثانيها حق النفس، وثالثها حق الناس. وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه. وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته، أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف. وما توفيقي إلا بالله وما توفيقي لإصابة الحق والصواب إلا بهدايته ومعونته. عليه توكلت فإنه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته، بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار، وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ. وإليه أنيب إشارة إلى معرفة المعاد، وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل. وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى، والاستعانة به في مجامع أمره والإقبال عليه بشراشره، وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء.

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٩ الى ٩٠]

ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠)." (١)

"[سورة الإسراء (١٧) : آية ١٢]

وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا (١٢)

وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما **على نسق واحد** بإمكان غيره.

فمحونا آية الليل أي الآية التي هي الليل، بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود.

وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر، أو مبصرا أهله كقولهم: أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء. وقيل الآيتان القمر والشمس، وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين، أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور، أو نقص نورها شيئا فشيئا إلى المحاق، وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الأشياء بضوئها.

لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا به إلى استبانة أعمالكم.

ولتعلموا باختلافهما أو بحركاتهما. عدد السنين والحساب وجنس الحساب. وكل شيء تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا. فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس.

[سورة الإسراء (١٧) : آية ١٣]

وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (١٣)

وكل إنسان ألزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر، لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد.

في عنقه لزوم الطوق في عنقه. ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله، فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات، ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف، وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج و «يخرج» وقرئ «ويخرج» أي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء، وهما صفتان للكتاب، أو يلقاه صفة ومنشورا حال

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٤٥/٣

من مفعوله. وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٤ الى ١٥]

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤) من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)

اقرأ كتابك على إرادة القول. كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي كفى نفسك، والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد، لأنه يكفي المدعي ما أهمه، وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس بالشخص.

من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه.

ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى، بل إنما تحمل وزرها.

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة، وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع.

[سورة الإسراء (١٧) : آية ١٦]

وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا (١٦)

وإذا أردنا أن نهلك قرية

وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق، أو دنا وقته المقدر كقولهم: إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة. أمرنا مترفيها

متنعميها بالطاعة على لسان رسول." [١]

"الله لا يغفر أن يشرك به في غير التائب من الشرك وكذلك قوله: ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها **على نسق واحد**، وتأولتها المرجئة على مذهبهم، فقالوا: لمن يشاء: معناه لمن يشاء أن يؤمن، وهذا أيضا بعيد، لا يقتضيه اللفظ وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد فحملها المعتزلة على العصاة وحملها المرجئة على الكفار، وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٢٥٠

من لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آية الوعد على المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد، بل يجمع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض، وتلخيص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره: غفر له بإجماع، وإن مات على كفره: لم يغفر له، وخلد في النار بإجماع، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه الذين يزكون أنفسهم هم اليهود لعنهم الله، وتزكيتهم قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقيل: مدحهم لأنفسهم فتيلا الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل: ما يخرج بين إصبعيك وكفيك إذا فتلتهما، هو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى يفترون دليل على أن تزكيتهم لأنفسهم بالباطل يؤمنون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس: الجبت هو حيي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف، وقال عمر بن الخطاب: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وقيل الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر، وبالجملة هما كل ما عبد وأطيع من دون الله ويقولون للذين كفروا الآية: سببها أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود، قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه أم لهم نصيب من الملك الهمزة للاستفهام مع الإنكار نقيرا النقيِر هي النقرة في ظهر النواة وهو تمثيل، وعبارة عن أقل الأشياء، والمراد وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقير الذي هو أقل الأشياء، ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى

أم يحسدون الناس وصفهم بالحسد مع البخل، والناس هنا يراد بهم النبي صلى الله عليه واله وسلم وأمته، والفضل النبوة، وقيل: النصر والعزة، وقيل: الناس العرب والفضل كون النبي صلى الله عليه واله وسلم منهم فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب." (١)

"آلهتنا ويسفه أحلامنا. فكلمه أبو طالب في ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب، فقالوا: نعم وعشر كلمات معها. فقال: قولوا لا إله إلا الله «١» ، فقاموا وأنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا انطلاق الملأ عبارة عن خروجهم عن أبي طالب وقيل: عبارة عن تفرقهم في طرق مكة وإشاعتهم للكفر، وأن امشوا: معناه يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمدا فيما يدعو إليه من عبادة الله وحده إن هذا لشيء يراد هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش، وفي معناه وجهان: أحدهما إن

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٩٦/١

الإشارة إلى الإسلام والتوحيد، أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه، والآخر أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم، أي إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به، أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح، لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام **على نسق واحد** ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة هذا أيضا مما حكى الله عنهم من كلامهم، أي ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة، والمراد بالملة الآخرة ملة النصارى، لأنها بعد ملة موسى وغيره وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل: المراد ملة قريش أي ما سمعنا بهذا في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، وقيل: المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحبار والكهان أن رسولا يبعث يكون آخر الأنبياء إن هذا إلا اختلاق هذا أيضا مما حكى من كلامهم، والإشارة إلى التوحيد والإسلام، ومعنى الاختلاق الكذب أأنزل عليه الذكر من بيننا «٢» الهمزة للإنكار، والمعنى أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإنزال القرآن عليه دونهم بل هم في شك من ذكري هذا رد عليهم، والمعنى أنهم ليست لهم حجة ولا برهان، بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده، فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد بالذكر القرآن بل لما يذوقوا عذاب هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا للحق.

أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة، والمعنى أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوا من شاؤوا، بل يعطيها الله لمن يشاء، ثم وصف نفسه بالعزيز الوهاب، لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء، فلا حجة لهم فيما أنكروا

أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما هذا أيضا رد عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرفون

---

(١) . روى الطبري القصة بسنده. إلى ابن عباس.

(٢) . قرأ نافع وغيره بهمزة واحدة: أنزل وقرأ الباقون: أأنزل.." [١]

"الإنسان لنعمة ربه لكفور، والإنسان جنس، وقيل: الكنود العاصي، وقال بعض الصوفية: الكنود هو الذي يعبد الله على عوض [بمقابل]

وإنه على ذلك لشهيد الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد: والأول أرجح لأن الضمير الذي بعده الإنسان باتفاق، فيجري الكلام **على نسق واحد** وإنه لحب

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٠٢

الخير لشديد الخير هنا المال، كقوله: إن ترك خيرا [البقرة: ١٨٠] والمعنى أن الإنسان شديد الحب للمال، فهو ذم لحبه والحرص عليه، وقيل: الشديد: البخيل، والمعنى على هذا أنه بخيل من أجل حب المال، والأول أظهر إذا بعثر ما في القبور أي بحث عند ذلك عبارة عن البعث وحصل ما في الصدور أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلا أو ميز خيره من شره إن ربهم بهم يومئذ لخبير الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان، لأنه يراد به الجنس وفي هذه الجملة وجهان: أحدهما أن هذه الجملة معمول أفلا يعلم فكان الأصل أن تفتح إن، ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها الثاني أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله، والمفعول محذوف والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور، ثم استأنف قوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير على وجه التأكيد، أو البيان للمعنى المتقدم، والعامل في إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم والعمل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف، وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية، والعامل في يومئذ خبير، وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد، مع أن الله خبير على الإطلاق.." (١)

"فبين الله لهم هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في إكمال الصداق وإن كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكلما يتركونها حين يرغبونها عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق. وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لا تعجبه كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها إلى أن تموت فيورثها فعاب الله ذلك عليهم وأنزل

هذه الآية. وقال عكرمة في روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فإذا صار معدما من نساء مال إلى مال يتيمته التي في حجره فأنفقه فقيل لهم: لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم إلى أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاؤوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى وآتوا اليتامى أموالهم أنزل هذه الآية وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول فكلما خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ألا

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٥٠٦/٢

تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن، لأن النساء في الضعف كاليتامى. وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي: ثم رخص الله تعالى في نكاح أربع فقال تعالى: فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعني ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لأن قوله فانكحوا أمر والأمر للوجوب. وأجيب عنه بأن قوله تعالى فانكحوا إنما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح إلى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة بأن ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على أنه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى: مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهو غير منصرف لأنه اجتمع فيه أمران: العدل والوصف والواو بمعنى أو في هذا الفصل لأنه لما كانت أو بمنزلة **واو النسق جاز** أن تكون الواو بمنزلة أو. وقيل إن الواو أفادت أنه يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الأقسام بحسب حاله فإن قدر على نكاح اثنتين فاثنتان. وإن قدر على ثلاث فثلاث وإن قدر على أربع فأربع إلا أنه يضم عددا وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يزيد على أربع نسوة وأن الزيادة على أربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد من الأمة ويدل على أن الزيادة على أربع غير جائزة وأنها حرام ما روي عن الحارث بن قيس أو قيس بن الحارث قال: أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا. أخرجه أبو داود. عن ابن عمران غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا. أخرجه الترمذي قال العلماء: فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من امرأتين وهو قول أكثر العلماء لأنه خطاب لمن ولي وملك وذلك للأحرار دون العبيد. وقال مالك في إحدى الروايتين عنه وربيعة: يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة واستدل بهذه الآية وأجاب الشافعي بأن هذه الآية مختصة بالأحرار ويدل عليه آخر الآية وهو قوله: فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم أو العبد لا يملك شيئا فثبت بذلك أن المراد من حكم الآية الأحرار دون العبيد. وقوله تعالى: فإن خفتم يعني فإن خشيتم وقيل فإن علمتم ألا تعدلوا يعني بين الأزواج الأربع فواحدة يعني فانكحوا واحدة أو ما ملكت أيمانكم يعني وما ملكتم من السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن ذلك أدنى أي أقرب ألا تعولوا معناه أقرب من أن لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعولوا أي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لأن أصل العول الميل يقال: عال الميزان إذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض

الله عليكم ومنه عول الفرائض إذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تضلوا. وقال الشافعي رحمه الله تعالى معناه أن لا تكثر عيالكم." (١)

"يوصين بها أو دين هذا ميراث الأزواج من الزوجات. وقال تعالى في ميراث الزوجات من الأزواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين لما جعل الله في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الأنثيين جعل الله في الموجب السبي للرجل مثل حظ الأنثيين واعلم أن الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فإنهن يشتركن في الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والأنثى. ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها.

قوله تعالى: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة تقدير الآية وإن كان رجل أو امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة إلى أن الكلالة من لا ولد له ولا والد روى الشعبي قال: سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال: سأقول فيها قولا برأيي فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال: إني لا أستحيي من الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وإحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته أن اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان إذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه، وقيل إن الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الإحاطة ومنه الإكليل لإحاطته بالرأس. فمن عد الوالد والولد من القرابة إنما سموا كلالة لأنهم كالدائرة المحيطة بالإنسان أما نسبة الولادة فليست كذلك لأن فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد **على نسق واحد**. فأما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الإخوة والأخوات والأعمام والعمات وغيرهم فإنما محصل نسبهم اتصال إحاطة بالمنسوب إليه فثبت بذلك أن الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الأخرى عن عمر وابن عباس أن الكلالة من لا ولد له. وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى: قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لأن الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لأن أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شأن جابر بيانا لمراد الآية التي نزلت في آخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في أن الكلالة اسم لمن؟ فمنهم من قال هو اسم للميت، وهو قول علي بن أبي طالب وابن مسعود

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٣٩/١

وابن عباس لأنه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة وهو قول أبي بكر الصديق. وعليه جمهور العلماء الذين قالوا: إن الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث لجابر إنما يرثني كلالة أي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فإن كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد. وإن كان المراد الوارثين فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد: الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة. وقال أبو الخير: سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال ألا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما أعضل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء ما أعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال: ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهد انتهى إليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر (ق) عن معدان بن أبي طلحة قال خطب عمر بن الخطاب: فقال إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ في الكلالة حتى طعن بإصبعيه في صدري وقال: يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وإني إن أعش أقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن. لفظ مسلم قوله: ألا يكفيك آية الصيف أراد أن الله عز وجل أنزل في الكلالة آيتين: إحداهما في الشتاء وهي التي في أول سورة النساء والآية الأخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليها.

وقوله تعالى: وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس أراد به الأخ والأخت للأم باتفاق العلماء وقرأ." (١)

"فدلوا من يعبد إلها واحدا فقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة إبراهيم عليه نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعدل والفضيلة كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى إلى محاجة قومه. وقيل: نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الآخرة بالثواب على الأعمال الصالحة إن ربك حكيم عليم يعني أنه تعالى حكيم في جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيء إلا بحكمة وعلم.

قوله عز وجل: ووهبنا له إسحاق ويعقوب لما أظهر إبراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه الله تعالى إياه وهداه إليها عدد الله نعمه عليه وإحسانه إليه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٥١/١

بأن رفع درجته في عليين وأبقى النبوة في ذريته إلى يوم الدين فقال تعالى: ووهبنا له يعني لإبراهيم إسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن إسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم إلى سبيل الرشاد ووفقناهم إلى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل إبراهيم أرشدنا نوحا ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في الضمير إلى من يرجع فقيل يرجع إلى إبراهيم يعني ومن ذرية إبراهيم داود وسليمان وقيل: يرجع إلى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين، لأن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور ولأن الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي إبراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا أن هاء الكناية ترجع إلى نوح وقال الزجاج: كلا القولين جائز لأن ذكرهما جميعا قد جرى. وداود هو ابن بيشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود وأيوب هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهارون هو أخو موسى وكان أكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين يعني: وكما جزينا إبراهيم على توحيده وصبره على أذى قومه كذلك نجزي المحسنين على إحسانهم.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٨٥ الى ٨٨]

وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين (٨٥) وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (٨٦) ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم (٨٧) ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون (٨٨)

وزكريا هو ابن آذن بن بركيا ويحيى هو ابن زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران وإلياس.

قال ابن مسعود: هو إدريس وله اسمان مثل يعقوب وإسرائيل وقال محمد بن إسحاق: هو الياس بن سنا بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران. وهذا هو الصحيح لأن أصحاب الأنساب يقولون: إن إدريس جد نوح لأن نوحا بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس ولأن الله تعالى نسب الياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته كل من الصالحين يعني أن كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين وإسماعيل هو ابن إبراهيم وإنما أخر ذكره إلى هنا لأنه ذكر إسحاق وذكر أولاده من بعده **على نسق واحد** فلهذا السبب أخر ذكر إسماعيل إلى هنا واليسع هو ابن أخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن أخي إبراهيم: وكلا فضلنا على العالمين يعني على عالمي زمانهم. ويستدل بهذه الآية من يقول إن الأنبياء أفضل من الملائكة لأن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضي أن الأنبياء أفضل من الملائكة.

واعلم أن الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الأنبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب الفضل، لأن الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة أوجبت هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الأنبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل، فذكر أولا نوحا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب." (١)

"كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل. وهذا القول هو اختيار الإمام فخر الدين الرازي. قال: لأن لفظة من في قوله من الرسل للتبين لا للتبعيض كما تقول: ثوب من خز كأنه قيل له اصبر كما صبر الرسل من قبلك على أذى قومهم وصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس لعجلة كانت فيه ألا ترى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم: أولي العزم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشرة لأعداء الله. وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل: هم ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، في قول، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على الجب والسجن، وأيوب صبر على الضر. وقال ابن عباس وقتادة: هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وخمسة قد ذكرهم الله على التخصيص والتعيين في قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفي قوله: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية روى البغوي بسنده عن عائشة قالت: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وإني والله لا بد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا ولأجهدن كما جهدوا ولا قوة إلا بالله».

قوله تعالى: ولا تستعجل لهم يعني اصبر على أذاهم لا تستعجل بنزول العذاب عليهم فإنه نازل بهم لا محالة كأنه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمره الله تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر بقرب العذاب فقال تعالى: كأنهم يوم يرون ما يوعدون يعني من العذاب في الآخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا إلا ساعة من نهار يعني أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/١٣١

والبرزخ كأنه قدر ساعة من نهار لأن ما مضى وإن كان طويلا فهو يسير إلى ما يدوم عليهم من العذاب وهو أبد الآبدين بلا انقطاع ولا فناء وتم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدأ فقال تعالى: بلاغ أي هذا القرآن وما فيه من البينات والهدى بلاغ من الله إليكم. والبلاغ: بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني: بالعذاب إذا نزل إلا القوم الفاسقون يعني الخارجين عن الإيمان بالله وطاعته قال الزجاج: تأويله لا يهلك من رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية والله أعلم.." (١)

"اعتصم، واستغنى موافق غنى، واستنكف واستحيا مغنيان عن المجرد، واسترجع، واستعان حلق عانته، مغنيان عن فعل، فاستعان طلب العون، كاستغفر، واستعظم. وقال صاحب اللوامح: وقد جاء فيه وياك أبدل الهمزة واوا، فلا أدري أذلك عن الفراء أم عن العرب، وهذا على العكس مما فروا إليه في نحو أشاح فيمن همز لأنهم فروا من الواو المكسورة إلى الهمزة، واستثقالا للكسرة على الواو. وفي وياك فروا من الهمزة إلى الواو، وعلى لغة من يستثقل الهمزة جملة لما فيها من شبه التهوع، وبكون استفعل أيضا لموافقة تفاعل وفعل. حكى أبو الحسن بن سيده في المحكم: تماسكت بالشيء ومسكت به واستمسك به بمعنى واحد، أي احتبست به، قال ويقال: مسكت بالشيء وأمسكت وتمسكت، احتبست، انتهى. فتكون معاني استفعل حينئذ أربعة عشر لزيادة موافقة تفاعل وتفعل. وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور، وهي لغة الحجاز، وهي الفصحى. وقرأ عبيد بن عمير الليثي، وزر بن حبيش، ويحيى بن وثاب، والنخعي، والأعمش، بكسرها، وهي لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه. وقال أبو جعفر الطوسي: هي لغة هذيل، وانقلاب الواو ألفا في استعان ومستعان، وياء في نستعين ومستعين، والحذف في الاستعانة مذكور في علم التصريف، ويعدى استعان بنفسه وبالباء. إياك مفعول مقدم، والزمخشري يزعم أنه لا يقدم على العامل إلا للتخصيص، فكأنه قال: ما نعبد إلا إياك، وقد تقدم الرد عليه في تقديره بسم الله أتلوا، وذكرنا نص سيبويه هناك. فالتقديم عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول. وسب أعرابي آخر فأعرض عنه وقال: إياك أعني، فقال له: وعنك أعرض، فقدما الأهم، وإياك التفات لأنه انتقال من الغيبة، إذ لو جرى **على نسق واحد** لكان إياه. والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب. والغيبة تارة تكون بالظاهر، وتارة بالمضمر، وشرطه أن يكون المدلول واحدا. ألا ترى أن المخاطب بإياك هو الله تعالى؟

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٣٨/٤

وقالوا فائدة هذا الالتفات إظهار الملكة في الكلام، والاقتدار على التصرف فيه. وقد ذكر بعضهم مزيدا على هذا، وهو إظهار فائدة تخص كل موضع موضع، ونتكلم على ذلك حيث يقع لنا منه شيء، وفائدته في إياك نعبد أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك والملك لليوم المذكور، أقبل الحامد مخبرا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له. وكذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين،." (١)

"ومن تظنون أنه عاص فيؤديه الابتلاء إلى الطاعة فيطيع، قاله الزجاج، أو علمه بظواهر الأمور وباطنها، جليها ودقيقها، عاجلها وآجلها، صالحها وفاسدها، على اختلاف الأحوال والأزمان علما حقيقيا، وأنتم لا تعلمون ذلك، أو علمه بغير اكتساب ولا نظر ولا تدبر ولا فكر، وأنتم لا تعلمون المعلومات على هذا النسق. أو علمه بأن معهم إبليس، أو علمه باستعظامكم أنفسكم بالتسبيح والتقديس. والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أخبرهم إذا تكلموا بالجملة السابقة التي هي أتجعل فيها بأنه يعلم ما لا تعلمونه. وأبهم في إخباره الأشياء التي يعلمها دونهم، فإذا كان كذلك، فإخباره بأنه يجعل في الأرض خليفة يقتضي التسليم له والرجوع إليه فيما أراد أن يفعله والرضا بذلك، لأن علمه محيط بما لا يحيط به علم عالم، جل الله وعز. والأحسن أن يفسر هذا المبهم بما أخبر به تعالى عنه من قوله، قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض الآية.

وعلم آدم الأسماء كلها: لما أخبر تعالى الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته على سبيل الإجمال، أراد أن يفصل، فبين لهم من فضل آدم ما لم يكن معلوما لهم، وذلك بأن علمه الأسماء ليظهر فضله وقصورهم عنه في العلم، فتأكد الجواب الإجمالي بالتفضيل. ولا بد من تقدير جملة محذوفة قبل هذا، لأنه بها يتم المعنى ويصح هذا العطف، وهي: فجعل في الأرض خليفة. ولما كان لفظ الخليفة محذوفا مع الجملة المقدرة، أبرزه في قوله: وعلم آدم، ناصا عليه ومنوها بذكره باسمه. وأبعد من زعم أن: وعلم آدم معطوف على قوله، قال من قوله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل. وهل التعليم بتكليم الله تعالى له في السماء، كما كلم موسى في الأرض، أو بوساطة ملك أو بالإلهام؟ أقوال أظهرها أن الباري تعالى هو المعلم، لا بواسطة ولا إلهام.

وقرأ اليماني ويزيد اليزيدي: وعلم آدم مبنيا للمفعول، وحذف الفاعل للعلم به والتضعيف في علم للتعدية، إذ كان قبل التضعيف يتعدى لواحد، فعدى به إلى اثنين. وليست التعدية بالتضعيف مقيسة، إنما يقتصر فيه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٢/١

على مورد السماع، سواء كان الفعل قبل التضعيف لازما أم كان متعديا، نحو: علم المتعدية إلى واحد. وأما إن كان متعديا إلى اثنين، فلا يحفظ في شيء منه التعدية بالتضعيف إلى ثلاث. وقد وهم القاسم بن علي الحريري في زعمه في شرح الملحة له أن علم تكون منقولة من علم التي تتعدى إلى اثنين فتصير بالتضعيف متعدية إلى ثلاثة، ولا يحفظ ذلك من كلامهم.

وقد ذهب بعض النحويين إلى اقتياس التعدية بالتضعيف. قال الإمام أبو الحسين بن." [1]

"أو عائد على القتيل، أي، فقلنا: اضربوا القتيل ببعضها. الظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأي بعض كان، فقيل: ضربوه بلسانها، أو بفخذها اليمنى، أو بذنبها، أو بالغضروف، أو بالعظم الذي يلي الغضروف، وهو أصل الأذن، أو بالبضعة التي بين الكتفين، أو بالعجب، وهو أصل الذنب، أو بالقلب واللسان معا، أو بعظم من عظامها، قاله أبو العالية. والباء في ببعضها للآلة، كما تقول: ضربت بالقدوم، والضمير عائد على البقرة، أي ببعض البقرة.

وفي الكلام حذف يدل عليه ما بعده وما قبله، التقدير: فضربوه فحيي، دل على ضربوه قوله تعالى: اضربوه ببعضها

، ودل على فحيي قوله تعالى: كذلك يحي الله الموتى.

ونقل أن الضرب كان على جيد القتيل، وذلك قبل دفنه، ومن قال: إنهم مكثوا في طلبها أربعين سنة، أو من يقول: إنهم أمروا بطلبها، ولم تكن في صلب ولا رحم، فلا يكون الضرب إلا بعد دفنه. قيل: على قبره، والأظهر أنه المباشر ب الضرب لا القبر.

وروي أنه قام وأوداجه تشخب دما، وأخبر بقاتله فقال: قتلني ابن أخي، فقال بنو أخيه: والله ما قتلناه، فكذبوا بالحق بعد معاينته، ثم مات مكانه.

وفي بعض القصص أنه قال: قتلني فلان وفلان، لا بني عمه، ثم سقط ميتا، فأخذا وقتلا، ولم يورثوا قاتلا بعد ذلك. وقال الماوردي: كان الضرب بميت لا حياة فيه، لئلا يلتبس على ذي شبهة أن الحياة إنما انقلبت إليه مما ضرب به لتزول الشبهة وتتأكد الحجة.

كذلك يحي الله الموتى

: إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيل، كان ثم إضمار قول: أي وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة. وقدره الماوردي خطابا من موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وإن كان لمنكري

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٣٤/١

البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون من تلوين الخطاب. والمعنى: كما أحيي قتيل بني إسرائيل في الدنيا، كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، وإلى هذا ذهب الطبري، والظاهر هو الأول، لانتظام الآي **في نسق واحد**، ولئلا يختلف خطاب لعلكم تعقلون

، وخطاب ثم قست قلوبكم، لأن ظاهر قلوبكم أنه خطاب لبني إسرائيل. والكاف من كذلك صفة لمصدر محذوف منصوب بقوله: يحي الله الموتى

، أي إحياء مثل ذلك الإحياء، يحيي الله الموتى، والمماثلة إنما هي في مطلق الإحياء لاقى كيفية الإحياء، فيكون ذلك إشارة إلى إحياء القتيل. وجعل صاحب المنتخب ذلك إشارة إلى نفس القتيل، ويحتاج في تصحيح ذلك إلى حذف مضاف، أي مثل إحياء ذلك القتيل، يحيي الله الموتى، فجعله إشارة إلى المصدر أولى وأقل تكلفا. وإذا كان ذلك خطابا لبني إسرائيل الحاضرين إحياء القتيل،." (١)

"ذلك هو من خشية الله تعالى، من طواعيته وانقياده لما أراد الله تعالى منه، فكنى بالخشية عن الطواعية والانقياد، لأن من خشي أطاع وانقاد.

وما الله بغافل عما تعملون: هذا فيه وعيد، وذلك أنه لما قال: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك، أفهم أنه ينشأ عن قسوة القلوب أفعال فاسدة وأعمال قبيحة، من مخالفة الله تعالى، ومعاندة رسله، فأعقب ذلك بتهديدهم بأن الله تعالى ليس بغافل عن أعمالهم، بل هو تعالى يحصيها عليهم، وإذا لم يغفل عنها كان مجازيا عليها. والغفلة إن أريد بها السهو، فالسهو لا يجوز على الله تعالى، وإن أريد بها الترك عن عمد، فذكروا أنه مما يجوز أن يوصف الله تعالى به. وعلى كلا التقديرين، فنفى الله تعالى الغفلة عنه.

وانتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا، ولكونه لا يقع منه مع إمكانه.

وقد ذهب القاضي إلى أنه لا يصح أن يوصف الله تعالى بأنه ليس بغافل، قال: لأنه يوهم جواز الغفلة عليه، وليس الأمر كما ذهب إليه، لأن نفي الشيء عن الشيء لا يستلزم إمكانه. ألا ترى إلى قوله تعالى: لا تأخذه سنة ولا نوم «١» ؟ وقوله: وهو يطعم ولا يطعم «٢» ، فقد نفى عنه تعالى ما لا يستلزم إمكانه له. وبغافل: في موضع نصب، على أن تكون ما حجازية. ويجوز أن تكون في موضع رفع، على أن تكون ما تميمية، فدخلت الباء في خبر المبتدأ، وسوغ ذلك النفي. ألا ترى أنها لا تدخل في الموجب؟ لا تقول: زيد بقائم، ولا: ما زيد إلا بقائم. قال ابن عطية: وبغافل في موضع نصب خبر ما، لأنها الحجازية، يقوي ذلك دخول الباء في الخبر، وإن كانت الباء قد تجيء شاذة مع التميمية.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٤٢٠

انتهى كلامه. وهذا الذي ذهب إليه أبو محمد بن عطية، من أن الباء مع التميمية قد تجيء شاذة، لم يذهب إليه نحوي فيما علمناه، بل القائلون قائلان، قائل: بأن التميمية لا تدخل الباء في خبر المبتدأ بعدها، وهو مذهب أبي علي الفارسي في أحد قوليه، وتبعه الزمخشري. وقائل: بأنه يجوز أن يجر بالباء، وهو الصحيح. وقال الفرزدق:

لعمرك ما معن بتارك حقه وأشعار بني تميم تتضمن جر الخبر بالباء كثيرا. وقرأ الجمهور: تعملون بالتاء، وهو الجاري **على نسق قوله**: ثم قست قلوبكم. وقرأ ابن كثير بالياء، فيحتمل أن يكون الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون الخطاب مع بني إسرائيل، ويكون ذلك

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٥٥.

(٢) سورة الأنعام: ٦/ ١٤. [.....]."[١]

"كان هكذا فلا ينبغي أن تخرج الآية عليه، لأن فيه حذف حرف مصدري، وإبقاء صلته في غير المواضع المنقاس ذلك فيها. الوجه الرابع: أن يكون التقدير: أن لا تعبدوا، فحذف أن وارتفع الفعل، ويكون ذلك في موضع نصب على البدل من قوله: ميثاق بني إسرائيل. وفي هذا الوجه ما في الذي قبله من أن الصحيح عدم اقتياس ذلك، أعني حذف أن ورفع الفعل ونصبه. الوجه الخامس: أن تكون محكية بحال محذوفة، أي قائلين لا تعبدون إلا الله، ويكون إذ ذاك لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي، أي قائلين لهم لا تعبدوا إلا الله، قاله الفراء، ويؤيده قراءة أبي وابن مسعود، والعطف عليه قوله: وقولوا للناس حسنا. الوجه السادس: أن يكون المحذوف القول، أي وقلنا لهم: لا تعبدون إلا الله، وهو نفي في معنى النهي أيضا. قال الزمخشري: كما يقول تذهب إلى فلان، تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي، لأنه كان سورع إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه. انتهى كلامه، وهو حسن. الوجه السابع: أن يكون التقدير أن لا تعبدون، وتكون أن مفسرة لمضمون الجملة، لأن في قوله: أخذنا ميثاق بني إسرائيل معنى القول، فحذف أن المفسرة وأبقى المفسر. وفي جواز حذف أن المفسرة نظر. الوجه الثامن: أن تكون الجملة تفسيرية، فلا موضع لها من الإعراب، وذلك أنه لما ذكر أنه أخذ ميثاق بني إسرائيل، كان في ذلك إيهام للميثاق ما هو، فأتى بهذه الجملة مفسرة للميثاق، فمن قرأ بالياء، فلأن بني إسرائيل لفظ غيبة، ومن قرأ بالتاء، فهو التفات، وحكمته الإقبال عليهم بالخطاب، ليكون أدعى للقبول، وأقرب للامتثال، إذ فيه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٣١/١

الإقبال من الله على المخاطب بالخطاب. ومع جعل الجملة مفسرة، لا تخرج عن أن يكون نفي أريد به نهي، إذ تبعد حقيقة الخبر فيه.

إلا الله: استثناء مفرع، لأن لا تعبدون لم يأخذ مفعوله، وفيه التفات. إذ خرج من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب. ألا ترى أنه لو جرى **على نسق واحد** لكان نظم الكلام لا تعبدون إلا إيانا؟ لكن في العدول إلى الاسم الظاهر من الفخامة، والدلالة على سائر الصفات، والتفرد بالتسمية به، ما ليس في المضمر، ولأن ما جاء بعده من الأسماء، إنما هي أسماء ظاهرة، فناسب مجاورة الظاهر الظاهر.

وبالوالدين إحسانا المعنى: الأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرهما وإكرامهما. وقد تضمنت آي من القرآن وأحاديث كثيرة ذلك، حتى عد العقوق من الكبائر، وناهيك احتفالا." (١)

"في: ظننته قائما زيد، الهاء ضمير المجهول، وهي مفعول ظننت، وقائما المفعول الثاني، وزيد فاعل بقائم. ولا يجوز في مذهب البصريين أن يفسر إلا بجملة مصرح بجزأيها سالمة من حرف جر. قال ابن عطية، وحكى الطبري عن فرقة أنها قالت: هو عماد. انتهى كلامه، ويحتاج إلى تفسير، وذلك أن العماد في مذهب بعض الكوفيين يجوز أن يتقدم مع الخبر على المبتدأ، فإذا قلت: ما زيد هو القائم، جوزوا أن تقول: ما هو القائم زيد.

فتقدير الكلام عندهم، وما تعميره هو بمزحزحه. ثم قدم الخبر مع العماد، فجاء: وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر، أي تعميره، ولا يجوز ذلك عند البصريين، لأن شرط الفصل عندهم أن يكون متوسطا. وتلخص في هذا الضمير: أهو عائد على أحدهم؟ أو على المصدر المفهوم من يعمر؟ أو على ما بعده من قوله أن يعمر؟ أو هو ضمير الشأن؟ أو عماد؟ أقوال خمسة، أظهرها الأول.

والله بصير بما يعملون: قرأ الجمهور يعملون بالياء، **على نسق الكلام** السابق.

وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب بالتاء، على سبيل الالتفات والخروج من الغيبة إلى الخطاب. وهذه الجملة تتضمن التهديد والوعيد، وأتى هنا بصفة بصير، وإن كان الله تعالى متنزها عن الجارحة، إعلاما بأن علمه، بجميع الأعمال، علم إحاطة وإدراك للخفيات.

وما: في بما، موصولة، والعائد محذوف، أي يعملونه. وجوزوا فيها أن تكون مصدرية أي بعملهم، وأتى بصيغة المضارع، وإن كان علمه تعالى محيطا بأعمالهم السالفة والآتية لتواخي الفواصل.

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة الامتنان على بني إسرائيل وتذكارهم بنعم الله، إذ آتى موسى التوراة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٤٥٧

المشتملة على الهدى والنور، ووالى بعده بالرسل لتجديد دين الله وشرائعه، وآتى عيسى الأمور الخارقة، من إحياء الأموات، وإبراء الأكمه والأبرص، وإيجاد المخلوق، ونفخ الروح فيه، والإنباء بالمغيبات، وغير ذلك. وأيده بمن ينزل الوحي على يديه، وهو جبريل عليه السلام. ثم مع هذه المعجزات والنعم كانوا أبعد الناس عن قبول ما يأتيهم من عند الله، وكانوا بحيث إذا جاءهم رسول بما لا يوافقهم، بادروا إلى تكذيبه، أو قتلوه، وهم غير مكترثين بما يصدر منهم من الجرائم، حتى حكي أنهم في أثر قتلهم الجماعة من الأنبياء، تقوم سوق البقل بينهم، التي هي أرذل الأسواق، فكيف بالأسواق التي تباع فيها الأشياء النفيسة؟ ثم نعى تعالى عليهم أنهم باقون على تلك العادة من تكذيب ما جاء من عند الله، وإن كانوا قبل مجيئه يذكرون أنه يأتيهم من عند الله. فحين وافاهم." (١)

"تعالى، فأي جهة أديتم فيها العبادة، فهي لله يثيب على ذلك، ولا يختص مكان التأدية بالمسجد. والمعنى: ولله بلاد المشرق والمغرب وما بينهما. فيكون على حذف مضاف، أو يكون المعنى: ولله المشرق والمغرب وما بينهما، فيكون على حذف معطوف، أو اقتصر على ذكرهما تشريفا لهما، حيث أضيفا لله، وإن كانت الأشياء كلها لله، كما شرف البيت الحرام وغيره من الأماكن بالإضافة إليه تعالى. وهذا كله على تقدير أن يكون المشرق والمغرب أسمى مكان.

وذهب بعض المفسرين إلى أنهما اسما مصدر، والمعنى أن لله تولي إشراق الشمس من مشرقها وإغرابها من مغربها، فيكونان، إذ ذاك، بمعنى الشروق والغروب. ويبعد هذا القول قوله بعد: فأينما تولوا فثم وجه الله. وأفرد المشرق والمغرب باعتبار الناحية، أو باعتبار المصدر الواقع في الناحية. وأما الجمع فباعتبار اختلاف المغارب والمطالع كل يوم. وأما التثنية فباعتبار مشرقي الشتاء و الصيف ومغربيهما. ومعنى التولية: الاستقبال بالوجوه. وقيل: معناها الاستدبار من قولك: وليت عن فلان إذا استدبرته، فيكون التقدير: فأي جهة وليتم عنها واستقبلتم غيرها فثم وجه الله. وقيل: ليست في الصلاة، بل هو خطاب للذين يخربون المساجد، أي أينما تولوا هاربين عني فإني ألحظهم. ويقويه قراءة الحسن: فأينما تولوا، جعله للغائب، فجرى على قوله: لهم في الدنيا خزي، وعلى قوله: وقالوا اتخذ الله ولدا، فجرت الضمائر **على نسق واحد**. قال الزمخشري: ففي أي مكان فعلتم التولية، يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى: فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره «١» ، انتهى. فقيد التولية التي هي مطلقة هنا بالتولية التي هي شطر القبلة، وهو قول حسن.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٥٠٦

وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى: ولله المشرق والمغرب مسائل موضوعها علم الفقه منها: من صلى في ظلمة مجتهدا إلى جهة، ثم تبين أنه صلى لغير القبلة، ومسألة من صلى على ظهر الدابة فرضا لمرض أو نفلا، ومسألة الصلاة على الميت الغائب، إذا قلنا نزلت في النجاشي، وشحن كتابه بذكر هذه المسائل، وذكر الخلاف فيها، وبعض دلائلها وموضوعها، كما ذكرناه هو علم الفقه. فثم وجه الله، هذا جواب الشرط، وهي جملة ابتدائية، فقيل: معناه فثم قبلة الله، فيكون الوجه بمعنى الجهة، وأضيف ذلك إلى الله حيث أمر باستقبالها، فهي الجهة التي فيها رضا الله تعالى، قاله

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٤٤.." [١]

"مع التكوين حادث، وقد انتهى ما رده به ابن عطية. ومعنى رده: أن الأمر عنده قد تم، والتكوين حادث، **وقد نسق عليه** بالفاء، فهو معه، أي يعتقبه، فلا يصح ذلك، لأن القديم لا يعتقبه الحادث. وتقرير الطبري له هو ما تقدم في أوائل الكلام على هذه المسألة، من أن الأمر لا يتقدم الوجود ولا يتأخر عنه. وما رده به ابن عطية لا يتم إلا بأن تحمل الآية على أن ثم قولا وأمرا قديما. أما إذا كان ذلك على جهة المجاز، ومن باب التمثيل، فيجوز أن يعطف على تقول. وقرأ ابن عامر: فيكون بالنصب، وفي آل عمران: كن فيكون «١» ونعلمه، وفي النحل، وفي مريم، وفي يس، وفي المؤمن. ووافقه الكسائي في النحل ويس، ولم يختلف في كن فيكون الحق في آل عمران. وكن فيكون «٢» قوله الحق في الأنعام أنه بالرفع، ووجه النصب أنه جواب على لفظ كن، لأنه جاء بلفظ الأمر، فشبه بالأمر الحقيقي. ولا يصح نصبه على جواب الأمر الحقيقي، لأن ذلك إنما يكون على فعلين ينتظم منهما شرط وجزاء نحو: ائتني فأكرمك، إذ المعنى: إن تأتني أكرمك. وهنا لا ينتظم ذلك، إذ يصير المعنى: إن يكن يكن، فلا بد من اختلاف بين الشرط والجزاء، إما بالنسبة إلى الفاعل، وإما بالنسبة إلى الفعل في نفسه، أو في شيء من متعلقاته. وحكى ابن عطية، عن أحمد بن موسى، في قراءة ابن عامر: أنها لحن، وهذا قول خطأ، لأن هذه القراءة في السبعة، فهي قراءة متواترة، ثم هي بعد قراءة ابن عامر، وهو رجل عربي، لم يكن ليلحن. وقراءة الكسائي في بعض المواضع، وهو إمام الكوفيين في علم العربية، فالقول بأنها لحن، من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر، إذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى.

وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية: قال ابن عباس، والحسن، والربيع، والسدي: نزلت في

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٥٧٧

كفار العرب حين، طلب عبد الله بن أمية وغيره ذلك. وقال مجاهد: في النصارى، ورجحه الطبري لأنهم المذكورون في الآية أولا. وقال ابن عباس أيضا:

اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال رافع بن خزيمة، من اليهود: إن كنت رسولا من عند الله، فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله الآية.

وقال قتادة: مشركو مكة.

وقيل: الإشارة بقوله: الذين لا يعلمون إلى جميع هذه الطوائف، لأنهم كلهم قالوا هذه المقالة، واختلافهم في الموصول مبني على اختلافهم في السبب. فإن كان الموصول الجهلة من العرب، فنفى عنهم العلم، لأنهم لم يكن لهم كتاب، ولا هم أتباع نبوة، وإن

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ٤٧.

(٢) سورة الأنعام: ٦/ ٧٣.." (١)

"انتهى. وفي الكشاف، وقال الحسن: هو أمية بن خلف، كان ينهى سلمان عن الصلاة.

وقال التبريزي: المراد بالصلاة هنا صلاة الظهر.

قيل: هي أول جماعة أقيمت في الإسلام، كان معه أبوبكر وعلي وجماعة من السابقين، فمر به أبو طالب ومعه ابنه جعفر، فقال له: صل جناح ابن عمك وانصرف مسرورا، وأنشأ أبو طالب يقول:

إن عليا وجعفرا ثقتي ... عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذل النبي ولا ... يخذله من يكون من حسبي

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك.

والخطاب في أرأيت الظاهر أنه للرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا أرأيت الثاني، والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم. وقيل: أرأيت خطاب للكافر التفت إلى الكافر فقال: أرأيت يا كافر، إن كانت صلاته هدى ودعاء إلى الله وأمرا بالتقوى، أتنهاه مع ذلك؟ والضمير في إن كان، وفي إن كذب عائد على الناهي. قال الزمخشري: ومعناه أخبرني عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٥٨٦

سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله، وكان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح، كما نقول نحن.
ألم يعلم بأن الله يرى، ويطلع على أحواله من هداه وضلاله، فيجازيه على حسب ذلك، وهذا وعيد، انتهى.
وقال ابن عطية: الضمير في إن كان على الهدى عائد على المصلي، وقاله الفراء وغيره. قال الفراء: المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى، وهو على الهدى وأمر بالتقوى، والناهي مكذب متول عن الذكر، أي فما أعجب هذا! ألم يعلم أبو جهل بأن الله تعالى يراه ويعلم فعله؟ فهذا تقرير وتوبيخ، انتهى. وقال:
من جعل الضمير في إن كان عائدا على المصلي، إنما ضم إلى فعل الصلاة الأمر بالتقوى، لأن أبا جهل كان يشق عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمران: الصلاة والدعاء إلى الله تعالى، ولأنه كان صلى الله عليه وسلم لا يوجد إلا في أمرين: إصلاح نفسه بفعل الصلاة، وإصلاح غيره بالأمر بالتقوى.
وقال ابن عطية: ألم يعلم بأن الله يرى: إكمال التوبيخ والوعيد بحسب التوفيقات الثلاثة يصلح مع كل واحد منها، يجاء بها في نسق. ثم جاء بالوعيد الكافي بجميعها اختصارا واقتضابا، ومع كل تقرير تكملة مقدرة تتسع العبارات فيها، وألم يعلم دال عليها مغن.." [١]

"تحريكا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق، لأن المواجهة بالشيء تقتضي شدة الإنكار وعظم الشيء الذي ينكر. ومن قرأ بالياء، فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجيء ذلك **في نسق واحد** من الغيبة. وعلى كلتا القراءتين، فهو إعلام بأن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد، ولا يغفل عنها، وهو متضمن الوعيد.
ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك هذه تسلية للرسول عن متابعة أهل الكتاب له. أعلمه أولا أنهم يعلمون أنه الحق، وهم يكتمونه، ولا يرتبون على العلم به مقتضاه. ثم سلاه عن قبولهم الحق، بأنهم قد انتهوا في العناد وإظهار المعاداة إلى رتبة، لو جئتهم فيها بجميع المعجزات التي كل معجزة منها تقتضي قبول الحق، ما تبعوك ولا سلكوا طريقك. وإذا كانوا لا يتبعونك، مع مجيئك لهم بجميع المعجزات، فأحرى أن لا يتبعوك إذا جئتهم بمعجزة واحدة. والمعنى: بكل آية يدل على أن توجهك إلى الكعبة هو الحق. واللام في: ولئن، هي التي تؤذن بقسم محذوف متقدم. فقد اجتمع القسم المتقدم المحذوف، والشرط متأخر عنه، فالجواب للقسم وهو قوله: ما تبعوا، ولذلك لم تدخله الفاء. وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وهو منفي بما ماضي الفعل مستقبل. المعنى: أي ما يتبعون قبلتك، لأن الشرط

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠/٥٠٩

قيد في الجملة، والشرط مستقبل، فوجب أن يكون مضمون الجملة مستقبلا، ضرورة أن المستقبل لا يكون شرطا في الماضي. ونظير هذا التركيب في المثبت قوله تعالى: ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون «١» ، التقدير: ليظلن أوقع الماضي المقرون باللام جوابا للقسم المحذوف، ولذلك دخلت عليه اللام موقع المستقبل، فهو ماض من حيث اللفظ، مستقبل من حيث المعنى، لأن الشرط قيد فيه، كما ذكرنا. وجواب الشرط في الآيتين محذوف، سد مسده جواب القسم، ولذلك أتى فعل الشرط ماضيا في اللفظ، لأنه إذا كان الجواب محذوفا، وجب مضي فعل الشرط لفظا، إلا في ضرورة الشعر، فقد يأتي مضارعا. وذهب الفراء إلى أن إن هنا بمعنى لو، ولذلك كانت ما في الجواب، فجعل ما تبعوا جوابا لإن، لأن إن بمعنى لو، فكما أن لو تجاب بما، كذلك أجيبت إن التي بمعنى لو، وإن كان إن إذا لم يكن بمعنى لو، لم يكن جوابها مصدرا بما، بل لا بد من الفاء. تقول: إن تزرني فما أزورك، ولا يجوز: ما أزورك. وعلى هذا يكون جواب القسم محذوفا لدلالة جواب إن عليه. وهذا الذي قاله الفراء هو بناء على مذهبه أن القسم إذا تقدم على الشرط، جاز أن

---

(١) سورة الروم: ٣٠/ ٥١.." (١)

"الفظيع من لعنة الله ولعنة اللاعنين على هذا الذنب العظيم، وهو كتمان ما أنزل الله تعالى، وقد بينه وأوضحه للناس بحيث لا يقع فيه لبس، فعمدوا إلى هذا الواضح البين فكتموه، فاستحقوا بذلك هذا العقاب. وجاء بأولئك اسم الإشارة البعيد، تنبيها على ذلك الوصف القبيح، وأبرز الخبر في صورة جملتين توكيدا وتعظيما، وأتى بالفعل المضارع المقتضي التجدد لتجدد مقتضيه، وهو قوله تعالى: إن الذين يكتمون. ولذلك أتى صلة الذين فعلا مضارعا ليدل أيضا على التجدد، لأن بقاءهم على الكتمان هو تجدد كتمان. وجاء بالجملة المسند فيها الفعل إلى الله، لأنه هو المجازي على ما اجترحوه من الذنب. وجاءت الجملة الثانية، لأن لعنة اللاعنين مترتبة على لعنة الله للكاتمين. وأبرز اسم الجلالة بلفظ الله على سبيل الالتفات، إذ لو جرى على نسق الكلام السابق، لكان أولئك يلعنهم، لكن في إظهار هذا الاسم من الفخامة ما لا يكون في الضمير. واللاعنون: كل من يتأتى منهم اللعن، وهم الملائكة ومؤمنو الثقلين، قاله الربيع بن أنس أو كل شيء من حيوان وجماد غير الثقلين، قاله ابن عباس والبراء بن عازب، إذا وضع في قبره وعذب فصاح، إذ يسمعه كل شيء إلا الثقلين أو البهائم والحشرات، قاله مجاهد وعكرمة، وذلك لما يصيبهم من

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢/ ٢٦

الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين، أو الطاردون لهم إلى النار حين يسوقونهم إليها، لأن اللعن هو الطرد أو الملائكة قاله قتادة أو المتلاعنون، إذا لم يستحق أحد منهم اللعن انصرف إلى اليهود، قاله ابن مسعود والأظهر القول الأول. ومن أطلق اللاعنون على ما لا يعقل أجراه مجرى ما يعقل، إذ صدرت منه اللعنة، وهي من فعل من يعقل، وذلك لجمعه بالواو والنون. وفي قوله: ويلعنهم اللاعنون، ضرب من البديع، وهو التجنيس المغاير، وهو أن يكون إحدى الكلمتين اسما والأخرى فعلا.

إلا الذين تابوا: هذا استثناء متصل، ومعنى تابوا عن الكفر إلى الإسلام، أو عن الكتمان إلى الإظهار. وأصلحوا ما أفسدوا من قلوبهم بمخالطة الكفر لها، أو ما أفسدوا من أحوالهم مع الله، أو أصلحوا قومهم بالإرشاد إلى الإسلام بعد الإضلال. وبينوا:

أي الحق الذي كتموه، أو صدق توبتهم بكسر الخمر وإراقتها، أو ما في التوراة والإنجيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، أو اعترفوا بتلبيسهم وزورهم، أو ما أحدثوا من توبتهم، ليمحوا سيئة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به، ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين.

فأولئك: إشارة إلى من جمع هذه الأوصاف من التوبة والإصلاح والتبيين. أتوب عليهم: أي أعطف عليهم، ومن تاب الله عليه لا تلحقه لعنة. وأنا التواب الرحيم:." (١)

"فاحتملت ما وجهين: أحدهما: أن تكون موصولة اسم إن، والعائد الضمير المستكن في حرم والميتة خبران. والوجه الثاني: أن تكون ما مهيئة والميتة مرفوع بحرم. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: إنما حرم، بفتح الحاء وضم الراء مخففة جعله لازما، والميتة وما بعدها مرفوع. ويحتمل ما الوجهين من التهيئة والوصل، والميتة فاعل يحرم، إن كانت ما مهيئة، وخبر إن، إن كانت ما موصولة. وقرأ أبو جعفر: الميتة، بتشديد الياء في جميع القرآن، وهو أصل للتخفيف. وقد تقدم الكلام على هذا التخفيف في قوله: أو كصيب «١» ، وهما لغتان جيدتان، وقد جمع بينهما الشاعر في قوله:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

قيل: وحكى أبو معاذ عن النحويين الأولين، أن الميت بالتخفيف: الذي فارقته الروح، والميت بالتشديد: الذي لم يمت، بل عاين أسباب الموت. وقد تقدم الكلام في الموت.

ولما أمر تعالى بأكل الحلال في الآية السابقة، فصل هنا أنواع الحرام، وأسند التحريم إلى الميتة. والظاهر أن المحذوف هو الأكل، لأن التحريم لا يتعلق بالعين، ولأن السابق المباح هو الأكل في قوله: كلوا مما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧٠/٢

في الأرض، كلوا من طيبات ما رزقناكم. فالممنوع هنا هو الأكل، وهكذا حذف المضاف يقدر بما يناسب. فقوله: حرمت عليكم أمهاتكم «٢» ، المحذوف: وطء، كأنه قيل: وطء أمهاتكم، وأحل لكم ما وراء ذلكم «٣» ، أي وطء ما وراء ذلكم. فسائر وجوه الانتفاعات محرم من هذه الأعيان المذكورة، إما بالقياس على الأكل عند من يقول بالقياس، وإما بدليل سمعي عند من لا يقول به.

وقال بعض الناس ما معناه: أنه تعالى لما أسند التحريم إلى الميتة، **وما نسق عليها** وعلقه بعينها، كان ذلك دليلا على تأكيد حكم التحريم وتناول سائر وجوه المنافع، فلا يخص شيء منها إلا بدليل يقتضي جواز الانتفاع به، فاستنبط هذا القول تحريم سائر الانتفاعات من اللفظ. والأظهر ما ذكرناه من تخصص المضاف المحذوف بأنه الأكل.

وظاهر لفظ الميتة يتناول العموم، ولا يخص شيء منها إلا بدليل. قال قوم: خص هذا العموم بقوله تعالى: أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة «٤» ، وبما

روي

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ١٩.

(٢) سورة النساء: ٤/ ٢٣.

(٣) سورة النساء: ٤/ ٢٤.

(٤) سورة المائدة: ٥/ ٩٦.." [1]

"شهادة، أو يكتمها، أو غيرهما ممن يمنع حصول المال ووصوله إلى مستحقه، وقيل:

المراد بمن: متولي الإيصاء دون الموصي والموصى له، فإنه هو الذي بيده العدل والجنف والتبديل والإمضاء، وقيل: المراد: بمن: هو الموصي، نهي عن تغيير وصيته عن المواضع التي نهى الله عن الوصية إليها، لأنهم كانوا يصرفونها إلى الأجانب، فأمروا بصرفها إلى الأقربين.

ويتعين على هذا القول أن يكون الضمير في قوله: فمن بدله وفي قوله: بعد ما سمعه عائدا على أمر الله تعالى في الآية، وفي قوله: بعد ما سمعه دليل على أن الإثم لا يترتب إلا بشرط أن يكون المبدل قد علم بذلك، وكنى بالسماع عن العلم لأنه طريق حصوله. فإنما إثمه: الضمير عائد على الإيصاء المبدل، أو على المصدر المفهوم من بدله، أي: فإنما إثم التبديل على المبدل، وفي هذا دليل على أن من اقترف ذنبا، فإنما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١١١/٢

وباله عليه خاصة، فإن قصر الوصي في شيء مما أوصى به الميت، لم يلحق الميت من ذلك شيء، وراعى المعنى في قوله: على الذين يبدلونه إذ لو جرى **على نسق اللفظ** الأول لكان: فإنما إثمه، أو فإنما إثمه عليه على الذي يبدله، وأتى في جملة الجواب بالظاهر مكان المضمر ليشعر بعلية الإثم الحاصل، وهو التبديل، وأتى بصلة: الذين، مستقبلة جريا على الأصل، إذ هو مستقبل.

إن الله سميع عليم في هاتين الصفتين تهديد ووعيد للمبدلين، فلا يخفى عليه تعالى شيء، فهو يجازيهم على تبديلهم شر الجزاء، وقيل: سميع لقول الموصي، عليم بفعل الموصى، وقيل: سميع لوصاياه، عليم بنياته. والظاهر القول الأول لمجيئه في أثر ذكر التبديل وما يترتب عليه من الإثم.

فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه الظاهر أن الخوف هو الخشية هنا، جريا على أصل اللغة في الخوف، فيكون المعنى: بتوقع الجنف أو الإثم من الموصي.

قال مجاهد: المعنى: من خشي أن يجنف الموصي، ويقطع ميراث طائفة، ويتعمد الإذاية أو يأتيها دون تعمد، وذلك هو الجنف دون إثم، وإذا تعمد فهو الجنف في إثم، فوعظه في ذلك ورده، فصلح بذلك ما بينه وبين ورثته، فلا إثم عليه.

إن الله غفور عن الموصي إذا عملت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الأذية." [١]

"وما بعده ظاهره أنه للأزواج، لأن الأخذ والإيتاء من الأزواج حقيقة، فنهوا أن يأخذوا شيئا، لأن العادة جرت بشح النفس وطلبها ما أعطت عند الشقاق والفراق، وجوزوا أن يكون الخطاب للأئمة والحكام ليلتئم مع قوله: فإن خفتم لأنه خطاب لهم لا للأزواج، ونسب الأخذ والإيتاء إليهم عند الترافع، لأنهم الذين يمضون ذلك. ومن قال: إنه للأزواج أجاب بأن الخطاب قد يختلف في الجملتين، فيفرد كل خطاب إلى من يليق به ذلك الحكم، ولا يستنكر مثل هذا، ويكون حمل الشيء على الحقيقة إذ ذاك أولى من حمله على المجاز، ومما آتيتموهن ظاهر في عموم ما آتوا على سبيل الصداق أو غيره من هبة، وقد فسره بعضهم بالصدقات، واللفظ عام، وشيئا إشارة إلى خطر الأخذ منهن، قليلا كان أو كثيرا، وشيئا نكرة في سياق النهي فتعم، و: مما، متعلق بقوله: تأخذوا، أو بمحذوف فيكون في موضع نصب على الحال من قوله: شيئا، لأنه لو تأخر لكان نعتا له.

إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله الألف واللام في يخافا ويقيما عائد على صنفي الزوجين، وهو من باب الالتفات، لأنه إذا اجتمع مخاطب وغائب، وأسند إليهما حكم كان التغليب للمخاطب، فتقول: أنت وزيد

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢/١٦٦

تخرجان، ولا يجوز يخرجان، وكذلك مع التكلم نحو: أنا وزيد نخرج، ولما كان الاستثناء بعد مضي الجملة للخطاب جاز الالتفات، ولو جرى **على النسق الأول** لكان: إلا أن تخافوا أن لا تقيموا، ويكون الضمير إذ ذاك عائدا على المخاطبين وعلى أزواجهم، والمعنى: إلا أن يخافا أي: صنفا الزوجين، ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من حقوق الزوجية، بما يحدث من بغض المرأة لزوجها حتى تكون شدة البغض سببا لمواقعة الكفر، كما في قصة جميلة مع زوجها ثابت، وأن يخافا قيل: في موضع نصب على الحال، التقدير: إلا خائفين، فيكون استثناء من الأحوال، فكأنه قيل: فلا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا في كل حال إلا في حال الخوف أن لا يقيما حدود الله، وذلك أن: أن، مع الفعل بتأويل المصدر، والمصدر في موضع اسم الفاعل فهو منصوب على الحال، وهذا في إجازته نظر، لأن وقوع المصدر حالا لا ينقاس، فأحرى ما وقع موقعه، وهو: أن الفعل، ويكثر المجاز فإن الحال إذ ذاك يكون: أن والفعل، الواقعان موقع المصدر الواقع موقع اسم الفاعل.

وقد منع سيبويه وقوع: أن والفعل، حالا، نص على ذلك في آخر: هذا باب ما يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات، والذي يظهر أنه استثناء من المفعول له، كأنه قيل: ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود." (١)

"الله، فذلك هو المبيح لكم الأخذ، ويكون حرف العلة قد حذف مع: أن، وهو جائز فصيحا كثيرا، ولا يجيء هنا، خلاف الخليل وسيبويه، أنه إذا حذف حرف الجر من: أن، هل ذلك في موضع نصب أو في موضع جر؟ بل هذا في موضع نصب، لأنه مقدر بالمصدر، والمصدر لو صرح به كان منصوبا، واصلا إليه العامل بنفسه، فكذلك هذا المقدر به، وهذا الذي ذكرناه من أن: أن والفعل، إذا كانا في موضع المفعول من أجله، فالموضع نصب لا غير، منصوص عليه من النحويين، ووجهه ظاهر.

ومعنى الخوف هنا الإيقان، قاله أبو عبيدة، أو: العلم أي إلا أن يعلما، قاله ابن سلمة، وإياه أراد أبو محجن، بقوله:

أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها ولذلك رفع الفعل بعد: أن، أو: الظن، قاله الفراء، وكذلك قرأ أبي: إلا أن يظنا، وأنشد:

أتاني كلام من نصيب بقوله ... وما خفت يا سلام أنك عايبي

والأولى بقاء الخوف على بابه، وهو أن يراد به الحذر من الشيء، فيكون المعنى: إلا أن يعلم. أو يظن أو

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢/٤٧٠

يوقن أو يحذر، كل واحد منهما بنفسه، أن لا يقيم حقوق الزوجة لصاحبه حسبما يجب، فيجوز الأخذ.
وقرأ عبد الله: إلا أن يخافوا أن لا يقيموا حقوق، أي إلا أن يخاف الأزواج والزوجات، وهو من باب الالتفات إذ لو جرى عليه النسق الأول لكان بالتاء، وروي عن عبد الله أنه قرأ أيضا: إلا أن تخافوا بالتاء.
وقرأ حمزة، ويعقوب، ويزيد بن القعقاع إلا أن يخافوا، بضم الياء، مبنيا للمفعول، والفاعل المحذوف: الولاة.
وأن لا يقيما، في موضع رفع بدل من الضمير، أي: إلا أن يخاف عدم إقامتهما حدود الله، وهو بدل اشتمال، كما تقول: الزيدان أعجباني حسنهما، والأصل: إلا أن يخافوا، أنها: الولاة، عدم إقامتهما حدود الله.
وقال ابن عطية: في قراءة يخافا بالضم، أنها تعدت خاف إلى مفعولين: أحدهما أسند الفعل إليه، والآخر بتقدير حرف جر بمحذوف، فموضع أن خفض الجار المقدر عند." (١)

"القشيري، عرف بابن دقيق العيد وسألني أن أكتب له فيها، وكان سؤاله في
قوله عليه السلام: «فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»
. ثم نكسوها لحما الكسوة حقيقة هي ما وارى الجسد من الثياب، واستعارها هنا لما أنشأ من اللحم الذي غطى به العظم. كقوله: فكسونا العظام لحما «١» وهي استعارة في غاية الحسن، إذ هي استعارة عين لعين، وقد جاءت الاستعارة في المعنى للجرم. قال النابغة:
الحمد لله إذ لم يأتني أجلي ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالا
وروي أنه كان يشاهد اللحم والعصب والعروق كيف تلتئم وتتواصل
، والذي يدل عليه ظاهر اللفظ: أن قول الله له كان بعد تمام بعثه، لا أن القول كان بعد إحياء بعضه.
والتعقيب بالفاء في قوله: فانظر إلى آخره، يدل على أن العظام لا يراد بها عظام نفسه، وتقدم ذكر شيء من هذا، إلا إن كان وضع: ننشرها، مكان: أنشرتها، و: نكسوها، مكان: كسوتها، فيحتمل. وتكرر الأمر بالنظر إلى الطعام والشراب في الثلاث الخوارق، ولم ينسق نسق المفردات، لأن كل واحد منها خارق عظيم، ومعجز بالغ، وبدأ أولا بالنظر إلى العظام والشراب حيث لم يتغيرا على طول هذه المدة، لأن ذلك أبلغ، إذ هما من الأشياء التي يتسارع إليها الفساد، إذ ما قام به الحياة وهو الحمار يمكن بقاؤه الزمان الطويل، ويمكن أن يحتش بنفسه ويأكل ويرد المياه. كما
قال صلى الله عليه وسلم في ضالة الإبل: «معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يأتيها ربها»

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٧١/٢

. ولما أمر بالنظر إلى الطعام والشراب، وبالنظر إلى الحمار، وهذه الأشياء هي التي كانت صحبته، وقال تعالى:
ولنجعلك آية للناس أي فعلنا ذلك: ولما كان قوله: وانظر إلى حمارك كالمجمل، بين له جهة النظر بالنسبة إلى الحمار، فجاء النظر الثالث توضيحا للنظر الثاني، من أي جهة ينظر إلى الحمار، وهي جهة إحيائه وارتفاع عظامه شيئا فشيئا عند التركيب وكسوتها اللحم. فليس نظرا مستقلا، بل هو من تمام النظر الثاني، فلذلك حسن الفصل بين النظرين بقوله:
ولنجعلك آية للناس.
وليس في الكلام تقديم وتأخير كما زعم بعضهم، وإن الأنظار منسوق بعضها على بعض، وإن قوله: ولنجعلك آية للناس إلخ هو مقدم في اللفظ، مؤخر في الرتبة.

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٣/ ١٤.." [١]

"وقال الماتريدي: فإن قيل كل عاقل يبتغي دين الله ويدعي أن الذي هو عليه دين الله.
قيل: الجواب من وجهين.
أحدهما: أنه لما قصر في الطلب جعل في المعنى كأنه باغ غير دين الله، إذ لو كان باغيا لبالغ في الطلب من الوجه الذي يوصل إليه منه، فكأنه ليس باغيا من حيث المعنى، ولكنه من حيث الصورة.
والثاني: أنه قد بان للبعض في الابتغاء ما هو الحق لظهور الحجج والآيات، ولكن أبى إلا العناد، فهو باغ غير دين الله، فتكون الآية في المعاندين. انتهى كلامه.
وقرأ أبو عمرو، وحفص، وعياش، ويعقوب، وسهل: يبغون، بالياء على الغيبة، وينسبها ابن عطية لأبي عمرو، وعاصم بكماله. وقرأ الباقون: بالتاء، على الخطاب، فالياء على نسق: هم الفاسقون، والتاء على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، والفاء لعطف هذه الجملة على ما قبلها، وقدمت الهمزة اعتناء بالاستفهام. والتقدير: فأغير؟ وجوز هذا الوجه الزمخشري، وهو قول جميع النحاة قبله. قال: ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره:
أيتولون فغير دين الله يبغون. انتهى. وقد تقدم ذكر هذا والكلام على مذهبه في ذلك، وأمعنا الكلام عليه في كتاب (التكميل) من تأليفنا.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢/٦٣٩

وانتصب: غير، على أنه مفعول يبغون، وقدم على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل، قاله الزمخشري. ولا تحقيق فيه، لأن الإنكار الذي هو معنى الهمزة لا يتوجه إلى الذوات، إنما يتوجه إلى الأفعال التي تتعلق بالذوات، فالذي أنكر إنما هو الابتغاء الذي متعلقه غير دين الله، وإنما جاء تقديم المفعول هنا من باب الاتساع، وشبه: يبغون، بالفاصلة بآخر الفعل.

وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها أسلم عند الجمهور: استسلم وانقاد، قال ابن عباس: أسلم طوعا بحالته الناطقة عند أخذ الميثاق عليه، وكرها عند دعاء الأنبياء لهم إلى الإسلام. وقال مجاهد: سجود ظل المؤمن طائعا وسجود ظل الكافر كارها. كما قال تعالى: ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال «١» وقال مجاهد أيضا، وأبو العالية، والشعبي: ما يقارب معناه: أسلم أقر

---

(١) سورة الرعد: ١٣/ ١٥.." [1]

"الرأي وتنقيحه، والفكر فيه. وإن ذلك مطلوب شرعا خلافا لما كان عليه بعض العرب من:

ترك المشورة، ومن: الاستبداد برأيه من غير فكر في عاقبة، كما قال:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

وقرأ الجمهور عزمت على الخطاب كالذي قبله. وقرأ عكرمة وجابر بن زيد وأبو نهيك وجعفر الصادق عزمت بضم التاء على أنها ضمير لله تعالى والمعنى فإذا عزمت لك على شيء أي أرشدتك إليه وجعلتك تقصده ويكون قوله على الله من باب الالتفات إذ لو جرى **على نسق ضم** التاء لكان فتوكل علي ونظيره في نسبة العزم إلى الله على سبيل التجوز قول أم سلمة، ثم عزم الله إن الله يحب المتوكلين حث على التوكل على الله، إذ أخبر أنه يحب من توكل عليه، والمرء ساع فيما يحصل له محبة الله تعالى.

وقد تضمنت هذه الآيات فنونا من البيان والبديع والإبهام في: ولا تلوون على أحد، فمن قال: هو الرسول أبهمه تعظيما لشأنه، ولأن التصريح فيه هضم لقدره. والتجنيس المماثل في: غما بغم، ثم أنزل عليكم من بعد الغم. والطباق: في يخفون ويبدون، وفي فاتكم وأصابكم. والتجنيس المغاير في: تظنون وظن، وفي فتوكل والمتوكلين. وذكر بعضهم ذلك في فظا ولانفضوا، وليس منه، لأنه قد اختلفت المادتان والتفسير بعد الإبهام في ما لا يبدون يقولون. والاحتجاج النظري في: لو كنتم في بيوتكم والاعتراض في: قل إن الأمر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٢٤٦

كله لله. والاختصاص في: بذات الصدور، وفي بما تعملون بصير، وفي يحب المتوكلين. والإشارة في قوله: ليجعل الله ذلك حسرة. والاستعارة في: إذا ضربوا في الأرض، وفي لنت، وفي غليظ القلب. والتكرار في: ما ماتوا، وما قتلوا، وما بعدهما، وفي: على الله إن الله. وزيادة الحرف للتأكيد في: فبما رحمة. والالتفات والحذف في عدة مواضع.

إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده هذا التفات، إذ هو خروج من غيبة إلى الخطاب. ولما أمره بمشاورتهم وبالتوكل عليه، أوضح أن ما صدر من النصر أو الخذلان إنما هو راجع لما يشاء. وأنه متى نصركم لا يمكن أن يغلبكم أحد، ومتى خذلكم فلا ناصر لكم فيما وقع لكم من النصر، أو بكم من الخذلان كيومي: بدر وأحد، فبمشيئته. وفي هذا تسلية لهم عما وقع لهم من الفرار. ثم أمرهم." (١)

"الامتناع في المكان الحصين للامتناع بالعقاب، واستعار لكثرة الزنا السفح وهو صب الماء في الأنهار والعيون بتدفق وسرعة، وكذلك: فآتوهن أجورهن استعار لفظ الأجور للمهور، والأجر هو ما يدل على عمل، فجعل تمكين المرأة من الانتفاع بها كأنه عمل تعمله. وفي قوله: طولا استعارة للمهر يتوصل به للغرض، والطول وهو الفضل يتوصل به إلى معالي الأمور. وفي قوله: يتبعون الشهوات استعار الاتباع والميل اللذين هما حقيقة في الإجرام لموافقة هوى النفس المؤدي إلى الخروج عن الحق. وفي قوله: أن يخفف، والتخفيف أصله من خفة الوزن وثقل الجرم، وتخفيف التكاليف رفع مشاقها من النفس، وذلك من المعاني. وتسمية الشيء بما يؤول إليه في قوله: أن ترثوا النساء كرها، سمي تزويج النساء أو منعهن للأزواج إرثا، لأن ذلك سبب الإرث في الجاهلية. وفي قوله: وخلق الإنسان ضعيفا جعله ضعيفا باسم ما يؤول إليه، أو باسم أصله. والطباق المعنوي في قوله: وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا، وقد فسر الخير الكثير بما هو محبوب. وفي قوله: والمحصنات من النساء، أي حرام عليكم ثم قال: وأحل لكم. والذي يظهر أنه من الطباق اللفظي، لأن صدر الآية حرمت عليكم أمهاتكم، **ثم نسق المحرمات**، ثم قال: وأحل لكم، فهذا هو الطباق. وفي قوله: محصنين غير مسافحين، والمحصن الذي يمنع فرجه، والمسافح الذي يبذله. والاحتراس في قوله: اللاتي دخلتم بهن احترز من اللاتي لم يدخل بهن، وفي وربائبكم اللاتي في حجوركم احترس من اللاتي ليست في الحجور.

وفي قوله: والمحصنات من النساء إذ المحصنات قد يراد بها الأنفس المحصنات، فيدخل تحتها الرجال،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٤١٠

فاحترز بقوله: من النساء. والاعتراض بقوله: والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض. والحذف في مواضع لا يتم المعنى إلا بها.

[سورة النساء (٤) : الآيات ٢٩ الى ٣٨]
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (٢٩) ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (٣١) ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما (٣٢) ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا (٣٣)
الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا (٣٤) وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا (٣٥) واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا (٣٦) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (٣٧) والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا (٣٨)." [١]

"فليس له أن يفتي، فإن أفتى فهو عاص وإن كان أميرا جائرا. قيل: ويحمل قول سهل على أنه يترك الفتيا إذا خاف منه على نفسه. وقال ابن خويز منداد: وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان فيه طاعة، ولا تجب فيما كان فيه معصية. قال: ولذلك قلنا: إن أمراء زماننا لا تجوز طاعتهم، ولا معاونتهم، ولا تعظيمهم، ويجب الغزو معهم متى غزوا، والحكم من قبلهم، وتولية الإمامة والحسبة، وإقامة ذلك على وجه الشريعة. فإن صلوا بنا وكانوا فسقة من جهة المعاصي جازت الصلاة معهم، وإن كانوا مبتدعة لم تجز الصلاة معهم إلا أن يخافوا فتصلى معهم تقية، وتعاد الصلاة فيما بعد. انتهى.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦٠٧/٣

واستدل بعض أهل العلم على إبطال قول من قال: بإمام معصوم بقوله: وأولي الأمر منكم. فإن الأمراء والفقهاء يجوز عليهم الغلط والسهو، وقد أمرنا بطاعتهم. ومن شرط الإمام العصمة فلا يجوز ذلك عليه، ولا يجوز أن يكون المراد الإمام لأنه قال **في نسق الخطاب**: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، فلو كان هناك إمام مفروض الطاعة لكان الرد إليه واجبا، وكان هو يقطع التنازع، فلما أمر برد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة دون الإمام، دل على بطلان الإمامة. وتأويلهم: أن أولي الأمر علي رضي الله عنه فاسد، لأن أولي الأمر جمع، وعلي واحد. وكان الناس مأمورين بطاعة أولي الأمر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلي لم يكن إماما في حياته، فثبت أنهم كانوا أمراء، وعلى المولى عليهم طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية. فكذلك بعد موتهم في لزوم اتباعهم طاعتهم ما لم تكن معصية. وقال أبو عبد الله الرازي: وأولي الأمر منكم إشارة إلى الإجماع، والدليل عليه أنه أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر بطاعته على الجزم والقطع لا بد أن يكون معصوما عن الخطأ، وإلا لكان بتقدير إقدامه على الخطأ مأمورا باتباعه، والخطأ منهي عنه، فيؤدي إلى اجتماع الأمر والنهي في فعل واحد باعتبار واحد، وأنه محال. وليس أحد معصوما بعد الرسول إلا جمع الأمة أهل العقد والحل، وموجب ذلك أن إجماع الأمة حجة.

فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال مجاهد، وقتادة، والسدي، والأعمش، وميمون بن مهران: فردوه إلى كتاب الله، وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى سنته بعد وفاته. وقال قوم منهم الأصم: معناه قولوا: الله ورسوله أعلم. وقال الزمخشري: فإن اختلفتم أنتم وأولوا الأمر في شيء من أمور الدين فردوه ارجعوا فيه إلى." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم في سراياه، فإذا طرأت لهم شبهة أمن للمسلمين، أو فتح عليهم، حقروها وصغروا شأنها انتهى. والضمير في به عائد على الأمر، قيل: ويجوز أن يعود على الأمن أو الخوف، ووحد الضمير لأن، أو تقتضي أحدهما.

ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي: ولو ردوا الأمر الذي بلغهم إلى الرسول وأولي الأمر وهم: الخلفاء الأربعة ومن يجري على سننهم، قاله: ابن عباس، أو أبو بكر، وعمر خاصة، قاله: عكرمة. أو أمراء السرايا قاله:

السدي، ومقاتل، وابن زيد. أو العلماء من الصحابة قاله: الحسن، وقتادة، وابن جريج.

والمعنى: لو أمسكوا عن الخوض فيما بلغهم، واستقصوا الأمر من الرسول وأولي الأمر، لعلم حقيقة ذلك

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٦٨٧

الأمر الوارد من له بحث ونظر وتجربة، فأخبروهم بحقيقة ذلك، وأن الأمر ليس جاريا على أول خبر يطرأ.
قال الزمخشري: هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال والاستبطان للأمور، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به، وكانت إذاعتهم مفسدة. ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله، وإلى أولي الأمر منهم وهم: كبار الصحابة البصراء بالأمور، أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه، لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه أي: الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها. وقيل: كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء، أو على خوف واستشعار، فيذيعونه فينشر، فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة، ولو ردوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر وفوضوه إليهم، وكانوا كأن لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه، وما يأتون ويدرون فيه.
وقيل: كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه، فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين. ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر، وقالوا: نسكت حتى نسمعه منهم، ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع؟ لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته، وهل هو مما يذيع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي: يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم انتهى كلامه.
وهذه كلها تأويلات حسنة، وأجراها **على نسق الكلام** هذا التأويل الأخير وهو: أن المعنى إذا طرأ خبر بأمن المسلمين أو خوف، فينبغي أن لا يشاع، وأن يرد إلى الرسول." (١)

"واحدة على ملة الإسلام، ويعزى هذا القول أيضا إلى ابن عباس، والحسن، وقتادة.
وقال العباس بن غزوان: وإن من أهل الكتاب بتشديد النون، وهي قراءة عسرة التخريج، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي: شهيدا على أهل الكتاب على اليهود بتكذيبهم إياه وطعنهم فيه، وعلى النصارى بجعلهم إياه إلها مع الله أو ابنا له، والضمير في يكون لعيسى. وقال عكرمة: لمحمد صلى الله عليه وسلم.
قيل: وتضمنت هذه الآيات أنواعا من الفصاحة والبديع. فمنها التجنيس المغاير في: يخادعون وخادعهم، وشكرتم وشاكرا. والمماثل في: وإذا قاموا. والتكرار في: اسم الله، وفي: هؤلاء وهؤلاء، وفي: ويرون ويريدون، وفي: الكافرين والكافرين، وفي: أهل الكتاب وكتابا، وفي: بميثاقهم وميثاقا. والطباق في: الكافرين والمؤمنين، وفي: إن تبدوا أو تخفوه، وفي: نؤمن ونكفر، والاختصاص في: إلى الصلاة، وفي: الدرك الأسفل، وفي:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧٢٧/٣

الجهر بالسوء. والإشارة في مواضع. الاستعارة في: يخادعون الله وهو خادعهم استعار اسم الخداع للمجازاة وفي: سبيلا، وفي سلطانا لقيام الحجة والدرك الأسفل لا نخفاض طبقاتهم في النار، واعتصموا للالتجاء، وفي: أن يفرقوا، وفي: ولم يفرقوا وهو حقيقة في الأجسام استعير للمعاني، وفي: سلطانا استعير للحجة، وفي: غلف وبل طبع الله. وزيادة الحرف لمعنى في: فبما نقضهم، وإسناد الفعل إلى غير فاعله في: فأخذتهم الصاعقة وجاءتهم البينات وإلى الراضي به وفي: وقتلهم الأنبياء، وفي: وقولهم على مريم بهتانا وقولهم إنا قتلنا المسيح. **وحسن النسق في**: فبما نقضهم ميثاقهم والمعاطيف عليه حيث نسقت بالواو التي تدل على الجميع فقط. وبين هذه الأشياء أعصار متباعدة فشرك أوائلهم وأواخرهم لعمل أولئك ورضا هؤلاء. وإطلاق اسم كل على بعض وفي: كفرهم بآيات الله وهو القرآن والإنجيل ولم يكفروا بشيء من الكتب إلا بهما وفي قولهم إنا قتلنا ولم يقل ذلك إلا بعضهم. والتعريض في رسول الله إذا قلنا إنه من كلامهم. والتوجيه في غلف من احتمال المصدر جمع غلاف أو جمع أغلف. وعود الضمير على غير مذكور وهو في ليؤمنن به قبل موته على من جعلهما لغير عيسى. والنقل من صيغة فاعل إلى فعيل في شهيد. والحذف في مواضع.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٦٠ الى ١٧٢]

فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا (١٦٠) وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما (١٦١) لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما (١٦٢) إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤)

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما (١٦٥) لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩)

يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق

إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (١٧١) لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (١٧٢)." [١]

"الأنبياء. وقال ابن جرير: ما أوتي أحد من النعم في زمان قوم موسى ما أوتوا، خصوا بفلق البحر لهم، وإنزال المن والسلوى، وإخراج المياه العذبة من الحجر، ومد الغمام فوقهم.

ولم تجمع النبوة والملك لقوم كما جمعا لهم، وكانوا في تلك الأيام هم العلماء بالله وأحباؤه وأنصار دينه انتهى. وإن المراد كثرة الأنبياء، أو خصوصات مجموع آيات موسى.

فلفظ العالمين مقيد بالزمان الذي كان فيه بنو إسرائيل، لأن أمة محمد قد أوتيت من آيات محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك:

قد ظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغمامة قبل مبعثه، وكلمته الحجارة والبهائم، وأقبلت إليه الشجرة، وحن له الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه، وشبع كثير من الناس من قليل الطعام ببركته، وانشق له القمر، وعد العود سيفا، وعاد الحجر المعترض في الخندق رملا مهيلا

إلى غير ذلك من آياته العظمى ومعجزاته الكبرى. وهذه المقالة من موسى لبني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله هي توطئة لنفوسهم، وتقدم إليهم بما يلقي من أمر قتال الجبارين ليقوى جأشهم، وليعلموا أن من أنعم الله عليه بهذه النعم العظيمة لا يخذله الله، بل يعليه على عدوه ويرفع من شأنه، ويجعل له السلطنة والقهر عليه. والخطاب في قوله: وآتاكم، ظاهره أنه لبني إسرائيل كما شرحناه، وأنه من كلام موسى لهم، وبه قال الجمهور. وقال أبو مالك، وابن جبير: هو خطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وانتهى الكلام عند قوله: وجعلكم ملوكا، ثم التفت إلى هذه الأمة لما ذكر موسى قومه بنعم الله، ذكر الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة الظاهرة جبرا لقلوبهم، وأنه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، وعلى هذا المراد بالعالمين العموم، فإن الله فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، وأسبغ عليهم من النعم ما لم يسبغها على أحد من الأمم، وهذا معنى قول ابن جرير وهو اختياره. وقال ابن عطية: وهذا ضعيف، وإنما ضعف عنده لأن الكلام **في نسق واحد** من خطاب موسى لقومه، وهو معطوف على ما قبله، ولا يلزم ما قاله، لأن القرآن جاء على قانون كلام العرب من الالتفات

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٣١/٤

والخروج من خطاب إلى خطاب، لا سيما إذا كان ظاهر الخطاب لا يناسب من خوطب أولا، وإنما يناسب من وجه إليه ثانيا، فيقوي بذلك توجيه الخطاب إلى الثاني إذا حمل اللفظ على ظاهره. وقرأ ابن محيصن: يا قوم بضم الميم، وكذا حيث وقع في القرآن، وروي ذلك عن ابن كثير. وهذا الضم هو على معنى الإضافة، كقراءة من قرأ: قل رب احكم بالحق بالضم وهي إحدى اللغات الخمس الجائزة في المنادى المضاف لياء المتكلم.

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم المقدسة المطهرة، وهي." (١)

"قيل: أحكام الجاهلية وهي إشارة إلى الكهان الذين كانوا يأخذون الحلوان وهي رشا الكهان، ويحكمون لهم بحسبه وبحسب الشهوات، أرادوا بسفههم أن يكون خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام. وقرأ الجمهور: يبغون بالياء **على نسق الغيبة** المتقدمة. وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب، وفيه مواجهتهم بالإنكار والردع والزجر، وليس ذلك في الغيبة، فهذه حكمة الالتفات والخطاب ليهود قريظة والنضير.

ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون أي لا أحد أحسن من الله حكما. وتقدم وأن احكم بينهم بما أنزل الله «١» فجاءت هذه الآية مشيرة لهذا المعنى والمعنى: أن حكم الله هو الغاية في الحسن وفي العدل. وهو استفهام معناه التقرير، ويتضمن شيئا من التكبر عليهم. واللام في: لقوم يوقنون، للبيان فتتعلق بمحذوف أي: في هيت لك وسقيا لك أي: هذا الخطاب. وهذا الاستفهام لقوم يوقنون قاله الزمخشري. وقال ابن عطية:

وحسن دخول اللام في رقوم من حيث المعنى يبين ذلك، ويظهر لقوم يوقنون. وقيل: اللام بمعنى عند أي عند قوم يوقنون، وهذا ضعيف. وقيل: تتعلق بقوله: حكما، أي أن أحكم الله للمؤمن على الكافر. ومتعلق يوقنون محذوف تقديره: يوقنون بالقرآن قاله ابن عباس.

وقيل: يوقنون بالله تعالى قاله مقاتل. وقال الزجاج: يوقنون يثبتون عهد الله تعالى في حكمه، وخصوا بالذكر لسرعة إذعانهم لحكم الله وأنهم هم الذين يعرفون أن لا أعدل منه ولا أحسن حكما.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ٥١ الى ٧٥]

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (٥١) فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢١٦/٤

فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢) ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين (٥٣) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (٥٤) إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (٥٥)

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون (٥٦) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين (٥٧) وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨) قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون (٥٩) قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦٠)

وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (٦٣) وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين (٦٤) ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم (٦٥)

ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (٦٦) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (٦٧) قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين (٦٨) إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٩) لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠)

وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١) لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار (٧٢) لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (٧٤) ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون (٧٥)

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٤٩. [.....]."[1]

"لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم تقدم الكلام على إعراب ما قال الزمخشري في قوله: أن سخط الله، أنه هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم، والمعنى موجب سخط الله عليهم انتهى. ولا يصح هذا الإعراب إلا على مذهب الفراء، والفارسي في أن ما موصولة، أو على مذهب من جعل في بئس ضميرا، وجعل ما تمييزا بمعنى شيئا، وقدمت صفة التمييز. وأما على مذهب سيبويه فلا يستوي ذلك، لأن ما عنده اسم تام معرفة بمعنى الشيء، والجملة بعده صفة للمخصوص المحذوف، والتقدير: لبئس الشيء شيء قدمت لهم أنفسهم، فيكون على هذا أن سخط الله في موضع رفع بدل من ما انتهى. ولا يصح هذا سواء كانت موصولة، أم تامة، لأن البدل يحل محل المبدل منه، وأن سخط لا يجوز أن يكون فاعلا لبئس، لأن فاعل نعم وبئس لا يكون أن والفعل. وقيل: أن سخط في موضع نصب بدلا من الضمير المحذوف في قدمت، أي: قدمته كما تقول: الذي ضربت زيدا أخوك تريد ضربته زيدا. وقيل: على إسقاط اللام أي: لأن سخط.

وفي العذاب هم خالدون لما ذكر ما قدموا إلى الآخرة زادا، وذمه بأبلغ الذم، ذكر ما صاروا إليه وهو العذاب وأنهم خالدون فيه، وأنه ثمرة سخط الله، كما أن السخط ثمرة العصيان.

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء إن كان المراد بقوله: ترى كثيرا منهم «١» أسلافهم، فالنبي داود وعيسى أو معاصري الرسول، فالنبي هو محمد صلى الله عليه وسلم، والذين كفروا عبدة الأوثان. والمعنى: لو كانوا يؤمنون إيمانا خالصا غير نفاق، إذ موالاة الكفار دليل على النفاق. والظاهر في ضمير كانوا وضمير الفاعل في ما اتخذوهم أنه يعود على كثيرا منهم، وفي ضمير المفعول أنه يعود على

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٨٨/٤

الذين كفروا. وقال القفال وجها آخر وهو: أن يكون المعنى ولو كان هؤلاء المتولون من المشركين يؤمنون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذهم هؤلاء اليهود أولياء. والوجه الأول أولى، لأن الحديث إنما هو عن قوله كثيرا منهم، فعود الضمائر **على نسق واحد** أولى من اختلافها. وجاء جواب لو منفيا بما بغير لام، وهو الأفصح، ودخول اللام عليه قليل نحو قوله:

(١) سورة المائدة: ٥/ ٨٠.." (١)

"النعت ووصف العداوة بالأشد والمودة بالأقرب دليل على تفاوت الجنسين بالنسبة إلى المؤمنين، فتلك العداوة أشد العداوات وأظهرها، وتلك المودة أقرب وأسهل، وظاهر الآية يدل على أن النصارى أصلح حالا من اليهود وأقرب إلى المؤمنين مودة، وعلى هذا الظاهر فسر الآية على من وقفنا على كلامه.

قال بعضهم: وليس على ظاهره وإنما المراد أنهم أكثر أسباب مودة من اليهود، وذلك ذم لهم، فإن من كثرت أسباب مودته كان تركه للمودة أفحش، ولهذا قال أبو بكر الرازي:

من الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحا للنصارى وإخبارا بأنهم خير من اليهود، وليس كذلك لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليه ما ذكره **في نسق التلاوة** من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بالله وبالرسول، ومعلوم عند كل ذي فطنة صحيحة أنعم في مقالتي الطائفتين أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة وأظهر فسادا من مقالة اليهود، لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة وإن كان فيها مشبهة ببعض ما اعتقدته في الجملة من التوحيد بالتشبيه انتهى كلام أبي بكر الرازي والظاهر ما قاله المفسرون وغيره من أن النصارى على الجملة أصلح حالا من اليهود، وقد ذكر المفسرون فيما تقدم ما فضل به النصارى على اليهود من كرم الأخلاق، والدخول في الإسلام سريعا، وليس الكلام واردا بسبب العقائد، وإنما ورد بسبب الانفعال للمسلمين، وأما قوله لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول ليس كما ذكر، بل صدر الآية يقتضي العموم لأنه قال: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ثم أخبر أن من هذه الطائفة علماء وزهاد ومتواضعين وسريعي استجابة للإسلام وكثيري بكاء عند سماع القرآن، واليهود بخلاف ذلك والوجود يصدق قرب النصارى من المسلمين وبعد اليهود.

ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم ل ا يستكبرون الإشارة بذلك إلى أقرب المودة عليه، أي منهم علماء

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤/٣٣٩

وعباد وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة، وليسوا مستكبرين واليهود على خلاف ذلك لم يكن فيهم قط أهل ديارات ولا صوامع وانقطاع عن الدنيا، بل هم معظمون متطاولون لتحصيلها حتى كأنهم لا يؤمنون بآخرة ولذلك لا يرى فيهم زاهد، والرهبان جمع راهب كفارس وفرسان والرهب والرهبة الخشية. وقيل الرهبان مفرد كسلطان وأنشدوا:." (١)

"فعلهم أي ثم بعد معرفتكم بهذا كله وتحققه أنتم تشركون انتهى. وقيل: معنى تشركون تعودون إلى ما كنتم عليه من الإشراك وعبادة الأصنام ولا يخفى ما في هذه الجملة الاسمية من التقبيح عليهم إذ ووجهوا بقوله: ثم أنتم كقوله: ثم أنتم هؤلاء بعد قوله وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم «١» وإذا كان الخبر تشركون بصيغة المضارع المشعر بالاستمرار والتجدد في المستقبل كما كانوا عليه فيما مضى.

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم هذا إخبار يتضمن الوعيد، والأظهر **من نسق الآيات** أنه خطاب للكفار وهو مذهب الطبري. وقال أبي وأبو العالية وجماعة: هي خطاب للمؤمنين. قال أبي: هن أربع: عذاب قبل يوم القيامة مضت اثنتان قبل وفاة الرسول بخمس وعشرين سنة لبسوا شيعا وأذيق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم. وقال الحسن: بعضها للكفار بعث العذاب من فوق ومن تحت وس ائرها للمؤمنين، انتهى.

وحين نزلت استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وقال في الثالثة: «هذه أهون أو هذه أيسر»

واحتج بهذا من قال هي للمؤمنين. وقال الطبري: لا يمتنع أن يكون عليه السلام تعوذ لأمته مما وعد به الكفار وهون الثالثة لأنها في المعنى هي التي دعا فيها فمنع كما في حديث الموطأ وغيره. والظاهر من فوقكم أو من تحت أرجلكم الحقيقة كالصواعق وكما أمطر على قوم لوط وأصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان، كقوله: ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر «٢» وكالزلازل ونبع الماء المهلك وكما خسف بقارون. وقال السدي عن أبي مالك وابن جبير: الرجم والخسف. وقال ابن عباس: من فوقكم ولاة الجور ومن تحت أرجلكم سفلة السوء وخدمته. وقيل: حبس المطر والنبات. وقيل: من فوقكم خذلان السمع والبصر والآذان واللسان ومن تحت أرجلكم خذلان الفرج والرجل إلى المعاصي انتهى، وهذا والذي قبله مجاز بعيد.

أو يلبسكم شيعا أي يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم إنشاب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال كقول الشاعر:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤/٣٤٤

وكتيبة لبستها بكتيبة ... حتى إذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم تقص الرماح ظهورهم ... ما بين منغفر وآخر مسند

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٨٤.

(٢) سورة القمر: ٥٤/ ١١.." [1]

"قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين. لما اعتذر إليه أخوه استغفر لنفسه وله قالوا واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه وعجلته في إلقاء الألواح واستغفاره لأخيه من فعلته في الصبر لبني إسرائيل قالوا: ويمكن أن يكون الاستغفار مما لا يعلمه والله أعلم، وقال الزمخشري لما اعتذر إليه أخوه وذكر شماتة الأعداء، قال: رب اغفر لي ولأخي ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا يتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حين الخلافة وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال متضمنة لهما في الدنيا والآخرة انتهى، وقوله ولأخيه أن عسى فرط إن كانت أن بفتح الهمزة فتكون المخففة من الثقيلة ويقرب معناه، وإن كانت بكسر الهمزة فتكون للشرط ولا يصح إذ ذاك دخولها على عسى لأن أدوات الشرط لا تدخل على الفعل الجامد.

إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين. الظاهر أنه من كلام الله تعالى إخبارا عما ينال عباد العجل ومخاطبة لموسى بما ينالهم. وقيل: هو من بقية كلام موسى إلى قوله في الحياة الدنيا وأصدقه الله تعالى بقوله: وكذلك نجزي المفترين والأول الظاهر لقوله وكذلك نجزي المفترين **في نسق واحد** مع الكلام قبله والمعنى اتخذوه إلها لقوله فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا: هذا إلهكم وإله موسى، قيل: والغضب في الآخرة والذلة في الدنيا وهم فرقة من اليهود أشربوا حب العجل فلم يتوبوا، وقيل: هم من مات منهم قبل رجوع موسى من الميقات، وقال أبو العالية وتبعه الزمخشري: هو ما أمروا به من قتل أنفسهم، وقال الزمخشري والذلة خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب انتهى، وينبغي أن يقول استمرار انقطاعهم عن ديارهم لأن خروجهم كان سبق على عبادة العجل، وقال عطية العوفي: هو في قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير لأنهم تولوا متخذي العجل، وقيل: ما نال أولادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من السبي والجلاء والجزية وغيرها، وجمع هذين القولين الزمخشري فقال: هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٤٣/٤

الجزية انتهى، والغضب إن أخذ بمعنى الإرادة فهو صفة ذات أو بمعنى العقوبة فهو صفة فعل والظاهر أن قوله في الحياة الدنيا متعلق بقوله سينالهم، وكذلك أي مثل ذلك النيل من الغضب والذلة نجزي من افترى الكذب على الله وأي افتراء أعظم من قولهم هذا إلهكم وإله موسى والمفترين عام في كل مفتر." (١)

"أذن لا يؤاخذكم خير لكم، ثم وصفه تعالى بأنه يؤمن بالله، ومن آمن بالله كان خائفا منه لا يقدم على الإيذاء بالباطل. ويؤمن للمؤمنين أي: يسمع من المؤمنين ويسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم مؤمنين، فهم صادقون. ورحمة للذين آمنوا منكم، وخص المؤمنين وإن كان رحمة للعالمين، لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول لم يحصل لغيرهم، وخصوا هنا بالذكر وإن كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيتهم. وهذه الأوصاف الثلاثة مبينة جهة الخيرية، ومظهرة كونه صلى الله عليه وسلم أذن خير. وتعدية يؤمن أولا بالباء، وثانيا باللام. قال ابن قتيبة: هما زائدان، والمعنى: يصدق الله، ويصدق المؤمنين.

وقال الزمخشري: قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر، فعدي بالباء، وقصد الاستماع للمؤمنين، وأن يسلم لهم ما يقولون فعدي باللام. ألا ترى إلى قوله تعالى: وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين «١» ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه «٢» أنؤمن لك واتبعك الأرذلون «٣» آمنتم له قبل أن آذن لكم «٤» انتهى. وقال ابن عطية: يؤمن بالله يصدق بالله، ويؤمن للمؤمنين. قيل: معناه ويصدق المؤمنين، واللام زائدة كما هي في ردف لكم «٥» وقال المبرد: هي متعلقة بمصدر مقدر من الفعل، كأنه قال: وإيمانه للمؤمنين أي: وتصديقه. وقيل: يقال آمنت لك بمعنى صدقتك، ومنه قوله:

وما أنت بمؤمن لنا «٦» وعندي أن هذه التي معها اللام في ضمنها باء فالمعنى: ويصدق للمؤمنين فيما يخبرونه به، وكذلك وما أنت بمؤمن لنا بما نقوله لك انتهى. وقرأ أبي، وعبد الله، والأعمش، وحمزة: ورحمة بالجر عطفا على خبر، فالجملة من يؤمن اعتراض بين المتعاطفين، وباقي السبعة بالرفع عطفا على يؤمن، ويؤمن صفة لأذن خير. وابن أبي عبلة: بالنصب مفعولا من أجله حذف متعلقه التقدير: ورحمة يأذن لكم، فحذف لدلالة أذن خير لكم عليه. وأبرز اسم الرسول ولم يأت به ضميرا **على نسق يؤمن** بلفظ الرسول تعظيما لشأنه، وجمعا له في الآية بين الرتبتين العظيمتين من النبوة والرسالة، وإضافته إليه زيادة في تشريفه، وحتم على من أذاه بالعذاب الأليم، وحق لهم ذلك والذين يؤذون عام يندرج فيه هؤلاء الذين أذوا هذا الإيذاء الخاص وغيرهم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥/١٨٤

(١) سورة يوسف: ١٢/ ١٧.

(٢) سورة يونس: ١٠/ ٨٣.

(٣) سورة الشعراء: ٢٦/ ١١١.

(٤) سورة الأعراف: ٧/ ١٢٣.

(٥) سورة النمل: ٢٧/ ٧٢.

(٦) سورة يوسف: ١٢/ ١٧.." (١)

"العطف على محل مثقال ذرة أو لفظه فتحا في موضع الجر إشكال، لأن قولك: لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل انتهى. وإنما أشكل عنده، لأن التقدير يصير إلا في كتاب فيعزب، وهذا كلام لا يصح. وخرجه أبو البقاء على أنه استثناء منقطع تقديره: لكن هو في كتاب مبين، ويزول بهذا التقدير الإشكال. وقال أبو عبد الله الرازي: أجاب بعض المحققين من وجهين: أحدهما أن الاستثناء منقطع، والآخر أن العزوب عبارة عن مطلق البعد، والمخلوقات قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض، وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد، وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمملوكية عن مرتبة وجود واجب الوجود، فالمعنى: لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهو في كتاب مبين، كتبه الله، وأثبت صور تلك المعلومات فيها انتهى، وفيه بعض تلخيص. وقال الجرجاني صاحب النظم: إلا بمعنى الواو أي: وهو في كتاب مبين. والعرب تضع إلا موضع **واو النسق كقوله**: إلا من ظلم «١» إلا الذين ظلموا منهم «٢» انتهى. وهذا قول ضعيف لم يثبت من لسان العرب وضع إلا موضع الواو، وتقدم الكلام على قوله: إلا الذين ظلموا منهم «٣» وسيأتي على قوله: إلا من ظلم إن شاء الله تعالى.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٦٢ الى ٧٠]

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤) ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم (٦٥) ألا إن لله من في السماوات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (٦٦)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٤٩/٥

هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (٦٧) قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون (٦٨) قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (٦٩) متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (٧٠)

---

(١) سورة النمل: ٢٧/ ١١.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ١٥٠.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ١٥٠.." [(١)]

"اتخذ موطنا، والظاهر اتخاذ البيوت بمصر. قال الضحاك: وهي مصر المحروسة، ومصر من البحر إلى أسوان، والأسكندرية من أرض مصر. وقال مجاهد: هي الأسكندرية، وكان فرعون قد استولى على بني إسرائيل خرب مساجدهم ومواضع عباداتهم، ومنعهم من الصلوات، وكلفهم الأعمال الشاقة. وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم، فيردوهم ويفتنوهم عن دينهم، كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام. وقرأ حفص في رواية هبيرة: تبويا بالياء، وهذا تسهيل غير قياسي، ولو جرى على القياس لكان بين الهمزة والألف، والظاهر أن المأمور بأن يجعل قبلة هي المأمور بتبوئها. ومعنى قبلة مساجد: أمروا بأن يتخذوا بيوتهم مساجد قاله:

النخعي، وابن زيد، وروي عن ابن عباس. وعن ابن عباس أيضا: واجعلوا بيوتكم قبل القبلة، وعنه أيضا: قبل مكة. وقال مجاهد وقتادة ومقاتل والفراء: أمروا بأن يجعلوها مستقبلة الكعبة. وعن ابن عباس أيضا وابن جبير: قبلة يقابل بعضها بعضا. وأقيموا الصلاة وهذا قبل نزول التوراة، لأنها لم تنزل إلا بعد إجارة البحر. وبشر المؤمنين يعني: بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة، وهو أمر لموسى عليه السلام أن يتبوآ لقومهما ويختاراها للعبادة، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. **ثم نسق الخطاب** عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللمبشر به.

[سورة يونس (١٠) : الآيات ٨٨ الى ١٠٩]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦/٨٠

وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٨٨) قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون (٨٩) وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين (٩٠) آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (٩١) فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون (٩٢)

ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (٩٣) فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (٩٤) ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (٩٥) إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون (٩٦) ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم (٩٧)

فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين (٩٨) ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٩٩) وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (١٠٠) قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠١) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين (١٠٢)

ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين (١٠٣) قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين (١٠٤) وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين (١٠٥) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين (١٠٦) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (١٠٧)

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل (١٠٨) واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٠٩)." [١]

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩٧/٦

"الفجر قرآنا وهي القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة علي بن أبي علية. والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن انتهى. وقيل: إذا فسرنا الدلوك بزوال الشمس كان الوقت مشتركا بين الظهر والعصر إذا غييت الإقامة بغسق الليل، ويكون الغسق وقتا مشتركا بين المغرب والعشاء، ويكون المذكور ثلاثة أوقات: أول وقت الزوال، وأول وقت المغرب، وأول وقت الفجر انتهى، والذي يدل عليه ظاهر اللفظ أنه أمر بإقامة الصلاة إما من أول الزوال إلى الغسق، وبقرآن الفجر، وإما من الغروب إلى الغسق وبقرآن الفجر، فيكون المأمور به الصلاة في وقتين ولا تؤخذ أوقات الصلوات الخمس من هذا اللفظ بوجه. وقال أبو عبد الله الرازي في قوله وقرآن الفجر دلالة على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة لأن الأمر على الوجوب، ولا قراءة في ذلك الوقت واجبة إلا في الصلاة ومن قال معنى وقرآن الفجر صلاة الفجر غلط لأنه صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز بغير دليل، ولأن **في نسق التلاوة** ومن الليل فتهجد به نافلة لك ويستحيل التهجد بصلاة الفجر ليلا. والهاء في به كناية عن قرآن الفجر المذكور قبله، فثبت أن المراد حقيقة القرآن لا مكان التهجد بالقرآن المقروء في صلاة الفجر واستحالة التهجد في الليل بصلاة الفجر، وعلى أنه لو صح أن يكون المراد ما ذكروا لكانت دلالته قائمة على وجوب القراءة في الصلاة لأنه لم تجعل القراءة عبارة عن الصلاة إلا وهي من أركانها انتهى. وفيه بعض تلخيص والظاهر ندبية إيقاع صلاة الصبح في أول الوقت لأنه مأمور بإيقاع قرآن الفجر، فكان يقتضي الوجوب أول طلوع الفجر، لكن الإجماع منع من ذلك فبقي الندب لوجود المطلوبية، فإذا انتفى وجوبها بقي ندبها وأعاد قرآن الفجر في قوله إن قرآن الفجر ولم يأت مضمرا فيكون أنه على سبيل التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى مشهودا تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء

في الحديث: «إنهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر» .

وهذا قول الجمهور. وقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة. وقيل: من حقه أن تشهده الجماعة الكثيرة. قال الزمخشري: ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب، ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة انتهى. ويعني بقوله حثا أن يكون التقدير وعليك قرآن الفجر أو والزم.

وقال محمد بن سهل بن عسكر: مشهودا يشهده الله وملائكته، وذكر حديث أبي." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩٨/٧

"الداعي ذا قربى من المدعو، فإن المدعو لا يحمل منه شيئا. وذكر الضمير حملا على المعنى، لأن قوله: مثقلة، لا يريد به مؤنث المعنى فقط، بل كل شخص، فكأنه قيل:

وإن تدع شخصا مثقلا. وقرىء: ولو كان ذو قربى، على أن كان تامة، أي ولو حضر إذا ذاك ذو قربى ودعته، لم يحمل منه شيئا. وقالت العرب: قد كان لبن، أي حضر وحدث.

وقال الزمخشري: نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة، لأن المعنى: على أن المثقلة إذا دعت أحدا إلى حملها لا يحمل منه، وإن كان مدعوها ذا قربى، وهو معنى صحيح ملتئم.

ولو قلت: ولو وجد ذو قربى، لتفكك وخرج عن اتساقه والتئامه. انتهى. **وهو نسق ملتئم** على التقدير الذي ذكرناه، وتفسيره كان، وهو مبني للفاعل، يؤخذ المبني للمفعول تفسير معنى، وليس مرادفا ومرادفه، حدث أو حضر أو وقع، هكذا فسره النحاة.

ولما سبق ما تضمن الوعيد وبعض أهوال القيامة، كان ذلك إنذارا، فذكر أن الإنذار إنما يجدي وينفع من يخشى الله. بالغيب: حال من الفاعل أو المفعول، أي يخشون ربهم غافلين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائبا عنهم. وقيل: بالغيب في السر، وقيل:

بالغيب، أي وهو بحال غيبه عنهم إنما هي رسالة. وقرأ الجمهور: ومن تزكى، فعلا ماضيا، فإنما يتزكى: فعلا، مضارع تزكى، أي ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي، فإنما ثمرة ذلك عائدة عليه، وهو إنما زكاته لنفسه لا لغيره، والتزكي شامل للخشية وإقامة الصلاة. وقرأ العباس عن أبي عمرو: ومن يزكى فإنما يزكى، بالياء من تحت وشد الزاي فيهما، وهما مضارعان أصلهما ومن يتزكى، أدغمت التاء في الزاي، كما أدغمت في الذال في قوله: يذكرون «١» . وقرأ ابن مسعود، وطلحة: ومن ازكى، بإدغام التاء في الزاي. واجتلاب همزة الوصل في الابتداء وطلحة أيضا: فإنما يزكى، بإدغام التاء في الزاي. وإلى الله المصير: وعد لمن يزكى بالثواب.

وما يستوي الأعمى والبصير الآية: هي طعن على الكفرة وتمثيل. فالأعمى الكافر، والبصير المؤمن، أو الأعمى الصنم، والبصير الله عز وجل وعلا، أي لا يستوي معبودهم ومعبود المؤمنين. والظلمات والنور، والظل والحرور: تمثيل للحق والباطل وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب. والأحياء والأموات، تمثيل لمن دخل في الإسلام ومن لم يدخل فيه. والحرور: شدة حر الشمس. وقال الزمخشري: والحرور: السموم، إلا أن السموم تكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار وقيل: بالليل. انتهى. وقال ابن عطية: قال

(١) سورة الأنعام: ٦/ ١٢٦ وغيرها من السور.." [(١)]

"الناس فيها وهي لعمري تحتاج إلى فضل نظر وتأمل، ولذلك تجرأ بعض الناس على هذا الإمام الكبير، فقال ابن مجاهد:» قرأ ابن عامر «فيكون» نصبا وهذا غير جائز في العربية؛ لأنه لا يكون الجواب هنا للأمر بالفاء إلا في يس والنحل، **فإنه نسق لا** جواب «، وقال في آل عمران:» قرأ ابن عامر وحده: «كن فيكون» بالنصب وهو وهم «قال:» وقال هشام: كان أيوب بن تميم يقرأ: فيكون نصبا ثم رجع فقرأ: فيكون رفعا «، وقال الزجاج:» كن فيكون: رفع لا غير «.

وأكثر ما أجابوا بأن هذا مما روعي فيه ظاهر اللفظ من غير نظر للمعنى، يريدون أنه قد وجد في اللفظ صورة أمر فنصبنا في جوابه بالفاء، وأما إذا نظرنا إلى جانب المعنى فإن ذلك لا يصح لوجهين، أحدهما: أن هذا وإن كان بلفظ الأمر فمعناه الخبر نحو:

﴿فليمدد له الرحمن﴾ [مريم: ٧٥] أي: فيمد، وإذا كان معناه الخبر لم ينتصب في جوابه بالفاء إلا ضرورة كقوله:

٦٩٨ - سأترك منزلي لبني تميم ... وألحق بالحجاز فأستريحا

وقول الآخر:

٦٩٩ - لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ... ويأوي إليها المستجير فيعصما." [(٢)]

"قوله تعالى: ﴿فمن بدله﴾ : «من» يجوز أن تكون شرطية وموصولة، والفاء: إما واجبة إن كانت شرطا، وإما جائز إن كانت موصولة، بلفظ المؤنث لأنها في معنى المذكر، وهو الإيصاء. أو تعود على نفس الإيصاء المدلول عليه بالوصية، إلا أن اعتبار التذكير في المؤنث قليل وإن كان مجازيا، ألا ترى أنه لا فرق بين قولك: هند خرجت والشمس طلعت، ولا يجوز: الشمس طلع، كما لا يجوز: «هند خرج» إلا في ضرورة. وقيل: تعود على الأمر والفرض الذي أمر به الله وفرضه. وكذلك الضمير في «سمعه» والضمير في «إثمه» يعود على الإيصاء المبدل، أو التبديل المفهوم من قوله: «بدله» .

وقد راعى المعنى في قوله: ﴿على الذين يبدلونه﴾ إذ لو جرى **على نسق اللفظ** الأول لقال: «فإنما إثمه عليه - أو على الذي يبدله» .

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٥/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨٩/٢

وقيل: الضمير في «بدله» يعود على الكتب أو الحق أو المعروف. فهذه ستة أقوال.
و «ما» في قوله: ﴿بعدما سمعه﴾ يجوز أن تكون مصدرية أي: بعد: سماعه، وأن تكون موصولة بمعنى الذي. فالهاء في «سمعه» على الأول تعود على ما عاد عليه الهاء في «بدله» ، وعلى الثاني تعود على الموصول، أي بعد الذي سمعه من أوامر الله.." (١)

"وذلك أن أفعل التفضيل يجب أن تضاف إلى ما بعدها إذا كان من جنس ما قبلها نحو: «وجه زيد أحسن وجه» ، «وعلمه أكثر علم» وإن لم يكن من جنس ما قبلها وجب نصبه نحو: «زيد أحسن وجها وخالد أكثر علما» .
إذا تقرر ذلك فقوله: «ذكرا» هو من جنس ما قبلها فعلى ما قرر كان يقتضي جره، فإنه نظير: «اضرب بكرا كضرب عمرو زيدا أو أشد ضرب» بالجر فقط. والجواب عن هذا الإشكال مأخوذ من الأوجه المتقدمة في النصب والجر المذكورين في «أشد» من حيث أن يجعل الذكر ذاكرا مجازا كقولهم: «شعر شاعر» كما قال به الفارسي وصاحبه، أو يجعل «أشد» من صفات الأعيان لا من صفات الإذكار كما قال به الزمخشري، أو يجعل «أشد» حالا من «ذكرا» أو ننصبه بفعل. وهذا كله وإن كان مفهوما مما تقدم إلا أني ذكرته بالتنصيص، تسهيلا للأمر فإنه موضع يحتاج إلى نظر وتأمل. وهذا نهاية القول في هذه المسألة بالنسبة لهذا الكتاب. و «أو» هنا قيل للإباحة، وقيل للتخيير، وقيل: بمعنى بل.
قوله: ﴿من يقول ربنآ آتنا﴾ «من» مبتدأ، وخبره في الجار قبله، ويجوز أن تكون فاعلة عند الأخفش، وأن تكون نكرة موصوفة. وفي هذا الكلام التفات، إذ لو جرى على النسق الأول لقيل: «فمنكم» ، وحمل على معنى «من» إذ جاء جمعا في قوله: «ربنا آتنا» ، ولو حمل على لفظها لقال «رب آتني» .
وفي مفعول «آتنا» الثاني - لأنه يتعدى لاثنين ثانيهما غير الأول - ثلاثة أقوال، أظهرها: أنه محذوف اختصارا أو اقتصارا، لأنه من باب «أعطى» ، أي: آتنا ما نريد أو مطلوبنا. والثاني: أن «في» بمعنى «من» أي: من الدنيا. والثالث: أنها زائدة، أي: آتنا الدنيا، وليسا بشيء.." (٢)

"ذلك العام المحذوف، والتقدير: ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله، وحذف حرف العلة لاستكمال شروط النصب، لا سيما مع «أن» ، ولا يجيء هنا خلاف الخليل وسيوبه: أهي في موضع نصب أو جر بعد حذف اللام، بل هي في محل نصب فقط، لأن

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٢٦٣
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٣٤١

هذا المصدر لو صرح به لنصب وهذا قد نص عليه النحويون، أعني كون أن وما بعدها في محل نصب بلا خلاف إذا وقعت موقع المفعول له.

والثاني: أنه في محل نصب على الحال فيكون مستثنى من العام أيضا تقديره: ولا يحل لكم في كل حال من الأحوال إلا في حال خوف ألا يقيما/ حدود الله. قال أبو البقاء: والتقدير: إلا خائفين، وفيه حذف مضاف تقديره: ولا يحل أن تأخذوا على كل حال أو في كل حال إلا في حال الخوف. والوجه الأول أحسن وذلك أن «أن» وما في حيزها مؤولة بمصدر، وذلك المصدر واقع موقع اسم الفاعل المنصوب على الحال، والمصدر لا يطرد وقوعه حالا فكيف بما هو في تأويله!! وأيضا فقد نص سيبويه على أن «أن» المصدرية لا تقع موقع الحال.

والألف في قوله «يخافا» و «يقيما» عائدة على صنفي الزوجين. وهذا الكلام فيه التفات، إذ لو جرى **على نسق الكلام** لقيل: «ألا أن تخافوا ألا تقيموا بتاء الخطاب للجماعة، وقد قرأها كذلك عبد الله، وروي عنه أيضا بياء الغيبة وهو التفات إيضا.." (١)

"كانت موصولة فهي جائزة، وسبب زيادتها ما تقدم من شبه الموصول لاسم الشرط. ويجوز حال كونها شرطية وجه آخر وهو أن تكون منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده، وتكون المسألة من باب الاشتغال، ويقدر الفعل بعدها لأن لها صدر الكلام، والتقدير: فأي شخص جاءت الموعظة جاءته، ولا يجوز ذلك فيها موصولة لأن الصلة لا تفسر عاملا، إذ لا يصح تسلطها على ما قبلها، وشرط التفسير صحة التسلط. وسقطت التاء من الفعل لشيئين: الفصل بين الفعل وفاعله بالمفعول، وكون التأنيث مجازيا، وقرأ الحسن، «جاءته» على الأصل.

قوله: ﴿من ربه﴾ يجوز أن تكون متعلقة بجاءته، وتكون لابتداء الغاية مجازا، وأن تتعلق بمحذوف على أنها صفة لموعظة، أي: موعظة من موعظات ربه، أي بعض مواعظه.

وقوله: **﴿فانتهى﴾ نسق على** «جاءته» عطفه بفاء التعقيب أي: لم يتراخ انتهاؤه عن مجيء الموعظه. /

وقوله: ﴿ومن عاد﴾ الكلام على «من» هذه في احتمال الشرط والموصول كالكلام على التي قبلها. والضمير في قوله «فأمره» يعود على «ما سلف» ، أي: وأمر ما سلف إلى الله، أي: في العفو عنه وإسقاط التبعة منه. وقيل: يعود على المنتهي المدلول عليه بانتهى أي: فأمر المنتهي عن الربا إلى الله في العفو

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢/٤٤٧

والعقوبة. وقيل: يعود على ذي الربا في أن ينتبه على الانتهاء أو يعيده إلى المعصية. وقيل: يعود على الربا أي: في عفو الله عما شاء منه أو في استمرار تحريمه.." [1]

"فحذفه، ويجوز أن يتعلق بالفعلين معا تعلقا صناعيا لا على وجه التنازع، بل بمعنى أنه علة للفعلين معا، كما تقول: «أكرمت زيدا وضربت عمرا إكراما لك» يعني أن الإكرام علة للإكرام وللضرب.

والثاني: ان ينتصب على الحال من التوراة والانجيل، ولم يثن لأنه مصدر وفيه الأوجه المشهورة من حذف المضاف أي: ذوي هدى أو على المبالغة بأن جعلا نفس الهدى أو على جعلهما بمعنى هاديين. وقيل: إنه حال من الكتاب والتوارة والإنجيل، وقيل: حال من الإنجيل فقط وحذف مما قبله لدلالة هذا عليه. وقال بعضهم: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿من قبل﴾ فيوقف عليه ويبتدأ قوله ﴿هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ أي: وأنزل الفرقان هدى للناس. وهذا التقدير غير صحيح لأنه يؤدي إلى تقديم المعمول على **حرف النسق وهو** ممتنع، لو قلت: «قام زيد مكتوفة وضربت هند» تعني: «وضربت هند مكتوفة» لم يصح البتة فكذلك هذا.

قوله: ﴿للناس﴾ يحتمل أن يتعلق بنفس «هدى» لأن هذه المادة تتعدى باللام كقوله تعالى: ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩] وأن يتعلق بمحذوف لأنه صفة لهدى.

قوله: ﴿وأنزل الفرقان﴾ يحتمل أن يراد به جميع الكتب السماوية، ولم يجمع لأنه مصدر بمعنى الفرق كالغفران والكفران، وهو يحتمل أن يكون مصدرا واقعا موقع الفاعل أو المفعول والأول أظهر. وقال الزمخشري: «أو كرر/ ذكر القران بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه وإظهارا لفضله» . قلت: قد يعتقد معتقد." [2]

"كأنه قيل: ما أم الكتاب؟»] فقال: هن أم الكتاب، كما يقال: من نظير زيد؟ فيقول قوم: «نحن نظيره» كأنهم حكوا ذلك اللفظ، وهذا على قولهم: «دعني من تمرتان» أي: «مما يقال له تمرتان» . قال ابن الأنباري: «وهذا بعيد من الصواب في الآية، لأن الإضمار لم يقم عليه دليل، ولم تدع إليه حاجة» وقيل: لأنه بمعنى أصل الكتاب والأصل يوحد.

قوله: **«وأخر» نسق على** «آيات» ، و «متشابهات» نعت لأخر، وفي الحقيقة «أخر» نعت لمحذوف تقديره: وآيات أخر متشابهات. قال أبو البقاء: «فإن قيل: واحدة» متشابهات «متشابهة، وواحدة» أخر

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٣٤/٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٢/٣

«أخرى، والواحدة هنا لا يصح أن توصف بهذا الواحد فلا يقال، أخرى متشابهة إلا أن يكون بعض الواحدة يشبه بعضا، وليس المعنى على ذلك/ وإنما المعنى أن كل آية تشبه آية أخرى، فكيف صح وصف هذا الجمع بهذا الجمع، ولم يصح وصف مفرده بمفرده؟ قيل: التشابه لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا، فإذا اجتمعت الأشياء المشابهة كان كل واحد منها مشابها للآخر، فلما لم يصح التشابه إلا في حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع لأن كل واحد منها يشابه باقيها، فأما الواحد فلا يصح فيه هذا المعنى، ونظيره قوله: ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ [القصص: ١٥] فثنى الضمير وإن كان الواحد لا يقتتل. قلت: يعني أنه ليس من شرط صحة الوصف في التثنية أو الجمع صحة انبساط مفردات الأوصاف على مفردات الموصوفات، وإن كان الأصل ذلك، كما أنه لا يشترط في إسناد الفعل إلى المثنى والمجموع صحة إسناده لى كل واحد على حدته.

وقريب من ذلك قوله: ﴿حآفين من حول العرش﴾ [الزمر: ٧٥] قيل: ليس لحافين مفرد." [١]

"وعلى هذه القراءات كلها ففي رفع «الملائكة» وما بعدها ثلاثة أوجه، أحدها الابتداء/ والخبر محذوف. والثاني: أنه فاعل بفعل مقدر وقد تقدم تحريرها. الثالث ذكره الزمخشري: **وهو النسق على** الضمير المستكن في «شهداء الله» قال: «وجاز ذلك لوقوع الفاصل بينهما» .

قوله: «أنه» العامة على فتح الهمزة، وإنما فتحت لأنها على حذف حرف، الجر، أي: شهد الله بأنه لا إله إلا هو، فلما حذف الحرف جاز أن يكون محلها نصبا وأن يكون محلها جرا كما تقدم تقديره.

وقرأ ابن عباس: «إنه» بكسر الهمزة، وفيها تخريجان، أحدهما: إجراء «شهد» مجرى القول لأنه بمعناه، وكذا وقع في التفسير: شهد الله أي: قال الله، ويؤيده ما نقله المؤرج أن «شهد» بمعنى «قال» لغة قيس بن عيلان. والثاني: أنها جملة اعتراض بين العامل وهو شهد وبين معموله وهو قوله ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ، وجاز ذلك لما في هذه الجملة من التأكيد وتقوية المعنى، وهذا إنما يتجه على قراءة فتح «أن» من «أن الدين» ، وأما على قراءة الكسر فلا يجوز، فيتعين الوجه الأول.

والضمير في «أنه» يحتمل العود على الباري لتقدم ذكره، ويحتمل أن يكون ضمير الأمر، ويؤيد ذلك قراءة عبد الله: ﴿شهد الله أن لا إله إلا هو﴾ فأن مخففة في هذه القراءة، والمخففة لا تعمل إلا في ضمير الشأن ويحذف حينئذ، ولا تعمل في غيره إلا ضرورة.." [٢]

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٧٤

"وأدغم أبو عمرو بخلاف عنه واو «هو» في **واو النسق بعدها** وقد تقدم تحقيق هذه المسألة في البقرة عند قوله: ﴿هو والذين آمنوا معه﴾ [الآية: ٢٤٩] .

قوله: ﴿قآئما بالقسط﴾ في نصبه أربعة أوجه أحدها: أنه منصوب على الحال، واختلف القائل بذلك: فبعضهم جعله حالا من اسم الله، فالعامل فيها «شهد» . قال الزمخشري: «وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله تعالى: ﴿وهو الحق مصدقا﴾ . قال الشيخ:» وليس من باب الحال المؤكدة لأنه ليس من باب: ﴿ويوم يبعث حيا﴾ [مريم: ١٥] ولا من باب «أنا عبد الله شجاعا» فليس «قائما بالقسط» بمعنى شهد، وليس مؤكدا لمضمون الجملة السابقة في نحو: أنا عبد الله شجاعا وهو زيد شجاعا، لكن في هذا التخريج قلق في التركيب، إذ يصير كقولك: «أكل زيد طعاما وعائشة وفاطمة جائعا» فيفصل بين المعطوف عليه والمعطوف بالمفعول، وبين الحال وذي الحال بالمفعول والمعطوف، لكن بمشيئة كونها كلها معمولة لعامل واحد «. انتهى.

قلت: مؤاخذته له في قوله:» مؤكدة «غير ظاهر، وذلك أن الحال على قسمين: إما مؤكدة وإما مبينة، وهي الأصل، فالمبينة لا جائز أن تكون ههنا، لأن المبينة تكون متنقلة، والانتقال هنا محال، إذ عدل الله تعالى لا يتغير، فإن قيل لنا قسم ثالث، وهي الحال اللازمة فكان للزمخشري مندوحة عن قوله» مؤكدة «ألى قوله» لازمة «فالجواب أن كل مؤكدة لازمة وكل لازمة مؤكدة." (١)

"قوله تعالى: ﴿يوم تجد﴾ : في ناصبة أوجه، أحدها: أنه منصوب بقدير، أي قدير في ذلك اليوم العظيم، لا يقال: يلزم من ذلك تقييد قدرته بزمان، لأنه إذا قدر في ذلك اليوم الذي يسلب كل أحد قدرته فلأن يقدر في غيره بطريق أولى وأحرى، وإلى هذا ذهب أبو بكر ابن الأنباري.

الثاني: أنه منصوب بيحذركم أي: يخوفكم عقابه في ذلك اليوم، وإلى [هذا] نحا أبو إسحاق، ورجحه. ولا يجوز أن ينتصب بيحذركم المتأخرة. قال ابن الأنباري: «لأنه لا يجوز أن يكون» اليوم منصوبا بيحذركم المذكور في هذه الآية، لأن **واو النسق لا** يعمل ما بعدها فيما قبلها، وعلى ما ذكره أبو إسحاق يكون ما بين الظرف وناصبه معترضا، وهو كلام طويل، والفصل بمثله مستبعد، هذا من جهة الصناعة، وأما من جهة المعنى فلا يصح، لأن التخويف موجود، واليوم موعود فكيف يتلاقيان «.

الثالث: أن يكون بالمصير، وإليه نحا الزجاج أيضا وابن الأنباري." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧٥/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١٤/٣

"قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ : هذا يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون مضارعا والأصل: «تتولوا» فحذف إحدى التاءين، وقد تقدم الكلام على ذلك، وعلى هذا فالكلام جار **على نسق واحد** وهو الخطاب. والثاني:." (١)

"ومنع أبو البقاء أن تكون أحوالا من المسيح أو من عيسى أو من ابن مريم، قال: «لأنها أخبار والعامل فيها الابتداء أو المبتدأ أو هما، وليس شيء من ذلك يعمل في الحال» ومنع أيضا كونها حالا من الهاء في «اسمه» قال: «للفصل الواقع بينهما، ولعدم العامل في الحال» قلت: ومذهبه أيضا أن الحال لا تجيء من المضاف إليه وهو مراده بقوله: «ولعدم العامل» وجاءت الحال من النكرة لتخصصها بالصفة بعدها. وظاهر كلام الواحدي فيما نقله عن الفراء، أنه يجوز أن تكون أحوالا من عيسى فإنه قال: «والفراء يسمي هذا قطعا كأنه قال: عيسى ابن مريم الوجيه، قطع منه التعريف» فظاهر هذا يؤذن بأن «وجيها» من صفة عيسى في الأصل فقطع عنه، والحال وصف في المعنى.

قوله: ﴿في الدنيا﴾ متعلق بوجيها، لما فيه من معنى الفعل. والوجيه: ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف، يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة، واشتقاقه من الوجه لأنه أشرف الأعضاء، والجاه مقلوب منه فوزنه عفل.

وقوله تعالى: ﴿في المهد﴾ : يجوز فيه وجهان: أحدهما: وهو الظاهر أنه متعلق بمحذوف، على أنه حال من الضمير في «يكلم» أي: يكلمهم صغيرا وكهلا، فكهلا على **هذا نسق على** هذه الحال المؤولة. والثاني: أنه ظرف للتكليم كسائر الفضلات، فكهلا على **هذا نسق على** وجيها فعلى هذا يكون خمسة أحوال.

والكهل: من بلغ سن الكهولة وأولها ثلاثون، وقيل: اثنان، وقيل: ثلاث وثلاثون. وقيل: أربعون، وآخرها ستون، ثم يدخل في سن الشيخوخة واشتقاقه من اكتهل النبات: إذا علا وأربع، ومنه: الكاهل، وقال صاحب." (٢)

"قوله تعالى: ﴿ومصدقا﴾ **: نسق على** محل «بآية» ؛ لأن «بآية» في محل نصب على الحال إذ التقدير: وجئتكم ملتبسا بآية ومصدقا. وقال الفراء والزجاج: «نصب مصدقا على الحال، المعنى: وجئتكم مصدقا لما بين يدي، وجاز إضمار» جئتكم «لدلالة أول الكلام عليه، وهو قوله: ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ ، ومثله في الكلام:» جئته بما يحب ومكرما له «. قال الفراء:» ولا يجوز أن يكون «ومصدقا» معطوفا على «وجيها» لأنه لو كان ذلك لقال: «ومصدقا لما بين يديه» يعني أنه لو كان معطوفا عليه لأتى

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٢٦/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٧٩/٣

معه بضمير الغيبة لا بضمير التكلم، وكذلك ذكر غير الفراء، ومنع أيضا أن يكون منسوقا على «رسولا» قال: «لأنه لو كان مردودا عليه لقال:» ومصدقا لما بين يديك «لأنه خاطب بذلك مريم، أو قال: بين يديه» يعني أنه لو كان معطوفا على «رسولا» لكان ينبغي أن يؤتى بضمير الخطاب مراعاة لمريم أو بضمير." (١)

"قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ : / يجوز أن يكون مضارعا وحذفت منه إحدى التاءين [تخفيفا على حد] قراءة ﴿تنزل الملائكة﴾ [القدر: ٤] و «تذكرون» ويؤيد **هذا نسق الكلام** ونظمه في خطاب من تقدم في قوله تعالى «تعالوا» ثم جرى معهم في الخطاب إلى أن قال لهم: فإن تولوا. وقال أبو البقاء: «ويجوز أن يكون مستقبلا تقديره: فإن تتولوا، ذكره النحاس وهو ضعيف؛ لأن حرف المضارعة لا يحذف» قلت: وهذا ليس بشيء؛ لأن حرف المضارعة يحذف في هذا النحو من غير خلاف، وسيأتي من ذلك طائفة كثيرة، وقد أجمعوا على الحذف في قوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ [القدر: ٤]." (٢)

"قوله تعالى: ﴿بإبراهيم﴾ : متعلق ب «أولى» ، وأولى: أفعل تفضيل من الولي وهو القرب، والمعنى: أن أقرب الناس به وأخصهم، فألفه منقلبة من ياء، لكون فائه واوا. قال أبو البقاء: «إذ ليس في الكلام ما لامه وفاؤه واوان، إلا» واو «يعني اسم حرف التهجي، كالوسط من» قول «، أو اسم حرف المعنى كواو النسق، ولأهل التصريف خلاف من عينه: هل هي واو أيضا أو ياء؟ وقد تعرضت لها بدلائلها في» شرح التسهيل «.

و» للذين اتبعوه «خبر» إن «، و» هذا النبي «نسق على الموصول، وكذلك و» الذين آمنوا «، والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون رضي الله عنهم وإن كانوا داخلين فيمن اتبع إبراهيم، إلا أنهم خصوا بالذكر تشريفا وتكريما، فهو من باب ﴿وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة: ٩٨] .

وحكى الزمخشري أنه قرئ:» وهذا النبي «بالنصب والجر، **فالنصب نسق على** مفعول» اتبعوه «فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبعه غيره كما اتبع إبراهيم، والتقدير: للذين اتبعوا إبراهيم وهذا النبي: ويكون قوله:» والذين آمنوا «نسقا على قوله:» للذين اتبعوه «. **والجر نسق على**» إبراهيم «، أي: إن أولى الناس

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٠١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٣٠

بإبراهيم وبهذا النبي للذين اتبعوه، وفيه نظر من حيث إنه كان ينبغي أن يثنى الضمير في» اتبعوه «فيقال: اتبعوهما، اللهم إلا أن يقال: هو من باب ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] .." [1]

"دليل على انقطاعها **من النسق وأنها** مستأنفة، فلما وقعت [لا] موقع لن رفعت كما قال تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ [البقرة: ١١٩] وفي قراءة عبد الله:» ولن تسأل «وقال الزمخشري:» والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، ويعضدها قراءة عبد الله: «ولن يأمركم» . انتهى.

وقد تقدم أن الضمير في «يأمركم» يجوز أن يعود على «الله» وأن يعود على البشر الموصوف بما تقدم، والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم أو أعلم من ذلك، سواء قرىء برفع «ولا يأمركم» أو بنصبه إذا جعلناه معطوفا على «يؤتيه» ، وأما إذا جعلناه معطوفا على «يقول» فإن الضمير يعود لبشر ليس إلا، ويؤيد ما قلته ما قال بعضهم: «ووجه القراءة بالنصب أن يكون معطوفا على الفعل المنصوب قبله، فيكون الضمير المرفوع لبشر لا غير» يعني بما قبله «ثم يقول» . ولما ذكر سيبويه قراءة الرفع جعل الضمير عائدا على اللہ تعالى، ولم يذكر غير ذلك، فيحتمل أن يكون هو الأظهر عنده، ويحتمل أنه لا يجوز غيره، والأولى أولى. قال بعضهم: «في الضمير المنصوب في» يأمركم «على كلتا القراءتين خروج من الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات» قلت: كأنه توهم أنه لما [توهم] تقدم ذكر الناس في قوله: ﴿ثم يقول للناس﴾ كان ينبغي أن يكون النظم «ولا يأمرهم» جريا على ما تقدم، وليس كذلك، بل هذا ابتداء خطاب لا التفات فيه.

قوله: ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ «بعد» متعلق بيأمركم، و «بعد» ظرف زمان." [2]

"والظاهر أن **«وهدى» نسق على** «مباركا» . وزعم بعضهم أنه خبر مبتدأ مضمر تقديره: وهو هدى، وهو ساقط الاعتبار به.

والبركة: الزيادة، يقال: بارك الله لك أي: زادك خيرا، وهو متعد، ويدل عليه: ﴿أن بورك من﴾ [النمل: ٨] ويضمن معنى [ما يتعدى] بعلى كقوله: ﴿وباركنا عليه﴾ [الصافات: ١١٣] . و «تبارك» لا يتصرف ولا يستعمل مسندا إلا الله تعالى، ومعناه في حقه تعالى: تزايد خيره وإحسانه، وقيل: البركة ثبوت الخير، مأخوذ من مبرك البعير. وإما من الضمير المستكن في الجار، وهو «ببكة» لوقوعه صلة، والعامل فيها الجار بما

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٤٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/٢٨٢

تضمنه من الاستقرار أو العامل في الجار، ويجوز أن ينتصب على إضمار فعل المدح أو على الاختصاص، ولا يضر كونه نكرة، وقد تقدم دلائل ذلك. و «للعالمين» كقوله: ﴿للمتقين﴾ [الآية: ٢] أول البقرة.." (١)

"وهل هذا الاستفهام على حقيقته؟ فيه وجهان أظهرهما: نعم، ويعنون بالأمر: النصر والغلبة. والثاني: أنه بمعنى النفي، كأنهم قالوا: ليس لنا من الأمر أي النصر شيء، وإليه ذهب قتادة وابن جريج، ولكن يضعف هذا بقوله: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ فإن من نفى عن نفسه شيئا لا يجاب بأن يثبت لغيره، لأنه مقر بذلك، اللهم إلا أن يقدر جملة أخرى ثبوتية مع هذه الجملة فكأنهم قالوا: ليس لنا من الأمر شيء، بل لمن أكرهنا على الخروج، وحملنا عليه، فحينئذ يحسن الجواب بقوله ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ لقولهم هذا. وهذه الجملة الجوابية اعتراض بين الجمل التي جاءت بعد قوله: ﴿وطآئفة﴾ فإن قوله: ﴿يخفون في أنفسهم﴾ وكذا «يقولون» الثانية: إما خبر عن «طائفة» أو حال مما قبلها.
وقرأ الجماعة «كله» بالنصب، وفيه وجهان، أظهرهما: أنه تأكيد لاسم «إن» . والثاني حكاه مكي عن الأخفش أنه بدل منه، وليس بواضح. و «لله» خبر «إن» . وقرأ أبو عمرو: «كله» رفعا وفيه وجهان، أشهرهما: أنه رفع بالابتداء، و «لله» خبره، والجملة خبر «إن» نحو: «إن مال زيد كله عنده» . والثاني: أنه توكيد على المحل، ف «إن» اسمها في الأصل مرفوع بالابتداء، وهذا مذهب الزجاج والجرمي، يجرون التوابع كلها مجرى عطف النسق، فيكون «لله» خبرا ل «إن» أيضا. و «يخفون» : إما خبر ل «طائفة» أو حال مما قبله كما تقدم. وأما «يقولون» فيحتمل هذين الوجهين، ويحتمل أن يكون تفسيرا لقوله «يخفون» فلا محل له حينئذ.
وقوله: ﴿ما قتلنا﴾ جواب «لو» ، وجاء على الأفصح: فإن جوابها إذا كان." (٢)

"١٤٨٤ - يبكى علينا ولا نبكي على أحد ... لنحن أغلظ أكبادا من الإبل
وقال الراغب: الفظ كريه الخلق وذلك مستعار من الفظ وهو ماء الكرش، وذلك مكروه شربه إلا في ضرورة «، قال:» الغلظة: ضد الرقة، ويقال: غلظة وغلظة أي بالكسر والضم «وعن الغلظة تنشأ الفظاظة فلم قدمت؟ فقيل: قدم ما هو ظاهر للحس على ما هو خاف في القلب، لأنه كما تقدم أن الفظاظة: الجفوة في العشرة قولا وفعلا، والغلظ: قساوة القلب، وهذا أحسن من قول من جعلهما بمعنى، وجمع بينهما تأكيدا.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣١٦/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٤٩/٣

والانفضاض: التفرق في الأجزاء وانتشارها ومنه:» فض ختم الكتاب «ثم استعير عنه» انفضاض الناس «ونحوهم.

وقوله: ﴿فاعف عنهم﴾ إلى أخره جاء على أحسن النسق، وذلك أنه أمر أولا بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه، فإذا انتهوا إلى هذا المقام أمر أن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى لتنزاح عنهم التبعتان، فلما صاروا إلى هذا أمر بأن يشاورهم في الأمر إذا صاروا خالصين من التبعتين مصفين منهما، والأمر هنا وإن كان عاما فالمراد به الخصوص، قال أبو البقاء:» إذ لم يؤمر بمشاورتهم في الفرائض، ولذلك قرأ ابن عباس: «في بعض الأمر» . وهذا تفسير لا تلاوة.

وقوله: ﴿فإذا عزمت﴾ الجمهور على فتح التاء خطابا له عليه السلام. وقرأ عكرمة وجعفر الصادق بضمها، على أنها لله تعالى على معنى: فإذا." [(١)]

"أرشدتك إليه وجعلتك تقصده، وجاء قوله: ﴿على الله﴾ من الالتفات، إذ لو جاء **على نسق هذا** الكلام لقيل: فتوكل علي، وقد نسب العزم إليه تعالى في قول أم سلمة: «ثم عزم الله لي» وذلك على سبيل المجاز.

وقوله: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ جار مجرى العلة الباعثة على التوكيل عند الأخذ في كل الأمر/.." [(٢)]

"وقوله: ﴿من يعمل﴾ جملة مستأنفة مؤكدة لحكم الجملة قبلها. وقرأ الجمهور «ولا يجد» جزما، على عطفه على جواب الشرط، وروي عن ابن عامر رفعه، وهو على القطع عن النسق. ثم يحتمل أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا، كذا قيل، وفيه نظر من حيث إن المضارع المنفي ب «لا» لا يقترن بالواو إذا وقع حالا.

قوله: ﴿من الصالحات من ذكر﴾ «من» الأولى للتبعيض لأن المكلف لا يطيق عمل كل الصالحات. وقال الطبري: «هي زائدة عند قوم» وفيه ضعف لعدم الشرطين. و «من» الثانية للمتبين. وأجاز أبو البقاء أن تكون حالا، وفي صاحبها وجهان أحدهما: أنه الضمير المرفوع ب «يعمل» ، والثاني: أنه الصالحات أي: الصالحات كائنة من ذكر أو أنثى، وقد تقدم إيضاح هذا في قوله: ﴿لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ [آل عمران: ١٩٥] والكلام على «أو» أيضا «وقوله:» وهو مؤمن «جملة حالية من فاعل» يعمل «وقرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو بكر عن عاصم:» يدخلون «هنا وفي مريم وأول غافر بضم حرف المضارعة

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٦٣/٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٦٤/٣

وفتح الخاء مبنيا للمفعول، وانفرد ابن كثير وأبو بكر بثانية غافر، وأبو عمرو بالتي في فاطر والباقون بفتح حرف." [1]

"قوله تعالى: ﴿يهدي﴾ : فيه خمسة أوجه، أظهرها: انه في محل رفع لأنه صفة ثانية ل «كتاب» وصفه بالمفرد ثم بالجملة وهو الأصل. الثاني: أن يكون صفة أيضا لكن ل «نور» ذكره أبو البقاء، وفيه نظر، إذ القاعدة انه إذا اجتمعت التوابع قدم النعت على **عطف النسق تقول**: «جاء زيد العاقل وعمرو» ولا تقول: «جاء زيد وعمرو العاقل» ولأن فيه إلباسا أيضا. الثالث: أن يكون حالا من «كتاب» لأن النكرة لما تخصصت بالوصف قربت من المعرفة، وقياس قول أبي البقاء أنه يجوز أن يكون حالا من «نور» كما جاز أن يكون صفة له. الرابع: أنه حال من «رسولنا» بدلا من الجملة الواقعة حالا له وهي قوله «يبين» الخامس: أنه حال من الضمير في «يبين» ذكرهما." [2]

"الكوفيين، وسيأتي جميع ذلك في قوله تعالى: ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم﴾ [العنكبوت: ٤٦] أي: وبالذي أنزل. وعلى قراءة جمع التكسير فيكون منصوبا عطفا على القردة والخنازير أي: جعل منهم القردة وعباد وعبيد، وعلى قراءة الإفراد كذلك أيضا، ويجوز النصب فيها أيضا من وجه آخر وهو العطف على» من «في ﴿من لعنه الله﴾ إذا قلنا بأنه منصوب على ما تقدم تحريره قبل، وهو مراد به الجنس، وفي بعضها قرئ برفعه نحو:» وعابد الطاغوت، وتقدم أن أبا عمرو يقدر له مبتدأ أي: هم عابد، وتقدم ما في ذلك، وعندي أنه يجوز ان يرتفع على أنه معطوف على «من» في قوله تعالى ﴿من لعنه الله﴾ ويدل لذلك أنهم أجازوا في قراءة عبد الله: «وعابدو» بالواو هذين الوجهين فهذا مثله.

وأما قراءة جمع السلامة فمن قرأ بالياء فهو منصوب عطفا على القردة، ويجوز فيه وجهان آخران، أحدهما: أنه منصوب عطفا على «من» في ﴿من لعنه الله﴾ إذا قلنا إن محلها نصب كما مر. والثاني: أنه مجرور عطفا على ﴿من لعنه الله﴾ أيضا إذا قلنا بأنها في محل جر بدلا من «بشر» كما تقدم إيضاحه. وهذه أوجه واضحة عسرة الاستنباط والله أعلم. ومن قرأ بالواو فرفعه: إما على إضمار مبتدأ أي: هم عابدو الطاغوت، **وإما نسق على** «من» في قوله تعالى: ﴿من لعنه الله﴾ كما تقدم.

قوله تعالى: ﴿أولئك شر﴾ مبتدأ وخبر، و «مكانا» نصب على التمييز، نسب الشر للمكان وهو لأهله، كناية عن نهايتهم في ذلك، و «شر» هنا على بابه من التفضيل، والمفضل عليه فيه احتمالان، أحدهما:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٩٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٢٢٨

أنهم المؤمنون، فيقال: كيف يقال ذلك والمؤمنون لا شر عندهم البتة؟ فأجيب بجوابين، أحدهما: – ما ذكره النحاس – وهو أن مكانهم في الآخرة شر من مكان." (١)

"في الجمع كالفرازنة والموازجة والكيالجة وقال الليث:» الرهبانية مصدر الراهب والترهب: التعبد في صومعة «، وهذا يشبه الكلام المتقدم في ان القسوسة مصدر من القس والقسيس، ولا حاجة إلى هذا بل الرهبانية مصدر بنفسها من الترهب وهو التعبد أو من الرهب وهو الخوف، ولذلك قال الراغب:» والرهبانية غلو من تحمل التعبد من فرط الرهبة «وقد تقدم اشتقاق هذه المادة في قوله: ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وأنهم لا **يستكبرون﴾ نسق على**» أن «المجرورة بالباء أي: ذلك بما تقدم وبأنهم لا يستكبرون.." (٢)

"وقول الآخر:

١٨٠ – ٨- كأن أيديهن بالقاع القرق ... أيدي جوار يتعاطين الورق

وقد مضى ذلك بأشبع من هذا.

قوله تعالى: ﴿أو كسوتهم﴾ فيه وجهان، أحدهما: **أنه نسق على** «إطعام» أي: فكفارته إطعام عشرة أو كسوة تلك العشرة. والثاني: أنه عطف على محل «من أوسط» كذا قاله الزمخشري، وهذا الذي قاله إنما يتمشى على وجه سبق لك في قوله «من أوسط» وهو أن يكون «من أوسط» خبرا لمبتدأ محذوف يدل عليه ما قبله، تقديره: طعامهم من أوسط، فالكلام عنده تام على قوله: ﴿عشرة مساكين﴾ ثم ابتدأ إخبارا آخر بأن الطعام يكون من أوسط كذا، وأما إذا قلنا: إن «من أوسط» هو المفعول الثاني فيستحيل عطف «كسوتهم» عليه لتخلفهما إعرابا.

وقرأ الجمهور: «كسوتهم» بكسر الكاف. وقرأ إبراهيم النخعي وأبو عبد الرحمن السلمي وسعيد بن المسيب بضمها، وقد تقدم في البقرة أنهما لغتان في المصدر وفي الشيء المكسو، قال الزمخشري: «كالقدوة في القدوة، والإسوة في الأسوة، إلا أن قرأ في البقرة بضمها هو طلحة فلم يذكروه هنا، ولا ذكروا هؤلاء هناك.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٣٨/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٩٣/٤

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٠٩/٤

"أما ما زعمه فليس من هذا الباب لأن» خاتم فضة «من باب إضافة الشيء إلى جنسه والطعام ليس جنسا للكفارة إلا بتجوز بعيدا جدا» انتهى. قلت: كان من حقه أن يقول: والكفارة ليست جنسا للطعام لأن الكفارة في التركيب نظير «خاتم» في أن كلا منهما هو المضاف إلى ما بعده، فكما أن «خاتما» هو الضاف إلى جنسه ينبغي أن يقال: الكفارة ليست جنسا للطعام لأجل المقابلة، لكن لا يمكن أن يقال ذلك فإن الكفارة كما تقدم جنس للطعام والجزاء والصوم، فالطريق في الرد على أبي القاسم أن يقال: شرط الإضافة بمعنى «من» أن يضاف جزء إلى كل بشرط صدق اسم الكل على الجزء نحو: «خاتم فضة» و «كفارة طعام» ليس كذلك، بل هي إضافة «كل» إلى جزء. وقد استشكل جماعة هذه القراءة من حيث إن الكفارة ليست للطعام إنما هي لقتل الصيد، كذا قاله أبو علي الفارسي وغيره، وجوابه ما تقدم. ولم يختلف السبعة في جمع «مساكين» هنا وإن اختلفوا في البقرة، قالوا: والفرق بينهما أن قتل الصيد لا يجزيء فيه إطعام مسكين واحد. على أنه قد قرأ عيسى بن عمر والأعرج بتنوين «كفارة» ورفع «طعام مسكين» بالتوحيد، قالوا: ومرادهما بيان الجنس لا التوحيد.

قوله: ﴿أو **عدل﴾ نسق على** «فجزاء» والجمهور على فتح العين، وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف والجحدري بكسرها، وقد بينت معناهما في أول هذا التصنيف عند قوله تعالى: ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ [البقرة: ٤٨] . و «ذلك» إشارة إلى الطعام، وكيفيته مذكورة في «التفسير الكبير» . و «صياما» نصب على التمييز لأن المعنى: أو قدر ذلك صياما فهو كقولك: «لي ملؤه عسلا» وأصل «صياما» : «صواما» فأعل لما عرف غير مرة.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وطعامه﴾ **: نسق على** «صيد» أي: أحل لكم الصيد وطعامه، فالصيد الاصطياد، والطعام الإطعام أي: إنه اسم مصدر، ويقدر المفعول حينئذ محذوفا أي: إطعامكم إياه أنفسكم، ويجوز أن يكون الصيد بمعنى المصيد. والهاء في «طعامه» تعود على البحر على هذا أي: أحل لكم مصيد البحر وطعام البحر، فالطعام على هذا غير الصيد، وفيه خلاف بين أهل التفسير ذكرته في موضعه، ويجوز أن تعود الهاء على هذا الوجه أيضا على الصيد بمعنى المصيد، ويجوز أن يكون «طعام» بمعنى." (٢)

"ابن عامر فاستشكلها بعضهم بأنه لا يخلو: إما أن يكون مصدرا على فعل، وإما أن يكون على فعال، فإن كان الأول فينبغي أن تصح الواو ك «حول» و «عور» وإن كان الثاني فالقصر لا يأتي إلا في

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢٦/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢٨/٤

شعر. وقرأ الجحدري: «قيما» بتشديد الياء وهو اسم دال على ثبوت الصفة، وقد تقدم تحقيقه أول النساء. قوله: ﴿والشهر الحرام والهدي والقلائد﴾ عطف على «الكعبة» ، والمفعول الثاني أو الحال محذوف لفهم المعنى أي: جعل الله أيضا الشهر والهدي والقلائد قياما. و «ذلك» فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه خبر مبتدأ محذوف أي: الحكم الذي حكمناه ذلك لا غيره. والثاني: أنه مبتدأ وخبره محذوف أي: ذلك الحكم هو الحق لا غيره. الثالث: أنه منصوب بفعل مقدر يدل عليه السياق أي: شرع الله ذلك، وهذا أقواها لتعلق لام العلة به. و «تعلموا» منصوب بإضمار «أن» بعد لام كي، لا بها. و «أن الله» وما في حيزها سادة مسد المفعولين أو أحدهما على حسب الخلاف المتقدم. و ﴿وأن الله بكل شيء عليم﴾ نسق على «أن» قبلها/.." (١)

"فراق بيني «و» شهادة بينكم «فإنه لا يتخيل فيه تقدير» ما «لأن الإضافة أخرجته عن الظرفية وصيرته مفعولا به على السعة» قلت: هذا الذي نقله الشيه عنهما قاله أبو علي الجرجاني بعينه قال - رحمه الله - : «قوله شهادة بينكم» أي: ما بينكم، و «ما بينكم» كناية عن التنازع والتشاجر، ثم اضاف الشهادة إلى التنازع لأن الشهود إنما يحتاج إليهم في التنازع الواقع فيما بين القوم، والعرب تضيف الشيء إلى الشيء إذا كان منه بسبب كقوله تعالى:

﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ [الرحمن: ٤٦] أي: مقامه بين يدي ربه، والعرب تحذف كثيرا ذكر «ما» و «من» في الموضع الذي يحتاج إليهما فيه كقوله: ﴿وإذا رأيت ثم﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: ما ثم، وكقوله: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ و ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي ما بيني، وما بينكم «، وقول الشيخ» لا يتخييل فيه تقدير «ما» إلى آخره «ممنوع لأن حالة الإضافة لا تجعلها صلة للموصول المحذوف، ولا يلزم من ذلك أن تقدرها من حيث المعنى لا من حيث الإعراب نظرا إلى الأصل، وأما حذف الموصول فقد تقدم تحقيقه. وقوله: ﴿ذوا﴾ صفة لاثنين أي: صاحبا عدل، وكذلك قوله» منكم «صفة أيضا لاثنين، وقوله: ﴿أو آخران﴾ نسق على اثنين، و» من غيركم «صفة لآخرين والمراد ب» منكم «من قرابتكم وعترتكم، ومن غيركم من المسلمين الأجانب وقيل:» منكم «من أهل دينكم،» ومن غيركم «من أهل الذمة. ورجح النحاس الأول، فقال:» هذا ينبني على معنى غامض في العربية، وذلك أن معنى «آخر» في العربية من جنس الأول تقول:

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/٤٣٣

«مررت بكريم وكريم آخر» ولا يجوز «وخسيس آخر» ولا: «مررت بحمار ورجل آخر» ، فكذا هنا يجب أن يكون «أو آخران» : أو عدلان آخران، والكفار لا يكونون عدولا.." (١)

"قوله: «**فيقسمان» نسق على** «يقومان» والسبية فيها ظاهرة. و «لشهادتنا أحق» : هذه الجملة جواب القسم في قوله: «فيقسمان» و «ذلك أدنى» لامحل لهذه الجملة لاستئنافها، والمشار إليه الحكم السابق بتفصيله، أي: ما تقدم ذكره من الأحكام أقرب إلى حصول إقامة الشهادة على ما ينبغي. وقيل المشار إليه الحبس بعد الصلاة، وقيل: تحليف الشاهدين. و «أن يأتوا» أصله إلى أن يأتوا. وقدره أبو البقاء ب «من» أيضا، أي: أدنى من أن يأتوا. وقدره مكي بالباء أي: بأن يأتوا، وليسا بواضحين، ثم حذف حرف الجر فنشأ الخلاف المشهور. و «على وجهها» متعلق ب «يأتوا» . وقيل: في محل نصب على الحال منها، وقدره أبو البقاء ب «محققة وصحيحة» وهو تفسير معنى؛ لما عرفت غير مرة من أن الأكوان المقيدة لا تقدر في مثله.

قوله: ﴿أو يخافوا﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: أنه منصوب عطفا على «يأتوا» وفي «أو» على هذا تأويلان، أحدهما: أنها على بابها من كونها لأحد الشيئين، والمعنى: ذلك الحكم أقرب إلى حصول الشهادة على ما ينبغي أو خوف رد الأيمان إلى غيرهم فتسقط أيمانهم. والتأويل الآخر: أن تكون بمعنى الواو، أي: ذلك الحكم كله أقرب إلى أن يأتوا، وأقرب إلى أن يخافوا، وهذا مفهوم من قول ابن عباس. الثاني من وجهي النصب: أنه منصوب بإضمار «أن» بعد «أو» ومعناها «إلا» كقولهم: «لألزمنك أو تقضيني حقي» تقديره: إلا أن تقضيني، ف «أو» حرف عطف على بابها، والفعل بعدها." (٢)

"الاستدارك **فهي نسق على** قوله: ﴿قست قلوبهم﴾ وهذا رأي الزمخشري فإنه قال: «لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا قسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم» وقد تقدم ذلك. و «ما» في قوله: ﴿ما كانوا﴾ يحتمل أن تكون موصولة اسمية أي: الذي كانوا يعملونه وأن تكون مصدرية، أي: زين لهم عملهم، كقوله: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ [النمل: ٤] ويبعد جعلها نكرة موصوفة.." (٣)

"والشيعة: من يتقوى بهم الإنسان، والجمع: «شيع» كما تقدم، وأشياع كذا قاله الراغب، والظاهر أن أشياعا جمع شيع كعنب وأعناب وضلع وأضلاع، وشيع جمع شيعة، فهو جمع الجمع.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٤٦٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٤٨٢

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤/ ٦٣٤

قوله: ﴿ويذيق﴾ نسق على «يبعث» والإذاقة: استعارة، وهي فاشية: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ [القمر: ٤٨] ﴿ذق إنك﴾ [الدخان: ٤٩] ﴿فذوقوا العذاب﴾ [الأنعام: ٣٠] ، وقال:

١٩٤ - ٣- أذقناهم كؤوس الموت صرفا ... وذاقوا من أسنتنا كؤوسا

وقرأ الأعمش: ﴿ونذيق﴾ بنون العظمة، وهو التفات فائدته تعظيم الأمر والتحذير من سطوته.." (١)

"من جعله حالا من ضميره الذي في «ينفعنا» إلا صناعيا لا معنويا، ولا فرق بين الظاهر وضميره بمعنى أنه إذا جاز أن يكون حالا من ظاهر جاز أن يكون حالا من ضميره، إلا أن يمنع مانع.

قوله: ﴿ونرد﴾ فيه وجهان أظهرهما: أنه نسق على «ندعو» فهو داخل في حيز الاستفهام المتسلط عليه القول. والثاني: أنه حال على إضمار مبتدأ أي: ونحن نرد. قال الشيخ بعد نقله عن أبي البقاء: «وهو ضعيف لإضمار المبتدأ، ولأنها تكون حالا مؤكدة» وفي كونها مؤكدة نظر، لأن المؤكدة، ما فهم معناها من الأول وكأنه يقول من لازم الدعاء «من دون الله» الارتداد على العقب.

قوله: ﴿على أعقابنا﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق ب «نرد» والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من مرفوع «نرد» أي: نرد راجعين على أعقابنا أو منقلبين أو متأخرين، كذا قدره وهو تفسير معنى، إذ المقدر في مثله كون مطلق، وهذا يحتمل أن يقال فيه إنه حال مؤكدة، و «بعد إذ» متعلق ب «نرد» .

قوله: ﴿كالذي استهوته﴾ في هذه الكاف وجهان، أحدهما: أنه نعت مصدر محذوف أي: نرد ردا مثل رد الذين. والثاني: أنها في محل نصب على الحال من مرفوع «نرد» أي: نرد مشبهين الذي استهوته الشياطين، فمن جوز تعدد الحال جعلها حالا ثانية إن جعل «على أعقابنا» حالا، ومن لم يجوز ذلك جعل هذه الحال بدلا من الحال الأولى، ألم يجعل «على أعقابنا» حالا بل متعلقا ب «نرد»

والجمهور على «استهوته» بتاء التأنيث وحمزة «استهواه» وهو على." (٢)

"قوله تعالى: ﴿وأن أقيموا﴾ : فيه أقوال أحدها: أنها في محل نصب بالقول نسقا على قوله: إن هدى الله هو الهدى أي: قل هذين الشيئين. والثاني: أنه نسق على «لنسلم» والتقدير: وأمرنا بكذا للإسلام ولنقيم الصلاة، و «أن» توصل بالأمر كقولهم: «كتبت إليه بأن قم» حكاه سيبويه وهذا رأي الزجاج، والثالث: أنه نسق على «ائتنا» قال مكي: «لأن معناه أن ائتنا» وهو غير ظاهر. والرابع: أنه معطوف على مفعول الأمر المقدر والتقدير: وأمرنا بالإيمان وبإقامة الصلاة، قاله ابن عيطة.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٧٢/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٨٤/٤

قال الشيخ: «وهذا لا بأس به إذ لا بد من التقدير المفعول الثاني ل» أمرنا «ويجوز حذف المعطوف عليه لفهم المعنى، تقول: أضربت زيدا؟ فيجيب: نعم وعمرا، التقدير: ضربته وعمرا. وقد أجاز الفراء:» جاءني الذي وزيد قائمان «التقدير: الذي هو وزيد قائمان، فحذف» هو «لدلالة المعنى عليه» وهذا الذي قال إنه لا بأس به ليس من أصول البصريين. وأما «نعم وعمرا» فلا دلالة فيه لأن «نعم» قامت مقام الجملة المحذوفة. وقال مكي قريبا من هذا القول إلا أنه لم يصرح بحذف المعطوف عليه فإنه قال: «وأن في موضع نصب بحذف الجار تقديره: وبأن أقيموا» فقوله: وبأن أقيموا هو معنى قول ابن عطية، إلا أن ذاك أوضحه بحذف المعطوف عليه.." (١)

"قوله تعالى: ﴿ويوم يقول كن﴾ : في «يوم» ثمانية أوجه أحدها - وهو قول الزجاج - أنه مفعول به لا ظرف وهو معطوف على الهاء في «اتقوه» أي: واتقوا يوم أي عقاب يوم يقول أو هوله أو فزعه، فهو كقوله تعالى في موضع آخر: ﴿واتقوا يوما لا تجزي﴾ [البقرة: ٤٨] على المشهور في إعرابه. الثاني: أنه مفعول به أيضا ولكنه نسق على «السماوات والأرض» أي: وهو الذي خلق يوم يقول. الثالث: أنه مفعول لا ذكر مقدرا. الرابع: أنه منصوب بعامل مقدر، وذلك العامل المقدر مفعول فعل مقدر أيضا، والتقدير: واذكروا الإعادة يوم يقول: كن أي: يوم يقول الله للأجساد كوني معادة. الخامس: أنه عطف على موضع قوله «بالحق» فإن موضعه نصب ويكون «يقول» بمعنى «قال» ماضيا كأنه قيل: وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم قال لها: كن.

السادس: أن يكون «يوم يقول» خبرا مقدما، والمبتدأ «قوله» و «الحق» صفته، أي: قوله الحق في يوم يقول كن فيكون، وإليه نحا الزمخشري فإنه قال: «قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه، وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك» يوم الجمعة القتال «واليوم بمعنى الحين، والمعنى: أنه خلق." (٢)

"قوله تعالى: ﴿كذبا﴾ : فيه أربعة أوجه، أحدها: أنه مفعول «افترى» أي: اختلق كذبا وافتعله. الثاني: أنه مصدر له على المعنى أي: افترى افتراء، وفي هذا نظر؛ لأن المعهود في مثل ذلك إنما هو فيما كان المصدر فيه نوعا من الفعل نحو: «قعد القرفصاء» أو مرادفا له ك «قعدت جلوسا» أما/ ما كان المصدر فيه أعم من فعله نحو: افترى كذبا وتقرفص قعودا، فهذا غير معهود إذ لا فائدة فيه، والكذب أعم من الافتراء، وقد تقدم تحقيقه. الثالث: أنه مفعول من أجله أي: افترى لأجل الكذب. الرابع: أنه مصدر واقع

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٨٧/٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٩٠/٤

موقع الحال أي: افترى حال كونه كاذبا وهي حال مؤكدة. وقوله «أو قال» عطف على افترى، و «إلى» في محل رفع لقيامه مقام الفاعل. وجوز أبو البقاء أن يكون القائم مقام الفاعل ضمير المصدر قال: «تقديره: أوحي إلي الوحي أو الإيحاء» ، والأول أولى؛ لأن فيه فائدة جديدة بخلاف الثاني فإن معنى المصدر مفهوم من الفعل قبل هـ.

قوله: ﴿ولم يوح إليه شيء﴾ جملة حالية، وحذف الفاعل هنا تعظيما له لأن الموحي هو الله تعالى. وقوله: «ومن قال» مجرور المحل **لأنه نسق على** «من» المجرور ب من أي: وممن قال. وقد تقدم نظير هذا الاستفهام في البقرة،." [1]

"كانوا يزينون الكعبة بنقوش وتصاوير مموهة بالذهب فأمرنا بإخراجها.

قوله: ﴿وما يفترون﴾ «ما» موصولة اسمية أو نكرة موصوفة، والعائد على كلا هذين القولين محذوف، أي: وما يفترونه، أو مصدرية، وعلى كل قول فمحلها نصب، وفيه وجهان أحدهما: **أنها نسق على** المفعول في «فذرهم» أي: اتركهم واترك افتراءهم. والثاني: أنها مفعول معه، وهو مرجوح لأنه متى أمكن العطف من غير ضعف في التركيب أو في المعنى كان أولى من المفعول معه.." [2]

"قوله تعالى: ﴿ولتصغى﴾ : في هذه اللام ثلاثة أوجه، أحدها: أنها لام كي والفعل بعدها منصوب بإضمار أن. وفيما يتعلق به احتمالان: الاحتمال الأول أن يتعلق بيوحي على **أنها نسق على** «غرورا» ، وغرورا مفعول له والتقدير: يوحي بعضهم إلى بعض للغرور وللصغو، ولكن لما كان المفعول له الأول مستكملا لشروط النصب نصب، ولما كان هذا غير مستكمل للشروط وصل الفعل إليه بحرف العلة، وقد فاته من الشروط كونه لم يتحد فيه الفاعل، فإن فاعل الوحي «بعضهم» وفاعل الصغو الأفئدة، وفات أيضا من الشروط صريح المصدرية. والاحتمال الثاني: أن يتعلق بمحذوف متأخر بعدها، فقدره الزجاج: ولتصغى إليه فعلوا ذلك، وكذا قدره الزمخشري فقال: «ولتصغى جوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعلنا الزمخشري فقال:» ولتصغى جوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا، على أن اللام لام الصيرورة «.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٤٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/١١٧

الوجه الثاني: / أن اللام لام الصيرورة وهي التي يعبرون عنها بلام العاقبة، وهو رأي الزمخشري كما تقدم حكايته عنه أيضا.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا﴾ قيل: «كذلك» نسق على «كذلك» قبلها ففيها ما فيها، وقدره الزمخشري بأن معناه: وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها «واللام في» ليمكروا «يجوز أن تكون للعاقبة وأن تكون للعلة مجازا، و» جعل «تصييرية فتتعدى لاثنين، واختلف في تقديرهما، والصحيح أن تكون ﴿في كل قرية﴾ مفعولا ثانيا قدم على الأول، والأول» أكابر «مضافا لمجرميها. والثاني: أن ﴿في كل قرية﴾ مفعول أيضا مقدم،» أكابر «هو الأول و» مجرميها «بدل من» أكابر «ذكر ذلك أبو البقاء. الثالث: أن يكون» أكابر «مفعولا ثانيا قدم و» مجرميها «مفعول أول أخر، والتقدير: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر،." (٢)

"ثم قال الشيخ: «وأما قوله فخبيث فليس بخبيث؛ وذلك أنه بناه على أن الجملة الحالية إذا كانت اسمية وفيها ضمير ذي الحال فحذف الواو منها شاذ وتبع في ذلك الفراء، وليس بشاذ بل هو كثير في النظم والنثر» . قلت: قد سبق أبا القاسم في تسمية هذه الواو حرف عطف الفراء وأبو بكر ابن الأنباري. قال الفراء: «أوهم قائلون فيه واو مضمرة، المعنى: أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقا على إثر نسق، ولو قيل لكان صوابا» . قلت: قد تقدم أن الشيخ نقل أن الواو ممتنعة في هذا المثال ولم يحك خلافا، وهذا قول الفراء: «ولو قيل لكان صوابا» مصرح بالخلاف له. وقال أبو بكر: «أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب:» لقيت عبد الله مسرعا أو هو يركض «فيحذفون الواو لأمنهم اللبس، لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن» أو «حرف عطف والواو كذلك، فاستثقلوا جمعا بين حرفين من حروف العطف فحذفوا الثاني» .

قلت: فهذا تصريح من هذين الإمامين بما ذكره أبو القاسم، وإنما ذكرت نص هذين الإمامين لأعلم اطلاعه على أقوال الناس، وأنه لا يأتي بغير مصطلح أهل العلم كما يرميه به غير مرة.

و «قائلون» من القيلولة. يقال: قال يقيل قيلولة فهو قائل كبائع. والقيلولة: الراحة والدعة في الحر وسط

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١٧/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٤/٥

النهار وإن لم يكن معها نوم. وقال الليث: هي نومة نصف النهار. قال الأزهري: «القيلولة: الراحة وإن لم يكن فيها نوم، بدليل قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة." (١)

"أن القسط مصدر فهو ينحل لحرف مصدري وفعل، فالتقدير: قل: أمر ربي بأن أقسطوا وأقيموا، وكما أن المصدر ينحل ل «أن» والفعل الماضي نحو: «عجبت من قيام زيد وخرج» أي: من أن قام وخرج، ول «أن» والفعل المضارع كقولها:

٢١٨٢ - للبس عباءة وتقر عيني ... .

أي: لأن ألبس وتقر، كذلك ينحل ل «أن» وفعل أمر لأنها بالثلاث الصيغ: الماضي والمضارع والأمر بشرط التصرف. وقد تقدم لنا تحقيق هذه المسألة وإشكالها وجوابه، وهذا بخلاف «ما» فإنها لا توصل بالأمر، وبخلاف «كي» فإنها لا توصل إلا بالمضارع، فلذلك لا ينحل المصدر إلى «ما» وفعل أمر، ولا إلى كي وفعل ماض أو مضارع. وقال الزمخشري: «وأقيموا وجوهكم: وقل أقيموا وجوهكم أي: اقصدوا عبادته» . وهذا من أبي القاسم يحتمل تأويلين، أحدهما: أن يكون قوله «قل» أراد به أنه مقدر غير هذا الملفوظ به، فيكون «أقيموا» معمولا لقول أمر مقدر، وأن ي‍كون معطوفا على قوله «أمر ربي» فإنه معمول ل «قل» . وإنما أظهر الزمخشري «قل» مع «أقيموا» لتحقيق عطفيته على «أمر ربي» . ويجوز أن يكون قوله «وأقيموا» معطوفا على أمر محذوف تقديره: قل أقبلوا وأقيموا.

وقال الجرجاني صاحب «النظم» : «نسق الأمر على الجر، وجاز ذلك." (٢)

"حلالا؛ لأن هذه السورة مكية، وتحريم الخمر إنما كان في المدينة بعد أحد، وقد شربها جماعة من الصحابة يوم أحد فماتوا شهداء وهي في أجوافهم. وأما ما أنشده الأصمعي من قوله «شربت الإثم» فقد نصوا أنه مصنوع، وأما غيره فالله أعلم «.

و ﴿بغير الحق﴾ حال، وهي مؤكدة لأن البغي لا يكون إلا بغير حق و» أن تشركوا «منصوب المحل نسقا على مفعول» حرم «أي: وحرم إشراككم عليكم، ومفعول الإشراك ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ وقد تقدم بيانه في الأنعام. و ﴿أن تقولوا﴾ **أيضا نسق على** ما قبله أي: وحرم قولكم عليه من غير علم. وقال الزمخشري:» ما لم ينزل به سلطانا: تهكم بهم لأنه/ لا يجوز أن ينزل برهانا أن يشرك به غيره «.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥٢/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٩٦/٥

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٠٧/٥

"ما توهم كونه مانعا مما ذكر، ولذكرت الانفصال عنه، والظاهر أنها إنما تتعلق بقوله ﴿ينالهم نصيبهم﴾

.

وقوله: ﴿يتوفونهم﴾ في محل نصب على الحال. وكتبت» أينما «متصلة وحقها الانفصال، لأن» ما «موصولة لا صلة، إذ التقدير: أين الذين تدعونهم؟ ولذلك كتب ﴿إن ما توعدون لآت﴾ [الأنعام: ١٣٤] منفصلا و ﴿إنما الله﴾ [النساء: ١٧١] متصلا. وقولهم:» ضلوا «جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، وذلك أن السؤال إنما وقع عن مكان الذين كانوا يدعونهم من دون الله، فلو جاء الجواب على نسق السؤال لقيل: هم في المكان الفلاني، وإنما المعنى: ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونهم؟ فأجابوا بأنهم ضاعوا عنهم وغابوا.

قوله: ﴿وشهدوا﴾ يحتمل أن يكون نسقا على «قالوا» الذي وقع جوابا لسؤال الرسل فيكون داخلا في الجواب أيضا. ويحتمل أن يكون مستأنفا مقتطعا عما قبله ليس داخلا في حيز الجواب. كذا قال الشيخ وفيه نظر؛ من حيث إنه جعل هذه الجملة جوابا لعطفها على قالوا، وقالوا في الحقيقة ليس هو الجواب، إنما الجواب هو مقول هذا القول وهو «ضلوا عنا» ف «ضلوا عنا» هو الجواب الحقيقي الذي يستفاد منه الكلام. ونظيره أن يقول: سألت زيدا ما فعل؟ فقال: أطعمت وكسوت، فنفس أطعمت وكسوت هو الجواب. وإذا تقرر هذا فكان ينبغي أن يقول «فيكون» معطوفا على «ضلوا عنا» ، ثم لو قال كذلك لكان مشكلا من جهة أخرى: وهو أنه كان يكون التركيب الكلامي: «ضلوا عنا وشهدنا على أنفسنا أنا كنا» ، إلا أن يقال: حكى الجواب الثاني على المعنى، فهو محتمل على بعد بعيد.." (١)

"قوله: ﴿ونطبع﴾ في هذه الجملة أوجه، أحدها: أنها نسق على «أصبناهم» وجاز عطف المضارع على الماضي لأنه بمعناه وقد تقدم أن «لو» تخلص المضارع للمضي، ولما حكى الشيخ كلام ابن الأنباري المتقدم قال: «فجعل» لو «شرطية بمعنى» إن «ولم يجعلها التي هي» لما «كان سيقع لوقوع غيره، ولذلك جعل» أصبنا «بمعنى نصيب. ومثال وقوع» لو «بمعنى» إن «قوله:

٢٢٥٣ - لا يلفك الراجيك إلا مظهرا ... خلق الكرام ولو تكون عديما

وهذا الذي قاله ابن الأنباري رده الزمخشري من حيث المعنى، لكن بتقدير أن يكون» ونطبع «بمعنى طبعنا، فيكون قد عطف المضارع على الماضي لكونه بمعنى الماضي، وابن الأنباري جعل التأويل في» أصبنا «الذي هو جواب» لو نشاء «، فجعله بمعنى نصيب، فتأول المعطوف عليه وهو جواب» لو نشاء «،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣١١/٥

فجعله بمعنى نصيب، فتأول المعطوف ورده إلى المضي، وأنتج رد الزمخشري أن كلا التقديرين لا يصح»
.

قال الزمخشري: «فإن قلت: هل يجوز أن يكون» ونطبع «بمعنى طبعنا، كما كان» لو نشاء «بمعنى لو شئنا، ويعطف على» أصبناهم «؟ قلت: لا يساعد على المعنى، لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها، وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم من هذه الصفة، وأن الله لو شاء لاتصفوا بها» . قال الشيخ: «وهذا الرد." [1]

"استضعف الزجاج قراءة حمزة وعاصم. قال بعدما أنشد قول الشاعر/:

٢٢٥٩ - لما رأى أن لا دعه ولا شبع ... مال إلى أرطاة حقف فالطجع

» هذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له: أخطأت، لأن الشاعر يجوز أن يخطئ، وهذا مذهب لا يعرج عليه «. قلت: قد تقدم أن تسكين هاء الكناية لغة ثابتة، وتقدم شواهدها فلا حاجة إلى إعادة ذلك.

وقوله» وأخاه «الأحسن أن يكون نسقا على الهاء في» أرجه «، ويضعف نصبه على المعية **لإمكان النسق من** غير ضعف لفظي ولا معنوي.

قوله: ﴿في المدآئن﴾ متعلق بأرسل، و» حاشرين «مفعول به، ومفعول» حاشرين «محذوف أي: حاشرين السحرة بدليل ما بعده. والمدائن جمع مدينة وفيها ثلاثة أقوال: أحدها وهو الصحيح أن وزنها فعيلة فميمها أصلية وياؤها زائدة، مشتقة من مدن يمدن مدونا أي: أقام. واستدل لهذا القول بإطباق القراء على همز مدائن كصحيفة وصحائف وسفينة وسفائن، ولو كانت مفعلة لم تهمز نحو: معيشة ومعايش، ولأنهم جمعوها أيضا على مدن كقولهم: سفينة وسفن وصحيفة وصحف. قال الشيخ:» ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فعل قالوا: مدن، كما قالوا: صحف في صحيفة «.." [2]

"قوله تعالى: ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ : هذه **الجملة نسق على** الجملة المحذوفة التي نابت «نعم» عنها في الجواب، إذ التقدير: قال: نعم إن لكم لأجرا وإنكم لمن المقربين.." [3]

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٩٥/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤١٢/٥

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤١٥/٥

"قوله تعالى: ﴿ويذرك﴾ : قرأ العامة: «ويذرك» بياء الغيبة ونصب الراء. وفي النصب وجهان: أظهرهما: أنه على العطف على «ليفسدوا» . والثاني: أنه منصوب على جواب الاستفهام، كما ينصب في جوابه بعد الفاء كقول الحطيئة:

٢٢٦٥ - ألم أك جاركم ويكون بيني ... وبينكم المودة والإخاء

والمعنى: كيف يكون الجمع بين تركك موسى وقومه مفسدين وبين تركهم إياك وعبادة آلهتك، أي لا يمكن وقوع ذلك.

وقرأ الحسن في رواية عنه ونعيم بن ميسرة «ويذرك» برفع الراء. وفيها ثلاثة أوجه، أظهرها: **أنه نسق على** «أتذر» أي: أتطلق له ذلك. الثاني: أنه استئناف إخبار بذلك. الثالث: أنه حال. ولا بد من/ إضمار مبتدأ، أي: وهو يذرك.

وقرأ الحسن أيضا والأشهب العقيلي: «ويذرك» بالجزم وفيها وجهان، أحدهما: أنه جزم ذلك عطفا على التوهم، كأنه توهم جزم «يفسدوا» في جواب الاستفهام فعطف عليه بالجزم كقوله: ﴿فأصدق وأكن﴾ [المنافقين: ١٠] بجزم «وأكن» . الثاني: أنها تخفيف كقراءة أبي عمرو «ينصركم» وبابه.." (١)

"فعلنا ذلك «فجعله مفعولا به، وعلى الوجهين فالباء في» بأنهم «متعلقة بذلك المحذوف.

قوله: ﴿وكانوا﴾ في هذه الجملة احتمالان، أحدهما: **أنها نسق على** خبر» أن «، أي: ذلك بأنهم كذبوا، وبأنهم كانوا غافلين عن آياتنا. والثاني: أنها مستأنفة أخبر الله تعالى عنهم بأن من شأنهم الغفلة عن الآيات وتدبرها.." (٢)

"والخلف بالسكون - فيه وجهان، أحدهما: أنه مصدر، ولذلك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وعليه ما تقدم من قوله:

إنا وجدنا خلفنا بئس الخلف ... وإما اسم جمع خالف كركب لراكب وتجر لتاجر، قاله ابن الأنباري. ورده عليه بأنه لو كان اسم جمع لم يجر على المفرد وقد جرى عليه. واشتقاقه: إما من الخلافة، أي: كل خلف يخلف من قبله، وإما من خلف النبيذ يخلف، أي: فسد، يقال: خلف النبيذ يخلف خلفا إذا فسد، خلفا وخلوفا، وكذا الفم إذا تغيرت رائحته. ومن ذلك الحديث:» لخلوف فم الصائم «. وقرأ الحسن البصري:» ورثوا «بضم الواو وتشديد الراء مبنيا لما لم يسم فاعله. ويجوز أن يكون» يأخذون «مستأنفا،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٤٢٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٤٥٨

أخبر عنهم بذلك. وتقدم الكلام على لفظ» الأدنى «واشتقاقه.

قوله: ﴿ويقولون﴾ نسق على» يأخذون «بوجهيه و» سيغفر «معموله. وفي القائم مقام فاعله وجهان، أحدهما: الجار بعده وهو» لنا «.

والثاني: أنه ضمير الأخذ المدلول عليه بقوله: «يأخذون» ، أي: سيغفر لنا أخذ العرض الأدنى.

قوله: ﴿وإن يأتهم عرض﴾ هذه الجملة الشرطية فيها وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، والثاني: أن الواو للحال، وما بعدها منصوب عليها. قال الزمخشري: «الواو للحال، أي: يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى فعلهم غير تائبين، وغفران." (١)

"قوله: «ويذهب» نسق على «ليطهركم» . وقرأ عيسى بن عمر «ويذهب» بسكون الباء، وهو تخفيف سماه الشيخ جزما. والعامة على «رجز» بكسر الراء والزاي. وقرأ ابن محيصن بضم الراء، وابن أبي عبلة بالسين. وقد تقدم الكلام على كل واحد منها. ومعنى «رجز الشيطان» هنا ما ينشأ عن وسوسته.." (٢)

"وهو الظاهر أنها مصدرية، وموضعها: إما نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر؛ إذ التقدير: في أن لا يعذبهم. وهذا الجار متعلق بما تعلق به «لهم» من الاستقرار. والتقدير: أي شيء استقر لهم في عدم تعذيب الله إياهم، بمعنى لا حظ لهم في انتفاء العذاب. والثاني: أنها زائدة وهو قول الأخفش. قال النحاس: «لو كانت كما قال لرفع» يعذبهم «. يعني النحاس فكان ينبغي أن يرتفع الفعل على أنه واقع موقع الحال كقوله: ﴿وما لنا لا نؤمن بالله﴾ [المائدة: ٨٤] ، ولكن لا يلزم من الزيادة عدم العمل، ألا ترى أن» من «والباء تعملان وهما مزيدتان. وقال أبو البقاء:» وقيل: هو حال وهو بعيد؛ لأن «أن» تخلص الفعل للاستقبال «. والظاهر أن» ما «في قوله» وما لهم «استئنافية، وهو استفهام معناه التقرير أي: كيف لا يعذبون وهم متصفون بهذه الحال؟ وقيل:» ما «نافية فهي إخبار بذلك أي ليس عدم التعذيب، أي: لا ينتفي عنهم التعذيب مع تلبسهم بهذه الحال.

قوله: ﴿وما كانوا أولياءه﴾ في هذه الجملة وجهان أحدهما: أنها استئنافية، والهاء تعود على المسجد أي: وما كانوا أولياء المسجد. والثاني: أنها نسق على الجملة الحالية قبلها وهي» وهم يصدون «والمعنى: كيف

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٥٠٤

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٥٧٧

لا يعذبهم الله وهم متصفون بهذين الوصفين: صدهم عن المسجد الحرام وانتفاء كونهم أولياءه؟ ويجوز أن يعود الضمير على الله تعالى، أي: لم يكونوا أولياء الله.." (١)

"آل عمران. وقوله: «ويجعل» : يحتمل أن تكون تصييرية فتنصب مفعولين، وأن تكون بمعنى الإلقاء فتتعدى لواحد، وعلى كلا التقديرين ف «بعضه» بدل بعض من كل، وعلى القول الأول يكون «على بعض» في موضع المفعول الثاني، وعلى الثاني يكون متعلقا بنفس الجعل نحو قولك: «ألقيت متاعك بعضه على بعض» . وقال أبو البقاء بعد أن حكم عليها بأنها تتعدى لواحد: «وقيل: الجار والمجرور حال تقديره: ويجعل الخبيث بعضه عاليا على بعض» .

واللام في «ليميز» متعلقة بيحشرون. ويقال: ميزته فتميز، ومزته فانماز. وقرئ شاذا ﴿وانمازوا اليوم﴾ [يس: ٥٩] ، وأنشد أبو زيد:

٢٤١٦ - لما نبا الله عني شر غدرته ... وانمزت لا منسئا غدرا ولا وجلا

وقد تقدم الفرق بين هذه الألفاظ في آل عمران.

قوله: ﴿فيركمه﴾ نسق على المنصوب قبله. والركم: جمعك الشيء فوق الشيء حتى يصير ركاما ومركوما، كما يركم الرمل والسحاب، ومنه ﴿يقولوا سحاب مركوم﴾ [الطور: ٤٤] . والمرتكم: جادة الطريق للركم الذي فيه، أي: ازدحام السابلة وآثارهم. و «جميعا» حال. ويجوز أن يكون توكيدا عند بعضهم.." (٢)

"وقرأ الحسن وأبو حيوة ومالك بن دينار «ومن ربط» بضمتين، وعن الحسن أيضا ربط بضم وسكون، وذلك نحو كتاب وكتب. قال ابن عطية: «وفي جمعه وهو مصدر غير مختلف نظر» . قلت: لا نسلم والحالة هذه أنه مصدر، بل حكى أبو زيد أن «رباطا» الخمس من الخيل فما فوقها وأن جمعها «ربط» ، ولو سلم أنه مصدر فلا نسلم أنه لم تختلف أنواعه، وقد تقدم أن «رباطا» يجوز أن يكون جمعا لربط المصدر، فما كان جوابا هناك فهو جواب هنا.

قوله: ﴿عدو الله﴾ العامة قرؤوه بالإضافة، وقرأه السلمي منونا، و «لله» بلام الجر، وهو مفرد والمراد به الجنس فمعناه أعداء لله. قال صاحب «اللوامح» : «وإنما جعله نكرة بمعنى العامة، لأنها نكرة أيضا لم تتعرف بالإضافة إلى المعرفة؛ لأن اسم الفاعل بمعنى الحال أو الاستقبال، ولا يتعرف ذلك وإن أضيف إلى المعارف، وأما» وعدوكم «فيجوز أن يكون كذلك نكرة، ويجوز أن يتعرف لأنه قد أعيد ذكره، ومثله:»

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٥٩٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٦٠٣

رأيت صاحبا لكم، فقال لي صاحبكم «. يعني أن» عدوا «يجوز أن يلمح فيه الوصف فلا يتعرف وأن لا يلمح فيتعرف.

قوله: ﴿وآخرين﴾ **نسق على**» عدو الله «و» من دونهم «صفة ل» آخرين «. قال ابن عطية:» من دونهم «بمنزلة قولك» دون أن يكون هؤلاء «ف» دون «في كلام العرب و» من دون «تقتضي عدم المذكور بعدها من النازلة التي فيها." [١]

"٢٤٤٣ - أكل امرئ تحسبين أمرأ ... ونار توقد بالليل نارا

أي: وكل نار، فلا يكون من العطف على الضمير المجرور «. قال ابن عطية:» وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه، بابه ضرورة الشعر «. قال الشيخ:» وليس بمكروه ولا ضرورة، بل أجازه سيبويه وخرج عليه البيت وغيره من الكلام «، قلت: قوله:» بل إضافة صحيحة ليست من نصب «فيه نظر لأن النحويين على أن إضافة» حسب «وأخواتها إضافة غير محضة، وعللوا ذلك بأنها في قوة اسم فاعل ناصب لمفعول به، فإن» حسبك «بمعنى كافيك وغيرك بمعنى مغايرك، وقيد الأوابد بمعنى مقيدها قالوا: ويدل على ذلك أنها توصف بها النكرات فقال:» مررت برجل حسبك من رجل «.

وجوز أبو البقاء فيه الرفع من ثلاثة أوجه أحدها: **أنه نسق على** الجلالة كما تقدم، إلا أنه قال: فيكون خبرا آخر كقولك:» القائمان/ زيد وعمرو، ولم يثن «حسبك» لأنه مصدر. وقال قوم: هذا ضعيف؛ لأن الواو للجمع ولا يحسن ههنا، كما لا يحسن في قولهم: «ما شاء الله وشئت» . و «ثم» هنا أولى «، قلت: يعني أنه من طريق الأدب لا يؤتى بالواو التي تقتضي الجمع، بل تأتي ب» ثم «التي تقتضي التراخي، والحديث دال على ذلك. الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: وحسب من اتبعك. والثالث: هو مبتدأ والخبر محذوف تقديره: ومن اتبعك كذلك أي: حسبهم الله.

وقرأ الشعبي» ومن «بسكون النون» «أتبعك» بزنة أكرمك.." [٢]

"قوله تعالى: ﴿ويوم حنين﴾ : فيه أوجه: أحدها: أنه عطف على محل قوله «في مواطن» ، عطف ظرف الزمان من غير واسطة «في» على ظرف المكان المجرور بها. ولا غرو **في نسق ظرف** زمان على مكان أو العكس تقول: «سرت أمامك يوم الجمعة» إلا أن الأحسن أن يترك العاطف مثله. الثاني: زعم ابن عطية أنه يجوز أن يعطف على لفظ «مواطن» بتقدير: وفي، فحذف حرف الخفض. وهذا لا حاجة

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٦٢٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٦٣٤

إليه. الثالث: قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف عطف الزمان على المكان، وهو» يوم حنين «على» مواطن «؟ ، قلت: معناه: وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين» . الرابع: أن يراد بالمواطن الأوقات، فحينئذ إنما عطف زمان على زمان. قال الزمخشري بعدما قدمته عنه: «ويجوز أن/ يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين، على أن الواجب أن يكون» يوم حنين «منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر. وموجب ذلك أن قوله:» إذا أعجبتكم «بدل من» يوم حنين «، فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح؛ لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن، ولم يكونوا كثيرين في جميعها، فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به» . قلت: لا أدري ما حمله على تقدير أحد المضافين أو على تأويل." [1]

"قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون﴾ : فيه أوجه، أحدهما: أنه مرفوع على إضمار مبتدأ، أي: هم الذين. الثاني: أنه في محل رفع بالابتداء و «من المؤمنين» حال من «المطوعين» ، و «في الصدقات» متعلق ب «يلمزون» . و ﴿والذين لا يجدون﴾ نسق على «المطوعين» أي: يعيبون المياسير والفقراء.

وقال مكي: «والذين» خفض عطفا على «المؤمنين» ، ولا يحسن عطفه على «المطوعين» ، لأنه لم يتم اسما بعد، لأن «فيسخرون» عطف على «يلمزون» هكذا ذكره النحاس في «الإعراب» له، وهو عندي وهم منه «. قلت: الأمر فيه كما ذكر فإن» المطوعين «قد تم من غير احتياج لغيره.." [2]

"وقوله: ﴿فيسخرون﴾ نسق على الصلة، وخبر المبتدأ الجملة من قوله: ﴿سخر الله منهم﴾ ، هذا أظهر إعراب قيل هنا. وقيل: ﴿والذين لا يجدون﴾ نسق على» الذين يلمزون «، ذكره أبو البقاء. وهذا لا يجوز؛ لأنه يلزم الإخبار عنهم، بقوله: ﴿سخر الله منهم﴾ وهذا لا يكون إلا بأن كان الذين لا يجدون منافقين، وأما إذا كانوا مؤمنين كيف يسخر الله منهم؟ وقيل: ﴿والذين لا يجدون﴾ نسق على المؤمنين، قاله أبو البقاء. وقال الشيخ:» وهو بعيد جدا «، قلت: وجه بعد أنه يفهم أن الذين لا يجدون ليسوا مؤمنين؛ لأن أصل العطف الدلالة على المغايرة فكأنه قيل: يلمزون المطوعين من هذين الصنفين: المؤمنين والذين لا يجدون، فيكون الذين لا يجدون مطوعين غير مؤمنين.

وقال أبو البقاء:» في الصدقات «متعلق ب» يلمزون «، ولا يتعلق بالمطوعين لئلا يفصل بينهما بأجنبي» ، وهذا الرد فيه نظر، إذ قوله: «من المؤمنين» حال، والحال ليست/ بأجنبي، وإنما يظهر في رد ذلك أن «يطوع» إنما يتعدى بالباء لا ب «في» ، وكون «في» بمعنى الباء خلاف الأصل.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٣٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٨٨

وقيل: ﴿فيسحرون﴾ خبر المبتدأ، ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من معنى الشرط، وفي هذا الوجه بعد من حيث إنه يقرب من كون الخبر في معنى المبتدأ، فإن من عاب إنسانا وغمزه علم أنه يسخر منه فيكون كقولهم: «سيد الجارية مالكها» .." (١)

"هذا نحا الزمخشري. الثالث: أن يكون معطوفا على الشرط، فيكون في محل جر بإضافة الظرف إليه بطريق النسق، وحذف حرف العطف، والتقدير: وقلت: وقد تقدم لك كلام في هذه المسألة وما استشهد الناس به عليها. وإلى هذا ذهب الجرجاني، وتبعه ابن عطية، إلا أنه قدر العاطف فاء، أي: فقلت. الرابع: أن يكون مستأنفا. قال الزمخشري:» فإن قلت: هل يجوز أن يكون قوله «قلت لا أجد» استئنافا مثله «يعني مثل ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا، فقيل: ما لهم تولوا باكين [فقيل] قلت: لا أجد ما أحملكم عليه، إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض.

قلت: نعم ويحسن «انتهى.

قال الشيخ:» ولا يجوز ولا يحسن في كلام العرب فكيف في كلام الله؟ وهو فهم أعجمي «. قلت: وما أدري ما سبب منعه وعدم استحسانه له مع وضوحه وظهوره لفظا ومعنى؟ وذلك لأن توليهم على حاله، فيصير الدمع ليس مترتبا على مجرد مجيئهم له عليه السلام ليحملهم، بل على قوله لهم ﴿لا أجد مآ أحملكم﴾ ، وإذا كان كذلك فقوله عليه السلام لهم ذلك سبب في بكائهم، فحسن أن يجعل قوله ﴿قلت: لا أجد مآ أحملكم﴾ جوابا لمن سأل عن علة توليهم وأعينهم فائضة دمعا، وهو المعنى الذي قصده أبو القاسم. وعلى هذه الأوجه الثلاثة التي قدمتها في» قلت «يكون جوابه قوله» تولوا «، وقوله»." (٢)

"قوله تعالى: ﴿رضوا﴾ : فيه وجهان، أحدهما: أنه مستأنف كأنه قال قائل: ما بالهم استأذنوا في القعود وهم قادرون على الجهاد؟ فأجيب بقوله «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف» . وإليه مال الزمخشري. والثاني: أنه في محل نصب على الحال و «قد» مقدرة في قوله [«رضوا»] .

وقوله: **﴿وطبع﴾ نسق على** «رضوا» تنبيها على أن السبب في تخلفهم رضاهم بقعودهم وطبع الله على قلوبهم.

وقوله ﴿إنما السبيل على﴾ فأتى ب «على» وإن كان قد يصل ب «إلى» لفرق ذكروه: وهو أن «على»

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٨٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٠٠

تدل على الاستعلاء وقلة منعة من تدخل عليه نحو: لي سبيل عليك، ولا سبيل لي عليك، بخلاف «إلى» . فإذا قلت: «." [1]

"قوله تعالى: ﴿قربات﴾ : مفعول ثان ليتخذ كما مر في «مغرما» . ولم يختلف قراء السبعة في ضم الراء من «قربات» مع اختلافهم في راء «قربة» كما سيأتي، فيحتمل أن تكون هذه جمعا لقربة بالضم كما هي قراءة ورش عن نافع، ويحتمل أن تكون جمعا للساكنها، وإنما ضمت اتباعا ل «غرفات» وقد تقدم التنبيه على هذه القاعدة وشروطها عند قوله تعالى ﴿في ظلمات﴾ [الآية: ١٧] أول البقرة.

قوله: ﴿عند الله﴾ في هذا الظرف ثلاثة أوجه، أظهرها: أنه متعلق ب «يتخذ» . والثاني: أنه ظرف ل «قربات» قاله أبو البقاء، وليس بذاك. الثالث: أنه متعلق بمحذوف لأنه صفة ل «قربات» .

قوله: ﴿وصلوات الرسول﴾ فيه وجهان أظهرهما: **أنه نسق على** «قربات» وهو ظاهر كلام الزمخشري فإنه قال: «والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصور القربات عند الله» وصلوات الرسول «لأنه كان يدعو للمتصدقين بالخير كقوله:» اللهم صل على آل أبي أوفى «والثاني: وجوزه ابن عطية." [2]

"قوله تعالى: ﴿وآخرون﴾ **: نسق على** «منافقون» أي:." [3]

"وممن حولكم آخرون، أو ومن أهل المدينة آخرون. ويجوز أن يكون مبتدأ و «اعترفوا» صفته، والخبر قوله «خلطوا» .

قوله: **﴿وآخر﴾ نسق على** «عملا» . قال الزمخشري: «فإن قلت: قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به؟ قلت: كل واحد مخلوط ومخلوط به، لأن المعنى: خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك:» خلطت الماء واللبن «تريد: خلطت كل واحد منهما بصاحبه، وفيه ما ليس في قولك:» خلطت الماء باللبن «لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به. وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما، كأنك قلت: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء» . ثم قال: «ويجوز أن يكون من قولهم:» بعت الشاء: شاة ودرهما «بمعنى: شاة بدرهم» قلت: لا يريد أن الواو بمعنى الباء، وإنما هذا تفسير معنى. وقال أبو البقاء: «ولو كان بالباء جاز أن تقول: خلطت الحنطة والشعير، وخلطت الحنطة بالشعير» .

قوله: ﴿عسى الله﴾ يجوز أن تكون الجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون في محل رفع خبرا ل «آخرون» ،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٠٢

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٠٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١١٤

ويكون قوله: «خلطوا» في محل نصب على الحال، و «قد» معه مقدرة أي: قد خلطوا. فتلخص في «آخرون» أنه معطوف على «منافقون» ، أو مبتدأ مخبر عنه ب «خلطوا» أو الجملة الرجائية.." (١)

"الله لفهم ذلك إلا صيغتي الأمر والنهي مبالغة في ذلك، ولم يأت بعاطف بين هذه الأوصاف لمناسبتها لبعضها إلا في صيغتي الأمر والنهي لتباين ما بينهما، فإن الأمر طلب فعل والنهي طلب ترك أو كف، وكذا» الحافظون «عطفه وذكر متعلقه. وأتى بترتيب هذه الصفات في الذكر على أحسن نظم وهو ظاهر بالتأمل، فإنه قدم التوبة أولا ثم ثنى بالعبادة إلى آخره. وقيل: إنما دخلت الواو لأنها واو الثمانية، كقوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ [الكهف: ٢٢] . وقوله: ﴿وفتحت أبوابها﴾ [الزمر: ٧١] لما كان للجنة ثمانية أبواب أتى معها بالواو. وقال أبو البقاء:» إنما دخلت الواو في الصفة الثامنة إيذانا بأن السبعة عندهم عدد تام، ولذلك قالوا: «سبع في ثمانية» ، أي: سبع أذرع في ثمانية أشبار، وإنما دلت الواو على ذلك لأن الواو تؤذن بأن ما بعدها غير ما قبلها، ولذلك دخلت في باب عطف النسق «، قلت: وهذا قول ضعيف جدا لا تحقيق له.." (٢)

"فجمع بين اللغتين» . وقال غيره: «إنما عدى المسند إلى الله باللام/ لأنها أدل في بابها على المعنى المراد من» إلى «؛ إذ أصلها لإفادة الملك، فكأن الهداية مملوكة لله تعالى» وفيه نظر، لأن المراد بقوله: ﴿أفمن يهدي إلى الحق﴾ هو الله تعالى مع تعدي الفعل المسند إليه ب «إلى» .

قوله: ﴿أحق أن يتبع﴾ خبر لقوله: «أفمن يهدي» و «أن» في موضع نصب أو جر بعد حذف الخافض، والمفضل عليه محذوف، وتقدير هذا كله: «أفمن يهدي إلى الحق أحق بأن يتبع ممن لا يهدي» . ذكر ذلك مكي ابن أبي طالب، فجعل «أحق» هنا على بابها من كونها للتفضيل. وقد منع الشيخ كونها هنا للتفضيل فقال: «وأحق» ليست للتفضيل، بل المعنى: حقيق بأن يتبع «. وجوز مكي أيضا في المسألة وجهين آخرين أحدهما: أن تكون» من «مبتدأ أيضا، و» أن «في محل رفع بدلا منها بدل اشتمال، و» أحق «خبر على ما كان. والثاني: أن يكون» أن يتبع «في محل رفع بالابتداء، و» أحق «خبره مقدم عليه. وهذه الجملة خبر ل» من يهدي «، فتحصل في المسألة ثلاثة أوجه.

قوله: ﴿أمن لا يهدي﴾ نسق على» أفمن «، وجاء هنا على الأفصح من حيث إنه قد فصل بين» أم «وما عطفت عليه بالخبر كقولك:» زيد قائم أم عمرو «ومثله:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١١٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/١٣٠

﴿أذلك خير أم جنة الخلد﴾ [الفرقان: ١٥] . وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠٩] وسيأتي هذا في موضعه.." (١)

"وقال الإمام فخر الدين بعد حكايته الإشكال المتقدم: «أجاب بعض المحققين من وجهين، أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والآخر: أن العزوب عبارة عن مطلق البعد، والمخلوقات قسمان، قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة كالملائكة والسموات والأرض، وقسم أوجده بواسطة القسم الأول مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد، وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود، فالمعنى: لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلا وهو في كتاب مبين، كتبه الله وأثبت فيه صور تلك المعلومات» .

قلت: فقد آل الأمر إلى أنه جعله استثناء مفرغا، وهو حال من «أصغر» و «أكبر» ، وهو في قوة الاستثناء المتصل، ولا يقال في هذا: إنه متصل ولا منقطع، إذ المفرغ لا يقال فيه ذلك.

وقال الجرجاني: «إلا» بمعنى الواو، أي: وهو في كتاب مبين، والعرب تضع «إلا» موضع **واو النسق** **كقوله**: ﴿إلا من ظلم﴾ [النساء: ١٤٨] ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ [البقرة: ١٥٠] . وهذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدا، وقد تقدم الكلام في هذه المسألة في البقرة، وأنه شيء قال به الأخفش، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح. وقال الشيخ أبو شامة: «ويزيل الإشكال أن تقدر قبل قوله: ﴿إلا في كتاب﴾ » ليس شيء من ذلك إلا في كتاب «وكذا تقدر في آية الأنعام.

ولم يقرأ في سبأ إلا بالرفع، وهو يقوي قول من يقول إنه معطوف." (٢)

"قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا﴾ : في محله أوجه، أحدها: أنه مرفوع على خبر ابتداء مضمر، أي: هم الذين آمنوا، أو على أنه خبر ثان ل «إن» ، أو على الابتداء، والخبر الجملة من قوله: «لهم البشرى» ، أو على النعت على موضع «أولياء» لأن موضعه رفع بالابتداء قبل دخول «إن» أو على البدل من الموضع أيضا، ذكرهما مكي. وهذان الوجهان على مذهب الكوفيين لأنهم يجرون التوابع كلها مجرى **عطف النسق** **في** اعتبار المحل/ محل الجر بدلا من الهاء والميم في «عليهم» . وقيل: منصوب المحل نعتا ل «أولياء» ، أو بدلا منهم على اللفظ أو على إضمار فعل لائق وهو «أمدح» ، فقد تحصل فيه تسعة أوجه: الرفع من

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٩٨/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٣١/٦

خمسة، والجر من وجه واحد، والنصب من ثلاثة. وإذا لم تجعل الجملة من قوله: «لهم البشرى» ، خبرا للذين جاز فيها الاستئناف، وأن تكون خبرا ثانيا ل «إن» أو ثالثا.." [1]

"٢٦١٢ - يا ليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدون يوما وأمري مجمع

وقيل: المعنى: فاجمعوا على كيدكم، فحذف حرف الجر.

وقرأ الحسن والسلمي وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق وسلام ويعقوب «وشركاؤكم» رفعا. وفيه تخريجان، أحدهما: **أنه نسق على** الضمير المرفوع بأجمعوا قبله، وجاز ذلك إذ الفصل بالمفعول سوغ العطف، والثاني: أنه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم.

وشذت فرقة فقرأت: «وشركائكم» بالخفض ووجهت على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه مجرورا على حاله كقوله:

٢٦١٣ - أكل امرىء تحسبين أمرأ ... ونار توقد بالليل نارا

أي: وكل نار، فتقدير الآية: وأمر شركائكم، فحذف الأمر وأبقى ما بعده على حاله، ومن رأى برأي الكوفيين جوز عطفه على الضمير في «أمركم» من غير تأويل، وقد تقدم ما فيه من المذاهب أعني العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار في سورة البقرة.

قوله: ﴿غمة﴾ يقال: غم وغمة نحو كرب وكربة. قال أبو الهيثم: «هو من قولهم:» غم علينا الهلال فهو مغموم إذا التمس فلم ير. قال طرفة ابن العبد.

٢٦١٤ - لعمرك ما أمري علي بغمة ... نهاري ولا ليلي علي بسرمد

وقال الليث: «يقال: هو في غمة من أمره إذا لم يتبين له.." [2]

"قوله تعالى: ﴿فلولا﴾ : «لولا» هنا تحضيضية وفيها معنى التوبيخ، كقول الفرزدق:

٢٦٣١ - تعدون عقر النيب أفضل مجدكم ... بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وفي مصحف أبي وعبد الله وقرأ كذلك «فهلا» وهي نص في التحضيض. و «كانت» هنا تامة، و «آمنت» صفة لقرية، و **«فنفعها» نسق على** الصفة.." [3]

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٣٢/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٤٣/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٦٨/٦

"قوله تعالى: ﴿فلعلك﴾ : الأحسن أن تكون على بابها من الترجي بالنسبة إلى المخاطب. وقيل: هي للاستفهام كقوله عليه السلام: «لعلنا أعجلناك»

قوله: ﴿وضآئق﴾ **نسق على** «تارك» . وعدل عن «ضيق» وإن كان أكثر من «." [1]

"قوله تعالى: ﴿أنمآ أنزل﴾ : «ما» يجوز أن تكون كافة مهيئة. وفي «أنزل» ضمير يعود على ما يوحى إليك، و «بعلم» حال أي: ملتبسا بعلمه، ويجوز أن تكون موصولة اسمية أو حرفية اسما ل «إن» فالخبر الجار تقديره: فاعلموا أن تنزيله، أو أن الذي أنزل ملتبس بعلم.

وقرأ زيد بن علي «نزل» بفتح النون والزاي المشددة، وفاعل «نزل» ضمير الله تعالى، و ﴿وأن لا إله إلا هو﴾ **نسق على** «أن» قبلها، ولكن هذه مخففة فاسمها محذوف، وجملة النفي خبرها.

قوله: ﴿نوف﴾ الجمهور على «نوف» بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى." [2]

"الفارسي وغيره. قال ابن عطية: «ولو كان المعنى: احمل فيها من كل زوجين حاصلين اثنين لوجب أن يحمل من كل نوع أربعة، والزوج في مشهور كلامهم للواحد مما له ازدواج» .

وأما قراءة حفص فمعناها من كل حيوان، و «زوجين» مفعول به، و «اثنين» نعت على التأكيد، و «من كل» على هذه القراءة يجوز أن يتعلق ب «احمل» وهو الظاهر، وأن يتعلق بمحذوف على أنها حال من «زوجين» وهذا الخلاف والتخريج جاريان أيضا في سورة ﴿قد أفلح﴾ [المؤمنون: ٢٧] .

قوله: ﴿وأهلك﴾ **نسق على** «اثنين» في قراءة من أضاف «كل» لزوجين، وعلى «زوجين» في قراءة من نون «كلا» وقوله: ﴿إلا من سبق﴾ استثناء متصل في موجب، فهو واجب النصب على المشهور.

وقوله: ﴿ومن آمن﴾ مفعول به نسقا على مفعول «احمل» .." [3]

"أكرمت» ومنه قول امرىء القيس:

٢٦٧٠ - إذا ما بكى من خلفها انحرفت له ... بشق وشق عندنا لم يحول

ويجوز أن يكون مرفوعا بالفاعلية عطفا على الضمير المستتر في «اهبط» وأغنى الفصل عن التأكيد بالضمير المنفصل، قاله أبو البقاء قال الشيخ: «وهذا التقدير والمعنى لا يصلحان، لأن الذين كانوا مع نوح في السفينة إنما كانوا مؤمنين لقوله:» ومن آمن «ولم يكونوا كفارا ومؤمنين، فيكون الكفار مأمورين بالهبوط،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٩٣/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٩٥/٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٢٤/٦

إلا إن قدر أن من المؤمنين من يكفر بعد الهبوط، وأخبر عنهم بالحال التي يؤولون إليها فيمكن على بعد» . قلت: وقد تقدم أن مثل ذلك لا يجوز، في قول ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٣٥] لأمر صناعي، و «سنمتعهم» على هذا صفة ل «أمم» ، والواو يجوز أن تكون للحال. قال الأخفش: «كما تقول:» كلمت زيدا وعمرو جالس «ويجوز أن تكون لمجرد النسق» .." (١)

"قوله تعالى: ﴿كمآ أمرت﴾ : الكاف في محل النصب: إما على النعت لمصدر محذوف، كما هو المشهور عند المعربين. قال الزمخشري: «أي: استقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها» ، وإما على الحال من ضمير ذلك المصدر. واستفعل هنا للطلب كأنه قيل: اطلب الإقامة على الدين، قال: «كما تقول: استغفر، أي: اطلب الغفران» .

قوله: ﴿ومن تاب معك﴾ في «من» وجهان أحدهما: أنه منصوب على المفعول معه، كذا ذكره أبو البقاء، ويصير المعنى: استقم مصاحبا لمن تاب مصاحبا لك، وفي هذا المعنى نبو عن ظاهر اللفظ. الثاني: أنه مرفوع، **فإنه نسق على** المستتر في «استقم» ، وأغنى الفصل بالجار عن تأكيده بضمير منفصل في صحة العطف، وقد تقدم لك هذا البحث في قوله ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٣٥] وأن الصحيح أنه من عطف الجمل لا من عطف المفردات، ولذلك قدره الزمخشري: «فاستقم أنت وليستقم من تاب» فقدر الرافع له فعلا لائقا برفعه الظاهر.

وقرأ العامة ﴿بما تعملون بصير﴾ بالتاء جريا على الخطاب المتقدم.." (٢)

"وهو محتمل. وقال الزمخشري: «والزلفى بمعنى الزلفة، كما أن القربى بمعنى القربة» ، يعني أنه مما تعاقب فيه تاء التأنيث وألفه.

وفي انتصاب «زلفا» وجهان، أظهرهما: **أنه نسق على** «طرفي» فينتصب الظرف، إذ المراد بها ساعات الليل القريبة. والثاني: أن ينتصب انتصاب المفعول به نسقا على الصلاة. قال الزمخشري: بعد أن ذكر القراءات المتقدمة «وهو ما يقرب من آخر النهار ومن الليل، وقيل: زلفا من الليل وقربا من الليل، وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة، أي: أقم الصلاة طرفي النهار، وأقم زلفا من الليل، على معنى: صلوات تتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل» .

والزلفة: أول ساعات الليل، قاله ثعلب. وقال الأخفش وابن قتيبة: «الزلف: ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٣٤٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٤١٧

منه زلفة» فلم يخصصاه بأول الليل. وقال العجاج:

٢٧٢٩ - ناج طواه الأين مما وجفا ... طي الليالي زلفا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا ... وأصل الكلمة من «الزلفى» وهو القرب، يقال: أزلفه فازدلف، أي: قربه فاقترب. قال تعالى: ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ [الشعراء: ٦٤] وفي الحديث: «." [١]

"٢٧٩٤ - عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

وقال الراغب:» هو من قولهم نصل أعجف، أي: دقيق، وعجفت نفسي عن الطعام، وعن فلان إذا نبت عنهما، وأعجف الرجل، أي: صادف ماشيته عجافا «.

قوله: ﴿وأخر﴾ » أخر «نسق على» سبع «لا على» سنبلات «، ويكون قد حذف اسم العدد من قوله» وأخر يابسات «والتقدير: وسبعا أخر، وإنما حذف لأن التقسيم في البقرات يقتضي التقسيم في السنبلات. قال الزمخشري:» فإن قلت: هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر؟ قلت: الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والنسبلات الخضر، فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع، ويكون قوله «وأخر يابسات» بمعنى وسبعا أخر «انتهى. وإنما لم يجز عطف» أخر «على التمييز وهو» سنبلات «فيكون/» أخر «مجرورا لا منصوبا؛ لأنه من حيث العطف عليه يكون من جملة مميز» سبع «، ومن جهة كونه آخر يكون مباينا ل» سبع «فتدافعا، ولو كان تركيب الآية الكريمة:» سبع سنبلات خضر ويابسات «لصح العطف، ويكون من توزيع السنبلات إلى هذين الوصفين أعني الاخضرار واليبس.

وقد أوضح الزمخشري هذا حيث قال:» فإن قلت: هل يجوز أن يعطف قوله «وأخر يابسات» على «سنبلات خضر» فيكون مجرور المحل؟ قلت: يؤدي إلى تدافع، وهو أن عطفها على «سنبلات خضر» يقتضي أن." [٢]

"قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ : خبر مبتدأ مضمر، أي: الأمر ذلك. و «ليعلم» متعلق بمضمر، أي: أظهر الله ذلك ليعلم، أو مبتدأ وخبره محذوف، أي: ذلك الذي صرحت به عن براءته أمر من الله لا بد منه، و «ليعلم» متعلق بذلك الخبر، أو يكون «ذلك» مفعولا لفعل مقدر يتعلق به هذا الجار أيضا، أي: فعل الله ذلك، أو فعلته أنا بتيسير الله ليعلم.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٢١/٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٠٣/٦

قوله: ﴿بالغيب﴾ يجوز أن تكون الباء ظرفية. قال الزمخشري: «أي» : بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة «. ويجوز أن تكون الباء للحال: إما من الفاعل على معنى: وأنا غائب عنه خفي عن عينه، وإما من المفعول على معنى: وهو غائب عني خفي عن عيني، وهذا من كلام يوسف، وبه بدأ الزمخشري كالمختار له. وقال غيره: إنه من كلام امرأة العزيز وهو الظاهر. وقوله:» وأن الله «نسق على» أني «أي ليعلم الأمرين.." (١)

"قوله تعالى: ﴿ولكل قوم هاد﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن هذا كلام مستأنف مستقل من مبتدأ وخبر. الثاني: أن ﴿ولكل قوم﴾ متعلق بهاد، و «هاد» نسق على مقدر، أي: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم. وفي هذا." (٢)

"والفضة زبد، أي: خبث مثله، أي: مثل زبد الماء، ووجه المماثلة: أن كلا منهما ناشئ من الأكدار. وقرأ الأخوان وحفص» يوقدون «بالياء من تحت، أي: الناس، والباقون بالتاء من فوق على الخطاب.
و» عليه «متعلق ب» يوقدون «. وأما» في النار «ففيه وجهان، أحدهما: أنه متعلق ب يوقدون، وهو قول الفارسي والحوفي وأبي البقاء. الثاني: أنه متعلق بمحذوف، أي: كائنا أو ثابتا، قاله مكي وغيره. ومنعوا تعلقه ب» يوقدون «لأنهم زعموا أنه لا يوقد على شيء إلا وهو في النار، وتعليق حرف الجر ب» يوقدون «يقتضي تخصيص حال من حال أخرى. وهذا غير لازم. قال أبو علي:» قد يوقد على الشيء وإن لم يكن في النار، كقوله تعالى: ﴿فأوقد لي ياهامان على الطين﴾
[القصص: ٣٨] والطين لم يكن فيها، وإنما يصيبه لهبها، وأيضا فقد يكون ذلك على سبيل التوكيد كقوله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ [الأنعام: ٣٨] .
قوله: «ابتغاء» فيه وجهان، أظهرهما: أنه مفعول من اجله. والثاني: أنه مصدر في موضع الحال، أي: مبتغين حلية، و «حلية» مفعول معنى. «أو متاع» نسق على «حلية» ، فالحلية ما يتزين به، والمتاع: ما يقضون به." (٣)

"ابن عباس، وأنشد:

٢٩١ - ٥- فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار التي كنت تعلم

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٥١٤
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧/٢٠
(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧/٤٠

وقرئ «نبدل» بالنون، «الأرض» نصبا، و «**السماوات» نسق عليه**.

قوله: «وبرزوا» فيه وجهان: أحدهما أنها جملة مستأنفة، أي: ويبرزون، كذا قدره أبو البقاء، يعني أنه ماض يراد به الاستقبال، والأحسن أنه مثل ﴿ونادى أصحاب النار﴾ [الأعراف: ٥٠] ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿ربما يود الذين كفروا﴾ [الحجر: ٢] ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] لتحقق ذلك.

والثاني: أنها حال من الأرض، و «قد» معها مرادة، قاله أبو البقاء، ويكون الضمير في «برزوا» للخلق دل عليهم السياق، والرابط بين الحال وصاحبها الواو.

وقرأ زيد بن علي «وبرزوا» بضم الباء وكسر الراء مشددة على التكثير في الفعل ومفعوله.." (١)

"قوله تعالى: ﴿آمنوا بربهم﴾ : فيه التفات من التكلم إلى الغيبة إذ لو جاء **على نسق الكلام** لقيل: إنهم فتية آمنوا بنا. وقوله: «وزدناهم» «وربطنا» التفات من هذه الغيبة إلى التكلم أيضا.." (٢)

"فعل. وحكى الزهراوي وأبو البقاء أنه قرئ بكسر الباء والراء. وتوجيهه: **أنه نسق على** «الصلاة» ، أي: وأوصاني بالصلاة وبالزكاة وبالبر. و «بوالدي» متعلق بالبر أو البر.." (٣)

"في» مسحتا «، وكان من حق هذا أن يفصل بينهما بتأكيد أو فاصل ما. إلا أن القائل بذلك لا يشترط وهو الكسائي. وأيضا فهو جائز في الضرورة عند الكل. الخامس: أن يكون» مجلف «مصدرا بزنة اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿كل ممزق﴾ [سبأ: ١٩] أي: تجليف وتمزيق، وعلى هذا **فهو نسق علت**» عض زمان «إذ التقدير: رمت بنا هموم المنى وعض زمان أو تجليف، فهو فاعل لعطفه على الفاعل، وهو قول الفارسي. وهو عندي أحسنها.

الرواية الثانية: فتح الياء وكسر الدال ورفع مسحت. وتخريجها واضح: وهو أن تكون من ودع في بيته يدع فهو وادع، بمعنى: بقي يبقى فهو باق، فيرتفع مسحت بالفاعلية، ويرفع» مجلف «بالعطف عليه. ولا بد حينئذ من ضمير محذوف وتقديره: من أجله أو بسببه. . . . الكلام.

الرواية الثالثة:» يدع «بضم الياء وفتح الدال على ما لم يسم فاعله، و» مسحت «بالرفع لقيامه مقام الفاعل،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٣٠/٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٥٣/٧

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٩٧/٧

و» مجلف «عطف عليه. وكان من حق الواو أن ل ا تحذف، بل تثبت لأنها لم تقع بين ياء وكسرة، وإنما حذفت حملا للمبني للمفعول على المبني للفاعل. وفي البيت كلام أطول من هذا تركته." (١)

"قوله: ﴿وكذلك أنزلناه﴾ : **نسق على** ﴿كذلك نقص﴾ . قال الزمخشري: «ومثل ذلك الإنزال، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة» . وقال غيره: «والمعنى: كما قدرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد، كذلك حذرنا هؤلاء أمرها وأنزلناه قرآنا» .

قوله: ﴿من الوعيد﴾ صفة لمفعول محذوف أي: صرفنا في القرآن وعيدا من الوعيد، والمراد به الجنس. ويجوز أن تكون «من» مزيدة على رأي الأخفش في المفعول به. والتقدير: وصرفنا فيه الوعيد.

وقرأ الحسن «أو يحدث» كالجماعة، إلا أنه سكن لام الفعل. وعبد الله والحسن أيضا في رواية ومجاهد وأبو حيوة: «نحدث» بالنون وتسكين اللام أيضا. وخرج على إجراء الوصل مجرى الوقف، أو على تسكين الفعل استثقالا للحركة، كقول امرىء القيس:

٣٣٢٣ - فاليوم أشرب غير مستحقب ... .

وقول جرير:

٣٣٢٤ -. . . . ." (٢)

"قوله: ﴿بردا﴾ : أي: ذات برد. والظاهر في «سلاما» **أنه نسق على** «بردا» فيكون خبرا عن «كوني» . وجوز بعضهم أن ينتصب على المصدر المقصود به التحية في العرف. وقد رد هذا بأنه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه أولى نحو قول إبراهيم: ﴿سلام﴾ [هود: ٦٩] . وهذا غير لازم؛ لأنه يجوز أن يأتي القرآن على الفصيح والأفصح. ويدل على ذلك أنه جاء منصوبا، والمقصود به التحية نحو قول الملائكة: ﴿قالوا سلاما﴾ [هود: ٦٩] .

وقوله: ﴿على إبراهيم﴾ متعلق بنفس «سلام» إن قصد به التحية. ويجوز أن يكون صفة فيتعلق بمحذوف. وعلى هذا فيحتمل أن يكون قد حذف صفة الأول لدلالة صفة الثاني عليه تقديره: كوني بردا عليه وسلاما عليه.." (٣)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٢/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١١٠/٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٨٠/٨

"وقرأ العامة «ففهمناها» بالتضعيف الذي للتعدية، والضمير للمسألة أو للفتيا. وقرأ عكرمة «فأفهمناها» بالهمزة عداه بالهمزة، كما عداه العامة بالتضعيف.

قوله: ﴿يسبحن﴾ في موضع نصب على الحال. و «الطير» يجوز أن ينتصب نسقا على الجبال، وأن ينتصب على المفعول معه. وقيل: «يسبحن» مستأنف فلا محل له. وهو بعيد، وقرىء «والطير» رفعا، وفيه وجهان. أحدهما: أنه مبتدأ والخبر محذوف أي: والطير مسخرات أيضا. والثاني: **أنه نسق على** الضمير في «يسبحن» ولم يؤكد ولم يفصل، وهو موافق لمذهب الكوفيين.." (١)

"قولهم:» مررت برجل سواء هو والعدم «. ف» هو «تأكيد للضمير المستتر فيه، و» العدم «نسق على الضمير المستتر ولذلك ارتفع.

ويروى: «سواء والعدم» بدون تأكيد وهو شاذ.

وقرأ الأعمش وجماعة «سواء» نصبا، «العاكف» جرا. وفيه وجهان، أحدهما: أنه بدل من «الناس» بدل تفصيل. والثاني: أنه عطف بيان. وهذا أراد ابن عطية بقوله «عطفا على الناس» ويمتنع في هذه القراءة رفع «سواء» لفساده صناعة ومعنى؛ ولذلك قال أبو البقاء: «وسواء على هذا نصب لا غير» .

وأثبت ابن كثير ياء «والبادي» وصلا ووقفا، وأثبتها أبو عمرو وورش وصلا وحذفاها وقفا. وحذفها الباقون وصلا ووقفا وهي محذوفة في الإمام.

قوله: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ فيه أربعة أوجه، أحدها: أن مفعول «يرد» محذوف، وقوله: «بإلحاد بظلم» حالان مترادفتان. والتقدير: ومن يرد فيه مرادا ما، عادلا عن القصد ظالما، نذقه من عذاب أليم. وإنما حذف ليتناول كل متناول. قال معناه الزمخشري. والثاني: أن المفعول أيضا محذوف تقديره: ومن يرد فيه تعديا، و «بإلحاد» حال أي: ملتبسا بإلحاد. و «بظلم» بدل بإعادة الجار. الثالث: أن يكون «بظلم» متعلقا ب «يرد» ، والباء للسببية." (٢)

"وصحاب وتاجر وتجار وقائم وقيام. وقرأ عكرمة والحسن وأبو مجلز «رجالا» بضم الراء وتشديد الجيم. وروي عنهم تخفيفها. وافقهم ابن أبي إسحاق على التخفيف وجعفر من محمد ومجاهد على التشديد. ورويت عن ابن عباس بالألف. فالمخفف اسم جمع كظؤار، والمشدد جمع تكسير كصائم وصوام. وروي عن عكرمة أيضا «رجالى» كنعامى بألف التأنيث، وكذلك عن ابن عباس وعطاء، إلا أنهما شددا

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٨٥/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٥٩/٨

الجيم.

قوله: ﴿وعلى كل ضامر﴾ نسق على «رجالا» فيكون حالا أي: مشاة وركبانا.

قوله: ﴿يأتين﴾ النون ضمير «كل ضامر» حملا على المعنى؛ إذ المعنى: على ضوامر. و «يأتين» صفة ل «ضامر» . وأتى بضمير الجمع حملا على المعنى. وكان قد تقرر أول هذا التصنيف أن «كل» إذا أضيفت إلى نكرة لم يراع معناها، إلا في قليل كقوله:

٣٣٨٣ - جادت عليه كل عين ثرة ... فتركن كل حديقة كالدرهم

وهذه الآية ترده؛ فإن «كلا» فيها مضافة لنكرة وقد روعي معناها. وكان." (١)

"مثل نوره﴾ . وأضاف النور لهذين الظرفين: إما دلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته، حتى تضيء له السماوات والأرض، وإما لإرادة أهل السماوات والأرض، وأنهم يستضيئون به. ويجوز أن يبالغ في العبارة على سبيل المدح كقولهم: فلان شمس البلاد وقمرها، قال النابغة:

٣٤٤٦ - فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

وقال:

٣٤٤٧ - قمر القبائل خالد بن يزيد ... .

ويجوز أن يكون المصدر واقعا موقع اسم الفاعل أي: منور السماوات. ويؤيد هذا الوجه قراءة أمير المؤمنين وزيد بن علي وأبي جعفر وعبد العزيز المكي «نور» فعلا ماضيا. وفاعله ضمير الباري تعالى، و «السماوات» مفعوله فكسره نصب. و «الأرض» بالنصب نسق عليه. وفسره الحسن فقال: الله منور السماوات.

قوله: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ مبتدأ وخبر أيضا. وهذه الجملة إيضاح لما قبلها وتفسير فلا محل له. وثم مضاف محذوف أي: كمثل نور مشكاة. قال." (٢)

"قوله: ﴿أو كظلمات﴾ : فيه: أوجه، أحدها: أنه نسق على «كسراب» ، على حذف مضاف واحد تقديره: أو كذي ظلمات. ودل على هذا المضاف قوله: ﴿إذآ أخرج يده لم يكد يراها﴾ فالكناية تعود إلى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي. الثاني: أنه على حذف مضافين تقديرهما: أو كأعمال ذي ظلمات،

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٢٦٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٤٠٣

فتقدر «ذي» ليصح عود الضمير إليه في قوله: ﴿إذآ أخرج يده﴾ ، وتقدر «أعمال» ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة، إذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب الظلمة. الثالث: أنه لا حاجة." [(١)]

"وقيل: هي على معنى الساعة، أي: اليوم. قاله الزمخشري. ورده الشيخ بأنه ضرورة، كقوله:

٣٧١٠ -. . . . . ولا أرض أبقل إبقالها

وليس مثله. وقيل: أي الله بمعنى أمره. ويجوز على قياس هذا الوجه أن يكون «عالم» فاعلا ل «يأتينكم» في قراءة من رفعه.

قوله: «عالم» قرأ الأخوان «علام» على صيغة المبالغة وخفضه نعتا ل ربي «أو بدلا منه وهو قليل لكونه مشتقا. ونافع وابن عامر» عالم «بالرفع على هو عالم أو على أنه مبتدأ، وخبره» لا يعزب «أو على أن خبره مضمر أي هو. ذكره الحوفي. وفيه بعد. والباقون» عالم «بالخفض على ما تقدم. وإذا جعل نعتا فلا بد من تقدير تعريفه. وقد تقدم أن كل صفة يجوز أن تتعرف بالإضافة إلا الصفة المشبهة. وتقدمت قراءتا» يعزب «في سورة يونس.

قوله:» ولا أصغر «العامة على رفع» أصغر «و» أكبر «. وفيه وجهان، أحدهما: الابتداء، والخبر ﴿إلا في كتاب﴾ . **والثاني: النسق على**» مثقال «وعلى." [(٢)]

"هذا فيكون ﴿إلا في كتاب﴾ تأكيدا للنفي في» لا يعزب «كأنه قال: لكنه في كتاب مبين.

وقرأ قتادة والأعمش، ورويت عن أبي عمرو ونافع أيضا، بفتح الراءين. وفيهما وجهان، أحدهما: أنها» لا «التبرئة بني اسمها معها. والخبر قوله: ﴿إلا في كتاب﴾ . **الثاني: النسق على**» ذرة «. وتقدم في يونس أن حمزة قرأ بفتح راء» أصغر «و» أكبر «وهنا وافق على الرفع. وتقدم البحث هناك مشبعا. قال الزمخشري:» فإن قلت: هلا جاز عطف «ولا أصغر» على «مثقال» ، وعطف «ولا أكبر» على «ذرة» . قلت: يأبى ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الضمير في «عنه» للغيب، وجعلت «الغيب» اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح؛ لأن إثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى: أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه/ إلا مسطورا في اللوح «. قال الشيخ:» ولا يحتاج إلى هذا التأويل إذا جعلنا الكتاب ليس اللوح المحفوظ «.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤١٣/٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٤٨/٩

وقرأ زيد بن علي بخفض راءي» أصغر «و» أكبر «وهي مشكلة جدا. وخرجت على أنهما في نية الإضافة؛ إذ الأصل: ولا أصغره ولا أكبره، وما." (١)

"وقتادة وابن أبي إسحاق «أوبي» بضم الهمزة وسكون الواو أمرا من آب يؤوب أي: ارجعي معه بالتسبيح.

قوله: «والطير» العامة على نصبه وفيه أوجه، أحدها: أنه عطف على محل «جبال» لأنه منصوب تقديرا. الثاني: أنه مفعول معه. قاله الزجاج. ورد عليه: بأن قبله لفظة «معه» ولا يقتضي العامل أكثر من مفعول معه واحد، إلا بالبدل أو العطف لا يقال: «جاء زيد مع بكر مع عمرو» . قلت: وخلافهم في تقضية حالين يقتضي مجيئه هنا. الثالث: أنه عطف على «فضلا» قاله الكسائي. ولا بد من حذف مضاف تقديره: آتيناه فضلا وتسبيح الطير. الرابع: أنه منصوب بإضمار فعل أي: وسخرنا له الطير، قاله أبو عمرو.

وقرأ السلمي والأعرج ويعقوب وأبو نوفل وأبو يحيى وعاصم في رواية «والطير» بالرفع. وفيه **أوجه: النسق على** لفظ قوله: «جبال» . وأنشد قوله:

٣٧٢٣ - ألا يا زيد والضحاك سيرا ... فقد جاوزتما خمر الطريق

بالوجهين. وفي عطف المعرف بأل على المنادى المضموم ثلاثة مذاهب. الثاني: عطفه على الضمير المستكن في «أوبي» . وجاز ذلك." (٢)

"قوله: ﴿والشياطين﴾ **: نسق على** «الريح» . و «كل بناء» بدل من «الشياطين» ، وأتى بصيغة المبالغة لأنه في معرض الامتنان.." (٣)

"قوله: ﴿أو أن﴾ : قرأ الكوفيون «أو أن» بأو التي للإبهام والباقون **بواو النسق على** تسلط الحرف على التبديل وظهور الفساد معا. وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص «يظهر» بضم الياء وكسر الهاء من أظهر، وفاعله ضمير موسى عليه السلام، «الفساد» نصبا على المفعول به. والباقون بفتح الياء والهاء من ظهر، «الفساد» رفعا بالفاعلية وزيد بن علي «يظهر» مبنيا للمفعول، «الفساد» مرفوع لقيامه مقام الفاعل. ومجاهد

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٤٩/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٥٩/٩

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧٩/٩

«يظهر» بتشديد الظاء والهاء، وأصلها يتظهر من تظهر بتشديد الهاء فأدغم التاء في الظاء. و «الفساد» رفع على الفاعلية. وفتح ابن كثير ياء ﴿ذروني أقتل موسى﴾ وسكنها الباقون.." (١)

"قوله: ﴿والذين يجتنبون﴾ : **نسق على** «الذين» الأولى. وقال أبو البقاء: «الذين يجتنبون في موضع جر بدلا من» للذين آمنوا «. ويجوز أن يكون في موضع نصب بإضمار أعني، أو في موضع رفع على تقدير: هم» . وهذا وهم منه في التلاوة كأنه اعتقد أن القرآن ﴿وعلى ربهم يتوكلون، والذين يجتنبون﴾ فبنى عليه ثلاثة الأوجه بناء فاسدا.

قوله: «كبائر» قرأ الأخوان هنا وفي النجم «كبير الإثم» بالإفراد. والباقون «كبائر» بالجمع في السورتين. والمفرد هنا في معنى الجمع، والرسم يحتمل القراءتين.

قوله: ﴿وإذا ما غضبوا﴾ هذه «إذا» منصوبة ب «يغفرون» ، و «يغفرون» خبر ل «هم» ، والجملة بأسرها عطف على الصلة، وهي «يجتنبون» والتقدير:." (٢)

"قوله: ﴿والهدي﴾ : العامة على نصبه. والمشهور **أنه نسق على** الضمير المنصوب في «صدوكم» . وقيل: نصب على المعية. وفيه ضعف لإمكان العطف. وقرأ أبو عمرو في رواية بجره عطفا على «المسجد." (٣)

"وطء رجال ونساء غير معلومين، وتقدير الثاني: لم تعلموا وطأهم، والخبر محذوف تقديره: ولولا رجال ونساء موجودون أو بالحضرة. وأما جواب «لولا» ففيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه محذوف لدلالة جواب لو عليه. والثاني: أنه مذكور. وهو «لعذبنا» ، وجواب «لو» هو المحذوف، فحذف من الأول لدلالة الثاني، ومن الثاني لدلالة الأول. والثالث: أن «لعذبنا» جوابهما معا وهو بعيد إن أراد حقيقة ذلك. وقال الزمخشري قريبا من هذا، فإنه قال: «ويجوز أن يكون» لو تزيلوا «كالتكرير ل ﴿لولا رجال مؤمنون﴾ لمرجعهما إلى معنى واحد، ويكون» لعذبنا «هو الجواب» . ومنع الشيخ مرجعهما لمعنى واحد قال: «لأن ما تعلق به الأول غير ما تعلق به الثاني» .

قوله: **«فتصيبكم» نسق على** «أن تطؤوهم» . وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة وابن عون «لو تزايلوا» على تفاعلوا.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٧١/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٦١/٩

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧١٥/٩

والضمير في «تزيلوا» يجوز أن يعود على المؤمنين فقط، أو على الكافرين أو على الفريقين أي: لو تميز هؤلاء من هؤلاء لعذبنا.
والوطء هنا: عبارة عن القتل والدوس. قال عليه السلام: «اللهم اشدد وطأتك على مضر» ، وأنشدوا:." (١)

"قوله: ﴿وفي أنفسكم﴾ : نسق على «في الأرض» فهو خبر عن «آيات» أيضا. والتقدير: وفي الأرض وفي أنفسكم آيات. وقال أبو البقاء: «ومن رفع بالظرف جعل ضمير الآيات في الظرف» يعني من يرفع الفاعل بالظرف مطلقا/ أي: وإن لم يعتمد يرفع بهذا الجار فاعلا هو ضمير «آيات» . وجوز بعضهم أن يتعلق ب «تبصرون» وهو فاسد؛ لأن الاستفهام والفاء يمنعان جوازه. وقرأ قتادة «آية» [الذاريات: ٢٠] بالإفراد.." (٢)

"قوله: ﴿وما تهوى الأنفس﴾ نسق على الظن، و» ما «مصدرية، أو بمعنى الذي.
قوله: ﴿ولقد جآءهم من ربهم الهدى﴾ يجوز أن يكون حالا من فاعل» يتبعون «أي: يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجيء الهدى من عند ربهم. ويجوز أن يكون اعتراضا فإن قوله:» أم للإنسان «متصل بقوله: ﴿وما تهوى الأنفس﴾ وهي أم المنقطعة فتتقدر ب بل والهمزة على الصحيح. قال الزمخشري:» ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي: ليس للإنسان ما تمنى «.." (٣)

"قوله: ﴿ومن يكذب﴾ : منصوب: إما نسقا على الياء، وإما على المفعول معه وهو مرجوح لإمكان النسق من غير ضعف. وما بعدها تقدم إعراب مثله.." (٤)

"قوله: ﴿والمكذبين﴾ يجوز نصبه على المعية، وهو الظاهر، ويجوز على النسق، وهو أوفق للصناعة.
قول: ﴿أولي النعمة﴾ نعت للمكذبين. والنعمة بالفتح: التنعم، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرة. يقال: نعم ونعمة عين.
قوله: ﴿قليلا﴾ نعت لمصدر، أي: تمهيلا، أو لظرف زمان محذوف، أي: زمانا قليلا.." (٥)

"قوله: ﴿من ثلثي الليل﴾ : العامة على ضم اللام، وهو الأصل كالربع والسدس، وقرأ هشام بإسكانها تخفيفا.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧١٧/٩
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤٦/١٠
(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩٨/١٠
(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٤١٩/١٠
(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٢٣/١٠

قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ قرأ الكوفيون وابن كثير بنصبهما، والباقون بجرهما. وفي الجر إشكال كما سيأتي. **فالنصب نسق على** «أدنى» لأنه بمعنى: وقت أدنى، أي: أقرب. استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان وهذا مطابق لما في أول السورة من التقسيم: وذلك أنه إذا قام أدنى من ثلثي الليل صدق عليه أنه قام الليل إلا قليلا؛ لأن الزمان الذي لم يقم فيه يكون الثلث وشيئا من الثلثين، فيصدق عليه قوله: «إلا قليلا» . وأما قوله «ونصفه» فهو مطابق لقوله أولا «نصفه» وأما قوله: «وثلثه» فإن قوله: ﴿أو انقص منه﴾ قد ينتهي النقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلثي الليل. وأما قوله: ﴿أو زد عليه﴾ فإنه إذا زاد على النصف قليلا كان الوقت أقل من الثلثين. فيكون قد طابق أدنى من ثلثي الليل، ويكون قوله تعالى: ﴿نصفه أو انقص منه قليلا﴾ شرحا لمبهم ما دل عليه قوله: ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ . وعلى قراءة النصب فسر الحسن «تحصوه» بمعنى تطيقوه.

وأما قراءة الجر فمعناها: أنه قيام مختلف: مرة أدنى من الثلثين،." (١)

"وقرأ ابن سيرين ومجاهد وأبو حيوة وابن أبي عبلة وخلائق «عليهم» ، جارا ومجرورا، وإعرابه كإعراب «عاليهم» ظرفا في جواز كونه خبرا مقدما، أو حالا مما تقدم، وارتفاع «ثياب» به على التفصيل المذكور آنفا.

وقرأ العامة/ «ثياب سندس» بإضافة الثياب لما بعدها. وأبو حيوة وابن أبي عبلة «ثياب» منونة «سندس خضر وإستبرق» برفع الجميع، ف «سندس» نعت ل «ثياب» لأن السندس نوع، و «خضر» نعت ل «سندس» ؛ إذ السندس يكون أخضر وغير أخضر، كما أن الثياب يكون سندسا وغيره. و **«إستبرق» نسق على** ما قبله، أي: وثياب استبرق.

واعلم أن القراء السبعة في «خضر وإستبرق» على أربع مراتب، الأولى: رفعهما، لنافع وحفص فقط. الثانية: خفضهما، للأخوين فقط.

الثالثة: رفع الأول وخفض الثاني لأبي عمرو وابن عامر فقط. الرابعة عكس الثالثة، لابن كثير وأبي بكر فقط. فأما القراءة الأولى: فإن رفع «خضر» على النعت ل ثياب، ورفع «إستبرق« نسقا على الثياب، ولكن على حذف مضاف، أي: وثياب إستبرق. ومثله: «على زيد ثوب خز وكتان» أي: وثوب كتان. وأما القراءة الثانية فيكون جر «خضر» على النعت لسندس. ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع فقال." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٢٩/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦١٩/١٠

"مكي: «هو اسم للجمع. وقيل: هو جمع سندسة» كتمر وتمرة، واسم الجنس وصفه بالجمع سائغ فصيح. قال تعالى: ﴿وينشيء السحاب الثقال﴾ [الرعد: ١٢] . وإذا كانوا قد وصفوا المفرد المحلى لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم: «أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض» ، وفي التنزيل: ﴿أو الطفل الذين﴾ [النور: ٣١] فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى. وجر «إستبرق» نسقا على «سندس» لأن المعنى: ثياب من سندس وثياب من إستبرق.

وأما القراءة الثالثة فرفع «خضر» نعتا ل «ثياب» وجر «إستبرق» نسقا على «سندس» ، أي: ثياب خضر من سندس ومن إستبرق، فعلى هذا يكون الإستبرق أيضا أخضر.

وأما القراءة الرابعة فجر «خضر» على أنه نعت لسندس، ورفع «إستبرق» **على النسق على** «ثياب» بحذف مضاف، أي: وثياب إستبرق. وتقدم الكلام على مادة السندس والإستبرق وما قيل فيهما في سورة الكهف.

وقرأ ابن محيصن «وإستبرق» بفتح القاف. ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة: فبعضهم ينقل عنه أنه قطعها، وبعضهم ينقل عنه أنه وصلها.." [1]

"وقد رأيت في السفر الرابع من التوراة تعداد النقباء على أسباط بني إسرائيل وأسماء مخالفة لما ذكره ابن إسحاق، والله أعلم، قال فيها: فعلى بني روبيل: "الصوني بن سادون"، وعلى بني شمعون: "شموال بن صورشكي"، وعلى بني يهوذا: "يحشون بن عمبيا ذاب (١) وعلى بني يساخر: "شال بن صاعون"، وعلى بني زبلون: "الياب بن حالوب (٢) ، وعلى بني يوسف إفرايم: "منشا (٣) بن عمنهود"، وعلى بني منشا: "حمليائيل بن يرصون"، وعلى بني بنيامين: "أبيدن بن جدعون"، وعلى بني دان: "جعيذر بن عميشذي"، وعلى بني أسير: "نحايل بن عجران"، وعلى بني حاز: "السيف بن دعواييل"، وعلى بني نفتالي: "أجزع بن عمينان".

وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة، كان فيهم اثنا عشر نقيبا، ثلاثة من الأوس وهم: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر -ويقال بدله: أبو الهيثم بن التيهان- رضي الله عنهم، وتسعة من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك بن العجلان (٤) والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن عمرو

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٠/٦٢٠

بن حرام، والمنذر بن عمرو بن خنيس، رضي الله عنهم. وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له، كما أورده ابن إسحاق، رحمه الله. (٥)

والمقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك، وهم الذين ولوا المبايعة والمعاقدة عن قومهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا حماد بن زيد، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل".

هذا حديث غريب من هذا الوجه (٦) وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من (٧) حديث جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا". ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: "كلهم من قريش".

وهذا لفظ مسلم (٨) ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا (٩) يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم (١٠) وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس. ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن

---

(١) في ر: "ءمينا ذاب".

(٢) في ر: "جالوت".

(٣) في ر: "ومنشا".

(٤) في أ: "عجلان".

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٤٤٣) .

(٦) المسند (١/٣٩٨) وقال الهيثمي في المجمع (٥/١٩٠) : "فيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات".

(٧) في أ: "عن".

(٨) صحيح مسلم برقم (١٨٢٢) .

(٩) في ر: "صالح".

(١٠) في ر: "تتاليهم".." [١]

"" بسم الله ": جار ومجرور، والباء متعلق بمضمر، فنقول: هذا المضمر يحتمل أن يكون اسما، وأن يكون فعلا، وعلى التقديرين؛ فيجوز أن يكون متقدما ومتأخرا، فهذه أقسام أربعة.

أما إذا كان متقدما، وكان فعلا؛ فكقولك: أبدأ ببسم الله.

وإن كان متقدما، وكان اسما؛ فكقولك: ابتدائي ببسم الله.

وإن كان متأخرا، وكان فعلا؛ فكقولك: بسم الله أبدأ.

وإن كان متأخرا، وكان اسما؛ فكقولك: بسم الله ابتدائي.

وأيهما أولى التقديم أم التأخير؟

قال ابن الخطيب: كلاهما ورد في القرآن الكريم، أما التقديم، فكقوله ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] وأما التأخير؛ فكقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] وأقول: التقديم أولى؛ لأنه - تعالى - قديم واجب الوجود لذاته، فيكون وجوده سابقا على وجود غيره، لأن السبق بالذات يستحق السبق في الذكر؛ قال تبارك وتعالى: ﴿هو الأول والآخر﴾ [الحديد: ٣] وقال تعالى: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ [الروم: ٤] ، وقال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] .

قال أبو بكر الرازي - رحمه الله تعالى - إضمار الفعل أولى من إضمار الاسم؛ **لأن نسق تلاوة** القرآن يدل على أن المضمر هو الفعل، وهو الأمر، لأنه - تبارك وتعالى - قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ، فكذا قوله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ التقدير: قولوا: بسم الله.." [٢]

"الم» جملة إن قيل: إنها خبر مبتدأ مضمر، و «ذلك الكتاب» جملة، و «لا ريب» جملة، و «فيه هدى» جملة، وإنما ترك العاطف لشدة الوصل؛ لأن كل جملة متعلقة بما قبلها آخذة بعنقها تعلقا لا يجوز معه الفصل بالعطف.

قال الزمخشري: «وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٥/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٨/١

[وذلك لمجيئها متتابعة بعضها بعنق] بعض، والثانية متحدة بالأولى، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة.
بيانه: أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدي به، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بنهاية الكمال، فكان تقريرا لجهة التحدي. ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة بكماله.
ثم أخبر عنه بأنه» هدى للمتقين «، فقرر بذلك كونه يقينا، لا يحوم الشك حوله، ثم لم تخل كل واحدة من هذه الأربع بعد أن رتبت هذه الترتيب الأنيق [من] نكتة ذات جزالة: ففي الأولى الحذف، والرمز إلى الغرض بألطف وجه.
وفي الث ا نية ما في التعريف من الفخامة.
وفي الثانية ما في تقديم الريب على الظرف.
وفي الثالثة ما في تقديم «الريب» على الظرف.
وفي الرابعة الحذف، ووضع المصدر الذي هو «هدى» موضع الوصف الذي هو «هاد» وإيراده منكرا.
«المتقين» جمع «متق» ، وأصله: متقيين بياءين، الأولى: لام الكلمة، والثانية علامة الجمع، فاستثقلت الكسرة على لام الكلمة، وهي الياء الأولى فحذفت، فالتقى ساكنان، فحذف إحداهما وهي الأولى.
و «متق» من اتقى يتقي وهو مفتعل الوقاية، إلا أنه يطرد في الواو والياءلا إذا كانتا فاءين، ووقعت بعدهما «تاء» الافتعال أن يبدلا «تاء» نحو: «اتعدض» من الوعد، و «اتسر» من اليسر. وفعل ذلك بالهمزة شاذ، قالوا: «اتزر» و «اتكل» من الإزار، والأكل.
ول «افتعل» اثنا عشر معنى:
الاتخاذ نحو: «اتقى» .
والتسبب نحو: «اعمل» .
وفعل الفاعل بنفسه نحو: «اضطرب» .
والتخير نحو: «انتخب» .." (١)
"أحدها: قوله: ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى﴾ [القصص: ٤٩] .
وثانيها: قوله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء: ٨٨] .
وثالثها: قوله: ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [هود: ١٣] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٧٢/١

ورابعها: قوله: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] ، ونظير هذا لمن يتحدى صاحبه فيقول: ائتني بمثله، ائتني بنصفه، ائتني بربعه، ائتني بمسألة مثله، فإن هذا هو النهاية في التحدي، وإزالة لعذر.

قوله: ﴿من مثله﴾ في الهاء ثلاثة أقوال:

أحدهما: أنها تعود على «ما نزلنا» عند الجمهور كعمرو، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وغيرهم، فيكون «من مثله» صفة ل «سورة» ، ويتعلق بمحذوف على ما تقرر: أي بسورة كائنة من مثل المنزل في فصاحته، وإخباره بالغيوب، وغير ذلك، ويكون معنى «من» التبعيض.

واختار ابن عطية والمهدوي أن تكون للبيان. وأجازا هما وأبو البقاء أن تكون زائدة ولا تجيء إلا على قول الأخفش.

الثاني: أنها تعود على «عبدنا» فيتعلق «من مثله» ب «أتوا» ، ويكون معنى «من» ابتداء الغاية، ويجوز على هذا الوجه أيضا أن تكون صفة لسورة أي: «بسورة كائنة من رجل مثل عبدنا أمي لا يقرأ ولا يكتب» .

قال القرطبي: و «من» على هذين التأويلين للتبعيض.

الثالث: قال أبو البقاء: «إنها تعود على الأنداد بلفظ المفرد كقوله: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه﴾ [النحل: ٦٦] ولا حاجة تدعو إلى ذلك، والمعنى يأباه أيضا.

قال القرطبي: وقيل: يعود على التوراة والإنجيل، والمعنى: فأتوا بسورة من كتاب مثله؛ فإنها تصدق ما فيه، والوقف على» مثله «ليس بتام؛ لن» وادعوا «نسق عليه.

قوله

: ﴿وادعوا شهدآءكم﴾ هذه جملة أمر معطوفة على الأمر قبلها، فهي في محل جزم أيضا، ووزن «ادعوا» افعوا؛ لأن لام الكلمة محذوف دلالة على السكون في الأمر الذي هو جزم في المضارع، و «الواو» ضمير الفاعلين.

و «شهداءكم» مفعول به جمع «شهيد» كظريف.

وقيل: بل جمع «شاهد» ك «شاعر» والأول أولى؛ لاطراد «فعلاء» في «فعيل».» (١)

"ويوم حنين» أي: واذكر يوم حنين من جملة تلك المواطن حال ما أعجبتكم كثرتكم، و «حنين» واد بين مكة والطائف.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١/٤٣٥

وقيل: إلى جنب ذي المجاز. قال الرواة: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وقد بقيت أيام من شهر رمضان، خرج متوجها إلى حنين، لقتال هوازن وثقيف، في اثني عشر ألفا، عشرة آلاف من المهاجرين، وألفان من الطلقاء.

وقال عطاء: عن ابن عباس «كانوا ستة عشر ألفا» .

وقال الكلبي «كانوا عشرة آلاف» . وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف، وعلى هوازن: مالك بن عوف النضري، وعلى ثقيف: كنانة بن عبد ياليل الثقفي، فلما التقى الجمعان، قال رجل من الأنصار يقال له: سملة بن سلامة بن وقش: لن نغلب اليوم عن لقة، وهو المراد من قوله: ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ ، فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه، ووكلوا إلى كلمة الرجل، وفي رواية: لم يرض الله قوله، ووكلوا إلى أنفسهم، فاقتتلوا قتالا شديدا؛ فانهزم الىمشركون وتخلوا عن الذراري، ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح، فتراجعوا، وانكشف المسلمون.

قال قتادة: وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس.

قوله: «ويوم حنين» فيه أوجه:

أحدهما: أنه عطف على محل قوله: «في مواطن» عطف ظرف الزمان من غير واسطة «في» على ظرف المكان المجرور بها، ولا غرو **في نسق ظرف** زمان على مكان، أو العكس، تقول: سرت أمامك ويوم الجمعة، إلا أن الأحسن أن يترك العاطف في مثله.

الثاني: زعم ابن عطية: أنه يجوز أن يعطف على لفظ «مواطن» بقتدير: «وفي يوم» ، فحذف حرف الخفض، وهذا لا حاجة إليه.

الثالث: قال الزمخشري: «فإن قلت: كيف عطف الزمان على المكان، وهو» يوم حنين «على» مواطن «؟

.

قلت: معناه: وموطن يوم حنين، أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين» .

الرابع: أن يراد ب «المواطن» : الأوقات، فحينئذ إنما عطف زمان على زمان.

قال الزمخشري - بعدما تقدم عنه -: «ويجوز أن يراد ب» المواطن «: الوقت، ك:." [١]

"والسلمي بالخطاب، التفاتا للمؤمنين دون المنافقين والسر: ما ينطوي عليه صدورهم والنجوى: ما يفاوض فيه بعضهم بعضا فيما بينهم، مأخوذ من «النجو» وهو الكلام الخفي كأن المتناجين منعا إدخال

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧/١٠

غيرهما معهما، ونظيره قوله تعالى: ﴿وقربناه نجيا﴾ [مريم: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾ [يوسف: ٨٠] وقوله: ﴿فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ [المجادلة: ٩] ، والمعنى: أن الله تعالى يعلم سرهم ونجواهم فكيف يتجرءون على النفاق الذي الأصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم، مع علمهم بأنه تعالى يعلم ذلك من حالهم، كما يعلم الظاهر، وأنه يعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر.

قال: ﴿وأن الله علام الغيوب﴾ والعلام: مبالغة في العالم، والغيب: ما كان غائبا عن الخلق.

قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ الآية.

في «الذين يلمزون» أوجه:

أحدها: أنه مرفوع على إضمار مبتدأ، أي: هم الذين.

الثاني: أنه في محل رفع بالابتداء، و «من المؤمنين» حال من «المطوعين» .

و «في الصدقات» متعلق ب «يلمزون» ، و «الذشين لا **يجدون» نسق** «المطوعين» أي: يعيبون المياسير، والفقراء. وقال مكي: «والذين» خفض، عطفا على «المؤمنين» ولا يحسن عطفه على «المطوعين» ؛ لأنه لم يتم اسما بعد؛ لأن «فيسخرون» عطف على «يلمزون» هكذا ذكره النحاس في الإعراب له، وهو عندي وهم منه.

قال شهاب الدين: «والأمر فيه كما ذكر، فإن» المطوعين «قد تم من غير احتياج لغيره» .

وقوله: **«فيسخرون» نسق على** الصلة، وخبر المبتدأ: الجملة من قوله «سخر الله منهم» هذا أظهر إعراب قيل هنا.

وقيل: «والذين لا **يجدون» نسق على** «الذين يلمزون» ، ذكره أبو البقاء وهذا لا يجوز؛ لأنه يلزم الإخبار عنهم بقوله: ﴿سخر الله منهم﴾ ، وهذا لا يكون، إلا بأن كان «الذين لا يجدون» منافقين، وأما إذا كانوا مؤمنين، كيف يسخر الله منهم؟ . وقيل: «والذين لا **يجدون» نسق على** «المؤمنين» ، قاله أبو البقاء.

قال أبو حيان: «وهو بعيد جدا» . ووجه بعده: أنه يفهم أن «الذين لا يجدون» ليسوا مؤمنين؛ لأن أصل العطف الدلالة على المغايرة، فكأننه قيل: يلمزون المطوعين من." (١)

"كقوله: ﴿أو جآءوكم حصرت صدورهم﴾ [النساء: ٩٠] في أحد أوجهه كما تقدم، وإلى هذا نحا الزمخشري.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٥/١٠

الثالث: أن يكون معطوفا على الشرط؛ فيكون في محل جر بإضافة الظرف إليه **بطريق النسق وحذف** حرف العطف، والتقدير: وقلت، وقد تقدم الكلام على هذه المسألة وإلى هذا ذهب الجرجاني، وتبعه ابن عطية، إلا أنه قدر العاطف فاء أي: فقلت.

الرابع: أن يكون مستأنفا. قال الزمخشري «فإن قلت: هل يجوز أن يكون قوله:» قلت لا أجد «استئنافا مثله؟ – يعني مثل: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ [التوبة: ٩٣]– كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحملهم تولوا، فقيل: ما لهم تولوا باكين؟ قلت لا أجد ما أحملهم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء، كالاعتراض؟ قلت: نعم، ويحسن» انتهى.

قال أبو حيان «ولا يجوز، ولا يحسن في كلام العرب، فكيف في كلام الله؟ وهو فهم أعجمي» قال شهاب الدين: وما أدري ما سبب منعه، وعدم استحسانه له مع وضوحه وظهوره لفظا ومعنى؟ وذلك لأن توليهم على حالة فيض الدمع ليس مرتبا على مجرد مجيئهم له عليه الصلاة والسلام – لهم ذلك سبب في بكائهم؛ فحسن أن يجعل قوله: ﴿قلت لا أجد مآ أحملكم﴾ جوابا لمن سأل عن علة توليهم، وأعينهم فائضة دمعا وهو المعنى الذي قصده أبو القاسم وعلى هذه الأوجه الأربعة المتقدمة في «قلت» يكون جواب الشرط قوله: «تولوا» ، وقوله «لتحملهم» علة ل «أتوك» . وقوله: «لا أجد» هي المتعدية لواحد؛ لأنها من «الوجد» ، و «ما» يجوز أن تكون موصولة، أو موصوفة.

فصل

قال أبو العباس المقرىء: ورد لفظ التولي في القرآن على أربعة أوجه:

الأول: بمعنى الانصراف، قال تعالى: ﴿تولوا وأعينهم تفيض﴾ [التوبة: ٩٢] ومثله قوله تعالى ﴿ثم تولى إلى الظل﴾ [القصص: ٢٤] أي: انصرف.

الثاني: بمعنى: «أبى» ، قال تعالى ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم﴾ [المائدة: ٤٩] أي: أبوا أن يؤمنوا؛ ومثله قوله تعالى

﴿ف إن تولوا فخذوهم واقتلوهم﴾ [النساء: ٨٩] .

الثالث: بمعنى: «أعرض» قال تعالى ﴿ومن تولى فمآ أرسلناك عليهم حفيظا﴾ [النساء: ٨٠] .

الرابع: الإعراض عن الإقبال، قال تعالى ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ [الأنفال: ١٥] .

قوله: ﴿وأعينهم تفيض﴾ في محل نصب على الحال من فاعل «تولوا» . قال الزمخشري «تفيض من الدمع، كقولك: تفيض دمعا» . وقد تقدم الكلام على هذا في المائدة مستوفى عند قوله ﴿ترى أعينهم

تفيض من الدمع﴾ [المائدة: ٨٣] وأنه جعل «من الدمع» تمييزا، و «من» مزيدة وتقدم الرد عليه في ذلك هناك.." (١)

"والثاني: أنه في محل نصب على الحال، و» قد «مقدرة في قول. وتقدم الكلام في:» الخوالف «.» وطبع الله على قلوبهم «قوله:» وطبع «نسق على» رضوا «تنبيها على أن السبب في تخلفهم رضاهم بقعودهم، وطبع الله على قلوبهم، وقوله:» إنما السبيل على «فأتى ب» على «، وإن كان قد يصل ب» إلى «؛ لأن» على «تدل على الاستعلاء، وقلة منعة من تدخل عليه، نحو: لي سبيل عليك، ولا سبيل لي عليك، بخلاف» إلى «فإذا قلت: لا سبيل عليك، فهو مغاير لقولك: لا سبيل إليك، ومن مجيء» إلى «معه قوله: [الطويل]

٢٨٣٣ - ألا ليت شعري هل إلى أم سالم ... سبيل؟ فأما الصبر عنها فلا صبرا

وقول الآخر: [البسيط]

٢٨٣٤ - هلء من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

قوله تعالى: ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ .

روي أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا يعتذرون بالباطل، فقال الله ﴿قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم﴾ لم نصدقكم.

قوله: ﴿قد نبأنا الله﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها المتعدية إلى مفعولين.

أولهما:» ن «، والثاني:» من أخباركم «، وعلى هذا ففي» من «وجهان:

أحدهما: أنها غير زائدة، والتقدير، قد نبأنا الله أخبارا من أخباركم، أو جملة من أخباركم، فهو في الحقيقة صفة للمفعول المحذوف.

والثاني: أن» من «مزيدة عند الأخفش؛ لأنه لا يشترط فيها شيئا، والتقدير: قد نبأنا الله أخباركم.

الوجه الثاني - من الوجهين الأولين -: أنها متعدية لثلاثة، ك» أعلم «، فالأول، والثاني ما تقدم، والثالث محذوف اختصارا للعلم به، والتقدير: نبأنا الله من أخباركم كذبا، ونحوه.

قال أبو البقاء: «قد يتعدى إلى ثلاثة، والاثنان الآخران محذوفان تقديره: أخبارا من أخباركم مثبتة. و» من أخباركم «تنبيه على المحذوف وليست» من «زائدة، إذ لو كانت زائدة، لكانت مفعولا ثانيا، والمفعول

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧٣/١٠

الثالث محذوف، وهو خطأ، لأن المفعول الثاني متى ذكر في هذا الباب لزم ذكر الثالث» .

وقيل: «من» بمعنى «عن» . قال شهاب الدين «قوله: إن حذف الثالث خطأ» إن." [١]

"أظهرهما: أنها نسق على «قربات» ، وهو ظاهر كلام الزمخشري، فإنه قال: «والمعنى أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول، لأنه كان يدعو للمتصدقين بالخير، كقوله:» اللهم صل على أل أبي أوفى «والثاني – وجوزه ابن عطية ولم يذكر أبو البقاء غيره –: أنها منسوقة على» ما ينفق «، أي: ويتخذ بالأعمال الصالحة صلوات الرسول قربة.

قوله: ﴿ألاا إنها قربة﴾ الضمير في» إنها «قيل: عائد على» صلوات «.

وقيل: على النفقات أي: المفهومة من «ينفقون» . وقرأ ورش «قربة» بضم القاف والراء، والباقون بسكونها، فقيل: لغتان. وقيل: الأصل السكون، والضم إتباع. وقد تقدم الخلاف بين أهل التصريف، هل يجوز تثقيل «فعل» إلى «فعل» ؟ وأن بعضهم جعل «يسرا، عسرا» بضم السين فرعين على سكونها، وقيل: الأصل «قربة» بالضم، والسكون تخفيف، نحو: كتب ورسل، وهذا أجرى على لغة العرب، إذ مبناها الهرب من الثقل إلى الخفة. وفي استئناف هذه الجملة وتصدرها بحرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه شهادة من الله بصحة ما اعتقده من إنفاقه. قال معناه الزمخشري، قال: وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد. ثم قال: ﴿إن الله غفور﴾ لسيآتهم «رحيم» بهم حيث وفقهم لهذه الطاعات.

قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون﴾ الآية.

«والسابقون» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه مبتدأ، وفي خبره ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنه الجملة الدعائية من قوله: ﴿رضي الله عنهم﴾ .

والثاني: أن الخبر قوله: «الأولون» ، والمعنى: والسابقون إلى الهجرة الأولون من أهل هذه الملة، أو السابقون إلى الجنة الأولون من أهل الهجرة.

الثالث: أن الخبر قوله: ﴿من المهاجرين والأنصار﴾ والمعنى فيه الإعلام بأن السابقين من هذه الأمة من المهاجرين والأنصار، ذكر ذلك أبو البقاء. وفي الوجهين الأخيرين تكلف.

الثاني من وجهي «السابقين» : أن يكون نسقا على «من يؤمن بالله» ، أي: ومنهم السابقون، وفيه بعد،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/١٧٦

والجمهور على جر «الأنصار» نسقا على «المهاجرين» يعني أن السابقين من هذين الجنسين.
وقرأ جماعة كثيرة أجلاء: عمر بن الخطاب، وقتادة، والحسن، وسلام، وسعيد." [١]

"والأخرى عذاب القبر. وعن ابن عباس: الأولى إقامة الحدود عليهم، والأخرى عذاب القبر. وقال ابن إسحاق: هو ما يدخل عليهم من غيظ الإسلام، ودخولهم فيه من غير حسبة، ثم عذاب القبر. وقيل: أحدهما ضرب الملائكة وجوههم، وأدبارهم عند قبض أرواحهم، ثم عذاب القبر، وقيل: الأولى إحراق مسجدهم مسجد الضرار، والأخرى إحراقهم بنار جهنم ثم يردون إلى عذاب عظيم أي: عذاب جهنم يخلدون فيه وقال الحسن: الأولى أخذ الزكاة من أموالهم، وعذاب القبر.

قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية.

«**وآخرون» نسق على** «منافقون» أي: وممن حولكم آخرون، أو من أهل المدينة آخرون. ويجوز أن يكون مبتدأ، و «اعترفوا» صفته، والخبر قوله: «خلطوا» . قوله: «**وآخر» نسق على** «عملا» . قال الزمخشري: «فإن قلت: قد جعل كل واحد منهما مخلوطا، فما المخلوط به؟ قلت: كل واحد مخلوط ومخلوط به؛ لأن المعنى: خلط كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء واللبن، تريد: خلطت كل واحد منهما بصاحبه. وفيه ما ليس في قولك: خلطت الماء باللبن؛ لأنك جعلت الماء مخلوطا، واللبن مخلوطا به، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين، ومخلوطا بهما، كأنك قلت: خلطت الماء باللبن، واللبن بالماء» .

ثم قال «ويجوز أن يكون من قولهم: بعت الشاة: شاة ودرهما، بمعنى: شاة بدرهم» .

قال شهاب الدين: «لا يريد أن الواو بمعنى الباء، وإنما هذا تفسير معنى» وقال أبو البقاء: «ولو كان بالباء جاز أن تقول: خلطت الحنطة والشعير، وخلطت الحنطة بالشعير» .

قوله: «عسى الله» يجوز أن تكون الجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون في محل رفع خبرا ل «آخرون» ويكون قوله «خلطوا» في محل نصب على الحال، و «قد» معه مقدرة، أي: قد خلطوا. فتلخص في: «آخرون» أنه معطوف على «منافقون» ، أو مبتدأ مخبر عنه ب «خلطوا» ، أو بالجملة الرجائية.

فصل

قيل: إنهم قوم من المنافقين، تابوا عن النفاق؛ لأنه عطف على قوله ﴿وممن حولكم من." [٢]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨٤/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩١/١٠

"السبعة عندهم عدد تام، ولذلك قالوا: سبع في ثمانية، أي: سبع أذرع في ثمانية أشبار، وإنما دلت الواو على ذلك لأن الواو تؤذن بأن ما بعدها غير ما قبلها، ولذلك دخلت في باب عطف النسق» .

وهذا قول ضعيف جدا، لا تحقيق له.

فصل في تفسير هذه الصفات

قوله «التائبون» قال ابن عباس: التائبون من الشرك وقال الحسن: من الشرك والنفاق. وقيل: التائبون الراجعون عن الحالة المذمومة قال القرطبي: «الراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية، لجمعه بين الأمرين» وقال الأصوليون: التائبون من كل معصية، لأنها صيغة عموم محلاة بالألف واللام فتتناول الكل، فالتخصيص تحكم. و «العابدون» قال ابن عباس «الذين يؤدون العبادة الواجبة عليهم» وقال غيره: المطيعون الذين أخلصوا العبادة لله تعالى وقال الحسن «هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء» وقال قتادة «قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم» الحامدون «الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء. قال عليه الصلاة والسلام :» أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء «.

» السائحون «قال ابن مسعود: الصائمون. وقال ابن عباس» ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام «وقال عليه الصلاة والسلام :» سياحة أمتي الصيام «.» وعن الحسن «أن هذا صوم الفرض» وقيل: هم الذين يديمون الصيام. قال سفيان بن عيينة «إنما سمي الصائم سائحا، لتركه اللذات كلها، من المطعم والمشرب والنكاح» وقال عطاء: «السائحون هم الغزاة في سبيل الله» وهو قول مسلم. وقال عكرمة: «هم طلبة." (١)

"أنه فعل بهم ذلك ليتخلصوا من العقاب المؤبد، ويفوزوا بالثواب المؤبد.

فإن قيل: لما قال: ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ فهذا النسق يوجب أن يقال: رءوف رحيم بالمؤمنين، فلم ترك هذا النسق وقال: ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ .

فالجواب: أن هذا يفيد الحصر، أي: لا رأفة ولا رحمة إلا بالمؤمنين. فأما الكفار فليس له عليهم رأفة ولا رحمة، وهذا كالمتمم لقدر ما ورد في هذه السورة من التغليظ، كأنه يقول: إني وإن بالغت في التغليظ في هذه السورة، إلا أن ذلك التغليظ على الكفار والمنافقين، وأما رحمتي، ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿فإن تولوا﴾ يعني: المشركين والمنافقين، أي: أعرضوا عنك وقيل: تولوا عن طاعة الله وتصديق الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقيل: تولوا عن قبول التكاليف الشاقة المذكورة في هذه السورة. وقيل:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/٢١٩

تولوا عن نصرتك في الجهاد. ﴿فقل حسبي الله لاا إله إلا هو﴾ والمراد: أنه لا يدخل في قلب الرسول حزن ولا أسف؛ لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء. «عليه توكلت» أي: لا أتوكل إلا عليه: ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ .

فإن قيل: العرش غير محسوس، فلا يعرف وجوده إلا بعد ثبوت الشريعة، فكيف يمكن ذكره في معرض شرح عظمة الله تعالى؟ .

فالجواب: وجود العرش أمر مشهور، والكفار سمعوه من اليهود والنصارى وأيضا لا يبعد أنهم كانوا قد سمعوه من أسلافهم.

وقرأ الجمهور بجر الميم من «العظيم» صفة للعرش. وقرأ ابن محيصن برفعها نعتا للرب ورويت هذه قراءة عن ابن كثير. قال أبو بكر الأصم: «وهذه القراءة أعجب إلي؛ لأن جعل» العظيم «صفة لله تعالى أولى من جعله صفة للعرش» وأيضا قال «فإن جعلناه صفة للعرش، كان المراد من كونه عظيما كبر جثته وعظم حجمه واتساع جوانبه على ما ذكر في الأخبار وإن جعلناه صفة لله تعالى كان المراد من العظمة وجوب التقديس عن الحجمية والأجزاء والأبعاض، وكمال العلم والقدرة، وكونه منزها عن أن يتمثل في الأوهام، أو اتصل إليه الأفهام» .

فصل

روي عن أبي بن كعب والحسن قالا: آخر ما نزل من القرآن هاتان الآيتان: ﴿لقد جآءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها. وقال أبي بن كعب: «هما." (١)

"أحدهما: أن تكون» من «مبتدأ أيضا، و» أن «في محل رفع، بدلا منها بدل اشتمال، و» أحق «خبر على ما كان.

والثاني: أن يكون» أن يتبع «في محل رفع بالابتداء، و» أحق «خبره مقدم عليه. وهذه الجملة خبر ل» من يهدي «، فتحصل في المسألة ثلاثة أوجه.

قوله: ﴿أمن لا يهدي﴾ : نسق على» أفمن «، وجاء هنا على الأفصح، من حيث إنه قد فصل بين» أم «وما عطفت عليه بالخبر، كقولك: أزيد قائم أم عمرو، ومثله:

﴿أذلك

خير أم جنة الخلد﴾ [الفرقان: ١٥] ، وهذا بخلاف قوله - تعالى -: ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٤٩/١٠

[الأنبياء: ١٠٩] وسيأتي هذا في موضعه، وقرأ أبو بكر عن عاصم: بكسر ياء «يهدي» وهائه، وحفص بكسر الهاء دون الياء، فأما كسر الهاء؛ فلالتقاء الساكنين، وذلك أن أصله «يهتدي» ، فلما قصد إدغامه سكنت التاء، والهاء قبلها ساكنة، فكسرت الهاء لالتقاء الساكنين، وأبو بكر أتبع الياء للهاء في الكسر، وقال أبو حاتم: في قر اءة حفص «هي لغة سفلى مضر» .

ونقل عن سيبويه: أنه لا يجيز «يهدي» ، ويجيز «تهدي، وإهدي» ، قال: «لأن الكسرة تثقل في الياء» ، يعني: يجيز كسر حرف المضارعة من هذا النحو، نحو: تهدي ونهدي وإهدي، إذ لا ثقل في ذلك، ولم يجزه في الياء؛ لثقل الحركة المجانسة لها عليها، وهذا فيه غض من قراءة أبي بكر، لكنه قد تواتر قراءة، فهو مقبول، وقرأ أبو عمرو وقالون، عن نافع: بفتح الياء، واختلاس فتحة الهاء، وتشديد الدال، وذلك أنهما لما ثقلا الفتحة للإدغام، اختلسا الفتحة؛ تنبيها على أن الهاء ليس أصلها الحركة، بل السكون، وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وورش: بإكمال فتحة الهاء على أصل النقل، وقد روي عن أبي عمرو، وقالوا: اختلاس كسرة الهاء، على أصل التقاء الساكنين، والاختلاس للتنبيه على أن أصل الهاء السكون كما تقدم، وقرأ أهل المدينة - خلا ورشا - بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال، وهذه القراءة استشكلها جماعة من حيث الجمع بين الساكنين، قال المبرد: «من رام هذا، لا بد أن يحرك حركة خفية» قال أبو." (١)

"والثاني: أنه مبتدأ، قال الزمخشري: والوجه النصب على نفي الجنس، والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه، وفي العطف على محل «مثقال ذرة» ، أو على لفظ «مثقال ذرة» فتحا في موضع الجر؛ لامتناع الصرف إشكال؛ لأن قولك: «لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب» مشكل؛ لأنه يلزم منه أن يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله، ويصير التقدير: إلا في كتاب مبين فيعزب، وهو باطل، وهذان الوجهان اختيار الزجاج.

وقد يزول هذا الإشكال بما ذكره أبو البقاء: وهو أن يكون «إلا في كتاب» استثناء منقطعا، قال: «إلا في كتاب؛ أي: إلا هو في كتاب، والاستثناء منقطع» .

قال ابن الخطيب: «أجاب بعض المحققين من وجهين:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع.

والآخر: أن العزوب عبارة عن مطلق البعد، والمخلوقات قسمان:

أحدهما: قسم أوجده الله ابتداء من غير واسطة، كالملائكة، والسموات، والأرض.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٥/١٠

وقسم أوجده بواسطة القسم الأول، مثل الحوادث الحادثة في عالم الكون والفساد، وهذا قد يتباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة وجود واجب الوجود، فالمعنى: لا يبعد عن مرتبة وجوده مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، إلا وهو في كتاب مبين كتبه الله، وأثبت فيه صور تلك المعلومات» .

قال شهاب الدين: «فقد آل الأمر إلى أنه جعله استثناء مفرغا، وهو حال من» أصغر «و» أكبر «، وهو في قوة الاستثناء المتصل، ولا يقال في هذا: إنه متصل ولا منقطع إذ المفرغ لا يقال فيه ذلك.

وقال الجرجاني:» إلا «بمعنى:» الواو «، والتقدير:» وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر «وههنا تم الكلام وانقطع، ثم ابتدأ بقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ أي: وهو في كتاب مبين، والعرب تضع» إلا «موضع واو النسق؛ كقوله:

﴿إلا من ظلم﴾ [النساء: ١٤٨] ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ [البقرة: ١٥٠] . وهذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدا، وقد تقدم الكلام في هذه المسألة في البقرة، وأنه شيء قال به الأخفش، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح.

وقال أبو شامة: ويزيل الإشكال أن تقدر قبل قوله: «إلا في كتاب» «ليس شيء من ذلك إلا في كتاب» وكذا تقدر في آية الأنعام [الأنعام: ٥٩] .

ولم يقرأ في سبأ إلا بالرفع، وهو يقوي قول من يقول: إنه معطوف على «مثقال» ،." [(١)]

"لأن موضعه رفع بالابتداء قبل دخول «إن» ، أو بدل من الموضع أيضا، ذكرهما مكي، وهذان الوجهان على مذهب الكوفيين؛ لأنهم يجرون التوابع كلها مجرى **عطف النسق في** اعتبار المحل.

وقيل: محله الجر بدلا من الهاء، والميم في «عليهم» .

وقيل: منصوب المحل نعتا ل «أولياء» ، أو بدلا منهم على اللفظ، أو على إضمار فعل لائق وهو «أمدح» ، فقد تحصل فيه تسعة أوجه: الرفع من خمسة، والجر من وجه واحد، والنصب من ثلاثة، وإذا لم تجعل الجملة من قوله: «لهم البشرى» خبرا ل «الذين» جاز فيها الاستئناف، وأن تكون خبرا ثانيا ل «إن» أو ثالثا.

قوله: ﴿لهم البشرى﴾ روى عبادة بن الصامت، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - تعالى -: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ قال: هي الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له. وقال - عليه الصلاة والسلام -: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.»

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦٥/١٠

وقيل: البشرى في الدنيا هي: الثناء الحسن، وفي الآخرة: الجنة؛ لما روى أبو ذر، قال: قلت يا رسول الله: الرجل يعمل لنفسه، ويحبه الناس، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن. وقال الزهري، وقتادة: هي نزول الملائكة بالبشارة من الله – تعالى عند." (١)

"المفعول لم يجز على المشهور، إذ لا يصلح عطفه على ما قبله؛ إذ لا يقال: أجمعت شركائي، بل جمعت.

وقرأ الزهري، والأعمش، والأعرج، والجحدري، وأبو رجاء، ويعقوب، والأصمعي عن نافع: «فاجمعوا» بوصل الألف، وفتح الميم من جمع يجمع، و «شركاءكم» على هذه القراءة يتضح نصبه نسقا على ما قبله، ويجوز فيه ما تقدم في القراءة الأولى من الأوجه.

قال صاحب اللوامح: أجمعت الأمر: أي: جعلته جميعا، وجمعت الأموال جمعا، فكان الإجماع في الأحداث، والجمع في الأعيان، وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، وفي التنزيل: ﴿فجمع كيده﴾ [طه: ٦٠] وقد اختلف القراء في قوله: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ [طه: ٦٤] .

فقرأ الستة: بقطع الهمزة، جعلوه من «أجمع» وهو موافق لما قيل: إن «أجمع» في المعاني.

وقرأ أبو عمرو وحده «فاجمعوا» بوصل الألف، وقد اتفقوا على قوله ﴿فجمع كيده ثم أتى﴾ [طه: ٦٠] ، فإنه من الثلاثي، مع أنه متسلط على معنى، لا عين.

ومنهم من جعل للثلاثي معنى غير معنى الرباعي؛ فقال في قراءة أبي عمرو: من جمع يجمع ضد فرق يفرق، وجعل قراءة الباقين من: أجمع أمره إذا أحكمه وعزم عليه، ومنه قول الشاعر: [الرجز]

٢٩١٨ – يا ليتت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغذون يوما وأمري مجمع؟

وقيل: المعنى: فاجمعوا على كيدكم؛ فحذف حرف الجر.

وقرأ الحسن، والسلمي، وعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق، وسلام، ويعقوب: «وشركاؤكم» رفعا، وفيه تخريجان:

أحدهما: **أنه نسق على** الضمير المرفوع ب «أجمعوا» قبله، وجاز ذلك؛ إذ الفصل بالمفعول سوغ العطف.

والثاني: أنه مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم، وشذت." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٦٧/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧٨/١٠

"وفي مصحف أبي، وعبد الله – وقرأ كذلك – فهلا، وهي نص في التحضيض وزعم علي بن عيسى، والنحاس أن لولا تأتي بمعنى ما النافية، وحملا على ذلك هذه الآية أي: ما كانت قرية نقله ابن قاسم، وهو منقول أيضا عن الهروي، وكانت هنا تامة و «آمنت» صفة ل «قرية» ، **وفنفعها نسق على** الصفة.

قوله: «إلا قوم يونس» فيه وجهان:

أحدهما: أنه استثناء منقطع، وإليه ذهب سيبويه، والكسائي، والأخفش، والفراء، ولذلك أدخله سيبويه في باب «ما لا يكون فيه إلا النصب لانقطاعه» وإنما كان منقطعا؛ لأن ما بعد «إلا» لا يندرج تحت لفظ «قرية» .

والثاني: أنه متصل. قال الزمخشري: «استثناء من القرى، لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس، ويجوز أن يكون متصلا، والجملة في معنى النفي كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس» .

وقال ابن عطية: هو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وكذلك رسمه النحويون، وهو بحسب المعنى متصل لأن تقديره: ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس.

قال شهاب الدين: «وتقدير هذا المضاف هو الذي صحح كونه استثناء متصلا» ، وكذلك قال أبو البقاء ومكي وابن عطية وغيرهم. وأما الزمخشري فإن ظاهر عبارته أن المصحح لكونه متصلا كون الكلام في معنى النفي، وليس كذلك بل المسوغ كون القرى يراد بها أهاليها من باب إطلاق المحل على الحال، وهو أحد الأوجه المذكورة في قوله ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] . وقرأ فرقة: «إلا قوم» بالرفع. قال الزمخشري: وقرىء بالرفع على البدل، روي ذلك عن الجرمي، والكسائي.

وقال المهدوي: «والرفع على البدل من قرية» . فظاهر هاتين العبارتين أنها قراءة منقولة، وظاهر قول مكي، وأبي البقاء أنها ليست قراءة، وإنما ذلك من الجائز، وجعلا الرفع على وجه آخر غير البدل، وهو كون «إلا» بمعنى «غير» في وقوعها صفة.

قال مكي «ويجوز الرفع على أن تجعل إلا بمعنى» غير «صفة للأه ل المحذوفين في المعنى، ثم يعرب ما بعد إلا بإعراب» غير «لو ظهرت في موضع» إلا «. وقال أبو البقاء – وأظنه أخذه منه –: ولو كان قد قرىء بالرفع لكانت إلا فيه بمنزلة غير فيكون صفة، وقد تقدم أن في نون يونس ثلاث لغات وقرئ بها.

فصل

قال البغوي: المعنى فلم تكن قرية؛ لأن في الاستفهام ضربا من الجحد؛ أي: أهل." [1]

"ثم قال: ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ يجوز أن يكون «مغفرة» مبتدأ، و «لهم» الخبر، والجملة خبر «أولئك» ، ويجوز أن يكون «لهم» خبر «أولئك» و «مغفرة» فاعل بالاستقرار. فجمع لهم بين شيئين:

أحدهما: زوال العقاب بقوله: «لهم مغفرة» والثاني: الفوز بالثواب بقوله «وأجر كبير» .

قوله: «فلعلك» الأحسن أن تكون على بابها من الترجي بالنسبة إلى المخاطب.

وقيل: هي للاستفهام كقوله – صلوات الله وسلامه عليه – «لعلنا أعجلناك» .

فإن قيل: «فلعلك» كلمة شك فما فائدتها؟ .

فالجواب: أن المراد منها الزجر، والعرب تقول للرجل إذا أرادوا إبعاده عن أمر: لعلك تقدر أن تفعل كذا مع أنه لا شك فيه، ويقول لولده: لعلك تقصر فيما أمرتك، ويريد توكيد الأمر فمعناه لا تترك.

وقوله: **«وضائق» نسق على** «تارك» ، وعدل عن «ضيق» وإن كان أكثر من «ضائق» .

قال الزمخشري: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت، ومثله سيد وجواد – تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين – فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد.

قال أبو حيان: وليس هذا الحكم مختصاص بهذه الألفاظ؛ بل كل ما بني من الثلاثي للثبوت والاستقرار على غير فاعل رد إليه إذا أريد به معنى الحدوث تقول: حاسن وثاقل وسامن في: «حسن وثقل وسمن» ؛ وأنشد قول الشاعر: [الطويل]

٢٩٤٦ – بمنزلة أما اللئيم فسامن ... بها وكرام الناس باد شحوبها

وقيل: إنما عدل عن «ضيق» إلى «ضائق» ليناسب وزن «تارك» .

والهاء في «به» تعود على «بعض» . وقيل: على «ما» . وقيل: على التكذيب و «صدرك» مبتدأ مؤخر، والجملة خبر عن الكاف في «لعلك» ؛ فيكون قد أخبر بخبرين:

أحدهما: مفرد، والثاني: جملة عطفت على مفرد، إذ هي بمعناه، فهو نظير: «إن زيدا قائم، وأبوه منطلق» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠/٤١٤

قوله: «أن يقولوا» في محل نصب أو جر على الخلاف المشهور في «أن» بعد حذف حرف الجر أو المضاف، تقديره: كراهة أو مخافة أن يقولوا، أو لئلا يقولوا، أو بأن يقولوا.." (١)

"إشكال، لأن هذه السورة مكية، وبعض السور المتقدمة مدنية، فكيف يمكن أن يكون المراد هذه العشر عند نزول هذا الكلام؟ فالأولى أن يقال التحدي وقع بمطلق السور.

فإن قيل: قد قال في سورة يونس ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨] وقد عجزوا عنه. فكيف قال ﴿فأتوا بعشر سور﴾ فهو كرجل يقول لآخر: أعطني درهما؛ فيعجز، فيقول: أعطني عشرة؟ .

فالجواب: قد قيل: نزلت سورة هود أولا، وأنكر المبرد هذا وقال: بل سورة يونس أولا، وقال: ومعنى قوله في سورة يونس: ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨] أي: مثله في الإخبار عن الغيب، والأحكام، والوعد والوعيد، فعجزوا، فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم عن الإتيان بسورة مثله في الإخبار، والأحكام، والوعد، والوعيد (فأتوا بعشر سور مثله) من غير وعد ووعيد، وإنما هي مجرد بلاغة.

فصل

اختلفوا في الوجه الذي كان القرآن لأجله معجزا، فقيل: هو الفصاحة وقيل: الأسلوب، وقيل: عدم التناقض، وقيل: اشتماله على الإخبار عن الغيوب، والمختار عند الأكثرين أن القرآن معجز من جهة الفصاحة، واستدلوا بهذه الآية، لأنه لو كان إعجازه هو كثرة العلوم، أو الإخابر عن الغيوب، أو عدم التناقض لم يكن لقوله: «مفتريات» معنى، أما إذا كان وجه الإعجاز هو الفصاحة صح ذلك؛ لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام، سواء كان الكلام صدقا أو كذبا، ثم إنه لما قرر وجه التحدي قال: ﴿وادعوا من استطعتم﴾ واستعينوا بمن استطعتم ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإلم يستجيبوا لكم﴾ يا أصحاب محمد، وقيل: لفظه جمع والمراد به الرسول - صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه وحده - والمراد بقوله: ﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾ أي: الكفار، يحتمل أن من يدعونه من دون الله لم يستجيبوا.

قوله: ﴿فاعلموا أنمآ أنزل﴾ «ما» يجوز أن تكون كافة مهيئة، وفي «أنزل» ضمير يعود على ﴿ما يوحى إليك﴾ [هود: ١٢] ، و «بعلم» حال أي: ملتبسا بعلمه، ويجوز أن تكون موصولة اسمية أو حرفية اسما ل «أن» والخبر الجار تقديره: فاعلموا أن تنزيله، أو أن الذي أنزل ملتبس بعلم.

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٦/١٠

وقرأ زيد بن علي «نزل» بفتح النون والزاي المشددة، وفاعل «نزل» ضمير الله تعالى، و ﴿وأن لا إله إلا هو﴾ **نسق على** «أن» قبلها، ولكن هذه مخففة فاسمها محذوف، وجملة النفي خبرها.." [1]

"قال ابن الخطيب: «وروي عن ابن مسعود أنه قال: لم يستطع نوح أن يحمل الأسد حتى ألقيت عليه الحمى، وذلك أن نوحا – عليه الصلاة والسلام – قال: يا رب فمن أين أطعم الأسد، إذا حملته؟ قال الله – تعالى –:» فسوف أشغله عن الطعام فسلط الله عليه الحمى «وأمثال هذه الكلمات الأولى تركها، فإن حاجة الفيل إلى الطعام أكثر، وليست به حمى» .

وروى زيد بن أسلم عن أبيه مرسلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين، قال أصحابه: وكيف يطمئن، أو تطمئن المواشي، ومعنا الأسد، فسلط الله عليه الحمى، فكانت أول حمى نزلت الأرض، ثم شكوا الفأرة فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا، فأوحى الله إلى الأسد، فعطس الأسد فخرجت الهرة؛ فتخبأت الفأرة منها.

قوله: **«وأهلك» نسق على** «اثنين» في قراءة من أضاف «كل» ل «زوجين» ، وعلى «زوجين» في قراءة من نون «كل» وقوله: «إلا من سبق» استثناء متصل في موجب، فهو واجب النصب على المشهور.

وقوله: «ومن آمن» مفعول به نسقا على مفعول «احمل» .

فصل

روي أن نوحا – عليه الصلاة السلام – قال يا رب: كيف أحمل من كل زوجين اثنين؟ فحشر الله – تعالى – إليه السباع والطير، فجعل يضرب بيده في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والأنثى في يده اليسرى، فيجعلهما في السفينة.

والمراد بأهله: ولده وعياله ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ بالهلاك يعني: امرأته واعلة وابنه كنعان.

«ومن آمن» يعنى: واحمل من آمن بك، قال تعالى: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ . قال قتادة بنين سام وحام ويافث ونساؤهم.

وقال الأعمش: كانوا سبعة: نوح وثلاثة بنين له وثلاث كنائن وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نسائهم، نوح وبنوه: سام وحام ويافث، وستة أناس ممن كان به، وأزواجهم جميعا.." [2]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤٩/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٧/١٠

"والبركة: ثبوت الخير ومنه بروك البعير، ومنه البركة لثبوت الماء فيها، ومنه ﴿تبارك الله﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: ثبت تعظيمه وقيل: البركة ههنا هي أن الله - تعالى - جعل ذريته هم الباقين إلى يوم القيامة، ثم لما بشره بالسلامة والبركة شرح بعده حال أولئك الذين كانوا معه فقال: ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ قيل: المراد الذين معه، وذرياتهم، وقيل: ذرية من معه.

قوله ﴿ممن معك﴾ يجوز في «من» أن تكون لابتداء الغاية، أي: ناشئة من الذين معك، وهم الأمم المؤمنون إلى آخر الدهر، ويجوز أن تكون «من» لبيان الجنس، فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة؛ لأنهم كانوا جماعات.

وقرىء «اهبط» بضم الباء، وقد تقدم أول البقرة، وقرأ الكسائي - فيما نقل عنه - «وبركة» بالتوحيد.

قوله: «وأمم» يجوز أن يكون مبتدأ، و «سنمتعهم» خبره، وفي مسوغ الابتداء وجهان:

أحدهما: الوصف التقديري، إذ التقدير: وأمم منهم، أي: ممن معك كقولهم: «السمن منوان بدرهم» ف «منوان» مبتدأ وصف ب «منه» تقديرا.

والثاني: أن المسوغ لذلك التفصيل نحو: «الناس رجلان: رجل أهنت، وآخر أكرمت» ومنه قول امرىء القيس: [الطويل]

٢٩٧٩ - إذا ما بكى من خلفها انحرفت له ... بشق وشق عندنا لم يحول

ويجوز أن يكون مرفوعا بالفاعلية عطفا على الضمير المستتر في «اهبط» وأغنى الفصل عن التأكيد بالضمير المنفصل، قاله أبو البقاء. قال أبو حيان: وهذا التقدير والمعنى لا يصلحان، لأن الذين كانوا مع نوح في السفينة إنما كانوا مؤمنين؛ لقوله: ﴿ومن آمن﴾ ولم يكونوا كفارا ومؤمنين، فيكون الكفار مأمورين بالهبوط، إلا إن قدر أن من المؤمنين من يكفر بعد الهبوط، وأخبر عنهم بالحال اليت يؤولون إليها فيمكن على بعد. وقد تقدم أن مثل ذلك لا يجوز، في قوله ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٣٥] لأمر صناعي، و «سنمتعهم» على هذا صفة ل «أمم» ، والواو يجوز أن تكون للحال قال الأخفش: كما تقول: كلمت زيدا وعمرو جالس «ويجوز أن تكون لمجرد النسق.

واعلم أنه سبحانه أخبر بأن الأمم الناشئة الذين كانوا مع نوح لا بد وأن ينقسموا إلى مؤمن وكافر.

ثم قال: ﴿تلك من أنبآء الغيب﴾ وقد تقدم الكلام فيها عند قوله ﴿ذلك من أنبآء الغيب﴾ [آل عمران:

٤٤] في آل عمران. و «تلك» في محل رفع على الابتداء، و ﴿من أنبآء الغيب﴾ الخبر، و «نوحيها إليك» خبر ثان.." (١)

"أمرت بها على جادة الحق غير عادل منها. وإما على الحال من ضمير ذلك المصدر.

واستفعل هنا للطلب، كأنه قيل: اطلب الإقامة على الدين، كما تقول: استغفر أي: اطلب الغفران.

قوله: ﴿ومن تاب معك﴾ في «من» وجهان، أحدهما: أنه منصوب على المفعول به، كذا ذكره أبو البقاء ويصير المعنى: استقم مصاحبا لمن تاب مصاحبا لك، وفي هذا المعنى نقو عن ظاهر اللفظ.

والثاني: أنه مرفوع **فإنه نسق على** المستتر في «استقم» ، وأغنى الفصل الجار عن تأكيده بضمير منفصل في صحة العطف، وقد تقدم هذا البحث في قوله: ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٢٥] ، وأن الصحيح أنه من عطف الجمل لا من عطف المفردات، ولذلك قدره الزمخشري فاستقم أنت، وليستقم من تاب معك، فقدر الرافع له فعلا لائقا برفعه الظاهر.

وقال الواحدي: محلها ابتداء تقديره: ومن تاب معك فليستقم

فصل

معنى الآية: ﴿فاستقم كمآ أمرت﴾ على دين ربك، والعمل به، والدعاء إليه، كما أمرت، ﴿ومن تاب معك﴾ أي: من معك فليستقيموا، قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب.

روى هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي - رضي الله عنه - قال: «قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال:» قل آمنت بالله ثم استقم «.

فصل

هذه الآية أصل عظيم في الشريعة، وذلك أن القرآن لما ورد بترتيب الوضوء في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيه، لقوله: ﴿فاستقم كمآ أمرت﴾ ، ولما» ورد الأمر في الزكاة بأداء الإبل من الإبل، والبقر من البقر وجب اعتبارها، وكذا القول في كل ما ورد أمر الله به.

قال ابن الخطيب: وعندي أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس؛ لأنه لما دل عموم النص على حكم وجب العمل بمقتضاه، لقوله تعالى -: ﴿فاستقم كمآ أمرت﴾ فالعمل بالقياس انحراف عنه.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٣/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٨٩/١٠

"أحدهما: أنه جمع «زلفة» أيضا، والضم للإتباع، كما قالوا: بسرة وبسر بضم السين إتباعا لضمة الباء.

الثاني: أنه اسم مفرد على هذه الزنة ك: عنق.

الثالث: أنه جمع «زليف» قال أبو البقاء: «وقد نطف به» ، يعني أنهم قالوا زليف، و «فعيل» يجمع على «فعل» نحو: رغيف ورغف، وقضيب وقضب.

وقرأ مجاهد وابن محيصن بإسكان اللام وفيها وجهان:

أحدهما: أنه يحتمل أن تكون هذه القراءة مخففة من ضم العين فيكون فهيا ما تقدم.

والثاني: أنه سكون أصل من باب اسم الجنس نحو: بسرة وبس من غير إتباع.

وقرأ مجاهد وابن محيصن وأيضا في رواية: «وزلفى» بزنة: «حبلى» جعلوها على صفة الواحدة المؤنثة اعتبارا بالمعنى؛ لأن المعنى على المنزلة الزلفى، أو الساعة الزلفى، أي: القريبة.

وقد قيل: إنه يجوز أن يكون أبدلا التنوين ألفا ثم أجرياص الوصل مجرى الوقف فإنهما يقرآن بسكون اللام وهو محتمل.

وفي انتصاب: «زلفا» وجهان:

أظهرهم: أنه نسق على «طرفي» فينتصب الظرف، إذ المراد بها ساعات الليل القريبة.

والثاني: أن ينتصب انتصاب المفعول به نسقا على الصلاة.

قال الزمخشري – بعد أن ذكر القراءات المتقدمة –: وهو ما يقرب من آخر النهار ومن الليل، وقيل: زلفا من الليل وقربا من الليل، وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة، أي: أقم الصلاة طرفي النهار، وأقم زلفا من الليل على معنى صلوات تقرب بها إلى الله تعالى في بعض الليل.

والزلفة: أول ساعات الليل، قاله ثعلب. وقال الأخفش وابن قتيبة: «الزلف: ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة منه زلفة» فلم يخصصاه بأول الليل؛ وقال العداد: [الرجز]

٣٠٣٩ – ناج طواه الأين مما وجفا ... طي الليالي زلفا فزلفا

سماوة الهلال حتى احقوقفا ...." (١)

"وأجاب عن ذلك: بأن الأصل عدم إضافة العدد إلى الصفة كما تقدم، فلا يترك هذا الأصل مع الاستغناء عنه بالفرع.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٩٢/١٠

وبالجملة: ففي هذه العبارة قلق، هذا ملخصها.
ولم يذكر أبو حيان نصه ولا اعترض عليه، بل لخص بعض معانيه، وتركه على إشكاله.
فصل في اشتقاق» عجاف «
جمع عجفاء: عجاف والقياس: عجف؛ نحو: حمراء، وحمر؛ حملا له على سمان؛ لأنه نقيضه، ومن دأبهم حمل النظير على النظير، والنقيض على النقيض، قاله الزمخشري
والعجف: شدة الهزال الذي ليس بعده هزال؛ قال: [الكامل]
٣١٠٦ – عمرو الذي هشم الشريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف
قال الليث: العجف: ذهاب السمن، والفعل: عجف يعجف، والذكر: أعجف، والأنثى: عجفاء، والجمع عجاف في الذكران والإناث.
وليس في كلام العرب: أفعل، وفعلاء، وجمعها على: فعال غير أعجف، وعجاف، هي شاذة حملوها على لفظ سمان، وعجاف؛ لأنهما نقيضان، ومن عادتهم حمل النظير على النظير، و النقيض على النقيض.
وقال الراغب: هو من قولهم: نصل أعجف، أي: رقيق.
وعجفت نفسي عن الطعام وعن فلان: إذا نبت عنهما، وأعجف الرجل أي: صارت [إيله] عجافا.
» وأخر يابسات «، قوله:» وأخر «نسق على قوله» سبع «لا على» سنبلات «ويكون قد حذف اسم العدد، من قوله:» وأخر يابسات «والتقدير: سبعا أخر، وإنما حذف؛ لأن التقسيم في البقرات نقيض التقسيم في السنبلات.
قال الزمخشري: «فإن قلت: هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت كالخضر؟ قلت: الكلام منبي على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف، والسنبلات الخضر، فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع، ويكون قوله:» وأخر يابسات «بمعنى: وسبعا أخر» انتهى.
وإنما لم يجز عطف أخر على التمييز، وهو «سنبلات» ، فيكون أخر مجرورا لا." (١)

"قوله تعالى: «ذلك» خبر مبتدإ مضمر، أي: الأمر ذلك، و «ليعلم» ، متعلق بضمير، أي: أظهر ذلك؛ ليعلم، أو مبتدأ، وخبره محذوف، أي: ذلك الذي صرحت به عن براءته، أمر من الله لا بد منه، و «ليعلم» متعلق بذلك الخبر، أو يكون «ذلك» مفعولا لفعل مقدر يتعلق به هذا الجار أيضا، أي: فعل الله ذلك، أو فعلته أنا بتيسير الله.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٤/١١

قوله: «بالغيب» يجوز أن تكون الباء ظرفية قال الزمخشري: أي مكان الغيب، وهو الخفاء، والاستتار وراء الأباب السبعة المغلقة، ويجوز أن تكون الباء للحال، إما من الفاعل، على معنى: وأنا غائب عنه خفي عن عينه.

وإما من المعفول على معنى: وهو غائب عني خفي عن عيني.

«وأن **الله» نسق على** «أني» ، أي: ليعلم الأمرين، وهذا من كلام يوسف صلوات الله وسلامه عليه وبه بدأ الزمخشري، كالمختار له.

وقال غيره: إنه من كلام امرأة العزيز، وهو الظاهر.

فإن قلنا: هو من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام فـمتى قاله؟ .

وروى عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهم: أن يوسف لما دخل على الملك، قال «ذلك» ، وإنما ذكره بلفظ الغيبة تعظيما للملك عن الخطاب.

قال ابن الخطيب: «والأولى أنه صلوات الله وسلامه عليه إنما قال ذلك عند عود الرسول إليه، لأن ذكر هذا الكلام في حضرة الملك، سوء أدب» .

فإن قيل: هذه الخيانة لو وقعت، كانت في حق العزيز، فكيف قال: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ ؟ .

فالجواب: قيل: المراد ذلك ليعلم الملك أني لم أخن العزيز بالغيب، فتكون الهاء في «أخنه» تعود على العزيز.

وقيل: إنه إذا خان وزيره، فقد خانه من بعض الوجوه.

وقيل: إن الشرابي لما رجع إلى يوسف عليه السلام وهو في السجن، قال: ﴿ذلك ليعلم﴾ ، العزيز ﴿أني لم أخنه بالغيب﴾ .

ثم ختم الكلام بقوله: ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ ، ولعل المراد منه: أني لو كنت خائنا، لما خلصني الله من هذه الورطة، وحيث خلصني منها، ظهر أني كنت بريئا مما نسبوني إليه.

وإن قلنا: إن قوله: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ كلام امرأة العزيز، فالمعنى: أني." (١)

"والوجه الثاني: لعل الكفار قالا ذلك قبل مشاهدة سائر المعجزات.

ثم قال: «إنما أنت منذر» مخوف.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٩/١١

قوله: ﴿ولكل قوم هاد﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن هذا الكلام مستأنف مستقبل من مبتدأ، وخبر.

والثاني: أن «لكل قوم» متعلق «هاد» ، و **«هاد» نسق على** «منذر» ، أي: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم، وفي هذا الوجه الفصل بين حرف العطف، والمعطوف بالجار وفيه خلاف تقدم.

ولما ذكر أبو حيان هذا الوجه، لم يذكر هذا الإشكال، ومن عادته ذكره ردا به على الزمخشري.

الثالث: أن «هاد» خبر مبتدأ محذوف، تقديره: إنما أنت منذر، وهو لكل قوم هاد، ف «لكل» متعلق به أيضا.

ووقف ابن كثير على «هاد» [الرعد: ٣٣] [الزمر: ٢٣، ٣٦] و «واق» حيث وقعا، وعلى «وال» ن و «باق» [النحل: ٩٦] [الرعد: ٣٤، ٣٧] في النحل بإثبات الياء، وحذفها الباقون.

ونقل ابن مجاهد عنه: أنه يقف بالياء في جميع الياءات. ونقل عن ورش: أنه خير في الوقف بين ا لياء، وحذفها.

والباب: هو كل منقوص منون غير منصرف، واتفق القراء على التوحيد في «هاد» .

فصل

إذا جعلنا «ولكل قوم هاد» كلاما مستأنفا، فالمعنى: أن الله تعالى خص كل قوم بنبي، ومعجزة تلائمهم، فلما كان الغالب في زمن موسى عليه السلام السحر؛ جعل معجزته ما هو أقرب إلى طريقتهم، ولما كان الغلب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب، جعل معجزته ما كان من تلك الطريقة، وهي إحياء الموتى، وإبراء الأكمة، والأبرص، ولما كان الغالب في زمان محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة، والبلاغة جعل معجزته ما كان لائقا بذلك الزمان، وهو فصاحة القرآن، فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع أنها أليق بطبائهم، فبأن لا يؤمنون بباقي المعجزات أولى، هذا تقرير القاضي، وبه ينتظم الكلام.." (١)

"وأما «في النار» ففيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق ب «توقدون» وهو قول الفارسي، والحوفي، وأبي البقاء.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف، أي: كائنا، أو ثابتا، قاله مكي، وغيره ومنعوا تعلقه ب «يوقدون» ؛ لأنهم زعموا أنه لا يوقد على الشيء إلا وهو في النار، وتعليق حرف الجر ب «تقدون» يقتضي تخصيص حال من حال أخرى، وهذ غير لازم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٥٧/١١

قال أبو علي رحمه الله تعالى: وقد يوقد على الشيء، وإن لم يكن في النار، كقوله تعالى: ﴿فأوقد لي ياهامان على الطين﴾ [القصص: ٢٨] فالطين لم يكن [فيها] ، وإنما يصيبه لهبها، وأيضا: فقد يكون ذلك على سبيل التوكيد، كقوله تعالى: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ [الأنعام: ٣٨] . والمراد بالحيلة: الذهب، والفضة، والمتاع: كل ما يتمتع به.

قوله: «ابتغاء حليةة» فيه وجهان:

أظهرهما: أنه مفعول من أجله.

والثاني: أنه مصدر في موضع الحال، أي: مبتغين حلية، و «حلية» مفعول [في] المعنى، «أو **متاع**» **نسق على** «حيلية» .

فالحلية: ما تتزين به. والمتاع: ما يقضون به حوائجهم كالمساحي من الحديد ونحوها.

قوله: «جفاء» حال، والجفاء: قال ابن الأنباري: المتفرق، يقال: جفأت الرح السحاب، أي: قطعته وفرقته، وقال الفراء: الجفاء: الرمي، والاطراح.

يقال: جفا الوادي، أي: غثاءه يجفوه: جفاء، إذا رماه، والجفاء اسم للمجتمع منه [المنضم] بعضه إلى بعض، ويقال: جفأت القدر بزبدها تجفأ، وحفاء السيل: زبده، وأجفأ وأجفل وباللام قرأ رؤبة بن العجاج.

قال أبو حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤبة؛ لأنه كان يأكل الفأر، يعني أنه أعرابي جاف وقد تقدم ثناء الزمخشري عليه أول البقرة، وذكروا فصاحته، وقد وجهوا قراءته بأنها من أجفأت الرح الغيم، أي: فرقته قطعا، فهي في المعنى كقراءة العامة بالهمزة.

وفي همزة «جفأ» وجهان:

أظهرهما: أنها أصل لثبوتها في تصاريف هذه المادة.

والثاني: أنه بدل من واو، وكأنه مختار أبي البقاء.

وفيه نظر؛ لأن مادة «جفا يجفو» لا يليق معناها، والأصل: عدم الاشتراك.

فصل

المعنى: أن الباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق، والزبد الذي لا ينتفع به." (١)

"والقائلون بالقول الأول هم الذين يقولون عند قيام القيامة: لا يعدم الله الذوات والأجسام، وإنما يعدم صفاتها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨٩/١١

وقيل: المراد من تبديل الأرض والسموات: هو أن الله تعالى، يجعل الأرض جهنم، ويجعل السموات الجنة بدليل قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾

[المطففين: ٧] وقوله عز وجل ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ [المطففين: ١٨] .

وقالت عائشة رضي الله عنها: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ [إبراهيم: ٤٨] أين تكون الناس يومئذ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «على الصراط» .

وروى ثوبان رضي الله عنه أن حبرا من اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: «هم في الظلمة دون الجسر» .

قوله «والسموات» تقديره: وتبدل السموات غير السموات.

وقرىء: «نبدل» بالنون: «الأرض» نصبا **«والسموات» نسق عليه**.

قوله «وبرزوا» فيه وجهان:

أحدهما: أنها حملة مستأنفة، أي: يبرزون، كذا قدره أبو البقاء، يعنى أنه ماض يراد به الاستقبال، والأحسن أنه مثل ﴿ونادى أصحاب النار﴾ [الأعراف: ٥٠] ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿ربما يود الذين كفروا﴾ [الحجر: ٢] ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] لتحقق ذلك.

والثاني: أنها حال من «الأرض» ، و «قد» معها مرادة، قاله أبو البقاء ويكون الضمير في: «برزوا» للخلق دل عليه السياق، والرابط بين الحال، وصاحبها الواو.

وقرأ زيد بن علي «وبرزوا» بضم الباء، وكسر الراء مشددة عل التكثير في الفعل ومفعوله، وتقدم الكلام في معنى البروز عند قوله تعالى ﴿وبرزوا لله جميعا﴾ [إبراهيم: ٢١] ، وإنما ذكر «الواحد القهار» هنا؛ لأن الملك إذا كان لمالك واحد غالب لا يغلب،." [1]

"قوله: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ [أي: نقص عليك نبأهم] على وجه الصدق.

قوله: ﴿إنهم فتية﴾ شبان ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ إيمانا وبصيرة.

وقوله: ﴿آمنوا بربهم﴾ : فيه التفات من التكلم إلى الغيبة؛ إذ لو جاء **على نسق الكلام**، لقيل: إنهم فتية آمنوا بنا، وقوله: «وزدناهم» التفات من هذه الغيبة إلى التكلم أيضا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤١٦/١١

ومعنى قوله: «وربطنا» وشددنا «على قلوبهم» بالصبر والتثبت، وقويناهم بنور الإيمان، حتى صبروا على هجران ديار قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش،." [1]

"تدوم، وهي اللغة الغالية، ودمت تدام؛ كخفت تخاف، وتقدم نظير هذا في مات يموت ومات يمات.

قوله تعالى: ﴿وبرا بوالدتي﴾ : العامة على فتح الباء، وفيه تأويلان:

أحدهما: أنه منصوب نسقا على «مباركا» أي: وجعلني برا.

والثاني: أنه منصوب بإضمار فعل، واختير هذا على الأول؛ لأن فيه فصلا كثيرا بجملة الوصية ومتعلقها.

قال الزمخشري: جعل ذاته برا؛ لفرط بره، ونصبه بفعل في معنى «أوصاني» وهو «كلفني» لأن أوصاني بالصلاة، وكلفني بها واحد.

وقرئ «برا» بكسر الباء: إما على حذف مضاف، وإما على المبالغة في جعله نفس المصدر، وقد تقدم في البقرة: أنه يجوز أن يكون وصفا على فعل، وحكى الزهراوي، وأبو البقاء أنه قرئ بكسر الباء، والراء، وتوجيهه: **أنه نسق على** «الصلاة» أي: وأوصاني بالصلاة وبالزكاة، وبالبر، أو البر.

فصل فيما يشير إليه قوله «وبرا بوالدتي»

قوله: ﴿وبرا بوالدتي﴾ إشارة إلى تنزيه أمه عن الزنا؛ إذ لو كانت زانية، لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها وبرها؛ لأنه تأكد حقها عليه؛ لتمحض إذ حقها لا والد له سواها.

قوله تعالى: ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ يدل على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى؛ لأنه لما أخبر أنه تعالى، جعله برا، وما جعله جبارا، إنما يحسن لو أن الله تعالى جعل غيره جبارا، وجعله [غير] بر بأمه؛ فإن الله تعالى، لو فعل ذلك بكل أحد، لم يكن لعيسى مزية تخصيص بذلك، ومعلوم أنه - صلوات الله عليه وسلامه - إنما ذكر ذلك في معرض التخصيص، ومعنى قوله: ﴿ولم يجعلني جبارا﴾ أي ما جعلني جبارا متكبرا، بل أنا خاضع لأمي، متواضع لها، ولو كنت جبارا متكبرا، بل أنا خاضع لأمي، متواضع لها، ولو كنت جبارا، كنت عاصيا شقيا.

قال بعض العلماء: لا تجد العاق إلا جبارا شقيا، وتلا: ﴿وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ ولا تجد سيئ الملكة إلا مختالا فخورا، وقرأ: ﴿وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ [النساء: ٣٦] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢/٤٣٦

قوله تعالى: ﴿والسلام علي﴾ : الألف واللام في «السلام» للعهد؛ لأنه قد تقدم لفظه في قوله – عز وجل –: ﴿وسلام عليه﴾ [الآية: ١٥] فهو كقوله:

﴿كمآ أرسلنآ إلى فرعون رسولا." (١)

"الرابع: أنه معطوف على الضمير المستتر في «مسحتا» وكان من حق هذا أن يفصل بينهما بتأكيد ما إلا أن القائل بذلك وهو الكسائي لا يشترط، وأيضا «فهو جائز (في الضرورة) عند الكل.

الخامس: أن يكون (مجلف) مصدرا بزنة اسم المفعول، كقوله تعالى: ﴿كل ممزق﴾ [سبأ: ٧] أي تجليف وتمزيق، وعلى هذا **فهو نسق على**» عض زمان «إذ التقدير: رمت بنا هموم المنى وعض زمان أو تجليف فهو فاعل لعطفه على الفاعل، وهو قول الفارسي، وهو أحسنها.

الرواية الثانية: فتح الياء وكسر الدال ورفع مسحت، وتخريجها واضح، وهو أن يكون من ودع في بيته يدع فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق، فيرتفع» مسحت، وتخريجها واضح، وهو أن يكون من ودع في بيته يدع فهو وادع بمعنى بقي يبقى فهو باق، فيرتفع «مسحت» بالفاعلية، ويرفع (مجلف) بالعطف عليه ولا بد حينئذ من ضمير محذوف تقديره: من أجله أو بسببه ليرتبط الكلام.." (٢)

"قوله: «وكذلك **أنزلناه» نسق على** «كذلك نقص» قال الزمخشري «ومثل ذلك الإنزال وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة.

وقال غيره: والمعنى كما قدرنا هذه الأمور وجعلناها حقيقة بالمرصاد للعباد كذلك حذرنا هؤلاء أمرها، ﴿أنزلناه قرآنا عربيا﴾ لتفهمه العرب فيقفوا على إعجازه ونظمه، وخروفه عن الكلام البشري.

﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي: كررناه وفصلناه.

قوله:» من الوعيد «صفة لمفعول محذوف، أي: صرفنا في القرآن وعيدا من الوعيد، والمراد به الجنس.

ويجوز أن تكون» من «مزيدة على رأي الأخفش في المفعول به، والتقدير: وصرفنا فيه الوعيد» لعلهم يتقون «أي يجتنبون الشرك. ﴿أو يحدث لهم ذكرا﴾ أي: يجدد لهم القرآن عبرة وعظة.

وقرأ الحسن:» أو يحدث «كالجماعة إلا أنه سكن لام الفعل وعبد الله والحسن أيضا في رواية ومجاهد وأبو حيوة» نحدث «بالنون، وتسكين اللام أيضا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٦٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٢٩٣

(وخرج على) إجراء الوصل مجرى الوقف، أو على تسكين الفعل استثقالا للحركة، كقول امرئ القيس:." (١)

"قال: نعم، قم فاخرج، فقام يمشي حتى خرج منها.

قال له نمروذ: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك قاعدا إلى جنبك؟ قال: ذاك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني، فقال له نمروذ: إني مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة، فقال إبراهيم – عليه السلام – لا يقبل الله نمنك ما دمت على دينك هذا، قال نمروذ: لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها ثم كف عن إبراهيم.

روي أن إبراهيم – عليه السلام – ألقي في النار وهو ابن ست عشرة سنة. وإنما اختاروا المعاقبة بالنار، لأنها أقوى العقوبات. وقيل: روي أن هاران أبا لوط قال لهم: إن النار لا تحرقه، لأنه سحر العقوبات. وقيل: روي أن هاران أبا لوط قال لهم: إن النار لا نحرقه، لأنه سحر النار، وبكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته، ففعلوا، فطارت شرارة في لحية أبي لوط فأحرقته.

قوله:» بردا «أي: ذات برد. والظاهر في» سلاما «أنه نسق على» بردا «فيكن خبرا عن» كوني «. وجوز بعضهم أن ينتصب على المصدر المقصود به التحية في العرف وقد رد هذا بأنه لو قصد ذلك لكان الرفع فيه أولى، نحو قول إبراهيم:» سلام «، وهذا غير لازم، لأنه لا يجوز أن يأتي القرآن على الفصيح والأفصح، ويدل على ذلك أنه جاء مقصودا، والمقصود به التحية نحو قول الملائكة:» قالوا سلاما «.

وقوله «على إبراهيم» متعلق بنفس إن قصد به النحية. ويجوز أن يكون صفة فيتعلق بمحذوف، وعلى هذا فيحتمل أن يكون قد حذف صفة الأول لدلالة صفة الثاني عليه تقديره: كوني بردا عيله وسلاما عليه.

فصل

قال أبو مسلم الأصفهاني في تفسير قولنا «قلنا يا نار» المعنى: أنه سبحانه وتعالى." (٢)

"والثاني: أنه نسق على الضمير في «يسبحن» ، ولم يؤكد ولم يفصل، وهو موافق لمذهب الكوفيين.

فصل

قال ابن عباس: (كان يفهم) تسبيح الحجر والشجر.

وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٩٧/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤٠/١٣

وقال قتادة: «يسبحن» أي: يصلين مع إذا صلى. وقيل: كان داود إذا فتر سمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه.

وقال بعض المفسرين: إنه يحتمل أن يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] وتخصيص داود - عليه السلام - بذلك إنما كان بسبب أنه كان يعرف ذلك ضرورة فيزداد يقينا وتعظيما.

وقالت المعتزلة: لو حصل الكرم في الجبل لحصل إما بفعله أو بفعل الله فيه، والأول محال، لأن بنية الجبل لا تحتمل الحياة والعلم والقدرة، وما لا يكون حيا قادرا عاقلا يستحيل مه الفعل.

والثاني محال، لأن المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام لا من كان محلا للكلام فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله لكان المتكلم هو الله لا الجبال. فثبت أنه لا يمكن إجراؤه على ظاهره، فعند هذا قالوا: معنى قوله: ﴿وسخرنا مع داوود الجبال﴾ قوله: ﴿ياجبال أوبي معه﴾ [سبأ: ١٠] أي: تصرفي معه وسيري بأمره. ومعنى «يسبحن» من السبح الذي هو السباحة خرج اللفظ فيه على التكثير ولو أفرد لقيل: اسبحي، فلما كثر قيل سبحي معه، أي: سيري وهو كقوله: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ [المزمل: ٧] أي: تصرفا ومذهبا، إذا ثبت هذا فنقول: إن سيرها هو التسبيح لدلالته على قدرة الله. واعلم أن مدار هذا القول على أن بنية الجبال لا تقبل الحياة، وأن المتكلم من فعل الكلام، وكلاهما ممنوع، وأما «." (١)

"الوجه الثالث: أن المفعول الثاني محذوف. قال ابن عطية: المعنى الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبدا. فتقدير ابن عطية هذا مرشد لهذا الوجه. إلا أن أبا حيان قال: ولا يحتاج إلى هذا التقدير إلا إن كان أراد تفسير المعنى لا الإعراب فيسوغ؛ لأن الجملة في موضع المفعول الثاني، فلا يحتاج إلى هذا التقدير وإن جعلناها متعدية لواحد كان قوله: «للناس» متعلقا بالجعل على الغلبة وجوز فيه أبو البقاء وجهين آخرين: أحدهما: أنه حال من مفعول «جعلناه» .

والثاني: أنه مفعول تعدى إليه بحرف الجر.

وهذا الثاني لا يتعقل كيف يكون «للناس» مفعولا عدي إليه الفعل بالحرف هذا ما لا يعقل، فإن أراد أنه مفعول من أجله فهي عبارة بعيدة من عبارة النحاة. وأما على قراءة حفص فإن قلنا: «جعل» يتعدى لاثنين كان «سواء» مفعولا ثانيا. وإن قلنا: يتعدى لواحد كان حالا من هاء «جعلناه» وعلى التقديرين ف «العاكف» مرفوع به على الفاعلية؛ لأنه مصدر وصف به، فهو في قوة اسم الفاعل المشتق، تقديره:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٥٥٨

جعلناه مستويا فيه العاكف، ويدل عليه قولهم: مررت برجل سواء هو والعدم، فهو تأكيد للضمير المستتر فيه، **والعدم نسق على** الضمير المستتر؛ ولذلك ارتفع، ويروى: سواء والعدم؛ بدون تأكيد وهو شاذ وقرأ الأعمش وجماعة «سواء» نصبا «العاكف» جرا، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه بدل من الناس بدل تفصيل.." (١)

"كنعامى بألف التأنيث. وكذلك عن ابن عباس وعطاء إلا أنهما شددا الجيم. قوله: ﴿وعلى كل **ضامر﴾ نسق على** «رجالا» ، فيكون حالا أي: مشاة وركبانا. والضمور: الهزال، ضمر يضمر ضمورا، والمعنى أن الناقة صارت ضامرة لطول سفرها.

قوله: «يأتين» . النون ضمير «كل ضامر» حملا على المعنى، إذ المعنى: على ضوامر، ف «يأتين» صفة ل «ضامر» ، وأتى بضمير الجمع حملا على المعنى، أي جماعة الإبل، وقد تقدم في أول الكتاب أن «كل إذا أضيفت إلى نكرة لم يراع معناها إلا في قليل، كقوله:

٣٧٥٩ - جادت عليه كل عين ثرة ... فتركت كل حديقة كالدرهم

وهذه الآية ترده، فإن» كل «فيها مضافة لنكرة وقد روعي معناها، وكان بعضهم أجاب عن بيت زهير بأنه إنما جاز ذلك؛ لأنه في جملتين، قيل له: فهذه الآية جملة واحدة، لأن» يأتين «صفة ل» ضامر «. وجوز أبو حيان أن يكون الضمير يشمل» رجالا «و» كل ضامر «قال: على معنى الجماعات والرفاق. قال شهاب الدين: فعلى هذا." (٢)

"قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ الآية. هذه جملة من مبتدأ وخبر، إما على حذف مضاف، أي: ذو نور السموات والمراد بالنور: عدله، ويؤيد هذا قوله: «مثل نوره» وأضاف النور لهذين الظرفين إما دلالة على سعة إشراقه، وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما لإرادة أهل السموات والأرض، وأنهم يستضيئون به. ويجوز أن يبالغ في العبادة على سبيل المدح كقولهم: فلان شمس البلاد وقمرها قال النابغة:

٣٨٣١ - فإنك شمسس والملوك كواكب ... إذا ظهرت لم يبد منهن كوكب

وقال (آخر) :

٣٨٣٢ - قمر القبائل خالد بن يزيد ... ويجوز أن يكون المصدر واقعا اسم الفاعل، أي: منور السموات.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٩/١٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧٢/١٤

ويؤيد هذا الوجه قراءة أمير المؤمنين وزيد بن علي وأبي جعفر وعبد العزيز المكي: «نور» فعلا ماضيا، وفاعله ضمير الباري تعالى، «السموات» مفعوله، وكسره نصب، و «الأرض» **بالنصب نسق عليه**. وفسره الحسن فقال: «الله منور السموات» .." (١)

"كان يرجوه عظم ذلك عليه» . قال مجاهد: «السراب: عمل الكافر وإتيانه إياه موته ومفارقة الدنيا»

.

فإن قيل: قوله: ﴿حتى إذا جآءه﴾ يدل على كونه شيئا، وقوله: ﴿لم يجده شيئا﴾ مناقض له؟

فالجواب من وجوه:

الأول: معناه: لم يجد شيئا نافعا، كما يقال: فلان ما عمل شيئا، وإن كان قد اجتهد.

الثاني: «إذا جاءه» أي: جاء موضع السراب لم يجد السراب، لأن السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كأنه ضباب وهباء، فإذا قرب منه رق وانتشر وصار كالهواء.

قوله: ﴿ووجد الله عنده﴾ أي: وجد عقاب الله عنده الذي توعد به الكافر.

وقيل: وجد الله عنده، أي: عند عمله، أي وجد الله بالمرصاد.

وقيل: قدم على الله «فوفاه حسابه» أي: جزاء عمله. قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام.

قوله: ﴿والله سريع الحساب﴾ لأنه تعالى عالم بجميع المعلومات، فلا يشق عليه الحساب.

وقال بعض المتكلمين: «معناه: لا تشغله محاسبة أحد عن آخر كنحن، ولو كان يتكلم بآلة كما تقول مشبهة لما صح ذلك» .

قوله تعالى: ﴿أو كظلمات﴾ هذا مثل آخر ضربة الله تعالى لأعمال الكفار، وفي هذا العطف أوجه:

أحدها: **أنه نسق على** «كسراب» على حذف مضاف واحد، تقديره: أو كذي ظلمات، ودل على هذا المضاف قوله: ﴿إذآ أخرج يده لم يكد يراها﴾ فالكناية تعود إلى المضاف المحذوف.

وهو قول أبي علي.." (٢)

"قوله: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ فيه لطيفة وهي أن الإنسان له جسم وروح، فالأجسام أجزاءها في الأرض والأرواح في السماء فقوله: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٠/١٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٠٢/١٤

إشارة إلى علمه بالأرواح، وقوله: ﴿ولا في الأرض﴾ إشارة إلى عمله بالأجسم فإذا علم الروح والأجسام قدر على جمعها فلا اسبعاد في الإعادة.

قوله: «ولا أصغر» العامة على رفع «أصغر وأكبر» وفيه وجهان:

أحدهما: الابتداء، والخبر قوله «إلا في كتاب» .

والثاني: النسق على «مثقال» وعلى هذا فيكون: «إلا في كتاب» تأكيدا للنفي في: «لا يعزب» كأنه قال لكنه في كتاب مبين وقرأ قتادة والأعمش ورويت عن أبي عمرو ونافع أيضا بفتح الراءين. وفيها وجهان:

أحدهما: أنها «لا» التبرئة وبني اسمها معها، والخبر قوله: «إلا في كتاب» .

والثاني: النسق على «ذرة» وتقدم في يونس أن حمزة قرأ بفتح راء «أصغر» وأكبر «وهنا وافق على الرفع وتقدم البحث هناك.

قال الزمخشري: فإن قلت: هلا جاز عطف:» ولا أصغر «على» مثقال «وعطف» ولا أكبر «على ذرة؟ قلت: يأبي ذلك حرف الاستثناء إلا إذا جعلت الغيب اسما للخفيات قبل أن تكتب في اللوح المحفوظ لأنها إثبات في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى أنه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزال عنه إلا مسطورا في اللوح.

قال أبو حيان: ولا يحتاج إلى هذا التأويل إذ جعلنا الكتاب ليس اللوح." [١]

"الرابع: أنه منصوب بإضمار فعل أي سخرنا له الطير. قاله أبو عمرو، وقرأ السلمي والأعرج ويعقوب وأبو نوفل وأبو يحيي وعاصم - في رواية - والطير بالرفع، وفيه **أوجه: النسق على** لفظ «الجبال» وأنشد:

٤١١٤ - ألا يا زيد والضحاك سيرا ... فقد جوزتما خمر الطريق

بالوجهين، وفي عطف المفرف بأل على المنادى المضموم ثلاثة مذاهب، الثاني: عطفه على الضمير المستكن في «أوبي» وجاز ذلك، للفصل بالظرف، والثالث: الرفع على الابتداء والخبر مضمير أي والطير كذلك أي مؤوبة.

فصل

لم يكن الموافقون له في التأويب منحصرا في الطير والجبال ولكن ذكر الجبال لأن الصخور للجمود والطير للنفور وكلاهما مستبعد منه الموافقة، فإذا وافقه هذه الأشياء فغيرها أولى ثم إن من الناس من لم يوافقه وهم القاسية قلوبهم التي هي أشد قسوة.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦/٧

قال المفسرون كان داود إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير على من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل: كان داود إذا تخلل الجبال." (١)

"الطري يوجد فيهما والحلية تؤخذ منها والفلك تجري فيهما ولا نفع في الكفر والكافر. وهذا **على نسق قوله** تعالى: ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقوله: ﴿كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه المآء﴾ [البقرة: ٧٤] قال ابن الخطيب: والأظهر أن المراد من ذكر دليل آخر على قدرة الله تعالى وذلك من حيث إن البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء، فإن أحدهما فرات والآخر ملح أجاج ولولا ذلك بإيجاب موجب لما اختلفت المستويان ثم إنهما بعد اختلافهما يوجد منهما أمور متشابهة فإن اللحم الطري يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما ومن يوجد من المتشابهين اختلافا ومن المختلفين اشتباها لا يكون إلا قادرا مختارا فقوله: ﴿ما يستوي البحران﴾ إشارة إلى أن عدم استوئهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته.

فصل

قال أهل اللغة: لا يقال لماء البحر إذا كان فيه ملوحة مالح وإنما يقال له: ملح.

وقد يذكر في بعض كتب الفقه يصير بها ماء البحر مالحا. ويؤاخذ قائله (به) وهو أصح مما يذهب إليه القوم وذلك لأن الماء العذب إذا ألقي فيه ملح حتى ملح لا يقال له إلا مالح. وماء ملح يقال للماء الذي صار من أصل خلقته كذلك لأن المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق والماء الملح ليس ماء وملحا بخلاف الطعام المالح فالماء العذب الملقى فيه الملح ما فيه ملح ظاهر في الذوق بخلاف (ما هو ملح ظاهر في الذوق بخلاف) ما هو من أصل خلقته كذلك (فلما) قال الفقيه: الملح أجزاء أرضية سبخة يصير بها ماء البحر مالحا راعى فيه الأصل فإنه جعله ماء جاوره ملح. وأهل اللغة حيث قالوا في البحر ماؤه ملح جعلوه كذلك من أصل الخلقة والأجاج المر كما تقدم.

قوله: ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا﴾ من الطير والسمك من العذب والملح جميعا «وتستخرجون حلية» يعني من الملح دون العذب «تلبسونها» من اللؤلؤ والمرجان. وقيل: نسب اللؤلؤ إليهما لأنه قد يكون في البحر الأجاج (عيون) عذبة تمتزج بالملح فيكون." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١٦/١٦

"وروي أن رجلين خرجا يقصدان» رؤبة «ليسألاه عن هذا الحرف فقال لهما: أين تصيبان فعرفاها وقالا هذه بغيتنا، وأنشد الثعلبي على ذلك:

٤٢٧٤ – أصاب الجواب فلم يستطع ... فأخطا الجواب لدى المفصل

أي أراد الجواب ويقال:» أصاب الله بك خيرا «أي أراد بك وقيل: الهمزة في أصاب للتعدية من (أ) صاب يصوب أي نزل، قال:

٤٢٧٥ – ... ... تنزل من جو السماء يصوب

والمفعول محذوف أي أصاب جنوده أي حيث وجههم وجعلهم يصوبون صوب المطر، و «الشياطين» نسق على «الريح» و «كل بناء» بدل من «الشياطين» كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية.

روي أن سليمان – عليه (الصلاة و) السلام – أمر الجان فبنت له إصطخر، فكانت فيها قرار مملكة النزل قيدما، وبنت هل الجان أيضا «تدمر» وبين المقدس وباب جبرون وباب البريد الذين بدمشق على أحد الأقوال، وبنوا له ثلاثة قصور باليمن غدان وشالخين ويبنون ومدينة صنعاء. قوله: «وغواص» نسق على «بناء» أي يغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ. وألا بصيغة المبالغة لأنه في معرض الامتنان.

قوله: ﴿وآخرين﴾ عطف على «كل» فهو داخل في حكم البدل وتقدم شرح «مقرنين في الأصفاد» آخر سورة إبراهيم.." (١)

"يمكن أن يغلب سحرتنا وإن قتلته أدخلت الشبهة على الناس ويقولوا: إنه كان محقا وعجزا عن جوابه فقتلوه.

وثالثها: أنهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لأجل أن يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب أولئك الأقوام؛ لأن من شأن الأمراء أن يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا آمنين من قلب ذلك الملك.

الاحتمال الثاني: أن أحدا ما منع فرع من قتل موسى وأنه كان يريد قتله، إلا إنه كان خائفا من أنه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرات تمنعه من قتله فيفتضح إلا أنه ق ذروني أقتل موسى وغرضه منه إخفاء خوفه.

قوله: «وليدع ربه» أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله فيمنعه منا؛ ذكر ذلك استهزاءا.

قوله ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ قرأ الكوفيون ويعقوب (أو أن) بأو التي للإبهام ومعناه أنه لابد من وقوع أحد الأمرين والباقون بواو النسق على تسلط الخوف من التبديل وظهور

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٤/١٦

الفاسد معا. وفتح نافع وابن كثير وابو عمرو الياء من «إني أخاف» ؛ وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص «يظهر» بضم الياء وكسر الهاء من أظهر، وفاعله ضمير موسى عليه الصلاة والسلام «الفساد» نصبا على المفعول به والباقون بفتح الياء والهاء من ظهر الفساد، «الفساد» رفعا، وزيد بن علي يظهر مبنيا للمفعول الفساد مرفوع لقيامه مقام الفاعل ومجاهد «يظهر» بتشديد الظاء والهاء، وأصلها يتظهر من تظهر بتشديد الهاء فأدغم التاء في الظاء، «الفساد» رفع على الفاعلية.

فصل

ذكر فرعون النسب الموجب لقتل موسى وهو أن الموجب لقتله إما فساد الدين أو فساد الدنيا، أما فساد الدين فلأن القوم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو دينهم الذي كانوا عليه، فلما كان موسى ساعيا في إفساده اعتقدوا أنه ساع في إفساد الدين الحق، وأما فساد الدنيا فهو أنه لا بد وأن يجتمع عليه قوم ويصير ذلك سببا لوقوع الخصومات وإثارة الفتن، ولما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأمالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال: ﴿إني أخاف أن يبدل." (١)

"فصل

المعنى: وما أوتيتم من شيء من رياش الدنيا فمتاع الحياة الدنيا ليس من زاد المعاد، وسماه متاعا تنبيها على قلته وحقارته وجعله من متاع الدنيا تنبيها على انقراضه، وأما الآخرة فإنها خير وأبقى والباقي خير من الخسيس الفاني.

ثم بين أن هذه الخيرية إنما تحصل لمن كان موصوفا بصفات منها أن يكون من المؤمنين فقال ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ . وهذا يدل على من زعم أن الطاعةت توجب اثواب؛ لأنه متكل على عمل نفسه لا على الله فلا يدخل تحت الآية.

الصفة الثانية: قوله: «والذين **يجتنبون» نسق الى** «الذين» الأولى. وقال أبو البقاء: «الذين يجتنبون» في موضع جر بدلا من «الذين آمنوا» ويجوز أن يكون في محل نصب بإضمار «أعني» أو في موضع رفع على تقدير «هم» وهذا وهم منه في التلاوة كأنه اعتقد أن القرآن: وعلى ربهم يتوكلون الذين يجتنبون فبنى عليه الثلاثة الأوجه وهو بناء فاسد.

قوله: «كبائر الإثم» قرأ الأخوان هنا وفي النجم: «كبير الإثم: بالإفراد، والباقون كبائر بالجمع في السورتين، والمفرد هنا في معنى الجمع والرسم الكريم يحتمل القراءتين.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧/١٧

فصل

تقدم معنى كبائر الإثم في سورة النساء. قال ابن الخطيب: نقل الزمخشري عن ابن عباس: أن كبير الإثم هو الشرك، وهو عندي ضعيف لأن شرط الإيمان مذكور وهو يغني عن عدم الشرك، وقيل: كبائر الإثم ما يتعلق بالبدع واستخراج الشبهات. وأما." (١)

"وموسى، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء.

وقال مقاتل: هم ستة، نوح صبر على أذى قومه، كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار وذبح الولد، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب، صبر على فقد ولده، وذهاب بصره، ويوسف صبر في الجب والسجن، وأيوب صبر على الضر.

وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد خمسة. وقال البغوي: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ [الأحزاب: ٧] وفي قوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ [الشورى: ١٣] الآية روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: يا عائشة إن الله لم يرض لاولي العزم إلا بالصبر على مكروهها، والصبر على محبوبها لم يرض إلا ان كلفني ما كلفهم قال: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ ، وإني والله لا بد لي من طاعة، والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن ولا قوة إلا بالله.

قوله: ﴿ولا تستعجل لهم﴾ العذاب فإنه نازل بهم. قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم ضجر من قومه بعض الضجر، وأحب أن ينزل الله العذاب بمن أبى من قومه، فأمر بالصبر، وترك الاستعجال. ثم أخبر أن ذلك العذاب إذ أنزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة من نهار فقال: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من النهار، أو كان لم يكن لهول ما عاينوا، لأن ما مضى وإن كان طويلا صار كأنه لم يكن، قال الشاعر:

٤٤٦١ - كأن شيئا لم يكن إذا مضى ... كأن شيئا لم يكن إذا أتى

واعلم أنه تم الكلام ههنا.

قوله: «بلاغ» العامة على رفعه. وفيه وجهان:

أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف، فقدره بعضهم: تلك الساعة بلاغ، لدلالة قوله: ﴿إلا ساعة من نهار﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٩/١٧

. وقيل: تقديره هذا أي القرآن والشرع بلاغ من الله إليكم.

والثاني: أنه مبتدأ والخبر قله «لهم» الواقع بعد قوله ﴿ولا تستعجل﴾ أي لهم بلاغ." [1]

"بتقدير الله، كما أنه كف أيهديهم عنكم بالفرار، وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم.

روى ثابت عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلما فاستحياهم فأنزل الله: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ .

قال عبد الله بن مغفل المزني: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله تعالى «في القرآن» ، وعلى ظهره غصن من أغصان الشجرة فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فنادوا في وجوهنا فدعى عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد (أحد) أو هل جعل لكم أحد أمنا؟ قالوا: اللهم لا فخلى سبيلهم. فأنزل الله هذه الآية.

قوله: ﴿وكان الله بما تعملون بصيرا﴾ قرأ أبو عمرو يعلمون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء من فوق قرأ الغيبة فهو رجوع إلى قوله: «أيديهم» و «عنهم» . ومن قرأ بالخطاب فهو رجوع إلى قوله: أيديكم «و» عنكم «، والمعنى أن الله يرى فيه من المصلحة وإن كنتم لا ترون ذلك.

ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿م الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ وهذا أشارة إلى أن الكف لم يكن الأمر (فيهم) لأنهم كفروا وصدوكم وأحصروا وكل ذلك يقتضي قتالهم، فلا يقع لأحد أن الفريقين اتفقوا واصطلحوا، ولم يكن بينهما خلاف ولا نزاع بلا الاختلاف والنزاع باق مستمر؛ لأنهم هم الذين كفروا وصدوكم ومنعوكم فازدادوا كفرا وعداوة، وإنما ذلك للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات.

قوله:» والهدي «العامة على نصبه، والمشهور **أنه نسق على** الضمير المنصوب في»." [2]

"النساء: ٩٢] . وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل: إن المشركين يعيبوكم ويقولون قتلوا أهل دينهم وفعلوا بإخوانهم ما فعلوا بأعدائهم والمعرة السبة يقول لولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلموهم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢١/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠١/١٧

فيلزمكم به كفارة ويلحقكم به سبة لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك.

قوله: «**فتصيبكم» نسق على** ﴿فتصيبكم﴾ وقوله ﴿أن تطئوهم﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة ل «معرة» وأن يكون حالا من مفعول «تصيبكم» وقال أبو البقاء: من الضمير المجرور يعني في «منهم» . ولا يظهر معناه. أو أن يتعلق «بتصيبكم» أو أن يتعلق «بتطئوهم» ؛ أي تطئوهم بغير علم.

(فإن قيل: هذا تكرار، لأنه إن قلنا: هو بدل عن الضمير يكون التقدير: لم تعلموا أن تطئوهم بغير علم فيلزم تكرار بغير علم لحصوله بقوله: لم تعلموهم؟ .

فالجواب: أن يقال: قوله: «بغير علم» هو في موضعه أي فتصيبكم منهم معرة بغير علم من (الذي) يعركم ويعيب عليكم، يعني إن وطأتموهم غير عالمين يعركم (مسبة) الكفار «بغير علم» أي بجهل لأنهم لا يعلمون أنكم معذورون فيه. أو يقال تقديره: لم تعلموا أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم فيكون الوطء الذي يحصل بغير علم معذورين فيه. أو نقول: المعرة قسمان:

أحدهما: ما يحصل من القتل العمد والعدوان ممن هو غير عالم بحال المحل.

والثاني: ما حصل من القتل خطأ وهو عند عندم العلم فقال: تصبيكم منهم معرة بغير علم لا التي تكون عند العلم) .

والوطء هنا عبارة عن القتل والدوس، قال عليه الصلاة والسلام : «اللهم اشدد وطأتك على مضر» وأنشدوا:

٤٤٩٥ – ووطئتنا وطا على حنق ... وطء المقيد ثابت الهرم." (١)

"خفية في عسكره وقال: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خال ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منه إلا الطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فنزل ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جآءكم فاسق بنبإ﴾ يعني الوليد بن عقبة «بنبأ» بخبر، ﴿فتبينوا أن تصيببوا قوما بجهالة﴾ كيلا تصيبوا بالقتل والقتال قوما بجالهة ﴿فتصبحوا على ما فعلتم﴾ من إصابتكم بالخطأ، «نادمين» .

قال ابن الخطيب: وهذا ضعيف، لأن الله تعالى لم يقل: إني أنزلتها لكذا والنبي عليه الصلاة والسلام لم ينقل عنه أنه قال: وردت الآية لبيان ذلك حسب، غاية ما في الباب أنها نزلت في ذلك الوقت وهو مثل تاريخ نزول الآية، ومما يصدق ذلك ويؤكده أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد، بعيد لأنه توهم وظن فأخطأ،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٤/١٧

والمخطيء لا يسمى فاسقا، وكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة الإيمان، كقوله تعالى: ﴿إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [المنافقون: ٦] وقوله تعالى: ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف: ٥٠] وقوله: ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلمآ أرادوا أن يخرجوا منهآ أعيدوا فيها﴾ [السجدة: ٢٠] إلى غير ذلك؟! .

فصل

دلت الآية على أن خبر الواحد حجة وشهادة الفاسق لا تقبل أما في المسألة الأولى فلأنه علل الأمر بالتوقف بكونه فاسقا ولو كان خبر الواحد العدل لا يقبل لما كان للترتيب **على النسق فائدة** وأما في المسألة الثانية فلوجهين:

أحدهما: أنه أمر بالتبين وقيل قوله كان الحاكم مأمورا بالتبين، فلم يفد قوله الفاسق شيئا، ثم إن الله تعالى أمر بالتبين في الخبر والنبأ وباب الشهادة أضيق من باب الخبر.

الثاني: أنه تعالى قال: ﴿أن تصيبوا قوما بجهالة﴾ ، والجهل فو الخطأ؛ لأن المجتهد إذا أخطأ لا يسمى جاهلا فالذي يبني الحكم على قول الفاسق إن لم يصف جاهلا فلا يجوز البناء على قوله.

قوله: «أن تصيبوا» مفعول له كقوله: أن تحبط «. قال ابن الخطيب: معناه على." [1]

"وقال عطاء عن ابن عباس – (رضي الله عنهم –) : يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع.

وقال ابن الزبير: يريد سبيل البول والغائط يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين.

وقوله: أفلا تبصرون «قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث؟

قوله:» وفي أنفسكم «نسق على (ما) » في الأرض «فهو خبر عن» آيات «أيضا، والتقدير: وفي الأرض وفي أنفسكم آيات.

وقال أبو البقاء: ومن رفع بالظرف جعل ضمير» الآيات «في الظرف. يعني من يرفع الفاعل بالظرف مطلقا أي وإن لم يعتمد يرفع بهذا الجار فاعلا هو ضمير» آيات «.

وجوز بعضهم أن يتعلق ب» يبصرون «. وهو فاسد؛ لأن الاستفهام والفاء يمنعان جوازه.

وقرأ قتادة:» آية «بالإفراد، وقوله:» في أنفسكم «يحتمل أن يكون المراد فيكم، يقال: الحجارة في نفسها صلبة، ولا يراد بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات. ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات وقوله:» أفلا تبصرون «بالاستفهام إشارة إلى ظهورها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧/٥٣١

قوله: ﴿وفي السمآء رزقكم﴾ أي سبب رزقكم. وقرأ حميد وابن محيصن: رازقكم اسم فاعل، والله تعالى متعال عن الجهة. قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني بالرزق: المطر؛ لأنه سبب الأرزاق. وقيل: في السماء رزقكم مكتوب، وقيل: تقدير الأرزاق كلها من السماء، ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت.." (١)

"فإن قيل: كان ينبغي أن يكون بصيغة الماضي.

فالجواب: وبصيغة المستقبل أيضا كأنه يفرض الزمان (بعد) زمان الكلام كقوله تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ [الكهف: ١٨] .

الثاني: أن يكون المراد عامة الكفار.

وقرأ عبد الله وابن عباس وطلحة وعيسى بن عمر وابن وثاب: بالخطاب. وهو حسن موافق.

فإن قيل: كيف ذمهم على اتباع الظن ونحن مأمورون باتباعه في الفقه، وقال - عليه الصلاة والسلام - حكاية عن الله تعالى أنه قال: «أنا عند ظن عبدي؟»

فالجواب: أن الظن خلاف العلم وقد استعمل مجازا مكان العلم والعلم مكانه وأصل العلم الظهور ومنه العالم. وحروف العلم في تقاليبها فيها معنى الظهور منها لمع البرق إذا ظهر، ولمع الغزال إذا عدا، وكذلك علمت.

والظن إذا كان في مقابلة العلم ففيه الخفاء ومنه بئر ظنون لا يدري أفيه ماء أم لا؛ لخفاء الأمر فيه ودين ظنون. يخفى الأمر فيه فنقول: يجوز بناء الأمر على الظن عند العجز عن درك اليقين، وأما الاعتقاد فليس كذلك، لأن اليقين لم يتعذر علينا. وإلى هذا أشار بقوله: ﴿ولقد جآءهم من ربهم الهدى﴾ أي اتبعوا الظن وقد أمكنهم الأخذ باليقين. وفي العمل يمتنع ذلك أيضا. والله أعلم.

قوله: ﴿وما تهوى **الأنفس**﴾ **نسق على** (الظن) و «ما» مصدرية، أو بمعنى الذي. والمراد بما تهوى الأنفس هو ما زين لهم الشيطان.

قوله: ﴿ولقد جآءهم من ربهم الهدى﴾ يجوز أن يكون حالا من فاعل (يتبعون) أي يتبعون الظن وهوى النفس في حال تنافي ذلك وهي مجيء الهدى من عند ربهم. ويجوز أن يكون اعتراضا فإن قوله: «أم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٧٥

للإنسان» متصل بقوله: ﴿وما تهوى الأنفس﴾ ، وهي أم المنقطعة، فتقدر ببل والهمزة على الصحيح.
قال الزمخشري: ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنى.." [١]

"الصلاة إذا حضرت أوقاتها، وهو لا يستطيع الصلاة ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ مما بهم الآن من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت، أو من العجز والهرم، ونظير هذه الآية ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ [الواقعة: ٨٣] . ثم قال: واعلم أنه لا نزاع في أنه يمكن حمل اللفظ على ما قال أبو مسلم، ثم قال: فأما قوله: «إنه لا يمكن حمله على يوم القيامة بسبب أن الأمر بالسجود حاصل في الدنيا والتكاليف زائلة يوم القيامة» .

فجوابه: أن ذلك لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلت: إن ذلك غير جائز.

قوله ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود﴾ في الدنيا ﴿وهم سالمون﴾ معافون أصحاء.

قال إبراهيم التيمي: أي: يدعون بالأذان، والإقامة، فيأبون.

وقال سعيد بن جبير: كانوا يسمعون حي على الفلاح، فلا يجيبون، وهم سالمون أصحاء.

وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات.

وقيل: أي: بالتكليف الموجه عليهم في الشرع.

قوله: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ ، أي: فدعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم.

وقال الزجاج: لا تشغل بالك به كله إلي، فإني أكفيك أمره.

و «من» منصوب إما نسقا على ضمير المتكلم، أو مفعول معه، وهو مرجوح؛ لإمكان النسق من غير ضعف، وتقدم إعراب ما بعده.

فصل في مناسبة الآية لما قبلها

لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف مما عنده، وفي قدرته من القهر، يقال: ذرني وإياه أي كله إلي، فأنا أكفيكه.

قال السدي: والمراد بالحديث القرآن.

وقيل: يوم القيامة، وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/١٨٧

قوله: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ ، أي: سنأخذهم على غفلة، وهم لا يعرفون، فعذبوا يوم بدر.." (١)

"قوله: ﴿واصبر على ما يقولون﴾ ، أي: من الأذى، والسب، والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم، وفوض الأمر إلي، فإني إذا كنت وكيلا لك، أقوم بإصلاح أمرك أحسن من قيامك بأمور نفسك ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ ، الهجر: ترك المخالطة، أي: لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم فإن ذلك ترك للدعاء إلى الله تعالى، وكان هذا قبل الأمر بالقتال، ثم أمر بعد ذلك بقتالهم.

قال قتادة وغيره، نسختها آية القتال.

وقال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه [أقوام] ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم.

قال ابن الخطيب: وقيل وهو الأصح إنها محكمة.

قوله: ﴿وذرني والمكذبين﴾ . يجوز نصب «المكذبين» على المعية، وهو الظاهر، ويجوز على النسق وهو أوفق للصناعة.

والمعنى: ارض بي لعقابهم، نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين.

وقال مقاتل: نزلت في المطعمين يوم بدر، وهم عشرة تقدم ذكرهم في الأنفال.

وقال يحيى بن سلام: إنهم بنو المغيرة.

وقال سعيد بن جبير: أخبرت أنهم اثنا عشرة رجلا، «أولي النعمة» أي: أولي الغنى، والترفه واللذة في الدنيا ﴿ومهلهم قليلا﴾ يعني إلى مدة آجالهم، قالت عائشة - رضي الله عنها -: لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر.

وقيل: «ومهلهم قليلا» مدة الدنيا.

قوله: «أولي النعمة» ، نعت للمكذبين. و «النعمة» - بالفتح -: التنعم، وبالكسر، الإنعام، وبالضم: المسرة، يقال: نعمة ونعمة عين.." (٢)

"وقرأ هشام: بإسكانها تخفيفا.

قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ ، قرأ الكوفيون وابن كثير: بنصبهما، والباقون، بجرهما.

وفي الجر إشكال يأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٠٣/١٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٦٩/١٩

فالنصب: نسق على «أدنى» ؛ لأنه بمعنى وقت أدنى، أي: أقرب، استعير الدنو لقرب المسافة في الزمان، وهذا مطابق لما في أول السورة من التقسيم، وذلك أنه إذا قام أدنى من ثلثي الليل، فقد صدق عليه أنه قام الليل إلا قليلا، لأن الزمان لم يقم فيه، فيكون الثلث، وشيئا من الثلثين، فيصدق عليه قوله: «إلا قليلا» .

وأما قوله: «ونصفه» فهو مطابق لقوله: «ولا نصفه» ، وأما قوله: «وثلثه» فإن قوله: ﴿أو انقص منه قليلا﴾ قد ينتهى النقص في القليل إلى أن يكون الوقت ثلثي الليل، وأما قوله: ﴿أو زد عليه﴾ فإنه إذا زاد على النصف قليلا كان الوقت أقل من الثلثين. فيكون قد طابق أدنى من ثلثي الليل، ويكون قوله تعالى: ﴿نصفه أو انقص منه قليلا﴾ شرطا لمبهم ما دل عليه قوله: ﴿قم الليل إلا قليلا﴾ ، وعلى قراءة النصب: فسر الحسن «تحصوه» بمعنى تطيقوه، وأما قراءة الجر: فمعناها أنه قيام مختلف مرة أدنى من الثلثين، ومرة أدنى من الثلث وذلك لتعذر معرفة البشر بمقدار الزمان مع عذر النوم، وقد أوضح هذا كله الزمخشري، فقال: وقرىء: «نصفه وثلثه» بالنصب، على أنك تقوم أقل من الثلثين، وتقوم النصف والثلث، وهو مطابق لما مر فيه أول السورة في التخيير بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص وهو الثلث، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين.

وقرىء بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث، وهو مطابق للتخيير بين النصف، وهو أدنى من الثلثين، والثلث، وهو أدنى من النصف، والربع وهو أدنى من الثلث، وهو الوجه الأخير، انتهى.

يعني بالوجه الأخير ما قدمه أول السورة من التأويلات. وقال أبو عبد الله الفارسي: وفي قراءة النصب إشكال إلا أن يقدر نصفه تارة، وثلثه تارة، وأقل من النصف، والثلث تارة، فيصح المعنى.

فصل في بيان أن هذه الآية تفسير للقيام في أول السورة

قال القرطبي: هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا﴾ أو زد عليه – كما تقدم – وهي الناسخة لفريضة قيام الليل كما تقدم، ومعنى قوله تعالى: «تقوم» أي: تصلي، و «أدنى» ، أي: أقل.." (١)

"فقال: «أمر بمعنى مررت» .

قال بعضهم: ويكون في هذه الآية ت يعنى في آية «آل عمران» ت بمعنى «كان» فليجز عطفه على «قال» .

وقرأ ابن عامر: «فيكون» نصبا هنا، وفي الأولى من «آل عمران» ، وهي ﴿كن فيكون﴾ ، تحرزا من قوله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٤٨١

تعالى: ﴿كن فيكون الحق من ربك﴾ [آل عمران: ٥٠٦٠] .

وفي مريم: ﴿كن فيكون وإن الله ربي وربكم﴾ [مريم: ٣٥٣٦] .

وفي غافر: ﴿كن فيكون ألم تر إلى الذين يجادلون﴾ [غافر: ٦٨٦٩] .

ووافقه الكسائي على ما في «النحل» و «يس» .

وهي: ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] .

أما آيتا «النحل» و «يس» فظاهرتان: لأن ما قبل الفعل منصوبا يصح عطفه عليه، وسيأتي.

وأما ما انفرد به ابن عامل في هذه المواضع الأربعة، فقد اضطرب كلام الناس فيها، وهي لعمري تحتاج إلى فضل نظر وتأمل، ولذلك تجرأ بعض الناس على هذا الإمام اكلبير، فقال ابن مجاهد: قرأ ابن عامر: «فيكون» نصبا، وهذا غير جائز في العربيةح لأنه لا يكون الجواب هنا للأمر بالفاء إلا في «يس» و «النحل» ن **فإنه نسق لا** جواب.

وقال في «آل عمران» : قرأ ابن عامر وحده: «كن فيكون» بالنصب وهو وهم. قال: وقال هشامك كان أيوب بن تميم يقرأ: «فيكون» نصبا، ثم رجع فقرأ: «يكون» رفعا.

وقال الزجاج: «كن فيكون» رفع لاغير.

وأكثر ما أجابوا بأن هذا مما روعي فيه ظاهر اللفظ من غير ناظر لملعنى، يريدون أه قد وجد في اللفظ صورة أمر فنصبتا في جوابه بالفاء.

وأما إذا نظرنا إلى جانب المعنى، فإن ذلك لا يصح لوجهين:." (١)

"فصل في الضمير في عاليهم

قال ابن الخطيب: والضمير في «عاليهم» إما للولدان أو للأبرار.

فكأنهم يلبسون عدة من الثياب، فيكون الذي يعلوها أفضلها، ولهذا قال تعالى «عاليهم» أي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس، والمعنى: أن حجالهم من الحرير والديباج.

قوله تعالى: ﴿ثياب سندس﴾ . قرأ العامة: بإضافة الثياب لما بعدها.

وأبو حيوة وابن أبي عبلة: «ثياب» منونة، ﴿سندس خضر وإستبرق﴾ برفع الجميع ف «سندس» نعت ل «ثياب» ؛ لأن «السندس» نوع، و «خضر» نعت ل «سندس» يكون أخضر وغير أخضر، كما أن الثياب تكون سندسا وغيره، و **«إستبرق» نسق على** ما قبله، أي: وثياب إستبرق.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٧/٢

واعلم أن القراءة السبعة في «خضر» ، و «إستبرق» على أربع مراتب.

الأولى: رفعهما، لنافع وحفص فقط.

الثانية: خفضهما، الأخوين فقط.

الثالثة: رفع الأول، وخفض الثاني، لأبي عمرو وابن عامر فقط.

الرابعة: عكسه، لابن كثير وأبي بكر فقط.

فأما القراءة الأولى: فإن رفع «خضر» على النعت ل «ثياب» ورفع «إستبرق» نسق على «الثياب» ولكن على حذف مضاف أي: وثياب إستبرق ومثله: على زيد ثوب خز وكتان أي: وثوب كتان.

وأما القراءة الثانية: فيكون جر «خضر» على النعت ل «سندس» .

ثم استشكل على هذا وصف المفرد بالجمع، فقال مكي: هو اسم جمع.

وقيل: هو جمع «سندسة» ك «تمر وتمرة» ووصف اسم الجنس بالجمع يصح، قال تعالى ﴿وينشىء السحاب الثقال﴾ [الرعد: ١٢] ، و ﴿أعجاز نخل منقعر﴾ [القمر: ٢٠] ، و ﴿من الشجر الأخضر﴾ [يس: ٨٠] وإذا كانوا قد وصفوا المحل لكونه مرادا به الجنس بالجمع في قولهم: «أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض» ، وفي التنزيل: ﴿أو." (١)

"الطفل الذين﴾ [النور: ٣١] فلأن يوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى، وجر «إستبرق» نسقا على «سندس» ، لأن المعنى ثياب من سندس، وثياب من إستبرق.

وما القراءة الثالثة: فرفع «خضر» نعتا ل «ثياب» وجر «إستبرق» نسقا على سندس أي: ثياب خضر من سندس، ومن إستبرق، فعلى هذا يكون الإستبرق أيضا أخضر.

وأما القراءة الرابعة: فجر «خضر» على أنه نعت ل «سندس» ورفع «إستبرق» على النسق على «ثياب» بحذف مضاف، أي: وثياب استبرق. وتقدم الكلام على مادة السندس والإستبرق في سورة الكهف.

وقرأ ابن محيصن: «وإستبرق» بفتح القاف، ثم اضطرب النقل عنه في الهمزة، فبعضهم ينقل عنه أنه قطعها، وبعضهم ينقل أنه وصلها.

قال الزمخشري: «وقرئ:» وإستبرق «نصبا في موضع الجر على منع الصرف، لأنه أعجمي، وهو غلط؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف، تقول الإستبرق، إلا أنه يزعم ابن محيصن أنه قد جعل علما لهذا الضرب

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٤/٢٠

من الثياب، وقرأ:» واستبرق «بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى ب» استفعل «من البريق، وهو ليس بصحيح – أيضا – لأنه معرب مشهور تعريبه وأصله استبره» .

وقال أبو حيان: ودل قوله: إلا أن يزعم ابن محيصن، وقوله بعد: وقرئ «واستبرق» بوصل الألف والفتح، أن قراءة ابن محيصن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف والمنقول عنه في كتب القراءات: أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف.

قال شهاب الدين: قد سبق الزمخشري إلى هذا مكي، فإنه قال: وقد قرأ ابن محيصن بغير صرف وهو وهم إن جعله اسما؛ لأنه نكرة منصرفة.

وقيل: بل جعله فعلا ماضيا من «برق» فهو جائز في اللفظ بعيد في المعنى.

وقيل: إنه في الأصل فعل ماض على «استفعل» من «برق» ، فهو عربي من البريق، فلما سمي به قطعت ألفه؛ لأنه ليس من أصل الأسماء أن يدخلها ألف الوصل، وإنما دخلت معتلة مغيرة عن أصلها، معدودة، لا يقاس عليها؛ ׀انتهى، فدل قوله «قطعت ألفه» إلى آخره، أنه قرأ بقطع الهمزة وفتح القاف، ودل قوله أولا: وقيل: بل جعله فعلا ماضيا من «برق» ، أنه قرأ بوصل الألف، لأنه لا يتصور أن يحكم عليه بالفعلية غير منقول إلى." (١)

"والثاني: أنه منصوب على الظرف واقعا خبرا ل «هذا» على أن يشار به لما تقدم من الوعيد، كأنه قال: هذا العقاب المذكور كائن يوم لا ينطقون وقد تقدم آخر المائدة ما يشبه هذا في قوله تعالى: «هذا يوم ينفع» إلا أن النصب هناك متواتر.

قوله: ﴿ولا يؤذن﴾ العامة: على عدم تسمية الفاعل. وحكى الأهوازي عن زيد بن علي: «ولا يأذن» سمى الفاعل، وهو الله تعالى.

وقوله: فيعتذرون «. في رفعه وجهان:

أحدهما: أنه مستأنف، أي فهم يعتذرون.

قال أبو البقاء: ويكون المعنى: أنهم لا ينطقون نطقا ينفعهم، أو ينطقون نطقا في بعض المواقف ولا ينطقون في بعضها.

والثاني: أنه معطوف على» يؤذن «فيكون منفيا، ولو نصب لكان متسببا عنه.

وقال ابن عطية:» ولم ينصب في جواب النفي لتشابه رءوس الآي، والوجهان جائزان «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥/٢٠

فظهر من كلامه أنهما بمعنى واحد، وليس كذلك بل المرفوع له معنى غير معنى المنصوب، وإلى هذا ذهب الأعلم إلى أن الفعل قد يرتفع ويكون معناه النصب، ورد عليه ابن عصفور.

قال الفراء في قوله:» ولا يؤذن لهم فيعتذرون «: الفاء نسق، أي عطف على» يؤذن «، وأجيز ذلك، لأن آخر الكلام بالنون، ولو قال: فيعتذروا، لم يوافق الآيات، وقد قال: ﴿لا يقضى عليهم فيموتوا﴾ [فاطر: ٣٦] ، بالنصب، وكل صواب، ومثله: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه﴾ [البقرة: ٢٤٥] ، بالرفع والنصب.

فصل في تخويف الكفار

هذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار، لأن الله – تعالى – بين أنه ليس لهم عذر ولا حجة فيما أتوا به من القبائح، ولا لهم قدرة على رفع العذاب عن أنفسهم، واعلم أن يوم القيامة له مواطن ومواقيت، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها ولا يعتذرون.

روى عكرمة: أن ابن عباس – رضي الله عنهما – سأله ابن الأزرق عن قوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ و ﴿فلا تسمع إلا همسا﴾ [طه: ١٠٨] ، وقد قال تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ [الطور: ٢٥] . فقال له: إن الله – تعالى – يقول:

﴿وإن يوما عند ربك." (١)

"تخصه بالغلظة، وأما كونه مأذونا له في تأديب أصحابه، لكن هنا لما أوهم تقديم الأغنياء على الفقراء، وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين، فلهذا السبب عوتب.

فصل فيمن استدل بالآية على جواز صدور الذنوب من الأنبياء

قال ابن الخطيب: تمسك القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – بهذه الآية.

وقالوا: لما عوتب النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الفعل دل على أنه كان معصية.

قال ابن الخطيب: وهذا بعيد لما ذكرنا في الجواب عن الأول، وأيضا: فإن هذا من باب الاحتياط وترك الأفضل.

قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ ؛ الظاهر أنه أجرى الترجي مجرى الاستفهام، لما بينهما من معنى الطلب في التعليق، لأن المعنى منصب على تسليط الدراية على الترجي، إذ التقدير: لا يدري ما هو مترجى منه التركيب، أو التذكر.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٣/٢٠

وقيل: الوقف على «يدري» ، والابتداء بما بعده على معنى: وما يطلعك على أمره، وعاقبة حاله، ثم ابتدأ، فقال: «لعله يزكى» .

فصل في تحرير الضمير في قوله: «لعله»

قيل: الضمير في «لعله» للكافر، يعني: لعل إذا طمعت في أن يتزكى بالإسلام.

﴿أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ أي: قبول الحق، «وما يدريك» أن ما طمعت فيه كائن، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ [الأنعام: ٥٢] .

وقوله: ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٢٨] .

قوله: ﴿أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ .

قرأ عاصم: «فتنفعه» بالنصب.

والباقون: بالرفع.

فمن رفع، **فهو نسق على** قوله: «أو يذكر» .

ومن نصب، فعلى جواب الترجي كقوله في «المؤمن» : ﴿فأطلع﴾ [غافر: ٣٧] ، وهو مذهب كوفي وقد تقدم الكلام عليه.." (١)

"بضميرها، أو بالألف واللام ومن هنا قيل: «لن يغلب عسر يسرين» .

وقال الزمخشري أيضا فإن قلت: «إن» مع «للصحبة، فما معنى اصطحاب اليسر والعسر؟ قلت: أراد أن الله – تعالى – يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرب اليسر المترقب، حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية، وتقوية للقلوب.

وقال أيضا فإن قلت: فما معنى هذا التنكير؟ .

قلت: التفخيم كأنه قيل: إن مع العسر يسرا عظيما، وأي يسر، وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة.

فإن قلت: فإذا أثبت في قراءته غير مكرر فلم قال: والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر، حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين؟ .

قلت: كأنه قصد اليسرين، وأما في قوله:» يسرا «من معنى التفخيم، فتأوله بيسر الدارين، وذلك يسران في الحقيقة.

فصل في تعلق هذه الآية بما قبلها

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠/١٥٥

تعلق هذه الآية بما قبلها أن الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فعيره المشركون بفقره، حتى قالوا له: نجمع لك مالا، فاغتنم لذلك، وظن أنهم إنما رغبوا عن الإسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم، فعدد الله – تعالى – عليه منته بقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك﴾ ، أي: ما كنت فيه من أمر الجاهلية، ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل في قلبه ما حصل فيه من التأذي، بكونهم عيروه بالفقر، فقال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا﴾ فعطفه بالفاء أي: لا يحزنك ما عيروك به في الفقر، فإن ذلك يسرا عاجلا في الدنيا فأنجز له ما وعده، فلم يمت، حتى فتح عليه» الحجاز «، و» اليمن «ووسع عليه ذات يده، حتى كان يعطي الرجل المائتين من الإبل، ويهب الهبات السنية، وترك لأهله قوت سنته، وهذا وإن كان خاصا بالنبي – عليه الصلاة والسلام – فقد يدخل فيه بعض أمته صلى الله عليه وسلم إن شاء الله تعالى، ثم ابتدأ فصلا آخر من أمر الآخرة، فقال:

﴿إن مع العسر يسرا﴾ فهذا شيء آخر، والدليل على ابتدائه، تعديه من فاء، وواو، وغيرهما من **حروف النسق التي** تدخل على العطف، فهذا عام لجميع للمؤمنين، ﴿إن مع العسر يسرا﴾ للمؤمنين يسرا في الآخرة لا محالة، وربما اجتمع يسر الدنيا، ويسر الآخرة.." (١)

"الثالث: أنه تبارك وتعالى أوجب في أول الآية الكريمة رعاية المماثلة، وهو قوله ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى. .﴾ ، فلما ذكر عقيبة قوله: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد﴾ دل على أن رعاية التسوية في الحرية والعبودية معتبرة؛ لأن قوله: ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد﴾ خرج مخرج التفسير لقوله ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى. .﴾ ، فإيجاب القصاص على الحر بقتل العبد إهمال لرعاية التسوية؛ فوجب ألا يكون مشروعا؛ ويؤيد ما ذكرنا قوله صلى الله عليه وسلم «لا يقتل حر بعبد، ولا مؤمن بكافر» ، فإن أخذ الخصم بقوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيهآ أن النفس بالنفس﴾ [المائدة: ٤٥] ، فالجواب من وجهين:

أحدهما: هذه الآية شرع من قبلنا وليس شرعا لنا، والآية التي نحن فيها شرعنا، فهذا أقوى في الدلالة.

والثاني: أن هذه الآية الكريمة مشتملة على أحكام النفوس على التفصيل والتخصيص، وتلك عامة، والخاص متقدم على العام، ثم قال أصحاب هذا القول إن ظاهر الآية يقتضي ألا يقتل العبد بالحر ولا تقتل الأنثى بالذكر، إلا إذا خالفنا هذا الظاهر؛ للإجماع وللمعنى المستنبط **من نسق هذه** الآية الكريمة، وذلك المعنى غير موجود في الحر بالعبد؛ فوجب أن يبقى هاهنا على ظاهر اللفظ، أما الإجمماع فظاهرة، وأما المعنى المستنبط، فهو أنه لما قتل العبد بالعبد، فلأن يقتل بالحر الذي هو فوقه أولى، بخلاف الحر، فإن لما قتل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠/٤٠٢

بالحر، لا يلزم: أن يقتل بالعبد الذي هو دونه، وكذا القول في قتل الأنثى بالذكر، وأما قتل الذكر بالأنثى، فليس فيه إلا الإجماع.

القول الثاني: أن قوله تعالى: ﴿الحر بالحر﴾ لا يفيد الحصر، بل يفيد شرع القصاص بين الذكور من غير أن يكون فيه دلالة على سائر الأقسام؛ واحتجوا عليه بوجهين:

الأول: أن قوله: ﴿والأنثى بالأنثى﴾ يقتضي قصاص المرأة الحرة بالمرأة الرقيقة، فلو كان قوله ﴿الحر بالحر والعبد بالعبد. .﴾ مانعا من ذلك، لوقع التناقض.

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى. .﴾ جملة تامضة مستقلة بنفسها.

وقوله: ﴿الحر بالحر﴾ تخصيص لبعض الجزئيات بالذكرن وتخصيص بعض الجزئيات بالذكر لا يمنع من ثبوت الحكم؛ كسائر الجزئيات، وذلك التخصيص يمكن أن يكون لفائدة سوى نفي الحكم عن سائر الصور، ثم اختلفوا في تلك الفائدة، فذكروا فيها وجهين:." (١)

"بلفظ المؤنث؛ لأنها في معنى المذكر، وهو الإيصاء؛ كقوله تعالى: ﴿فمن جآءه موعظة﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي وعظ، أو تعود على نفس الإيصاء المدلول عليه بالوصية، إلا أن اعتبار المذكر في المؤنث قليل، وإن كان مجازيا؛ ألا ترى أنه لا فرق بين قولك: «هند خرجت، والشمس طلعت» ، ولا يجوز: «الشمس طلع» كما لا يجوز: «هند خرج» إلا في ضرورة.

وقيل: تعود على الأمر، اولفرض الذي أمر الله به وفرضه.

وقيل: تعود إلى معنى الوصية، وهو قول، أو فعل، وكذلك الضمير في «سمعه» والضمير في «إثمه» يعود على الإيصاء المبدل، أو التبديل المفهوم من قوله: «بدله» ، وقد راعى المعنى في قوله: ﴿على الذين يبدلونه﴾ ؛ إذ لو جرى **على نسق اللفظ** الأول، لقال ﴿ فإنما إثمه على الذين يبدلونه﴾ ، وقيل: الضمير في «بدله» يعود على الكتب، أو الحق، أو المعروف، فهذه ستة أقوال، و «ما» في قوله: «بعدما سمعه» يجوز أن تكون مصدرية، أي: بعد سماعه، وأن تكون موصولة بمعنى «الذي» ، فالهاء في «سمعه» على الأول تعود على ما عاد عليه الهاء في «بدله» ؛ وعلى الثاني: تعود على الموصول، أي «بعد الذي سمعه من أوامر الله» .

فصل في بيان المبدل

في المبدل قولان:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٢١٩

أحدهما: انه الوصي، أو الشاهد، أو سائر الناس

أما الوصي: فبأن يغير الموصى به: إما في الكتابة، أو في قسمة الحقوق، وأما الشاهد: فبأن يغير شهادته، أو يكتمها، وأما غير الوصي والشاهد؛ فبأن يمنعوا من وصول ذلك المال إلى مستحقه، فهؤلاء كلهم داخلون تحت قوله: «فمن بدله» .

الثاني: أن المبدل هو الموصي، نهي عن تغيير الوصية عن موضعها التي بين الله تعالى الوصية إليها؛ وذلك أنا بينا أنهم كانوا في الجاهلية يوصون للأجانب، ويتركون الأقارب في الجوع والضر، فأمرهم الله تعالى بالوصية إلى الأقربين، ثم زجر بقوله: ﴿فمن بدله بعدما سمعه﴾ أي: من أعرض عن هذا التكليف، وقوله: ﴿إن الله سميع ءليم﴾ ، أي سميع لما أوصى به النموصي، عليم بنيتهن لا تخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها.

فصل في تبديل الوصية بما لا يجوز

قال القرطبي: لا خلاف أنه إذا أوصبى بما لا يجوز؛ مثل: أن يوصي بخمر، أو." [(١)]

"ظهورها﴾ مثل ضربه الله تعالى، وليس المراد ظاهره وتفسير أن الطريق المستقيم هو الطريق المعلوم، وهو أن يستدل بالمعلوم على المظنون، ولا ينعكس.

وإذا عرف هذا، فنقول: ثبت بالدلائل أن للعالم صانعا، مختارا، حكيما، وثبت أن الحكيم لا يفعل إلا الصواب البريء عن البعث والسفه.

وإذا عرفنا ذلك، وعرفنا أن اختلاف أحوال القمر في النور من فعله علمنا أن فيه حكمة ومصلحة، لأنا علمنا أن الحكيم لا يفعل إلا الحكمة، واستدللنا بالمعلوم على المجهول، فأما أن يستدل بعدم علمنا بالحكمة فيه على أن فاعله ليس بحكيم، فهو استدلال باطل؛ لأنه استدلال بالمجهول على القدح في المعلوم، وإذا عرف هذا، فالمراد من قوله تعالى: ﴿ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ يعني: أنكم لما لم تعلموا الحكمة في اختلاف نور القمر، صرتم شاكين في حكمة الخالق، وقدأتيتم الشيء من غير طريقه «إنما البر بأن تأتوا البيوت من أبوابه ا» وتستدلوا بالمعلوم المتيقن، لا تعلمونها، فجعل إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح؛ وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم، وهذا طريق مشهور في الكناية؛ فإن من أرشد غيره إلى الصواب، يقول له: ينبغي أن تأتي الأمر من بابه، وفي ضده قالوا: ذهبإل لاشيء من غير بابه، قال تعالى: ﴿فنبذوه ورآء ظهورهم﴾ [آل عمراان: ١٨٧] وقال عز من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٤٤/٣

قائل: ﴿واتخذتموه ورآءكم ظهريا﴾ [هود: ٩٢] وهذا تأويل المتكلمين.

قال ابن الخطيب: ولا يصح تفسير هذه الآية؛ لأن الوجه الأول **يغير نسق الترتيب**، وكلام الله تعالى منزه عن ذلك.

الوجه الثالث: قال أبو مسلم: إن المراد من هذه الآية ما كانوا يعملونه من النسيء؛ فإنهم كانوا يخرجون الحج عن وقته الذي عينه الله تعالى لهم، فيحرمون الحلال، ويحلون الحرام، فذكر إتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفة الواجب في الحج وشهوره.." (١)

"شعر شاعر «؛ كما قال به الفارسي وصاحبه، أو يجعل» أشد «من صفات الأعيان، لا من صفات الإذكار؛ كما قال به الزمخشري، أو يجعل» أشد «حالا من» ذكرا «أو ننصبه بفعل و» أو «هنا قيل للإباحة، وقيل للتخيير، وقيل: بمعنى بل، وهو قول أكثر المفسرين.

قوله: ﴿فمن الناس من يقول ربنآ آتنا في الدنيا﴾ » من «مبتدأ، وخبره في الجار قبله، ويجوز أن تكون فاعلة عند الأخفش، وأن تكون نكرة موصوفة، وفي هذا الكلام التفات؛ إذ لو جرى **على النسق الأول**، لقيل:» فمنكم «، وحمل على معنى» من «؛ إذ جاء جمعا في قوله:» ربنا آتنا «، ولو حمل على لفظها، لقال» رب آتني «.

وفي المفعول الثاني ل» آتنا «- لأنه يتعدى لاثنين ثانيهما غير الأول - ثلاثة أقوال:

أظهرها: أنه محذوف؛ اختصارا أو اقتصارا؛ لأنه من باب» أعطى «، أي: آتنا ما نريد، أو مطلوبنا.

والثاني: أن «في» بمعنى «من» أي: من الدنيا.

والثالث: أنها زائد، أي: آتنا الدنيا، وليسا بشيء.

فصل

واعلم أنه بين أولا مناسك الحج، ثم أمر بعدها بالذكر، ثم بين بعد الذكر كيفية الدعاء، وهذا من أحسن الترتيب؛ فإن تقديم العبادة يكسر النفس، وبعد العبادة لا بد من الاشتغال بذكر الله، فإن به يكمل الدعاء؛ كما حكي عن إبراهيم - عليه السلام -؛ أنه قدم الذكر على الدعاء، فقال: ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨] ثم قال: ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين﴾ [الشعراء: ٨٣] ثم بين - تبارك وتعالى - أن الذين يدعون فريقان: أحدهما يطلب الدنيا، والثاني يطلب الدنيا والآخرة، وقد بقي قسم ثالث وهو طلب الآخرة؛ واختلفوا في هذا القسم: هل هو مشروع أم لا؟ والأكثرون على أنه غير مشروع؛ لأن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٣٩/٣

الإنسان ضعيف لا طاقة له بآلام الدنيا؛ فالأولى أن يستعيذ بربه من كل شر في الدنيا والآخرة.

روى القفال في «تفسيره» عن أنس – رضي الله عنه – «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل على رجل يعود، قد أنهكه المرض حتى صار كالفرخ، فقال: ما كنت تدعوا الله به قبل هذا؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجل به في الدنيا، فقال النبي – عليه السلام –: سبحان الله!! إنك لا تطيق ذلك؛ هلا قلت:» ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار «قال: فدعا له رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فشوفي»." (١)

"مفعول به ناصبه» تأخذوا «. ويجوز أن يكون مصدرا، أي: شيئا من الأخذ. والوجهان منقولان في قوله: ﴿لا تظلم نفس شيئا﴾ [يس: ٥٤] . قوله: ﴿إلا أن يخافآ﴾ هذا استثناء مفرغ، وفي» أن يخافا «وجهان: أحدهما: أنه في محل نصب على أنه مفعول من أجله، فيكون مستثنى من ذلك العام المحذوف، والتقدير: ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب، إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله، وحذف حرف العلة؛ لاستكمال شروط النصب، لا سيما مع» أن «ولا يجيء هنا خلاف الخليل وسيبويه: أهي في موضع نصب، أو جر بعد حذف اللام، بل هي في محل نصب فقط، لأن هذا المصدر لو صرح به، لنصب، وهذا قد نص عليه النحويون، أعني كون» أن «وما بعدها في محل نصب، بلا خلاف، إذا وقعت موقع المفعول له. والثاني: أنه في محل نصب على الحال، فيكون مستثنى من العام أيضا، تقديره: ولا يحل لكم في كل حال من الأحوال إلا في حال خوف ألا يقيما حدود الله، قال أبو البقاء: والتقدير: إلا خائفين، وفيه حذف مضاف، تقديره: ولا يحل لكم أن تأخذوا على كل حال، أو في كل حال إلا في حال الخوف، والوجه الأول أحسن، وذلك أن» أن «وما في حيزها مؤولة بمصدر، وذلك المصدر واقع موقع اسم الفاعل المنصوب على الحال، والمصدر لا يطرد وقوعه حالا، فكيف بما هو في تأويله!! وأيضا فقد نص سيبويه على أن» أن «المصدرية لا تقع موقع الحال.

والألف في قوله «يخافا» و «يقيما» عائدة على صنفي الزوجين، وهذا الكلام فيه التفات، إذ لو جرى على نسق الكلام، لقيل: «إلا أن تخافوا ألا تقيموا» بتاء الخطاب للجماعة، وقد قرأها كذلك عبد الله، وروي عنه أيضا بياء الغيبة، وهو التفات أيضا. والقراءة في «يخافا» بفتح الياء واضحة، وقرأها حمزة وأبو جعفر ويعقوب بضمها على البناء للمفعول، وقد استشكلها جماعة، وطعن فيها آخرون لعدم معرفتهم بلسان

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٣٦/٣

العرب، وقد ذكروا فيها توجيهات كثيرة، أحسنها أن يكون «أن يقيما» بدلا من الضمير في «يخافا» ؛ لأنه يحل محله، تقديره: إلا أن يخاف عدم إقامتهما حدود الله،." [1]

"والتكليف: الإلزام، وأصله من الكلف، وهو الأثر من السواد في الوجه؛ قال: [البسيط]

١١٢٨ - يهدي بها أكلف الخدين مختبر ... من الجمال كثير اللحم عيثوم

فمعنى «تكلف الأمر» ، أي: اجتهد في إظهار أثره.

وفلان كلف بكذا: أي مغرى به.

و «الوسع» هنا ما يسع الإنسان فيطيق أخذه من سعة الملك أي الغرض، ولو ضاق لعجز عنه، فالسعة بمنزلة القدرة، ولهذا قيل: الوسع فوق الطاقة، والمراد منه: أن أبا الصبي لا يتكلف الإنفاق عليه، وعلى أمه، إلا ما تتسع له قدرته، لأن الوسع ما تتسع له القدرة، ولا يبلغ استغراق القدرة؛ وهو نظير قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق ممآ آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا مآ آتاها﴾ [الطلاق: ٧]
.

فصل في احتجاج المعتزلة بالآية

تمسك المعتزلة بهذه الآية في أن الله - تعالى - لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه.

وقوله: ﴿لا تضآر﴾ ابن كثير، وأبو عمرو: «لا تضار» برفع الراء مشددة، وتوجيهها واضح، لأنه فعل مضارع لم يدخل عليه ناصب ولا جازم فرفع، وهذه القراءة مناسبة لما قبلها، من حيث إنه عطف جملة خبرية على خبرية مثلها من حيث اللفظ وإلا فالأولى خبرية لفظا ومعنى، وهذه خبرية لفظا نهيية معنى ويدل عليه قراءة الباقين كما سيأتي.

قال الكسائي والفراء: **هو نسق على** قوله: «لا يكلف» .

قال عليين عيسى: هذا غلط؛ **لأن النسق ب** «لا» إنما هو إخراج على إخراج الثاني مما دخل فيه الأول نحو: «ضربت زيدا لا عمرا» فأما أن يقال: يقوم زيد لا يقعد عمرو، فهو غير جائز على النسق، بل الصواب أنه مرفوع على الاستئناف في النهي كما يقال: لا تضرب زيدا لا تقتل عمرا.

وقرأ باقي السبعة: بفتح الراء مشددة، وتوجيهها أن «لا» ناهية، فهي جازمة،." [2]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٦/٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧٦/٤

"حال كونها شرطية وجه آخر، وهو أن تكون منصوبة بفعل مضمر يفسره ما بعده، وتكون المسألة من باب الاشتغال، ويقدر الفعل بعدها؛ لأن لها صدر الكلام، والتقدير: فأي شخص جاءت الموعظة جاءته، ولا يجوز ذلك فيها موصولة؛ لأن الصلة لا تفسر عاملا؛ إذ لا يصح تسلطها على ما قبلها، وشرط التفسير صحة التسلط. وسقطت علامة التأنيث من فعل الموعظة لأن ثانيها غير حقيقي ولأنها في معنى الوعظ وأيضا للفصل بين الفعل، وفاعله بالمفعول. وقرأ أبي والحسن: «جاءته» على الأصل.

قوله: ﴿من ربه﴾ يجوز أن تكون متعلقة بجاءته، وتكون لابتداء الغاية؛ مجازا، وأن تتعلق بمحذوف على أنها صفة لموعظة، أي: موعظة من موعظات ربه، أي: بعض مواعظه.

وقوله

: ﴿فانتهى

﴾ **نسق على** «جاءته» عطفه بفاء التعقيب، أي: لم يتراخ انتهاؤه عن مجيء الموعظة.

وقوله: ﴿ومن عاد﴾ الكلام على «من» هذه في احتمال الشرط، والموصول، كالكلام على التي قبلها.

«عاد» أي: رجع، يقال: عاد يعود عودا، ومعادا، وعن بعضهم: أنها تكون بمعنى «صار» ؛ وأنشد [الطويل]

١٢٥٨ - وبالمحض حتى عاد عنطنطا ... إذا قام ساوى غارب الفحل غاربه

وأنشد: [الطويل]

١٢٥٩ - تعد لكم جزر الجزور رماحنا ... ويرجعن بالأسياف منكسرات

والضمير في قوله «فأمره» يعود على «ما سلف» ، أي: وأمر ما سلف إلى الله، أي: في العفو عنه وإسقاط التبعة منه. وقيل: يعود على المنتهي المدلول عليه بانتهى، أي: فأمر المنتهي عن الربا إلى الله؛ في العفو؛ والعقوبة.

وقيل: يعود على ذي الربا في أن ينتبه على الانتهاء، أو يعيده إلى المعصية.

وقيل: يعود على الربا، أي: في عفو الله عما شاء منه، أو في استمرار تحريمه.

قال الواحدي «السلوف» : التقدم، وكل شيء قدمته أمامك فهو سلف، ومنه الأمم السالفة، وسالف الذكر، وله سلف صالح: آباء متقدمون، ومنه ﴿فجعلناهم سلفا﴾ [."(١)

"أحدهما: أنه منصوب على المفعول من أجله، والعامل فيه «أنزل» أي: أنزل هذين الكتابين لأجل هدايته.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٥٤٤

وعلى هذا التقدير يكون قد وصف القرآن بأنه حق، ووصف التوراة والإنجيل بأنهما هدى، والوصفان متقاربان.

فإن قيل: لم وصف القرآن – في أول سورة البقرة – بأنه ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] ، ولم يصفه هنا بذلك؟ قيل: إنما وصفه – هناك – بذلك؛ [لأن] المتقين هم المنتفعون به، فهو هدى لهم لا لغيرهم وها هنا فالمناظرة كانت مع النصارى، وهم لا يهتدون بالقرآن، فلا جرم لم يقل هنا في القرآن إنه هدى، بل قال: إنه حق في نفسه – سواء قبلوه أو ردوه – وأما التوراة والإنجيل فهم يعتقدون صحتهما، ويدعون أنهم إنما يعولون في دينهم عليهما، فلا جرم، وصفهما بكونهما هدى. ويجوز أن يكون متعلقا – من حيث المعنى – ب «نزل» و «أنزل» معا، وتكون المسألة من باب التنازع على إعمال الثاني والحذف من الأول، تقديره: نزل عليك الكتاب له أي: للهدى، فحذفه.

ويجوز أن يتعلق بالفعلين – معا – تعلقا صناعيا، لا على وجه التنازع، بل بمعنى أنه علة للفعلين معا، كما تقول: أكرمت زيدا وضربت عمرا إكراما لك، يعني أن الإكرام علة الإكرام والضرب.

والثاني: أن ينتصب على الحال من التوراة والإنجيل. ولم يثن؛ لأنه مصدر، وفيه الأوجه المشهورة من حذف المضاف – أي ذوي هدى – أو على المبالغة – بأن جعلا نفس الهدى – أو على جعلهما بمعنى هاديين.

وقيل: إنه حال من الكتاب والتوراة والإنجيل.

وقيل: حال من الإنجيل فقط، وحذف مما قبله؛ لدلالة هذا عليه.

وقال بعضهم: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿من قبل﴾ فيوقف عليه، ويبتدأ بقوله: ﴿هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ أي: وأنزل الفرقان هدى للناس.

وهذا التقدير غير صحيح؛ لأنه يؤدي إلى تقديم المعمول على حرف النسق، وهو ممتنع؛ إذ لو قلت: قام زيد مكتوفة وضربت هندا – تعني وضربت هندا مكتوفة – لم يصح، فكذلك هذا.

قوله: «للناس» يحتمل أن يتعلق بنفس «هدى» لأن هذه المادة تتعدى باللام، كقوله تعالى: ﴿يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩] وأن يتعلق بمحذوف؛ لأنه صفة ل «هدى» .." (١)

"و ﴿هن أم الكتاب﴾ يجوز أن تكون الجملة صفة للنكرة قبلها، ويجوز أن تكون مستأنفة.

وأخبر بلفظ الواحد «أم» عن جمع «هن» إما لأن المراد أن كل واحدة منه أم، وإما لأن المجموع بمنزلة آية واحدة، كقوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون: ٥٠] ، وإما لأنه مفرد واقع موقع الجمع،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢١

كقوله: ﴿وعلى سمعهم﴾ [البقرة: ٧] .

وقوله: [الوافر]

١٣٢٢ - كلوا في بعض بطنكم تعفوا..... ... ...

وقوله: [الطويل]

١٣٢٣ - بها جيف الحسرى فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

وقال الأخفش: وحد «أم الكتاب» بالحكاية على تقدير الجواب، كأنه قيل: ما أم الكتاب؟ فقال: هن أم الكتاب، كما يقال: من نظير زيد؟ فيقول قوم: نحن نظيره، كأنهم حكوا ذلك اللفظ، وهذا على قولهم: دعني من تمرتان، أي: مما يقال له: تمرتان.

قال ابن الأنباري: «وهذا بعيد من الصواب في الآية؛ لأن الإضمار لم يقم عليه دليل، ولم تدع إليه حاجة» .

وقيل: لأنه بمعنى أصل الكتاب، والأصل يوحد.

قوله: **«وأخر» نسق على** «آيات» و «متشابهات» نعت ل «أخر» ، وفي الحقيقة «أخر» نعت لمحذوف تقديره: وآيات أخر متشابهات.

قال أبو البقاء: فإن قيل: واحدة [متشابهات: متشابهة، وواحدة أخر: أخرى، والواحد هنا - لا يصح أن يوصف بهذا الواحد -، فلا يقال: أخرى متشابهة] ، إلا أن يكون بعض الواحدة يشبه بعضا، وليس المعنى على ذلك، إنما المعنى أن كل آية تشبه آية أخرى، فكيف صح وصف هذا الجمع بهذا الجمع ولم يصح وصف مفرده بمفرده؟

قيل: التشابه لا يكون إلا بين اثنين فصاعدا، فإذا اجتمعت الأشياء المتشابهة كان كل واحد منها مشابها للآخر، فلما لم يصح التشابه إلا في حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع؛ لأن كل واحد منها يشابه باقيها، فأما الواحد فلا يصح فيه هذا المعنى، ونظيره قوله:

﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ [القصص: ١٥] فثنى الضمير، وإن كان الواحد لا." (١)

"ونقل الزمخشري أنه قرئ «شهداء لله» جمعا على فعلاء، وزيادة لام جر داخلة على اسم الله، وفي الهمزة النصب والرفع، وخرجهما على ما تقدم من الحال والخبر، وعلى هذه القراءات كلها ففي رفع «الملائكة» وما بعدها ثلاثة أوجه:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩/٥

أحدها: الابتداء، والخبر محذوف.

والثاني: أنه فاعل بفعل مقدر.

الثالث: – ذكره الزمخشري – **وهو النسق على** الضمير المستكن في «شهد الله» ، قال: «وجاز ذلك لوقوع الفاصل بينهما» .

قوله: «أنه» العامة على فتح الهمزة، وإنما فتحت؛ لأنها على حذف حرف الجر، أي: شهد الله بأنه لا إله إلا هو، فلما حذف الحرف جاز أن يكون محلها نصبا، وأن يكون محلها جرا.

وقرأ ابن عباس «إنه» – بكسر الهمزة – وفيها تخريجان:

أحدهما: إجراء «شهد» مجرى القولن لأنه بمعناه، وكذا وقع في التفسير: شهد الله اي: قال الله، ويؤيده ما نقله المؤرج من أن «شهد» بمعنى «قال» لغة قيس بن عيلان.

الثاني: أنها جملة اعتراض – بين العامل – وهو شهد – وبين معموله – وهو قوله: إن الدين عند الله الإسلام «، وجاز ذلك لما في هذه الجملة من التأكيد، وتقوية المعنى وهذا إنما يتجه على قراءة فتح» أن «من» أن الدين «، وأما على قراءة الكسر فلا يجوز، فتعين الوجه الأول.

والضمير في» أنه «يحتمل العود على الباري؛ لتقدم ذكره، ويحتمل أن يكون ضمير الأمر، ويؤيد ذلك قراءة عبد الله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ ف» أن «مخففة في هذه القراءة، والمخففة لا تعمل إلا في ضمير الشأن – ويحذف حينئذ – ولا تعمل في غيره إلا ضرورة [وأدغم أبو عمرو بخلاف عنه واو هو في **واو النسق بعدها**، وقد تقدم تحقيق هذه المسألة عند قوله:» هو والذين نمنوا معه «] .

فصل

قال سعيد بن جبير: كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فلما نزلت هذه الآية خررن سجدا.." (1)

"من ذلك تقييد قدرته بزمان؛ لأنه إذا قدر في ذلك اليوم الذي يسلب فيه كل أحد قدرته، فلأن يقدر في غيره بطريق الأولى. وإلى هذا ذهب ابو بكر ابن الأنباري.

الثاني: أنه منصوب ب «يحذركم» ، أي: يخوفكم عقابه في ذلك اليوم، وإلى هذا نحا أبو إسحاق، ورجحه.

ولا يجوز أن ينتصب ب «يحذركم» المتأخرة.

قال ابن الأنباري: لا يجوز أن يكون اليوم منصوبا ب «يحذركم» المذكور في هذه الآية؛ لأن **واو النسق**

---

(1) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٣/٥

لا يعمل ما بعدها فيما قبلها «.

وعلى ما ذكره أبو إسحاق يكون ما بين الظرف وناصبه معترضا، وهو كلام طويل، والفصل بمثله مستبعد، هذا من جهة الصناعة، وأما من جهة المعنى، فلا يصح؛ لأن التخويف لم يقع في ذلك اليوم؛ لأنه ليس زمان تكليف؛ لأن التخويف موجود، واليوم موعود، فكيف يتلاقيان؟

قال: أن يكون منصوبا بالمصير، والتقدير: وإلى الله المصير يوم تجد، وإليه نحا الزجاج – أيضا – وابن الأنباري ومكي، وغيرهم، وهذا ضعيف على قواعد البصريين؛ للزوم الفصل بين المصدر ومعموله بكلام طويل.

وقد يقال: إن جمل الاعتراض لا يبالى بها في الفصل، وهذا من ذاك.

الرابع: أن يكون منصوبا ب» اذكر «مقدرا، فيكون مفعولا به لا ظرفا، وقدر الطبري الناصب له» اتقوا «، وفي التقدير ما فيه من كونه على خلاف الأصل، مع الاستغناء عنه.

الخامس: أن العامل فيه ذلك المضاف المقدر قبل» نفسه «، أي: يحذركم الله عقاب نفسه يوم تجد، فالعامل فيه» عقاب «لا» يحذركم «قاله أبو البقاء، وفي قوله:» لا يحذركم «فرار عما أورد على أبي إسحاق كما تقدم.

السادس: أنه منصوب ب» تود «.

قال الزمخشري:» يوم تجد «منصوب ب» تود «والضمير في» بينه «لليوم، أي: يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها تتمنى لو أن بينها، وبين ذلك اليوم، وهوله أمدا بعيدا» .

وهذا ظاهر حسن، ولكن في هذه المسألة خلاف ضعيف؛ جمهور البصريين والكوفيين على جوازها، وذهب الأخفش الفراء إلى منعها.

وضابط هذه المسألة أنه إذا كان الفاعل ضميرا عائدا إلى شيء متصل بمعمول الفعل نحو: ثوبي أخويك يلبسان، فالفاعل هو الألف، وهو ضمير عائد على «أخويك» المتصلين بمفعول «يلبسان» ومثله: غلام هند ضربت، ففاعل «ضربت» ضمير عائد على «هند» المتصلة ب «غلام» المنصوب ب «ضربت» والآية من هذا القبيل؛ فإن فاعل «تود»." (١)

"قال ابن عرفة: المحبة – عند العرب – إرادة الشيء على قصد له.

وقال الأزهري: محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما، واتباعه أمرهما، قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/١٤٨

فاتبعوني﴾ [آل عمران: ٣١] [ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، قال الله تعالى: ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران: ٣٢] ، أي: لا يغفر لهم] .

قال سهل بن عبد الله: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي، وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة، وعلامة حب السنة، حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة، أن لا يحب نفسه، وعلامة أن لا يحب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا الزاد والبلغة.

قوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ الآية قيل: إنه لما نزلت هذه الآية، قال عبد الله بن أبي لأصحابه: إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى - عليه السلام - فنزل قوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾ أعرضوا عنها ﴿فإن الله لا يحب الكافرين﴾ لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم.

والمعنى: إنما أوجب الله عليكم طاعتي، ومتابعتي - لا كما تقول النصارى في عيسى، [بل لكوني رسولا من عند الله] .

قوله: ﴿فإن تولوا﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مضارعا، والأصل «تتولوا» فحذف إحدى التاءين كما تقدم، وعلى هذا، فالكلام جار **على نسق واحد**، وهو الخطاب.

والثاني: أن يكون فعلا ماضياص مسندا لضمير غيب، فيجوز أن يكون من باب الالتفات، ويكون المراد بالغيب المخاطبين في المعنى، ونظيره قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ [يونس: ٢٢] .

فصل

روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»." (١)

"فيه، وآذوه إلى أن برأه الله مما قالوا، ولم يقدح ذلك في وجاهته، فكذا هنا.

قوله: ﴿ومن المقربين﴾ قيل «كان هذا مدحا عظيما للملائكة؛ لأنه ألحقه بمثل منزلتهم، وهو دليل لمن جعل الملائكة أفضل.

وقيل: معناه: سيرفع إلى السماء بمصاحبة الملائكة.

وقيل: ليس كل وجيه في الآخرة يكون مقربا؛ لأن أهل الجنة تتفاوت درجاتهم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/١٥٨

وقوله: ﴿ويكلم الناس﴾ الواو للعطف على قوله: «وجيها» ، والتقدير: وجيها ومكلما.

قال ابن الخطيب: وهذا عندي ضعيف؛ لأن عطف الجملة الفعلية على الاسمية غير جائز إلا لضرورة [أو لفائدة] ، والأولى أن يقال: تقدير الآية: إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، الوجيه في الدنيا والآخرة، المعدود من المقربين، وهذا المجموع جملة واحدة، ثم قال: ﴿ويكلم الناس﴾ . فقوله: ﴿ويكلم الناس﴾ عطف على قوله: ﴿إن الله يبشرك﴾ .

وأجيب بأن هذا خطأ؛ لأنه إن أراد العطف على جملة ﴿إن الله يبشرك﴾ فهي جملة اسمية فقد عطف الفعلية على الاسمية، فوقع فيما فر منه. وإن أراد العطف على «يبشرك» فهو خطأ؛ لأن المعطوف على الخبر خبر – و «يبشرك» خبر – فيصير التقدير: إن الله يكلم الناس في المهد، والصواب ما قالوه من كونه حالا، وأن الجملة الحالية إذا كانت فعلا فهي مقدرة بالاسم، فجاز العطف.

قوله: ﴿في المهد﴾ يجوز فيه وجهان:

أظهرهما: أنه متعلق بمحذوف؛ على أنه حال من الضمير في ﴿ويكلم﴾ أي: يكلمهم صغيرا، و «كهلا» على **هذا نسق على** هذه الحال المؤولة فعلى هذا تكون خمسة أحوال.

والثاني: أنه ظرف ل «يكلم» كسائر المنفصلات، و «كهلا» على **هذا نسق على** «وجيها» فعلى هذا يكون خمسة أحوال.

والكهل: هو من بلغ سن الكهولة، وأولها ثلاثون.

وقيل: اثنان وثلاثون.

وقيل: ثلاث وثلاثون.

وقيل: أربعون. وآخرها: خمسون.

وقيل: ستون. ثم يدخل في سن الشيخوخة. واشتقاقه من: اكتهل النبات – إذا علا وارتفع – ومنه الكاهل.." [(١)]

"يدعون استخراج الجني لا يمكنهم ذلك إلا عن تقدم سؤال يستعينون عند ذلك بآلة، ويتوصلون بها إلى معرفة أحوال الكواكب، ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيرا، فأما الإخبار عن الغيب من غير استعانة بآلة ولا تقدم مسألة فلا يكون إلا بوحي من الله تعالى.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ إشارة غلى جميع ما تقدم من الخوارق، وأشير إليها بلفظ الإفراد – وإن كانت جمعا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢٣٠

في المعنى – بتأويل ما ذكر.

وقد تقدم أن مصحف عبد الله وقراءته «لآيات» – بالجمع؛ مراعاة لما ذكرنا من معنى الجمع، وهذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى، وأن تكون من كلام الله تعالى.

قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ جوابه محذوف، أي: إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية، وتدبرتموها. وقدر بعضهم صفة محذوفة ل «آية» أي: لآية نافعة. قال ابو حيان: «حتى يتجه التعلق بهذا الشرط» وفيه نظر؛ إذ يصح التعلق بالشرط دون تقدير هذه الصفة.

قوله: **﴿مصدقا﴾ نسق على** محل بآية، لأن محل «بآية» في محل نصب على الحال؛ إذ التقدير وجئتكم متلبسا بآية ومصدقا.

وقال الفراء والزجاج: نصب «مصدقا» على الحال، المعنى: وجئتكم مصدقا لما بين يدي، وجاز إضمار «جئتكم» ، لدلالة أول الكلام عليه – وهو قوله: ﴿أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ – ومثله في الكلام: جئته بما يحب ومكرما له.

قال الفراء: «ولا يجوز أن يكون» مصدقا «معطوفا على» وجيها «؛ لأنه لو كان كذلك لقال: أو مصدقا لما بين يديه، يعني: أنه لو كان معطوفا عليه؛ لأتى معه بضمير الغيبة، لا بضمير التكلم» . وذكر غير الفراء، ومنع – أيضا – أن يكون منسوقا على «رسولا» قال: لأنه لو كان مردودا عليه لقال: ومصدقا لما بين يديك؛ لأنه خاطب بذلك مريم، أو قال: بين يديه.

يعني أنه لو كان معطوفا على «رسولا» لكان ينبغي أن يؤتى بضمير الخطاب؛ مراعاة لمريم، أو بضمير الخطاب مراعاة للاسم الظاهر.

قال أبو حيان: وقد ذكرنا أنه يجوز في «رسولا» أن يكون منصوبا بإضمار فعل – أي: وأرسلت رسولا – فعلى هذا التقدير يكون «مصدقا» معطوفا على «رسولا» .

قوله: ﴿من التوراة﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه حال من «ما» الموصولة، أي: الذي بين يدي حال كونه من التوراة، فالعامل فيه مصدقا لأنه عامل في صاحب الحال.

الثاني: أنه حال من الضمير المستتر في الظرف الواقع صلة. والعامل فيه الاستقرار المضمر في الظرف أو نفس الظرف؛ لقيامه مقام الفعل.." (١)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢٥١

"الثاني: أن يكون الخبر مضمرا، تقديره: وما من إله لنا إلا الله، و ﴿إلا الله﴾ بدل من موضع ﴿من إله﴾ ، لأن موضعه رفع بالابتداء، ولا يجوز في مثله الإبدال من اللفظ، لئلا يلزم زيادة «من» في الواجب، وذلك لا يجوز عند الجمهور.

ويجوز في مثل هذا التركيب نصب ما بعد «إلا» على الاستثناء، ولكن لم يقرأ به، إلا أنه جائز لغة أن يقال لا إله إلا الله – برفع لفظ الجلالة بدلا من الموضع، ونصبها على الاستثناء من الضمير المستكن في الخبر المقدر؛ إذ التقدير: لا إله استقر لنا إلا الله.

وقال بعضهم: دخلت «من» لإفادة تأكيد النفي؛ لأنك لو قلت: ما عندي من الناس أحد، أفاد أن عندك بعض الناس. فإذا قلت: ما عندي من الناس من أحد، أفاد أن ليس عندك بعضهم وإذا لم يكن عندك بعضهم فبأن لا يكون عندك كلهم أولى، فثبت أن قوله: ﴿وما من إله إلا الله﴾ مبالغة في أنه لا إله إلا الله الواحد الحق.

قوله: ﴿وإن الله لهو العزيز الحكيم﴾ كقوله: ﴿إن هذا لهو القصص الحق﴾ وفيه إشارة إلى الجواب عن شبهات النصارى، لأن اعتمادهم على أمرين:

أحدهما: أنه قدر على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، فكأنه – تعالى – قال: هذا القدر من القدرة لا يكفي في الإلهية، بل لا بد وأن يكون عزيزا، غالبا، لا يدفع، ولا يمنع، وأنتم اعترفتم بأن عيسى – عليه السلام – ما كان كذلك، بل قلتم: إن اليهود قتلوه.

والثاني: أنهم قالوا: إنه كان يخبر عن الغيوب وغيرها، فكأنه – تعالى – قال: هذا القدر من العلم لا يكفي في الإلهية، بل لا بد وأن يكون حكيما، أي: عالما بجميع المعلومات، وبجميع عواقب الأمور.

فذكر العزيز الحكيم – هاهنا – إشارة إلى الجواب عن هاتين الشبهتين، ونظير هذه الآية ما ذكر تعالى في أول السورة من قوله: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشآء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ٦] .

وقوله: ﴿فإن تولوا﴾ يجوز أن يكون مضارعا – حذفت منه إحدى التاءين، تخفيفا – على حد قراءة: ﴿تنزل الملائكة﴾ [القدر: ٤] و ﴿تذكرون﴾ [الأنعام: ١٥٢]– ويؤيد **هذا نسق الكلام**، ونظمه في خطاب من تقدم في قوله: ﴿تعالوا﴾ ثم جرى معهم في الخطاب إلى أن قال لهم: فإن تولوا.

قال ابو البقاء: «ويجوز أن يكون مستقبلا، تقديره: تتولوا – ذكره النحاس – وهو ضعيف؛ لأن حرف المضارع لا يحذف» .

قال شهاب الدين: «وهذا ليس بشيء؛ لأن حرف المضارعة يحذف – في هذا النحو – من غير خلاف. وسيأتي من ذلك طائفة كثيرة» .." [1]

"النصرانية التي جاء بها عيسى – فإن أديان الأنبياء كلها لا يجوز أن تكون مختلفة في الأصول، وإن أردتم به الموافقة في الفروع لزم أن لا يكون محمد صلى الله عليه وسلم صاحب شرع ألبتة، بل كان مقرراص لدين غيره، وأيضا فمن المعلوم بالضرورة أن التعبد بالقرآن ما كان موجودا في زمان إبراهيم، وتلاوة القرآن مشروعة في صلاتنا، وغير مشروعة في صلاتهم.

فالجواب: أنه يجوز أن يكون المراد به الموافقة في الأصول والغرض منه بيان أنه ما كان موافقا في أصول الدين لمذهب هؤلاء الذين هم اليهود والنصارى في زماننا هذا.

ويجوز أن يقال: المراد به الموافقة في الفروع، وذلك لأن الله نسخ تلك الشرائع بشرع موسى، ثم زمان محمد صلى الله عليه وسلم نسخ شرع موسى بتلك الشرائع التي كانت ثابتة في زمان إبراهيم عليه السلام – وعلى هذا التقدير يكون – عليه السلام – صاحب الشريعة، ثم لما كان غالب شرع محمد صلى الله عليه وسلم موافقا لشرع إبراهيم، جاز إطلاق الموافقة عليه، ولو وقعت المخالفة في القليل لم يقدح ذلك في حصول الموافقة.

قوله: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم﴾ ، «إبراهيم» متعلق به «أولى» و «أولى» أفعل تفضيل، من الولي، وهو القرب، والمعنى: إن أقرب الناس به، وأخصهم، فألفه منقلبة عن ياء، لكون فائه واوا، قال أبو البقاء: وألفه منقلبة عن ياء، لأن فاءه واو، فلا تكون لامه واوا؛ إذ ليس في الكلام ما فاؤه ولامه واوان إلا واو – يعني اسم حرف التهجي – كالوسط من قول – أو اسم حرف المعنى – **كواو النسق** – ولأهل التصريف خلاف في عينه، هل هي واو – أيضا – أو ياء.

﴿للذين اتبعوه﴾ خبر «إن» و ﴿وهذا **النبي﴾ نسق على** الموصول، وكذلك: ﴿والذين آمنوا﴾ ، والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون – رضي الله عنهم – وإن كانوا داخلين فيمن اتبع إبراهيم إلا أنهم خصوا بالذكر؛ تشريفا، وتكريما، فهو من باب قوله تعالى: ﴿وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾ [البقرة: ٩٨] .

حكى الزمخشري أنه قرئ: ﴿وهذا النبي﴾ – بالنصب والجر – فالنصب نسقا على مفعول ﴿اتبعوه﴾ فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد اتبعه غيره – كما اتبع إبراهيم – والتقدير: للذين اتبعوا إبراهيم وهذا النبي، ويكون قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ نسقا على قوله: ﴿للذين اتبعوه﴾ .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢٩٣

والجر نسقا على «إبراهيم» أي: إن أولى الناس بإبراهيم وبهذا النبي، للذين اتبعوه، وفيه نظر من حيث إنه كان ينبغي أن يثنى الضمير في «اتبعوه» فيقال: اتبعوهما، اللهم إلا." (١)

"التقديرين – وهو كونها لتأسيس النفي فقد ظهر صحة كلام الطبري بكلام الزمخشري، وظهر أن رد ابن عطية عليه مردود» .

وقد رجح الناس قراءة الرفع على النصب.

قال سيبويه: ولا يأمركم منقطعة مما قبلها؛ لأن المعنى ولا يأمركم الله.

قال الواحدي: ومما يدل على انقطاعها من النسق، وأنها مستأنفة، فلما وقعت «لا» موقع «لن» رفعت كما قال تعالى: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ [البقرة: ١١٩] وفي قراءة، عبد الله: ولن تسأل.

قال الزمخشري: والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر، ويعضدها قراءة عبد الله: «ولن يأمركم» وقد تقدم أن الضمير في «يأمركم» يجوز أن يعود على «الله» وأن يعود على البشر الموصوف بما تقدم والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم أو أعم من ذلك.

وسواء قرئ برفع ﴿ولا يأمركم﴾ وبنصبه إذا جعلناه معطوفا على «يقول» فإن الضمير يعود على «بشر» لا غير، [ويؤيد هذا قول بعضهم: ووجه القراءة بالنصب أن يكون معطوفا على الفعل المنصوب قبله، فيكون الضمير المرفوع ل «بشر» لا غير يعني بما قبله «ثم يقول» .

ولما ذكر سيبويه قراءة الرفع جعل الضمير عائدا على «الله» تعالى ولم يذكر غير ذلك، فيحتمل أن يكون هو الأظهر عنده، ويحتمل أنه لا يجوز غيره، والأول أولى.

قال بعضهم: وفي الضمير المنصوب في «يأمركم» – على كلتا القراءتين – خروج من الغيبة إلى الخطاب على طريق الالتفات، فكأنه توهم أنه لما تقدم في قوله ذكر النافي – في قوله: ﴿ثم يقول للناس﴾ كان ينبغي أن يكون النظم ولا يأمرهم؛ جريا على ما تقدم، وليس كذلك، بل هذا ابتداء خطاب، لا التفات فيه.

قوله: ﴿أيأمركم بالكفر﴾ الهمزة للاستفهام بمعنى الإنكار، يعني أنه لا يفعل ذلك.

قوله: ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ «بعد» متعلق ب «يأمركم» وبعد ظرف زمان مضاف لظرف زمان ماض وقد تقدم أنه لا يضاف إليه إلا الزمان، نحو حينئذ ويومئذ. و ﴿أنتم مسلمون﴾ في محل خفض بالإضافة؛ لأن «إذ» تضاف إلى الجملة مطلقا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٠٧/٥

قال الزمخشري: «بعد إذ أنتم مسلمون» دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين، وهم الذين استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسجدوا له.." [١]

"يخرج من المدينة، ثم إن الصحابة ألحوا على النبي صلى الله عليه وسلم في أن يخرج إليهم، فغضب عبد الله بن أبي من ذلك، فقال: عصاني وأطاع الولدان، فلما كثر القتل في بني الخزرج، ورجع عبد الله بن أبي قيل له: قتل بنو الخزرج!! فقال: «هل لنا من الأمر من شيء» ؟ يعني: أن محمدا لم يقبل قولي حين أمرته بأن لا يخرج من «المدينة» .

والمعنى: هل لنا أمر يطاع؟ وهو استفهام على سبيل الإنكار.

الثاني: ما تقدم في الإعراب أن معناه النفي، أي: هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد صلى الله عليه وسلم وهو النصر والقوة - شيء؟ وهذا استفهام على سبيل الإنكار.

الثالث: أن التقدير: أنطمع أن تكون لنا الغلبة على هؤلاء؟ ويكون المراد منه الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون قائله من المؤمنين، ويكون المراد منه إظهار الشفقة، أنه متى يكون الفرج والنصرة؟ وهو المراد - أيضا - بقوله: هو النصر والقوة - شيء؟ وهذا استفهام على سبيل الإنكار.

الثا ﴿يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك﴾ .

وقوله: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ قرأ أبو عمرو «كله» - رفعا - وفيه وجهان:

الأول: - وهو الأظهر - أنه رفع بالابتداء، و «لله» خبره والجملة خبر «إن» نحو: إن مال زيد كله عنده.

الثاني: أنه توكيد على المحل، فإن اسمها - في الأصل - مرفوع بالابتداء، وهذا مذهب الزجاج والجرمي، يجرون التوابع كلها مجرى عطف النسق، فيكون «لله» خبرا ل «إن» أيضا.

وقرأ الباقون بالنصب، فيكون تأكيدا لاسم «إن» وحكى مكي عن الأخفش أنه بدل منه - وليس بواضح - و «لله» خبر «إن» .

وقيل على النعت؛ لأن لفظة «كل» للتأكيد، فكانت كلفظة «أجمع» .

فصل

هذه الآية تدل على أن جميع المحدثات خلق لله تعالى بقضائه وقدره؛ لأن المنافقين قالوا: إن محمدا لو قبل منا رأينأ ونصحنا، ملا وقع في هذه المحنة، فأجابهم الله تعالى بأن الأمر كله لله. وهذا [الجواب] إنما ينتظم إذا كانت أفعال العباد بقضاء الله وقدره؛ إذ لو كانت خارجة عن مشيئته لم يكن هذا الجواب دافعا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٣/٥

لشبهة المنافقين.

قوله: ﴿يخفون﴾ إما خبر ل ﴿طآئفة﴾ وإما حال مما قبله - كما تقدم - وقوله: ﴿يقولون﴾." (١)

"فصل في معنى الآية

ومعنى الكلام: لو كنت جافيا، سيء الخلق، قليل الاحتمال.

وقال الكلبي: فظا في القول، غليظ القلب في الفعل، لانفضوا من حولك تفرقوا عنك وذلك أن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى إلى الخلق، وذلك لا يتم إلا بميل قلوبهم إليه، وسكون نفوسهم لديه، وهذا المقصود لا يتم إلا إذا كان رحيما بهم، كريما، يتجاوز عن ذنوبهم، ويعفو عن سيئاتهم، ويخصهم بالبر والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول مبرءا عن سوء الخلق، وغلظة القلب، ويكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء، وكثير القيام بإعانة الفقراء.

وحمل القفال هذه الاية على واقعة أحد، فقال: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ يوم أحد، حين عادوا إليك يعد الانهزام ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب﴾ فشافهتهم بالملامة على ذلك الانهزام ﴿لانفضوا من حولك﴾ هيبة منك وحياء، بسبب ما كانوا منهم من الانهزام، فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم.

قوله

: ﴿فاعف

عنهم﴾ جاء على أحسن النسق، وذلك أنه - أولا - أمر بالعفو عنهم فيما يتعلق بخاصة نفسه، فإذا انتهوا إلى هذا المقام أمر أن يستغفر لهم ما بينهم وبين الله تعالى، لتنزاح عنهم التبعات، فلما صاروا إلى هنا أمر بأن يشاوروهم في الأمر إذا صاروا خالصين من التبعتين، مصفين منهما.

والأمر هنا - وإن كان عاما - المراد به الخصوص. قال أبو البقاء: الأمر - هنا - جنس، وهو عام يراد به الخاص؛ لأنه لم يؤمر بمشاورتهم في الفرائض، ولذلك قرأ ابن عباس: في بعض الأمر وهذا تفسير لا تلاوة.

فصل

ظاهر الأمر الوجوب، و «الفاء» في قوله: ﴿فاعف عنهم﴾ تدل على التعقيب، وهذا يدل على أنه - تعالى - أوجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم في الحال، ولما آل الأمر إلى الأمة لم يوجبه عليهم، بل ندبهم إليه، فقال: ﴿والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقوله: ﴿واستغفر لهم﴾ يدل على دلالة قوية على أنه - تعالى - يعفو عن أصحاب الكبائر، لأن الانهزام في وقت المحاربة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٦١٦

كبيرة، لقوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد بآء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ [الأنفال: ١٦] وقوله صلى الله عليه وسلم حين عد الكبائر -: «والتولي يوم الزحف» وإذا ثبت أنه كبيرة، فالله تعالى – حض – في هذه الآية – على العفو عنهم، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستغفار." (١)

"قدر عقولهم وعلمهم. وذكروا – أيضا – وجوها أخر، وهذا كاف.

فصل

اتفقوا على أن كل ما نزل فيه وحي من عند الله لم يجز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يشاور الأمة فيه، لأن النص إذا جاء بطل الرأي والقياس، أما ما لا نص فيه، فهل يجوز المشاورة فيه في جميع الأشياء، أم لا؟ قال الكلبي وأكثر العلماء: الأمر بالمشاورة إنما هو في الحروب، قالوا: لأن الألف واللام – في لفظ «الأمر» ليسا للاستغراق؛ لما بينا أن الذي نزل فيه الوحي لا تجوز المشاورة فيه، فوجب حمل الألف واللام – هنا – على المعهود السابق، والمعهود السابق في هذه الآية ما يتعلق بالحرب ولقاء العدو، فكان قوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ مختصا بذلك وقد أشار الحباب بن المنذر يوم أحد – على النبي بالنزول على الماء، فقبل منه. وأشار عليه السعدان – سعد بن معاذ وسعد بن عبادة – يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا، فقبل منهما، وخرق الصحيفة.

وقال بعضهم: اللفظ عام، خص منه ما نزل فيه وحي، فتبقى حجته في الباقي.

قال بعضهم: هذه الآية تدل على أن القياس حجة.

فصل

روى الواحدي في «البسيط» عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قال: الذي أمر النبي بمشاورته في هذه الآية أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – واستشكلته ابن الخطيب، قال: «وعندي فيه إشكال؛ لأن الذين امر الله رسوله بمشاورتهم في هذه الآية هم الذي أمره بأن يعفو عنهم ويستغفر لهم – وهم المنهزمون – فهب ان عمر كان من المنهزمين فدخل تحت الآية إلا أن أبا بكر ما كان منهم، فكيف يدخل تحت هذه الآية؟» .

قوله: ﴿فإذا عزمت﴾ الجمهور على فتح التاء؛ خطابا له صلى الله عليه وسلم وقرأ عكرمة وجعفر الصادق – ورويت عن جابر بن زيد – بضمها. على انها لله تعالى، على معنى: فإذا ارشدتك إليه، وجعلتك تقصده.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨/٦

وجاء قوله: من الالتفات؛ إذ لو جاء **على نسق هذا** الكلام لقيل: فتوكل علي.

فقد نسب العزم إليه تعالى في قول أم سلمة: «ثم عزم الله لي» وذلك على سبيل المجاز.

فصل

معنى الكلام: فإذا عزمت على الله لا على مشاورتهم، أي: قم بأمر الله،." (١)

"أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ [فاطر: ١] وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج أكثر من أربع نسوة، وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم .

فصل

ذهب أكثر الفقهاء إلى أن قوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾ لا يتناول العبد؛ لأن الخطاب إنما يتناول إنسانا متى طلب امرأة قدر على نكاحها، والعبد ليس كذلك؛ لأنه لا يتمكن من النكاح إلا بإذن مولاه لقوله تعالى: ﴿عبدا مملوكا لا يقدر على شيء﴾ [النحل: ٧٥] ، فينفي كونه مستقلا بالنكاح.

وقال عليه السلام: «أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه فهو عاهر» .

وقال مالك: يجوز للعبد أن يتزوج أربعا لظاهر الآية.

وأجيب بأن قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ مختص بالأحرار؛ لأن العبد لا ملك له، وبقوله تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ [النساء: ٤] والعبد لا يأكل ما طابت عنه نفس امرأته من المهر، بل يكون لسيده.

قال مالك: إذا ورد عمومان مستقلان فدخول التقييد في الآخر لا يوجب دخوله في السابق.

وأجيب بأن هذه الخطابات وردت متوالية **على نسق واحد**، فلما ذكر في بعضها الأحرار علم أن الكل كذلك.

فصل

ذهبت طائفة فقالوا: يجوز التزويج بأي عدد شاء، واحتجوا بالقرآن والخبر، أما القرآن فتمسكوا بهذه الآية من ثلاثة أوجه:

الأول: أن قوله ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النسآء﴾ إطلاق في جميع الأعداد، بدليل أنه لا عدد إلا ويصح استثناؤه منه.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٤/٦

"فصل
قال قوم: نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين، وقالوا: ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ [آل عمران: ١٦٧] . فاختلف أصحاب الرسول – عليه الصلاة والسلام –: فقالت منهم فرقة: كفروا، وآخرون قالوا: لم يكفروا، فنزلت الآية؛ وهو قول زيد بن ثابت وطعن في هذا الوجه: بأن في نسق الآية ما يقدح فيه وأنهم من أهل مكة؛ وهو قوله: ﴿فلا تتخذوا منهم أوليآء حتى يهاجروا﴾ .
وقال مجاهد: هم قوم خرجوا إلى المدينة، وأسلموا ثم ارتدوا، واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة؛ ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها، فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم: فقائل يقول: هم منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون.
وقيل: نزلت في ناس من قريش قدموا المدينة، وأسلموا ثم ندموا على ذلك، فخرجوا كهيئة المتنزهين حتى بعدوا عن المدينة، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا على الذي وافقناك عليه من الإيمان، ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا إلى أرضنا، ثم إنهم خرجوا في تجارة لهم نحو الشام فبلغ ذلك المسلمين، فقال بعضهم: نخرج إليهم فنقتلهم ونأخذ ما معهم؛ لأنهم رغبوا عن ديننا، وقالت طائفة: كيف تقتلون قوما على دينكم إن لم يذروا ديارهم، وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين؛ فنزلت الآية.
وقيل: هم العرنيون: وقال ابن زيد: نزلت في أهل الإفك، وقال ابن عباس وقتادة: هم قوم أسلموا بمكة ثم لم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين، فاختلف المسلمون فيهم وتشاجروا، فنزلت: «فما بالكم» يا معشر المؤمنين ﴿في المنافقين فئتين﴾ أي: صرتم فيهم فئتين، ﴿والله أركسهم﴾ أي: نكسهم وردهم إلى الكفر وأحكامه من الذل والصغار والسبي والقتل.." (١)
"إليهم في الدنيا؛ فوجب القول بوصول ذلك الجزاء [إليهم] في الآخرة.
فصل في شبهة المعتزلة وردها
قالت المعتزلة: دلت [هذه] الآية على أن العبد فاعل، وعلى أنه بعمل السوء يستحق الجزاء، وإذا كان كذلك، دلت على أن الله غير خالق لأفعال العباد من وجهين:
أحدهما: أنه لما كان عملا للعبد، امتنع كونه عملا لله؛ لامتناع حصول مقدور واحد بقادرين.
والثاني: أنه لو حصل بخلق الله، لما استحق العبد جزاء ألبتة، وذلك باطل؛ لأن الآية دلت على أن العبد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٥٤٥

يستحق الجزاء على عمله، وقد تقدم الجواب عن هذا الاستدلال.

قوله: ﴿ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ قرأ الجمهور بجزم «يجد» ، عطفا على جواب الشرط، وروي عن ابن عامر رفعه، وهو على القطع عن النسق. ثم يحتمل أن يكون مستأنفا وأن يكون حالا، كذا قيل، وفيه نظر من حيث إن المضارع المنفي ب «لا» لا يقترن بالواو إذا وقع حالا.

فصل في شبهة المعتزلة بنفي الشفاعة وردها

قالت المعتزلة: [دلت] الآية على نفي الشفاعة، وأجابوا بوجهين:

أحدهما: أنا بينا أن هذه الآية في حق الكفار.

والثاني: أن شفاعة الأنبياء والملائكة في حق العصاة، إنما تكون بإذن الله – تعالى –، وإذا كان كذلك، فلا ولي لأحد ولا نصير، إلا الله – سبحانه وتعالى –.

قوله: « [ومن يعمل] من الصالحات من ذكر» «من» الأولى: للتبعيض؛ لأن المكلف لا يطيق عمل كل الصالحات.

وقال الطبري: «هي زائدة عند قوم» وفيه ضعف، لعدم الشرطين، و «من» الثانية للتبيين، وأجاز أبو البقاء أن تكون حالا، وفي صاحبها وجهان:

أحدهما: أنه الضمير المرفوع ب «يعمل» .

والثاني: أنه الصالحات، أي: الصالحات كائنة من ذكر أو أنثى، وقد تقدم إيضاح هذا في قوله: ﴿لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ [آل عمران: ١٩٥] والكلام على «." (١)

"حيث أحل لهم ذلك المحرم عند احتياجهم إلى أكله، وهذا من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى، يعني: إنها وإن كانت محرمة إلا أنها تحل في حال الاضطرار، ومن قوله: «فسق» إلى هاهنا – اعتراض وقع في النسق، والغرض منه تأكيد ما ذكر من معنى التحريم، فإن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة الثابتة والإسلام الذي هو الدين المرضي عند الله تعالى.." (٢)

"وقوله: ﴿ويعفوا عن كثير﴾ ، أي: لا يظهر كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب، فلا يتعرض لكم، ولا يؤاخذكم به؛ لأنه لا حاجة له إلى إظهاره، والفائدة في ذلك: أنهم علموا كون الرسول عالما بكل ما يخفونه، فيصير ذلك داعيا لهم إلى ترك الإخفاء، لئلا يفتضح أمرهم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٤/٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٠٣/٧

والضمير في» يبين «و» يعفو «يعود على الرسول.

وقد جوز قوم أن يعود على الله تعالى، وعلى هذا فلا محل لقوله:» يبين «من الإعراب، ويمتنع أن يكون حالا من» رسولنا «لعدم الرابط، وصفة» كثير «محذوفة للعلم بها، وتقديره: عن كثير من ذنوبكم، وحذف الصفة قليل.

قوله: ﴿قد جآءكم من الله نور﴾ لا محل له [من الإعراب] لاستئنافه، و» من الله «يجوز أن يتعلق ب» جاء «، وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من» نور «، قدمت صفة النكرة عليها، فنصبت حالا.

فصل في معنى الآية

والمراد بالنور: محمد - عليه الصلاة والسلام -، وبالكتاب: القرآن، وقيل: المراد بالنور: الإسلام، وبالكتاب القرآن، وقيل: النور والكتاب والقرآن، وهذا ضعيف؛ لأن العطف يوجب التغاير.

قوله تعالى:» يهدي «فيه خمسة أوجه:

أظهرها: أنه في محل رفع؛ لأنه صفة ثانية ل» كتاب «، وصفه بالمفرد ثم بالجملة، وهو الأصل.

الثاني: أن يكون صفة أيضا لكن ل» نور «، وصفه بالمفرد ثم بالجملة، ذكره أبو البقاء وفيه نظر، إذ القاعدة أنه إذا اجتمعت التوابع قدم النعت على عطف النسق، تقول جاء زيد العاقل وعمرو، ولا تقول: جاء زيد وعمرو العاقل؛ لأن فيه إلباسا أيضا.

الثالث: أن يكون حالا من «كتاب» ، لأن النكرة لما تخصصت بالوصف قربت من المعرفة.

وقياس قول أبي البقاء أنه يجوز أن يكون [حالا من «نور» ، كما جاز أن يكون] صفة له.." (١)

"والثاني: أنه مجرور؛ عطفا على ﴿من لعنه الله﴾ أيضا، إذا قلنا بأنها في محل جر بدلا من «بشر» ؛ كما تقدم إيضاحه، وهذه أوجه واضحة عسرة الاستنباط، والله أعلم.

ومن قرأ بالواو فرفعه: إما على إضمار مبتدأ، أي: هم عابدوا الطاغوت، **وإما نسق على** «من» في قوله تعالى: ﴿من لعنه الله﴾ كما تقدم.

فصل

قيل: الطاغوت العجل، وقيل: الأحبار، وكل من أطاع أحدا في معصية فقد عبده.

واحتجوا بهذه الآية على أن الكفر بقضاء الله، قالوا: لأن تقدير الآية: وجعل الله منهم من عبد الطاغوت، وإنما يعقل معنى هذا الجعل، إذا كان هو الذي جعل فيهم تلك العبادة، إذ لو كانوا هم الجاهلون لكان الله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٢٥٩

تعالى [ما] جعلهم عبدة الطاغوت، بل كانوا هم الذين جعلوا أنفسهم كذلك وذلك خلاف الآية.

قالت المعتزلة: معناه أنه تعالى حكم عليهم بذلك كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ [الزخرف: ١٩] وقد تقدم الكلام فيه.

[قوله تعالى: «أولئك شر» مبتدأ وخبر، و «مكانا» نصب على التمييز، نسب الشر للمكان وهو لأهله، كناية عن نهايتهم في ذلك] كقولهم: فلان طويل النجاد كثير الرماد، وحاصله يرجع إلى الإشارة إلى الشيء بذكر لوازمه وتوابعه و «شر» هنا على بابه من التفضيل، والمفضل عليه فيه احتمالان:

أحدهما: أنهم المؤمنون، فإن قيل: كيف يقال ذلك، والمؤمنون لا شر عندهم ألبتة؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: - ما قاله النحاس - أن مكانهم في الآخرة شر من مكان المؤمنين في الدنيا؛ لما يلحقهم فيه من الشر، يعني: من الهموم الدنيوية، والحاجة، والإعسار، وسماع الأذى، والهضم من جانبهم، قال: «وهذا أحسن ما قيل فيه» .

والثاني: أنه على سبيل التنازل والتسليم للخصم على زعمه؛ إلزاما له بالحجة، كأنه قيل: شر من مكانهم في زعمكم، فهو قريب من المقابلة في المعنى.

والثاني من الاحتمالين: أن المفضل عليه هم طائفة من الكفار، أي: أولئك الملعونون المغضوب عليهم المجعول منهم القردة والخنازير العابدون الطاغوت - شر مكانا من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال الذميمة.." (١)

"فإن قيل: كيف مدحهم الله تعالى بذلك، مع قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ [الحديد: ٢٧] ، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: «لا رهبانية في الإسلام» ؛ فالجواب: أن ذلك صار ممدوحا في مقابلة اليهود في القساوة، والغلظة، ولا يلزم من هذا كونه ممدوحا على الإطلاق.

قوله تعالى: ﴿وأنهم لا **يستكبرون﴾ نسق على** «أن» المجرورة بالباء، أي: ذلك بما تقدم، وبأنهم لا يستكبرون.

فصل

المراد بقوله تعالى: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ يعني: وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر، وهم السبعون، وكانوا أصحاب الصوامع.

وقال مقاتل والكلبي: كانوا أربعين رجلا، اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الشام. وقال عطاء: كانوا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٢٠/٧

ثمانين رجلا، أربعون من أهل نجران من بني الحارث بن كعب، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية روميون من أهل الشام.

وقال قتادة: نزلت في ناس من أهل الكتاب، كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى - عليه السلام -، فلما بعث محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - صدقوه، وآمنوا به، فأثنى الله عليهم بقوله: تعالى: ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا﴾ أي: علماء.

قال قطرب: القس والقسيس: العالم بلغة الروم.

قوله تعالى: «وإذا سمعوا» «إذا» شرطية جوابها «ترى» ، وهو العامل فيها، وهذه الجملة الشرطية فيها وجهان:

أظهرهما: أن محلها الرفع؛ نسقا على خبر «أنهم» الثانية، وهو «لا يستكبرون» ، أي: ذلك بأن منهم كذا، وأنهم غير مستكبرين، وأنهم إذا سمعوا: فالواو عطفت مفردا على مثله.

والثاني: أن الجملة استئنافية، أي: أنه تعالى أخبر عنهم بذلك، والضمير في «سمعوا» ظاهره: أن يعود على النصارى المتقدمين؛ لعمومهم، وقيل: إنما يعود لبعضهم، وهم من جاء من «الحبشة» إلى النبي صلى الله عليه وسلم .." (١)

"صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وهو رطل وثلث من غالب قوت البلدة، وكذلك في جميع الكفارات، وهو قول زيد بن ثابت، وابن عباس، وابن عمر - رضي الله عنهم -، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن والقاسم، وسليمان بن يسار، وعطاء، والشافعي - رضي الله تعالى عنهم - وقال أهل العراق: عليه لكل مسكين مدان - وهو نصف صاع، ويروى ذلك عن عمر وعلي - رضي الله عنهما -.

وقال أبو حنيفة - رضي الله تعالى عنه -: إن أطعم من الحنطة فنصف صاع، وإن أطعم من غيرها فصاع، وهو قول الشعبي، والنخعي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والحكم - رحمهم الله - ولو غداهم وعشاهم لا يجوز، وجوزه أبو حنيفة - رضي الله عنه -، ويروى ذلك عن علي - رضي الله عنه -، ولا يجوز الدراهم والدنانير، ولا الخبز، والدقيق، بل يجب إخراج الحب إليهم، وجوز أبو حنيفة - رضي الله عنه - كل عشرة إلى مسكين واحد في عشرة أيام ولا يجوز أن يصرف إلا إلى مسلم حر محتاج، فإن صرف إلى ذمي أو عبد أو غني لم يجز، وجوز أبو حنيفة صرفه إلى أهل الذمة، واتفقوا على أن صرف الزكاة إلى أهل الذمة لا يجوز.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٨٠/٧

فصل

واختلفوا في الوسط.

فقيل: من خير قوت عيالكم، والوسط: الخبز [وتقدم في البقرة في] قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وقال عبيدة السلماني: الأوسط الخبز والخل، والأعلى الخبز واللحم، والأدنى الخبز البحت، والكل يجزئ.

قوله تعالى: «أو كسوتهم» فيه وجهان:

أحدهما: **أنه نسق على** «إطعام» ، أي: فكفارته إطعام عشرة أو كسوة تلك العشرة.

والثاني: أنه عطف على محل «من أوسط» [وهو أن يكون «من أوسط» خبرا لمبتدأ محذوف يدل عليه ما قبله، تقديره: طعامهم من أوسط] ، فالكلام عنده تام على قوله «عشرة مساكين» ، ثم ابتدأ إخبارا آخر بأن الطعام يكون من أوسط كذا وأما إذا قلنا: إن «من أوسط» هو المفعول الثاني، فيستحيل عطف «كسوتهم» عليه؛ لتخالفهما إعرابا.." (١)

"فضة «بمعنى من فضة» ، قال أبو حيان: «أما ما زعمه، فليس من هذا الباب؛ لأن» خاتم فضة «من باب إضافة الشيء إلى جنسه، والطعام ليس جنسا للكفارة، إلا بتجوز بعيد جدا» . انتهى، قال شهاب الدين: كان من حقه أن يقول: والكفارة ليست جنسا للطعام؛ لأن الكفارة في التركيب نظير «خاتم» في أن كلا منهما هو المضاف إلى ما بعده، فكما أن «خاتما» هو المضاف إلى جنسه ينبغي أن يقال: الكفارة ليست جنسا للطعام؛ لأجل المقابلة، لكن لا يمكن أن يقال ذلك، فإن الكفارة كما تقدم جنس للطعام، والجزاء، والصوم، فالطريق في الرد على الزمخشري أن يقال: شرط الإضافة بمعنى «من» : أن يضاف جزء إلى كل بشرط صدق اسم الكل على الجزء؛ نحو: «خاتم فضة» ، و «كفارة طعام» ليس كذلك، بل هي إضافة «كل» إلى جزء، وقد استشكل جماعة هذه القراءة؛ من حيث إن الكفارة ليست للطعام، إنما هي لقتل الصيد، كذا قاله أبو علي الفارسي وغيره، وجو ا به ما تقدم.

ولم يختلف السبعة في جمع «مساكين» هنا، وإن اختلفوا في البقرة، قالوا: والفرق بينهما أن قتل الصيد لا يجزئ فيه إطعام مسكين واحد، على أنه قد قرأ عيسى بن عمر والأعرج بتنوين «كفارة» ، ورفع «طعام مسكين» بالتوحيد، قالوا: ومرادهما بيان الجنس، لا التوحيد.

قوله: **«أوعدل» نسق على** «فجزاء» ، والجمهور على فتح العين، وقرأ ابن عباس وطلحة بن مصرف

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٤٩٨

والجحدري بكسرها.

قال الفراء: «العدل» بالكسر: ما عادل الشيء من جنسه، والعدل: المثل، تقول: عندي عدل غلامك أو شاتك إذا كان غلام بعدل غلامه، أو شاة تعدل شاته، أما إذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين، فقلت: عدل.

وقال أبو الهيثم: العدل: المثل، والعدل: القيمة، والعدل: اسم معدول بحمل آخر مسوى به، والعدل: تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه.

وقال الزجاج، وابن الأعرابي: العدل والعدل سواء، وقد تقدم الكلام عليه في البقرة: عند قوله: ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ [الآية: ٤٨] .

قوله: «صياما» نصب على التميز كقولك: «عندي رطلان عسلا» لأن المعنى: أو قدر ذلك صياما، والأصل فيه إدخال حرفين تقول: رطلان من العسل، وعدل ذلك من الصيام. [وأصل «صياما» : «صواما» فأعل كما تقدم مرارا] .." (١)

"والمراد بالبحر: جميع المياه، قال عمر: صيده ما اصطيد، وجميع ما يصطاد من البحر ثلاثة أجناس: الحيتان وجميع أنواعها حلال، والضفادع وجميع أنواعها حرام، واختلفوا فيما سوى هذين.

فقال أبو حنيفة: إنه حرام، وقال الأكثرون: إنه حلال لعموم هذه الآية.

قوله: «وطعامه» : **نسق على** «صيد» ، أي: أحل لكم الصيد وطعامه، فالصيد الاصطياد، والطعام بمعنى الإطعام، أي: إنه اسم مصدر، ويقدر المفعول حينئذ محذوفا، أي: إطعامكم إياه أنفسكم، ويجوز أن يكون الصيد بمعنى المصيد، والهاء في «طعامه» تعود على البحر على هذا أي: أحل لكم مصيد البحر وطعام البحر؛ فالطعام على هذا غير الصيد وعلى هذا ففيه وجوه:

أحسنها ما ذكره أبو بكر الصديق، وعمر - رضي الله عنهما -: أن الصيد ما صيد بالحيلة حال حياته - والطعام ما رمى به البحر، أو نضب عنه الماء من غير معالجة.

وقال سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، ومقاتل، والنخعي، وعكرمة، وقتادة: صيد البحر هو الطري، وطعامه هو المملح منه، وهو ضعيف؛ لأن المملح كان طريا وصيدا في أول الأمر فيلزم التكرار.

وأيضا: فإن الاصطياد قد يكون للأكل، وقد يكون لغيره كاصطياد الصدف لأجل اللؤلؤ، واصطياد بعض الحيوانات البحرية لأجل عظامها وأسنانها، فحصل التغاير بين الاصطياد من البحر، وبين الأكل من طعام

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٥٢٦

البحر.

روي عن ابن عباس – وابن عمر، وأبي هريرة: طعامه ما قذفه الماء إلى الساحل." [1]

"يتعرض له ألبتة، ولم يتعرض لها صاحبها أيضا، وكل ذلك إنما كان؛ لأن الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيم البيت الحرام.

فصل

قال القرطبي: ذكر العلماء في جعل الله تعالى هذه الأشياء قياما للناس، أن الله تعالى خلق الخلق على سليقة الآدميين، من التحاسد، والتنافر، والتقاطع، والتدابر، والسلب، والغارة، والقتل، والثأر، فلم يكن بد في الحكمة الإلهية أن يكون مع الحال وازع يحمد معه المآل، فقال تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] فأمرهم الله تعالى بالخلافة، وجعل أمورهم إلى واحد يمنعهم من التناوش، ويحملهم على التآلف من التقاطع، ورد المظالم عن المظلوم، ويقرر كل يد على ما تستولي عليه.

واعلم: أن جور السلطان عام واحد أقل أذاه كون الناس فوضى لحظة واحدة، فأنشأ الله تعالى الخليقة لهذه الفائدة، لتجري على رأيه الأمور، ويكف الله تعالى به عادية الأمور فعظم الله تعالى في قلوبهم البيت الحرام، [وأوقع في قلوبهم هيبته] وعظم بينهم حرمته، فكان من لجأ إليه معصوما قال تعالى: ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

قوله «ذلك» فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: الحكم الذي حكمناه ذلك لا غيره.

والثاني: أنه مبتدأ، وخبره محذوف، أي ذلك الحكم هو الحق لا غيره.

الثالث: أنه منصوب بفعل مقدر يدل عليه السياق، أي: شرع الله ذلك، وهذا أقواها؛ لتعلق لام العلة به، و «تعلموا» منصوب بإضمار «أن» بعد لام كي، لا بها، و «أن الله» وما في حيزها سادة مسد المفعولين أو أحدهما على حسب الخلاف المتقدم، و ﴿وأن الله بكل شيء عليم﴾ نسق على «أن» قبلها.

فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله.

قيل: لما علم في الأزل أن مقتضى طباع العرب الحرص الشديد على القتل والغارة، وعلم أن هذه الحالة لو دامت بهم، لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون إليه، وأدى ذلك إلى فنائهم وانقطاعهم بالكلية، دبر في ذلك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٥٣١

تدبيرا لطيفا، وهو أنه تعالى ألقى في قلوبهم تعظيم البيت الحرام وتعظيم مناسكه، فصار ذلك سببا لحصول الأمن في البلد." (١)

"أي: مقامه بين يدي ربه، والعرب تحذف كثيرا ذكر «ما» و «من» في الموضع الذي يحتاج إليهما فيه؛ كقوله: ﴿وإذا رأيت﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: ما ثم، وكقوله: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ [الكهف: ٧٨] و ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤] أي ما بيني، وما بينكم، وقول أبي حيان «لا يتخيل فيه تقدير» ما «إلى آخره» ممنوع؛ لان حالة الإضافة لا تجعلها صلة للموصول المحذوف، ولا يلزم من ذلك: أن تقدرها من حيث المعنى، لا من حيث الإعراب؛ نظرا إلى الأصل، وأما حذف الموصول، فقد تقدم تحقيقه.

فصل

واختلفوا في هاتين الآيتين، فقال قوم: هما الشاهدان يشهدان على وصية.

وقال غيرهم: هما الوصيان؛ لأن الآية نزلت فيهما؛ ولأنه قال: ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان﴾ ، ولا يلزم الشاهد يمين، وجعل الوصي اثنين تأكيدا، فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى: الحضور، كقولك: «شهدت وصية فلان» ، بمعنى: حضرت وشهدت العين، وقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طآئفة من المؤمنين﴾ [النور: ٢] يريد الحضور.

فصل

وقوله: «ذوا» صفة لاثنين، أي: صاحبا عدل، وكذلك قوله «منكم» صفة أيضا لاثنين، وقوله: «أو آخران» نسق على اثنين، و «من غيركم» صفة لآخرين، والمراد ب «منكم» من قرابتكم وعترتكم، ومن غيركم من المسلمين الأجانب، وقيل: «منكم» من أهل دينكم، و «من غيركم» من أهل الذمة، ورجح النحاس الأول، فقال: «هذا ينبني على معنى غامض في العربية، وذلك أن معنى» آخر «في العربية من جنس الأول تقول:» مررت بكريم وكريم آخر «ولا يجوز» وخسيس آخر «ولا:» مررت بحمار ورجل آخر «، فكذا هاهنا يجب أن يكون» أو آخران «: أو عدلان آخران، والكفار لا يكونون عدولا» ورد أبو حيان ذلك؛ فقال: «أما ما ذكره من المثل، فصحيح؛ لأنه مثل بتأخير» آخر «، وجعله صفة لغير جنس الأول، وأما الآية، فمن قبيل ما يقدم فيه» آخر «على الوصف، واندرج» آخر «في الجنس الذي قبله، ولا يعتبر وصف جنس الأول، تقول:» مررت برجل مسلم وآخر كافر، واشتريت فرسا سابقا، وآخر بطيئا «، ولو أخرت» آخر «في هذين المثالين، فقلت:» مررت برجل مسلم كافر آخر «، لم يجز، وليس الآية من هذا؛ لأن تركيبها ﴿اثنان ذوا

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٥٣٩

عدل منكم أو آخران من غيركم﴾ ف» آخران «من جنس قوله» اثنان «، ولا سيما إذا قدرته:» رجلان اثنان «ف» آخران «هما من جنس قوله» رجلان اثنان «، ولا." [1]

"المال، أو الإثم، حسبما تقدم، وأما» الأولين «فجمع» أول «المقابل ل» آخر «، وفيه أربعة أوجه: أحدها: أنه مجرور صفة ل» الذين «.

الثاني: أنه بدل منه، وهو قليل؛ لكونه مشتقا.

الثالث: أنه بدل من الضمير في» عليهم «، وحسنه هنا، وإن كان مشتقا عدم صلاحية ما قبله للوصف، نقل هذين الوجهين الأخيرين مكي.

الرابع: أنه منصوب على المدح، ذكره الزمخشري، قال:» ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة؛ لكونهم أحق بها «، وإنما فسر الأولية بالتقدم على الأجانب؛ جريا على ما مر في تفسيره: أو آخران من غيركم أنهما من الأجانب لا من الكفار

وقال الواحدي:» وتقديره من الأولين الذين استحق عليهم الإيصاء أو الإثم، وإنما قيل لهم «الأولين» من حيث كانوا أولين في الذكر؛ ألا ترى أنه قد تقدم: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ وكذلك ﴿اثنان ذوا عدل﴾ ذكرا في اللفظ قبل قوله: ﴿أو آخران من غيركم﴾ ، وكان ابن عباس يختار هذه القراءة، ويقول: «أرأيت إن كان الأوليان صغيرين، كيف يقومان مقامهما» ؟ أراد: أنهما إذا كانا صغيرين لم يقوما في اليمين مقام الحانثين، ونحا ابن عطية هذا المنحى قال: «معناه: من القوم الذين استحق عليهم أمرهم، أي: غلبوا عليه، ثم وصفهم بأنهم أولون، أي: في الذكر في هذه الآية» .

وأما قراءة الحسن فالأولان مرفوعان ب «استحق» فإنه يقرؤه مبنيا للفاعل، قال الزمخشري: «ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي» ، ولم يبين من هما الأولان، والمراد بهما الاثنان المتقدمان في الذكر؛ وهذه القراءة كقراءة حفص، فيقدر فيها ما ذكر، ثم مما يليق من تقدير المفعول.

وأما قراءة ابن سيرين، فانتصابها على المدح، ولا يجوز فيها الجر؛ لأنه: إما على البدل، وإما على الوصف بجمع، والأوليين في قراءته مثنى، فتعذر فيها ذلك، وأما قراءة «الأولين» كالأعلين، فحكاها أبو البقاء قراءة شاذة لم يعزها، قال: «ويقرأ» الأولين «جمع الأولى، وإعرابه كإعراب الأولين» يعني في قراءة حمزة، وقد تقدم أن فيها أربعة أوجه، وهي جارية هنا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٦٨/٧

قوله: «**فيقسمان» نسق على** «يقومان» والسببية ظاهرة، و «لشهادتنا أحق» : هذه الجملة جواب القسم في قوله: «فيقسمان» .." (١)

"٢١٧٤ - ليبك يريد ضارع لخصومة ... ومختبط مما تطيح الطوائح

وللسهولة والتذلل المفهومة من هذه المادة اشتقوا منها للثدي اسما فقالو له: «ضرعا» .

قوله: ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ «لكن» هنا واقعة بين صدين، وهما اللين والقسوة؛ وذلك أن قوله: «تضرعوا» مشعر باللين والسهولة، وكذلك إذا جعلءت الضراعة عبارة عن الإيمان، والقسوة عبارة عن الكفر، وعبرت عن السبب بالمسبب، وعن المسبب بالسبب، ألا ترى أأنه تقول: «آمن قلبه فتضرع، وقسا قلبه فكفر» وهذا أحسن من قول أبي البقاء: «ولكن» استدراك على المعنى، أي ما تضرعوا ولكن يعني أن التخضيض في معنى النفي، وقد يترجع هذا بما قاله الزمخشري فإنه قال: معناه نفي التضرع كأنه قيل: لم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا، ولكنه جاء ب «لولا» ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع، إلا قسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم.

قوله: «وزين لهم» هذه الجملة تحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون استئنافية أخبر تعالى عنهم بذلك.

والثاني: وهو الظاهر -: أنها داخلة في حيز الاستدراك **فهو نسق على** قول: «قست قلوبهم» وهذا رأي الزمخشري فإن قال: «لم يكن عذر في ترك التضرع إلا قسوة قلوبهم وإعابهم بأعمالهم» كما تقدم و «ما» في قوله: «ما كانوا» يحتمل [أن تكون موصولة اسمية أي: الذي كانوا يعملونه] وأن تكون مصدرية، أي: زين لهم عملهم، كقوله: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ [النمل: ٤] ويبعد جعلها نكرة موصوفة.

فصل دلت هذه الآية مع الآية التي قبلها على مذهب أهل السنة، لأنه بين في الآية الأولى أن الكفار يرجعون إلى الله - تعالى - عند نزول الشدائد ثم بين في هذه الآية أنهم لا يرجعون إلى الله - تعالى - عند كل ما كان من جنس الشدائد، بل قد يبقون مصرين على الكفر غير راجعين إلى الله تعالى، وذلك يدل على أن من لم يهده الله لم يهتد سواء شاهد الآيات أو لم يشاهد.

فإن قيل: أليس قوله: ﴿بل إياه تدعون﴾ يدل على أنهم تضرعوا، وها هنا يقول: «قست قلوبهم ولم يتضرعوا»

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٥٨٥

.

فالجواب: أولئك أقوام وهؤلاء أقوام آخرون، أو نقول: أولئك تضرعوا لطلب إزالة." [1]

"والاستدلال؛ لأن فتح تلك الأبواب يفيد وقوع الاختلاف، والمنازعة في الأديان، وتفريق الخلائق إلى هذه المذاهب والأديان، وذلك مذموم بهذه الآية، والمفضي إلى المذموم مذموم، فوجب أن يكون فتح باب النظر والاستدلال مذموما.

وأجيبوا بالآيات الدالة على وجوب النظر والاستدلال كما تقدم مرارا.

فصل في قراءة «يلبسكم»

قرأ أبو عبد لاله المدني: «يلبسكم» بضم الياء من «ألبس» رباعيا، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون المفعول الثاني محذوفا، تقديره أو يلبسكم الفتنة، و «شيعا» على هذا حال، أي: يلبسكم الفتنة في حال تفرقكم وشتاتكم.

الثاني: أن يكون «شيعا» هو المفعول الثاني، كأنه جعل الناس يلبسن بعضهم مجازا كقوله: [المتقارب]

٢١٩١ - لبست أناسا فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أناس أناسا

والشيعة: من يتقوى بهم الإنسان، والجمع: «شيع» كما تقدم، و «أشياع» ، كذا قال الراغب، والظاهر أن «أشياعا» جمع «شيع» ك «عنب» و «أعناب» ، و «ضلع» و «أصلاع» و «شيع» جمع «شيعة» فهو جمع الجمع.

قوله: «ويذيق» نسق على «يبعث» ، والإذاقة استعارة، وهي فاشية: ﴿ذوقوا مس سقر﴾ [القمر: ٤٨] ، ﴿ذق إنك﴾ [الدخان: ٤٩] ، ﴿فذوقوا العذاب﴾ [الأنعام: ٣٠] .

وقال: [الوافر]

٢١٩٢ - أذقناهم كئوس الموت صرفا ... وذاقوا من أسنتنا كئوسا

وقرأ الأعمش: «ونذيق» بنون العظمة، وهو التتفات، فائدته تعظيم الأمر، والتحذير من سطوته.

قوله: ﴿انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾

قال القاضي: هذا يدل على أنه - تعالى أراد بتصريف الآيات، وتقرير هذه البينات أن يفهم الكل تلك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤٨/٨

الدلائل، ويفقه الكل تلك البينات.

وأجيب بأن ظاهر الآية يدل على أنه – تعالى – ما صرف هذه الآيات إلا لمن فقه." [(١)]

"أنه إذا جاز أن يكون حالا من ظاهره، جاز أن يكون حالا من ضميره، إلا أن يمنع مانع.

قوله:» ونرد «فيه وجهان:

أظهرهما: **أنه نسق على**» ندعوا «فهو داخل في حيز الاستفهام المتسلط عليه القول.

الثاني: أنه حال على إضمار مبتدأ؛ أي: ونحن نرد.

قال أبو حيان بعد نقله هنا عن أبي البقاء:» وهوضعيف لأضمار المبتدأ، ولأنها تكون حالا مؤكدة «، وفي كونها مؤكدة نظر؛ لأن المؤكدة ما فهم معناها من الأول، وكأنه يقول: من لازم الدعاء» من دون الله «الارتداد على العقب.

قوله:» على أعقابنا «فيه وجهان:

أحدهما: أنه معلق ب» نرد «.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف على أنه حال من مرفوع» نرد «أي: نرد راجعين على أعقابنا، أو منقلبين، أو متأخرين كذا قدروه، وهو تفسير معنى؛ إذا المقدر في مثله كون مطلق، وهذا يحتمل أن يقال فيه: إنه حال مؤكدة، و» بعد إذ «متعلق ب» نرد «.

[ومعنى الآية: ونرد على أعقابنا إلى الشرك مرتديn بعد إذ هدانا الله إلى الإسلام.

يقال لكل من أعرض عن الحق إلى الباطل: إنه رجع إلى خلف، ورجع على عقبيه، ورجع القهقرى؛ لأن الأصل في الإنسان الجهل ثم يترقى ويتعلم حتى يتكاملن ويحصل له العلم.

قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ [النحل: ٧٨] فإذا رجع من العلم إلى الجهل مرة أخرى، فكأنه رجع إلى أول أمره، فلهذا السبب يقال: فلان رد على عقبيه] .

قوله «كالذي استهوته» في هذه الكاف وجهان:

أحدهما: أنه نعت مصدر محذوف؛ أي: نرد ردا مثل رد الذين.

الثاني: في محل نصب على الحال من مرفوع «نرد» ، أي: نرد مشبهين الذي استهوته الشياطين، فمن جوز تعدد الحال جعلها حالا ثانية، إن جعل «على أعقابنا» حالا، ومن لم يجوز ذلك جعل هذه الحال

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨/٢٠٤

بدلا من الحال الأولى، أو لم يجعل على أعقابنا حالا، بل معلقا ب «نرد» . الجمهور على «استهوته» بتاء التأنيث. وحمزة «استهواه» وهو على قاعدته من الإمالة، والوجهان معروفان مما تقدم في ﴿توفته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١] وقرأ أبو عبد الرحمن والأعمش: «استهوته الشيطان» بتأنيث الفعل، والشيطان مفردا.." (١)

"٢٠٤٤ - أريد لأنسى حبها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل طريق

وهذا ليس مذهب سبيويه، إنما مذهبه ما تقدم تحقيقه في «سورة النساء» .

قوله «وأن أقيموا» فيه أقوال:

أحدها: أنها في محل نصب بالقول نسقا على قوله: «إن هدى الله هو الهدى» أي: قل هذين الشيئين.

والثاني: **أنه نسق على** «لنسلم» أي: وأمرنا بكذا للإسلام، ولنقيم الصلاة، و «أن» توصل بالأمر كقولهم: كتب إليه بأن قم، حكاه سبيويه وهذا رأي الزجاج.

والثالث: **أنه نسق على** «ائتنا» قال مكي: لأن معناه: «أن ائتنا» ، وهو غير ظاهر.

والرابع: أنه معطوف على مفعول الأمر المقدر، والتقدير: وأمرنا بالإيمان، وبإقامة الصلاة قاله ابن عطية.

قال أبو حيان: وهذا لا بأس به، إذ لا بد من تقدير المفعول الثاني ل «أمرنا» ويجوز حذف المعطوف عليه لفهم المعنى؛ تقول: أضربت زيدا؟ فيجب نعم وعمرا؛ والتقدير: ضربته وعمرا.

وقد أجاز الفراء: «جاءني الذي وزيد قائمان» ، التقدير: الذي هو وزيد قائمان، فحذف «هو» لدلالة المعنى عليه، وهذا الذي قاله أنه لا بأس به ليس من أصول البصريين.

و «أما نعم وعمرا» فلا دلالة فيه؛ لأن «نعم» قامت مقام الجملة المحذوفة.

وقال مكي قريبا من هذا القول، إلا أنه لم يصرح بحذف المعطوف عليه، فإنه قال: و «أن» في موضع نصب بحذف الجار، تقديره: وبأن أقيموا، فقوله: وبأن أقيموا هو معنى قول ابن عطية، إلا أن ذلك [أوضحه] بحذف المعطوف عليه.

وقال الزمخشري: فإن قلت: علام عطف قوله: «وأن أقيموا» ؟ قلت: على موضع «لنسلم» كأنه قيل: وأمرنا أن نسملم، وأن أقيموا.

قال أبو حيان: وظاهر هذا التقدير أن «لنسلم» في موضع المفعول الثاني ل «أمرنا» وعطف عليه: «وأن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢١٧/٨

أقيموا» فكتون اللام على هذا زائدة، وكان قد تقدم قبل هذا أن «اللام» تعليل للأمر، فتناقض كلامه؛ لأن ما يكون علة يستحيل أن يكون معفولا،." [١]

"لما بين في الآيات المتقدمة فساد طريقة عبادة الأصنام ذكر هاهنا ما يدل على أن لا معبود إلا الله، وذكرها هاهنا أنواعا من الدلائل:

أحدهما: قوله: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق﴾ تقدم أول السورة.

وقوله: «بالحق» قيل: الباء بمعنى اللام، أي إظهار للحق؛ لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته، فهو نظير قوله: ﴿ربنآ ما خلقت هذا باطلا﴾ [آل عمران: ١٩١] ، وقوله: ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ [الدخان: ٣٨] .

وثانيها: قوله: ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ في «يوم» ثمانية أوجه:

أحدهما: - وهو قول الزجاج - أنه مفعول به لا ظرف، وهو معطوف على الهاء في «اتقواه» أي: واتقوا يوما أي: عقاب يوم يقول، أو هوله أو فزعه، فهو كقوله تعالى في موضع آخر: ﴿واتقوا يوما لا تجزي﴾ [البقرة: ٤٨] على المشهور في إعرابه.

والثاني: أنه مفعول به أيضا، **ولكنه نسق على** السموات والأرض، أي: وهو الذي خلق يوم يقول.

الثالث: أنه مفعول ل «اذكر» مقدرا.

الرابع: أنه منصوب بعامل مقدر، وذلك العامل المقدر مفعول فعل مقدر أيضا، والتقدير: واذكروا الإعادة يوم يقول: كن، أي يوم يقول الله للإجساد: كوني معادة.

الخامس: أنه عطف على موضع قوله: «بالحق» فإن موضعه نصب، ويكون «يقول» بمعنى قال ماضيان كأنه قيل: وهو اذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم قال لها: كن.

السادس: أن يكون «يوم يقول: كن فيكون، وإليه ننحا الزمخشري، فإنه قال:» قوله الحق «مبتدأ، و» يوم يقول «خبره مقدما عليه، وانتصابه بمعنى الاستقرار، كقولك:» يوم الجمعة القتال «واليوم بمعنى الحين، والمعنى: أنه خلق السموات والأرض قائما بالحكم، وحين يقول لشيء من الأشياء: كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة.

فإن قيل: قول الله حق في كل وقت، فما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذين الوصفين؟ فالجواب: لأن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٢/٨

هذا اليوم لا يظهر فيه من أحد نفع ولا ضر، كما قال تعالى: ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئا﴾ ﴿والأمر يومئذ لله﴾ [الانفطار: ١٩] فلهذا السبب حسن هذا التخصيص.." (١)

"الوحي «، أو الإيحاء. والأولأ أولى؛ لأن فيه فائدة جديدة، بخلاف الثاني فإن معنى المصدر مفهوم من الفعل قبله.

قوله:» ولم يوح إليه «جملة حالية، وحذف الفاعل هنا تعظيما له؛ لأن الموحي هو الله تعالى.

قوله: «ومن قال» مجرور المحل؛ لأنه نسق على «من» المجرور ب «من» أي: وممن قال، وقد تقدم نظير هذا الاستفهام في «البقرة: وهناك سؤال وجوابه.

قوله ﴿سأنزل مثل مآ أنزل الله﴾ وقرا أبو حيوة:» سأنزل «مضعفا وقوله:» مثل «يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أنه منصوب على المفعول به، أي سأنزل قرآنا مثل ما أن الله، و» ما «على هذا موصولة اسمية، أن نكرة موصوفة، أي: مثل الذي أنزله، أو مثل شيء أنزله.

والثاني: أن يكون نعتا لمصدر محذوف، تقديره: سأنزل إنزالا مثل ما أنزل الله، و» ما «على هذا مصدرية، أي: مثل إنزال الله.

فصل في نزول الآية

قيل: نزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم، وكان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه» سميعا بصيرا «كتب عليما حكيما، وإذا أملى عليه» عليما حكيما «كتب» غفورا رحيما «فلما نزل قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] أملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان، فلما انتهى إلى قوله: ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] فقال النبي صلى الله عليه وسلم :» اكتبها فهكذا نزلت «فشك عبد الله. فقال: لئن كان محمد صادقا فقد أوحي إلي كما أوحي إليه فارتد عن الإسلام، ولحق بالمشركين، ثم رجع عبد الله إلى الإسلام قبل فتح» مكة «المشرفة، إذ نزل النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: يريد النضر بن الحارث، والمستهزئين، وهو جواب لقولهم: ﴿لو نشآء لقلنا مثل هذا﴾ [الأنفال: ٣١] وقوله في القرآن: }إن هاذآ إلا أساطير الأولين﴾ [الأنفال: ٣١] فكل أحمد يمكنه الإتيان [بمثله] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٢٣/٨

» ولو ترى «يا محمد» إذ الظالمون «و» إذا «منصوب ب» ترى «، ومفعول الرؤية محذوف، أي: ولو ترى الكفار الكذبة، ويجوز ألا يقدر لها مفعول، أي: ولو كنت من أهل الرؤية في هذا الوقت، وجواب» لو «محذوف، أي: لرأيت أمرا عظيما.

و» الظالمون «يجوز أن تكون فيه» أل «للجنس، وأن تكون للعهد، والمراد بهم من تقدم." (١)

"وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله، ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيبني، فيجرني إلى المعاصي.

قوله: «يوحي» يحتمل أن يكون مستأنفا، أخبر عنهم بذلك، وأن يكون حالا من «شياطين» وأن يكون وصفا ل «عدوا» وقد تقدم واقع موقع أعداء، فلذلك عاد الضمير عليه جمعا في قوله «بعضهم» انتهى.

فصل في معنى قوله: «يوحي»

الوحي: هو عبارة عن الإيماء، والقول السريع، والزخرف هو الذي يكون باطنه باطلا، وظاهر مزينا، يقال: فلان يزخرف كلامه، إذا زينه بالباطل والكذب، وكل شيء حسن مموه، فهو مزخرف والزخرف: الزينة، وكلام مزخرف، [أي] : منمق، وأصله الذهب، ولما كان الذهب معجب لكل أحد، قيل لكل مستحسن مزين: زخرف.

وقال أبو عبيدة: كل ما حسنته، وزينته، وهو باطل: فهو زخرف، وهذا لا يلزم، إذ قد يطلق على ما هو زينة حق، وبيت مزخرف، أي: مزين بالنقش، ومنه الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي يعني: أنهم كانوا يزينون الكعبة بنقوش ووتصاوير مموهة بالذهب، فأمر بإخراجها.

قوله: «غروا» قيل: نصب على المفعول له، أي: لا يغروا غيرهم.

وقيل: هو مصدر في موضع الحال، أي: غارين، وأن يكون منصوبا على المصدر؛ لأن العامل فيه بمعناه، كأنه قيل: «يغرون غروا بالوحي» .

قوله: «ولو شاء ربك ما فعلوه» ما ألقواه من الوسوسة في القلوب، وقد تقدم الكلام في المشيئة ومدلولها مع المعتزلة.

قوله: «وما يفترون» «ما» موصولة اسمية، أو نكرة موصوفة، والعائد على كلا هذين القولين محذوف، أي: «وما يفترونه» أو مصدرية، وعلى كل قوله فمحلها نصب، وفيه وجهان:

أحدهما: أنها نسق على المفعول في: «فذرهم» أي: اتركهم، واترك افتراءهم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨/٢٨٨

والثاني: أنها مفعول معه، وهو مرجوح، لأنه متى أمكن العطف من غير ضعف في التركب، أو في المعنى، كان أولى من المفعول معه.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – يريد بقوله: «فذرهم وما يفترون» : ما زين لهم إبليس وغرهم.." [١]

"في هذه اللام ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها لام «كي» والفعل بعدها منصوب بإضمار «أن» وفيما يتعلق به احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يتعلق ب «يوحي» على **أنها نسق على** «غرورا» و «غرورا» مفعول له، والتقدير: «ويحي بعضهم إلى بعض للغرور وللصغو» ، ولكن لما كان المفعول له الأول مستكملا لشروط النصب، نصب، ولما كان هذا غير مستكمل للشروط، وصل افعل إليه بحرف العلة، وقد فاته من الشروط كونه لم يتحد فيه الفاعل، فإن فاعل الوحي: «بعضهم» ، وفاعل الصغو: «الأفئدة» وفات أيضا من الشروط صريح المصدرية.

والاحتمال الثاني: أن يتعلق بمحذوف متأخر بعدها، فقدره الزجاج، ولتصغى إليه فعلوا ذلك، وكذا قدره الزمخشري، فقال: ولتصغى جوابه محذوف، تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة.

والوجه الثاني: أن اللام لام الصيرورة وهي التي يعبرون عنها بلام العاقبة، وهي رأي الزمخشري، كما تقدم حكايته عنه.

الوجه الثالث: أنها لام القسم.

قال أبو البقاء: «إلا أنها كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون» وما قاله غير معروف، بل المعروف في هذا القول: أن هذه لام كي، وهي جواب قسم محذوف، تقديره: والله لتصغى فوضع «لتصغى» موضع «لتصغين» فصار دواب القسم من قبيل المفرد؛ كقولك: «والله ليقوم زيد» أي: «أحلف بالله لقيام زيد» هذا مذهب الأخفش وأنشد: [الطويل]

٢٢٨٩ – إذا قلت قدني قال بالله حلفة ... لتغني عني ذا إنائك أجمعا

فقوله: «لتغني» جواب القسم، فقد ظهر أن هذا القائل يقول بكونها لام كي، غاية." [٢]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٦/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٨٧/٨

"قيل «**كذلك**» **نسق على** «كذلك» قبلها ففيها ما فيها.

وقدره الزمخشري بأن معناه: «وكما جعلنا في مكة المشرفة صناديدها ليمكروا» يجوز أن تكون فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها «واللام في» ليمكروا «يجوز أن تكون للعقاقبة؛ وأن تكون للعلة مجازا، و» جعل «تصييرية، فتتعدى لاثنين، واختلف في تقديرهما: والصحيح أنء تكون» في قرية «مفعولا ثاينا قدم على الأول، والأول» أكابر «مضافا لمجرميها.

الثاني: أن» في كل قرية «مفعول – مقدم، و» أكابر «هو الأول، و» مجرميها «بدل من» أكابر «؛ ذكر ذلك أبو البقاء.

الثالث: أن يكون» أكابر «معفولا ثانيا قدم، و» مجريمها «مفعول أول أخر، والتقدير: جعلءنا في كل قرية مجرميها أكابر، فيتعلق الجار بنفس الفعل قبلهح ذكر ذلك ابن عطية.

قال أبو حيان:» وما أجازاه – يعني: أبا البقاء، وابن عطية ٠ خطأ وذهول عن قاعدة نحوية، وهي أن أفعل التفضيل إذا كانت ب «من» ملفوظا بها، أو مقدرة، أو مضافة إلى نكرة كانت مفردة على كل حال، سواء كانت لمذكر، أم مؤنث، مفرد أم مثنى أم مجموع، وإذا ثنيت أو جمعت أو أنثت وطابقت ما هي له، لزمها أحد أمرين: إما الألف واللام، وإما الإضافة لمعرفة.

وإذا تقرر ذلك، فالقول بكون «مجرميها» بدلا، أو بكونه مفعولا أول، و «أكابر» مفعول ثان – خطأ؛ لاستلزام أن يبقى «أكابر» مجموعا وليست في ألف ولام، ولا هي مضافة لمعرفة «. قال:» وقد تنبه الكرماني إلى هذه القاعدة فقال: أضاف «أكابر» إلى «مجرميها» لأن أفعل لا يجمع إلا مع الألف واللام، أو مع الإضافة «.

قال أبو حيان:» وكان ينبغي أن يقيد بالإضافة إلى معرفة «.

قال شهاب الدين: أما هذه القاعدة فمسلمة، ولكن قد ذكر مكي مثل ما ذكر عن ابن عطية سواء، وما أظنه أخذ إلا منه، وكذلك الواحدي أيضا، ومنع أن تجوز إضافة» أكابر «إلى مجرميها» ؛ قال رحمه الله: «والآية على التقديم، والتأخير تقديره: "." (١)

"قال الفراء: ﴿أو هم قآئلون﴾ فيه واو مضمرة، المعنى: أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فاستثقلوا نسقا على أثر نسق، ولو قيل لكان صوابا.

قلت: قد تقدم أن الشيخ نقل أن الواو ممتنعة في هذا المثال، ولم يحك خلافا، وهذا قول الفراء: «ولو قيل

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨/٤١٠

لكان صوابا» مصرح بالخلاف له.
وقال أبو بكر: أضمرت واو الحال لوضوح معناها كما تقول العرب: «لقيت عبد الله مسرعا، أو هو يركض» فيحذفون الواو لأمنهم اللبس، لأن الذكر قد عاد على صاحب الحال، ومن أجل أن «أو» حرف عطف والو كذلك، فاستثقلوا جمعا بين حرفين من حروف العطف، فحذفوا الثاني.
قال شهاب الدين: فهذا تصريح من هذين الإمامين بما ذكره أبوا القاسم، وإنما ذكرت نص هذين الإمامين؛ لأعلم اطلاعه على اقوال الناس، وأنه لا يأتي بغير مصطلح أهل العلم كما يرميه به غير مرة.
و «قائلثون» من القيلأولة. يقال: قال يقيل [قيلولة﴾ فهو قائل ك «بائع» والقيلورة: الراحة والدعة في الحر وسط النهار، وإن لم يكن معها نوم.
وقال الليث: هي نومة نصف النهار.
قال الأزهري: «القيلولة: الراحة، وإن لم يكن فيها نوم بدليل قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا﴾ [الفرقان: ٢٤] ، والجنة لا نوم فيها» .
قال شهاب الدين: و «ولا دليل فيما ذكر؛ لأن المقيل هنا خرج عن موضعه الأصلي إلى مجرد الإقامة بدليل أنه لا يراد أيضا الاستراحة في نصف النهار في الحر فقد خرج عن موضعه عندنا وعندكم إلى ما ذكرنا، والقيلولة مصدر ومثلها: القائلة والقيل والمقيل» .
فصل في المراد بالآية
معنى الآية أنهم جاءهم بأسنا، وهم غير متوقعين له، إما ليلا وهم نائمون، أو نهارا وهم قائلون، والمراد أنهم جاءهم العذاب على حين غفلة منهم، من غير تقدم أمارة تدلهم على نزول ذلك العذاب مكانه، قيل للكفار: لا تغتروا بأسباب الأمن والراحة، فإن عذاب الله إذا وقع وقع دفعة من غير سبق أمارة.." (١)
"قوله: «وأقيموا» فيه وجهان:
أظهرهما: أنه معطوف على الأمر المقدر أي الذي ينحل إليه المصدر، وهو «بالقسط» وذلك أن القسط مصدر فهو ينحل لحرف مصدري، وفعل، فالتقدير: قل: أمر ربي بأن أقسطوا وأقيموا، وكما أن المصدر ينحل إلى «أن والفعل الماضي» نحو: عجبت من قيام زيد وخرج، أي: من أن قام، وخرج ول «أن» وللفعل المضارع كقولها: [الوافر]
٢٤٤٩ - للبس عباءة وتقر عيني..... ... ...

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٧/٩

أي: لأن ألبس عباءة وتقر، كذلك ينحل ل «أن» وفعل أمر؛ لأنها توصل بالثلاث الصيغ: الماضي والمضارع والأمر بشرط التصرف، وقد تقدم تحقيق هذه المسألة وإشكالها وجوابه.

وهذا بخلاف «ما» فإنها لا توصل بالأمر، وبخلاف «كي» فإنها لا توصل إلا بالمضارع، فلذلك لا ينحل المصدر إلى «ما» وفعل أمر، ولا إلى «كي» وفعل ماضي أو مضارع.

وقال الزمخشري: وقل أقيموا وجوهكم أي: اقصدوا عبادته، وهذا من الزمخشري يحتمل تأويلين:

أحدهما: أن يكون قوله «قل» أراد أنه مقدر غير هذا الملفوظ به فيكون «وأقيموا» معمولا لقول أمر مقدر، وأن يكون معطوفا على قوله: «أمر ربي» فإنه معمول ل «قل» وإنما أظهر الزمخشري «قل» مع أقيموا لتحقيق عطفيته على «أمر ربي» .

ويجوز أن يكون قوله «وأقيموا» معطوفا على أمر محذوف تقديره قل: أقبلوا وأقيموا.

وقال الجرجاني صاحب «النظم» : **نسق الأمر** على الجر وجاز ذلك؛ لأن قوله ﴿قل أمر ربي﴾ قول لأن الأمر لا يكون إلا كلاما، والكلام قول، وكأنه قال: قل: يقول ربي: اقسطوا وأقيموا، يعني أنه عطف على المعنى.

و «مسجد» هنا يحتمل أن يكون مكانا وزمانا.

قال الزمخشري: في وقت كل سجود، وفي مكان كل سجود، وكان من حق «مسجد» بفتح العين لضمها في المضارع، وله في هذا الشذوذ أخوات كثيرة مذكورة في التصريف.." (١)

"والثاني: أنه مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ [الأنعام: ١٥١] ، والمعنك لا تقدموا على إيذاء الناس بالقتل والقهر، إلا أن يكون لكم فيه حق فحينئذ يخرج عن أن يكون بغيا.

وقوله:» وأن تشركوا «منصوب المحل نسقا على مفعول» حرم «أي: وحرم إشراككم عليكم، ومفعول الإشراك ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ وقد تقدم بيانه في» الأنعام «، تهكم بهم؛ لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا أن يشرك به غيره.

قوله: ﴿وأن تقولوا على **الله﴾ نسق على** ما قبله أي: وحرم قولكم عليه من غير علم، وقد تقدم الكلام عليه في هذه السورة عند قوله ﴿إن الله لا يأمر بالفحشآء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٢٨] .

فإن قيل: كلمة» إنما «تفيد الحصر، إنما حرم ربي كذا وكذا يفيد الحصر، والمحرمات غير محصور في

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٨١

هذه الأشياء؟

فالجواب: إن قلنا إن الفاحشة محمولة على مطلق الكبائر، والإثم على مطلق الذنب دخل كل الذنوب فيه، وإن حملنا الفاحشة على الزنا، والإثم على الخمر فنقول: الجنايات محصورة في خمسة:

أحدها: الجنايات على الإنسانية، فهذا إنما يحصل بالزنا، وهو المراد بقوله: ﴿إنما حرم ربي الفواحش﴾ .

وثانيها: الجنايات على العقول، وهي شرب الخمر، وإليه الإشارة بقوله» والإثم «.

وثالثها ورابعها: الجنايات على النفوس والأموال، وإليه الإشارة بقوله: ﴿والبغي بغير الحق﴾ .

وخامسها: الجناية على الأديان، وهي من وجهين:

أحدهما: الطعن في توحيد الله تبارك وتعالى.

والثاني: الطعن في أحكامه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .

فلما كانت الجنايات هذه الأشياء، وكانت البواقي كالفروع والتوابع، لا جرم كان ذكرها جار مجرى ذكر الكل، فأدخل فيها كلمة» إنما «المفيدة للحصر.

فإن قيل: الفاحشة والإثم هو الذي نهى الله تعالى عنه فصار تقدير الآية الكريمة: إنما حرم ربي المحرمات، وهو كلام خال عن الفائدة؟

فالجواب، كون الفعل فاحشة إنما هو عبارة عن اشتماله في ذاته على أمور باعتبارها يجب النهي عنه فسقط السؤال.. " (١)

"قوله «أينما كنتم» أي أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وكتبت «أينما» متصلة وحقها الانفصال، لأن «ما» موصولة لا صلة إذ التقدير: أين الذين تدعونهم ولذلك كتبت ﴿إن ما توعدون لآت﴾ [الأنعام: ١٣٤] منفصلا و ﴿إنما الله﴾ [النساء: ١٧١] متصلا.

قوله «ضلوا» جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، وذلك أن السؤال إنما وقع عن مكان الذين كانوا يدعونهم من دون الله، فلو جاء الجواب **على نسق السؤال** لقيل: هم في المكان الفلاني، وإنما المعنى: ما فعل معبودكم ومن كنتم تدعونهم، فأجابوا بأنهم ضلوا عنهم وغابوا.

قوله: «وشهدوا» يحتمل أن يكون نسقا على «قالوا» الذي وقع جوابا لسؤال الرسل، فيكون داخلا في الجواب أيضا.

ويحتمل أن يكون مستأنفا منقطعا عما قبله ليس داخلا في حيز الجواب كذا قال أبو حيان وفيه نظر؛ من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٩٨

حيث إنه جعل هذه الجملة جوابا لعطفها على «قالوا» ، و «قالوا» في الحقيقة ليس هو الجواب، إنما الجواب هو مقول هذا القول، وهو «ضلوا عنا» ف «ضلوا عنا» هو الجواب الحقيقي الذي يستفاد منه الكلام.

ونظيره أن يقولك سألت زيدا ما فعل؟ فقال: أطعمت وكسوت فنفس أطعمت، وكسوت هو الجواب.

وإذا تقرر هذا فكان ينبغي أن يقول: «فيكون» معطوفا على «ضلوا عنا» ، ثم لو قال كذلك لكان مشكلا من جهة أخرى، وهو أنه كان يكون التركيب الكلامي: «ضلوا عنا وشهدنا على أنفسنا أنا كنا» ، إلا أن يقال: حكى الجواب الثاني على المعنى، فهو محتمل على بعد بعيد.

ومعنى الآية أنهم اعترفوا عند معاينة الموت أنهم كانوا كافرين.." (١)

"وقال الفراء: «وجاز أن ترد» يفعل « [على فعل] في جواب» لو «كقوله: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر﴾ [يونس: ١١] فقوله:» فنذر «مردود على» لقضى «، وهذا قول الجمهور، ومفعول» يشاء «محذوف لدلالة جواب» لو «عليه، والتقدير: لو يشاء تعذيبهم، أو الانتقام منهم.

وتى جوابها بغير لام، وإن كان مبنيا على أحد الجائزين وإن كان الأكثر خلافه، كقوله تعالى: ﴿لو نشآء جعلناه أجاجا﴾

[الواقعة: ٧٠] .

قوله: «ونطبع» في هذه الجملة أوجه:

أحدها: أنها نسق على «أصبناهم» وجاز عطف المضارع على الماضي؛ لأنه بمعناه، وقد تقدم أن «لو» تخلص المضارع للمضي، ولما حكى أبو حيان كلام ابن الأنباري المتقدم قال: «فجعل» لو «شرطية بمعنى» إن «ولم يجعلها التي هي لما كان سيقع لوقوع غيره، ولذلك جعل» أصبنا «بمعنى نصيب.

ومثال وقوع» لو «بمعنى» إن «قوله: [الكامل]

٢٥٣٣ - لا يلفك الراجيك إلا مظهرا ... خلق الكرام ولو تكون عديما

وهذا الذي قاله ابن الأنباري رده الزمخشري من حيث المعنى، لكن بتقدير: أن يكون» ونطبع «بمعنى» طبعنا «فيكون قد عطف المضارع على الماضي لكونه بمعنى المضاي وابن الأنباري جعل التأويل في» أصبنا «الذي هو جواب» لو نشاء «فجعله بمعنى» نصيب «فتأول المعطوف عليه وهو الجواب، ورده إلى

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/١٠٥

المستقبل، والزمخشري تأول المعطوف ورده إلى المضي وأنتج رد الزمخشري أن كلا التقديرين لا يصح» .
قال الزمخشري: «فإن قلت: هل يجوز أن يكون» ونطبع «بمعنى» طبعنا «كما كان» لو نشاء «بمعنى» لو شئنا «ويعطف على» أصبناهم «؟
قلت: لا يساعد على المعنى؛ لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها، وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم من هذه الصفة، وأن الله لو شاء لاتصفوا بها» .
قال أبو حيان: «وهذا الرد ظاهر الصحة، وملخصه: أن المعطوف على الجواب جواب، سواء تأولنا المعطوف عليه أم المعطوف، وجواب» لو «لم يقع بعد، سواء كانت حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره أم بمعنى» إن «الشرطية، والإصابة لم تقع، والطبع على القلوب واقع، فلا يصح أن تعطف على الجواب. فإن تؤول» ونطبع «على معنى: ونستمر." (١)

"[الثاني: أن الهمزة كثيرا ما يطرأ عيلها التغيير وهي هنا في معرض أن تبدل ياء ساكنة لسكونها بعد كسره فكأنها وليت ياء ساكنة فلذلك كسرت] .
وقد اعترض أبو شامة على هذين الجوابين بثلاثة أوجه:
الأول: أن الهمز حاجز معتد به بإجماع في ﴿أنبئهم﴾ [البقرة: ٣٣] ، ﴿ونبئهم﴾ [القمر: ٢٨] والحكم واحد في ضمير الجمع والمفرد فيما يرجع إلى الكسر والضم.
الثالث: أن الهمز لو قلب ياء لكان الوجه المختار ضم الهاء مع صريح الياء نظرا إلى أن أصلها همزة، فما الظن بمن يكسر الهاء مع صريح الهمزة، وسيأتي تحقيق ذلك في باب وقف حمزة وهشام، فضم الهاء مع الهمزة هو الوجه.
وقد استضعف أبو البقاء قراءة ابن كثير وهشام فإنه قال: «وأرجئه» يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشابع وهو الجيد، وبالإشباع وهو ضعيف؛ لأن الهاء خفية، فكأن الواو التي بعدها تتلو الهمزة، وهو قريب من الجمع بين الساكنين ومن هاهنا ضعف قولهم: «عليهمي مال» بالإشباع.
قال شهاب الدين: «وهذا التضعيف ليس بشيء؛ لأنها لغة ثابتة عن العرب، أعني إشباع حركة الهاء بعد ساكن مطلقا، وقد تقدم أن هذا أصل لابن كثير ليس مختصا بهذه اللفظة، بل قاعدته كل هاء كناية بعد ساكن أن تشبع حركتها حتى تتولد منها حرف مد نحو:» منهو، وعنهو، وأرجئهو «إلا قبل ساكن فإن المد يحذف لالتقاء الساكنين إلا في موضع واحد رواه عنه البزي وهو ﴿عنه تلهى﴾ [عبس: ١٠] بتشديد التاء،

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٩/٩

ولذلك استضعف الزجاج قراءة الأخوين قال بعد ما أنشد قول الشاعر: [الرجز]

٢٥٣٩ – لما رأى أن لا دعه ولا شبع ... مال إلى أرطاة حقف فالطجع

» هذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل له: أخطأت؛ لأن الشاعر يجوز أن يخطئ مذهب لا يعرج عليه «.

قال شهاب الدين:» وقد تقدم أن تسكين هاء الكناية لغة ثابتة، وتقدم شواهدها، فلا حاجة إلى الإعادة .«

قوله:» وأخاه «الأحسن أن يكون نسقا على الهاء في» أرجه «ويضعف نصله على المعية **لإمكان النسق من** غير ضعف لفظي ولا معنوي.." (١)

"وقرأ الحسن في رواية عنه ونعيم بن ميسرة «ويذرك» برفع الراء، وفيها ثلاثة أوجه:

أظهرها: أنه **عطف نسق على** «أتذر» أي: أتطلق له ذلك.

الثاني: أنه استئناف أي، إخبار بذلك.

الثالث: أنه حال، ولا بد من إضمار مبتدأ، أي: وهو يذرك.

وقرأ الحسن أيضا والأشهب العقيلي «ويذرك» بالجزم، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه جزم على التوهم، كأنه توهم جزم «يفسدوا» في جواب الاستفهام وعطف عليه بالجزم، كقوله: ﴿فأصدق وأكن﴾ [المنافقون: ١٠] بجزم «أكن» .

والثاني: أنها تخفيف كقراءة أبي عمرو ﴿ينصركم﴾ [آل عمران: ١٦٠] وبابه.

وقرأ أنس بن مالك «ونذرك» بنون الجماعة ورفع الراء، توعدوه بذلك، أو أن الأمر يؤول إلى ذلك فيكون خبرا محضا. وقرأ عبد الله والاعمش بما يخالف السواد، فلا حاجة إلى ذكره.

وقرأ العامة «آلهتك» بالجمع.

روي أنه كان يعبد آلهة متعددة كالبقر، ولذلك أخرج السامري لهم عجلا، وروي أنه كان يعبد الحجارة وال كواكب، أو آلهته التي شرع عبادتها لهم وجعل نفسه الإله الأعلى في قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] .

وقرأ علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، وأنس وجماعة كثيرة «وإلاهتك» ، وفيها وجهان:

أحدهما: أن «الإلاهة» اسم للمعبود، ويكون المراد بها معبود فرعون، وهي الشمس.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٢٥٤

روى أنه كان يعبد الشمس، والشمس تسمى «الإهة» ، علما عليها، ولذلك منعت الصرف، للعملية والتأنيث؛ قال الشاعر: [الوافر]

٢٥٤٦ - تروحنا من اللغباء عصرا ... فأعجلنا الإلهة أن تئوبا." [١]

"قوله: ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ . في هذه الجملة احتمالان:

أحدهما: **أنها نسق على** خبر أن، أي: ذلك بأنهم كذبوا، وبأنهم كانوا غافلين عن آياتنا.

والثاني: أنها مستأنفة، أخبر الله تعالى عنهم بأنهم من شأنهم الغفلة عن الآيات وتدبرها.." [٢]

"قال أبو عبيد: جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء.

يقال: «الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر» . وأما العر بسكون الراء فما خالف الثمين، أعني الدراهم والدنانير وجمعه عروض، فكان العرض من العرض وليس كل عرض عرضا. والمعنى: حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا، والمراد منه: التخسيس والتحقير، والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب؛ لأنه عاجل قريب، وإما من دنو الحال وسقوطها. وتقدم الكلام عليه.

قوله **ويقولون نسق على** يأخذون بوجهيه، وسيغفر معموله، وفي القائم مقام فاعله وجهان: أحدهما الجا بعده وهو «لنا» والثاني: أنه ضمير الأخذ المدلول عليه بقوله يأخذون أي: سيغفر لنا أخذ العرض الأدنى.

قوله: ﴿وإن يأتهم عرض﴾ هذه الجملة الشرطية فيها وجهان:

أظهرهما: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

والثاني: أن الواو للحال، وما بعدها منصوب عليها.

قال الزمخشري: الواو للحال، أي: يرجون المغفرة وهم مصرو ن عائدون إلى فعلهم غير تائبين، وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة، والمصر لا غفران له انتهى. وإنما جعل الواو للحال لهذا الغرض الذي ذكره من أن الغفران شرطه التوبة، وهو رأي المعتزلة وأما أهل السنة: فيجوز مع عدم التوبة، لأن الفاعل مختار.

والعرض - بفتح الراء - ما لا ثبات له، ومنه استعار المتكلمون: العرض المقابل للجوهر.

وقال أبو عبيدة: العرض - بالفتح - جميع متاع الدنيا غير النقدين. كما تقدم.

قال المفسرون: المراد بالكلام: الإخبار عن إصرارهم على الذنوب.

وقال الحسن: هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا، وأنهم «يستمتعون» منها.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٢٧٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٣١٤

ثم قال تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ أي: التوراة: ﴿أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ والمراد منعهم عن تحريف الكتاب، وتغيير الشرائع، لأجل أخذ الرشوة.

قوله: ﴿أن لا يقولوا﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: أن محله رفع على البدل من «ميثاق» ؛ لأن قول الحق هو ميث ا ق الكتاب.

والثاني: أنه عطف بيان له وهو قريب من الأول.

والثالث: أنه منصوب على المفعول من أجله.." (١)

"ومن المعلوم بالعادة أن المؤمن يستقذر نفسه إذا كان جنبا، ويغتم إذا لم يمكن من الاغتسال، وقد يستدل بهذا على حصول اليسر وزوال العسر.

قوله: «ويذهب عنكم» نسق على «ليطهركم» وقرأ عيسى بن عمر: «ويذهب» بسكون الباء وهو تخفيف سماه أبو حيان: جزما. والعامة على «رجز» بكسر الراء وبالزاي.

وقرأ ابن محيصن: بضم الراء، وابن أبي عبلة بالسين، وقد تقدم الكلام على كل واحد منهم.

ومعنى: رجز الشيطان ههنا: ما ينشأ عن وسوسته، وقيل: الاحتلام، وقيل: إن الكفار لما نزلوا على الماء وسوس الشيطان للمسلمين وخوفهم من الهلاك، فلما نزل زالت تلك الوسوسة. فإن قيل: فأي هذه الوجوه أولى؟ .

فالجواب: أن قوله «ليطهركم» معناه ليزيل الجنابة عنكم، فلو حملنا قوله ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ على الجنابة لزم التكرار، وهو خلاف الأصل.

ويمكن أن يجاب بأن المراد من قوله «ليطهركم» حصول الطهارة الشرعية، والمراد: ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ إزالة عين المني عن أعضائهم فإنه شيء مستخبث.

ثم نقول حمله على إزالة أثر الاحتلام أولى من حمله على إزالة الوسوسة؛ لأن تأثير الماء في إزالة العين عن العضو تأثير حقيقي، وتأثيره في إزالة الوسوسة عن القلب تأثير مجازي، وحمل اللفظ على الحقيقة أولى من حمله على المجاز.

قوله: ﴿وليربط على قلوبكم﴾ أي بسبب نزول هذا المطر قويت قلوبهم وزال الخوف عنهم، ومعنى الربط في اللغة: الشد، وقد تقدم في قوله: ﴿ورابطوا﴾ [آل عمران: ٢٠] .

قال الواحدي: «ويشبه أن تكون» على «ههنا صلة، والمعنى: وليربط قلوبكم بالصبر وما أوقع فيها من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٣٧١

اليقين» .

وقال ابن الخطيب: ويشبه ألا يكون صلة؛ لأن كلمة «على» تفيد الاستعلاء، فالمعنى أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علا عليها وارتفع فوقها.

قوله: ﴿ويثبت به الأقدام﴾ قيل: إن ذلك المطر لبد ذلك الرمل، وصيره بحيث لا تغوص أرجلهم فيه فقدروا على المشي عليه كيفما أرادوا، ولولا هذا المطر لما قدروا عليه، وعلى هذا فالضمير في «به» عائد على المطر.." (١)

"وقال الحسن: قوله ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ [الأنفال: ٣٣] منسوخة بقوله ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ [الأنفال: ٣٤] .

قوله ﴿وما كانوا أوليآءه﴾ في هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أنها استئنافية، والهاء تعود على المسجد أي: وما كانوا أولياء المسجد.

والثاني: **أنها نسق على** الجملة الحالية قبلها وهي: «وهم يصدون» والمعنى: كيف لا يعذبهم الله، وهم متصفون بهذين الوصفين: صدهم عن المسجد الحرام، وانتفاء كونهم أولياءه؟ ويجوز أن يعود الضمير على الله تعالى، أي: لم يكونوا أولياء الله.

فصل

قال الحسن: كان المشركون يقولون: نحن أولياء المسجد الحرام، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وما كانوا أوليآءه﴾ أي: أولياء البيت: «إن أولياؤه» أي: ليس أولياء البيت «إلا المتقون» يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك، ويحترزون عن المنكرات، كالذي كانوا يفعلونه عند البيتن فلهذا قال بعده: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكآء وتصدية﴾ [الأنفال: ٥] ولكن أكثرهم لا يعلمون.." (٢)

"كلا التقديرين ف «بعضه» بدل بعض من كل، وعلى القول الأول يكون «على بعض» في موضع المفعول الثاني، وعلى الثاني يكون متعلقا بنفس الجعل، نحو قولك: ألقيت متاعك بعضه على بعض.

وقال أبو البقاء، بعد أن حكم عليها بأنها تتعدى لواحد:

«وقيل: الجار والمجرور حال تقديره: ويجعل الخبيث بعضه عاليا على بعض؟ .

ويقال: ميزته فتميز، ومزنه فانماز، وقرىء شاذا: ﴿وامتازوا اليوم﴾ [يس: ٥٩] ؛ وأنشد أبو زيد: [البسيط]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٦٩/٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٩/٩

٢٧٠٦ – لما نبضا الله عني شر غدرته ... وانمزت لا منسئا ذعرا ولا وجلا
وقد تقدم الفرق بين هذه الألفاظ في آل عمران [١٧٩] .
قوله» فيركمه «نسق على المنصوب قبله، والركم جمعك الشيء فوق الشيء، حتى يصير ركاما مركوما كما يركم الرمل والسحاب، ومنه: ﴿سحاب مركوم﴾ [الطور: ٤٤] والمرتكم: جادة الطريق للركم الذي فيه أي: ازدحام السبابلة وآثارهم، و» جميعا «حال، ويجوز أن يكون توكيدا عند بعضهم ثم قال تعالى: ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ إشارة إلى الذين كفروا.." (١)
"حال كونكم مرهبين، وأن يكون حالا من مفعوله، وهو الموصول، أي: أعدوه مرهبا به.
وجاز نسبته لكل منهما؛ لأن في الجملة ضميريها، هذا إذا أعدنا الضمير من «به» على «ما» الموصولة، أما إذا أعدناه على الإعداد المدلول عليه ب «أعدوا» ، أو على «الرباط» ، أو على: «القوة» بتأويل الحول؛ فلا يتأتى مجيئها من الموصول، ويجوز أن يكون حالا من ضمير «لهم» ، كذا نقله أبو حيان عن غيره، فقال: «ترهبون» قالوا: حال من ضمير في «لهم» ولا رابط بينهما؟ ولا يصح تقدير ضمير في جملة «ترهبون» لأخذه معموله. وقرأ الحسن ويعقوب، ورواها ابن عقيل عن أبي عمرو: «ترهبون» مضعفا عداه بالتضعيف، كما عداه العامة بالهمزة، والمفعول الثاني على كلتا القراءتين محذوف؛ لأن الفعل قبل النقل بالهمزة، أو بالتضعيف متعد لواحد، نحو: «رهبتك» والتقدير: ترهبون عدو الله قتالكم، أو لقاءكم.
وزعم أبو حاتم أن أبا عمرو نقل قراءة الحسن بياء الغيبة وتخفيف «يرهبن» ، وهي قراءة واضحة، فإن الضمير حينئذ يرجع إلى من يرجع إليهم ضمير «لهم» ، فإنهم إذا خافوا خوفوا من وراءهم.
قوله «عدو الله» العامة قراءوا بالإضافة، وقرأ السلمي منونا، و «لله» بلام الجر، وهو مفرد، والمراد به الجنس، فمعناه: أعداء لله.
قال صاحب اللوامح «وإنما جعله نكرة بمعنى العامة؛ لأنها نكرة أيضا لم تتعرف بالإضافة إلى المعرفة؛ لأن اسم الفاعل بمعنى الحال، أو الاستقبال، ولا يتعرف ذلك وإن أضيف إلى المعارف، وأما» وعدوكم «فيجوز أن يكون كذلك نكرة، ويجوز أن يتعرف لأنه قد أعيد ذكره، ومثله: رأيت صاحبا لكم، فقال لي صاحبكم» يعني: أن «عدوا» يجوز أن يلمح فيه الوصف فلا يتعرف، وألا يلمح فيتعرف.
قوله **«وآخرين» نسق على** «عدو الله» ، و «من دونهم» صفة ل «آخرين» .
قال ابن عطية: «من دونهم» بمنزلة قولك: دون أن تكون هؤلاء، ف «دون» في كلام العرب، و «من دون»

---
(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٥١٤

تقتضي عدم المذكور بعدها من النازلة التي فيها القول؛ ومنه المثل: [الكامل]

٢٧٣٠ - ... ..." [(١)]

"موضع نصب، بل هذه إضافة صحيحة ليست من نصب، و» حسبك «مبتدأ مضاف إلى الضمير وليس مصدرا، ولا اسم فاعل، إلا إن قيل: إنه عطف على التوهم كأنه توهم أنه قيل: يكفيك الله، أو كفاك الله، لكن العطف على التوهم لا ينقاس» .

والذي ينبغي أن يحمل عليه كلام الشعبي وابن زيد أن تكون «من» مجرورة ب «حسب» محذوفة، لدلالة «حسبك» عليها؛ كقوله: [المتقارب]

٢٧٣٦ - أكل امرىء تحسبين امرأ ... ونار توقد بالليل نارا

أي: وكل نار، فلا يكون من العطف على الضمير المجرور.

قال ابن عطية: «وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه بأنه ضرورة» .

قال أبو حيان: «وليس بمكروه، ولا ضرورة بل أجازه سيبويه، وخرج عليه البيت وغيره من الكلام» .

قال شهاب الدين: «قوله:» بل هذه إضافة صحيحة، ليست من نصب «فيه نظر؛ لن النحويين على أن إضافة» حسب «وأخواتها إضافة غير محضة، وعللوا ذلك بأنها في قوة اسم فاعل ناصب لمفعول به، فإن» حسبك «بمعنى: كافيك، و» غيرك «بمعنى مغايرك، و» قيد الأوابد «بمعنى: مقيدها.

قالوا: ويدل على ذلك أنها توصف بها النكرات، فيقال: مررت برجل حسبك من رجل» .

وجوز أبو البقاء: الرفع من ثلاثة أوجه: أنه نسق على الجلالة كما تقدم، إلا أنه قال: فيكون خبرا آخر، كقولك: القائمان زيد وعمرو، ولم يثن «حسبك» ؛ لأنه مصدر.

وقال قوم: هذا ضعيف؛ لأن الواو للجمع، ولا يحسن ههنا، كما لا يحسن في قولهم: «ما شاء الله وشئت» ، «ثم» هاهنا أولى.

يعني أنه من طريق الأدل لا يؤتى بالواو التي تقتضي الجمع، بل يأتي ب «ثم» التي تقتضي التراخي والاحديث دال على ذلك.

الثاني: أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: وحسب من اتبعك.

الثالث: هو مبتدأ والخبر محذوف تقديره: ومن اتبعك كذلك، أي: حسبهم الله.

وقرأ الشعبي «ومن» بسكون النون «أتبعك» بزنة «أكرمك» .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٥٥٥

قوله تعالى: ﴿يأأيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾ الآية.

لما بين أنه تعالى كافيه بنصره، وبالمؤمنين، بين ههنا أنه ليس من الواجب أن يتكل على ذلك إلا بشرط أن يحرض المؤمنين على القتال؛ فإنه تعالى كفيل بالكفاية بشرط أن." (١)

"وقال أبو عبد الله اللخمي في «مختصره» لتفسير الطبري: وعن قتادة: هذا مثل «١» ، فاعقلوا عن الله أمثاله هذا رجل كبرت سنه، ورق عظمه، وكثر عياله، ثم احترقت جنته، أحوج ما يكون إليها، يقول: أيحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة أحوج ما يكون إليه. وعن الحسن نحوه. انتهى.

وخص الأعناب والنخيل بالذكر، لشرفهما، وفضلهما على سائر الشجر، والواو في قوله: وأصابه واو الحال وكذلك في قوله: وله، وضعفاء: جمع ضعيف، والأعصار: الريح الشديدة العاصفة التي فيها إحراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك في شدة الحر، ويكون في شدة البرد، وكل ذلك من فيح جهنم.

ولعلكم: ترج في حق البشر، أي: إذا تأمل من بين له هذا البيان رجي له التفكر، وكان أهلا له، وقال ابن عباس: تتفكرون في زوال الدنيا، وفنائها، وإقبال الآخرة وبقائها «٢»

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٦٧ الى ٢٦٩]

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد (٢٦٧) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (٢٦٨) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ... الآية: هذا خطاب لجميع أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم/ وهذه صيغة أمر بالإنفاق، واختلف المتأولون، هل المراد بهذا ٦٩ ب الإنفاق الزكاة المفروضة، أو التطوع، والآية تعم الوجهين، لكن صاحب الزكاة يتلقاها على الوجوب، وصاحب التطوع يتلقاها على الندب، وجمهور المتأولين قالوا: معنى من طيبات: من جيد ومختار ما كسبتم، وجعلوا الخبيث بمعنى الرديء، وقال ابن زيد:

معناه: من حلال ما كسبتم «٣» ، قال: وقوله: ولا تيمموا الخبيث، أي: الحرام «٤» .

ع «٥» : وقول ابن زيد ليس بالقوي من جهة نسق الآية، لا من معناه في نفسه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٦٢/٩

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٧) برقم (٦٠٩٨) ، وذكره السيوطي في «تفسيره» (١/ ٦٠٤) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٨٠) برقم (٦١١٨) ، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦١)
.
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٦١) .
(٤) ينظر السابق.
(٥) ذكره ابن عطية (١/ ٣٦١) .." [1]

"- بكسر الخاء-، وقرأ الأعمش: «وخيفة» من الخوف «١» .

وقوله سبحانه: قل الله ينجيكم منها ... الآية: سبق في المجادلة إلى الجواب إذ لا محيد عنه، ومن كل كرب: لفظ عام أيضا، ليتضح العموم الذي في «الظلمات» ، ثم أنتم، أي: ثم بعد معرفتكم بهذا كله، وتحققكم له، أنتم تشركون.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٦٥ الى ٦٧]

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون (٦٥) وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل (٦٦) لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون (٦٧)

وقوله تعالى: قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم ... الآية: هذا إخبار يتضمن الوعيد، والأظهر **من نسق الآيات**: أن هذا الخطاب للكفار الذين تقدم ذكرهم، وهو مذهب الطبري «٢» .

وقال أبي بن كعب، وجماعة: هو للمؤمنين، وهم «٣» المراد.

وهذا الاختلاف إنما هو بحسب ما يظهر من أن الآية تتناول معانيها المشركين والمؤمنين وفي «البخاري» وغيره من حديث جابر وغيره: «أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما نزلت الآية:

قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم، قال: أعوذ بوجهك، فلما نزلت:

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٢٣/١

أو من تحت أرجلكم، قال: أعوذ بوجهك، فلما نزلت: أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال: هذه أهون أو أيسر» «٤» فاحتج بهذا الحديث من قال: إنها

- القراءات» (١/ ٣٦٢) ، و «العنوان» (٩١) ، و «شرح الطيبة» (٤/ ٢٥٨) ، و «شرح شعلة» (٣٦٤) . [.....]

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٣٠٢) ، و «البحر المحيط» (٤/ ١٥٤) ، و «الدر المصون» (٣/ ٨٤) .

(٢) ينظر الطبري (٥/ ٢٢٣) .

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ٢١٣) برقم (١٣٣٨٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٢/ ٣٠٢) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢) وعزاه لابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم من طريق أبي العالية، عن أبي بن كعب بنحوه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٠٩) كتاب «الاعتصام» ، باب قول الله تعالى: أو يلبسكم شيعا، حديث (٧٣١٣) والترمذي (٥/ ٢٦١) كتاب «التفسير» ، باب ومن سورة الأنعام، حديث (٣٠٦٧) ، وأحمد (٣/ ٣٠٩) والحميدي (١٢٥٩) ، وأبو يعلى (٣/ ٣٦٢) رقم (١٨٢٩) من طريق سفيان، عن عمرو بن دينار، عن جابر مرفوعا.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (٨/ ١٤٢) كتاب «التفسير» ، باب قوله تعالى: قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم، حديث (٤٦٢٨) من طريق حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر.." [١]

"والإصر أيضا: العهد، وبه فسر ابن عباس وغيره «١» ، وقد جمعت هذه الآية المعنيين فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم العهد بأن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع عنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال ابن جبير: الإصر: شدة العبادة «٢» ، وقرأ ابن عامر «٣» : «آصارهم» بالجمع فمن وحد «الإصر» فإنما هو اسم جنس عنده، يراد به الجمع، والأغلال التي كانت عليهم عبارة مستعارة أيضا لتلك الأثقال، كقطع الجلد من أثر البول، وأن لا دية، ولا بد من قتل القاتل، إلى غير ذلك، هذا قول جمهور المفسرين، وقال ابن زيد: إنما المراد هنا ب الأغلال قول الله عز وجل في اليهود: غلت أيديهم [المائدة: ٦٤] ، فمن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٧٧/٢

آمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، زالت عنه الدعوة، وتغليلها «٤» ، ومعنى عزروه: أي: وقروه، فالتعزير والنصر: مشاهدة خاصة للصحابة، واتباع النور: يشترك فيه معهم المؤمنون إلى يوم القيامة، والنور: كناية عن جملة الشرع، وشبه الشرع والهدى بالنور، إذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٥٨ الى ١٦٠]

قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (١٥٨) ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١٥٩) وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١٦٠)

وقوله سبحانه: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا هذا أمر من الله

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ٨٥) برقم: (١٥٢٤١) ، وذكره ابن عطية (٢/ ٤٦٣) ، والسيوطي (٣/ ٢٤٨) ، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) ذكره ابن عطية (٢/ ٤٦٣) ، والسيوطي (٣/ ٢٤٨) ، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) وحجته أنه لم يختلف في جمع «الأغلال» ، وهي نسق على الإصر، وحجة الباقين قوله تعالى: ربنا ولا تحمل علينا إصرا [البقرة: ٢٨٦] ، وقوله سبحانه: وأخذتم على ذلكم إصري [آل عمران: ٨١] .

ينظر: «السبعة» (٢٩٥) ، و «الحجة» (٤/ ٩٣) ، و «إعراب القراءات» (١/ ٢١٠) ، و «حجة القراءات» (٢٩٨) ، و «إتحاف» (٢/ ٦٥) ، و «معاني القراءات» (١/ ٤٢٥) ، و «شرح شعلة» (٣٩٧- ٣٩٨) ، و «شرح الطيبة» (٤/ ٣١) و «العنوان» (٩٨) .

(٤) ذكره ابن عطية (٢/ ٤٦٤) .." (١)

"بألطف إشارة لكن الإستدلال بتلك الآيات والدلائل والإستشهاد بتلك الأمارات والمخايل والتنبيه لتلك الإشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر فإذن مدار

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٨٥/٣

المراد ليس إلا كلام رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الأنس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة كما وأنه أيضا من علو الشأن وسمو المكان ونهاية الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية أعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقى إلى مدارجه المنيعة كيف لا وأنه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطوبا على دقائق الفنون الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الأحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الأصلية والفرعية منبئا عن أسرار الحقائق والنعوت مخبرا بأطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الأوامر والنواهي وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت طلعته بسبحات الإعجاز طويت حقائقه الأبية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول يرد عيون العقول سبحانه ويخطف أبصار البصائر بريقه ولمعانه

ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار فغاصوا في لجحه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وأبرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الأقدار وألفوا زبرا جميلة الآثار

أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام

وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا أسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الأذهان لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لا جتلاء وجه الإعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقبان ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوأن اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهاران أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليها ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك

خلالها بطريق الترصيع **على نسق أنيق** وأسلوب بديع حسبما يقتضية جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح الفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به." (١)

"النزول كما قيل أما الأول فبين إذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلاة حتى تعتبر في التسمية مبدئيتها له وأما الأخيران فلأن اعتبار المبدئية من حيث التعليم أو من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في أن الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا **على نسق الترتيب** المعهود وتسمى أم القرآن لكونها أصلا ومنشأ له إما لمبدئيتها له وإما لا شتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معاينه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى أم الكتاب أيضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه أصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما أورده الإمام البخاري في صحيحه من أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة فإنه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير إليه وتسمى سورة الكنز لقوله صلى الله عليه وسلم إنها أنزلت من كنز تحت العرش أو لما ذكر في أم القرآن كما أنه الوجه في تسميتها الأساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أو لتكرر نزولها على ما روي أنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة أخرى حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص." (٢)

"المائدة آية ١١٠

أو باكلام الذي يحيى به الدين وإضافته إلى القدس لأنه سبب الطهر عن أوضار الآثام أو يحيى به الموتى أو النفوس حياة أبدية وقيل الأرواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وأيا ما كان غهو نعمة عليهما ﴿تكلم الناس فى المهد وكهلا﴾ استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان أن كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان **على نسق واحد** بديع

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١/ ٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١/ ٨

صادرا عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير به واستدل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه اللع = ه تعالى إليه ﴿وإذ علمتك الكتاب﴾ عطف على قوله تعالى إذ أيدتك منصوب بما نصبه أي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك والكتاب ﴿والحكمة﴾ أي جنسهما ﴿والتوراة والإنجيل﴾ خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة إظهارا لشرفهما وقيل الخط والحكمة الكلام اتلمحكم الصواب ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير ﴿بإذنى﴾ بتسهيلي وتيسيري لا على أن يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك يده عليه السلام عند مباشرة السباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما قيل عنه قوله تعالى ﴿فتنفخ فيها﴾ أي في الهيئة المصورة ﴿فتكون﴾ أي تلك الهيئة ﴿طيرا بإذنى﴾ فإن إذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما أسند إليه لكان هذا تكونا من جهة الهيئة وتكرير قوله بإذنى في الطير مع كونه شيئا واحدا للتنبيه على أن كلا من التصوير والنفخ أمر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء إلا بإذنه تعالى ﴿وتبرئ الاكمه والابرص بإذنى﴾ عطف على تخلق ﴿وإذ تخرج الموتى بإذنى﴾ عطف على إذ تخلق أعيد فيه إذ لكون إخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله بإذنى في المواضع الأربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان أن تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه الصلاة والسلام بل من جهته سبحانه قد أظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به وأما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما أن ذلك موضع الإخبار وهذا موضع تعداد النعم ﴿وإذ كففت بنى إسرائيل عنك﴾ عطف على إذ تخرج أي منعت الهود الذين أرادوا بك السوء عن التعرض لك ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج إلى الكف أي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك إياهم بالبينات وإنما وضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به والتذكير لأن إشارتهم إلى ما رأوه من نفس

المسمى من حيث هو أو من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرىء إن هذا إلا ساحر." (١)

"(وجعلوا) عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب أي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم ﴿الله﴾ الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء هو في الواحد القهار (أندادا) أشبها في العبادة (ليضلوا) قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا (عن سبيله) القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدي إلى إحلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والإيذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم دار البوار واتخاذ الأنداد للإضلال أمر يقضي منه العجب ولو سيق النظم **على نسق الوجود** لربما فهم التعجيب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرىء ليضلوا بالفتح." (٢)

"سورة النساء

مدنية، وهى ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا. وثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون كلمة. ومائة وستون آية. قاله الثعلبي. وقال البيضاوي: مائة وخمس وسبعون آية.

ومضمنها: الأمر بحفظ ستة أمور: حفظ الأموال، وحفظ الأنساب، وحفظ الأبدان، وحفظ الأديان، وحفظ اللسان، وحفظ الأيمان. بعد أن قدم الأمر بالتقوى، التي هى ملاك ذلك كله، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (١)

قلت: من قرأ: (والأرحام) بالنصب، فعطف على لفظ الجلالة، أي: اتقوا الأرحام أن تقطعوها، وقرأ حمزه بالخفض على الضمير من (به) كقول الشاعر:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب «١»

وجمهور البصريين يمنعون العطف على الضمير إلا بإعادة الجار، فيقولون: مررت به وبزيد. وقال ابن مالك:

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/٩٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٤٥

وليس عندي لازما إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا.
والنثر الصحيح هو ما قرأ به حمزة، وهذا هو التوجيه الصحيح، وأما من جعل الواو للقسم فبعيد.
يقول الحق جل جلاله: يا أيها الناس أي: جميع الخلق، اتقوا ربكم فيما كلفكم به، ثم بين موجب التقوى فقال: الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم، وخلق منها زوجها يعني حواء، من ضلع من أضلاعه، وبث أي: نشر منهما رجالا كثيرا ونساء أي: نشر من تلك النفس الواحدة بنين وبنات. قال البيضاوي: واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء، إذ الحكمة تقتضي أن يكن أكثر، وذكر: كثيرا

---

(١) البيت أنشده سيبويه، انظر: شرح ابن عقيل على الألفية، باب عطف النسق.." [١]
"ثم تكلم على ما بقي من حفظ الأديان، وهو الوضوء إذ لم يتكلم عليه فى النساء، فقال:

[سورة المائدة (٥) : آية ٦]
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون (٦)
قلت: إذا قمتم: أردتم القيام، كقوله: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله «١» ، حذف الإرادة للإيجاز، وللتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها، بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة، وقوله: برؤسكم الباء للإلصاق، تقول: أمسكت بثوب زيد، أي: ألصقت يدي به، أي: ألصقوا المسح برؤوسكم، أو للتبعيض، وهذا سبب الخلاف في مسحه كله أو بعضه، فقال مالك: واجب كله، وقال الشافعي: أقل ما يقع عليه اسم الرأس، ولو قل. وقال أبو حنيفة: الربع.
وأرجلكم، من نصب عطف على الوجه، ومن خفض فعلى الجوار، وفائدته: التنبيه على قلة صب الماء، حتى يكون غسلا يقرب من المسح. قاله البيضاوي. ورده في المغني فقال: الجوار يكون في النعت قليلا، وفي التوكيد نادرا، ولا يكون **في النسق لأن** العاطف يمنع من التجاور، وقال الزمخشري: لما كانت الأرجل بين الأعضاء الثلاثة مغسولات، تغسل بصب الماء عليها، كان مظنة الإسراف المذموم شرعا، فعطف على

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥٩/١

الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبه على وجوب الاقتصار في صب الماء عليها، وجيء فيهما بالغاية إماطة لظن من يظن أنها ممسوحة لأن المسح لم يضرب له غاية في الشريعة. هـ.

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا إذا أردتم القيام إلى الصلاة، وأنتم محدثون فاغسلوا وجوهكم من منابت شعر الرأس المعتاد إلى الذقن، ومن الأذن إلى الأذن، وأيديكم إلى المرافق أي: معها، وامسحوا برؤسكم أي: جميعها أو بعضها على الخلاف، وأرجلكم إلى الكعبين العظمين الناتئين في مفصلي الساقين، فهذه أربعة فرائض، وبقيت النية لقوله: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين «٢» ، ولقوله

---

(١) من الآية: ٩٨ من سورة النحل.

(٢) من الآية: ٥ من سورة البينة. [.....]."[١]

"الإشارة: الإنكار على من أمر بالخروج عن العوائد والتقلل من الدنيا من طبع أهل الكفر والجهل، وكذلك رميه بالحمق والسفه. فلا تجد الناس اليوم يعظمون إلا من أقرهم على توفير دنياهم ورئاستهم، والتكاثر منها، وأما من زهدهم فيها وأمرهم بالقناعة، فإنهم يرفضونه، ويحمقونه. وهذا طبع من طبع الأمم الخالية، الجاهلة بالله، وبما أمر به، وفي الحديث: «لتتبعن سنن من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» .

وبالله التوفيق.

ثم ذكر موعظة شعيب لقومه، فقال:

[سورة هود (١١) : الآيات ٨٨ الى ٩٠]

قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (٨٨) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود (٩٠)

قلت: جواب «إن كنت» : محذوف، أي: فهل ينبغي أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره.

يقول الحق جل جلاله: قال شعيب لقومه: يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي، وهي النبوة والعلم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٢/٢

والحكمة، ورزقني منه من عنده، وبإعانته، بلا كد في تحصيله، رزقا حسنا: حلالا، إشارة إلى ما آتاه من المال الحلال. فهل يسع لي بعد هذا الإنعام، الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية، أن أخون في وحيه، وأخالفه في أمره ونهيه، حتى لا أنهاكم عن عبادة الأوثان، والكف عن العصيان، والأنبياء لا يبعثون إلا بذلك، وهذا منه اعتذار لما أنكروا عليه من الأمر بالخروج عن عوائدهم، وترك ما ألفوه من دينهم الفاسد، أي: كيف أترك ما أمرني به ربي من تبليغ وحيه، وأنا على بينة منه، وقد أغناني الله عنكم وعن غيركم.

ولذلك قال إثره: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي: وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به دونكم، فتتهموني إن أردت الاستبداد به. يقال: خالفني فلان إلى كذا: إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه:

إذا ولى عنه وأنت قاصده. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت أي: ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري لكم بالمعروف، ونهيي لكم عن المنكر جهد استطاعتي.

قال البيضاوي: ولهذه الأجوبة الثلاثة على **هذا النسق شأن**، وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة: أهمها وأعلاها: حق الله تعالى. وثانيها: حق النفس، وثالثها: حق الناس. هـ.." (١)

"بالحسب، فقال تعالى: الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل [٣ \ ١٧٣] وقال تعالى: فإن تولوا فقل حسبي الله الآية [٩ \ ١٢٩] ، إلى غير ذلك من الآيات، فإن قيل: هذا الوجه الذي دل عليه القرآن، فيه أن العطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، ضعفه غير واحد من علماء العربية، قال ابن مالك في «الخلاصة» : [الرجز]

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا فالجواب من أربعة أوجه:

الأول: أن جماعة من علماء العربية صححوا جواز العطف من غير إعادة الخافض، قال ابن مالك في «الخلاصة» : [الرجز]

وليس عندي لازما إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مثبتا

وقد قدمنا في «سورة النساء» في الكلام على قوله: وما يتلى عليكم في الكتاب [١٢٧] شواهده العربية، ودلالة قراءة حمزة عليه، في قوله تعالى: واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام [٤ \ ١] .

الوجه الثاني: أنه من العطف على المحل ؛ لأن الكاف مخفوض في محل نصب ؛ إذ معنى حسبك:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٥٥١

يكفيك، قال في «الخلاصة» : [الرجز]

وجر ما يتبع ما جر ومن ... راعى في الاتباع المحل فحسن

الوجه الثالث: نصبه بكونه مفعولا معه، على تقدير ضعف وجه العطف، كما قال في «الخلاصة» : [الرجز]

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق والنصب مختار لدى **ضعف النسق الوجه** الرابع: أن يكون ومن مبتدأ خبره محذوف، أي ومن اتبعك من المؤمنين، فحسبهم الله أيضا، فيكون من عطف الجملة، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم.

لم يعين تعالى في هذه الآية." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطلاق

قوله تعالى: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم الآية.

قيل في سبب نزولها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - طلق حفصة - رضي الله عنها - فنزلت، وقيل غير ذلك، وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم.

ومما يشهد لهذه القاعدة ما لو أخذنا بعين **الاعتبار النسق الكريم** بين السورتين، حيث كان آخر ما قبلها موضوع الأولاد والزوجات من فتنة وعداء.

والإشارة إلى علاج ما بين الزوجين من إنفاق وتسامح على ما أشرنا إليه سابقا هناك، فإن صلح ما بينهم بذاك فبها ونعمت، وإن تعذر ما بينهما وكانت الفرقة متحتمة فجاءت هذه السورة على إثرها تبين طريقة الفرقة السليمة في الطلاق وتشريعه وما يتبعه من عدد وإنفاق ونحو ذلك.

وقوله تعالى: يا أيها النبي، بالنداء للنبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: إذا طلقتم بخطاب لعموم الأمة، قالوا: كان النداء للنبي - صلى الله عليه وسلم - والخطاب للأمة تكريما لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتكليفا للأمة. وقيل: خوطبت الأمة في شخصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - كخطاب الجماعة في شخصية رئيسها.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٠٥/٢

وقال الشيخ – رحمة الله تعالى علينا وعليه –: ولهذه الآية استدل من يقول: إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يكون داخلا في عموم خطاب الأمة. اهـ.

والواقع أن الخطاب الموجه للنبي – صلى الله عليه وسلم – على ثلاثة أقسام:

الأول: قد يتوجه الخطاب إليه – صلى الله عليه وسلم – ولا يكون داخلا فيه قطعا، وإنما يراد به الأمة بلا خلاف، من ذلك قوله تعالى في بر الوالدين: إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الناس

قوله تعالى: قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس.

تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه، الإحالة على هذه السورة عند كلامه على قوله تعالى: ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير [١١ \ ٢] ، في سورة هود، فقال على تلك الآية: فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها هي أن يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به في عبادته شيء.

وساق الآيات المماثلة لها ثم قال: وقد أشرنا إلى هذا البحث في سورة الفاتحة، وسنتقصى الكلام عليه إن شاء الله تعالى في سورة الناس، لتكون خاتمة هذا الكتاب المبارك حسنى اهـ.

وإن في هذه الإحالة منه رحمة الله تعالى علينا وعليه لتنبيها على المعاني التي اشتملتها هذه السورة الكريمة، وتوجيها لمراعاة تلك الخاتمة.

كما أن في تلك الإحالة تحميل مسئولية الاستقصاء حيث لم يكتف بما قدمه في سورة الفاتحة، ولا فيما قدمه في سورة هود، وجعل الاستقصاء في هذه السورة، ومعنى الاستقصاء: الاستيعاب إلى أقصى حد.

وما أظن أحدا يستطيع استقصاء ما يريده غيره، ولا سيما ما كان يريده الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه وما يستطيعه هو.

ولكن على ما قدمنا في البداية: أنه جهد المقل ووسع الطاقة. فنستعين الله ونستهديه مسترشدين بما قدمه

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٠٨/٨

الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في سورتي الفاتحة وهود، ثم نورد وجهة نظر في السورتين معا الفلق والناس، ثم منهما **وفي نسق المصحف** الشريف، آمل من الله تعالى وراج توفيقه ومعونته.." [١]

"ثم تترسل السورة في تقسيم الناس إلى الأقسام الثلاثة: مؤمنين، وكافرين، ومذبذبين بين بين، وهم المنافقون.

ثم يأتي النداء الصريح وهو أول نداء في المصحف لعموم الناس يا أيها الناس اعبدوا ربكم [٢ \ ٢١] ، ويقيم البراهين على استحقاقه للعبادة وعلى إمكان البعث بقوله: الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون [٢ \ ٢١ - ٢٢] .

وبعد تقرير الأصل وهي العقيدة، تمضي السورة في ذكر فروع الإسلام، فتشتمل على أركان الإسلام كلها وعلى كثير من مسائل المعاملات والجهاد، وقل باب من أبواب الفقه إلا وله ذكر في هذه السورة، ويأتي ما بعدها مبينا لما أجمل فيها أو لما يذكر ضمنها.

وهكذا حتى ينتهي القرآن بكمال الشريعة وتمام الدين.

ولما جاء في وصف المتقين المهتدين في أول المصحف، أنهم يؤمنون بالغيب ومنه الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب وثواب - أمور الغيب تستلزم اليقين - لترتب الجزاء عليه ثوابا أو عقابا.

والثواب والعقاب هما نتيجة الفعل والترك.

والفعل والترك: هما مناط التكليف، لأن الإنسان يمتثل الأمر رجاء الثواب، ويكف عن متعلق النهي مخافة العقاب.

فلكأن نسق المصحف الشريف يشير إلى ضرورة ما يجب الانتباه إليه من أن القرآن بدأ بالحمد ثناء على الله بما أنعم على الإنسان بإنزاله، وإرسال الرسول صاحبه به، ثم نقله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وهو الأعظم قدرا وخطرا، ثم رسم له الطريق الذي سلكه المهتدون أهل الإنعام والرضى، ثم أوقفه عليه ليسلك سبيلهم.

وهكذا إلى أن جاء به بعد كمال البيان والإرشاد والهداية، جاء به إلى نهاية هذا الصراط المستقيم، فاستوقفه ليقول له إذا اطمأننت لهذا الدين، وآمنت بالله رب." [٢]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/١٧١

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٩/١٨٧

"كما أحيا آداب البحث والمناظرة فوضع منهجه وألف مقرره فكان خدمة للعقيدة في أسلوب بيانها، وكيفية إثباتها والدفاع عنها وطرق الإقناع بما فيه الخلاف.

كما فتح أبوابا جديدة وأحدث فنونا طريفة في علوم القرءان من منع المجاز عن المنزل للتعبد والإعجاز، إثباتا لمعاني آيات الصفات على حقيقتها وسد باب تعطيلها عن دلالتها إجراء للنص على حقيقته وإبقاء عليه في دلالته.

ومن دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب وبيان تصديق آي الكتاب بعضه بعضا بدون تعارض ولا إشكال.

ومن تسليط أضواء البيان عن تفسير القرءان بالقرءان رسم فيه المنهج السليم لتفسير القرآن الكريم، تفسير كلام الله بعضه ببعض، وأبان أحكامه وحكمه وفتح كنوزه وأطلع نفائيه ونشر درره على طلبة العلم.

وكل ذلك فتح جديد في علوم القرءان لم تكن موجودة على **هذا النسق من** قبل، ولم تكن تدرس بهذا المثل.

كما أنه في غضونها صحح مفاهيم مختلفة منها أن المنطق لم يكن يعرف عنه إلا أنه تقديم العقل على النقل ومصادمة النص بالرأي، وكان فعلا وسيلة التشكيك في العقيدة باستخدام قضايا عقيمة. فهذب الشيخ رحمه الله من أبحاثه وأحسن باستخدامه فنظم قضاياه المنتجة ورتب أشكاله السليمة واستخدام قياسه في الإلزام. سواء في العقيدة أو أصول الأحكام، وبعد أن كان يستخدم ضدها أصبح يعمل في خدمتها. كما وضح ذلك في آداب البحث والمناظرة.

مواقفه مع الحق: كان رحمه الله قويا صلبا لينا سهلا.

كان قويا صلبا في بيانه، لينا سهلا في الرجوع إلى ما ظهر إليه منه.

في بعض الأعوام التي حججتها معه رحمه الله قدمنا مكة يوم سبع من الشهر، وكان مفردا الحج، وفي يوم العيد صحبته للسلام على سماحة المفتي رحمه الله بمنى، فسأله رحمه الله عن نسكه فقال: جئت مفردا الحج وقصدا فعلت، فأدرك المفتي رحمه الله أن وراء ذلك شيئا ولكن تلطف مع الشيخ وقال: أهو أفضل عندك حفظك الله؟ فأجاب أيضا." (١)

"القسم الثالث: تخريج أحاديث التفسير:

تعني الموسوعة بتخريج الأحاديث المرفوعة الواردة في التفسير وذكر أحكام أئمة النقد عليها، وقد أثبتت

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥٠٠/٩

في حاشية أخرى مستقلة، كما أثبت في هذه الحاشية توثيق سائر نصوص الموسوعة وعزوها إلى مصادرها الأصلية المسندة، وخدمتها بالإيضاحات اللازمة.

وفائدته: تخريج أحاديث التفسير والحكم عليها تيسيرا للوقوف عليها، إضافة إلى الوقوف على المصادر الأصلية لآثار تفسير السلف.

خصائص الموسوعة:

بالإضافة إلى تضمن «موسوعة التفسير المأثور» لآثار كتاب «الدر المنثور» التفسيرية؛ ومشاركته في التوثيق من المصادر الأصلية المسندة؛ فقد تميزت عليه بميزات عديدة، من أبرزها:

الشمول: فهي أشمل مصدر مطبوع لأحاديث وآثار التفسير الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأتباعهم؛ لضمه آثار التفسير من كتاب (الدر المنثور) إضافة إلى ما فاته من آثار جمعت من أكثر ١٠٠٠ مجلد مطبوع. ولم يقتصر الجمع على كتب التفسير، بل تعداه إلى كتب الحديث والعقيدة والسير والتراجم والفقه.

الترتيب: فقد رتبت الآثار تاريخيا حسب الطبقات، **على نسق مطرد** وفق وفيات المفسرين، بدءا بما ورد عن النبي، فالصحابة، فالتابعين، فأتباعهم؛ لمعرفة صاحب القول المتقدم والناقل عنه.

التصنيف: كما اعني بتصنيف الآثار موضوعيا، بدءا بالقراءات، فالنزول، فالتفسير، فالنسخ، فالأحكام، ثم الآثار المتعلقة بالآية مما سوى ذلك

التعليق: إدراكا منا لعمق فهم السلف للقرآن الكريم، وانصراف كثير من المتأخرين والمعاصرين عن تفسيرهم؛ فقد حلينا حواشي الموسوعة بتعليقات خمسة من أبرز أئمة التفسير المحققين على أقوال السلف في التفسير؛ توضيحا أو توجيها أو انتقادا للآثار الواردة مما نعده إنجازا علميا كبيرا سيسهم في بيان فقه السلف في سوي ذلك. التفسير.

الترجيح: وهو من أغراض التعليق، وقد أفردناه عن سائر الأغراض المذكورة آنها؛ لأهميته، وتعلقه بما يوجد بين أقوال السلف في التفسير من خلاف في معاني." (١)

"لا أنه كذب في نفس الأمر، لجواز صدق الكاذب، وإصابة من هو كثير الخطأ» (١).

وهذا تقرير لحقيقة غابت عن كثير من التطبيقات المعاصرة؛ وهي أن أبواب الإعلال ونقد الروايات - وإن كان لها أصول تجري عليها وأطر تضبطها - إلا أنها لا تجري على تن واحد؛ بل تتفاوت درجات إعمالها

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١١/١

وآليات توظيفها تفاوتا بينا بحسب كل رواية؛ لكون منهج نقد الأخبار متشعب المسالك مترامي الأطراف معقد التفاصيل بعيد الغور دقيق المسلك، إذ يبلغ من قمة الظهور أحيانا ما الناظر أن ليس هناك خفاء، ويبلغ من قمة الوعورة والدقة والخفاء أحيانا ما يظن معه أن ليس معه ظهور؛ وإنما مرد ذلك إلى كون النقاد يتعاملون مع كل رواية بحسبها وحسب قدرها وأثرها ومضمونها وما احتف بها، وقد عبر عن هذا المعنى عدد من العلماء؛ فقد نقل الزركشي عن ابن دقيق العيد قوله: « ... وأما أهل الحديث؛ فإنهم قد يروون الحديث من رواية الثقات العدول ثم تقوم لهم علل فيه تمنعهم من الحكم بصحته كمخالفة جمع كثير أو قيام قرينة تؤثر في أنفسهم غلبة الظن بغلطه، ولم يجر ذلك على قانون واحد يستعمل في جميع الأحاديث (٢)، وقال ابن تيمية: ولكل حديث ذوق، ويختص بنظر ليس للآخر» (٣)، وقال ابن رجب: «ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط له أو من هو أحفظ منه، بضبطه (٤):

ومقصود هذه العبارات: أن المعيار الذي عليه مدار قبول الرواية أو ردها لا يجري على نسق واحد، ولا ينحصر في قالب بعينه، ولا يتشكل على هيئة واحدة؛ ذلك أن هذا المعيار يتفاوت صعودا ونزو تشددا وتساهلا قبولا ورا بحسب كل حالة ورواية، وتكمن مهارة الناقد وحذقه و نفوذ بصره في قدرته على استخدام هذا المعيار مع كل رواية بحسبها؛ فهو كالطبيب الحاذق يقلب جسد الرواية، ويستكشف أعراضها وينظر في مساراتها وارتباطاتها، وعلاقاتها ومسبباتها حتى يحسن تشخيص حال الرواية؛ بل حال كل أجزائها ومكوناتها، فيميز صحيحها من سقيمها، ويعرف مقدار تفاوتها في الصحة أو السقم، ويحدد حجم السقم ونوعه وأثره وسببه؛ فيعطي

---

(١) البحر الذي زخر شرح ألفية الأثر ١/ ٢٩٧.

(٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي ١٠٥/ ١.

(٣) مجموع الفتاوي ٤٧/ ١٨.

(٤) شرح علل الترمذي ٢/ ٥٨٢.." [1]

"المطلب الثاني

ارتباط أركان المنهج النقدي بمعيار نقد الأخبار:

سلف القول بأن معيار القبول والرد يتحرك في فضاء واسع، وأنه مع ذلك له محددات تضبط حركته وتوجه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٥/١

سيره؛ وهذه المحددات هي ذاتها أركان الخبر، وسنبين تلك المحددات فيما يأتي:

المحدد الأول: مضمون الخبر وقدره وأثره:

وهو أكبر أركان الخبر؛ بل هو الخبر ذاته، وهو المحدد الأكبر لمعيار القبول والرد، والركنان الآخران مرتبطان به ومترتبان عليه في كثير من تفاصيلهما. ذلك أن الأخبار تتفاوت مضامينها وموضوعاتها، ويختلف تبعا لذلك. في الشريعة - قدرها وأثرها؛ فالخبر الذي موضوعه أسماء الله وصفاته وما يختص به لا يساويه غيره، والخبر المتعلق بالغيب غير مضمون الخبر المتعلق بالشاهد، ومضمون الخبر المتعلق بالدماء غير مضمون الخبر المتعلق بالأموال، ومضمون الخبر المتعلق بالتشريع ليس كمضمون الخبر المتعلق بغير التشريع، ومضمون الخبر المتعلق بالتاريخ ليس كمضمون الخبر المتعلق بالتفسير أو الأنساب.

ولما كان مقتضى الحكمة والعقل عدم التسوية بين كل هذه المضامين، واعتبار التفاوت القائم بينها، ومراعاة اختلاف الآثار والغايات المرتبطة بكل منها جاء منهج نقد الأخبار لدى المحدثين مؤسسا على مقتضى تلك الحكمة وذلك العقل، ولذا كان من أولويات هذا المنهج التي استند إليها في قبول الأخبار وردها مراعاة مضامين الأخبار و موضوعاتها، وعدم إجرائها **على نسق واحد**، ولا معاملتها بمقياس واحد؛ بل لكل مضمون من درجات التشدد أو التساهل في القبول أو الرد ما يناسبه، ويلائم قدره، ويوائم غايته وأثره. وهذا الاختلاف في شروط القبول والرد بحسب المضامين يؤول في النهاية إلى تحقيق المعيار الذي عليه المدار في كل تلك الأخبار؛ وهو الوصول إلى غلبة الظن المقتضية لقبولها أو ردها، والتي تتفاوت هي ذاتها في عسر." (١)

"يعلمه أخرجه ابن جرير (١٣) / (٢٠٧)، وابن أبي حاتم (٧) / (٢١٥٧) - اختلف في قوله: (ذلك ليعلم أني لم اخنه بالغيب) على قولين: الأول: أنه من قول يوسف - واختلف القائلون بهذا القول على وجهين: الوجه الأول: أن هذه المقالة من يوسف هي متصلة بقوله للرسول: (إن ربي بكيدهن عليم)، وفي الكلام تقديم وتأخير وهو قول ابن جريج - وعلق عليه ابن عطية ((٥) / (١٠٤)) بقوله: «فالإشارة بقوله: (ذلك) - على هذا التأويل - هي إلى بقائه في السجن، والتماسه البراءة، أي: هذا ليعلم سيدي أني لم أخنه - الوجه الثاني: أن يوسف قال هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها، إلى قولها: (وإنه لمن الصادقين)، وهو قول ابن عباس - ولم يذكر ابن جرير غير هذا القول، واستشهد له باللغة، والنظائر، وأقوال السلف، فقال:» واتصل قوله: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) بقول امرأة العزيز: (أنا راودته عن نفسه وإنه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٧/١

لمن الصادقين(المعرفة السامعين لمعناه، كاتصال قول الله تعالى: (وكذلك يفعلون) بقول المرأة: (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) [النمل: (٣٤)]، وذلك أن قوله: (وكذلك يفعلون) خبر مبتدإ - وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف: (فماذا تأمرون)، وهو متصل بقول الملأ: (يريد أن يخرجكم من أرضكم) [الأعراف: (١١٠)] " - وعلق ابن عطية على هذا القول بقوله: «فالإشارة - على هذا - إلى إقرارها، وصنع الله تعالى فيه» - وانتقده مستندا للسياق، فقال: «وهذا يضعف؛ لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك، وبعد هذا يقول الملك: (ائتوني به)» - ثم بين أنه على هذا القول يجيء قوله: (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) «بتقدير: وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين» - الثاني: أنه من قول المرأة، ذكره ابن عطية ((٥) / (١٠٤))، وعلق عليه بقوله ((٥) / (١٠٥)): «أي: قولي هذا وإقراري ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته بأن أكذب عليه أو أرمِيه بذنب هو بريء منه، والتقدير على هذا التأويل: توبتي وإقراري ليعلم أني لم أخنه، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين» - واختلف في قوله: (وما أبرئ نفسي -)، هل هي من كلام يوسف أم من كلام المرأة، حسب التي قبلها، وذكر ابن عطية ((٥) / (١٠٥)) أن من قال إنها من كلام يوسف روى في ذلك: عن أنس بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لما قال يوسف: أني لم أخنه بالغيب - قال له جبريل: ولا حين هممت وحللت سراويلك - ومن قال بأنه من قول المرأة وجه كلامها إلى الاعتذار عن وقوعها فيما يقع فيه البشر من الشهوات، كأنها قالت: وما هذا ببدع، ولا ذلك نكير على البشر فأبرئ أنا منه نفسي، والنفوس أمارات بالسوء مائلة إليه - وانتقد ابن تيمية ((٤) / (٤٥) - (٥٢) بتصرف) قول من قال بأن الآيتين من قول يوسف، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، وغيرهم، فقال: «وهو قول في غايةِ الفساد، ولا دليل عليه، بل الأدلة تدل على نقيضه» - ورجح القول بأنه من قول المرأة مستندا إلى السياق، والدلالة العقلية، وذلك: (١) - أن حال يوسف الظاهر من القرآن أنه صاحب نفس زكية عفيفة لم تستجب للإغراء الشديد، فكيف يقول: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) وهو يعلم أن نفسه بريئة زكية غير أمارة - (٢) - أن قوله: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) إذا كان معناه على ما زعموه أن يوسف أراد أن يعلم العزيز أني لم أخنه في امرأته على قول أكثرهم؛ أو ليعلم الملك أو ليعلم الله لم يكن هنا ما يشار إليه، فإنه لم يتقدم من يوسف كلام يشير به إليه، ولا تقدم أيضا ذكر عفافه واعتصامه؛ فإن الذي ذكره النسوة قولهن: (ما علمنا عليه من سوء) - وقول امرأة العزيز: (أنا راودته عن نفسه) - وهذا فيه بيان كذبها فيما قالته أولا، ليس فيه نفس فعله الذي فعله هو - فقول القائل: إن قوله: (ذلك) من قول يوسف، مع أنه لم يتقدم منه هنا قول ولا عمل؛ لا يصح

بحال – (٣) – أن المعنى على هذا التقدير – لو كان هنا ما يشار إليه من قول يوسف أو عمله –: إن عفتي عن الفاحشة كان ليعلم العزيز أني لم أخنه، ويوسف إنما تركها خوفا من الله ورجاء لثوابه؛ لا لأجل مجرد علم مخلوق – قال الله تعالى: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) – فأخبر أنه رأى برهان ربه، وأنه من عباده المخلصين – ومن ترك المحرمات ليعلم المخلوق بذلك لم يكن هذا لأجل برهان من ربه، ولم يكن بذلك مخلصا، فهذا الذي أضافوه إلى يوسف إذا فعله آحاد الناس لم يكن له ثواب من الله؛ بل يكون ثوابه على من عمل لأجله – (٤) – أن الناس عادتهم في مثل هذا يعرفون بما عملوه من لذلك عنده قدر، وهذا يناسب لو كان العزيز غيورا، وللعفة عنده جزاء كثير، والعزيز قد ظهرت عنه من قلة الغيرة وتمكين امرأته من حبس يوسف مع الظالمين مع ظهور براءته ما يقتضي أن مثل هذا ينبغي في عادة الطباع أن يقابل على ذلك بمواقعة أهله، فإن النفس الأمارة تقول في مثل هذا: هذا لم يعرف قدر إحساني إليه وصوني لأهله؛ بل سلطها ومكنها – فكثير من النفوس لو لم يكن في نفسها الفاحشة إذا رأت من حاله هذا تفعل الفاحشة؛ إما نكاية فيه ومجازاة له على ظلمه، وإما إهمالا له لعدم غيرته وظهور دياثته، ولا يصبر في مثل هذا المقام عن الفاحشة إلا من يعمل لله خائفا منه، وراجيا لثوابه، لا من يريد تعريف الخلق بعمله – (٥) – أن الخيانة ضد الأمانة، وهما من جنس الصدق والكذب، ولهذا يقال: الصادق الأمين، ويقال: الكاذب الخائن – وهذا حال امرأة العزيز، فإنها لو كذبت على يوسف في مغيبه وقالت: راودني – لكانت كاذبة وخائنة، فلما اعترفت بأنها هي المراودة كانت صادقة في هذا الخبر أمينة فيه، ولهذا قالت: (وإنه لمن الصادقين) – فأخبرت بأنه صادق في تبرئته نفسه دونها – فأما فعل الفاحشة فليس من باب الخيانة والأمانة، ولكن هو من باب الظلم والسوء والفحشاء كما وصفها الله بذلك في قوله تعالى عن يوسف: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) – ولم يقل هنا: الخائنين، ثم قال تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) – ولم يقل: لنصرف عنه الخيانة – (٦) – أن النفوس منقسمة إلى مرحومة وأمارة كما قال القرآن: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) – وقد علمنا قطعا أن نفس امرأة العزيز من النفوس الأمارة بالسوء، وأما نفس يوسف فإن لم تكن من النفوس المرحومة عن أن تكون أمارة فما في الأنفس مرحوم؛ فإن من تدبر قصة يوسف علم أن الذي رحم به وصرف عنه من السوء والفحشاء من أعظم ما يكون، ولولا ذلك لما ذكره الله في القرآن وجعله عبرة، وما من أحد من الصالحين الكبار والصغار إلا ونفسه إذا ابتليت بمثل هذه الدواعي أبعد عن أن تكون مرحومة من نفس يوسف – وعلى هذا التقدير:

فإن لم تكن نفس يوسف مرحومة فما في النفوس مرحومة، فإذا كل النفوس أمارة بالسوء، وهو خلاف ما في القرآن - (٧) - أن هذا الكلام فيه - مع الاعتراف بالذنب - الاعتذار بذكر سببه، فإن قولها: (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فيه اعتراف بالذنب، وقولها: (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) إشارة تطابق لقولها: (أنا راودته)، أي: أنا مقرة بالذنب ما أنا مبرئة لنفسي، ثم بينت السبب فقالت: (إن النفس لأمارة بالسوء) فنفسي من هذا الباب، فلا ينكر صدور هذا مني، ثم ذكرت ما يقتضي طلب المغفرة والرحمة، فقالت: (إن ربي غفور رحيم) - فإن قيل: فهذا كلام من يقر بأن الزنا ذنب، وأن الله قد يغفر لصاحبه - قيل: نعم، والقرآن قد دل على ذلك حيث قال زوجها: (واستغفري لذنبك) - وهذا دليل أنهم كانوا يرون ذلك ذنبا ويستغفرون منه وإن كانوا مع ذلك مشركين؛ إذ الفواحش مما اتفق اهل الأرض على استقباحها - (٨) - أن الله لم يذكر عن نبي ذنبا إلا ذكر توبته منه، ويوسف لم يذكر القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه، وما نقل عن وقوعه في بعض مقدمات الذنب كحل السراويل ونحوها فهذا ليس مما ينقل عن النبي، بل عن أهل الكتاب، وقولهم في الأنبياء معروف، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه - والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصرا وإما تائبا، والإصرار ممتنع، فتعين أن يكون تائبا، والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفارا كما ذكر عن غيره من الأنبياء؛ فدل ذلك على أن قوله: (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) إنما يناسب حال امرأة العزيز لا يناسب حال يوسف - وانتقد ابن القيم ((٢) / (٦٤) - (٦٥) بتصرف) القول بأنه من قول يوسف، ورجح أنه من قول امرأة العزيز مستندا إلى اللغة، والسياق، وذلك: (١) - أنه متصل بكلام المرأة السابق، وهو قولها: (الآن حصحص الحق أنا راودته)، ومن جعله من قوله فإنه يحتاج إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللفظ بوجه، والقول في مثل هذا لا يحذف لئلا يوقع في اللبس، فإن غايته أن يحتمل الأمرين، فالكلام الأول أولى به قطعا - (٢) - أن يوسف لم يكن حاضرا وقت مقالتها هذه، بل كان في السجن، والسياق صريح في ذلك فإنه لما أرسل الملك إليه يدعوه قال للرسول: (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) - (٣) - أن الضمائر كلها في نسق واحد، وذلك قول النسوة: (ما علمنا عليه من سوء)، وقول امرأة العزيز: (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)، فهذه خمسة ضمائر بين بارز ومستتر، ثم اتصل بها قوله: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب)، فهذا هو المذكور أولا بعينه، فلا شيء يفصل الكلام عن نظمه ويضمر فيه قول لا دليل عليه - وبنحوه قال ابن كثير ((٨) / (٥٠) - (٥١)) -

.

(إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم (٥٣))

(٣٧٥٩٦) - ". [1]

"كقولهم: (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) [الأنبياء: (٥)] وأشباه ذلك، قال الله - تبارك وتعالى - : (قل إنما الآيات عند الله) إذا أراد أن ينزل آية أنزلها، كقوله: (قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) [الأنعام: (٣٧)] تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٦٣٥) - .

(أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١))

نزول الآية

(٦٠١٠٦) - عن أبي هريرة - من طريق يحيى بن جعدة - قال: كان ناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكتبون من التوراة، فذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: «إن أحمق الحمق وأضل الضلالة قوم رغبوا عما جاء به نبيهم إلى نبي غير نبيهم، وإلى أمة غير أمتهم» - ثم أنزل الله: (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أخرجه الإسماعيلي في معجمه (٣) / (٧٧٢) - (٧٧٣)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢) / (٥٤٣) من طريق الإسماعيلي - وقال الألباني في الضعيفة (١٢) / (٧٨٧) ((٥٨٦٥)): «ضعيف جدا» - .

(٦٠١٠٧) - عن يحي بن جعدة - من طريق عمرو بن دينار - قال: جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها، فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «كفى بقوم حمقا - أو ضلالة - أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم» - فنزلت: (أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية أخرجه الدارمي (١) / (١٣٤) - (١٣٥) ((٤٧٨))، وابن جرير (١٨) / (٤٢٩)، وابن أبي حاتم (٩) / (٣٠٧٢) - (٣٠٧٣) ((١٧٣٨٠)) مرسلا - وأورده الثعلبي (٧) / (٢٨٦) - قال ابن جرير ((١٨) / (٤٢٩)): «ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب» - وذهب ابن عطية ((٦) / (٦٥٤)) فيها مذهبا آخر، فقال: «احتج عليهم في طلبهم آية بأمر القرآن الذي هو أعظم الآيات، ومعجز للجن والإنس، فقال: (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب)، ثم قرر ما فيه من الرحمة والذكرى للمؤمنين، فقوله: (أو لم يكفهم) جواب لمن قال: (لولا أنزل)» - ثم بين أن هذا التأويل أجرى **مع نسق الآيات** -

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٣٤/٢٠

وبنحوه قال ابن القيم ((٢) / (٣٠٢)) - .
تفسير الآية
." (١)

"ضلال مبين)، قال كفار مكة للنبي - صلى الله عليه وسلم - : تعالوا ننظر في معايشنا من أفضل دنيا؛ نحن أم أنتم، يا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ؟ إنكم لعلى ضلالة - فرد عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - : ما نحن وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين (لعلى هدى) يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه وأصحابه، (أو في ضلال مبين) يعني: كفار مكة - الألف ها هنا صلة، مثل قوله : (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) [الإنسان: (٢٤)] تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٥٣٢) - (٥٣٣) - .

(٦٣٤٩٦) - قال يحيى بن سلام: ثم قال: (قل الله وإنا أو إياكم) أي: أن أحد الفريقين نحن وأنتم (لعلى هدى أو في ضلال مبين) وهي كلمة عربية يقول الرجل لصاحبه: إن أحدنا لصادق، يعني: نفسه، وكقوله: إن أحدنا لكاذب، يعني: صاحبه، وكان هذا بمكة، وأمر المسلمين يومئذ ضعيف تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٧٦) - رجح ابن جرير ((٩١) / (٢٨٦)) أن معنى قوله تعالى: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين): «أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأحسن التكذيب، كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه وهو يريد تكذيبه في خبر له: أحدنا كاذب - وقائل ذلك يعني صاحبه لا نفسه؛ فلهذا المعنى صير الكلام بـ (أو)» - وذكر ابن عطية ((٧) / (١٨٥) - (١٨٦)) أن معنى: (وإنا أو إياكم): «تلطف في الدعوى والمحاورة، والمعنى كما تقول لمن خالفك في مسألة: أحدنا يخطئ - أي: تثبت وتنبه، والمفهوم من كلامك أن مخالفك هو المخطئ، وكذلك هذا معناه (لعلى هدى أو في ضلال مبين) فلتنبينه، والمقصد: أن الضلال في حيز المخاطبين، وحذف أحد الخبرين لدلالة الباقي عليه» - ثم نقل عن أبي عبيدة أن (أو) «في الآية بمعنى واو النسق، والتقدير: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» - ثم انتقده مستندا إلى ظاهر اللفظ قائلا: «وهذا القول غير متجه، واللفظ لا يساعده» - ثم علق بقوله: «وإن كان المعنى - على كل قول - يقتضي أن الهدى في حيز المؤمنين، والضلال في حيز الكفرة» - .
(قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥))

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٤٧/٣١

(٦٣٤٩٧) - قال يحيى بن سلام: (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) ". [(١)]

"(٧٠٥٠٨) - قال مقاتل بن سليمان: (حتى إذا بلغ أشده) ثماني عشرة سنة تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٢٠) - اختلف في الأشد على أقوال: الأول: بلوغ الحلم - الثاني: ثمانية عشر عاما - الثالث: ثلاثة وثلاثون عاما - ورجح ابن جرير ((٢١) / (١٣٩) - (١٤٠)) مستندا إلى اللغة - القول الأخير الذي قاله ابن عباس من طريق مجاهد، وقتادة - وانتقد الأول الذي قاله الشعبي، وربيعة، ومالك، وزيد، فقال - بعد أن بين أن بلوغ الأشد هو موطن تناهي القوة والاستواء - : «وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من الحلم؛ لأن المرء لا يبلغ في حال حلمه كمال قواه، ونهاية شدته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت بعضا على بعض، جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه، كما قال جل ثناؤه: (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه) [المزمل: (٢٠)] - ولا تكاد تقول: أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلا من مال أو كله - ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكذلك ذلك في قوله: (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) - لا شك **أن نسق الأربعين** على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر، **من النسق على** الخمس عشرة أو الثمان عشرة» - وذكر ابن عطية ((٧) / (٦١٩)) قولين آخرين: الأول: أنه أربعون عاما - وعلق عليه بقوله: «ومن قال بالأربعين قال: إنه في الآية أكد وفسر الأشد بقوله سبحانه: (وبلغ أربعين سنة)» - الثاني: أن الأشد ستة وثلاثين عاما، ورجحه بقوله: «وأقوى الأقوال ستة وثلاثون»، ولم يذكر مستندا - .

- (وبلغ أربعين سنة)

(٧٠٥٠٩) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - (وبلغ أربعين سنة): وقد مضى من سيئ عمله أخرجه ابن جرير (٢١) / (١٤٠) - .

(٧٠٥١٠) - قال مقاتل بن سليمان: (وبلغ أربعين سنة) فهو في القوة والشدة من ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة صدق بالنبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٢٠) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٥١/٣٣

(قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي)

." (١)

"(٧٩٢٧٧) - عن سعيد بن جبير - من طريق زياد - في قوله: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)، قال: كان أصحاب نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يأتمون به، فيركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣٤٤) - .

(٧٩٢٧٨) - عن سعيد بن جبير - من طريق رجل - في قوله: (كادوا يكونون عليه لبدا)، قال: تراكبوا عليه أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣٤٦) - .

(٧٩٢٧٩) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (يكونون عليه لبدا)، قال: جميعا أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣٤٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٧٩٢٨٠) - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - في قوله: (كادوا يكونون عليه لبدا): كادوا يركبونه حرصا على ما سمعوا منه من القرآن أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣٤٣) - .

(٧٩٢٨١) - عن الحسن البصري - من طريق عوف - (وأنه لما قام عبد الله يدعوه)، قال: لما قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا إله إلا الله» ويدعو الناس إلى ربهم؛ كادت العرب تلبد عليه جميعا أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣٤٦) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٧٩٢٨٢) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - في قوله: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا)، قال: لما قام نبي الله - صلى الله عليه وسلم - تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناوأه أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٣٤٤)، كما أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٣٢٣) من طريق معمر، وابن جرير (٢٣) / (٣٤٥) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٧٩٢٨٣) - قال مقاتل بن سليمان: (كادوا يكونون عليه لبدا)، يقول: كادوا أن يرتكبوه حرصا على حفظ ما سمعوا من القرآن تعجبا به، وهم الجن التسعة تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٤٦٤) - (٤٦٥) - اختلف في معنى: (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) على أقوال: الأول: عني بذلك: الجن؛ أنهم كادوا يركبون رسول الله صلى الله - صلى الله عليه وسلم - لما سمعوا القرآن - الثاني: أنه من قول النفر من الجن، لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ١٣١/٣٧

وسلم - له، وائتمامهم به في الركوع والسجود - الثالث: أن ذلك من خبر الله الذي أوحى إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، لعلمه أن الإنس والجن تظاهروا عليه، ليبطلوا الحق الذي جاءهم به، فأبى الله إلا إتمامه - ووجه ابن جرير ((٢٣) / (٣٤٣)) القول الأول بقوله: «ومن قال هذا القول جعل قوله: (وأنه لما قام عبد الله) مما أوحي إلى النبي، فيكون معناه: قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن، وأنه لما قام عبد الله يدعوه» - ووجه ((٢٣) / (٣٤٤)) القول الثاني بقوله: «ومن قال هذا القول الذي ذكرناه - يفتح الألف من قوله: (وأنه) عطف ب٥ا على قوله: (وأنه تعالى جد ربنا) [الجن: (٣)] مفتوحة، وجاز له كسرها على الابتداء» - ووجه ((٢٣) / (٣٤٥)) القول الثالث بقوله: «ومن قال هذا القول فتح الألف من قوله: (وأنه)» - ورجح ابن جرير ((٢٣) / (٣٤٥)) مستندا إلى السياق، ودلالة العقل - القول الثالث، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير من طريق رجل، ومجاهد، وابن زيد، وعلل ذلك بقوله: «لأن قوله: (وأنه لما قام عبد الله) عقيب قوله: (وأن المساجد لله) وذلك من الله - جل وعز - خبر، فكذلك قوله: (وأنه لما قام عبد الله) - وأخرى أنه - تعالى ذكره - أتبع بذلك قوله: (فلا تدعوا مع الله أحدا)، فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا في ذلك، لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة» - وكذا ابن كثير ((١٤) / (١٥٦)) مستندا إلى السياق، فقال: «وهو الأظهر؛ لقوله بعده: (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا)، أي: قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه، ليبطلوا ما جاء به من الحق، واجتمعوا على عداوته: (إنما أدعو ربي) أي: إنما أعبد ربي وحده لا شريك له، وأستجير به وأتوكل عليه، (ولا أشرك به أحدا)» - وذكر ابن عطية ((٨) / (٤٣٦)) أنه إن «قدرنا الضمير - في لفظة (كادوا) - للجن فبتقصفهم عليه لاستماع الذكر - وهذا تأويل ابن عباس، والضحاك - وإن قدرناه للكفار فبتمالئهم عليه وإقبالهم على أمره بالتكذيب والرد - وهذا تأويل الحسن، وقتادة» - ونقل ابن عطية ((٨) / (٤٣٥)) عن قوم أن «العبد»: «هو نوح ، والضمير في (كادوا) لكفار قومه» - ثم انتقده قائلا: «ولا يتجه أن يكون العبد نوحا إلا على تحامل في **تأويل نسق الآية**» - .
(٧٩٢٨٤) ". [(١)]

" - عن الضحاك بن مزاحم - من طريق عبيد - (على أن نسوي بنانه)، قال: البنان: الأصابع - يقول: نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خف البعير أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٤٧٣) - وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر بلفظ: على أن نجعل يديه ورجليه مثل خف البعير - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٠٨/٤١

(٨٠٠١٨) – عن الحسن البصري – من طريق أبي رجاء – أنه قرأ هذه الآية: (بلى قادرين على أن نسوي بنانه)، فقال: إن الله أعف مطعم ابن آدم، ولم يجعله خفا ولا حافرا، فهو يأكل بيديه، ويتقي بها، وسائر الدواب إنما يتقي الأرض بفمه أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٤٧٢) بنحوه – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر – .

(٨٠٠١٩) – عن قتادة بن دعامة – من طريق معمر – (بلى قادرين على أن نسوي بنانه)، قال: لو شاء لجعله كخف البعير أو كحافر الدابة، ولكن جعله الله خلقا سويا حسنا جميلا، تقبض به وتبسط به، يا ابن آدم أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٣٣٣)، وابن جرير (٢٣) / (٤٧٣)، كذلك من طريق سعيد – وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد – .

(٨٠٠٢٠) – قال محمد بن كعب القرظي – من طريق أبي صخر – (بلى قادرين على أن نسوي بنانه)، قال: لو شاء لجعله خنزيرا حمارا أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع – تفسير القرآن (٢) / (١٤٧) ((٢٩٧)) – .

(٨٠٠٢١) – عن غيلان بن جرير، عن أصحابه، في قوله: (بلى قادرين على أن نسوي بنانه)، قال: قادرين على أن نجعلها مثل ربع أخرجه سعيد بن منصور في سننه – التفسير (٨) / (٢١٥) ((٢٣٤٧)) – قال محققه: «كذا في الأصل، لكن وضع ضمة على الباء» – والظاهر أن المراد: نجعلها مثل يد الربع أو قدمه، والربع هو ولد الناقة في أول النتاج، ولا أصابع له، ويؤيده رواية ابن عباس السابقة: «كفا ليس فيه أصابع» – .

(٨٠٠٢٢) – قال مقاتل بن سليمان: (بلى قادرين) كنا قادرين (على أن نسوي بنانه) أصابعه، يعني: على أن نلحق الأصابع بالراحة، ونسويه حتى نجعله مثل خف البعير، فلا ينتفع بها كما لا ينتفع البعير بها ما كان حيا تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٥١٠) – ذكر ابن عطية ((٨) / (٤٧٢)) أن المعنى: أن الكفار لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والإرمام، قيل لهم: إنما تجمع ويسوى أكثرها تفرقا وأدقها أجزاء، وهي عظام الأنامل ومفاصلها، وهذا كله عند البعث – وبنحوه قال ابن القيم ((٣) / (٢٢٦)) – ثم ساق ابن عطية هذا القول بأن المراد: جعل بنان الإنسان في هذه الحياة بضعة أو عظما واحدا كخف البعير لا تفاريق فيه – وعلق عليه بقوله: «فكأن المعنى: قادرين الآن في الدنيا على أن نجعلها دون تفرق، فتقل منفعته بيده، فكأن التقدير: بلى نحن أهل أن نجمعها، قادرين الآن على إزالة منفعته بيده، ففي هذا توعد ما» – وعلق ابن القيم ((٣) / (٢٢٦)) على هذا القول بقوله: «والمعنى على هذا القول: إنا في الدنيا قادرون

على أن نجعل عظام بنانه مجموعة دون تفرق، فكيف لا نقدر على جمعها بعد تفريقها، فهذا وجه من الاستدلال غير الأول، وهو الاستدلال بقدرته سبحانه على جمع العظام بعد تفريقها» – ورجح ابن عطية – مستندا إلى السياق – أن المراد بالجمع في الآخرة، فقال: «والقول الأول أجرى مع رصف الكلام» – ثم قال: «ولكن على هذا القول الآخر [أي: تسوية البنان في الدنيا] جمهور العلماء» – وعلق ابن القيم ((٣) / (٢٢٧)) على القولين بقوله: «وهما وجهان حسنان، وكل منهما له ترجيح من وجه؛ فيرجح الأول أنه هو المقصود، وهو الذي أنكره الكفار، وهو إجراء **على نسق الكلام** واطراده، ولأن الكلام لم يسق لجمع العظام وتفريقها في الدنيا، وإنما سيق لجمعها في الآخرة بعد تفرقها بالموت – ويرجح القول الثاني – ولعله قول جمهور المفسرين – ، حتى إن فيهم من لم يذكر غيره، وأنه استدلال بآية ظاهرة مشهورة، وهي تفريق البنان مع انتظامها في كف واحد وارتباط بعضها ببعض فهي متفرقة في عضو واحد، يقبض منها واحدة ويبسط أخرى ويحرك واحدة والأخرى ساكنة، ويعمل بواحدة والأخرى معطلة، وكلها في كف واحد، قد جمعها ساعد واحد، فلو شاء سبحانه لسواها فجعلها صفة واحدة كباطن الكف، ففاته هذه المنافع والمصالح التي حصلت بتفريقها، ففي هذا أعظم الأدلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت» – .

(بل يريد الإنسان ليفجر أمامه (٥))

(٨٠٠٢٣) – عن عبد الله بن عباس – من طريق أبي الخير بن تميم، عن سعيد بن جبير – في قوله: (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه)، قال: يمضي قدما أخرجه ابن جرير (٢٣) / (٤٧٥) – .

(٨٠٠٢٤) – عن عبد الله بن عباس – من طريق سعيد بن جبير – في قوله: (بل يريد

".[١]

"(١٠٩١٣) – عن مقاتل بن حيان – من طريق بكير بن معروف – ، نحو ذلك أخرجه ابن أبي حاتم (٢) / (٥٢٧) – .

(١٠٩١٤) – قال مقاتل بن سليمان: (ولا تيمموا الخبيث)، يقول: ولا تعمدوا إلى الحشف من التمر الرديء من طعامكم للصدقات (منه تنفقون) تفسير مقاتل بن سليمان (١) / (٢٢٢) – .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٣٤/٤١

(١٠٩١٥) – عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم – من طريق ابن وهب – في قوله: (ولا تيمموا الخبيث)، قال: الحرام، لا تيمه تنفق منه؛ فإن الله لا يقبله أخرجه ابن جرير (٤) / (٧٠٣) – ذهب ابن جرير ((٤) / (٧٠٣))، وابن عطية ((٢) / (٧٢))، وابن كثير ((٢) / (٤٦٧)) إلى أن المراد بـ (الخبيث) في الآية: الرديء غير الجيد، استنادا إلى ما ورد عن السلف، واتفاق أهل التأويل – وانتقد ابن جرير، وابن عطية قول ابن زيد؛ لمخالفته لنسق الآية – قال ابن جرير: «وتأويل الآية هو التأويل الذي حكيناه عمن حكينا عنه من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، والتابعين، واتفاق أهل التأويل على صحة ذلك، دون الذي قاله ابن زيد» – وقال ابن عطية: «وقول ابن زيد ليس بالقوي من **جهة نسق الآية**، لا من معناه في نفسه» – .

(ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه)

(١٠٩١٦) – عن عبيدة السلماني، قال: سألت علي بن أبي طالب عنه – فقال: (ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه)، يقول: ولا يأخذ أحدكم هذا الرديء حتى يهضم له أخرجه ابن جرير (٤) / (٧٠٠)، (٧٠٤) – .

(١٠٩١٧) – عن عبد الله بن عباس – من طريق علي بن أبي طلحة – في قوله: (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) يقول: تصدقوا من أطيب أموالكم وأنفسه، (ولستم بآخذيه) قال: لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه، فذلك قوله: (إلا أن تغمضوا فيه) فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟!، وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه، وهو قوله: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) [آل عمران: (٩٢)] أخرجه ابن جرير (٤) / (٦٩٦)، (٧٠٤) – (٧٠٥)، وابن أبي حاتم (٢) / (٥٢٦)، (٥٢٨) دون ذكر آية سورة آل عمران – وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر – .

". [1]

(١) موسوعة التفسير المأثور ٦٣/٦